بهجة المجالس وأنس المجالس

وشحذ الذاهن والهاجس

للإمام أبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد
بن عبد البر النمري القرطبي
٣٦٨ - ٤٦٣ هـ

تحقيق

محمد مرسي الخولي

منشورات
محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

بهجة المجالس، وأنس المجالس
وشحذ الذاهن والهاجس

تأليف

الإمام أبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي

٣٦٨ - ٤٦٣ هـ

المجلد الاول
من القسم الاول

تحقيق
محمد مرسي الخولي

بسم الله الرحمن الرحيم

تصدير

هذا الكتاب موسوعة أدبية لعالم أندلسى كبير ، اشتهر فى تاريخ الأدب الأندلسى كما اشتهر بين معاصريه : بالفقيه الحافظ المحدث ، ولكنه فى الواقع لم يكن كذلك فحسب ، بل كان إلى جانب ذلك رجلا موسوعى الثقافة ، وافر الاطلاع ، وهب حياته الطويلة للعلم وأخلص له ، ولم يفرق فى إخلاصه هذا بين نوع وآخر من العلوم ، فهو كما وعى حديث الرسول الكريم واستوعب أصول الفقه ومسائله ، وألف فيهما من المؤلفات ما تكاد تقطع عند قراءته بأنه لا يحسن غيرهما ، كذلك فعل بأنواع أخرى من العلوم ، كالأنساب والسير والتراجم والقراءات ، حتى الجغرافيا له فيها جميعاً مؤلفات قيمة ، يُعَدُّ ما طبع منها مراجع ممتازة فى أيدى الباحثين حتى اليوم .

وأخيراً فإن الأدب من بين هذه المعارف يحتل عنده مكانة بارزة ، وينال من جهده واهتمامه قدراً كبيراً ، كيف لا وهو فى رأيه يلى فى المرتبة كتاب الله وسنة رسوله ، ومعرفة آدابهما . لهذا نراه يقدم لنا كتابه هذا الذى أفرغ فيه خلاصة قراءاته وملاحظاته فى ميدان الأدب ، أو كما يقول هو : « وجمعت فيه ما انتهى إليه حفظى ورعايتى ، وضمته روايتى وعنايتى » .

والحق أن ما انتهى إليه حفظ المصنف ليس شيئا قليلا ، فقد عاش أبو عمر عمراً مديداً قضاه كله فى صحبة العلم ، والعيش فى رحابه ، قارئاً وسامعاً ، معلماً ومؤلفاً ، ولهذا ليس غريباً أن يودع فى كتابه نتيجة لهذا كل مختار منتقى من مأثور الأدب نظماً ونثراً ، مما كان سائد الطراز للمذاكرة فى مجالس العلماء فى عصره . من إنتاج المشرقيين والأندلسيين على السواء ، فحفظ لنا بما جمعه بين دفتى كتابه تراثاً قيماً ، ضاعت الآن معظم مصادره الأصلية ، وكاد أن

يندثر ويسحب عليه الزمن ذيل النسيان ، لولا أن ضم هو شمله ، وجمع شتاته ، وقدمه على مائدة الفكر زاداً شهيا لمن يأتى بعده من الأجيال .

والحقيقة أن هذا المصنف يحوى من المميزات الهامة ما سوف نتكلم عنه بالتفصيل فيما بعد ، ولكننى قبل هذا أستميح القارئ عذراً فى أن أسجل فى هذه العجالة كلمة أرجع فيها الفضل لأهله .

ذلك أننى كنت شديد الاهتمام بالعمل فى هذا الكتاب وإخراجه إلى النور منذ فترة طويلة وذلك لعدة أسباب ، أهمها : مكانة المؤلف الكبيرة التى كان يتمتع بها بين علماء عصره ، والتى ما زالت تمتع بها مؤلفاته بين جمهور العلماء والدارسين حتى اليوم .

ثانياً : حاجة الباحثين إلى كثير من مواد هذا الكتاب[1] ، واضطرارهم إلى الرجوع إلى نسخته المخطوطة فى دار الكتب ، للاستعانة بها فيما يقومون به من دراسة أو تحقيق مع ما نعلمه جميعاً من صعوبة الرجوع إلى المخطوطات حتى على المتخصصين ، لتشتت موادها وعدم وجود الفهارس التى تساعد الباحث فى العثور على بغيته ، لهذا فقد قررت البدء فى تحقيقه ثم العمل على نشره .

هذا وحين أبديت تلك الرغبة لعدد من الأصدقاء المشتغلين فى هذا الحقل ، أظهروا جميعاً من التشجيع ما حفزنى على المضى فى تحقيقها .

غير أننى مع ذلك أشفقت على نفسى من أمرين :

الأول : ضخامة الكتاب ووفرة مواده وتنوعها ، وصعوبة الحصول على المراجع الكثيرة اللازمة لتخرج أبياته والتعريف بما ورد فيه من أعلام ، حتى يرتفع التحقيق إلى مستوى مصنفه الكبير ، وتقديم كتابه فى الصورة التى تتناسب ومكانته .

---

(١) انظر مثلا التحقيق فى كتاب : جذوة المقتبس للحميدى ، تصحيح محمد بن تاويت الطنجى . وانظر كذلك كتاب : تاريخ الأدب الأندلسى ، عصر سيادة قرطبة ، تأليف الدكتور إحسان عباس ، فقد اعتمد كلاهما على المخطوطة فى التحقيق والدراسة .

الثانى : صعوبة نشره نظراً لهذه الضخامة وعدم ترحيب دور النشر بالكتب المطولة عامة.

لكننى بالنسبة للأمر الأول، إزاء حث الأصدقاء ورغبتهم المخلصة فى المعاونة ثم ما وجدته فى متناول يدى بحكم عملى فى معهد المخطوطات من المراجع الممتازة ما بين مطبوعة ومخطوطة قررت أن أمضى فى تحقيق الكتاب ، تاركا أمر نشره إلى الظروف المناسبة .

والحق أن هذه الظروف قد أتت بأسرع مما كنت أتوقع ، إذ لم تكد إدارة التراث القديم بوزارة الثقافة والإرشاد القومى ، تعلم بأمر عملى فى تحقيق هذا الكتاب حتى أبدى المشرفون عليها استعدادهم لنشره فأسدَوْا إلى الكتاب يداً من الجميل لا تنسى .

ثم كان من حسن حظى خاصة أن وكلت الإدارة أمر مراجعته إلى الأستاذ الدكتور عبد القادر القط ، فقام على الأمر خير قيام ؛ وبذل من الجهد فى معاونتى فى تقويم النص وضبط ما يحفل به الكتاب من شعر ، ثم ما كان يشير به من وضع التعليقات والشروح المناسبة ، ما أذكره له بكل تقدير وإجلال .

فإليه ، وإلى الأصدقاء الأساتذة محمد رشاد عبد المطلب وإبراهيم شبوح ، وسعيد إسماعيل عبده أتقدم بخالص الشكر ، وجميل الثناء .

والله أسأل أن يجزينا بقدر ما بذلنا من جهد ، وأن يجعل هذا العمل لوجهه خالصاً إنه قريب مجيب .

المحقق

مقدمة

ابن عبد البر القرطبي (١)

٣٦٨ — ٤٦٣ هـ

٩٧٨ — ١٠٧١ م

ترد ترجمة ابن عبد البر فى عدد وافر من الكتب ، ولكنها فى الحقيقة ترجمة واحدة مكررة فى هذه الكتب كلها ، فما تجده هنا تجده معاداً بأسلوب آخر هناك ، فإذا حذفنا من هذه الترجمات ما ذكره المترجمون له من كتبه ، وما أوردوه من بعض شعره ، لم تبق لنا بعد هذا إلا سطور قليلة ، تتضمن قليلا من المعلومات التى يمكن أن نعرفها عن حياة الرجل .

والواقع أن ذلك لا يعد غريباً بالنسبة إلى حياة المؤلف ، فقد كانت فى الحقيقه حياة علمية هادئة ، لم يتورط صاحبها فى مشاكل السياسة ، ولم تكن له أبحاث فى الفلسفة وهما بالذات الجانبان اللذان اهتم بهما مؤرخو الأندلس ، وأفردوا لأصحابهما ، وتفاصيل حياتهم الصفحات الطوال .

ولكن هذا الأمر — وإن لم يكن غريبا كما قلنا — يُصَعِّب المهمة التى نقوم بها من تقديم ترجمة وافية لحياة المصنف وأعماله ، ولهذا فسوف نحاول دراسة العصر الذى عاش فيه المؤلف وخاصة ما يتصل منه بحياته ونقدم من كل ذلك ترجمة أوفى — قدر الاستطاعة — مما قدمه لنا الأسلاف عنه ، مستوحين — فى نفس الوقت — ما قدموه إلينا من نصوص ، وما خلفوه لنا من أخبار .

---

(١) ترجم له فى : جذوة المقتبس ٣٤٤ ، بغية الملتمس ٤٧٤ ، الصلة ١/٦٤٠ — ٦٤٢ بروكلمان ملحق ١/٦٢٨ الديباج المذهب ٣٥٧ ، المغرب ٢/٤٠٧ ، ٤٠٨ ، وفيات الأعيان ٦/٦٤ ، مطمح الأنفس ٦١ ، شذرات الذهب ٣/٣١٨ ، تذكرة الحفاظ ٢/١٤٣ جمهرة الأنساب ٢٨٥ ، تاريخ آداب اللغة العربية لجورجى زيدان ٣/٦٦ ، إلى جانب بعض الكتب الفرعية الأخرى .

المؤلف : مولده ، ونشأته :

فى الرابع والعشرين من ربيع الآخر سنة ٣٦٨ هـ وعلى وجه التحديد ، وقت صلاة الجمعة والإمام يخطب على المنبر ، ولد أبو عمر لأب كان فقيهاً من فقهاء قرطبة ، ولم يقدر لذلك الشيخ أن تطول به الحياة حتى يرى ولده فتى رائعاً أو شابا مكتملا ، إذ مات فى عام ٣٨٠ هـ وابنه لم يتعد الثانية عشرة من عمره .

وقد نشأ أبو عمر فى قرطبة ، وإن كنا لا نعلم شيئاً عمن كفله بعد وفاة والده ، كما لا نعلم أيضاً إن كان قد ترك له ذلك الوالد شيئاً من حطام الدنيا ، ولكننا نعلم يقيناً أنه تلقى تعليماً ممتازاً على أيدى جلة من علماء عصره ، وبرز وتفوق ، واستوعب كثيرا من علوم الفقه والحديث والتاريخ والأدب وغيرها ، فى بلده قرطبة ، أعظم المدن الأندلسية فى ذلك الوقت وأحفلها بالمكتبات والعلماء .

وحينما بلغ أبو عمر الثلاثين من عمره أو نحوها ، كان المفروض أن يحتل مكانة أبيه : فقيهاً من فقهاء قرطبة وشيخاً من شيوخها ، ولكن حدث فجأة ما حرمه من هذه المكانة المنشودة والأمل المرتقب . إذ فى تلك الفترة عينها — أواخر عام ٣٩٩ هـ — حدث ما يسمى فى تاريخ قرطبة بالفتنة البربرية ، والتى كانت حوادثها من القسوة والهمجية بحيث دفعته كما دفعت غيره من العلماء وجمهرة الناس إلى الرحيل العاجل عن المدينة .

الفتنة البربرية :

يشير المؤرخون إشارة موجزة فى ترجمة ابن عبد البر ، إلى أن الفتنة هى السبب الذى دفعه إلى الهجرة من قرطبة ، ثم لا يزيدون على كلمة « الفتنة » شيئاً من تفصيل وإيضاح ، ولكننا نرى من تمام البحث أن نتكلم بشىء من التفصيل عن هذه الفتنة وآثارها ، حتى تكتمل أمامنا صورة واضحة المعالم للأحداث التى مرت بالرجل ، ونالت منه ومن أقرب المقربين إليه .

أما حوادث هذه الفتنة[١] ، فقد بدأت عندما أراد محمد بن هشام بن عبد الجبار الأموى الملقب بالمهدى[٢] ، أن يتخلص من الدولة العامرية ، وكان العامريون قد تولوا زمام السلطة الفعلية طوال أيام الخليفة المستضعف هشام المؤيد ، وفعلا نجح المهدى نجاحاً مؤقتاً ، وقتل عبد الرحمن بن أبى عمر الملقب بشنجول ، والذى ادعى أنه ولى عهد الخليفة هشام المؤيد ، ثم تسلم المهدى السلطة ، ولكنه لم يكد يستقر فيها حتى نازعه أموى آخر هو سليمان المستعين[٣] الذى تزعم البربر ، وقصد أن ينتزع الخلافة من المهدى ، واجتمع البربر مع سليمان لمحاربة قرطبة ونزلوا بسفح الجبل بها وبشرقيها فى (١١ ربيع الأول سنة ٤٠٠ هـ) وعلى الرغم من خروج أهل قرطبة عن بكرة أبيهم للقتال ، واستبسالهم فى الذود عنها ، إلا أنها سقطت فى أيدى البربر ، الذين أجروا فيها على الفور مذبحة رهيبة ، راح ضحيتها الآلاف من الضحايا الأبرياء .

لكن المهدى أبى أن يستسلم لهذه النتيجة ، فهرب إلى طليطلة وجمع جموعاً من الإفرنجة وعساكر الثغور ، وعاد إلى مهاجمة قرطبة ، وفعلا تمكن من الاستيلاء عليها بعد شدائد وأهوال ، إلا أنه للمرة الثانية يعثر به حظه ، فيختاف عليه جنده ، ثم يتخلصون منه بالقتل ، ويصبح الجو خالياً لسليمان المستعين ، فيدخل المدينة دخول الظافر المنتصر .

إلى هنا ويمكن أن تستقر الأحوال وتهدأ الأمور ، فقد تم لسليمان تحقيق أطماعه شخصيا بتولى الخلافة ، ثم تحقيق آمال الكثيرين ممن كانوا يهوون عودة الأسرة الأموية إلى الحكم .

لكن سليمان فى الحقيقة لم تكن فيه صفة واحدة من صفات الكفاءة التى كان يتمتع بها معظم الخلفاء الأمويين ، فاكتفى بتحقيق ملذاته هو . ثم ترك لجنده من البربر أن يفعلوا بالمدينة ما يحلو لهم من نهب وسلب واعتداء على الحرمات بشكل لم يسبق له مثيل .

وقد استمر هذا الوضع الشاذ سبع سنوات ، يصفها مؤرخ الأندلس ابن حيان[٤] ، بأنها :

---

(١) أنقل هنا بتصرف عن كتاب : تاريخ الأدب الأندلسى (عصر سيادة قرطبة) للدكتور إحسان عباس .

(٢) ترجمته فى : جذوة المقتبس ١٨ ، المعجب فى تلخيص أخبار المغرب ٤٠ ، البيان المغرب ٣/٥٠ .

(٣) هو سليمان بن الحكم بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر ، ترجمته فى جذوة المقتبس ١٩ ، الذخيرة ١/١/٢٤ .

(٤) هو حيان من خلف بن حسين بن حيان الأندلسى ، صاحب كتاب « المقتبس فى تاريخ الأندلس » ترجمته فى جذوة المقتبس ١٨٨ ، وفيات الأعيان ١/١٦٨ .

كانت كلها شداداً نـكدات ، صعاباً مشئومات ، كريهات المبدأ والفاتحة ، قبيحة المنتهى والخاتمة لم يعدم فيها حيف ، ولافورق خوف ، ولا تم سرور ، ولافقد محذور ، مع تغير السيرة وخرق الهيبة ، واشتعال الفتنة واعتلاء المعصية ، وطعن الأمن وحلول المخافة[1] » .

ومن الطبيعى أن يعيش الناس هذه السنوات فى هلع دائم ورعب متصل ، فقد كان البربر خلالها يترصدون الحرم والدور بالهتك والسلب ، ولقد بلغ من إشفاق الناس يومئـذ أنهم استفتوا شيوخ المالـكية فى تعجيل صلاة العتمة قبل وقتها خوفاً من القتل ، إذ كان متلصصة البربر يقفون لهم فى الظلام فى طرق المسجد فربما آذوهم إيذاء شديداً[2] .

وقد قضت هذه الفتنة على كثير من العلماء والأدباء بالموت والتشريد ويكفى أن نلقى نظرة على كتاب الصلة لابن بشـكوال حتى نجد فيه الـكثير ممن ترجم لهم من العلماء : إما قتلوا فى الفتنة أو آثروا الهجرة إلى المدن الأندلسية الأخرى .

ولقد كان من بين هؤلاء المهاجرين ، أبو عمر بن عبد البر ، الذى اضطر تحت هول ما رآه من حوادث إلى ترك بلده الحبيبة ومرتع صباه ، خصوصاً وقد أثر فى نفسه قتل أستاذه الـكبير وصديقه العظيم : أبى الوليد بن الفرضى مظلوماً فى بيته بيد البربر الذين لم يرعوا للرجـل علمه ومـكانته ، أو يرحموا فيه ضعفه وشيخوخته[3] .

تجوله فى بلاد الأندلس :

خرج أبو عمر من قرطبه مهاجراً — أو على الأصح — هارباً إلى غيرها من بلاد الأندلس ويبدو أنه فى خروجه ذاك لم يكن يقصد بلدة بعينها ، إذ لم تترك له الحوادث الرهيبة التى خلفها وراءه فرصة للتفـكير أو الاختيار .

---

(١) الذخيرة ١/١ ، ٢٥ .

(٢) الإحكام فى أصول الأحكام لابن حزم ٣/٦٧ .

(٣) انظر قصة استشهاد هـذا العالم فى جذوة المقتبس : ٢٣٨ ، بغية الملتمس ٣٢١ ، وفيات الأعيان ١/٢٦٨ .

هذا إلى جانب أن بلاد الأندلس نفسها — بعد انفراط عقد الخلافة الأموية ، وزوال أسرة المنصور بن أبى عامر ، كانت قد فقدت وحدتها ، وأخذت تفور بالفتنة والقلاقل وقد أخذ كل وال يستقل بما تحت يده من ولايات ، ويحارب جيرانه من حكام الولايات الأخرى إما طمعاً فيما تحت أيديهم ، أودَرْءاً لأطماع غيره فيه ، فلم يكن هناك — والحالة هذه — مكان يمكن أن يلجأ اليه هو أفضل من غيره .

وأخذ أبو عمر فى هذه الفترة يجول فى بلاد غرب الأندلس ؛ مستغلا جولته الاضطرارية هذه فى الاستماع إلى علماء هذ البلاد والأخذ عنهم ، ومن بينهم خاصة من أتيحت له فرصة الذهاب إلى المشرق والتلقى عن أساتذته ، وقد لقى من هؤلاء كثيرين يذكرهم الحميدى فى ترجمته فى جذوة المقتبس .

وعلى الرغم من أن هذه الفترة من حياته ، والتى تعتقد أنها كانت قريبة من عشر سنوات — كانت فترة غنية حقا بما أخذه عن هؤلاء العلماء ، إلا أنها كانت من جهة أخرى كافية لحياة التجول وعدم الاستقرار التى يحياها ،ومن هنا أخذ أبو عمر يتطلع من حوله إلى الدويلات الكثيرة التى ملأت رقعة الأندلس ، فلم ير دولة هى أحق بالاستقرار وكفالة حياة هادئة لمن يريد خيراً من دانية التى تقع فى أقصى شرق الأندلس ، والتى يحكمها أمير حازم شجاع ، يحترم العلم ويقرب العلماء ، هو الأمير مجاهد العامرى .

صاحب دانية : مجاهد العامرى (١) :

كان أبو الجيش مجاهد بن عبد الله العامرى مولى رومياً من موالى عبد الرحمن الناصر ابن المنصور محمد بن أبى عامر ، ولكنه كان متحلياً بالعلم والشجاعة والإقدام ، وحين انتهى أمر الدولة العامرية ودبت الفرقة وعوامل الانحلال فى جسم الدولة ، وسارع كل حاكم إلى تقطيع

(١) اعتمدنا فيما كتبناه هنا عنه ، على : جذوة المقتبس ٣٣١ ، بغية الملتمس ٤٥٧ ، البيان المغرب ١٥٥/٣ ، مقدمة التحقيق لكتاب المحكم لابن سيدة .

أوصالها والاستقلال بأجزائها ، ذهب مجاهد بجمع من موالى العامريين إلى شرق الأندلس ، فاستولى على دانية وما والاها من جزائر : ميورقة ومنورقة ويابسة عام ٤٠٦ أو ٤٠٧ هـ .

وحين استقرت به الحال فى الدولة الجديدة ، تطلع به طموحه إلى جزيرة سردانية القريبة منه ، وسرعان ما هاجمها وضمها إلى ملكه ثم جعلها قصبة بلاده ، ولكن ملوك ألمانيا وإيطاليا خشوا خطورة هذا المغامر الجرىء الذى أصبح على مرمى حجر من قلب بلادهم فوجهوا إليه الجيوش والأساطيل تكيل له الضربات الساحقة فى وحشية وعنف حتى أفلتتها من يده فى موقعة بالغة الضراوة ، عاكست فيها الرياح أسطوله ودفعته دفعا إلى أيدى أعدائه فنجا هو من القتل بشق النفس ، على حين أسر أولاده وبعض نسائه ولم يستطع افتداءهم إلا بعد فترة طويلة من الزمن .

بعد هذه المغامرة الفاشلة لم يفكر مجاهد مرة أخرى فى الغزو ، بل اتجه بكليته إلى إمارته يصلح من أمورها ويعنى بشئونها ، حتى أصبحت تتمتع بقسط وافر من الأمن والرخاء والاستقرار دام نحواً من ثلاثين عاماً ، حتى وقت وفاته سنة ٤٣٦ هـ .

ولعل أهم ما كان يمتاز به مجاهد إلى جانب كفاءته الإدارية وشجاعته ، هو حبه الشديد للعلم والعلماء ، ويذكر المؤرخون عنه أنه كان ذا دراية بعلوم العربية ، وتصرف فى علوم القرآن: قراءاته ومعانيه وغريبه ، عنى بطلب ذلك من صباه إلى اكتهاله وجمع من الكتب مالم يجمعه أحد من نظرائه ، وأتت إليه العلماء من كل صقع ، فاجتمع لديه جملة من مشيختهم ومشهور طبقاتهم ، فكان وزيره والمتصرف فى دولته أبو العباس أحمد بن رشيق الكاتب(١) إلى جانب بعض أمثال العلماء كأبى عمرو الدانى(٢) وابن سيده(٣) وكان له من المصنفين عدة يقومون على التصنيف فى علوم القرآن خاصة ويشاركون فى فنون أخرى من العلم ، يجملون بها ملكه ويشرّفون دولته ، حتى اشتهرت دانية آنذاك بأن أهلها أقرأ الناس للقرآن ، وأكثرهم معرفة بعلومه .(٤)

(١) انظر ترجمته فى : جذوة المقتبس ١١٤ ، بغية الملتمس ١٦٦ ، وليس هو بالطبع أبا الحسن بن رشيق القيروانى صاحب العمدة .

(٢) عثمان بن سعيد بن عمر الدانى ، عالم القراءات الكبير ؛ ترجمته فى نفح الطيب ٣٨٦/١ ، معجم الأدباء ٣٦/٥ .

(٣) على بن إسماعيل بن سيده ، صاحب المخصص والمحكم ، ترجمته فى بغية الملتمس ٤٠٥ ، وفيات الأعيان ٣٤٢/١ .

(٤) معجم البلدان لياقوت ، ط بيروت ، مادة دانية .

لهذا ليس غريباً أن تصادف دانية ، من بين دول الأندلس جميعاً . هوى قويا من نفس أبي عمر بن عبد البر ، فيذهب إليها ويلقى بها عصا الترحال ، وقد وجد أخيراً المكان الذى حلم به مستقراً وملاذاً .

ابن عبد البر فى دانية :

تعد الفترة التى قضاها أبو عمر فى دانية من أخصب فترات حياته إنتاجاً ، ففيها ألف معظم كتبه المطولة التى اشتهر بها ، وتدلنا رسالة ابن حزم التى كتبها(١) فى فضل الأندلس وذكر رجالها ، وهى رسالة كتبت نحو سنة ٤١٢ هـ . على ما كان يتمتع به أبو عمر فى ذلك الوقت من شهرة وما تحتله كتبه من مكانه ، فيقول : « ومنها كتاب التمهيد لصاحبنا أبى عمر يوسف ابن عبد البر ، وهو الآن بعد فى الحياة لم يبلغ سن الشيخوخة ، وهو كتاب لا أعلم فى فقه الحديث مثله أصلا فكيف أحسن منه ، ومنها كتاب الاستذكار وهو اختصار التمهيد المذكور ، ولصاحبنا أبى عمر بن عبد البر المذكور كتب لا مثيل لها منها : كتابه المسمى الكافى فى الفقه على مذهب مالك وأصحابه ، خمسة عشر جزءاً ، وكتابه فى الصحابة ، والاكتفا ، ثم بهجة المجالس ، وجامع بيان العلم .. » .

وليست هذه بالطبع كل مؤلفات أبى عمر ، ولكنها تكاد تكون أهمها كلها . وهى كما قلنا التى قامت عليها أساساً شهرة أبى عمر فى كل أرجاء الأندلس . وجعلت طلبة العلم يهرعون إلى دانية للتلقى عن الحافظ الكبير والسماع عليه ، حتى كان سنده مما يتفاخر به بينهم .

ويمكننا أن نقول إن أبا عمر أحس بالسعادة الحقة فى دانية . وبادل أهلها حبا بحب . حتى إن الظروف حينما دعته بعد ذلك إلى الرحيل عنها — كما سنبين فيما بعد أبى بعد انتهاء هذه الظروف إلا أن يقضى شيخوخته يتردد بين دانية وما جاورها من المدن القريبة منها وحتّى إنه تحقيقاً لهوى أهل دانية وحب أهلها لعلوم القرآن . ألف فى القراءات أربع كتب لا بأس من من ذكرها وهى :

---

(١) انظر هذه الرسالة فى نفح الطيب ٢/٧٦٧ ، تاريخ الأدب الأندلسى (عصر سيادة قرطبة) الدكتور إحسان عباس ٢٩١ .

١ — البيان عن تلاوة القران .

٢ — الاكتفاء فى القراءة .

٣ — الإنصاف فيما فى بسم الله من الخلاف .

٤ — التجريد ، والمدخل إلى علم القراءات بالتجويد .

توليه القضاء فى الأشبونة وشنترين :

يذكر المؤرخون أن أبا عمر تولى قضاء الأشبونة وشنترين لفترة من الوقت فى عهد المظفر بن الأفطس صاحب بطليوس(١) . ولما كانت هذه البلاد فى غرب الأندلس . فهو لابد إذاً قد فارق شرق الأندلس . أو بتعبير أدق فارق دانية . وهى كما قلنا مهد شهرته ومركز أمنه وراحته . فكيف فارقها وهى على حد قول ابن سعيد : « الأفق الدانى الذى ظهر فيه علمه . وعند ملوكه خفق علمه(٢) » .

الحق أن المؤرخين لم يذكروا شيئاً عن السبب فى ذلك ، ولكن يمكننا أن نقول — بناء على تطورات الأحداث فى دانية نفسها — إن أبا عمر ترك دانية مضطرا ، ولعل السبب فى ذلك يرجع فى المرتبة الأولى إلى وفاة مؤسس دانية وراعيها الأمير مجاهد العامرى فى عام ٤٣٦ هـ ، وعلى الرغم من أن ابنه إقبال الدولة على بن مجاهد(٣) ، كانت له نفس ميول أبيه العلمية نحو تكريم العلماء والحدب عليهم ، إلا أننا نكاد نلمح فى بعض تصرفاته ما يشير إلى أنه لم تكن له شخصية والده القوية ولا سعة صدره ، فقد غضب مثلا على ابن سيده العالم اللغوى الضرير ، واضطر هذا إلى الهرب والاختفاء ، ولم يتمكن من الظهور فى دانية إلا بعد أن عفا عنه إقبال الدولة ، بعد أن استعطفه ابن سيده بقصيدة مؤثرة .

---

(١) هو محمد بن عبد الله بن محمد بن سلمة التجيبى الأندلسى ، الملك المظفر أبو بكر بن الأفطس ، تولى سنة ٤٣٧ هـ وكان من أعاظم ملوك الطوائف ، عالماً بالأدب . انظر ترجمته فى البيان المغرب ٣/٢٢٠ ، الوافى بالوفيات ٣/٢٢٣ .

(٢) المغرب ٢/٤٠٧ .

(٣) ترجمته فى البيان المغرب ٣/١٥٧ ، المعجب فى تلخيص أخبار المغرب ٧٤

ولكن هذا الأمر في الواقع مجرد فرض ؛ فنحن لا نعرف حادثة واحدة وقعت بين أبي عمر وبين إقبال الدولة تدل على قطيعة أو جفاء ، ولكننا نحسب نحاول استنتاج الأسباب التي دفعت أبا عمر إلى ترك مستقره في أقصى شرق الأندلس والهجرة إلى أقصى غربها، وربما أمكننا القول بأن الحالة القلقة لدول ملوك الطوائف في الأندلس عموماً كانت تعكس ظلالها على نفوس الأدباء والعلماء ، فتجعلهم دائماً يبحثون عن المكان الأكثر استقراراً والأشد طمأنينة ، وبالنسبة لأبي عمر خاصة فإن التجربة المريرة التي عاشها في قرطبة أثناء الفتنة البربرية تجعله أكثر حساسية من غيره في هذا الصدد .

لهذا لا نستبعد أن يكون قد قدّر في نفسه أن دانية يحكمها حدث صغير تحيط به الأعداء من كل جانب (١) على حين تقوم في بطليوس دولة في طور التكوين يتولى أمرها حاكم يتصف بالحزم والشجاعة ، فاحتمالات المستقبل بالنسبة لها أكبر وأفضل ، ولهذا فهو يقرر الهجرة إليها .

ويبدو أن أبا عمر قد استقبل في بطليوس استقبالاً كريماً ، وعرف له المظفر مكانته وفضله فولاه قضاء الأشبونة وشنترين وهما من أكبر مدن الأندلس ، ولكننا لا نعرف بدء تاريخ توليه هذا المنصب ، ولا المدة التي قضاها فيه ، وإن كنا نرجح — بناء على ما كانت تتميز به طبيعة أبي عمر من هدوء وحب للاستقرار — أنه قضى فيه زمناً طويلاً ؛ استمر حتى وفاة المظفر سنة ٤٦٠ هـ .

أما الأعوام القليلة الباقية من عمره ، فقد قضاها متنقلا في بلاد شرق الأندلس التي أحبها طول حياته ، فكان يتردد بين دانية وبلنسية وشاطبة ، وهذه الأخيرة مات فيها عام ٤٦٣ هـ (٢) بالغاً من العمر خمسة وتسعين عاماً وخمسة أيام .

---

(١) سقطت دانية سنة ٤٦٨ هـ في يد المقتدر بن هود ، واضطر علي بن مجاهد إلى الرحيل عنها إلى سرقسطة وأقام بها إلى أن توفي سنة ٤٧٤ هـ .

(٢) ذكر الحميدي في الجذوة وتابعه صاحب البغية ، أن ابن عبد البر توفي سنة ٤٦٠ هـ ، وليس هذا صحيحاً فقد ورد في كل المراجع الأخرى سنة وفاته التي ذكرناها بالتحديد ، ولعل خطأ الحميدي راجع إلى أنه كان في بغداد آنذاك ، وهو نفسه لا يورد كلامه بصيغة اليقين ، إذ يقول : بلغني وفاته سنة ٤٦٠ ، أقول : ثم إن الخطيب البغدادي الذي توفي هو وأبو عمر في سنة واحدة ، توفي سنة ٤٦٣ بلا خلاف .

ومن المصادفات الغريبة أن يموت فى نفس العام الخطيب البغـــدادى ، المؤرخ والمحدث المشهور وكان يعرف بحافظ المشرق ، فيقـول الناس : مات حافظا المشرق والمغرب فى سنة واحدة .

شخصيته وأخلاقه :

لعل أهم ما كان يمتاز به أبو عمر — رحمه الله — هو الدأب فى طلب العلم والانقطاع إليه ، وصرف النظر عما عدا ذلك من أمور الدنيا ومغرياتها ، وحسبه منها أن تترك له مـكاناً آمناً وملاذاً مستقراً ، يفرغ فيه إلى التقييد والتأليف ، أو يلتقى فيه بتلاميذه وراغبى علمه فإن توفر له ذلك فهو قادر على إعطاء الناس من جهده الدائب وعمله النشيط ، مالا يرجو عليه إلا ثواب الله وحسن مـكافأته ، وهو فى هذه الناحية يـكاد يرتفع إلى مرتبة الأنبياء الذين عناهم الرسول عليه الصلاة والسلام بقوله : « علماء أمتى كأنبياء بنى إسرائيل » .

ويذكر المؤرخون أنه كان : ديناً صيتاً حجة ثبتاً ، ولعل ذلك من صفات يؤدى إلى صفات أخرى أهمها : طيبة القلب ، وتحرى الصدق ، وطهارة اليد والضمير ، وهى فى مجموعها الصفات التى تغلب على من يشتغلون بحديث الرسول الـكريم ، وليس أحق من أبى عمر بالاتصاف بها فقد كان شيخ حفاظ الحديث ومن أعظم من أنجبته الأندلس من رجالها فيه .

ولـكن إذا كانت هذه الصفات فى مضمونها تحمل كثيراً من معنى المسالمة والموادعة ، فإنها فى الحقيقة لاتعنى التفريط فى الـكرامة ، أو الاستهانة بقدر العلم .

وهذا ما كان يؤمن به أبو عمر ، ويحرص عليه طول حياته ، إذ كان مع ما يمتاز به من دماثة فى الخلق ، من أشد الناس حفاظاً على كرامته ، ومعرفة بقدر العلم ومـكانته .

أما احترام العلم فى مفهومه ، فقد كان يعنى أن يجعل الجهد فيه خالصاً لله ، موجها إلى التماس مرضاته .

وثمة حادثة تبين حرصه الشديد على التمسك بهذا المفهوم ، فالمعروف أنه قضى مدة طويلة

فى دانية ، فى رعاية أميرها مجاهد العامرى وكان مما يؤثر عن مجاهد أنه كان يميل كثيراً إلى ذكر اسمه فى مقدمات مؤلفات العلماء باعتباره المشجع على تأليفها ، الحاث على إخراجها ، ولقد ذكره ابن سيده فى مقدمة كتابيه « المحكم » و « المخصص » ، ولا شك أن غيره ممن كانوا يظفرون بإكرام الأمير ورعايته فعل ذلك أيضاً . وتدل قصة ذكرها ابن حزم فى رسالته التى أشرنا إليها قبل « فى فضل علماء الأندلس » على مبلغ الحرص الشديد لدى مجاهد فى هذه الناحية ، يقول ابن حزم : وها هنا قصة لاينبغى أن تخلو رسالتنا عنها وهى : أن أبا الوليد عبد الله بن محمد بن عبد الله المعروف بابن الفرضى ، حدثنى أن أبا الجيش مجاهداً العامرى ، صاحب الجزائر ودانية ، وجه إلى أبى غالب [1] — أيام غلبته على مرسية — وأبو غالب ساكن بها ، ألف دينار أندلسية على أن يزيد فى ترجمة الكتاب المذكور « مما ألفه تمام بن غالب لأبى الجيش مجاهد » فرد الدنانير ، وأبى من ذلك . ولم يفتح فى ذلك باباً ألبتة ، وقال : « والله لو بذل لى الدنيا على ذلك ما فعلت ، ولا استجزت الكذب ، لأنى لم أجمعه له خاصة بل لكل طالب عامة » .

وكذلك كان أبو عمر ، إذا لم نَرَ له ، والثابت أنه ألف معظم كتبه ، والهامة منها بصفة خاصة فى دانية . كتاباً واحداً يرد فيها ذكر مجاهد أو الإشارة إليه .

قد تكون هناك بعض الكتب والرسائل الصغيرة مما لم يصل إلينا من مؤلفات ابن عبد البر قد جاء فيها ذكر ذلك الأمير ، ولكننا لانعتقد أن هذا — إن كان قد وقع — مما يمكن أن يقنع به مجاهد . أو حتى يشرف به . باعتباره عملاً كبيراً أشار بتنفيذه . والغالب أن هذا كان مبدأ أبى عمر فما لم يفعله فى الكبيرة لم يفعله فى الصغيرة . وبين أيدينا ثلاثة من كتبه الصغيرة التى طبعت وهى : القصد والأمم فى التعريف بأصول أنساب العرب والعجم ، والإنباه على قبائل الرواة ، والانتقاء فى فضائل الثلاثة الفقهاء . ليس فيها ذكر أحد . وكذلك كتبه الكبيرة كالتمهيد والاستيعاب وبهجة المجالس لانرى فيها إلا ذكر الله وحده ، والتقرب بها إلى مرضاته .

---

(١) هو تمام بن غالب المعروف بابن التيانى ، أبو غالب المرسى ، ترجمته فى الجذوة ١٧٢ البغية ٢٣٦ ، أما هذا الكتاب المذكور فى الخبر فهو كتابه « الموعب » فى اللغة .

وكما وقر أبو عمر العلم ، وترفع به عن أن يكون مقصوداً به غير وجه الله ، كذلك وقره العلم وكرمه ، ورفع من شأنه بين العامة والخاصة ، فكان مهاباً حتى بين أيدى الطغاة والجبابرة.

ولقد حدث أن وصل ابن لأبى عمر وهو المعروف بأبى محمد بن عبد البر (١) إلى مرتبة الوزارة فى إشبيلية لدى ملكها المعتضد بن عباد (٢) ، وكان المعتضد ممن عرفوا بالسطوة والتجبر حتى ليقال إنه جعل فى حديقة قصره أعمدة على هيئة الأشجار طلعها رءوس أعدائه وأوراقها آذانهم ، وقد حدث أن غضب المعتضد على كاتبه ووزيره أبى محمد بن عبد البر ، وأمر بإلقائه فى غياهب سجنه .

ويذكر ابن الأبار هذه الحادثة ثم يقول : « سمعت بعض شيوخى يحكى أن أباه الإمام أبا عمر بن عبد البر سار فى أمره من مستقره بشرق الأندلس ، وهو حينئذ يتردد بين بلنسية وشاطبة فلأول دخوله على عباد نادى رافعاً صوته : ابنى يا معتضد ، ابنى يا معتضد . فشفعه فيه وانصرفا عنه محفوفين بالإكرام ، ومكنوفين بالاحترام » (٣) .

ولا شك أن ذلك العفو السريع ، ما كان لينتزع من بين فكى المعتضد ، لولا هيبة العلم ووقار الورع ، قد أجبرا الطاغية على الرضوخ لهما ، والاستسلام العاجل لأمرهما .

شيوخه :

امتازت ثقافة أبى عمر بالأصالة والعمق وكثرة تنوعها ووفرة مصادرها ، ويبدو هذا واضحاً فى مؤلفاته العديدة التى تمتاز من حيث موضوعاتها بالإحاطة والشمول ، كما تمتاز من حيث المادة بالوفرة والدسامة ، حتى لنحس عند قراءتها بأن المؤلف يستمد ما يذكره فيها من معين لا ينضب من رواياته وسماعاته ، وبأنه لا يتكلف جهداً كبيراً فى الإحاطة بموضوعه ، وطرق جوانبه المتعددة فى سهولة ويسر .

---

(١) ترجمته فى الجذوة ٢٤٩ .

(٢) ترجمته فى البيان المغرب ٣/٢٠٤ ، وفيات الأعيان ٢/٢٨ ، شذرات الذهب ١/٣١٦ ، جذوة المقتبس ٢٧٧ .

(٣) إعتاب الكتاب لابن الأبار ٢٢١ .

والواقع أن ذلك لم يتأت لأبى عمر إلا نتيجة لجهده المتواصل فى التلقى عن العلماء والدأب الذى لا يكل فى القراءة والاطلاع .

وثمة ناحية معروفة شهيرة فى حياة ابن عبد البر ، وهى أنه لم يرحل إلى المشرق فى طلب العلم كعادة العلماء الأندلسيين ، مع أن هذه الرحلة كانت مما يرفع من شأن العالم بين أقرانه ويجعل له بينهم منزلة خاصة ، والواقع أننا لا نعرف أية ظروف حالت بينه وبين ذلك ، وإن كان يمكننا أن نؤكد أنها ظروف خارجة عن إرادته ، إذ أن الرجل عاش طول حياته بعد ذلك يعوض مااعتبره نقصاً فيه ، وذلك بالحرص على مقابلة من رحل إلى المشرق من العلماء ، والتلقى عنهم ما استمعوا إليه من علم ، وتلك ظاهرة واضحة تمام الوضوح ، تكفى النظرة العاجلة إلى كتاب جذوة المقتبس للحميدى ، لإثبات صحتها ، فقد ذكر الحميدى عدداً كبيراً من تراجم العلماء الذين رحلوا إلى المشرق ، والعجيب أنه لا تكاد تخلو ترجمة منها عن ذكر : أن أبا عمر استمع على صاحبها ، وقرأ عليه كتاب كذا وكذا من المؤلفات المشرقية .

وهكذا فإن ما اعتبره أبو عمر نقصاً وشراً بالنسبة إليه ، كان فى الحقيقة خيراً وبركة ، إذ أنه حرص على تقييد ماتلقاه وإثباته فى مؤلفاته ، ربما أكثر من حرص هؤلاء العلماء أنفسهم على تقييده وإثباته .

وعلى أية حال ، فأمامنا الآن جملة وافرة من شيوخ أبى عمر ، يمكن أن نقسمهم إلى قسمين :

١ — الشيوخ الذين تلقى عنهم فى نشأته ، ولازمهم ملازمة طويلة ، وكان لهم أثر فى تحديد اتجاهه العلمى فى المستقبل .

٢ — الشيوخ الذين تلقى عنهم لفترة من الوقت ، وكانت تتوفر فيهم خاصة صفة الرحيل إلى المشرق .

أما القسم الأول من العلماء ، فمنهم :

١ — عبد الله بن محمد يوسف ، المعروف بابن الفرضى ، أبو الوليد القاضى ، صاحب تاريخ

العلماء والرواة بالأندلس ، كان حافظاً متقناً ، عالماً ذا حظ وافر من الأدب ، له رحلة طويلة فى بلاد المشرق فى طلب العلم ، وقد سمع على جلة من المشايخ بمصر وإفريقية ومكة .

قرأ عليه أبو عمر : كتابه فى التاريخ ، وكتابه المؤتلف والمختلف فى أسماء الرجال ، ورسالة ابن أبى زيد القيروانى فى الفقه ، وكتاب المنبه لذوى الفطن على غوائل الفتن لأبى الحسن القابسى[1] .

٢ — أحمد بن محمد بن عبد الله المقرى الطلمنكى ، أبو عمر ، محدث منسوب إلى بلده ، كان إماما فى القراءات ، وثقة فى الرواية . رحل إلى المشرق رحلة طويلة ، وسمع على عدد وافر من العلماء بالأندلس والمشرق ، شيخ أبى عمر فى القراءات والحديث[2] .

٣ — أحمد بن عبد الملك بن هاشم ، أبو عمر ، المعروف بابن المكوى الإشبيلى ، كان فقيها معظماً ، ومفتياً مقدماً على جميع من إليه الفتوى بقرطبة ، جمع هو وأبو مروان المعيطى الفقيه كتاباً ضخماً فى أقاويل مالك رحمه الله ، لازمه أبو عمر مدة طويلة وكتب بين يديه[3] .

٤ — عبد الوارث بن سفيان بن جبرون ، من تلاميذ قاسم بن أصبغ البيانى[4] ومن أشهر أهل قرطبة بصحبته حتى يقال إنه قلما فاته شىء مما قرىء عليه .

لازمه أبو عمر مدة طويلة ، وقرأ عليه : مصنف قاسم بن أصبغ فى السنن ، ومصنف وكيع ابن الجراح ، وكتابى المعارف وشرح غريب الحديث لابن قتيبة[5] .

٥ — سعيد بن نصر ، أبو عثمان ، محدث فاضل أديب ، كان من أهل الدين والورع والفضل معرباً فصيحاً ، قرأ عليه أبو عمر كتاب المجتبى لقاسم بن أصبغ[6] .

---

(١) الجذوة ٢٤٧ .

(٢) المصدر نفسه : ١٠٦

(٣) المصدر نفسه ١٢٣ .

(٤) إمام من أئمة الحديث ، حافظ مكثر مصنف ، وكان من الثقة والعلم بحيث اشتهر أمره وعلا ذكره وقد روى عنه جماعة من أكابر علماء بلده ، توفى سنة ٣٤٠ هـ الجذوة ٣١٢ .

(٥) الجذوة ٢٧٦ .

(٦) المصدر نفسه : ٢١٨ .

٦ — أحمد بن فتح بن عبد الله التاجر ، رحل إلى مصر وإفريقية وسمع على جلة من علمائهما ، قرأ عليه أبو عمر كتاب الدار ومقتل عثمان لعمر بن شبة النميرى فى سبعة أجزاء(١) .

٧ — أحمد بن قاسم بن عبد الرحمن التاهرتى البزاز ، كان ثقة فاضلا ، اختص بالقاضى منذر بن سعيد البلوطى وسمع منه تواليفه كلها .

سمع منه أبو عمر كتب أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى ، ومنها : صريح السنة وفضائل الجهاد ورسالته إلى أهل طبرستان المعروفة بالتبصير(٢) .

٨ — يونس بن عبد الله بن محمد بن مغيث ، أبو الوليد ، قاضى الجماعة بقرطبة ، يعرف بابن الصفار ، من أعيان أهل العلم ، كان زاهداً فاضلا يميل إلى التحقيق والتصوف ، وله فيه مصنفات . قرأ عليه أبو عمر كتبه : المنقطعين إلى الله عز وجل ، كتاب المتهجدين ، كتاب النسيب والتقريب ، وسمع منه كذلك أشعاره فى الرقائق والزهد(٣) .

٩ — أحمد بن محمد بن أحمد بن سعيد ، المعروف بابن الجسور ، محدث مكثر مؤرخ ، قرأ عليه التاريخ المعروف بذيل المذيل لأبى جعفر بن جرير الطبرى(٤) .

١٠ — خلف بن قاسم بن سهل ويقال ابن سهلون ، المعروف بابن الدباغ ، كان محدثاً مكثراً حافظاً ، رحل إلى مصر ومكة والشام ، وسمع عدداً من علماء هذه البلاد لا يحصون كثرة ، ويقول الحميدى : سمع عنه شيخنا أبو عمر الحافظ فأكثر ، وكان لا يقدم عليه من شيوخه أحداً ، وذكره لنا فقال : أما خلف بن القاسم بن سهل الحافظ فشيخ لنا وشيخ لشيوخنا أبى الوليد بن الفرضى وغيره ، كتب بالمشرق عن نحو ثلاثمائة رجل ، وكان من أعلم الناس برجال الحديث وأكتبهم له(٥) .

هؤلاء هم من نستطيع أن نقول : إنهم شيوخ ابن عبد البر الذين تلقى عنهم فى مطلع حياته ،

---

(١) الجذوة ١٣٢ .
(٢) المصدر نفسه : ١٣٢ .
(٣) المصدر نفسه : ٣٦٢ .
(٤) المصدر نفسه : ٩٩ .
(٥) المصدر نفسه : ١٩٥ .

ولازمهم مدة طويلة حتى تأثر بهم فى منهج تفكيرهم ، واكتسب منهم ثقافته العلمية ، والملاحظ أنهم جميعاً من رجال الحديث والفقه والتاريخ والقراءات ، وهى العلوم التى قامت عليها أساساً مؤلفات ابن عبد البر . وعليها انبنت شهرته .

وبالإضافة إلى هؤلاء هناك رجال القسم الثانى الذى أشرنا إليه من قبل ممن تلقى عنهم أبو عمر وهم فى الحقيقة لايقلون أهمية عمن ذكرنا فى مـــدى استفادته منهم ، ونخص منهم بالذكر :

١ — أحمد بن قاسم بن عيسى ، أبو العباس المقرئ الأقليشى . له رحلة إلى بغداد وغيرها. ويقول أبو عمر عنه : إنه سمع من أبى القاسم عبد الله بن محمد بن حبابة حديث على بن الجعد وسمعناه منه . وكتبت عنه منثوراً كثيراً ، وكتب عنى رحمه الله[1] .

٢ — إسماعيل بن عبد الرحمن ، أبو القرشى العامرى ، ولد فى مصر ، وسمع جماعة من أكابر علمائها ، ثم قدم الأندلس فسكن إشبيلية سنين كثيرة قبل موت المنصور بن أبى عامر . قال أبو عمر : حدثنا إسماعيل بن عبد الرحمن بكتاب أبى إسحاق بن شعبان فى مختصر ما ليس فى مختصر ابن عبد الحكم ، وبكتابه فى الأشربة ، وبكتابه فى النساء عن أبى إسحـــاق سماعاً عنه[2] .

٣ — سلمة بن سعيد الأستجى ، محدث له رحلة ، سمع منه أبو عمر كتاب : التأمين خلف الإمام ، وشرح قصيدة ابن أبى داود ، عن أبى بكر الآجرى من علماء مكة وهما من تأليفه[3] .

٤ — عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أسد الجهنى البزاز ، سمع بالأندلس ، ورحل ، فسمع بالحجاز ومصر والشام جماعة . سمع منه أبو عمر مصنف أبى عبد الرحمن بن شعيب النسائى[4] .

(١) الجذوة : ١٣٣ .
(٢) المصدر نفسه ١٥٣ .
(٣) المصدر نفسه ٢١٩ .
(٤) المصدر نفسه ٢٣٤ .

٥ — عبدالله بن محمد بن عبد المؤمن ، رحل إلى العراق وغيرها وسمع كثيراً من مشهورى العلماء بالمشرق ، روى عنه أبو عمر كثيراً[(١)] .

٦ — عبد الرحمن بن عبد الله بن خالد الهمدانى الوهرانى ، محدث ثقة ، رحل إلى العراق وغيرها[(٢)] .

٧ — عبد الرحمن بن مروان القَنَازعى أبوالمطرِّف ، له رحلة إلى المشرق سمع فيها من بعض أصحاب البغوى ، روى عنه أبو عمر[(٣)] .

٨ — عبدالرحمن بن يحيى بن محمد ، أبوزيد العطار ، رحل إلى المشرق ، وسمع منه أبو عمر جامع ابن وهب[(٤)] .

٩ — عبد العزيز بن أحمد النحوى ، أبو الأصبغ ، ويعرف بالأخفش ، قرأ عليه أبو عمر كتباً فى النحو والأدب ، له رحلة إلى المشرق[(٥)] .

١٠ — على بن إبراهيم بن حمويه الشيرازى ، أبو الحسن ، قدم الأندلس ، وحدث بها ، وروى عنه أبو عمر[(٦)] .

هؤلاء قليل من كثير من قرأ عليهم أبو عمر وروى عنهم ، والواقع أن حصر الشيوخ الذين قرأ عليهم المصنف مما لا يتيسر بسهولة ويسر ، إذ هو كما يقول الحميدى : قديم السماع كثير الشيوخ ، ولعل فيمن ذكرناه منهم دليلا كافياً على اجتهاد أبى عمر ودأبه فى طلب العلم وعلى أنه من ناحية أخرى لم يستحق لقب حافظ الأندلس وغيره من ألقاب التشريف التى خلعها عليه المؤرخون عبثاً ، إذ أننا فى الحقيقة لا نرى مثله فى الحرص على العلم والاستكثار منه ، فى كل من ترجم لهم الحميدى من العلماء سوى واحداً آخر هو ابن حزم الذى يفخر هو نفسه بأنه عاصر واحداً من الأئمة المجتهدين هو أبو عمر بن عبد البر[(٧)] .

---

(١) الجذوة : ٢٣٥ .
(٢) المصدر نفسه ٢٥٦ .
(٣) المصدر نفسه ٢٦٠ .
(٤) المصدر نفسه ٢٦١ .
(٥) المصدر نفسه ٢٦٩ .
(٦) المصدر نفسه ٢٩٤ .
(٧) انظر جوامع السيرة لابن حزم ، تحقيق الدكتورين إحسان عباس وناصر الدين الأسد ص ٣٣٥ .

مؤلفاته :

يقول ابن خلكان : « كان أبو عمر — رحمه الله — موفقاً فى التأليف معاناً عليه ، وقد نفع الله بكتبه »[1] والواقع أن هذا صحيح تماما ، فقد ترك لنا أبو عمر مكتبة قيمة من مؤلفاته ، تشمل علوم الفقه والحديث والتاريخ والسير والأنساب والأدب وغيرها .

وهذه المؤلفات بعضها موسوعات ذات أجزاء كثيرة ، وبعضها رسائل صغيرة يمكننا أن نورد لها ثبتاً فيما يلى :

١ — التمهيد لما فى الموطأ من المعانى والأسانيد ، موسوعة فى فقه الحديث ، تقع فى عشرين مجلداً ، أو سبعين جزءاً كما يقول الحميدى . ويصف ابن حزم هذا الكتاب بقوله : « التمهيد لصاحبنا أبى عمر ، لا أعلم فى الكلام على فقه الحديث مثله أصلا ، فكيف أحسن منه » ويذكره أبو عمر نفسه بهذه الأبيات :

سمير فؤادى من ثلاثين حجة ... وصاقل ذهنى والمفرج عن همى
بسطت لهم فيه من كلام نبيهم ... لما فى معانيه من الفقه والعلم
وفيه من الآداب ما يهتدى به ... إلى البر والتقوى ونهى عن الظلم[2]

ولا يزال هذا الكتاب ينتظر الطبع ، وتوجد أجزاؤه المخطوطة فى معهد المخطوطات ، ودار الكتب المصرية .

٢ — الاستيعاب فى طبقات الأصحاب ، صنفه فى أسماء المذكورين فى الروايات والسير والمصنفات من الصحابة رضى الله عنهم ، والتعريف بهم وتلخيص أحوالهم ومنازلهم وعيون أخبارهم ، فى اثنى عشر مجلداً ، وقد طبع فى حيدر أباد الدكن فى مجلدين سنة ١٣١٩ هـ وطبع مؤخراً مرتباً على حروف المعجم بتحقيق الأستاذ على البجاوى .

---

(١) وفيات الأعيان ٦/٦٥ .
(٢) انظر رسالة ابن حزم فى فضائل الأندلس ، وانظر ووفيات الأعيان بالرقم السابق .

٣ — جامع بيان العلم وفضله ، وما ينبغي في روايته وحمله . وهو في الآداب الشرعية والتاريخ ، ويشتمل في تضاعيفه على ثمانية وثمانين ومائتي ترجمة لبعض الشعراء والأدباء والفقهاء ، طبع مرتين ، الأولى مجرداً عن الإسناد باسم « مختصر جامع بيان العلم » في جزء واحد اختصره أحمد بن عمر المحمصاني البيروتي الأزهري بالقاهرة سنة ١٣٢٠ هـ والثانية في جزئين في (المطبعة المنيرية) سنة ١٣٤٦ هـ بالقاهرة .

٤ — الإنصاف فيما في بسم الله من الخلاف ، طبع بالقاهرة سنة ١٣٤٣ هـ[١] .

٥ — الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء : مالك والشافعي وأبي حنيفة رضي الله عنهم وذكر عيون من أخبارهم وأخبار أصحابهم ، طبع بمطبعة القدسي سنة ١٣٥٠ هـ بالقاهرة .

٦ — الإنباه على قبائل الرواة ، نشره القدسي سنة ١٣٥٠ هـ بالقاهرة .

٧ — القصد والأمم في التعريف بأصول العرب والعجم ، رسالة صغيرة في الأنساب ، طبعها حسام القدسي سنة ١٣٥٠ هـ مع الكتاب السابق ، وقد لقيت هذه الرسالة عناية من المستشرقين ، ودرسها كراتشكوفسكي في كتابه تاريخ الأدب الجغرافي عند العرب دراسة ممتازة ونقل عن نولدكه أنه يعتقد أن هذه الرسالة ذيل لكتاب كبير في الأنساب[٢] .

٨ — الدرر في اختصار المغازي والسير ، وهو مختصر السيرة النبوية لابن هشام ، ويوجد مخطوطا في دار الكتب وهو تحت الطبع بتحقيق الدكتور شوقي ضيف .

٩ — أخبار أئمة الأمصار سبعة أجزاء ، ذكره الحميدي في الجذوة ، والضبي في البغية .

١٠ — الكافي في الفقه على مذهب أهل المدينة ستة عشر جزءاً ، ذكره الحميدي وابن خير الإشبيلي والضبي ، ويوجد مخطوطاً في الفاتيكان والمدينة .

١١ — اختلاف أصحاب مالك بن أنس ، واختلاف رواياتهم عنه ، أربعة وعشرون جزءاً ذكره الحميدي والضبي .

١٢ — الاستذكار في شرح مذاهب علماء الأمصار . توجد منه أجزاء مخطوطة في دار الكتب المصرية .

---

(١) ذكر هذا الكتاب في بروكلمان باسم : الإنصاف فيما بين العلماء من الاختلاف ، وهو بهذا الاسم أيضاً في كشف الظنون .

(٢) تاريخ الأدب الجغرافي العربي ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم ١/٢٧٣

١٣ — رسالة أدب المجالسة وخوض اللسان . مخطوطة فى دار الكتب .

١٤ — شرح زهديات أبى العتاهية ، توجد مخطوطة منه بمكتبة عارف حكمت بالمدينة ، منها نسخة فى معهد المخطوطات .

١٥ — نزهة المستمعين ، وروضة الخائفين ، مخطوطة فى الفاتيكان .

١٦ — الشواهد فى إثبات خبر الواحد ، ذكره الحميدى والضبى .

١٧ — التقصى لما فى الموطأ من حديث الرسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة أجزاء . ذكره الحميدى والضبى .

١٨ — العقل والعقلاء ، وما جاء فى أوصافهم عن الحكماء والعلماء . جزء واحد ذكره الحميدى والضبى وابن فرحون .

١٩ — أسماء المعروفين بالكنى ، سبعة أجزاء .

٢٠ — البستان فى الأخدان .

٢١ — الأجوبة الموعبة فى الأسئلة المستغربة . ذكره صاحب كشف الظنون .

٢٢ — اختصار التحرير ، واختصار التمييز لمسلم .

٢٣ — الإشراف فى الفرائض . ذكره صاحب كشف الظنون .

٢٤ — اختصار تاريخ أحمد بن سعيد[١] ذكره الحميدى والضبى .

٢٥ — الاكتفاء فى قراءة نافع وأبى عمرو بن العلاء والحجة لكل منهما . ذكره . الحميدى والضبى .

---

(١) هو أحمد بن سعيد بن حزم الصوف المنتجيلى ، أبو عمر ، ألف فى تاريخ الرجال كتابا كبيراً جمع فيه كل ما أمكنه من أقوال الناس فى أهل العدالة والتجريح ، هو هذا الذى اختصره أبو عمر . الجذوة ١١٧ .

٢٦ — جمهرة الأنساب ذكره ابن فرحون، وابن خلكان.

٢٧ — التجريد، والمدخل إلى علم القراءات بالتجويد، ذكره الحميدى والضبى.

٢٨ — البيان عن تلاوة القرآن، ذكره الحميدى والضبى.

٢٩ — فهرست شيوخه.

٣٠ — وأخيراً : بهجة المجالس وأنس المجالس، هذا الكتاب الذى بين أيدينا اليوم.

بهجة المجالس وأنس المجالس[١] :

هذا الكتاب يأبى به أبو عمر ألا أن يثبت أنه لم يأل جهداً فى خدمة العلم وتقييده والحفاظ عليه، فمن بين مهامه الكبيرة ومشاغله المتعددة فى علوم الحديث ورجاله وأنسابهم، وما يتعلق بذلك من الجرح والتعديل، ثم الفقه ومسائله وتفريعاته وما يتعلق به من أحكام، والتدريس للطلبة وما يستلزمه من وقت وجهد، يجد أبو عمر فسحة من الوقت ليسجل فيها خلاصة قراءاته فى الأدب، مجموعة ليست فى كتيب صغير، بل فى مجلدين كبيرين، فيثبت بذلك أنه على حد قول ابن سعيد : فى حلبة الأدب فارس، وكفاك دليلا كتابه بهجة المجالس[٢].

والواقع أننا يمكن أن نعتبر هذا الكتاب مثلا من الأمثلة التى ضربها لنا العلماء المسلمون فى استغلال كل طاقاتهم الممكنة فى خدمة العلم، واعتبار أنفسهم جنوداً فى ميدانه، يجب عليهم أن يقدموا كل مافى جعبتهم منه للأجيال القادمة تأدية منهم لحق الأمانة نحو الحفاظ عليه وتنميته.

ولقد كان أبو عمر من رجال الحديث والفقه، ولكنه على مايبدو وجد لديه ذخيرة كبيرة من نماذج الأدب الثمينة التى قرأها أو سمعها على شيوخه ممن جابوا أقطار الأرض فى طلبها فرأى أن يسجل من هذا كله أشرفه وأطرفه هدية خالصة من جهده لجيله، ولمن يأتى بعده من أجيال العربية.

---

(١) طبعت مقتطفات منه مع كتاب الأدب الكبير لابن المقفع فى كتاب بعنوان جواهر الحكماء ألحق بالمجلد الخامس من مجلة المحيط سنة ١٩٠٧ بالقاهرة.

(٢) المغرب ٢/٤٠٨.

ولقد رسم أبو عمر غايته من كتابه ومنهجه فيه . أما من حيث الغاية فيمكننا أن نقول إنه قصد فيه إلى ثلاثة أشياء :

أولاً : أن معرفة الأدب فى حد ذاتها قربة إلى الله ، وهى أولى مايجب أن يعنى به الطالب بعد الوقوف على معانى السنة والكتاب . فهى : « تبعث على المكارم وتنهى عن الدنايا والمحارم » .

ثانياً : أن فى جمع « نوادر العرب وأمثالها وأجوبتها ومقاطعها . ومبادئها وفصولها مايبعث على امتثال طرقهم واحتذائها » .

ثالثاً : « أنها زين لمن حفظها فى مجالسه . وأنس لمجالسه . وشحذ لذهنه وهاجسه »[1] .

ويمكننا أن نضيف إلى ما ذكره أبو عمر ، أن كتابه هذا والكتب الأدبية الأخبارية الكثيرة التى على شاكلته قصد بها المؤلفون العرب إلى هدف سام آخر . وهو تربية الملكة العربية ، وتحبيب اللغة إلى الدارسين وتزجية أوقات فراغهم بالمفيد المجدى من لغة العرب وأساليبهم وأخبارهم وسمرهم وحكمهم وأمثالهم والمختار من أشعارهم .

ونعود مرة ثانية إلى الكتاب فنقول : أما من حيث منهج الكتاب فإنه بسيط لاتعقيد فيه إذ أن المصنف قسم كتابه إلى عدد من الأبواب بلغ مائة واثنين وثلاثين باباً ، كل منها يضم معنى من معانى الدين أو الدنيا ، ثم هو يفتتح الباب بآية من القرآن إن تيسر ، ثم بحديث من أحاديث الرسول إن تيسر كذلك ، ثم يورد من أشعار العرب وحكمها ، أو ما أثر عن غيرهم من العجم والروم من كل ماقيل فى هذا المعنى أو اتصل به .

والواقع أنه بذلك يتبع إلى حد كبير منهج ابن قتيبة فى عيون الأخبار ، أو ابن عبد ربه فى العقد الفريد ، ولكنه يزيد عليهما أنه يذكر فى الباب الواحد منه المعنى وضده: « ليكون أبلغ

---

(١) انظر مقدمة المؤلف فيما يلى بعد .

وأشفى وأمتع [1] » وهو من هذه الناحية يكاد يشبه كتاب المحاسن والأضداد المنسوب إلى الجاحظ .

ونأتى إلى مادة الكتاب فنقول : إن أبا عمر استقاها من عدد ضخم من المصادر ، بعضها معروف تماماً والآخر فقد ولا نعرف عنه شيئاً . أما تلك المعروفة فهى تشمل : كتب ابن قتيبة وخاصة عيون الأخبار والمعارف والشعر والشعراء . وكتب الجاحظ : البيان والتبين والحيوان ، وكتاب أبى حيان التوحيدى فى الصداقة والصديق، وحماسة أبى تمام ودواوين معظم الشعراء المشهورين وغير المشهورين مما وجد منها فى عصره ، ثم الموسوعتين الكبيرتين تفسير الطبرى وتاريخه ، وهذه المصادر واضحة تمام الوضوح بحيث تحتاج إلى أيسر الجهد لمعرفة مواضعها فى الكتاب .

ومن الملاحظ أن مادة الكتاب فى معظمها مادة مشرقية ، ولكن الكتاب إلى جانب ذلك يمتاز بعدد من المزايا الهامة ، نستطيع أن نورد بعضها فيما يلى :

١ — أنه أورد قدراً ممتازاً من شعر الشعراء الأندلسيين ، كيحيى بن حكم الغزال ، ويوسف بن هارون الكندى الرمادى ، وأبى القاسم محمد بن نصير الكاتب ، وابن عبد ربه وغيرهم ، لا يوجد فى أية مصادر أخرى .

٢ — أنه حفظ لنا مادة مشرقية فقدت مصادرها فى المشرق نفسه . ولم تصل إلينا إلا عن طريقه ، ومن أهم ذلك : شعر منصور الفقيه الأديب المصرى الموطن [2] . الذى كان شعره مشهوراً فى الأندلس فى ذلك الحين ، وقد أورد له الكتاب كمية وافرة من شعره نصلح أن تكون له ديوانا ، أو على الأقل تعطى فكرة كاملة وصحيحة عن شعره يمكن على ضوئها دراسته . وهذا القول يمكن أن ينطبق أيضاً على ما أورده فى الكتاب للشاعر البغدادى محمود الوراق .

---

(١) انظر مقدمة المؤلف .

(٢) سوف ترد ترجمته ومن بعده فى أماكنها من الكتاب .

ثم هناك أشعار لأبى العتاهية ذكرها ابن عبد البر هنا ولم ترد فى الديوان المطبوع ، وأشعار لم تنشر من قبل لأبى بكر العرزمى وكشاجم والناشىء الأكبر وخالد بن يزيد الكاتب وسعيد ابن حميد ، وسهل الوراق ، وأبى الفرج الببغاء ، والحسن البصرى وغيرهم .

٣ — أن الكتاب هام ومفيد لدراسة تطور الأدب الأندلسى فى القرنين الرابع والخامس الهجريين ، ومعرفة الكتب وألوان الثقافة المشرقية التى وصلت إلى الأندلس حينذاك .

ومن الملاحظ أن الأدب الأندلسى فى هذه الفترة كانت تغلب عليه ظاهرتان واضحتان :

الأولى : غلبة الثقافة المشرقية عليه والثانية : طابع الزهد والتصوف الفاشيين فيه وكلاهما واضح تمام الوضوح فى كتابنا هذا . وقد درس الباحثون هاتين الظاهرتين بكثير من العناية(١) ويمكن أن يقدم كتابنا فى هذا الصدد معلومات أوفى تزيد الدراسات جلاء ووضوحاً .

على أننا يجب أن نشير إلى بعض الملاحظات الهامة بالنسبة لعمل المصنف فى الكتاب إذ المعروف أن كتب المختارات الأدبية ومن بينها كتابنا هذا تسير على نسق واحد من حيث اختيار مأثور الحكم والأشعار ويمتاز كل منها بأنه تبدو فيه شخصية المؤلف وميوله الأدبية من اختياراته ، ومن بعض الآراء التى يعقب فيها على بعض الأخبار .

ويمكننا أن نقول : إن شخصية ابن عبد البر تبدو واضحة فيما يلى :

أولا : ميله الشديد إلى العبارات المهذبة ، والألفاظ التى لاتجرح الحياء ، ونادراً ما تجد فى كتابه هذا حكاية فاحشة ، أو لفظاً ساقطاً .

ثانيا : حرصه على استقصاء المعنى وإيراد عدد وافر مما قيل فيه نظماً ونثراً ، مع تكملة الشواهد التى وردت فى الكتب الأخرى إن كانت لها مناسبة بالمعنى ، إما بإيراد بعض الأبيات قبلها أو بعدها ، وقد أشرنا فى تعليقاتنا فى الهوامش على أمثلة من هذا .

---

(١) انظر كتاب تاريخ الأدب الأندلسى (عصر سيادة قرطبة) للدكتور إحسان عباس .

ثالثاً : نقده لبعض الأخبار التي وردت في الكتب وشهرت بين الناس ، كنقده لما روى عن مجيء وفد ملك الروم إلى معاوية وفيه رجلان أحدهما طويل والآخر أيد ، فندب لمغالبتهما قيس بن سعد الأنصاري ، ومحمد بن الحنفية ، أما قيس وكان طوالا بين الرجال فإنه خلع سراويله في مجلس معاوية وألقى بها إلى الرومي فلما لبسها لم تبلغ ثندوته ، وأما ابن الحنفية فإنه عرض على الرومي إما أن يقعد هو ويقيمه الرومي أو يقعد الرومي ويقيمه هو ، فلما قعد محمد لم يستطع أن يقيمه الرومي ... إلى آخر ما ورد في هذه القصة ، ويعقب عليها ابن عبد البر بأنها في رأيه منكرة وليست بصحيحة ولا لها أصل لأنها تخالف أخلاق قيس ومحمد ، وليس فيها كبير فائدة لمنزلتهما .

وكنقده لما ورد في كتاب الجان للجاحظ عن الغيلان وظهورها لبني آدم وزواج بعضهم منها فهو يقول عن ذلك : إنها من دعابات عمرو بن بحر ومجونه . إلى غير ذلك مما تراه مفرقاً في مواضع مختلفة من الكتاب .

إلا أننا مع تقديرنا لهذه النقدات الصائبة ، نلاحظ أنه يورد كثيراً من الأخبار الأسطورية التي لا يقبلها عقل في كتابه ، وغالبا ما يكون ذلك في القصص التاريخية المتداولة ، ومثال ذلك ما أورده من قصة اليهودي الذي كان كلما فتح المصحف (كذا) وقرأ فيه : « بعثنا عليكم عباداً لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار ... الخ » يدعو الله ويقول : رب أرني من جعلت خراب بني إسرائيل على يديه ، حتى أوحى الله إليه بأوصاف بختنصر الموجود بأرض بابل فذهب إليه ... الخ . فأي مصحف هذا الذي كان موجوداً على عهد بختنصر . ؟ .

ومثل ذلك مما لا يقبله العقل من أخبار المعمرين الذين عاش بعضهم ثلاثمائة سنة وبعضهم أكثر .

ولكن على أية حال نرى أن ما أورده أبو عمر في كتابه من مثل هذه الأخبار المنقولة عن الكتب الأدبية ، لا يعد شيئاً بالنسبة لما ورد في الكتب الأخرى من أمثالها ، وحسبنا أن نقرأ صفحات مما ورد في كتب ابن قتيبة والجاحظ والمبرد والطبري لنرى أي قصص يملأ بطون هذه الكتب ، وبخاصة في ما ورد من القصص والنقول الأسطورية الموغلة في القدم .

المخطوطات ومنهج التحقيق :

كانت النسخ التى عثرت عليها للكتاب أولا نسختين :

الأولى : نسخة دار الكتب ، وهى ملفقة من نسختين :

(ا) القسم الأول : يحتوى على الجزءين الأول والثانى ، بدار الكتب رقم ١٣٦٦ أدب مصورة معهد المخطوطات رقم ٩٨ ، وهذه النسخة كتبت سنة ١٣١٣ هـ ، نقلا عن نسخة محفوظة أيضاً فى دار الكتب تحت رقم ٣٤٢ أدب ، وهذه الأخيرة كتبت سنة ٩١٥ هـ بخط مغربى حسن إلا أنها أصبحت فى حالة شديدة من التلف والتآكل ، مما جعل المشرفون على المخطوطات ينسخونها فى النسخة الأولى ، ولكن بعد فوات الأوان إذ أن الناسخ لم يستطع بالطبع نقل ما تلف منها نترك مكانه خالياً ، وبقى هذا القسم حتى الآن على الرغم من إعادة نسخه مرة ثانية فى مخطوطة أخرى محفوظة برقم ١٩٦٣ أدب ، لا يمكن الاعتماد عليه فى نشر الكتاب وإن أمكن اعتبار الموجود منه مرجعاً لقراءة ما تعسر قراءته فى النسخ الأخرى .

(ب) القسم الثانى : ويحتوى على الجزءين الثالث والرابع من الكتاب فى مجلد واحد وهذا القسم من نسخة أخرى كتبت سنة ٦٧٧ هـ ، بخط نسخ جيد واضح مضبوط بالشكل ويقع كاملا فى مائة وخمس وثمانين ورقة ، ويعد بالمقارنة إلى النسخ الأخرى ، أدق وأكمل نسخ الكتاب وإن عابه اضطراب بعض الصفحات فى أوله ووضع بعضها مكان بعض ، وهو عيب طفيف أمكن علاجه بالمقارنة بالنسخ الأخرى .

النسخة الثانية : وهى نسخة مراد ملا باستانبول رقم ١٤٨٧ ، مصورة معهد المخطوطات رقم ١٠٠ أدب وهذه النسخة نسخة خزائنية قيمة ، كتبت سنة ٧٩٣ هـ برسم خزانة الملك أبى العباس على بن رسول الغسانى ملك اليمن ، وهى أربعة أجزاء فى مجلد يبلغ عدد صفحاته ٢٦٥ صحيفة وتعتبر هذه كاملة تماماً ولا يعيبها إلا أن الناسخ تصرف فى بعض الألفاظ والجمل التى عسرت عليه قراءتها فى النص بألفاظ وجمل من عنده .

النسخة الثالثة : نسخة رواق المغاربة بالجامع الأزهر . وهذه عثرنا عليها أخيراً ولم نتمكن

من الاطلاع عليها إلا بعد جهد شديد ، وهى نسخة مغربية قيمة . كتبت سنة ١١٥٨ هـ . فى مجلد واحد يقع فى حوالى أربعمائة ورقة . وقد أمكننا بالعثور عليها تصحيح ألفاظ كثيرة فى القسم الأول من الكتاب ، كما عثرنا بها على باب كامل كان ساقطاً من نسختى دار الكتب ومراد ملا فأثبتناه ، ولكننا لم نكد نجد بالنسبة للقسم الثانى فارقاً بينها وبين نسخة دار الكتب القيمة ، بل على العكس فإن هذه النسخة الأخيرة أكمل من نسخة رواق المغاربة ففيها أبيات كثيرة من الأبواب الأخيرة ليست فى النسخة الثانية ، مما يرجح أن الناسخ اختصر بعضها ربما لطول الكتاب وضخامة العمل .

وعلى هذا قررنا أن أنسب الطرق لتحقيق الكتاب ، هو العمل بطريقة النص المختار رغبة منا فى أن يظهر الكتاب فى أنصى درجة ممكنة من الكمال ، ولهذا ففيما يتعلق بالقسم الأول فقد اعتمدنا فيه على ما يلى :

أولا : نسخة رواق المغاربة لأنها فى هذا القسم أتم وأكمل النسخ ، فضلا عن صحة كلماتها وأمانة نقلها .

ثانياً : نسخة مراد ملا ، التى ذكرنا من قبل أنها كاملة وليس ثمة ما يؤخذ عليها إلا تصرف الناسخ فى بعض كلمات النص .

ثالثاً : نسخة دار الكتب الناقصة «ب» للاستئناس والمقارنة .

وفيما يتعلق بالقسم الثانى اعتمدنا على ما يلى :

أولا : نسخة دار الكتب القيمة « أ » بعد أن رتبنا ما حدث فى أوراقها الأولى من خلط وتشويش ، وقد اعتمدنا عليها بعد ذلك لتمامها ودقتها ووضوح كلماتها وضبطها بالشكل فضلا عن أنها أقدم النسخ الموجودة للكتاب .

ثانياً : نسخة رواق المغاربة .

ثالثاً : نسخة مراد ملا .

وقد رمزنا إلى نسخة رواق المغاربة فى الهوامش بالحرف (م) وإلى نسخة مراد ملا بالحرف (أ) وإلى نسخة دار الكتب بالحرف (ب) .

وأما فيما يتعلق بعملنا فى تحقيق النص ، فقد حرصنا على ما يلى :

١ — معارضة الأصول بعضها ببعض وإثبات الخلافات .

٢ — ضبط الآيات القرآنية بالشكل وتخريجها .

٣ — كان المصنف يذكر فى أول كل باب بعد إيراد الآيات القرآنية بعض أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهذه لم نأل جهداً فى تصحيح نصها وضبطها ، ولكننا رأينا أن تخريجها من كتب الحديث سيخرج بالكتاب عن طبيعته الأدبية التى قصد إليها المؤلف وتنقله بما هو خارج عن موضوعه ، ولهذا فلم نخرج من الأحاديث إلا تلك التى تحتاج إلى شرح أو بيان أو التى لم تذكر بتمامها ، فشرحنا الغامض وأكملنا الناقص من كتب الأحاديث المختلفة .

٤ — ضبط الأعلام الواردة فى النص والتعريف بها ، وخاصة إذا ورد اسم العلم بكنيته أو شهرته فحسب .

٥ — ضبط الأبيات بالشكل الكامل ، مع بذلنا غاية الجهد فى تخريجها من شتى كتب الأدب ودواوين الشعراء ، مع إثبات الروايات المختلفة إن وجدت .

٦ — ومن جهة الأخبار ، فقد قابلناها على مثيلاتها فى الكتب الأدبية والتاريخية المختلفة ولم نحرص على ذكر المرجع فى الأخبار الجزئية إلا حين تختلف الرواية للخبر اختلافاً بيناً ، أو يكون ثمة خطأ .

٧ — قمنا بعمل فهارس مفصلة للأعلام والأماكن والأبواب ليسهل على القارئ الرجوع إلى المادة التى يود الاطلاع عليها .

وأخيرا أرجو أن أكون قد وفقت فيما أقدمت عليه من تحقيق هذا الكتاب فإن لم أكن فحسبي أنى قد بذلت غاية الوسع وما قصرت .

والله أسأل أن ينفع به ، كما نفع بصاحبه من قبل ، إنه سميع مجيب .

ديسمبر ١٩٦٢ محمد مرسى الخولى

مقدمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى اللهُ على سيدنا محمد وآله وسلَّم[١] .

أما بعد : فإن أولى[٢] ما ابتدىء[٣] به كِتاب ، وافتُتح به خطابٌ ، حمدُ اللهِ على جزيل آلائه ، وشكره لجميل[٤] بلائه ، ثم الصّلاة على خاتِم أنبيائه وعاقِبِ رسله ، صلوات اللهِ عليهم أجمعين ، وسلامٌ عليهم فى العالمين وبركاته . والحمد[٥] للهِ الذى هدانا للإِسلام ، وفضّلنا على جميع الأنام ، وجعَلنا من أمّةِ محمّد نبيّه عليه الصّلاة والسّلام[٦] .

وبعدُ : فإنّ أولى ما عُنِي به الطالب ، ورَغِب فيه الرّاغب ، وصَرَف إليه العاقل همه ، وأكد فيه عزمه ، بعد الوقوف على معانى السّنن والكتاب ، مطالعةُ فنون الآداب ، وما اشتملت عليه وجوه الصواب ، من أنواع الحِكَم التى تحيي النفسَ والقلب ، وتشحَذُ الذهَن واللُّب ، وتبعثُ على المكارم ، وتَنْهى عن الدنايا والمحارم ، ولا شيء أنظم لشمل[٧] ذلك كله ، وأجمع لفنونه ، وأهدى إلى عيونه ، وأعقل لشارده ، وأثقف لنادره ؛ من تقييد الأمثال السائرة ، والأبيات النادرة ، والفصول الشريفة ، والأخبار الظريفة ، من حكم الحكماء ، وكلام البلغاء[٨] العقلاء : من أئمة

---

(١) ب : وبه العون بدلا من هذه الجملة .
(٢) ب : أول .
(٣) ب : أفتتح .
(٤) ساقط من ب .
(٥) ب : فالحمد .
(٦) ب : ساقط من م .
(٧) ب : ساقط من ب .
(٨) ب : الأ[illegible]

السّلف ، وصالحى الخلف ، الذين امتثلوا فى أفعالهم وأقوالهم ، آدابَ[١] التنزيل، ومعانى سُنن الرسول ، ونوادر العربِ وأمثالها ، وأجوبتها ومقاطعها ، ومباديها وفصُولها ، وما حَوَوْه من حكم العجم ، وسائر الأمم ، ففى تقييد أخبارهم ، وحفظ مذاهبهم ، ما يبعث على امتثال طرقهم[٢] واحتذائها ، واتباع آثارهم واقتفائها .

وقد جمعتُ فى كتابى هذا من الأمثال السّائرة ، والأبيات النادرة ، والحكم البالغة ، والحكايات الممتعة فى فنون كثيرة وأنواع جمة ، من معانى الدين والدنيا ، ما انتهى إليه حفظى ورعايتى ، وضمته روايتى وعنايتى ، ليكون لمن حفظه ووعاه ، وأتقنه وأحصاه زيناً فى مجالسه ، وأنساً لمُجالسه ، وشحذاً لذهنه وهاجسه ، فلا يمرّ به معنى فى الأغلب[٣] مما يذاكر به ، إلا أورد فيه بيتاً نادراً ، أو مثلا سائراً ، أو حكاية مستطرفة ، أو حكمةً مُسْتحسنة ، يحسنُ موقع ذلك فى الأسماع ، ويخِفّ على النفس والطباع ، ويكون لقارئه أنساً فى الخلاء ، كما هو زين له فى الملاء ، وصاحباً فى الاغتراب ، كما هو حَلْىٌ بين الأصحاب .

وجمعتُ فى الباب به منه المعنى وضِدَّه لمن أراد متابعةَ جليسه فيما يُورده فى مجلسه، ولمن أراد معارضَتَهُ بضدّه فى ذلك المعنى بعينه ، ليكونَ أبلغَ وأشفى وأمتع .

وقد قرّبته ، وبوّبته ليسهلَ حفظه ، وتَقْرُب مطالعته ، وافتتحت أكثر أبوابه بحديث الرسول صلّى الله عليه وسلم تبركاً بتذكاره ، وتيمناً بآثاره .

---

(١) ب : أدب .

(٢) ا : طروقهم .

(٣) ب : الا غلب .

وإلى الله أبتهلُ فى حسن العون[1] و[2] التأييد لما يحبّ، والتسديد، وهو حسبى ونعم الوكيل.

روى عن النبي صلى الله عليه وسلَّم أنه قال: «ما أهدى المرءُ المسلمُ لأخيه هديةً أفضلُ من كلمة واحدة، يزيده اللهُ بها هدًى، ويصرفه بها عن ردى».

ويروى عن عيسى الخياط، عن الشَّعْبِي، قال: لو أنّ رجلا سافر من أقصى الشّام إلى أقصى اليمن ليسمعَ كلمةً ينْتفعُ بها فيما يُستَقْبل من عُمره، ما رأيتُ أنّ سفرهَ قد ضاع[2].

قال محمّدُ بن سَلاّم الجُمحى، عن ابن جُعْدُبة[3]، قال: ما أبرم عمرُ بن الخطاب أمرًا قطّ إلاّ تمثّل فيه ببيتِ شِعر.

وقال محمّد بن علىّ بن عبد الله بن عبّاس رضى الله تعالى عنه[4]: كفاك من علمِ الأدب أن تروىَ الشّاهدَ والمثلَ.

وقال أبو الزِّناد: ما رأيت أحدًا أروى للشّعر من عُروة بن الزبير. فقيل[5] له: ما أرواك للشّعر! قال: وما روايتى من روايةِ عائشة له، ما كان ينزل بها شىء إلاّ أنشدت فيه شعراً.

وروى عن ابن عبّاس رضى الله تعالى عنهما أنّه قال: العلمُ أكثر من أن يحصى، فخذوا أرواحه، ودعوا ظروفه.

---

(١) ب: العواقب. (٢) ساقط من ب.

(٣) ا: جعرفة والصحيح ما أثبتناه، فهو يزيد بن عياض بن جعدبة الليثى، أبو الحكم المدنى نزيل البصرة، محدث ثقة، ترجمته فى تهذيب التهذيب ١١/٣٥٢.

(٤) ساقط من ب. (٥) ب: وقيل.

ولقد أحسن القائلُ ، وقيل إنه منصور الفقيه[١] :

قَالُوا: خذ الْعَيْنَ مِنْ كُلٍّ فقلتُ لَهم: فى العَيْن فَضْلٌ ، ولـكِنْ نَاظِرُ العَيْنِ
حَرْفَانِ فِى أَلْفِ طُومَارٍ مُسَوَّدَةٌ ورُبَّمَا لم تجدْ فى الأَلْفِ حَرْفَيْنِ[٢]

وروى عن مُخَلَّد بن يزيد ، عن جابر بن مَعْدان قال : كلّ حكمة لم ينزل فيها كتاب ، ولم يُبعث بها نبيٌّ ، ذخرها الله حتى تنطق بها ألسنُ الشعراء .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلّم : « إنَّ مِنَ الشِّعْرِ حِكْمَة » .

روى ابن نعيم ، عن الحسن بن صالح ، عن سماك ، عن عِكْرمة ، عن ابن عباس ، قال : خذ الحكمة ممّن سمعتها ، فإنّ الرجل قد يتكلم بالحكمة وليس بحكيم ، كما أن الرمية قد تجىء من غير رامٍ[٣] .

(١) منصور بن إسماعيل التميمى ، فقيه شافعى ضرير ، أغلب شعره فى الحكم والأمثال ، توفى بمصر سنة ٣٠٦ هـ ، ترجمته فى وفيات الأعيان ٢/١٢٥ ، شذرات الذهب ٢/٢٤٩ معجم الأدباء ٧/١٨٥ — ١٨٩ .
(٢) جامع بيان العلم ١/١٠٦ ، التطفيل والمحاضرة ١٦٠ .
(٣) ساقطة من ب .

باب أدب المجالسة، وحق[1] الجليس الصالح[2]

أخبرنا عبدُ الله بنُ محمدِ بن يوسف، وأحمدُ بن عبد الله بن عمر[3]، وخلفُ بن سَعيد بن أحمد، وسعيدُ بن سيّد، ومحمد بن عبدالله بن حَكَم، وأحمدُ بن عبدالله ابن[3] محمدّ بن عليّ، واللفظُ لسعيد بن سيّد، قالوا: حدثنا محمّد بن عُمر بن لَبَانَة، وسليمان بن عبد السّلام، قالا: حدثنا محمّد بن أحمد العَتِبيّ، عن أبي المُصعب[4] الزّهري، عن عبد العزيزِ بن أبي حَازم، وحدّثنا عبد الوارث بن سُفيان، قال: حدثنا قاسمُ بن أصبغ، قال: حدّثنا بكرُ بنُ حمّاد، قال: حدّثنا مُسَدّد: حدثنا أبو عُوانة كلاهما عن سهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة:

أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلّم قال: «مَنْ قَامَ من مَجْلسه، ثم رَجَعَ فهو أحقُّ به».

ورواه حمّاد بن سَلمة، عن سُهَيل، بإسناده: مثله.

وحدثنا سعيدُ بن نصر، وعبدُ الوارث بن سُفيان، وأحمدُ بن محمّد، وأحمد بن قاسم قالوا: حدّثنا قاسم، قال: حدثنا ابن وضّاح، قال: حدّثنا محمدُ بنُ مَسْعود، قال: حدّثنا يَحيي القطّان، عن محمد بن عَجْلاَن، عن سَعيد المَقْبُريّ، عن أبي هريرة، عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، قال:

---

(١) في ب: وحسن.
(٢) ساقطة من ب.
(٣) ساقطة من ب
(٤) في ب: [illegible]

« إذا أتى أحدُكم المجلسَ فليُسَلِّم ، وإذا قام فليُسَلِّم ، فليست الأولى بأحق[1] من الأخرى » .

وحدثنا عبدالله بن محمد بن عبدالمؤمن، قال: حدثنا أبو بكر محمدُ بن بكر بن دَاسَة قال: حدّثنا أبو داود سليمانُ بن الأشعث ، قال: حدثنا عبد الله بن مَسْلمة القَعْنَبي[2]، قال : حدثنا عبدُ الرحمن بن أبي المولى[3] عن عبد الرحمن[4] بن أبي عُمَرَة الأنصاري عن أبي سَعيد الخُدْرِيّ[4]، قال : سمعت[5] رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، يقول :

« لا يُقيمَن أحدُكم أخاه من مَجْلسه ثم يجلس فيه » .

قال : وكان ابن عمر إذا قام له رجلٌ من مجلسه ، من غير أن يُقيمه لم يجلسْ فيه .

ومن حديث أبي بَكرَة[6] عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم : مثلُه .

وقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : « المجالسُ بالأمانَةِ ، وإنما يتجالَسُ الرَّجُلان بأمانةِ الله — عزّ وجلّ — فإذا تفرّقا فليَسْتُرْ كُلٌّ منهما حديثَ صاحبه » .

وقال أبو البَخْتَري[7] : كانوا يكرهون أن يقومَ الرجلُ للرّجل من مجلسه، ولكن لِيُوَسِّعْ له .

---

(١) في ب : أحق .

(٢) في ب : العقبى، وهو خطأ ، فهو أبو عبد الرحمن عبد الله بن مسلمة بن قعنب القعنبي ، ثقة ، من أهل المدينة سكن البصرة ، يروى عن أبي سعيد ، ومالك من أنس ، وسليمان بن بلال ، ومات بالبصرة سنة ٢٢١ هـ . اللباب في تهذيب الأنساب ٢/٢٧٥ .

(٣) ساقط في ا . (٤) ساقط من ب .

(٥) في ب : قال .

(٦) أبو بكرة : نفيع بن الحارث بن كلدة الثقفي ، صحابي مشهور ، من أهل الطائف ، وإنما قيل له أبو بكرة لأنه تدلى ببكرة من حصن الطائف إلى النبي صلى الله عليه وسلم . توفي بالبصرة سنة ٥٢ هـ . الإصابة الترجمة ٨٧٩٠ ، تهذيب التهذيب ١٠/٤٦٩ .

(٧) سعيد بن فيروز الطائي بالولاء ، من فقهاء الكوفة . ثقة في الحديث ، خرج مع ابن الأشعث على الحجاج ، فقتل سنة ٨٢ هـ . شذرات الذهب ١/٩٢ ، تهذيب التهذيب ٤/٧٢ .

ومن حديث سعيد المَقْبرى ، عن أبى هُريرة ، عن النبىَّ صلّى الله عليه وسلّم ، قال : « لا يُوَسَّعُ فِي المجَالِسَ إلاّ لثلاثةٍ : لذى علمٍ لِعِلْمه ، ولذى سِنٍ لِسِنِّه ، أو لذى سُلْطَان لسُلْطَانه » .

ومن حديث جابر عن النبىّ صلّى الله عليه وسلّم ، قال : « المجَالِسُ بالأمَانَةِ إلاّ ثَلاثة : مجلسٌ سُفِكَ فيه دَمٌ حَرَامٌ ، ومجلسٌ استُحِلَّ فيه فَرْجٌ حرام[١] ، ومجلسٌ اسْتُحِلَّ فيه مالٌ حَرَام بغير حقّه » .

[٢]ومن حديث عمر بن عبد العزيز ، عن محمّدِ بن كَعْب القُرَظّى ، عن ابن عبّاس عن النبىّ صلّى الله عليه وسلّم أنّه قال :

« لكلّ شىءٍ شَرَفٌ ، وإنّ شَرَفَ المَجَالِسِ ، ما استُقْبِل به القِبْلَة » [٢].

وروى عن النبي صلّى الله عليه وسلّم أنّه قال :

« إذا جلس إليك رجلٌ ، فلا تقومنّ حتى تستأذنَه » .

وقال صلّى الله عليه وسلّم : « إذا قام الرّجلُ من مجلسه ، فهو أحقُّ به حتّى ينصرفَ إليه ، ما لم يودِّعُ[٣] جُلَسَاءهُ بالسَّلاَم » .

وقال صلّى الله عليه وسلّم : « لا يُفَرِّقُ واحدٌ منكم بين اثْنَين مُتَجَالِسَيْن إلاَّ بإذْنِهما ، ولكنْ تَفَسَّحوا وأوْسِعُوا » .

وقال[٣] أنسُ بنُ مالكٍ : ما أخرَجَ رَسُولُ اللهِ صلّى اللهُ عَلَيْه وسلَّم رُكْبَتَيْه

---

(١) ب : ومجلس استحل فيه قوم حراما . (٢) ساقط من م.
(٣) ساقط من ب .

ولا قَدَمَيْه بين يَدَىْ جليسٍ له قطُّ ، ولا تناول أحدٌ يده فتركها حتّى يكون هو الّذى يَدَعُها .

وقال ابن شهاب : كانَ رجل يجالسُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فكان لايزال يتناول عن وجه رسول الله صلّى الله عليه وسلم الشىء ، وكأنّ ذلك آذى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« إذا نزع أحدُكم عن أخيه شيئًا فلْيُره إيّاه » .

وحدث الحسن البصرىّ : أنّ رجلا تناول عن رأس عمَرَ بنِ الخطّابِ شيئًا فتركه مرتين ، ثم تناول الثالثة ، فأخذ عمرُ بيده ، فقال : أرنى ما أخذتَ ؟ وإذا هو لم يأخذ شيئًا !! فقال : انظُروا إلى هذا ، قد صنع هذا ثلاثَ مراتٍ يُريِىَ أنّه يأخذُ من رأسى شيئًا ولا يأخذه ، فإذا أخذ أحدُكم من رأسِ أخيه شيئًا فلْيُرِه إيّاه .

قال الحسنُ : (١)نهاهم أميرُ المؤمنينَ عن المَلَق .

وقال الحسنُ(١) : لو أنّ إنسانًا أخذ من رأسى شيئًا ، قلت : صَرَفَ الله عنك السّوء .

وكان محّمدُ بن سيرين : إذا أخذ أحدٌ من لحيته أو رأسِه شيئًا ، قال : لاعَدِمتَ نافعًا .

ورُوى عن عُمر بن الخطّاب أنه قال : إذا أخذَ أحدٌ عنك شيئًا ، فقل : أخذتَ بيدك خيرًا .

---

(١) ساقط من ب .

وقد روى عن النبىّ صلّى الله عليه وسلّم ، أنه قال لأبى أيّوب الأنصارىّ — وقد نزع عنه أذًى — : « نَزَعَ اللهُ عنك ما تكرَهُ يا أبا أيّوب » .

قال عمرُ بن الخطّاب : بحسبِ[١] المرء من العِىّ[٢] أن يؤذى جليسَه بما لا يعنيه وأن يَجِدَ على النّاس فيما تأتيه[٣] ،[٤] وأن يَظهرَ له من النّاس ما يَخفَى عليه من نفسه .

وعن عمر رضى الله عنه قال : إن مما يُصَفّى ودادَ أخيك ، أن تبدأه بالسّلام إذا لقيتَه ، وأن تدعوَهُ بأحبّ الأَسْمَاء إليه ، وأن توسِّعَ له فى المجلس[٤] .

قال أبو أيّوب الأنصارىّ : من أراد أن يكثُرَ علْمُه ، فليجالسْ غيرَ عشيرته .

روى سفيانُ بنُ عُيَيْنة ، عن مالك بن مِغْوَل ، قال : قال عيسى صلّى الله عليه وسلّم : جالسوا من تُذَكّرُكُم بالله رؤيتُه ، ويزيدُ فى علمكم مَنْطِقُه ، ويُرَغِّبكم فى الآخرة عملُه .

قال المدائنى : أوصى يحيى بنُ خالد ابنَه ، فقال : يا بُنَىّ إذا حدّثك جليسُك حديثًا ، فأَقْبِل عليه وأَصْغِ إليه ، ولا تَقُل قد سمعتَه[٥] وإن كنتَ أحفظَ له ، وكأنك لم تسمَعْه إلّا منه ، فإنّ ذلك يكسِبُك المحبةَ والمَيْلَ إليك .

وعن عبد الملك بن عُمير ، قال : قال سعيد بن العاص[٦] : لجليسى علىّ ثلاثُ خصال : إذا دَنَا رَحّبتُ به ، وإذا جلس وسّعتُ له ، وإذا حدث أقبلتُ عليه .

---

(١) فى ب : حسب . (٢) فى ب ، م : الغنى . والعى هنا : الجهل

(٣) فى عيون الأخبار : أن يعيب على الناس ما تأتى .

(٤) ساقط من ب .

(٥) ب : سمعته (٦) ب : العاصى .

وذكر ابن مِقْسَم[١] ، قال : سمعت المبرِّد يقول : الاستماعُ بالعين ، فإذا رأيتَ عين من تحدّثه ناظرةً إليك فاعلم أنه يُحْسِن الاستماع . وقد رُوينا هذا القول عن سهل بن عبادة .

ومن حديث جابر عن النبيّ عليه السلام ، أنّه قال : « من كان له أخٌ في الله فأَكرَمه فإنّما يُكرِم الله » .

ورُوينا عن ثعلب النحوى ، أنّه قام لِصَديقٍ قصده[٢] ، وأنشد :

لَئِنْ قُمْتُ مَا فِي ذَاكَ مِنْهَا غَضَاضَةٌ ... عَلَيَّ وَإِنِّي لِلْكِرَامِ مُذَلَّلُ
عَلَى أَنَّهَا مِنِّي لِغَيْرِكَ هُجْنَةٌ[٣] ... وَلكِنَّهَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ تَجَمُّلُ

ولغيره في هذا المعنى :

إِذَا مَا تَبَدَّى لَنَا طَالِعًا ... حَلَلْنَا الحُبَا[٤] وَابْتَدَرْنَا القِيَامَا
فَلَا تُنْكِرُنَّ قِيَامِي إِلَيْهِ ... فَإِنَّ الكَرِيمَ يُجِلُّ الكِرَامَا[٥]

ورُوينا من حديث عائشة ، عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، أنّه قال : « أَنْزِلُوا النَّاسَ مَنَازِلَهُم » .

قال ابنُ وهب[٦] : سمعتُ مالكاً يقول : إذا كان الرجلُ عند رجلٍ جالساً ،

---

(١) هو محمد بن الحسن بن يعقوب المعروف بابن مقسم العطار ، عالم بالعربية والقراءات ، من أهل بغداد ، توفي سنة ٣٥٤ هـ ، ترجمته في تاريخ بغداد ٢/٢٠١ معجم الأدباء ٦/٤٩٦ .

(٢) ا ، ب : لنصر بن قصره .

(٣) الهجنة : العيب .

(٤) الحبا : الثوب المشتمل به ، وحللنا الحبا : كناية عن الخروج عن حدود التزمت والوقار .

(٥) المحاسن والمساوئ للبيهقي ١/١١٢ ، من غير نسبة .

(٦) هو عبد الله بن وهب بن مسلم الفهري المصري، فقيه من أصحاب الإمام مالك ، كان حافظا ثقة مجتهداً ، مات سنة ١٩٧ هـ . تهذيب التهذيب ٦/٧١ ، الوفيات ١/٢٤٩ .

فجاءه[١] طالبَ حاجةٍ ، فسكت عن عونه فقد أعان عليه[٢] .

قال عمرو بن العاص : لا أملُّ جليسى ما فهم عنّى ، وإنما المَلاَلُ لدناءة الرّجال .

قال الشَّعْبىّ فى قومٍ ذَكَرَهُم : ما رأيتُ مثلهم أشدَّ تنابُذًا[٣] فى مجلس ، ولا أحسَنَ فهماً من مُحَدِّث .

روى الأصمعىُّ عن العَلاء بن جَرير عن أبيه ، قال : قال الأحنفُ بن قيس : لو جلس إلىّ مائةٌ لأحببتُ أن ألتمسَ رضَى كلِّ واحدٍ منهم .

وقال عبد الله بن عبّاس : أعزُّ الناس علىَّ جليسى الذى يتخطّى النّاسَ إلىّ ، أَمَا واللهِ إنّ الذُّباب يقعُ عليه[٥] فيشقّ علىّ .

قال كُشَاجِم[٤] :

وجليسٍ لى أخى ثِقَةٍ ... كأن حديثَه خَبرَه
يَسُرُّكَ حُسْنُ ظَاهِرِه ... وتَحْمَدُ منه مُخْتَضَرَه
ويَسْتُرُ عَيْبَ صاحِبِه ... ويَسْتُرُ أنّه سَتَرَه

وقال آخر[٥] :

جليسٌ لِى لَهُ أَدَبُ ... رِعَايَةُ مِثْلِهِ تَجِبُ

---

(١) ا ، ب : فجاء . (٢) ساقط من ب .

(٣) معنى التنابذهنا تحيز كل فريق لرأيه، ودفاعه عنه بما يملك من حجة ودليل وانظر العبارة فى البيان ٢/٣٧ .

(٤) محمود بن الحسين المعروف بكشاجم ، شاعر متفنن ، من شعراء سيف الدولة . ولقبه هذا منحوت من علوم كان يتقنها : الكاف للكتابة ، والشين للشعر ، والألف للانشاء ، والجيم للجدل ، والميم للمنطق ، وقيل غير ذلك . توفى كشاجم سنة ٣٦٠ هـ ، انظر فى ترجمته : شذرات الذهب ٣/٣٧ ، الأعلام ٨/٤٣ ، وانظر الأبيات فى نهاية الأرب ٤/١٢٦ .

(٥) ساقط من ب .

لو انتُقِدَتْ خَلاَئِقُهُ لَبُهْرِجَ[١] عندهَا الذَّهَبُ[٢]

وعن ابن عبّاس ، أنه قال : إنّى لأكره أن يطأَ الرجلُ بِسَاطِي ثلاثًا فلا يرى عليه أثَرى .

وعنه أيضا[٣] رضى الله عنه ، أنه سُئل : مَنْ أكرمُ الناسِ عليك ؟ قال : جليسى حتّى يفارقنى .

قال معاويةُ لعَرَابةَ الأوْسى : بأىّ شيءٍ استحققْتَ أن يقول فيك الشَّمَّاخُ[٤] :

رأيتُ عَرَابَةَ الأوْسِىَّ يَسْمُو إلى الخَيْرَاتِ مُنْقَطِعَ القَرِينِ
إذا ما رايةٌ رُفِعَتْ لِمَجْدٍ تَلَقَّاهَا عَرَابَةُ باليَمِينِ

فقال عَرَابة : سَماعُ هذا من غيرى أولى بك وبى يا أميرَ المؤمنين ، فقال : عزمتُ عليك لتخبرنّى . فقال : بإكرامى جليسى ، ومحاماتى على[٥] صديقى .

فقال معاوية : لقد استحققت[٦] .

قال علىٌّ بن الحُسَين : ما جلس إلىّ أحدٌ قط ، إلاّ عرفتُ له فضلَه حتى يقوم .

قال أبو عُبَادة[٧] : ما جلس رجل بين يدىّ ، إلا مُثّل لى أنى جالس بين يديه .

---

(١) ب : ليمرح . والبهرج : الباطل أو الردىء .
(٢) البيتان للقاضى أبى حنيفة النعمان بن حيون المغربى ، انظر وفيات الأعيان ٥/٥٠ .
(٣) ب : وعن ابن عباس .
(٤) هو الشماخ بن ضرار الغطفانى . شاعر مجيد مخضرم من طبقه لبيد والنابغة ، توفى سنة ٢٢ هـ ، وكان الشماخ قد التقى بعرابة وهو يسوق أبعرة عليها زبيب وأدم قد أقبل بها من الطائف ، فاستطعمه شيئاً منها ، فقال له : خذ برأس القطار ، فقال الشماخ : أتهزأ بى ؟ فقال : خذ عافاك الله برأس القطار فهو لك فأخذ الإبل وما عليها ، وقال بيتيه الخالدين . انظر أنساب الأشراف ١/٢٧٧ ، ديوانه ٩٦ ، الشعر والشعراء ٢٧٨، وفيات الأعيان ٥/١١٦ .
(٥) ب : عن .　　(٦) ب : استحقيت .
(٧) أبوعبادة : عيسى بن عبد الرحمن بن فروة ، ويقال ابن سبرة الأنصارى ، أبو عبادة الزرقى المدنى ، انظر ترجمته فى تهذيب التهذيب ٨/٢٢٨ .

روى عن عبدالله بن يزيد ، وقد روى ذلك لأبى حازم ، أنه قال : وطِّن نفسك على[1] الجليس السوء ، فإنه لا يكاد يخطئك . وقد روى ذلك عن الأحنف، والله أعلم

قال بعض الحكماء : رجلان ظالمان يأخذان غيرَ حقّهما ، رجل وُسِّع له فى مجلس ضَيِّق فتربّع وتفتح[2] ، ورجلٌ أُهْدِيت إليه نصيحةٌ فجعلها ذنباً .

وقال مِسْعَرُ بنُ كِدَام : رحم الله من أهدى إلىّ عيوبى فى ستر بينى وبينه ، فإن النصيحة فى الملأ تقريع .

[3]قال الأحنف : لأن أُدْعى من بُعْدٍ أحبّ إلىّ من أَن أُقصى عن قُرْب .

وعن الأحنف أيضاً أنه قال: ماجلست مجلساً قطّ، أخاف أن أُقام منه لغيرى[3]

وقال البَعِيثُ بن حُرَيْث[4] :

وإنّ مكانى فى النَّدِىّ ومَجْلِسِى   لَهُ الموضعُ الأقْصَى إذا لم أُقرَّبِ[5]
وَلستُ وإن قُرِّبْتُ يوماً بِبَائِعٍ   خَلاَقِى ولا دِينى ابتغاءَ التَّحَبُّبِ
وَيعتَدُّهُ قَوْمٌ كَثِيرٌ تِجَارَةً[6]   ويَمْنَعُنِى مِنْ ذَاكَ دِينِى ومَنْصِبِى

جلس رجل[7] إلى الحَسَن بنِ علىّ رضى الله عنه ، فقال : جلستَ إلينا على حين قيام ، أفتأذن ؟!

---

(١) ب : عن .   (٢) ب : وانتفخ .   (٣) زيادة فى ب .

(٤) ب : المغيث بن حريب ، وهو تحريف ، انظر ترجمته فى المؤتلف والمختلف ٥٦ ، وانظر الأبيات فى عيون الأخبار ٣/٢٧٦ ، حماسة أبى تمام ١/١٤٨ ، ١٤٩ ، العقد الفريد ١/٧٩ .

(٥) فى ا : ولن مكانى فى التراء...الخ ، وفى عيون الأخبار : فإن مسيرى فى البلاد ومنزلى لبا لمنزل الأقصى ... الخ وفى العقد : هو لمنزل .

(٦) فى العقد : وقد عده قوم تجارة رابح .   (٧) ب : رجال .

كان يقال : إيّاكَ وكلَّ جليسٍ لا تصيب منه خيرًا .

وعن مُعَاذِ بنِ جَبَل ، أنه قال : إيّاكَ وكلَّ جليس لا يفيدُكَ علماً .

(١) كان يقال : من سرّه أن يَعْظُمَ حِلْمُـه ، وينفعُه علمه(١) ، فليُقِلَّ من مجالسته من كان بين ظَهْرَانيه .

وقال الحسن البصريّ : اتقُوا الإخوانَ ، والأصحابَ ، والمَجَالِس .

وروى هشامُ بنُ عروة ، عن محمّد بن المُنْـكَدِر ، قال : كان يقال : خياركم ألينكم مناكب فى الصلاة ، وركنًا فى المجالس، الموطَّئُون أكْنافًا، الذين يَأْلَفُون ويُؤْلَفُون.

تباعد كعبُ الأحبار يوماً فى مجلس عمر بن الخطاب ، فأنـكر ذلك عليه ، فقال: يا أمير المؤمنين ! إنّ فى حكمةِ لُقمان ووصيته لابنه : إذا جلستَ إلى ذى سلطان فليكن بينك وبينه مقعدُ رجل ، فلعلّه يأتيه مَنْ هو آثر عنده منك فينحّيك فيكون نقصاً عليك .

وكان يقال: الجليسُ الصّالح خيرٌ من الوحْدَة،والوحدةُ خيرٌ من الجليسِ السُّوء .

(٢)وعن جعفر بن سليمان الضَّبَعِىّ ، قال: رأيتُ مع مالك بن دينار كلباً ، فقلت له: ما هذا ؟ قال : هذا خيرٌ من الجليس السوء(٢) .

قال زيادٌ : إنه ليعجبنى من الرجال من إذا أتى مجلساً أن يعرف أين يكون مجلسَه ، وإنى لآتى المجلسَ ، فأدعُ مالى مخافةَ أن أُدْفَع عمّا ليس لى .

وكان الأحنفُ إذا أتاه رجلٌ أوسع له ، فإن لم يكن له سَعَة أراه كأنّه يُوسع له .

---

(١) ساقط من ا .   (٢) ساقط من ب .

طرح أبو قِلاَبَةَ[١] لجليس له وسادة ، فردّها فقال له : أما سمعت الحديث : « لا تردنّ على أخيك كرامته » .

قال ابن شُبرمة[٢] لابنه : يا بنىّ ! إياكَ وطولَ المجالسة ، فإنّ الأُسْدَ إنما يَجترئ عليها من أدام النظر إليها .

وهذا عندى مأخوذٌ من قول أردشير[٣] لابنه: يا بنىّ لاتمكّن الناس من نفسك فإن أجرأ النّاس على السّباع ، أكثرهم لها مُعَاينة . ومن هذا — والله أعلم — أخذ ابنُ المعتزّ قوله[٤] :

رأيت حياةَ المرءِ تُرْخِصُ قَدْرَهُ ... فإنْ مَاتَ أَغْلَتْـهُ المَنَايَـا الطَّوَائِحِ

كَمَا يُخْلِقُ الثَّوبَ الجديدَ ابتذالُه ... كذا تُخْلِقُ المَرْءَ العُيُونُ اللَّوَامِحُ

[٥]ومن سوءِ الأدب فى المجالسة : أن تقطعَ على جليسِك حديثَه ، أو تَبْدُرَه إلى تمام ما ابتدأ به منه خبراً كان أو شعراً ، تُتِمُّ له البيتَ الذى بدأ به ، تريه أنك أحفظُ له منه . فهذا غايةٌ فى سوء المجالسة ، بل يجب أن تصغى إليه كأنك لم تسمعْه قط إلاّ منه[٥] .

قيل لدَاوُدَ الطَّائِىّ[٦] : لم تركتَ مجالسةَ النّاس ؟ قال : ما بَقِىَ إلاّ كبيرٌ يتحفّظُ عليك ، أو صغيرٌ لا يُوَقِّرُك .

---

(١) هو : عبد الله بن يزيد بن عمرو، أبو قلابة الجرمى ، عالم بالقضاء والأحكام ، من أهل البصرة، توفى سنة ١٠٤ هـ . انظر تهذيب التهذيب ٥/٢٢٤ ، شذرات الذهب ١/١٢٦ .

(٢) ابن شبرمة : عبدالله بن شبرمة الضبى ، تولى قضاء السواد لأبى جعفر المنصور، وكان عفيفاً صارماً. عاقلا جوادا ، ثقة قليل الحديث ، توفى سنة ١٤٤ هـ . انظر شذرات الذهب ١/٢١٥ ، تهذيب التهذيب ٥/٢٥٠ .

(٣) ب : الأشتر .

(٤) ورد البيت الثانى فقط فى الديوان ٢٩ ، وفيه : فابدل كما ، وانظرهما فى التمثيل والمحاضرة ١٦٧ .

(٥) ساقطة من ب .

(٦) أبو سليمان بن نصير الطائى الكوفى ، من أكابر الزهاد ، وخيار التابعين ، توفى سنة ١٦٥ هـ ، انظر تاريخ بغداد ٨/٣٤٧ ، وفيات الأعيان ١/١٧٧ .

وقال عبدُ الرحمن بنُ أبي لَيلى : لا تجالسْ عدوَّك ، فإنه يحفظُ عليك سقطاتِك ويُماريك في صَوابك .

قالت الخنساء :

إنّ الجليسَ يقولُ القَوْلَ تَحْسَبُهُ خيراً وهَيْهَاتَ فانْظُرْ مابهِ[١] الْتَمسا

كان يقال : رأسُ التّواضع ، الرّضا بالدُّون من المجلس . وهذا يُروى عن ابن مسعود أنّه قال : إنّ من التواضع أن تَرْضى بالدُّون من المجلس ، وأن تبدأ بالسّلام مَنْ لَقيت .

قال إبراهيمُ النَّخَعِيّ : إنّ الرجلَ ليجلِسُ مع القومِ فيتكلّمُ بالكلام ، يريدُ الله به ، فتصيبُه الرَّحْمةَ فتعمُّ من حوله ،[٢] وإنّ الرجل يَجْلسُ مع القوم فيتكلّمُ بالكلام يُسْخطُ الله به ، فتصيبُه السَّخْطَةُ فتعمُّ مَن حوله[٢] .

كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يوماً في مجلسه ، فرفعَ رَأسَه إلى السّماء ثم طأطأه[٣] ثم رفعه فسُئل عن ذلك ، فقال : « هؤلاء قومٌ كانوا يذكرون الله فنزلتْ عليهم السّكينة ، وغَشيتهم الرّحْمَة ، وحفّتهم الملائكة كالقُبّة ، فلما دنت منهم تكلّم رجلٌ منهم[٥] بباطلٍ فرُفِعت عنهم ، ثم تلا : ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ[٤] ﴾ » .

وفي حديث أبي هريرة عن النبيّ عليه السلام[٥] ، أنه قال : « ما جلسَ قومٌ

---

(١) في ب : ماله ، ولم أعثر عليه في الديوان . (٢) ساقطة من ب .
(٣) في ب طأطأ . (٤) سورة الجاثية الآية : ٢٧ . (٥) ساقطة من ب .

مجلساً يقرءون فيه القرآن ، ويذكرون السُّنَن ، ويتعلمون العلمَ ويتدارسونه بينهم ، إلاّ حَفَّت بهم الملائكة ، ونزلتْ عليهم السَّكينة ، وغشيتهم الرحمةُ ، وذكرَهم اللهُ فيمن عنده . فقيل له : يارسولَ الله ! الرّجلُ يجلسُ إليهم وليس منهم ، ولا شأنهُ شأنهم ، أتأخُذه الرحمةُ معهم ؟ قال : نعم ، هم القومُ لا يَشْقى جليسُهُم » .

أنشد أبو العباس أحمد بن يحيي ثَعْلَب ، ويقال إنها له :

إنْ صَحِبْنَا المُلوكَ تَاهُوا وَعَقُّوا ... واسْتَخَفُّوا كِبْرًا بِحَقِّ الجليسِ
أَوْ صَحِبْنَا التِّجارَ صِرْنَا إلَى البُؤْ ... سِ وعُدْنَا إلَى عِــدادِ الفُلُوسِ
فَلَزِمْنَا البُيُوتَ نَسْتَخْرِجُ العِلْـ ... ـمَ وَنَمْلا بِهِ بُطُونَ الطُّرُوسِ[1]

كان يقال : ذوُو المروءة والدّين ، إذا أحرزوا القوتَ لزموا البيوت . أنشد أبو عبدالله بن الأعرابيّ — صاحب الغريب[2] — :

لَنَا جُلَسَاءُ مَا نَمَلُّ حَدِيثَهُمْ ... أَلِبَّاءُ مَأْمُونون غيباً وَمَشْهَدَا
يُفيدُونَنَا[3] مِنْ عِلْمِهِمْ عِلْمَ مَامَضَى ... وعَقْلاً وتَأْدِيباً ورَأْياً مُسَدَّدَا
بلا فِتْنَةٍ تُخْشَى ولا سُوءِ عِشْرَةٍ ... ولا نَتَّقِي مِنْهُمْ لِسَانًا ولا يَدَا
فإنْ قلتَ أمواتٌ فلستَ بكاذبٍ ... وإن قلتَ أحياءٌ فَلَسْتَ مُفَنَّدَا[4]

ولهذا الشعر خبر لابن الأعرابى مع أحمد بن محمد بن شجاع ، ذكرناه مع

---

(١) يروى : تاهوا علينا ، ولزمنا البيوت نستكثر . وانظر الأبيات فى جامع البيان العلم ٢/٢٠٣ .

(٢) محمد بن زياد المعروف بابن الأعرابى ، أبو عبد الله ، راوية علامة باللغة من أهل الكوفة ، لم ير أحد فى علم الشعر أغزر منه ، مات سنة ٢٣١ هـ . انظر معجم الأدباء ١٨/١٨٩ ، وفيات الأعيان ١/٤٩٢ ، تاريخ بغداد ٥/٢٨٢ .

(٣) ويروى : يعيروننا . (٤) جامع بيان العلم ٢/٢٠٢ ، معجم الأدباء ١٨/١٩٥ .

مع الأبيات فى آخر كتاب « بيان العلم وفضله » . ولمحمد بن بشير فى هذا المعنى من قصيد له :

فصرتُ فى البيتِ مَسْرُوراً تُحَدِّثُنِى ... عَنْ عِلْمِ مَاغَابَ عَنِّى فِى الوَرَى الكُتُبُ
فَرْدًا تُخَبِّرُنِى المَوْتَى وتَنْطِق[1] لِى ... فَلَيْسَ لِى فى أُنَاسٍ غَيْرَهُمْ أَرَبُ
لِلّٰهِ مِنْ جُلَسَاءٍ لَا جَلِيسُهُمْ ... ولاَ خَلِيطُهُمُ لِلسُّوءِ مُرْتَقِبُ
لا بَادِرَاتُ الأَذَى يَخْشَى رَفِيقُهُمُ ... ولاَ يُلاَقِيهِ مِنْهُمْ مَنْطِقٌ ذَرِبُ[2]
أَبْقَوْا لنا حِكَمًا تَبْقَى مَنَافِعُهَا ... أُخْرَى اللَّيَالِى على الأَيَّامِ وانْشَعَبُوا[3]
إِن شِئْتَ من مُحْكَمِ الآثَارِ يَرْفَعُهَا ... إلى النَّبِىِّ ثِقَاتٌ خِيرَةٌ نُجُبُ
أو شِئْتَ مِنْ عَرَبٍ عِلْمًا بأَوَّلِهِمْ ... فى الجَاهِلِيَّةِ تُنْبِينِى بها العَرَبُ
أو شِئْتَ من سِيَرِ الأَمْلاَكِ من عَجَمٍ ... تُنْبِى وتُخْبِرُ كيفَ الرَّأْىُ والأَدَبُ
حتّى كأَنِّى قَدْ شَاهَدْتُ عَصْرَهُمُ ... وقَدْ مَضَتْ دُونَهُمْ مِنْ دَهْرِنَا حِقَبُ
مَا مَاتَ قومٌ إذَا أَبْقَوْا لنا أدبًا ... وعِلْمَ دِينٍ ولا بَانُوا ولا ذَهَبُوا[4]

قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : « كفارةُ ما يكون فى المجلسِ من اللَّغط[5] أن تقول : سبحانَكَ اللّهُمّ وبحمدك ، لا إله إلاّ أنت ، أستغفرُك وأتوبُ إليك » .

وفى حديث آخر :

---

(١) ا : وتنظر .
(٢) البادرة : ما يصدر عن الحدة فى الغضب من قول أو فعل ، والذرب : حدة اللسان وسلاطته .
(٣) ب : والشعب ، وانشعب: تفرق وتبدد .
(٤) انظر الأبيات فى جامع بيان العلم ٢٠٣/٢ . (٥) اللغط : الجلبة والصياح .

« كفّارة ما يكونُ فى المجلس ألاّ تَقُومَ حتّى تقول : سُبحانك اللَّهُمّ وبحمدك لا إله إلا أنت ، أستغفرُكَ وأتوبُ إليك ، يارِبّ تُبْ علىّ واغفرْ لى ، فإن كان مجلسَ لَغْوٍ[1] كان كفّارته ، وإن كان مجلسَ ذكرٍ كان كالطّابع عليه » .

وقال حسّان بن عطيّة : ما من قوم كانوا فى مجلس لغوٍ ختموه بالاستغفار إلاّ كُتِبَ لهم مجلسُهم ذلك استغفاراً[2] كله .

وروى عن جماعةٍ من أهل العلم بتأويل القرآن ، فى قول الله عز وجل : ﴿ وسَبِّحْ بِحَمْدِ رِبِّكَ حِينَ تَقُومُ[3] ﴾ ، منهم[4] مجاهد وأبو الأحوص وعطاء ويحي بن جَعْدة قالوا : حين تقوم من كل مجلس تقول فيه : سبحانك اللهمّ وبحمدك ، أستغفرك وأتوب إليك ، قالوا : ومن قالها غُفِر له ما كان منه[5] فى المجلس .

وقال عطاء : إن كنتَ أحسنتَ ازددْتَ إحساناً ، وإن كان غيرُ ذلك ، كان كفارة .

ومنهم من قال : تقولُ حين تقومُ : سبحان الله وبحمده من كلّ مكانٍ ومن كلّ مجلس .

---

(١) « لفظ » فى ب .
(٢) فى ا : استغفار
(٣) سورة الطور آية : ٤٨ .
(٤) فى ب زعم .
(٥) ساقط من ب .

بابُ حَمْد اللّسَانِ وفَضْل البيان

قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : « إنّ الرجلَ ليتكلّمُ بالـكلمةِ من رضوان الله ما يظنّ أنها تبلغ ما بلغت يكتب الله[1] له بها رضوانَه إلى يومِ القيامة حتّى يلقاه ...[2] » الحديث .

قال مُعَاذ : قلت يا رسول الله ! أيُّ الأعمال أفضل ؟

قال : « لا يزالُ لِسَانك رَطْباً من ذكر الله » .

وروى عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم أنه قال : « أفضلُ الصَّدَقةِ صدقة اللسان ، تَدْفَعُ بها الـكريهة ، وتَحْقِنُ بها الدَّمَ » .

وقال عليه السلام : « أفضلُ الجهاد كلمةُ حقٍّ عند ذى سُلْطانٍ جائر » .

قال أبو عِنَبَة الخَوْلانى رحمه الله : رُبّ كلمةٍ خير من إعطاء المال . وقال أبانُ ابن سُلَيم : كلمة حكمة لك من أخيك ، خير لك من مالٍ يعطيك؛ لأنّ المال يُطغيك ، والـكلمة تهديك .

قالوا : خير الـكلام ما دلّ على هدًى ، أو نهى عن ردًى .

ذُكِرَ عند الأحنف بن قيس : الصمتُ والـكلامُ ، فقال قومٌ : الصمتُ أفضل[3]فقال الأحنف : الـكلام أفضل[3] لأن الصمتَ لا يعدو صاحبه ، والـكلامُ ينتفعُ به من سمعه ، وهذا كرةُ الرّجال تلقيحُ لعقولها .

---

(١) ساقط من ا .

(٢) سترد بقية الحديث فى باب تال ص٧٩ ،وقد أخرج ابن ماجة نحوه مطولا فى سننه ص ١٣١٣ حديث ٣٩٦٩ ج ٢ .

(٣) ساقط من ب .

وروى عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم أنّه قال : « رحم اللهُ عبداً تكلّمَ بخيرٍ فغَنِمَ ، أو سكت فسَلِمَ » .

قال سَعِيدُ بنُ جُبَيْر : رأيتُ ابن عبّاس رضى الله عنه فى الكعبة آخذاً بلسانه وهو يقول : يا لسانُ قل خيراً تغنمْ ، أو اسكتْ تَسْلَم .

وقالوا : السّكوت سلامة ، والكلامُ بالخير غنيمة ، ومن غنم أفضل ممن سلِمَ .

قال أعرابىّ : من فضل اللّسان ، أن الله عزّ وجلّ أنطقه بتوحيده من بين سائِر الجوارح .

وقال عبدُ الملك بن مروان : الصمتُ نومٌ والنُّطق يقظة .

قال خالِدُ بنُ صَفْوان : ما الإنسان لولا اللسان إلاّ صورة مُمَثَّلَة ، أو بهيمة مرْسَلَة[1] ، أو ضالّةٌ مهملة .

كان يقال : الألْسُن خَدَمُ القَرائِح .

قال ربيعةُ الرأى[2] : السّاكِت بين النائم والأخرس .

قالوا : إنما المرءُ بأصْغَرَيه : لسانِه وقلبِه .

كان يقال : اللسانُ تُرجمان الفُؤاد ، واللسَانُ حيّةُ الفم .

كان يقال : يجد البليغُ من ألم السّكوت ما يجد العيُّ من ألم الكلام .

وقالوا : المرءُ مخبوءٌ تحت لسانه .

---

(١) فى ب : مزملة .

(٢) هو أبو عثمان ربيعة بن فروخ ، من موالى التيميين ، كان من أجود الناس رأيا وعلما ومنطقا ولهذا لقب ربيعة الرأى ، ترجمته فى تهذيب التهذيب ٣ : [illegible] ، والوفيات ١ : [illegible] ، وتاريخ بغداد ٨ / ٤٢٠ .

وقال حسان بن ثابت :

لِسَانى وسَيْفى صَارِمَان كِلاَهُما ··· ويَبْلغُ مالا يَبْلُغُ السَّيفُ مِذْوَدِى[١]

وقال جرير :

وليْسَ لِسَيْفِى فى العِظَامِ بَقِيَّةٌ ··· ولاالسَّيْفُأَشْوَى وَقْعَةً مِنْ لِسَانِيَا[٢]

وقال الخليل بن أحمد :

أىُّ شىءٍ من اللِّبَاسِ عَلَى ذِى السَّـــرْوِ أَبْهَى من اللِّسَانِ البَهِىِّ[٣]

قال ابن سيرين : لا شىء أزين على الرجل من الفصاحة والبيان ، ولا شىء أزين على المرأة من الشحم .

قال الشاعر :

وكَائِنْ تَرَى مِنْ سَاكِتٍ[٤] لَكَ مُعْجِبٍ ··· زيادُتُه أو نقصُهُ فى التَّــكَلُّمِ
لسانُ الفَتَى نصفٌ ، ونصفٌ فُؤَادُه ··· فلم يبقَ إلاّ صُورَةُ اللَّحْمِ والدَّمِ[٥]

---

(١) المذود : اللسان ، وانظر البيت فى ديوانه ١٢٧ .

(٢) وردت الشطرة الأولى فى ب : لسانى وسيفى صارمان كلاهما أيضاً ، وأحسب أنه تكرير من الناسخ لشطرة البيت السابق ، وما هنا موافق لرواية الديوان ٦٠٦ .

(٣) السرو : المروءة فى شرف ، وانظر البيت مع أبيات أخرى سترد بعد فى عيون الأخبار ١/١٠٠ ، جامع بيان العلم ٢/١٦٨ .

(٤) فى ا : صامت .

(٥) نسب الجاحظ البيتين فى البيان ١/١٨١ إلى الأعور الشنى ، ونسبا فى هامش التحقيق أنهما لزهير فى معلقته ، ولكننى لم أعثر على البيتين وأخ لهما ثالث سيرد بعد ، بين أبيات معلقة زهير فى شرح ديوانه لثعلب ط دار الكتب ١٩٤٤ وفيه أصح روايات المعلقة . نعم وجدتهما منسوبين له فى جمهرة أشعار العرب ٥١ ، وفى المعلقات ط مطبعة الموسوعات سنة ١٣١٩ هـ ، وفى ذلك الأخير علق الأستاذ الشنقيطى على البيتين بأنهما ليسا لزهير بل للخطفى جد جرير ، وفى حماسة البحترى ورد البيتان مرتين نسبهما فى الأولى ص ٢٠٥ إلى عبد الله بن معاوية الجعفرى مع ورود الشطر الأول هكذا: وكائن فتى من معجب لك حسنه ، ونسبهما فى الثانية ص ٣٦٧ إلى زهير، وفى فصل المقال ٤٨٢ تردد فى نسبتهما بين الهيثم بن الأسود النخعى ، وبين الأعور الشنى .

قال أبو العتاهية(١):

وللناسِ خوضٌ فى الكلامِ وألسُنٌ   وأقْرَبُها من كلّ خيرٍ صَدُوقُهَا(٢)

وروى ابنُ عمر قال : قدم رجلان من المشرق خطبا،فعجب الناس لبيانهما ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن من البيان لسحرا » . فتأولت طائفة هـذا على الذم لأن السحر مذموم ، وذهب الأكثر(٣) من أهل العلم ، وجماعة من أهل الأدب إلى أنه على المدح لأن الله تعالى مدح البيان وأضافه إلى القرآن ، وقد أوضحنا هـذا فى كتاب التمهيد ، والحمد لله .

وقد قال عمر بن عبد العزيز ، رحمه الله ، لرجل سأله حاجة فأحسن المسألة ، فأعجبه قوله وقال : هذا — والله — السحرُ الحلال.

وقال علىّ بن العبّاس الرومى :

وَحَدِيثُهَا السِّحْرُ الْحَلَالُ لَوَ اَنَّه   لَمْ يَجْنِ قَتْلَ الْمُسْلِمِ الْمُتَحَرِّزِ(٤)

فى أبيات قد ذكرتها فى موضعها من هذا الكتاب .

وقال الحسن : الرجال ثلاثة ، رجل بنفسه ، ورجل بلسانه ، ورجل بماله .

وكان يقال : فى اللسان عشر خصال : أداةٌ يظهرُها البيان ، وشاهدٌ يخبر عن الضمير ، وحاكمٌ يفصل به القضاء ، وناطقٌ يردّ به الجواب ، وشافعٌ تقضى به الحاجات ، وواصفٌ تعرف به الأشياء ، وواعظٌ ينهى به عن القبيح ، ومُعَزٍّ تسكنُ

---

(١) ديوانه ١٧٢ .   (٢) ساقط من ب .

(٣) ب : الأكثرون .

(٤) التحرز : المتوقى والتحصن ، وانظر البيت فى ديوانه ١٠٩ ، الأمالى ١ / ٨٤ ، نهاية الأرب ٢ / ٧١ .

به الأحزان، وملاطفُ تذهب به الضغينة، ومونقٌ يُلهى الأسماع.

ونظر معاوية إلى ابن عبّاس رضى الله عنهما، فأتبعه بصره ثم قال متمثلا:

إذا قَالَ لَمْ يَتْرُكْ مَقَالاً لِقَائِلٍ ... مُصِيبٍ وَلَمْ يَثْنِ اللسَانَ[1] عَلَى هُجْرِ
يُصَرِّفُ بالقَوْلِ اللِّسَانَ إِذَا انْتحى ... وَيَنْظُرُ فِى أَعْطَافِهِ نَظَرَ الصَّقْرِ[2]

ولحسان بن ثابت فى ابن عبّاس:

إذا قال لَمْ يَتركْ مَقَالاً لِقَائِلٍ ... بمُنطَلَقَاتٍ لا تَرَى بَيْنَهَا فَصْلَا
شَفَى وكَفَى مَا فِى النُّفُوسِ فَلَمْ يَدَعْ ... لِذِى إرْبَةٍ فِى القَوْلِ جِدًّا ولا هَزْلَا[3]

فى أبيات قد ذكرتها فى باب ابن عباس من كتاب «الصحابة».

كان يقال: الجمالُ فى اللسان.

قيل لأعرابى: ما الجمالُ؟ قال: طولُ الجسم، وضخَمُ الهامَة، ورُحْبُ الشِّدْقِ، وبُعْدُ الصَّوْتِ.

قال حبيبُ:

لِسَانُ المرْءِ مِنْ خَدَمِ الفُؤَادِ[4]

---

(١) ا: الرجال

(٢) فى العقد ٢/٢٧٠: «ولم يقف ... لعيى» مكان لقائل مصيب، وانظر عيون الأخبار ١/١٧٠، معجم الأدباء ٦/١٨٨. والهجر: القبيح من الكلام.

(٣) ديوانه ٧٤، العقد الفريد ٢/٦٦٧، عيون الأخبار ١/١٧٠، معجم الأدباء ٦/١٨٦، وفيها: بملتقطات. والملتقطات: المتخيرات.

(٤) عجز بيت لحبيب بن أوس الطائى أبى تمام وصدره: ومما كانت الحكماء قالت: ديوانه ٨٠.

وقال آخرُ :

والقَوْلُ يَنفُذُ مَالاَ تَنْفذ الإِبَرُ[1]

[3]قال امرؤُ القيس[2] :

وجُرْحُ اللِّسَانِ كَجُرحِ اليَدِ[3]

قال ابن أبى حازم :

أَوْجَعُ مِنْ وَقْعَـةِ السِّنَانِ ... لِذِى الحِجا وَخْزَةُ اللِّسَانِ[4]

---

(١) عجز بيت للأخطل ، وصدره : * حتى أقروا وهم منى على مضض * ديوانه ١/ ١٠٥ ، البيان ١/١٥٨ ، ١٧٠ ، العقد ٢/ ٤٤٥ .

(٢) عجز بيت وصدره : * ولو عن نثا غيره جاءنى * والنثا : الحديث المنتشر ، وانظر ديوانه ١٨٥ العقد الفريد ٢/٤٤٥ .

(٣) ساقط من ب .

(٤) عيون الأخبار ٢/ ١٨٠ ، وفيه : وخزة اللسان .

باب ذَمّ[1] العِيّ وحَشْو الـكَلاَم

قال أبو هُريرة : لا خيرَ في فُضُول الـكلاَم .

وقال عَطَاء : كانوا يكرهون فضولَ الـكلام .

وقال : بِتَرْكِ الفُضُول تـكملُ العُقول .

[2]وقال : فضول الـكلام ما ليس في دين ولا دُنيا مباحاً[2] .

وقال : الصَّمْت صِيَانَةُ اللِّسَان ، وسترُ العيّ .

وقالوا : العيّ الناطق أعْيَا من العيّ السا كت .

وقالوا : أحسنُ الـكلام ما كان قليلُه يُغنيكَ عن كثيرِه، وما ظهر معناهُ في لفظه .

وروى[1] عن عبدالله بن عُمر ، أنّه قيل له : لو دعوت لنا بدَعَوَاتٍ . فقال : اللّهم اهْدِنا وعافنا وارْزُقنا . فقال له رجلٌ . لو زِدتنا يا أبا عبد الرحمن ؟ فقال : أعوذُ باللهِ من الإسهاب .

وقال شُقَيٌّ بن مَاتِع[3] : [4] من كثُر كلامه كثرت خطاياه .

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : من كثُر كلامه كثُر سقطه .

قال يعقوب عليه السلام لبنيه : يا بَنِيَّ إذا دخلتم على السلطان فأقلّوا الـكلام .

قال ابن هُبَيْرة: مامن شيء إلاّ وهو محتاجٌ إلى فضوله يوماً ، إلاّ فضولُ الـكلام.

---

(١) ساقط من ب .

(٢) ساقط من من م .

(٣) ا : صبعى بن ناصح ، ب : شقى بن مانع ، والصحيح ما أثبتناه ، انظر ترجمته في تهذيب التهذيب ٣٦٠/٤ .

(٤) من هنا تنقص نسخة ب نقصاً كبيراً ، إذ سقط منها بقية هذا الباب ، وأربعة أبواب أخرى تالية .

قال الحسن : رحم الله عبداً أوْجز فى كلامه ، واقتصر على فصاحته ، فإن الله يكرهُ كثرة الكلام .

وكان يقال : أفضل الكلام ما قلّت ألفاظه وكثرت معانيه ، أخذ هذا المعنى أحمد بن إسماعيل الكاتب(١) فقال :

خيرُ الكَلاَمِ قَليلٌ عَلَى كَثِـيرٍ دَلِيلُ
والعِيُّ مَعْنىً قَصِيرُ يَحْوِيهِ لَفْظٌ طَوِيلُ

وقال أبو العتاهية(٢) :

الصَّمْتُ أَلْيَقُ بالفَتَى مِنْ مَنْطِقٍ فِي غَـيْرِ حِينِهْ
لاَ خَـيْرَ فِي حَشْوِ الكَلاَ مِ إذَا اهْتَدَيْتَ إلى عُيُونِهِ

وقال منصور الفقيه :

تَعَمَّدْ لِحَذْفِ فُضولِ الكَلاَمِ إذَا مَا نَأَيْتَ وعِنْـدَ التَّدَانِى
ولاَ تُكْثِرَنَّ فَخَيْرُ الكَلاَمِ الْـ قَلِيلُ الحُرُوفِ الكَثِيرُ المَعَانِى

قال بعضُ قضاة عمر بن عبد العزيز — رحمه الله — وقد عزله : لِمَ عزلتنى ؟ قال : بلغنى أنّ كلامَك مع الخَصْمين أكثرُ من كلام الخَصْمين .

(١) هو أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن الخصيب، المعروف بنطاحة ، كان كاتب عبيد الله بن عبد الله بن طاهر والى خراسان ، وكان بليغا مترسلا شاعراً أديباً ، قتل سنة ٢٩٠ هـ . انظر معجم الأدباء ٢/٢٢٩ الفهرست ١٨٠ ، وانظر البيتين فى معجم الأدباء ٢/٢٢٨ .

(٢) ديوانه ٢٨٢ ، البيان ١/٢٢٤ ، لباب الآداب ٢٧٧ ، وفى حماسة البحترى ٣٦٤ ، أورد بيتين قريبين من هذين ، والثانى قبل الأول وهما :

لاتكثرن حشو الكلا م إذا اهتديت إلى عيونه
والصمت احسن بالفتى من منطق فى غير حينه

ونسبهما لصالح بن عبد القدوس .

تكلّم ربيعةُ الرأى يوماً فأكثر الكلام ، فأعجبته نفسُه ، وإلى جنبه أعرابىّ فقال له : يا أعرابى ! ما تعدّون البلاغة فقال : قلة الكلام . قال : ما تعدون العىّ فيكم ؟ فقال : ما كنتَ فيهِ منذ اليوم .

وأنشد الُخشَنى(١) — رحمه الله — :

وما العِيُّ إلاَّ مَنْطِقٌ مُتَتَابِعٌ سَوَاءٌ عَلَيْهِ حَقُّ أَمْرٍ وبَاطِلُهْ(٢)

قالت العرب : لا يجترئ على الكلام إلا فائق أو مائق .

قال النَّمرُ بنُ تَوْلبٍ(٣) :

أَعِذْنِى رَبِّ مِنْ حَصْرٍ وَعِيٍّ وَمِنْ نَفْسٍ أُعَالِجُها عِلاَجَا
ومِنْ حَاجَاتِ نَفْسِىَ فاعْصِمَنِّى فَإِنَّ لِمُضْمَرَاتِ النَّفْسِ حَاجَا(٤)

وقال آخر :

عَجِبْتُ لِإدْلاَلِ العَيِّ بِنَفْسِهِ وَصَمْتِ الَّذِى قَدْ كَانَ بِالَحقِّ أَعْلَمَا
وَفِى الصَّمْتِ سِتْرٌ لَلْعَيّ وإنّمَا صَحِيفَةُ لُبِّ المَرءِ أَنْ يَتَكَلَّمَا(٥)

---

(١) الخشنى : محمد بن عبد السلام بن ثعلبة القرطبى ، رحل إلى المشرق ومكث فيه طويلا متجولا فى طلب الحديث ، وكان ثقة كبير الشأن ، انظر بغية الوعاة ٦٧ ، جذوة المقتبس ٦٣ .

(٢) البيت لعبد الله بن بكر المزنى ، لباب الآداب ٢٧٥ .

(٣) شاعر مخضرم ، يسمى الكيس لحسن شعره ، انظر ترجمته فى الشعر الشعراء ١٠٥ ، اللباب ٣/٢٣٨

(٤) عيون الأخبار ١/١٠٩ ، البيان ١/١٨ .

(٥) نسب البيتان فى البيان ١/٢٢٦ ، مجموعة المعانى ١٦٩ إلى حذيفة الخطفى جد جرير ، وفى العقد الفريد ٢/٢٦٦ إلى الحسن بن جعفر ونسبا فى حماسة البحترى ٣٦٧ إلى مالك بن سلمة العبسى ، ووردا فى عيون الأخبار ٢/١٧٥ ، معجم الأدباء ١/٩٠ بغير نسبة ، وفيها لإزراء العى بدلا من إدلال .

قال بعض الحكماء : ليس شيء [إلاّ[١]] إذا ثنيته قَصُر إلاّ الكلام ، فإنك كلّما ثنيتَه طال .

قالوا : أعْيا العِيِّ بلاغة بعيّ ، وأقبحُ اللَّحْنِ لحنٌ بإعراب .

كان مالك بن أنس يعيب كثرة الكلام ويذمّه ويقول : كثرةُ الكلام لاتوجد إلاّ فى النّساء والضعفاء .

ذمّ أعرابىّ رجلا ، فقال : هو من يَتَامَى المجالس ، أعيا ما يكون عند جلسائه ، أبلغُ ما يكون عند نفسه .

---

(١) زيادة يقتضيها المعنى .

بابٌ فى اجتناب اللّحن ، وتعلُّم الإعراب
وذمّ الغريب فى الخطاب

كتب عمرُ إلى أبى موسى : أمّا بعد ، فتفقّهوا فى السُّنّةِ ، وتعلّموا العربية

ورُوى عنه رحمه الله أنه قال : رحم اللهُ امرأً أصلح من لسانه .

وقال علىّ بنُ محّمد العَلَوىّ[1] :

رأيتُ لِسانَ المَرْءِ رَائِدَ عَقْلِه   وَعُنْوَانَهُ فانظُرْ بِمَاذَا تُعَنْوِنُ
وَلاَ تَعْدُ إِصْلاَحَ اللِّسَانِ فإِنَّهُ   يُخَبِّرُ عَمَّا عِنْدَهُ وَيُبَيِّنُ
ويُعْجِبُنِى زِىُّ الفَتَى وجَمَالُهُ   فَيَسْقُطُ مِنْ عَيْنَىَّ سَاعَةَ يَلْحَنُ

كان عبدالله بن عمر يضربُ ولده على اللّحن .

قال شعْبة : مثل الذى يتعلّم الحديث ، ولا يتعلم النحو مثل البُرْنسِ لا رأس له .

قال المأمون لأحد أولاده — وقد سمع منه لحناً — : ما على أحدكم أن يتعلم العربية فيقيم بها أَوَدَهُ ، ويزين بها مَشْهَدَه ، ويَفُلَّ بها حُجج خصمه بمسكتاتِ حُكمه ، ويملك مجلسَ سلطانه بظاهر بيانه . أَوَ يَسُرُّ أحدكم أن يكون لسانه كلسان عبده أو أمته ، فلا يزال الدَّهْرَ أسيرَ كلمته ، قاتل الله الذى يقول :

---

(١) كذا وردت نسبته فى الأصل . والصحيح أنه على بن محمد بن العبرتانى نسبة إلى قرية عبرتا من نواحى النهروان من أعمال بغداد . وقد اشتهر بابن بسام والبسامى، توفى سنة ٣٠٢ﻫ ، انظر تاريخ بغداد ١٢ /٦٣ ، اللباب ١ /١٢١ ، وانظر الأبيات فى معجم الأدباء ١٥ /١٥١ ، معجم الشعراء ٢٩٠ ، زهر الآداب ٣ /١٣٨ وفيها : وافد عقله مكان رائد .

أَلَمْ تَرَ مِفْتَاحَ الفُــؤَادِ لِسَانَهُ   إِذَا هُوَ أَبْدَى مَا يَقُولُ مِنَ الفَمِ (١)
وكَائِنْ تَرَى مِنْ صَاحِبٍ لَكَ مُعْجِبٍ   زِيَادَتُهُ أَوْ نَقْصُهُ فِي التَّـكَلُّمِ
لِسَانُ الفَتَى نِصْفٌ وَنِصْفٌ فُؤَادُهُ   فَلَمْ يَبْقَ إِلاَّ صُورَةُ اللَّحْمِ والدَّمِ

وقال الخليل بن أحمد :

لَا يَكُونُ السَّرِيُّ مِثْلَ الدَّنِيِّ   لَا وَلَا ذُو الذَّكَاءِ مِثْلَ الغَبِيِّ
لا يكونُ الأَلَدُّ ذو المَقْوَلِ المُرْ   هَفِ عِنْدَ القِيَاسِ مِثْلَ العَيِيِّ
أيُّ شَيْءٍ مِنَ اللِّبَاسِ عَلَى ذِي السَّـــرْوِ أَبْهَى مِنَ اللِّسَانِ البَهِيِّ
يَنْظِمُ الحجةَ السَّنِيَّةَ فِي السِّلْ   كِ مِنَ القَوْلِ مِثْلَ عِقْدِ الهَدِيِّ
وتَرَى لِلَّحْنِ بالحَسِيبِ أَخِي الهَيْ   أَةِ مِثْلَ الصَّدَا عَلَى المَشْرَفِيِّ
فاطْلُبِ النَّحْوَ للحِجَاجِ وللشِّعْ   رِ مُقِيماً والمُسْنَدِ المَرْوِيِّ
والخِطَابِ البَلِيغِ عِنْدَ جَوَابِ الْ   قَوْلِ تُزْهَى بِمِثْلِهِ فِي النَّدِيِّ
وارْفُضِ القَوْلَ مِنْ طَغَامٍ جَفَوْا عَنْـ   ـهُ فَقَادُوا بَعْضَهُ للنَّسِيِّ (٢)
قِيمَةُ المَرْءِ كُلُّ مَا يُحْسِنُ المَرْ   ءُ قَضَاءً مِنَ الإمَامِ عَلِيِّ

قال ثعلب : سمعت مُحمدَ بنَ سلاَّمٍ يقول : ما أحدث الناسُ مروءةً أفضل من طلب النّحو .

قال عبدالله بن المُبَارك ، اللحنُ فى الكلام أقبحُ من آثار الجُدَرِيِّ فى الوجه

(١) ورد هذا البيت فى حماسة البحترى ٣٦٧ وحده برواية أخرى هى :
وإن لسان المرء مفتاح قلبه   إذا هو أبدى ما يجن من الفم
وقد نسبه لصالح بن عبد القدوس ، هذا وانظر التعليق السابق على البيتين بعده فى ص ٥٦ .

(٢) الألد : الخصم الذى لايحيد عن خصومته أورأيه ، والهدى : العروس . والطغام : الأوغاد أو الحمق وانظر الأبيات فى جامع بيان العلم ٢/١٦٨ .

وقال عبد الملك : اللحنُ هُجنة بالشريف .

قال ابن شُبرمة : إذا سرّك أن تعظُمَ فى عين من كنتَ فى عينه صغيراً ، ويصغر فى عينك من كان فيها كبيرًا فتعلّم العربية ، فإنها تُجَرِّيك[١] وتدنيك من السّلطان.

قال الشاعر :

النَّحْوُ يُصْلِحُ مِنْ لِسَانِ الأَلْكَن ... والمَرْءُ تُكْرِمُهُ إِذَا لَمْ يَلْحَنِ
والنَّحْوُ مِثْلُ المِلْحِ إنْ أَلْقَيْتَهُ ... فِى كلِّ ضِدٍّ مِنْ طَعَامِكَ يَحْسُنِ
وإذا طَلَبْتَ مِنَ العُلُومِ أَجَلَّهَا ... فَأَجَلُّهَا مِنْهَا مُقِيمُ الأَلْسُنِ[٢]

رأى أبو الأسود الدُّؤَلِى أعدالا[٣] للتجار مكتوبًا عليها : لأبو فلان !! فقال : سبحان الله ! يلحنون ويربحون .

قال رجل للحسن البصرىّ : يا أبو سعيد ! فقال : كَسْبُ الدَّوانيق شَغَلَكَ أن تقول : يا أبا سعيد .

مر خالدُ بنُ صَفْوَانٍ بقوم من الموالى يتكلّمون فى العربية ، فقال : لئن تكلمتم فيها لأنتم أولُ من أفسدها .

وقالوا : العربيةُ تزيدُ فى المُرُوءة .

وقالوا : من أحبّ أن يجد فى نفسه الكِبْرَ فليتعلم النحو .

---

(١) فى عيون الأخبار٢/ ١٥٧ : تجريك على المنطق ، وتدنيك ... الخ ، وانظر العبارة أيضا فى المصون لأبى أحمد العسكرى ١٤٥ .

(٢) نسبت الأبيات فى الكامل ١ /٢٤٨ ، زهر الآداب ٣/١٣٨ إلى إسحاق بن خلف البهرانى ، وورد البيت الثالث فى جامع بيان العلم١ /٥٨ منسوبا إلى أبى حاطب من غير تعيين ، وانظرها فى عيون الأخبار ١ /١٧٥، معجم الأدباء : ١/٢٦٢ ، والبيتين الأول والثالث فى التمثيل والمحاضرة ١٦١ من غير نسبة .

(٣) العدل: نصف حمل الدابة .

وقال أبو شِمْر(١) : قارئ النحوَ إذا دخله الـكبر استفاد السخط من الله ، والمقت من الناس .

وقال الخليلُ يوماً : لا يصلُ أحد من النحو إلى ما يحتاج إليه ، إلاّ بما لا يحتاج إليه ، فقد صار إذًا ما لا يُحتاجُ إليه يُحتَاجُ إليه .

وروى عنه فى هذا الخبر ، أنه قال : من لم يصل إلى ما يَحْتَاجُ إليه إلا بما لا يُحتاجُ إليه ، فقد صار محتاجاً إلى ما لا يَحْتَاجُ إليه .

وروى أن هذه القصة ، عَرَضَتْ للخليل مع أبى الهُذَيْل(٢) وروى أنها عرضت لأبى عُبَيْدَةَ مع النَّظَّام(٣) ، والذى تقدّم أصحُّ إن شاء الله تعالى .

وقال المأمونى(٤) :

سَأَتْرُكُ النَّحْوَ لِأَصْحَابِهِ ... وأَصْرِفُ الْهِمَّةَ فى الصَّيْدِ
إنَّ ذَوِى النَّحْوِ لَهُمْ هِمَّةٌ ... مَوْسُومَةٌ بِالْمَكْرِ وَالْكَيْدِ
يضربُ عبدُ الله زَيْدًا وَمَا ... يُرِيدُ عبدُ اللهِ من زَيْدِ

---

(١) الضبعى البصرى ، من ثقات رجال الحديث ، ترجمته فى تهذيب التهذيب ١٢/١٢٦ .

(٢) محمد بن الهذيل بن عبد الله بن مكحول العبدى ، أبو الهذيل العلاف ، من أئمة المعتزلة ، ترجمته فى تاريخ بغداد ٣/٢٦٦ ، وفيات الأعيان ١/٤٨٠ .

(٣) إبراهيم بن سيار بن هانئ البصرى ، أبو إسحاق النظام من أئمة المعتزلة ، ترجمته فى تاريخ بغداد ٦/٩٧ ، اللباب ٣/٢٣٠ .

(٤) عبد السلام بن الحسين المأمونى ، شاعر رقيق يتصل نسبه بالمأمون العباسى ، توفى سنة ٣٨٣ هـ ، انظر فوات الوفيات ١/٢٧٣ ، يتيمة الدهر ٤/١٦٩ ، وانظر الأبيات فى العقد الفريد ٢/٢٨٢ منسوبة إلى بعض الوراقين ، وقد ورد فيه البيت الأول :

رأيت ياحامل فى الصيد ... أرانباً تؤخذ بالأيدى

كتب غسَّانُ بن رفيع — المعروف بدَمَاذ[1] — إلى أبي عثمان النحوى المازنى :

تَفـكَّرْتُ فى النَّحْوِ حَتَّى مَلِلـــتُ وَأَتْعبْتُ نَفْسِى [به] وَالبَدَنْ
فَـكُنْتُ بِظَاهِـــرِهِ عَالِمًا وَكُنْتُ بِبَاطِنِــهِ[2] ذَا فَطِنْ
خَلَا أَنَّ بَابًا عَلَيْـــهِ العَفَا ءُ لِلْفَاءِ يَا لَيْتَــــهُ لَمْ يَكُنْ
وَلِلْوَاوِ بَابٌ إِذَا جِئْتَـــهُ[3] مِنَ الْمَقْتِ أَحْسَبُهُ قَدْ لُعِنْ
إِذَا قُلْتُ هَاتُوا لِمَاذَا يُقَا لُ : لَسْتُ بِآتِيــكَ أَوْ تَأْتِيَنْ
أَجِيبُوا لِمَا قِيلَ هٰذَا كَذَا عَلَى النَّصْبِ ؟ قَالُوا : بإِضْمَارِ أَنْ

وروينا عن أبي حاتم السِّجستانى رحمه الله قيل : إنها له . والله أعلم .

وقال آخر[4] :

إِنَّمَا النَّحْوُ قِيَـــاسٌ يُتَّبَعْ وَبِهِ فى كُلِّ عِلْمٍ يُنْتَفَعْ
فَإِذَا مَا أَبْصَرَ النَّحْوَ الفَتَى مَرَّ فى الْمَنْطِقِ مَرًّا وَاتَّسَعْ
وَاتَّقَاه كُلُّ مَنْ جَالَسَهُ مِنْ جَلِيسٍ نَاطِقٍ أَوْ مُسْتَمِعْ
وَإِذَا لَمْ يُبْصِرِ النَّحْوَ الفَتَى هَابَ أَنْ يَنْطِقَ جُبْنًا وَانْقَمَعْ
يَقْرَأُ الْقُرْآنَ لَا يَعْرِفُ ما فَعَلَ الإِعْرَابُ فِيهِ وَصَنَعْ

---

(١) م : حسان ، وقد ورد اسمه هكذا فى بقية الأصول كما ورد فى عيون الأخبار ، والصحيح أنه يدعى رفيع بن سلمة أبو غسان ، انظر أمالى القالى ٢/١٨٦ ، العقد الفريد ٢/٤٨٩ .

(٢) فى ا : بظاهره .

(٣) فى ب : إلى جنبه ، وكذلك فى عيون الأخبار والعقد الفريد .

(٤) قائلها الكسائى ، انظر ترجمته والأبيات فى معجم الأدباء ١٣/١٩١ .

يَخْفِضُ الصَّوْتَ إذَا يَقْرَؤُهُ وَهْوَ لَا عِلْمَ لَهُ فِيما اُتُّبِعْ
وَالَّذِى يَقْرَؤُهُ عِلْمـــاً بِهِ إنْ عَرَاهُ الشَّكُّ فى الْحَرْفِ رَجَعْ
نَاظِراً فِيـــهِ وفى إعرابِهِ فإِذَا مَا عَرَفَ الْحَقَّ صَدَعْ
أَهُمَا فِيـــهِ سَوَاءٌ عِنْدَكُمْ لَيْسَتِ السُّنَّةُ فِينَا كالْبِدَعْ
وَكَذَاكَ الْجَهْلُ وَالْعِلْمُ فَخُذْ مِنْهُ مَا شِئْتَ وَمَا شِئْتَ فَدَعْ

كان أبو مسلم مؤدب عبد الملك بن مروان ، قد نظر فى النحو ، فلما أحدث الناس التصريف لم يحسنه ، وهجا أصحابه فقال :

قد كانَ أَخْذُهُمُ فى النَّحْوِ يُعْجِبُنِى حَتَّى تَعَاطَوْا كَلَامَ الزَّنْجِ وَالرُّومِ
لَمَّا سَمِعْتُ كلَاماً لَسْتُ أَعْرِفُهُ كأَنَّهُ زَجَـــلُ الغِرْبَانِ وَالْبُومِ
تَرَكْتُ نَحْوَهُمُ وَاللهُ يَعْصِمنِى مِنَ التَّقَحُّمِ فى تِلْكَ الجَرَاثِيمِ (١)

وقال عَمَّارُ الْكَلْبِىّ :

مَاذَا لَقِيتُ مِنَ الْمُسْتَعْرِبِينَ وَمِنْ قِيَاسِ نَحْوِهِمُ هٰذَا الَّذِى ابْتَدَعوا
إنْ قُلْتُ قَافِيَةً بِكْراً يَـكُونُ لهَا مَعْنًى يُخَالِفُ مَا قَاسُوا وَمَا صَنَعُوا
قَالُوا لَحَنْتَ فَهٰذَا الْحَرْفُ مُنْخَفِضٌ وَذَاكَ نَصْبٌ وَهٰذَا لَيْسَ يَرْتَفِعُ
وَحَرَّشُوا بَيْنَ عَبْدِ اللهِ فَاجْتَهَدُوا وَبَيْنَ زَيْدٍ وَطَالَ الضَّرْبُ وَالْوَجَعُ
فَقُلْتُ وَاحِدَةً فِيهَا جَوَابُهُمُ وَكَثْرَةُ الْقَوْلِ بالإِيجَازِ تَنْقَطِعُ

---

(١) البيتان الأول والثانى فى معجم الأدباء ١٣/١٩٣، ١٩٤ وقد ورد الشطر الأول من الثانى فيه : بعفعل فعل لاطاب من كلم .

مَا كُلُّ قَوْلِيَ مَشْرُوحٌ لَكُمْ فَخُذُوا ... مَا تَعْرِفُونَ وَمَا لَمْ تَعْرِفُوا فَدَعُوا

حَتَّى أَعُودَ إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ غُذُوا ... بِمَا غُذِيتُ بِهِ وَالْقَوْلُ يَتَّسِعُ

فَتَعْرِفُوا مِنْهُ مَعْنَى مَا أَفُوهُ بِهِ ... كَأَنَّنِي وَهُمُ فِي قَوْلِهِ شَرَعُ[1]

كَمْ بَيْنَ قَوْمٍ قَدِ احْتَالُوا لِمَنْطِقِهِمْ ... وَبَيْنَ قَوْمٍ عَلَى الإِعْرَابِ قَدْ طُبِعُوا

وَبَيْنَ قَوْمٍ رَأَوْا أَشْيَا مُعَايَنَةً ... وَبَيْنَ قَومٍ حَكَوْا بَعْضَ الَّذِي سَمِعُوا

إِنِّي رُبِيتُ بِأَرْضٍ لَا يُشَبُّ بِهَا ... نَارُ الْمَجُوسِ وَلَا تُبْنَى بِهَا الْبِيَعُ

وَلَا يَطَا الْقِرْدُ وَالْخِنْزِيرُ تُرْبَتَهَا ... لَكِنْ بِهَا الرِّيمُ وَالرِّئْبَالُ وَالضَّبُعُ[2]

وقال أبو هفان[3] :

إِذَا مَا شِئْتَ أَنْ تَحْظَى ... وَأَنْ تَلْبَسَ قُوهِيَّا[4]

وَأَنْ تُصْبِحَ ذَا مَالٍ ... فَكُنْ عِلْجًا نَبِيطِيًّا[5]

وَإِنْ سَرَّكَ أَنْ تَشْقَى ... وَأَنْ تُصْبِحَ مُقْلِيًّا

فَكُنْ ذَا نَسَبٍ ضَخْمٍ ... وَكُنْ مَعْ ذَاكَ نَحْوِيًّا

---

(١) شرع : سواء .

(٢) انظر الأبيات في معجم الأدباء ١١/ ٢٢٨ ، أوردها الأخفش رواية عن أحد الأعراب .

(٣) أبو هفان عبد الله بن أحمد بن حرب المهزمي، كان شاعراً عالما راوية، من أهل البصرة ، وسكن بغداد. قال السيوطي في بغية الرواة ، كان مقترا ضيق الحال ، يلبس مالا يكاد يستر جسده . توفي سنة ٢٥٧ هـ. انظر اللباب ٣/١٩٤ ، تاريخ بغداد ٩/٣٧٠ .

(٤) القوهي : الثوب الأبيض.

(٥) العلج : الرجل من كفار العجم، والنبيط والنبط والأنباط: جيل من الفرس ، كانوا ينزلون بالبطائح بين العراقين كانوا يستنبطون الماء [illegible] لاستعمالها في الزراعة.

بابُ اختِلاَفِ عِبارَتِهِمْ عَن البلاغة

قال الْمُفَضَّلُ الضَّبِّيُّ لأعرابي : ما البلاغة ؟ قال : الإيجازُ فى غير عجز ، والإطناب فى غير خَطَل .

وقيل للأحنف : ما البلاغة ؟ قال : الإيجازُ فى استحكام الحجج ؛ والوقوفُ عند ما يُكتفى به .

وقال خالدُ بن صَفْوان لرجل كثر كلامه : إنَّ البلاغة ليست بكثرة الكلام ، ولا بخفَّة اللسان ، ولا كثرة الهَذَيَان . ولكنها إصابة المعنى والقصد إلى الحجة .

وقيل لأعرابى : ما البلاغة ؟ فقال : لمحة دالّة .

وقيل لِبِشْر بن مالك : ما البلاغة ؟ قال : التقرُّب من المعنى ، والتباعدُ عن حَشْو الكلام ، ودلالةٌ بقليل على كثير .

سئل عُبيد الله بن عبد الله بن عتبة : ما البلاغة ؟ فقال : القصدُ إلى عين الحجة بتقليل اللفظ .

وقال غيره : البلاغة معرفة الفَصْل من الوصل ، وفرق ما بين الْمُشْتَرك والْمُفرد وفصلُ ما بين المقيّد والْمُطْلق ، وما يحتمل التأويل ويستغنى عن الدليل .

وقيل لبعض اليونانية : ما البلاغة ؟ قال : تصحيح الأقسام ، واختيار الكلام .

وقيل لرجل من الرّوم : ما البلاغة ؟ قال: حسنُ الاقتصاد عند البديهة ،والغزارةُ يوم الإطالة .

وقيل لرجل : ما البلاغة ؟ فقال : حسنُ الإشارة ، وإيضاحُ الدلالة ، والبَصَرُ بالحجة ، وانتهازُ مواضع الفرصة .

وسأل معاوية بن أبي سفيان صُحَارًا العبدىّ ؟ ما البلاغة عندكم ؟ ، قال : الإيجاز . قال : ما الإيجاز ؟ قال : أن تقول فلا تخطئ ، وتسرع فلا تبطئ . فقال معاوية . وكذلك تقول ؟! قال : أقلنى يا أمير المؤمنين . أنت لا تخطئ ولا تبطئ .

وقد روى مثل هذا المعنى للحَجّاج مع ابن القَبَعْثَرَى . فالله أعلم .

وقالوا : أبلغُ النّاس أحسنُهم بديهة ، وأمثلُهم لفظاً .

قال خالد بن صفوان : خيرُ الكلام ما ظَرُفَتْ معَانيه ، وشَرُفَتْ مبَانِيه ، والتذَّت به آذان سامعيه .

بابُ مَنْ خَطَبَ فَأُرْتِجَ[1] عليه

قال الحرُّ بن جابر ، وكان أحد حكماء العرب — فيما أوصى به ابْنَه : وإياكَ والخُطَبَ فإنّها مِشْوَارٌ كثير العِثَار .

صعد عثمان بن عفَّان رضى الله عنه على المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ثم أُرْتِج عليه ، فقال: أمّا بعد ، فإنَّ أولَ كُـلَّ مركبٍ صعب ، وما كنا خطباء ، وسيعلم الله ، وإن امرأً ليس بينه وبين آدم أب[2] حيٌّ لموعوظ .

ويروى أن عثمان بن عفَّان رضى الله عنه صعد المنبر فأرتج عليه . فقال : إنّ أبا بكر وعمر كانا يُعِدّان لهذا المقام مقالا ، وأنتم إلى إمام فعّال أحوج منكم إلى إمام قوّال .

وروى فى هذا الخبر : أنتم إلى إمام عادل أحوج منكم إلى إمام قائل .

وروى أنّ عثمان لمّا بويع ، قام فحمد اللهَ وأثنى عليه ثم أُرتج عليه،فقال : وَلِينا كم وعَدَلْنا فيكم ، وعدلُنا عليكم خيرٌ من خطبتنا فيكم،فإن أعِشْ يأتكم الكلام على وجْهه .

وروى أنّ عبد الرحمن بن جابر بن الوليد ، خطب الناس على منبر حمص فأُرتج عليه ، فقال : يأهل حمص ! أنتم إلى إمام عادل أحوج منكم إلى إمام خطيب مصقع[3] ، ثم نزل .

وأُرتج يوماً على عبد الملك بن مروان ، فقال : نحنُ إلى الفضل فى الرأى ،أحوجَ منا إلى الفضل فى المنطق .

---

(١) أى استغلق عليه الكلام . (٢) ساقط من ا ، ب .

(٣) الخطيب المصقع : البليغ ، أو العالى الصوت ، أو الذى لا يرتج عليه فى كلامه .

وأُرْتِجَ على معن بن زائدة ، وهو على المنبر ، فضرب بيده ثم قال : فتى حرب لا فتى منابر .

صعد عبدالله بن عامر منبر البصرة ، فحُصِر ، فشقّ ذلك عليه ، فقال له زياد : أيّها الأمير ! إنك إن أقمتَ عامّةَ من ترى أصابهم أكثر مما أصابك .

صعد عليّ بن أرطاة المنبر ، فقال : الحمد لله الذى يطعم هؤلاء ويسقيهم .

أُرْتِجَ على خالد بن عبدالله القَسْرىّ على منبر الكوفة ، فقال : إن هذا الكلام يجىء أحيانًا ويَعزُبُ أحيانا ، ويَسْهُل عند مجيئه ، ويَعْسُر عند عُزوبه طلبه ، وربما طُلب[١] فأبى ، وكُوبِر فعصى[٢] ، فالتأنّى لمجيئه أيسر من التعاطى لأبيّه وهو يخلِج[٣] من الجرىء جنانه ، وينقطع من الذّرب لسانه ، فلا ينظره القول إذا اتسع[٤] ، ولا يكسره النطق إذا امتنع ، وسأعود فأقول إن شاء الله .

خطب رجل من الأزد أقامه زيادٌ للخطبة على منبر البصرة ، فلما رقى المنبر ، وقال الحمد لله ، أُرْتِجَ عليه ، فقال : قد والله هممتُ ألاّ أحضر اليوم ، فقالت لى امرأتى : نشدتك الله إن تركت الجمعةَ وفَضْلَها ، فأطعتها ، فوقفتُ هذا الموقف ، فاشهدوا أنها طالق . فقالوا له : انزل قبحك الله . وأُنزل إنزالا عنيفًا . وقد قيل : إن هذه القصة لوازع اليشكرى ، وفى ذلك قال الشاعر :

وما ضَرَّنِى أَلاَّ أَقُومَ بِخُطْبَةٍ ... وَمَا رَغْبَتِى فِى مِثْلِ مَاقَالَ وَازِعُ[٥]

---

(١) فى ا : طلبه ، وما أثبتناه موافق لما فى عيون الأخبار ١/٢٥٧ .

(٢) فى العيون : فعسا ، ومعناها : عسر وشق .

(٣) فى عيون الأخبار ١/٢٥٧ : وقد يختلط .

(٤) وفيها أيضاً بدل هذا : فلا يبطره ذلك ولايكسره .

(٥) البيان والتبيين ٢/٢٨٠ ، وفيه : ومارغبتى فى ذا الذى قال وازع .

وذكر القَهْرَمىّ عن أبيه قال : قام القُلاَخُ بن حَزْن[1] يوم عيد خطيباً ، فقال : الحمد لله الذى خلق السّموات والأرض فى ستّة أشهر . فقيل له : إنّما خلقها فى ستة أيام فقال : أقيلونى ، فوالله لقد ظننتُ أنّى أقللتُ ، وكنت أريدُ أن أقول فى ستّ سنين .

صعد رَوْحُ بنُ حاتم المنبر ، فلما رآهم قد فتحوا أسماعَهم وشقّوا أبصارهم ، قال : نكّسوا رُءوسَكم ، وغُضّوا أبصارَكم ، فإنّ أول كلّ مركب صعب ، وإذا يسّر الله فتح قفل يُسِّر .

خطب مُصْعَبُ بن حيّان خطبة نكاحٍ فحصر ، فقال : لقّنُوا موتاكم شهادةَ ألاّ إلهَ إلا الله ، فقالت أمّ الجارية : عجّلَ اللهُ موتك ، ألهذا دعوناك ؟!

قيل لرجل من الوجوه : قم فاصعدْ المنبر فتكلم ، فقام . فلمّا صعد المنبر حُصر ، فقال : الحمد لله الذى يرزق هؤلاء . وبقى ساكتاً فأنزلوه وأصعدوا آخر ، فلما استوى قائماً وقابل وجوه الناسِ بوجهه ، وقعت عَيْنُه على رجلٍ أصلع وحُصر ، فقال : اللّهم العن هذه الصّلعة .

صعد عتّابُ بنُ ورقاء منبر أصبهان فحصر ، فقال : والله لا أجمع عليكم عيًّا وبخلا ، ادخلوا سوقَ الغنم فمن أخذ شاة فهى له وثمنها علىّ . وقد روى أن هذا إنما عرض لعبد الله بن عامر على منبر البصرة ، وأن عتّاب بن ورقاء هو الذى قام على المنبر فحمد الله ثم أرتج عليه ، فجعل يقول : أمّا بعد أمّا بعد ... ، وقبالة وجهه شيخ أصلع

---

(١) فى الأصل الملاح ، وما أثبتناه هو الصحيح فهو القلاخ بن حزن السعدى أبو خراش ، من شعراء بنى أمية. انظر مشتبه النسبة للذهبى ٢/٥١٣ .

فقال : أمّا بعدُ يا أصلع ، فوالله ما غلّطني غيرُكَ ، عليَّ به ، فأُتي به فضربه أسواطًا .

وصعد آخر المنبر فقال : إن الله لا يرضى لعباده المعاصي ، وقد أهلك أمة من الأمم بعقرهم ناقةً لا تساوي مائتين وخمسين درهما ، فسمّي مُقَوِّم الناقة .

وهذا هو عبدالله بن أبي ثور عامل ابن الزبير على المدينة .

ذكر عمرو بن شبة ، حدثنا الحسين بن عثمان عن بعض علماء المدينة ، قال: ثم عزَل ابنُ الزّبير عبيدة بنَ الزبير ، واستعمل عبدَ الله بن أبي ثَوْرٍ حليف بني عبد مناف ، فلقَّبه أهلُ المدينة مُقوّم ناقة الله ، وغلتِ الأسعارُ فتشاءَمُوا به ، فعزَله ابن الزبير .

صعد أعرابيٌّ المنبر فقال : أقولُ لكم ما قال العبد الصّالح : ﴿مَا أُريكم إلاّ مَا أَرَى وما أَهْدِيكم إلاَّ سَبيلَ الرَّشادِ﴾[1] ، فقالوا له : هذا فرعونُ . فقال : قد والله أحْسَنَ القول .

قال بُزُرْجُمِهر : هيبةُ الزَّلل تورث حَصْرًا ، وهيبةُ العاقِبة تورث جُبْنًا .

---

(١) سورة غافر الآية ٢٩ .

بابُ حَمْدِ الصَّمْت وذَمِّ المنطِق

قال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : « مَنْ صَمَتَ نَجَا » .

ورُوينا عن عُقبةَ بنِ عامرٍ ، أنه قال : يا رسول الله ! فيم النّجاة ؟ فقال : « يا عقبة ! أمسك عليك لسانَك ، ولْيَسَعْكَ بيتُك ، وابكِ على خطيئتِك » .

وروى أنه من كلام لقمان والله أعلم .

وقال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : « من كان يؤمنُ بالله واليوم الآخر فَلْيَقل خيراً أو ليَصْمُت » .

وقال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : « ويلٌ لمن يحدِّثُ الناسَ فيكذِبُ ليضحكَهم ، ويلٌ له ، ثم ويلٌ له » .

وعن عيسى عليه السلام ، أنه قال : لا تُكثِرُوا الكلامَ بغير ذكر الله فتَقْسُوا قلوبكم .

وبَلَغَنا أنَّ داودَ عليه السلام لَقِيَ لقمانَ بعد ما كَبِرَتْ سنُّه ، فقال : ما بقى من عقلك ؟ فقال : لا أنطقُ فيما لا يعنيني ، ولا أتكلَّفُ ما كُفيته .

وقال ابن مسعود : أنذركم فضولَ الكلام .

وعن ابن مسعود وسَلْمَانَ الفارسْى ، قالا : أكثرُ النّاس وقوفاً يوم القيامة أكثرهم خوضاً فى الباطل .

وعن عَطَاء : فضولُ الكلام ما عدا تلاوةَ القرآن ، والقولَ بالسنة عند الحاجة ، والأمرَ بالمعروف ، والنهىَ عن المنكر ، وأن تَنْطِقَ فى أمرٍ لا بدَّ لك منه فى معيشتك ،

أَمَا يَسْتحيي أحدُكم أن لو نُشِرَتْ عليه صحيفتُه التي أملاها صَدْر نهاره أن يرى أكثر ما فيها ليس من أمر دينه ولا دُنياه ، ثم تلا : ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ . كِرَاماً كَاتِبِينَ(١) ﴾ و ﴿ عَنِ اليَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ، مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيد(٢) ﴾ .

وعنه عليه السلام أنه قال : « البرُّ ثلاثةٌ : المنطقُ والنظرُ والصَّمت ، فمن كان منطقُه في غير ذكر فقد لغَا ، ومن كان نظرُه في غير اعتبارٍ فقد سهَا ، ومن كان صمتُه في غير تفكّر فقد لهَا » .

قال بعضُ الشعراء :

لَسْتُ مِمَّنْ لَيسَ يَدْرِي مَا هَوَانٌ مِنْ كَرَامَهْ
إنَّ للنُّصْحِ وَلِلْغِشِّ عَلَى العَيْنِ عَلامهْ
لَيْسَ يَخْفَى الحبُّ والبُغْضُ وإنْ رُمْتَ اكْتِتَامهْ
لَيْسَ فِي أَخْذِكَ بالفَضْلِ وبالحِلْمِ نَدَامهْ
وجَوَاب الجَاهِلِ الصَّمْتُ وفِي الصَّمْتِ سَلَامهْ

وعن الأصمعيّ قال ، قال أعرابيّ : السّكوتُ صيانةٌ للّسان وسترٌ للعيّ .

وقال أعرابيّ في رجل رماه بالعِيّ : رأيت عثراتِ النّاس في أرجلهم ، وعثرةَ فلان بين فكّيْه .

---

(١) سورة الانفطار الآيتان ١٠ ، ١١ .
(٢) سورة ق : الآيتان ١٧ ، ١٨ .

قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : « إن الرَّجل ليتكلمُ بالكلمة من سُخْطِ الله ما يظن أنها تبلغ ما بلغت ، يكتب الله له بها سُخْطه إلى يوم القيامة[١] » .

وروى عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم أنه قال : « إن الله يكرهُ لكم قيلَ وقالَ ، وكثرةَ السُّؤال ، وإضاعةَ المال » .

وذكر الأصمعيّ قال ، قال أعرابيٌّ : الكلمة أسيرةٌ في وَثَاق الرَّجل ، فإذا تكلّم بها كان أسيراً في وَثاقِها .

قيل لبكرِ بنِ عبدِاللهِ المُزَنِيّ : إنك تطيل الصمت ؟ فقال : إنّ لسانى سبعٌ ، إن تركته أكلني .

وأنشد الخُشَنيّ :

لِسَانُ الفَتَى سَبْعٌ عَلَيْهِ مُرَاقِبٌ ... فإنْ لَمْ يَزَعْ مِنْ غَرْبِهِ فَهْوَ آكِلُهْ[٢]

وقال الراجز :

القَوْلُ لاَ تَمْلِكُهُ إذَا نَمَا ... كالسَّهْمِ لاَ يَرْجِعُهُ رَامٍ رَمَا

وقال آخر :

فدَاوَيْتُهُ بِالحِلْمِ والمَرْءُ قَادِرٌ ... عَلَى سَهْمِهِ مَا دَامَ فِي كَفِّهِ السَّهْمُ[٣]

قال هُبَيرة بن أبى وَهْب :

---

(١) راجع أول الحديث فى ص ٥٤ .

(٢) البيت لبكر بن عبد الله المزنى ، كما فى لباب الآداب ٢٧٥ ، وفيه : شذاته بدل مراقب ، والشذاة الجرأة والحدة ، ويزع : يكف . والغرب : الحدة والسفه .

(٣) البيان ٣/١٩٧ بغير نسبة ، وقد نسبت فى حماسة البحترى ٣٨٢ لمعن بن أوس المزنى ، ووردت الشطرة الأولى فيه : فبادرت منه النأى والمرء قادر . ويقال فلان يرأب النأى أى يصلح الفساد ، والحلم ، وفى العقد الفريد ٢/٢٧٦ .

وإنَّ مَقالَ المَرْءِ في غَيرِ كُنْهِهِ لَكالنَّبلِ تهْوِي لَيْسَ فِيهَا نِصالُها[١]

قال أبو العتاهية :

مَنْ لَزِمَ الصَّمْتَ نَجا مَنْ قَالَ بالخَــيْرَ غَنِمْ[٢]

اجتمع أربعة حكماء ، فقال أحدهم : أنا على ردِّ ما لم أقلْ ، أقدر منى على ردّ ما قلت ، وقال الآخر : لأن أندم على ما لم أقل ، أحبّ إلىّ من أن أندم على ماقلت، وقال الثالث : إذا تكلمت بالكلمة ملكتنى ، فاذا لم أتكلم بها ملكتها ، وقال الرابع : عجبت ممن يتكلم بالكلمة ، إن ذكرت عنه ضرته ؛ وإن لم تذكر عنه لم تنفعْه .

قال طَرَفَةُ بن العبد :

وإنَّ لِسانَ المَرْءِ ما لَمْ تكُنْ لَهُ حَصَاةٌ عَلَى عَوْرَاتِهِ لَدَلِيلُ[٣]

وقال منصور الفقيه :

عَلَيْكَ السُّكُوت فإنْ لم يكُن مِنَ القَوْلِ بُدٌّ فَقُلْ أَحْسَنَهْ
فَرُبَّمَا فَارَقَتْ بالَّذِي تقولُ أَمَاكِنَهَا الأَلْسِنَهْ

وقال آخر :

أيُّهَا المَرْءُ لاَ تَقُولَنَّ قَوْلاً لَسْتَ تَدْرِي مَاذَا يَجِيئُكَ مِنْهُ
واخْزِنِ القَوْلَ؛إنّ فى الصَّمْتِ حُكْماً وإذَا أَنتَ قُلتَ قَوْلاً فَزِنْهُ

---

(١) البيان ٣/١٩٧ ، الأمالى ١/٧٢ ، حماسة البحترى ٣٦٨ .

(٢) ديوانه ٢٤٣ ، جامع بيان العلم ١/١٣٩ .

(٣) ديوانه ٧٦ ، الشعر والشعراء ١٤٧ ، مجموعة المعانى ٧٠ ، حماسة أبى تمام ٢/٧٤ ، والحصاة : الرأى والعقل .

وإذا النَّاسُ أكْثَرُوا فى حَديثٍ ... لَيْسَ مِمَّا يَزِينُهُمْ فَالْهُ عَنْهُ[١]

وقال أُحَيْحَةُ بنُ الجُلَاحِ[٢] :

الصَّمْتُ أَكْرَمُ بالفتى ... مَا لَمْ يَكُنْ عِيٌّ يَشِينُهْ

والقوْلُ ذُو خَطَلٍ إِذَا ... مَا لَمْ يَكُنْ لُبٌّ يُعِينُهْ

قال ابن مِقْسَم ، سمعت جَحْظة يقول : سمعت المأمونَ يقول : السَّخَافَةَ كثْرةُ الـكلام ، وصُحْبة الأنذال .

أنشد ابن المبارك[٣] أخًا له كان يصحبه :

واغْتَنِمْ رَكْعَتَيْنِ زُلْفَى إِلَى اللّـ ... ـهِ إِذَا كُنْتَ فَارِغًا مُسْتَرِيحَا

وإِذَا مَا هَمَمْتَ بِالْمَنْطِقِ البَا ... طِلِ فَاجْعَلْ مَـكَانَهُ تَسْبِيحَا

إِنَّ بَعْضَ السُّكُوتِ خَيْرٌ مِنَ النُّطْ ... قِ وإِنْ كُنْتَ بِالـكَلَامِ فَصِيحَا

وقال أبو العتاهية[٤] :

أَلَا إِنَّ بَعْدَ الذُّخْرِ ذُخْرًا تُنِيلُهُ ... وَشَرُّ كَلَامِ القَائِلِينَ فُضُولُهُ

عَلَيْكَ بِمَا يَعْنِيكَ مِنْ كُلِّ مَاتَرَى ... وبِالصَّمْتِ إِلَّا عَنْ جَمِيلٍ تَقُولُهُ

---

(١) الأبيات لعبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب ، المتوفى سنة ١٢٩ هـ ، انظر البيان والتبيين ١/٢٧٤ ، لباب الآداب ٢٧٧ .

(٢) ابن الحريش الأوسى ، شاعر جاهلى من دهاة العرب وشجعانهم ، كان سيد الأوس فى الجاهلية ،مات قبل الهجرة بنحو ١٣٠ سنة . انظر الأغانى ١٣/١١٥ ، خزانة الأدب ٢/٢٣،وانظر البيتين فى البيان ١/٢٠، وفيه : أحسن بالفتى ، لباب الآداب ٢٧٧ وفيه : أجمل ...

(٣) عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلى ، شيخ الإسلام ، جمع المعرفة بالحديث والفقه والعربية وأيام الناس توفى سنة ١٨١ هـ . انظر شذرات الذهب ١/٢٩٥ ، تاريخ بغداد ١٠/١٥٢ .

(٤) ديوانه ٢٣١ ، ورواية الشطر الأول فيه : ألا إن أبقى الذخر خير تنيله .

وله :

وحَسْبُكَ مِمَّنْ إنْ نَوَى الخيْرَ قَالَهُ ۝ وإنْ قَالَ خَيْرًا لَمْ يُكَذِّبْهُ فِعلُهُ[١]

كان يقال : العافيةُ عشرةُ أجزاء ، تسعةٌ منها فى الصمت ، وجزء فى الهرب من النّاس .

كان يقال: من طَوَّل صَمْتَه، اجْتَلَب من الهيبةِما ينفعه،ومن الوَحْشة مالاَ يَضرّه .

وقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : « إن من شِرَارِ النَّاسِ الذين يُكْرَمُون اتّقاءَ ألسنتهم » .

وقال الشاعر :

صَمَتُّ عَلَى أَشْيَاءَ لَوْ شِئْتُ قُلْتُهَا ۝ وَلَوْ قُلْتُهَا لَمْ أُبْقِ للصُّلْحِ مَوْضِعا[٢]

وقال منصور الفقيه :

خَرِسٌ إذَا سَأَلُوا وإنْ ۝ قَالُوا : عَـيِيٌّ أَو جَبَانُ
فالعِيُّ لَيْسَ بِقَاتِلِ ۝ وَلرُبَّمَا قَتَلَ اللِّسَانُ

كان يقال : اخزن لسانك كما تخزن مالك .

قال امرُؤُ القَيْس[٣] :

إِذَا المَرْءُ لَمْ يَخْزُنْ عَلَيْهِ لِسَانَهُ ۝ فلَيْسَ عَلَى شَىْءٍ سِوَاهُ بِخَزَّانِ

---

(١) ديوانه ٢٣٦ .

(٢) وفيات الاعيان ٥/١٣٣ ، وفيه : وأغضى على ...

(٣) ديوانه ١١٤ ، الشعر والشعراء ٥٩ ، فصل المقال ٢١ ، الكامل ٢/١٥ ، حماسة البحترى ٢٢٤ .

وقال آخر :

لَعَمْرُكَ إنَّ صَمْتَكَ أَلْفَ عَامٍ ... لأَصْلَحُ مِنْ كَلامِكَ بِالْفُضُولِ
فَأَمْسِكْ أَوْ تَرَى لِلْقَوْلِ وَجْهًا ... يَبِينُ صَوَابُهُ لِذَوِى الْعُقُولِ

روينا أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه ، أخذ يوماً بطرف لسانه وقال : ها إنّ ذا[١] أوردنى الموارد .

وقال ابن مسعود رحمه الله : إن كان الشُّؤم فى اللّسان، ووالله ما على وجه الأرض شئ أحقّ بطول سجن من اللّسان .

أخذه الشاعر[٢] فقال :

وَمَا شَيْءٌ إذَا فَكَّرْتَ فِيهِ ... أَحَقُّ بِطُولِ سَجْنٍ مِنْ لِسَانِ

كان يقال : اللّسانُ سَبع عقور .

قال الشاعر :

رَأَيْتُ اللِّسَانَ عَلَى أَهْلِهِ ... إذَا سَاسَهُ الْجَهْلُ لَيْثًا مُغِيرًا[٣]

قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : «وهل يَكُبُّ النَّاسَ فى النَّار على وجوههم إلاّ حصائدُ ألسنتهم » .

قال الله عزّ وجل : ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ[٤]﴾ ، وقال :

---

(١) ب : هذا .
(٢) هو الحسين بن محمد التجيبى القرطبى المتوفى سنة ٤٥٦ هـ ، انظر معجم الأدباء ١٠/١٥٩ .
(٣) عيون الأخبار ١/٣٣٠ ، ٣/١٧٨ ، فصل المقال ٢٠ .
(٤) سورة ق آية : ١٨ .

﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ، كِرَامًا كَاتِبِينَ ، يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾[1] .

ورُوى عن النبيّ صلى الله عليه وسلم ، أنَّه قال : « إن الله عند لسانِ كلِّ قائل ، فلينظر كلُّ امرئ ما يقول » .

قال عمَّار الكلبي :

وَقُلِ الْحَقَّ وَإِلَّا فَاصْمُتَنْ ... إِنَّهُ مَنْ لَزِمَ الصَّمْتَ سَلِمْ

إِنَّ طُولَ الصَّمْتِ زَيْنٌ لِلْفَتَى ... مِنْ مَقَالٍ فِيهِ عِيٌّ وَبَكَمْ

قال النبي صلى الله عليه وسلم : « رحم اللهُ امرءاً أمسك فَضْلَ لسانه ، وبذل فضل ماله ، وعلم أن كلامه مُحْصِيٌّ عليه » .

قال الأَصْبَحِيُّ : منْ كثُر كلامُه كثرت خطاياه .

وقال أبو الدَّرْدَاء : مِنْ فقهِ الرَّجُلِ قلَّةُ كلامه فيما لا يَعْنيه .

وقال مالك بن دِينار : لو كانت الصُّحُفُ من عندنا ، لأقللنا الكلام .

قال الشاعر :

فِي نَبْوَةِ الدَّهْرِ لِي عُذْرٌ فَلَا تَلُمِ ... مَنْ أَقْعَدَتْهُ صُرُوفُ الدَّهْرِ لَمْ يَقُمِ

حَصَرٌ[2] يُقَصِّرُ بِي عَنْ كُلِّ مَرْتَبَةٍ ... وَمَا تُقَصِّرُ عَنْ نَيْلٍ لَهَا هِمَمِي

إِنْ عَابَنِي عَائِبٌ بِالصَّمْتِ قُلْتُ لَهُ ... حَبْسُ الْفَتَى نُطْقَهُ خَيْرٌ مِنَ النَّدَمِ

وقال مَعْقِرُ بنُ حِمَارٍ البارقى :

---

(١) سورة الانفطار ، الآيات : ١٠ ، ١١ ، ١٢ .

(٢) الحصر بالتحريك : العى فى المنطق .

الشِّعْرُ لُبُّ المَرْءِ يَعرِضه   وَالقَوْلُ مِثْلُ مَوَاقِعِ النَّبْلِ(١)

وقال آخر :

وَالقَوْلُ يَنفُذُ مَالاَ تَنفُذُ الإِبَرُ(٢)

لما خرج يُونُسُ عليه السلام من بطن الحوت ، أطال الصمت ، فقيل له : ألا تتكلم ؟ فقال : الكلامُ صيّرنى فى بطن الحوت .

قال عمرُ بن عبد العزيز : المحظوظُ التَّقِىّ يلجم لسانه ، أخذه الحسن بن هانىء فقال :

إِنَّمَا العَاقِلُ مَن أَلْ   جَمَ فَاهُ بِلِجَامْ
مُتْ بِدَاءِ الصَّمتِ خَيرٌ   لَكَ مِن دَاءِ الكَلامْ(٣)

سئل عمرُ بن عبد العزيز — رحمه الله — عن قتلةِ عثمان ، فقال : تلك دماء كفّ الله عنها يدى ، فأنا أكره أن أغمِسَ فيها لسانى .

وقال يزيدُ بنُ أبى حُبَيْب : المتكلم ينتظرُ اللعنة ، والمُتَصَنِّتُ ينتظر الرحمة .

ويقال : شر ما طبع الله عليه المرء ، خُلق دَنِىّ ، ولسان بَذِىّ .

وقالوا : البُذَاء من النفاق .

وقال ابن القاسم : سمعتُ مالكاً يقول : لا خير فى كثرة الكلام ، واعتبر ذلك بالنساء والصبيان . إنما هم أبداً يتكلمون ، لا يصمتون .

---

(١) الحيوان ٣/٦١، ونسب فى معجم الشعراء ٤١١ ، الأغانى ١٠/١٦٧ إلى المتوكل الليثى .

(٢) نصف بيت للأخطل ، وقد سبق فى ص ٥٩ .

(٣) ديوانه ١٩٤ ، البيان ٢/٧٩ ، ٢/١٩٩، لباب الآداب ٢٧٤ ، مع تأخير الشطر الأول وتقديم الثانى فيها جميعا ، وانظر وفيات الأعيان ٢/١٢٩ ، ١٣٠ ، مجموعة المعانى ٧٠ .

وقال الحسنُ : لسانُ العاقل من وراءِ قلبه ، فإذا أراد أن يتكلَّم فكَّر ، فإن كان له قال ، وإن كان عليه سكت ، وقلبُ الجاهِل من وراء لسانه .

قال نصر بن أحمد[1] :

لِسَانُ الْفَتَى حَتْفُ الْفَتَى حِينَ يَجْهَلُ ... وَكُلُّ امْرِىءٍ مَا بَيْنَ فَكَّيْهِ مَقْتَلُ
وَكَمْ فَاتِحٍ أَبْوَابَ شَرٍّ لِنَفْسِهِ ... إِذَا لَمْ يَكُنْ قُفْلٌ عَلَى فِيهِ مُقْفَلُ
إِذَا مَا لِسَانُ الْمَرْءِ أَكْثَرَ هَذْرَهُ ... فَذَاكَ لِسَانٌ بِالْبَلَاءِ مُوَكَّلُ
إِذَا شِئْتَ أَنْ تَحْيَا سَعِيدًا مُسَلَّمًا ... فَدَبِّرْ وَمَيِّزْ مَا تَقولُ وَتَفْعَلُ

قال صالح بن جَنَاح[2] :

أَقْلِلْ كلامك وَاسْتَعِذْ من شَرِّهِ ... إِنَّ الْبَلَاءَ بِبَعْضِهِ مَقْرُونُ
وَاحْفَظْ لِسَانَكَ وَاحْتَفِظْ مِنْ غَيِّهِ ... حَتَّى يَكُونَ كَأَنَّهُ مَسْجُونُ
وَكِّلْ فُؤَادَكَ بِاللِّسَانِ وَقُلْ لَهُ ... إِنَّ الكَلَامَ عَلَيْكُمَا مَوْزُونُ
فَزِنَاهُ وَلْيَكُ مُحْكَمًا فِي قِلَّةٍ ... إِنَّ الْبَلَاغَةَ فى الْقَلِيلِ تَكُونُ

---

(١) نصر بن أحمد الخبز أرزى البصرى، شاعر غزل ظريف ، كان يخبز خبز الأرز بمربد البصرة فى دكان، وينشد فيه أشعاره فى الغزل ، مات سنة ٣٢٧ هـ ، انظر تاريخ بغداد ١٣ /٢٩٧ ، وفيات الأعيان ٥/١٨ ، الأعلام ٨/٣٣٧ ، وانظر الأبيات من قصيدة طويلة فى تاريخ بغداد : ٢٩٧/١٣ ، ٢٩٨ جامع بيان العلم ١/١٣٨ .

(٢) اللخمى ، شاعر دمشقى من الحكماء ، أدرك التابعين ، انظر الأعلام ٣/٢٧٤ ولم يذكر فيه شيئا عن تاريخ مولده أو وفاته ، ومن الجدير بالذكر أن الأستاذ محمود شاكر ذكر فى لباب الآداب تحقيق الشيخ أحمد شاكر هامش ص ٢٨ أنه يحتمل أن يكون صالح بن جناح هو صالح بن عبد القدوس ، وأنه أخفى نفسه بهذا الاسم فى بعض الأوقات خوف الطلب ، وساق على ذلك دليلا حريا بالتقدير ، فليرجع إليه ، وانظر البيت الأول فى جامع بيان العلم ١/١٣٧ منسوبا إلى عبد الله بن طاهر .

قال اللَّاحقيُّ[١] :

اخْفِضِ الصَّوْتَ إنْ نَطَقْتَ بِلَيلٍ ... وَالْتَفِتْ بِالنَّهَارِ قَبْلَ الكَلَامِ

قال آخر :

أَرَى الصَّمتَ خَيْرًا مِنْ كلامٍ بِمأْثَمٍ ... فَكُنْ صَامِتًا تَسْلَمْ وَإنْ قُلْتَ فَاعْدِلِ
وَلَا تَكُ فى حَقِّ الإخَاءِ مُفَرِّطًا ... وإنْ أَنْتَ أَبْغَضْتَ البَغِيضَ فَأَجْمِلِ
وَلَا تَعْجَلَنْ يَوْمًا بِشَرٍّ تُرِيدُهُ ... وَإذْ مَا هَمَمْتَ الدَّهْرَ بِالْخَيْرِ فَاعْجَلِ
أَلَا إنَّ تَقْوَى اللهِ خَيْرُ مَغَبَّةٍ ... وَأَفْضَلُ زَادِ الظَّاعِنِ الْمُتَحَمِّلِ[٢]

وقال آخر :

عَوِّدْ لِسَانَكَ قَوْلَ الصِّدْقِ تَحْظَ بِهِ ... إنَّ اللِّسَانَ لِمَا عَوَّدْتَ مُعْتَادُ[٣]

وقال الحكماء : إذا تمَّ العقل نقص الكلام ، فضل العقل على المنطق حكمة ، وفضل المنطق على العقل هُجْنَة[٤] .

وقال عمرو بن العاص : زَلَّة الرِّجْل عظم يُجْبَر ، وزَلَّة اللسان لا تبقى ولا تذر .

وقال أعرابى :

عَثَرَاتُ اللِّسَانِ لَا تُسْتَقَالُ ... وَبِأَيْدِى الرِّجَالِ تُجْزَى الرِّجَالُ

---

(١) أبان بن عبد الحميد بن لاحق بن عفير الرقاشى ، شاعر مكثر من أهل البصرة ، اتصل بالبرامكة وخص بمدحهم ، ونظم لهم كليلة ودمنة شعرا ، انظر خزانة الأدب ٣/٤٠٨ ، الأعلام ١/٢٠ ، وانظر البيت فى عيون الأخبار ١/٤١ ، لباب الآداب ٢٦٦ .

(٢) ورد البيت الأول فى حماسة البحترى ٣٦٤ منسوبا إلى صالح بن عبد القدوس ، وورد البيت الأخير فيها أيضا ٢٥٠ منسوبا إلى أعشى باهلة .

(٣) لباب الآدب ٣٢٦ .   (٤) الهجنة : العيب والنقص .

فَاجْعَلِ العَقْلَ لِلِّسَانِ عِقَالاً   فَشِرَادُ اللِّسَانِ دَاءٌ عُضَالُ
إِنَّ ذَمَّ اللِّسَانِ مُبْقٍ عَلَى العِرْ   ضِ وَبِالْقَوْلِ تُسْتَبَانُ الْفِعَالُ

وقال غيره :

يَمُوتُ الفَتَى مِنْ عَثْرَةٍ بِلِسَانِهِ   وَلَيْسَ يَمُوتُ الرَّجْلُ مِنْ عَثْرَةِ الرِّجْلِ (١)
فَعَثْرَتُهُ مِنْ فِيهِ تَرْمِي بِرَأْسِهِ   وَعَثْرَتُهُ بِالرِّجْلِ تَبْرَا عَلَى مَهلِ (٢)

وقال منصور الفقيه :

وَاخْرَسْ إِذَا خَفِيَتْ أُمُو   رُ الحَقِّ عَنْكَ عَنِ الإِجَابَهْ
فَأَقَلُّ مَا يُجْزَى الْفَتَى   بِسُكُوتِهِ عِزُّ المَهَابَهْ

وقال محمود الوراق :

وَلَفْظُكَ حِينَ تَلْفِظُ فِي جَمِيعٍ   وَلاَ تَكْذِبْ مُقَدِّمَةٌ لِفِعْلِكْ (٣)
فَزِنْهُ إِنْ أَرَدْتَ الْقَوْلَ وَزْنًا   وَإِلَّا هَدَّ مِنْ أَرْكَانِ نُبْلِكْ

وقال آخر :

وَمَنْ لَا يَمْلِكُ الشَّفَتَيْنِ يَسْخُو   بِسُوءِ اللَّفْظِ مِن قِيلٍ وَقَالِ

---

(١) ساقط من ب .
(٢) ورد البيتان فى عيون الأخبار ٣/١٨٠ غير منسوبين ، ونسبهما فى العقد الفريد ٢/٤٧٣ إلى جعفر ابن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب ، وانظرها فى وفيات الأعيان ٥/٤٤٢ من غير نسبة .
(٣) ا : فتغذيه لعقلك ، ب : فتعدمه لعقلك .

كَانَ يُونُس بنُ عبدالأعلى ينشدُ هذه الأبيات :

قَدْ أَفْلَحَ السَّاكِتُ الصَّموتُ　　كلامُ واعِى الكَلاَمِ قُوتُ

مَا كلُّ قَوْلٍ لهُ جَوَابٌ　　جَوَابُ ما تَكْرَهُ السكُوتُ

يَا عَجَبًا لِامْرِئٍ ظَلُومٍ　　مُستَيْقِنٍ أَنَّه يَمُوتُ(١)

(١) نسبت هذه الأبيات فى الأغانى ٣/ ١٧٠ إلى محمد بن أبى العتاهية، وهى أيضا فى ديوان والده ص١٤، وانظرها فى عيون الأخبار ١/ ١٧٩ ، لباب الآداب ٢٧٣.

بابٌ مِن مُزْدَوَجِ الكَلَامِ

الزوجةُ أحد الكاسِبَيْن ، وقيل إصلاح المال أحد الكاسِبَيْن .

قلةُ العِيال أحدُ اليَسارَيْن .

القلمُ أحدُ اللِّسانَين .

الشيْبُ أحدُ المَوْتَيْنِ [١] .

اليأسُ أَحدُ النُّجْحَيْنِ . ويقال : تعجيلُ اليأس [٢] أَحد الظَّفَرَيْنِ .

حُسْنُ التَّقدير أَحدُ الكَسْبَيْنِ .

اللَّبَنُ أَحَدُ الجُبْنَيْنِ [٣] .

كَثْرةُ العِيَالِ أَحَدُ الفَقْرَيْنِ .

المالُ أَحدُ الجاهَيْنِ [٤] .

[٥] الدُّعَاء للسَّائِلِ أَحدُ العَطاءَيْنِ [٥] ، وقيل : الرّد على السائل بالدّعاء إحدى الصَّدَقَتَيْن .

العَجيزةُ [٦] أحد الوَجْهَيْنِ [٦] . وقيل : الشَّعْر أَحَدُ الوَجْهَيْنِ .

---

(١) فى ب : الميتتين .

(٢) فى ب : البأس .

(٣) فى ب : اللحمين .

(٤) فى ب : الجهالتين .

(٥) ساقط من ا .

(٦) ساقط من ا .

الشَّحم إحدَى الحُسْنَيَيْنِ .

البياضُ أحدُ الجمَالَيْنِ .

المَرَقُ أَحدُ اللَّحْمَيْنِ .

مَلْكُ العجِين أحدُ الرَّيْعَـيْنِ[١] . قال عمرُ بن الخطاب : املكوا العَجينَ فإنه أحدُ الرَّيْعين .

المبلِّغُ أحدُ الشَّاتِمَيْنِ .

السَّامِعُ للغِيبة أحدُ المُغْتابَيْنِ .

الرَّاوِيةُ للهِجاء أحدُ الهجَّائَيْنِ .

فصلٌ منه [٢]

قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم لرجل أوصاه : « حافظ على العَصْرَين » .

والعصران : الصبح والظهر .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من صلى البَرْدَيْن دخل الجنة » .

البَرْدَان : الغداة والعشي .

وقال بعضهم : الأَبْرَدَان : الغَدَاة والعشيّ .

الأَيْهَمان : السّيل والحريق .

(١) الريع : فضل كل شيء وزيادته ، والملك والإملاك : إحكام العجن وإجادته ، والمراد بالريعين زيادة الدقيق عند الطحن على كيل الحنطة ؛ وعند الخبز على الدقيق.

(٢) ساقط من ب .

الأَحْمَرَان : الذَّهب والزَّعفران .

الأَسْودان : التّمرُ والمـاء .

الأطيبان : الأكلُ والجمـاع .

الأجْوَفان : الفمُ والفرج .

الأصْغران : القلبُ واللسان .

الأكبران : الهِمَّةُ واللُّب .

الأَصْمَعَان : الفَهْمُ الذكى والرأىُ الحازم .

الجديدان : اللَّيل والنَّهار ، وكذلك المَلَوَان ، وكذلك العَصْران ، قال حُمَيْدُ ابن ثَوْر الهلالى[1] :

وَلَنْ يَلْبَثَ العَصْرَانِ يَوْمًا وَلَيلَةً ... إذا طَلَبَا أَنْ يُدْرِكا ما تَيَمَّمَا[2]

وقال أبو بكر[3] بن دريد :

إنَّ الجَدِيدَيْنِ إذَا مَا اسْتَوْلَيَا ... عَلَى جَدِيدٍ أَدْنَيَاهُ لِلْبِلَى

[4] وقال سليمان بن بطّال[5] :

وتَقَلُّبُ المَلَوَيْنِ بَيْنَهُمَا الرَّدَى ... إنْ لَمْ يَكُنْ هٰذا يَجِىءُ بِهِ فَذَا

(١) ساقط من ا .

(٢) ديوانه ٨ : الأمالى ١/١٣٨ ، ٢/٨٧ نهاية الأرب ٣/٦٢ ، وفيها جميعا : ولايلبث .

(٣) فى ب : محمد ، وهو على أى حال أبوبكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدى ، من أئمة اللغة والأدب كانوا يصفونه بأنه أعلم الشعراء ، وأشعر العلماء ترجمته فى معجم الأدباء ٦/٤٨٣ ، وفيات الأعيان ١/٤٩٧ ، تاريخ بغداد ٢/١٩٥ .

(٤) من هنا وتنقص النسخة ب ، قدراً كبيراً ، إلى جزء كبير من باب الأدب التالى .

(٥) البطليوسى ، فقيه مقدم ، شاعر محسن الشعر ، ترجمته فى جذوة المقتبس ٢٠٦ .

العمران : أبو بكر وعمر — رضى الله عنهما — هذا قول الأكثر .

كما قالوا : المكّتان : مكّةُ والمدينة .

والقمران : الشَّمسُ والقَمر .

قال الفَرزدق :

أَخَذْنَا بآفاقِ السَّماء عَليْكُمَا ... لَنَا قَمَرَاهَا وَالنُّجُومُ الطَّوالِعُ[1]

لم يختلفوا أنه أراد الشمس والقمر .

وقال أبو عبيدة فى قول قيس بن زُهير .

جَزَانى الزَّهْدَمَانِ جَزَاءَ سُوءٍ ... وَكُنْتُ المَرْءَ يُجْزَى بالكَرَامَهْ

أراد زهدماً وأخاه قيساً ابنى محمد بن وهب من بنى عبس بن بغيض ، وقال أبو عبيدة: الزهدمان : زَهْدَمٌ وَكَرْدَم.

قال أبو عُمر : الحجة فى هذا قول الله عزّ وجلّ : « ولِأَبَوَيْهِ »[2] ، فالأبوان الأب والأم .

وقد قال قتادة : العُمَران : عمرُ بنُ الخطاب ، وعمرُ بن عبد العزيز . والأول أشهر وأكثر .

(١) شرح ديوانه ٥١٩ ، الأمالى ١/٨٤ .
(٢) سورة النساء آية ١١ .

باب من الأجوبة المسكتة وحسن البديهة[1]

لما أمر رسول الله صلى اللهُ عليه وسلم يومَ بدر بضرب عنق عُقْبَةَ بن أبي مُعَيْط[2]، فقال له : من للصِّبية يا محمد ؟ قال : النَّار .

قال الأعمشُ : احذروا الجواب ، فإن عمرو بن العاص قال لعَدِيّ بن حاتم : متى فقئت عينك يا أبا طريف ؟ قال : يوم طُعنت فى استك وأنت مولٍّ يوم صفين .

شهد أعرابىّ بشهادة عند معاوية[3] على شىء ، فقال : كذبت. فقال : الكاذب والله مزمل فى ثيابك . فتبسم معاوية[3] وقال : هذا جزاء من عجل .

أنشد ابن الرِّقاع قصيدة يذكر فيها الخمر ، فقال له معاوية[4] : أما إنى قد ارتبت فيك فى جودة وصف الشراب ، فقال : وأنا قد ارتبت بك فى معرفته .

قال تميم بن نصر بن سَيَّار لأعرابى : هل أصابتك تخمة قط ؟ قال : أمَا من طعامك وشرابك فلا .

قال عبد الملك بن مروان لبثينة : ما رجا منك جميل ؟ قالت : ما رجت منك الأمَّةُ حين ملكتك أمرها .

---

(١) هذا الباب كله زيادة فى م ، ولم يرد فى النسختين ا ، ب .

(٢) هو عقبة بن أبان بن ذكوان بن أمية بن عبد شمس ، كنية أبيه « أبومعيط » ، كان شديد الأذى للرسول وللمسلمين عند ظهور الدعوة ، فأسر يوم بدر ، وأمر الرسول بقتله ثم صلب، الأعلام٥/٢٦.

(٣) ساقط من م ، والتكملة من الأجوبة المسكتة لابن أبى عون مخطوطة رقم٨ أدب — معهد المخطوطات .

(٤) هذا خطأ ، فالمعروف أن معاوية توفى سنة ٦٠ هـ ، وابن الرقاع ولد نحو سنة ٩٠ هـ ، والأقرب أن تكون هذه القصة قد حدثت بين ابن الرقاع والوليد بن عبد الملك ، وهو الخليفة الذى كان يقرب الشاعر ويعجب به .

وفى عيون الأخبار ٢/٢٦٧. أن أعرابيا دخل على عبد الملك بن مروان ، فقال له : يا أعرابى صف الخمر. فلما وصفها قال له : ويحك يا أعرابى ، لقد اتهمك عندى حسن صفتك لها ، فقال: يا أمير المؤمنين ! واتهمك عندى معرفتك بحسن صفتى لها . وفى الأغانى ٦/١٢٧ : دخل ابن الأقرع على الوليد بن [illegible] ... الخ .

قيل لبعضهم : صحبت الأميرَ فلاناإلى اليمن ، فما ولاّك ؟ قال : قفاه .

قيل لأعرابى : صف لنا النخلة . فقال : صعبة المرتقى ، بعيدة المهوى ، مهولة المجتنى ، رهيبة السِّلاح ، شديدة المؤونة ، قليلة المعونة ، خشنة الملمس ، ضئيلة الظل .

دخل معن بن زائدة على المنصور ، فأسرع المشى وقارب الخطر ، فقال له المنصور : كبرت سنُّك يا معن ؟ قال : فى طاعتك يا أمير المؤمنين . قال : وإنك مع ذلك لجلد . قال : على أعدائك يا أمير المؤمنين . قال : وإن فيك لبقية . قال : هى لك يا أمير المؤمنين .

دخل عدىّ بن حاتم على معاوية ، وعنده عبد الله بن عمرو ، فقال له عبد الله : يا عدىّ متى ذهبت عينك ؟ قال : يوم مثل أبوك هارباً ، وضرب على قفاه مولياً ، وأنا يومئذ على الحق ، وأنت وأبوك على الباطل .

قال المهدىّ لجرير بن زَيْد : يا جرير ! إنى لأُعِدُّك لأمر . قال جرير : إن الله قد أعدَّ لك منّى قلباً معقوداً بنصيحتك ، ويداً مبسوطة بطاعتك ، وسيفاً مشحوذاً على عدوك ، إذا ما شئت .

قالت جارية ابن السَّمّاك له : ما أحسن كلامك إلا أنك تردده . قال : أردده حتى يفهمه من لم يكن فهمه . قالت : فإلى أن يفهمه من لم يكن فهمه يمله من فهمه[١] .

قال الحسنُ لابن سيرين : تعبرُ الرؤيا كأنك من آل يعقوب . فقال ابن سيرين : وأنت تفسر القرآن كأنك شهدت التنزيل .

(١) فى الأجوبة المسكتة أنها قالت له : فإلى أن يفهمه العيى يكون قد ثقل على سمع الذكى .

قال رجل لعمر بن الخطاب : أهلكنا النومُ . فقال : بل أهلكتم اليقظة .

مرت أمَة بسعيد بن المسيب ، وقد أقيم ليُضرب ، فقالت : يا شيخ ! لقد أقمت مقام الخِزى . فقال : بل من مقام الخزى فررت .

قال رجلٌ لعمرو بن العاص : لأتفرغَنَّ لك . فقال : حينئذ تقع فى الشغل .

لقى الحسن الفرزدق فى حين خروجه إلى العراق ، فسأله عن الناس ، فقال : القلوب معك ، والسيوف عليك ، والنصر من الله .

قال رجل عند الحسن : أهلك الله الفخار . قال : إذا استوحش فى الطريق .

قيل للأَصمعى : لماذا لا تقول الشعر ؟ قال : الذى أريده لا يواتينى ، والذى يواتينى لا أريده ، أنا كالمِسنّ أشحذ ولا أقطع .

قيل لابن المقفع : مالك لا تقول الشعر ؟ فقال : الذى يواتينى لا أريده ، والذى أريده لا يواتينى .

قال ابن مناذر :

لَا تَقُلْ شِعْراً وَلاَ تَهْمُمْ بِهِ وإذا ما قلتَ شِعْرًا فأَجِدْ

قال عبدالله بن مروان لثابت بن عبد الله بن هلال : إنك أشبه الناس بإبليس . قال : وما تنكرُ أن يكون سيد الإنس يشبه سيد الجن .

قيل لأعرابية من بني عامر : لقد أحسنت العزاء على ابنك . قالت : إن فقده أيأسني من المصائب بعده[١] .

---

(١) فى الأجوبة المسكتة ورد هذا الخبر أيضاً ، وفيه أجابت الأعرابية : إن فقده أمنني المصائب بعده .

ونعى إلى أعرابية ابن لها ، فقالت : لقد نعيتموه كريم الجدّين ، ضحوكاً إذا أقبل ، كسوباً إذا أدبر ، يأكل ما وجد ، ولا يسأل عما فقد .

قال الأحوص للفرزدق : متى عهدك بالزنا ؟ قال : مذ ماتت العجوز أمك .

قال أبو الزناد لابن شبرمة فى مناظرته له : من عندنا خرج العلم . فقال ابن شبرمة : ثم لم يعد إليكم .

قال معاوية لعقيل بن أبى طالب : ما أبين الشبق فى رجالكم يا بنى هاشم ! قال : لكنه فى نسائكم يا بنى عبد شمس أبين[1] .

قال زهير :

« وَمَنْ لَا يُكَرِّمْ نَفْسَهُ لَا يُكَرَّمِ » « ... ومن لا يتّق الشَّتْمَ يُشْتَمِ[2] »

قال معاوية لابن عباس : أنتم يا بنى هاشم تصابون فى أبصاركم . فقال ابن عباس : وأنتم يا بنى أمية تصابون فى بصائركم[1] .

قال معاوية لعقيل بن أبى طالب : أين ترى عمك أبا لهب ؟ قال : فى النار ، مفترشاً عمتك حمّالة الحطب . وكانت أم جميل امرأة أبى لهب بنت حرب بن أمية ابن عبد شمس .

قال الرشيد لشريك القاضى : يا شريك ! آية فى الكتاب ليس لك ولا لقومك

---

(١) فى عيون الأخبار أن الخبرين كانا بين معاوية وابن عباس، وفى العقد وردا موافقين لما هنا .

(٢) هذا البيت ملفق من بيتين من معلقة زهير ، وهما :

ومن يغترب يحسب عدوا صديقه ومن لايكرم نفسه لايكرم

ومن يجعل المعروف من دون عرضه يفره ومن لايتق الشتم يشتم

فيها شيء . قال : وما هي يا أمير المؤمنين ؟ قال : قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ ﴾[١] ، فقال : آية أخرى ليس لي ولا لقومي فيها شيء . قال : وما هي ؟ قال : ﴿ وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ ﴾[٢] .

قال الرشيد لأبي الحارث جُمَّيْرا[٣] : أيسرك أن تخرا الغالية[٤] ؟ قال : لا والله يا أمير المؤمنين . قال : ولم ؟ والناس يتمنونها . قال : أخاف أن يختم أمير المؤمنين على سراويلي فلا يفتحها .

قال معاوية بكلام عرّض فيه بعبدالله بن الزبير ، فقال : يا أمير المؤمنين ! لا يكن حقنا منك أن تمسك يدك مغلولة إلى عنقك ، وتعمل لسانك في قومك .

وروى أن أبا بكر بن عياش كان أبرص ، وكان رجل من قريش يشرب الخمر ، فقال له أبو بكر : قيل لنا إن نبيا من الأنبياء بعث بحلّ الخمر . فقال : لا أومن به حتى يبرئ الأبرص .

قدم الوليد بن عقبة الكوفة في زمن معاوية ، فأتاه أهل الكوفة يسلمون عليه ، وقالوا : ما رأينا بعدك مثلك . فقال خيراً أم شراً ؟ قالوا : لم نر بعدك إلا شرًّا منك . قال : لكني والله مارأيت بعدكم شرا منكم ، والله يا أهل الكوفة ، إن حبكم لصلف ، وإن بغضكم لتلف .

قال المنذر بن الجارود لعمرو بن العاص : أي رجل أنت لو كانت أمك من عز

(١) سورة الزخرف ٤٤ .

(٢) سورة الأنعام ٦٦ .

(٣) كذا بالأصل، وقد ورد اسمه في الوزراء والكتاب : أبو الحرث جمير ، وأورد نادرة أخرى له في ص ٢٤٢ ، وسماه في عيون الأخبار مرة حمير ٢/٢٣٥ ، ومرة جيز ٣/٢٢٩ ، ولكني لم أعثر له على ترجمة كاملة .

(٤) نوع من الطيب .

قريش ؟ قال عمرو : أحمد الله إليك ، لقد عرضتُ قبائل العرب على نفسي أتمنى من أيهم تكون أمّى فى طول ليلتين ، فما خطرت عبد القيس على بالى .

جُعل لرجل ألفُ درهم عَلَى أن يسأل عمرو بن العاص ، وهو على المنبر ، عن أمه، فسأله . فقال : هى سلمى بنت حرملة ، تلقب النابغة ، من بنى عنزة ، ثم أحد بنى جِلاَّن[1] ، أصابتها رماح العرب فبيعت بعكاظ ، فاشتراها الفاكِهُ بن المغيرة ، ثم اشتراها منه عبدالله بن جُدْعَان ، ثم صارت إلى العاص بن وائل ، فولدت وأنجبت . فإن كان لك جُعل فخذه .

فاخر رجل من ولد أبى البَخْتَرِىِّ بن هِشَام[2] رجلا من ولد الزبير ، فقال : أنا ابن عقير الملائكة . قال ابن الزبير : فنعم العاقر وبئس المعقور . فقال : أنا ابن شداد البطحاء . قال : شدها أبوك بسلحه ، وشدها أبى برمحه .

جلس معاوية يأخذ البيعة على أهل العراق بالبيعة له والبراءة من على ، فقال له رجل : يا أمير المؤمنين ! إنا نبايع أحياءكم ولا نتبرأ من موتاكم ، فنظر معاوية إلى المغيرة بن شعبة ، فقال : رجل ، فاستوص به خيراً .

ظفر الحجاج بأصحاب ابن الأشعث ، فجاس يضرب أعناقهم ، فأُتى فى آخرهم برجل من تميم ، فقال له : يا حجاج ! لئن كنا أسأنا فى الدنيا[3] ، فما أحسنت فى العقوبة . فقال الحجاج : أفّ لهذه الجِيَف ، ما كان فيهم من يحسن هذا ؟ وأمر بتخلية سبيل من بقى .

---

(١) فى الأصل : من بنى عزة ثم أحد بنى حلاب ، والتصحيح من الإصابة لابن حجر ٥/٢ ، واللباب ١/٢٦١.

(٢) اسمه العاص أو العاصى بن هشام بن الحارث بن عبد العزى، أبو البخترى ، لم يعرف عنه أنه آذى النبى بل صحبه فى بدء الدعوة ، ولكنه حضر بدر مع المشركين ، ونهى النبى صلى الله عليه وسلم عن قتله ولكنه قتل ، انظر خبر مقتله فى التاج ٣/٣٣ ، وسيرة ابن هشام ٢/٥٠ (الأعلام ٤/١١) .

(٣) كذا بالأصل ، والصحيح أنها الذنب لا الدنيا ، كما يقتضيها المقام ، وكما ورد فى كثير من المراجع .

قال عمر بن عبد العزيز لسالم بن عبدالله بن عمر : أساءتْك ولايتنا أم سرتك ؟ قال : ساءتنى لك ، وسرتنى للمسلمين .

عاتب أعرابى أباه فقال : إن عظيم حقك على ، لا يُذهب صغيرحق عليك ، والذى تمتُّ به إلىّ أمت بمثله إليك ، ولست أزعم أنّا سواء ، ولكن لا يحل لك الاعتداء .

لما مات الحسن أرادوا أن يدفنوه فى بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأَبت ذلك عائشة ، وركبت بغلة وجمعت إليها الناس ، فقال لها ابن عباس : كأَنك أردت أن يقال : يوم البغلة كما قيل يوم الجمل ؟! قالت : رحمك الله ، ذاك يوم نُسى. قال : لا يوم أذكر منه على الدهر .

قيل لمعاوية بن أبى سفيان ، يوم صفين : إنك تتقدم حتى نقول : إنك تقبل ، وإنك أشجع الناس ، وتتأخر حتى نقول : إنك تفر ، وإنك أجبن الناس . قال : أتقدم إذا كان التقدم غُنما ، وأتأخر إذا كان التأَخر عزماً .

سأَل ابن الزُّبير معاوية حاجة فلم يقضها ، فاستعان عليه بمولاة له ، فقضى حاجته ، فقال له رجل : استعنت بامرأة ! فقال : إذا أعيت الأمور من أعاليها طلبناها من أسافلها .

اشتكى عبدالله بن صَفْوَان ضرسه ، فأَتاه رجل يعوده ، وقال : ما بك ؟ قال : وجع الضرس . فقال : أما علمتَ ما يقول إبليس ؟ قال : لا . قال : يقول : دواؤه الكسر . قال : إنما يطيع إبليسَ أولياؤه .

مرض رجل من الأعراب ، فعاده جاره فقال : ما تجد ؟ قال : أشكو دُمَّلا آلمنى وزكاماً أضرّبى . فقال : أبشر فإنه بلغنا أن إبليس لا يحسُد على شيء من الأمراض

ما يحسد على هاتين العلتين لما فيهما من الأجر والمنفعة ، فأنشأ الأعرابي يقول :

أيَحْسُدُنِي إبليسُ دَائَيْنِ أصْبَحَا بِجِسْمِي جميعاً دُمَّلاً . وزُكاماً
فليتَهُمَا كانَا بِهِ وأَزِيدُهُ رَخَاوَةَ فَحْلٍ ما يُطِيقُ قِيَاماَ[١]

قال أبو جعفر المنصور لأبي جَعْوَنة العامريّ من أهل الشام : ألا تحمدون الله بأنا قد ولينا عليكم ، ورفع عنكم الطاعون ؟! قال : لم يكن ليجمعكم الله علينا والطاعون .

قيل لبعضهم : أراك تكره الغزو ، وما يكرهه إلا جبان أو متهم ؟ فقال : والله إني لأكره أن يأتيني الموت على فراشي ، فكيف أسافر إليه مسافة بعيدة .

عرض بعض القواد أصحابه ، فمر به رجل معه سيف رديء ، فقال له : ويحك ما هذا السيف ؟! أما علمت أن الرجل بسيفه ؟ فقال أصلحك الله أيها الأمير ، إنها مأمورة[٢] . قال : هذا مما لا يقطع شيئاً .

قيل لابن سيرين : من أكل سبع رطبات على الريق سبَّحت في بطنه ، فقال ابن سيرين : لئن كان هذا هكذا فينبغي للوزينج إذا أُكِل أن يصلي الوتر والتراويح .

قيل لابن السَّمَّاك في زمن يزيد بن معاوية : كيف تركت الناس ؟ قال : مظلوم لا ينتصف وظالم لا ينتهي[٣] .

---

(١) البيتان لأعرابي يدعى أبا حكيمة ، انظر محاضرات الراغب ٢٠٦/١ .

(٢) اقتباس من قوله صلى الله عليه وسلم للأنصار حين أراد كل منهم الأخذ بزمام ناقته وإنزاله عنده ؛ فقال لهم : « دعوها فإنها مأمورة » .

(٣) وردت العبارة في الأصل هكذا : يمر مظلوم ولا ينتصف ظالم ولا يشفى ، وفيها اضطراب ظاهر ، وقد أثبتنا ما ورد في كتاب الأجوبة المسكتة لابن أبي عون .

قال معاوية لرجل من أهل اليمن : ما كان أحمق قومك حين قالوا : ﴿ رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا[1] ﴾ أما كان جمع الشمل خيرًا لهم ؟ فقال اليماني : قومك أحمق منهم ، حين قالوا : ﴿ اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّماءِ ، أو ائتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ[2] ﴾ ، أفلا قالوا : اللهم إن كان هـذا هو الحق من عندك فاهدنا إليه .

قال رجل للرقاشي : ما يجب على المؤمن في حق الله ؟ قال : التعظيمُ له والشكرُ لنِعَمِهِ ، قال : فما يجب عليه في حق السلطان ؟ قال : الطاعة والنصيحة . قال : فما يجب عليه في حق نفسه ؟ قال : الاجتهاد في العبادة ، واجتناب الذنوب . قال : فما يجب عليه في حق العامة ؟ قال : كف الأذى وحسن المعاشرة . قال : فما يجب عليه في حق الخليط ؟ قال : الوفاء بالمودة وحسن المعونة .

قال بعض الجِلّةِ لأعرابي من بني تميم يمازحه : يا أعرابيّ ! من الذي يقول :

تميمٌ ببطنِ اللُّؤْمِ أهْدَى من القَطَا ولو سَلَكَتْ سُبْلَ المكارمِ ضَلَّتِ[3]

فقال : لا أعرفه . ولكن أعرف الذي يقول :

أعَضّ اللهُ من يَهْجُو تميمًا ومن يَرْوِى لها أبداً هِجَاءَا

ببطنِ عَجُوزَةٍ وبِإِسْتِ أُخْرَى وأدْخَلَ رَأْسَهُ من حَيْثُ جَاءَا

دخل طفيليٌّ دار قوم بغير إذن ، فاشتدّ عليه صاحبُ الدار في القول ، فأغلظ له الطفيلي في الجواب ، وقال له : والله لئن قمت إليك لأدخلنك من حيث خرجت .

(١) سورة سبأ آية ١٩ .
(٢) سورة الأنفال آية ٣٢ .
(٣) أمالي القالي ٢/١١٧ ، وفيه: بطرق اللؤم، بدلا من بطن .

فقال صاحب المنزل : أمّا أنا فأخرجك من حيث دخلت ، وأخذ بيده فأخرجه .

قال الفرزدق لكثير — وقد أنشد : ما أشبه شعرك بشعرى ! أفكانت أمك أتت البصرة ؟ فقال : لا ، ولكن أبى أتاها ، ونزل فى بنى دارم .

قال المُثَقِّبُ العَبْدِىّ :

وكلمةِ حاسدٍ مِنْ غَيْرِ جُرْمٍ — سمعتُ فقلتُ مُرِّى فانْفِذِينى[1]
وعَابُوهَا عَلَىَّ ولَمْ تَعِبْنِى — ولم يَعْرَقْ لَهَا يوماً جَبِينِى
وما مِنْ شِيَمتِى شَتْمُ ابن عَمِّى — ولا أنا مخلفٌ مَنْ يَرْتجِينى
وذُو الوَجْهَين يَلْقَانِى طَلِيقاً — وليسَ إذا تغيَّبَ يأتَلِينى
بَصُرْتُ بعيبهِ فكَفَفْتُ عَنْهُ — محافظةً عَلَى حَسَبِى وَدِينِى

قال رجلٌ من بنى عِجْل لأبى الرَّوْحاء الشاعر ، بهمذان : ممن الرجل ؟ قال : من العجم . قال العجلى : إنما الشعر للعرب ، والمحال أن يقول الشعر رجل من العجم حتى ينزو على أمه رجل من العرب . فقال أبو الروحاء : فكل من لم يقل الشعر من العرب ، فقد نزا على أمه رجل من العجم على هذا القياس .

قال مسكين الدرامى :

وإذا الفَاحِشُ لاَقَى فاحِشاً — فَهُنَاكُم وَافَقَ الشَّنُّ الطبَقْ
إنما الفُحْشُ وَمَنْ يَعْتَادُهُ — كغُرَابِ البَيْنِ مَا شَاءَ نَعَقْ

---

(١) انفذينى : أى جاوزينى .

أَوْ حِمَارِ السُّوءِ إِنْ أَمْسَكْتَهُ   رمحَ الناسَ وإن جَاعَ نَهَقْ
أَو غُلَامِ السُّوءِ إِنْ جَوَّعْتَه   سَرَقَ الجَارَ وإِنْ يَشْبَعْ[1] فَسَقْ

قال رجل لشريح القاضى : لشد ما ارتفعت ! فقال له شريح : هل ضرك ذلك ؟ إنك لتبصر نعمة الله على غيرك وتعمى عنها فى نفسك .

قيل لمزيد — وهو يحمل شيئا تحت إبطه — : يا مزيد ! ما هـذا الذى تحت حضنك ؟ قال : يا أحمق ! ولم خبأته ؟

قال الفرزدق للحسن : يا أبا سعيد ! إنى قد هجوت إبليس ، أفتسمع ؟ فقال له الحسن : اسكت ، فإنك على لسانه تنطق .

قيل لأعرابى : أتهمز[2] الفارة ؟ قال : إنما يهمزها السنور .

قال حمزة للكسائى : أتهمز الذيب ؟ قال : لو همزته أكلنى .

سأل رجل من الشعراء رجلا من المتكلمين بين يدى المأمون ، فقال : ما سنك ؟ قال : عظم . قال : لم أرد هذا ، ولـكن كم تَعُدَّ ؟ قال : من واحد إلى ألف ألف وأزيد . قال : لم أرد هذا ، ولـكن كم أتى عليك؟ قال : لو أتى على شىء لأهلـكنى . فضحك المأمون . فقيل له : كيف السؤال عن هذا ؟ فقال : أن تقول ؟ كم مضى من عمرك

لقى رجل رجلا راكبا ، فقال له : أين تنزل فقال له : حيث أضع رجلى .

وهب المفضل الضبى لبعض جيرانه أضحية ، فلقيه بعد النحر ، فقال : كيف

---

(١) فى الأصل . شبع ، ولايستقيم معها الوزن.
(٢) من معانى الهمز : الضغط والدفع والضرب والعض .

وجدت أضحيتك ؟ فقال : ما وجدت لها دماً . أراد قول الشاعر :

ولو ذُبِحَ الضَّبِّيُّ بالسَّيْفِ لم تَجِدْ مِنَ اللُّؤْمِ للضَّبِّيِّ لحماً ولا دَمَا[(١)]

اجتمع ناس من الشعراء على باب عدى بن الرِّقاع الشاعر ، فخرجت بنت له ، فقالت : ما تريدون ؟ قالوا : نريد أباك لنخزيه ونفضحه . فقالت :

تَجَمَّعْتُمُ مِنْ كُلِّ أَوْبٍ وَبَلْدَةٍ عَلَى وَاحِدٍ لاَ زِلْتُمُ قِرْنَ وَاحِدِ[(٢)]

تفاخر أهل الكوفة وأهل البصرة ، فقال ابن شبرمة — وكان كوفيا — : لنا أحلام ملوك المدائن ، وسخاء أهل السواد ، وظرف أهل الحيرة ، ولكم سفه السند ، وبخل الخزر ، وحمق أهل غسان .

قال الربيع الحاجب لشريك القاضى بحضرة المهدى : بلغنى أنك اختنت[(٣)] أمير المؤمنين . فقال شريك : لا تقل ذلك ، لو كنت اختنته[(٣)] لكان قد أتاك نصيبك .

قال مؤدب يزيد بن عبد الملك يوماً له : لحنت. فقال : الجواد يعثر . قال المؤدب : إى والله ، ويُضرب حتى يستقيم . فقال : نعم ، وربما كسر أنف سائسه .

وقف أعرابى على قوم فقال : رحم الله من لم تمج أذنه كلامى ، وقدم لنفسه معاذه من سوء مقامى ، فإن البلاد مجدبة ، والحال مسغبة ، والحياء زاجر يمنع من كلامكم ، والفقر يدعو إلى إخباركم ، والدعاء أحد الصدقتين ، فرحم الله امرءًا أمر بخير . فقيل له : من أنت ؟ فقال : اللهم اغفر ، سوء الاكتساب يمنعنى من الانتساب .

---

(١) الكامل ١/٨٦ ، عيون الأخبار ٢/٢٢٩ .

(٢) الكامل ٢/٢٤٢ : والقرن : الكفء فى الشجاعة وغيرها .

(٣) فى الأصل ختنت ... ختنته ولامعنى لها ، وما أثبتناه أقرب إلى ماورد فى عيون الأخبار ٢/٢١٣ ففيها: بلغنى أنك خنت .

سمع إياس بن معاوية — رحمه الله — يهوديا يقول : ما أحمق المسلمين! يزعمون أن أهل الجنة يأكلون ولا يُحدثون . فقال له إياس بن معاوية : أوَ كل ما تأكله تحدثه ؟ قال : لا . لأن الله يجعل أكثره غذاء . قال : فلم تنكر أن يجعل الله جميع ما يأكله أهل الجنة غذاء .

جمع المأمون بين العَتَّابى وبين أبى قُرَّة النصرانى ، فقال لهما : تناظرا وأوجزا . فقال العتابى لأبى قرة : أسألك أم تسألنى ؟ فقال : سلنى . قال : ما تقول فى المسيح ؟ قال : أقول إنه من الله عز وجل . فقال العتابى : إن (من) تجىء على أربعة أوجه : فالبعض من الكل على سبيل التجزؤ ، والولد من الوالد على سبيل التناسل ، والخلُّ من الحلو[1] على سبيل الاستحالة ، والخلق من الخالق على سبيل الصنعة ، فهل عندك خامسة قال : لا ، ولكنى لو قلت واحدة من هذه ما كنت تقول ؟ فقال العتابى : إن قلت : إنه كالبعض من الكل جزّأته ، والبارى لا يتجزأ ، وإن قلت : إنه كالولد من الوالد أوجبت ثانيا من الأولاد وثالثا ورابعاً إلى مالانهاية ، وهذا لا يجوز على البارى عز وجل ، وإن قلت على سبيل الاستحالة ، أوجبت فساداً ، والبارى لا يستحيل ولا ينتقل من حال إلى حال ، وإن قلت : إنه كالخلق من الخالق ، كان قولا حقا ، وهو الحق الذى لا شك فيه .

وُصف إبراهيم النظام لأبى عبيدة معمر بن المثنى باليقظة وسرعة الجواب ، فمر به يوماً ومعه قارورة زجاج ، فأراد أن يختبره ، فقال : يا أبا إسحق! ماعيب هذه؟ فقال سريعة الانكسار ، بطيئة الانجبار . فأعجب ذلك أبا عبيدة .

دخل المعتصم على خاقان عائداً فقال للفتح بن خاقان : أيُّما أحسن ، دار أمير

(١) فى الأصل : والخل من الخل الخ ، وبالاضافة إلى ما أثبتناه فإنه يحتمل أن تكون العبارة : والخل من الحلة — والحلة من أسماء الخمر ، انظر حلبة الكميت .

المؤمنين أم دار أبيك ؟ فقال : ما دام أمير المؤمنين فى دار أبى فدار أبي أحسن .

سمع سِوارٌ القاضى الحجّاج بن أَرْطَاة يقول : أهلكنى حب الشرف ، فقال : اتق الله تشرُف .

قال مالكُ بن أنس : قدم على عمر بن عبد العزيز فَتَيَان ، فقالا : إن أبانا توفى فترك مالا عند عمنا حُمَيْد ، فأمر عمر بإحضاره ، فلما دخل عليه ، قال له عمر : ياحميد ! أنت القائل :

حميدُ الّذى أَمَجٌ دَارُهُ أخُو الخَمْرِ ذُو الشَّيْبَةِ الأَصْلَعُ
أَتَانِى المَشِيبُ عَلَى شُرْبِهَا وكَان كَرِيمًا فَمَا يَنْزِعُ [1]

فقال : نعم . قال : أما إذ أقررت ، فأنى سأجلدك [2] ؟ قال : ولم ؟ قال : لأنك أقررت بشرب الخمر ، وزعمت أنك لم تنزع عنها . فقال : هيهات ، أين يُذهب بك ؟ ألم تسمع قول الله يقول : « والشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الغَاوُونَ ، أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَالاَ يَفْعَلُونَ [3] » ؟ قال عمر : أولى لك يا حميد ، لقد أفلت . ثم قال : ويحك ياحميد ، كان أبوك صالحًا ، وأنت رجلُ سُوء . قال : أصلحك الله ، وأنت رجل صالح ، وكان أبوك رجل سُوء ، وما كلُّ الناس يشبه أباه ، فقال : إذن هؤلاء يزعمون أن أباهم توفى ، وترك عندك مالا . قال : صدقوا ، وأنا أحضره الآن . فأحضره بخواتيم أبيهم ، ثم قال : إن هؤلاءِ توفى أبوهم منذ كذا وكذا ، وأنا أنفق عليهم من مالى وهذا مالهم . فقال عمر : ما أحدٌ أحقّ أن يكون عنده منك . قال : ما كان ليعود إلىّ وقد خرج من عندى .

---

(١) البيت الأول وحده فى الكامل ١٤٨/١ ، والأمج : شدة الحر والعطش .
(٢) فى الأصل : فأين سآحدك .
(٣) سورة الشعراء الآيات ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ .

دخل الأحنفُ بن قيس التميمى على معاوية بن أبى سفيان يوماً ، فقال : يا أحنف ما الشيء الملفَّف فى البِجاد ؟ يعرض له بقول الشاعر :

إذا ما مات مَيْتٌ من تَميمٍ   فَسَرَّكَ أن يَعيشَ فَجِئْ بِزَادِ
بخبزٍ أو بتمرٍ أو بسمنٍ   أو الشيءِ المُلَفَّفِ فى البِجَادِ
تَرَاهُ يَطُوفُ فى الآفاقِ حِرْصاً   ليأكُلَ رأْسَ لُقْمانَ بنِ عادِ[1]

والشيء الملفف فى البجاد : وطب اللبن. فعلم الأحنف ما أراد معاوية بتعريضه ، فقال : الشيء الملفف فى البجاد هو السخينة يا أمير المؤمنين . وذلك أن قريشاً كانت تعيَّر بأكل السخينة . وهى حَساء من دقيق كانوا يصنعونها عند المسغبة وغلاء السعر .

(١) الأبيات لأبى مهوش الفقعسى ، أو لأبى الهوس الأسدى ، انظر الكامل ١/١٠٠ ، وورد فيه شطر البيت الثالث : تراه ينقب البطحاء حولا ، وانظر البيتين الأول والثانى فى عيون الأخبار ٢/٢٠٣ والبجاد : كساء مخطط من أكسية الأعراب .

بَابُ الادَب

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما منح والدٌ ولدَه خيرًا من أدب حَسَن» وفى رواية أخرى عنه عليه السلام أنه قال : « ما نحل والدٌ ولده خيرًا من أدب حسن » .

قال سليمان بن داود : من أراد أن يَغيظَ عَدُوَّه ، فلا يرفع العصا عن ولده .

وقال محمد بن سيرين : كانوا يقولون : أكرم ولدك وأحسن أدبه .

كان يقال : من أدّب ولده أرغم أنف عدوه .

قال الحسن : التعلّم فى الصغر كالنقش على الحجر .

قال الشاعر[1] :

خَيْرُ مَا وَرَّثَ الرِّجَالُ بَنِيهِمْ ... أَدَبٌ صَالِحٌ وَحُسْنُ الثَّنَاء
هُوَ خَيْرٌ مِنَ الدَّنَانِيرِ وَالأَوْ ... رَاقِ فِي يَوْمِ شِدَّةٍ أَوْ رَخَاء
تِلْكَ تَفْنَى والدِّينُ والأدب الصَّـ ... ـالِحُ لَا تَفْنَيَانِ حَتَّى البَقَاء
إِنْ تَأَدَّبْتَ يا بُنَيَّ صَغِيرًا ... كُنْتَ يَوْمًا تعدُّ فى الـكُبَرَاء
وإِذَا مَا أَضَعْتَ نَفْسَكَ أُلْفِيـ ... ـتَ كَبِيرًا فِي زُمْرَةِ الغَوْغَاء
لَيْسَ عِطْفُ القَضِيبِ إِنْ كَانَ رَطْـ ... ـبًا وإِذَا كَانَ يَابِسًا بِسَوَاء

---

(١) وردت الأبيات فى جامع بيان العلم ٨٤/١ ، وقال ابن عبد البر : أنشدها الخشنى لإبراهيم بن داود البغدادى عن قصيدة أولها :

يابنى اقترب من الفقهاء ... وتعلم تسكن من العلماء

ووردت الأبيات الثلاثة الأولى فى معجم الأدباء ١٣١/١٠ منسوبة إلى الحسين بن على بن محمد المعروف بابن قم الزبيدى ، وهو خطأ ، لأن ابن قم ولد سنة ٣٠٠ هـ ، أى بعد وفاة المصنف بنحو سبعين سنة ، فكيف عرف أبياته تلك .

قال لقمان : ضرْب الوالد للولد كالسّمادِ للزرع[١] .

قال بعضُ الحكماء : لا أدب إلاّ بعقل ، ولا عقل إلا بأدب .

كان يقال : التجربةُ عِلْم ، والأدبُ عَوْن ، وتركُه مضرّة بالعقل .

كان يقالُ : العون لمن لا عون له الأدبُ .

قال الأحنف : الأدبُ نورُ العقل ، كما أنّ النارَ فى الظلمة نورُ البصر .

قال الأَصمعىّ : ما مطيةٌ أبلغَ دركًا وهى وادعة من الأدب .

قال بُزُرْجمهر : أرفعُ منازل الشَّرف لأهله العلمُ والأدب .

وقيل : من قعد به حَسَبُه نهض به أدبه .

وقال ابن أبى دُؤاد لرجل تخطّى أعناقَ الرّجال إليه : إنّ الأدبَ المترادف خير من النَّسَب المتلاحف[٢] .

كان يقالُ : الأدبُ من الآباء ، والصّلاح من الله[٣] .

كان يقالّ : مَنْ أدّب ابنه صغيرًا قرّت به عينه كبيراً .

وقال الحجاجُ لابن القِرِّيَّة : ما الأدبُ ؟ قال : تجرُّع الغُصّة حتى تمكن الفُرصة .

ووصف أعرابىٌّ الأدب فى مجلس مُعْتمر بن سُليمان ، فقال : الأدبُ أدبُ الدّين ، وهو داعيةٌ إلى التوفيق ، وسببٌ إلى السعادة ، وزادٌ من التقوى ، وهو أن تَعْلَمَ

---

(١) ينتهى إلى هنا نقص النسخة ب .

(٢) فى ب : اللاحف ، والمتلاحف : الذى يحيط بالمرء من جهتيه ، أبيه وأمه .

(٣) ساقط من ا .

شرائعَ الإسلام ، وأداء الفرائض ، وأن تأخذَ لنفسك بحظّها من النافلة ، وتزيدَ ذلك بصحّة النية ، وإخلاص النفس(١) ، وحبّ الخير ، منافساً فيه ، مبغضاً للشرّ نازعًا عنه ، ويكون طلبُك للخير ، رغبةً فى ثوابه ، ومجانبتُك للشّرِّ رهبةً من عقابه ، فتفوز بالثواب ، وتسلم من العقاب، ذلك إذا اعتزلتَ ركوب(٢) الموبقات ، وآثرت الحسنات المنجيات .

وقال أعرابىّ : الأديبُ من اعتصم بعزّ الأدب من ذلّة الجهل ، ولم يتورط فى هفوة ، وكان أدبُه زُلفى الى الحُظْوة فى دنياه وأخراه .

قال منصور الفقيه(٣) :

لَيْسَ الأَدِيبُ أَخَا الرِّوَا ـيَةِ للنَّوَادِرِ والغَرِيبْ
ولِشِعْرِ شَيْخِ المُحْدَثِيـــنَ أَبِي نُوَاسٍ أَو حَبِيبْ
بَلْ ذُو التَّفَضُّلِ والمُرُو ءَةِ والعَفَافِ هُوَ الأَدِيبْ(٤)

كان يقال : من لم يَصلح على أدب الله لم يَصلح على اختياره لنفسه .

الحطيئة :

إِذَا نَـكَبَاتُ الدَّهْرِ لَمْ تَعِظِ الفَتَى عَنِ الجَهْلِ يَوْمًا لَمْ تَعِظْهُ أَنَامِلُهْ

(١) فى ب وإصلاح اليقين .
(٢) فى ب : الذنوب .
(٣) وردت الأبيات فى جامع بيان العلم ٢/٧ غير منسوبة لقائل وقد نسبها فى معجم الأدباء ١١/١٩٨ إلى سعد بن محمد الأزدى المعروف بالوحيد البغدادى والمتوفى سنة ٣٨٥ هـ .
(٤) فى ب : من الذنوب .

وَمَنْ لَمْ يُؤدِّبْهُ أَبُوهُ وَأُمُّهُ ... تُؤَدِّبْهُ رَوْعَاتُ الرَّدَى وَزَلازِلُهْ
فَدَعْ عَنْكَ مَالاَ تَسْتَطِيعُ وَلاَ تُطِعْ ... هَوَاكَ وَلاَ يَذْهَبْ بِحَقِّكَ بَاطِلُهْ[١]

وقال آخر :

مَنْ لَمْ يُؤَدِّبْهُ وَالِدَاهُ ... أَدَّبَهُ اللَّيْلُ وَالنَّهارُ

وقال مُحَمَّدُ بنُ جَعْفر : الأدب رياسة ، والحزم كياســة ، والغَضَبُ نار ، والصَّخب[٢] عارٌ .

قال ابن القِرِّيَّة : تأدّبوا فإن كنتم ملوكاً سُدتم ، وإن كنتم أوساطاً رُفعتم[٣] ، وإن كنتم فقراء استغنيتم .

قال شَبِيبُ بنُ شَيْبَةَ : اطلبوا الأدبَ فإنّه عونٌ على المروءة ، وزيادةٌ فى العقل ، وصاحبٌ فى الغُرْبة ، وحِلْيةٌ فى المجالس .

قال علىُّ بنُ أبى طالب رضى الله عنه فى قول الله عزّ وجل : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَــكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ﴾[٤] ، قال : أدِّبوهم وعلّموهم .

قال الشاعر :

يُقَوِّمُ مِنْ مَيْلِ الغُلاَمِ المُؤَدِّبُ ... وَلاَ يَنْفَعُ التَّأْدِيبُ وَالرَّأْسُ أَشْيَبُ[٥]

---

(١) لم أعثر على هذه الأبيات فى ديوان الحطيئة ، ولا توجد فيما نسب إليه من شعر فى آخر الديوان ، وقد وردت فى معجم الأدباء ٣٢/٢٠ منسوبة إلى يحيى بن المبارك اليزيدى النحوى .

(٢) ب : السخف .

(٣) ب : فقتم .

(٤) سورة التحريم آية : ٦ .

(٥) جامع بيان العلم ٨٣/١ .

وقال آخر :

إنَّ الحَدَاثَةَ لَا تُقَصِّـــرُ بِالْفَتَى الْمَرْزُوقِ ذِهْنَا
لَـكِنْ تُزَكِّي عَقْلَهُ فَيَفُوقُ أَكْبَرَ مِنْهُ سِنَّا(١)

وقال آخر :

رَأَيْتُ الْفَهْمَ لَمْ يَكُنِ انْتِهَابَا وَلَمْ يُقْسَمْ عَلَى مَرِّ السِّنِينِ
وَلَوْ أَنَّ السِّنِينَ تَقَاسَمَتْهُ حَوَى الْآبَاءُ أَنْصِبَةَ الْبَنِينِ(٢)

قال مُصْعَبُ بنُ عبد الله الزُّبَيْرى : قال لى رجل من أهل الأدب فارسىّ النسب : إن ثلاثة ضروب من الرجال لم يستوحشوا فى غُرْبة ، ولم يقصروا عن مَكْرُمة : الشجاع حيث كان ، فبالناس حاجة إلى شجاعته وبأسه ، والعالم فبالناس حاجة إلى علمه ، والحلو اللسان فإنه ينال ما يريد بحلاوة لسانه ولين كلامه ، فإن لم تعطَ رباطة(٣) الجأش ، وجُرأة الصدر ، فلا يفوتنك العلم وقراءة الكتب ، فإن بها أدباً وعلماً قد قيَّدته لك العلماء قبلك ، تزدادُ بها فى أدبك وعلمك .

قال سابق البَرْبَرىّ(٤) :

قَدْ يَنْفَعُ الأَدَبُ الْأَحْدَاثَ فِي مَهَلٍ وَلَيْسَ يَنْفَعُ بَعْدَ الْكَبْرَةِ الأَدَبُ

(١) جامع بيان العلم ١/٨٥ .

(٢) ورد البيتان فى جامع بيان العلم ١/٨٣ بغير نسبة ، وقد نسبا فى معجم الأدباء ١٠/١٥٥ إلى الحسين بن محمد الرافقى المعروف بالخالع ، والمتوفى سنة ٣٨٨ هـ .

(٣) فى ب : رباط .

(٤) سابق بن عبد الله البربرى ، أبو سعيد ، شاعر من الزهاد ، والبربرى لقب له ، ولم يكن من البربر . سكن الرقة ، وكان يفد على عمر بن عبد العزيز فيستنشده من شعره ، فينشده مواعظه ، توفى حوالى سنة ١٠٠ هـ . انظر اللباب ١/١٠٧ ، خزانة البغدادى ٤/١٦٤ ، الأعلام ٣/١١١ .

إِنَّ الْغُصُونَ إِذَا قَوَّمْتَهَا اعْتَدَلَتْ ... وَلَنْ تَلِينَ إِذَا قَوَّمْتَهَا الخُشُبُ[١]

قيل لعيسى عليه السلام : مَنْ أَدَّبك ؟ قال : ما أدَّبنى أحد ، رأيتُ جهل الجاهل فاجتنبته .

قال بعضُ الحكماء : أفضل ما يُورِّث الآباء الأبناء : الثناء الحسن ، والأدبُ النافع ، والإخوان الصالحون ، وأنشدوا :

وَيَعْدَمُ عاقِلٌ أدبًا فيَجْفُو ... وَتَنْسِبُهُ إلى غِلَظِ الطِّبَاعِ
وَمَنْزِلَةُ التَّأَدُّبِ مِنْ أَدِيبٍ ... بِمَنْزِلَةِ السِّلَاحِ مِنَ الشُّجاعِ

قال عبد الملك بن مروان لبنيه : يا بَنِىّ لو عداكم ما أنتم فيه ما كنتم تعوّلون عليه ؟ فقال الوليد : أما أنا ففارس حرب ، وقال سليمان : أما أنا فكاتب سلطان ، وقال ليزيد : فأنت ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ! ما تركا غاية لمختار . فقال عبد الملك : فأين أنتم يا بنىّ مِنَ التجارة التى هى أصلكم ونسبتكم ؟ فقالوا : تلك صناعة لا يفارقها ذل الرغبة والرهبة ، ولا ينجو صاحبها من الدخول فى جملة الدّهماء والرعية ، قال : فعليكم إذاً بطلب الأدب ، فإن كنتم ملوكاً سُدتم ، وإن كنتم أوساطاً رأستم ، وإن أعوزتكم المعيشة عشتم .

---

(٢) ورد البيتان فى جامع بيان العلم ٨٣/١ ، منسوبين لسابق ، ووردا فى التمثيل والمحاضرة ١٦٤ لصالح ابن عبد القدوس ، وكذلك ورد الثانى فقط فى حماسة البحترى ٣٧٣ منسوباً له ، ووردا فى البيان والتبيين ٢٦٢/٢ بغير نسبة .

بابُ ترويحِ القُلوب وتَنْبيهِها[1]

قال عبدُ الله بنُ مَسْعود : كان رسولُ اللهِ صلّى اللهُ عليه وسلّم يتخوَّلُنا[2] بالموعظة مخافة السّآمة علينا .

وكان عليُّ بن أبي طالب يقول : إنّ هذه القلوبَ تَمَلّ كما تَملُّ الأبدان ، فابتغوا لها طرائفَ الحكمة .

وقال عليّ رضى اللهُ عنه : نبّه بالتفكّر قلبَك ، وجافِ عن النوم جنبَك ، واتق الله ربّك .

قال أبو الدّرْداء : إني لأستَجِمُّ قلبي بشيء من اللّهو ، ليكون أقْوى لى[3] على الحقّ .

قال عبدالله بن مَسْعود : أريحوا القلوب ، فإن القَلْبَ إذا أُكْرِه عَمِيَ .

وقال أيضاً : إنّ للقُلوب شهوةً وإقبالا ، وفترة وإدباراً ، فخذوها عند شَهَواتِها وإقبالها ، وذَرُوها عند فَتْرتها وإدبارها .

كان يقالُ : الملالةُ تَفْسخ المودّة ، وتُوَلّدُ البِغْضَة ، وتنغّصُ اللّذة .

قال أرسطوطاليس : ينبغى للرّجل أن يُعطىَ نفسَه لذّتها فى النهار ليكونَ ذلك عونًا لها على سائر يومه .

---

(١) م : وشبهها .

(٢) يتخولنا : يتعهدنا بها بين الحين والحين .

(٣) ب : له .

فى صحف إبراهيم عليه السّلام : وعلى العاقل أن يكون له ثلاثُ ساعات : ساعةٌ يناجى فيها ربّه ، وساعةٌ يحاسِبُ فيها نفسَه ، وساعةٌ يخلّى فيها بين نفسه وبين لذاتها فيما يحلّ ويجمُل ، فإنّ هذه الساعةَ عونٌ له على سائر السّاعات .

قال عمرُ بنُ عبد العزيز : تحدثوا بكتاب الله تعالى ، وتجالسوا عليه ، وإذا مَلِلتُم فحديثٌ من أحاديث الرّجال حسنٌ جميل .

وقال بعضُ الحكماء من السّلف : القلوبُ تحتاج إلى قُوتِها من الحكمة كما تحتاجُ الأبدانُ إلى قُوتِها من الغِذاء .

دخل عبدُ الملك بنُ عمرَ بن عبد العزيز على أبيه ، وهو فى نوْم الضّحى ، فقال : يا أبت إنّك لنائم ، وإنّ أصحاب الحوائج لراكدون ببابك . فقال : يا بُنىَّ إن نفسى مطيّتى ، وإن حملتُ عليها فوق الجهد قطعتُها .

قال الحسنُ البَصْرىُّ رضى الله عنه : حادثُوا هذه القلوبَ ، فإنّها سريعة الدُّثور ، وأفزِعُوا هذه النفوس فإنها طُلَعَة[1] ، وإن لم تفعلوا هوت بكم إلى شرّ غاية .

وقال غيره من العلماء : حادثوا هذه القُلوب فإنّها تصدأُ كما يَصْدأ الحديدُ .

وقد رُوى عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، أنه قال : « إنّ هذه القلوبَ تصدأُ كما يصدأ الحديد» . قالوا : فما جلاؤها يا رسول الله ؟ قال : «تلاوةُ القرآن » .

كان يقال : الفكرةُ مرآةُ المؤمن ، تُريه حُسْنَه من قبيحه .

كان يقال : التفكرُ نورٌ ، والغفلةُ ظلْمة .

---

(١) محادثة القلوب : جلاؤها ، والدثور : النسيان ، والطلعة : كثيرة التطلع إلى الشىء

باب قولهم في وَصْف العَيْش وما تَتَمَنَّاه النَّفْس

قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : « من أصبحَ منكم آمنًا في سِرْبه ، معافًى في جِسْمه ، مَعَهُ قوتُ يومه ، فكأنّما حِيزَت له الدُّنيا » .

كان عمرُ بن الخطاب يعجبه قول عبدة بن الطبيب :

الْمَرْءُ سَاعٍ لِأَمْرٍ لَيْسَ يُدْرِكُهُ   والعَيْشُ شُحٌّ وإشْفَاقٌ وتأْمِيلُ[1]

قال أبو يَعْلَى : حدثنا الأصمعي ، قال : حدثنا محمدُ بن حرب الزِّيَادي ، قال : حدثني أبي ، قال : قال زِيَادٌ لجلسائه : من أغبطُ الناس عيشاً ؟ قالوا : الأميرُ وجلساؤه. فقال : ما صنعتم شيئاً ، إنّ لأعْوادِ المنابر هَيْبة ، وإنّ لِقَرْعِ لجامِ البَريد لفَزْعَة ، ولكن أغبطُ النّاس عندي : رجل له دَارٌ لا يُجرى عليه كِراؤُها ، وله زوجة صالحة ، قد رضيتْه ورضيَها فهما راضيان بعيشهما ، لا يَعرفنا ولا نعرفه ، فإنّه إن عرَفنا وعرفناه أتعبنا ليلَه ونهاره ، وأفسدنا دينَه ودُنياه .

قال عمرُ : لما فتح الله على رسوله بني النضير وغيرها ، كان يتخذ منها لنفسه وعياله قوتَ سنة ، ثم يجعلُ الباقي في الكُرَاع[2] والسّلاح في سبيل الله .

وقال سليمانُ : إذا أحرَزَت النفس قوتَها اطمأنت .

قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : « إذا تمنّى أحدُكم فليكثرْ ، فإنّما يسأل ربّه » .

---

(١) البيت في المفضليات ٢٨٦ ، العقد الفريد ٥/٢٨١ ، مجموعة المعاني ٧٥ .

(٢) الكراع : اسم يجمع الخيل وغيرها من الدواب .

وليس فى هذا معارضة لقول الله : ﴿ولا تَتَمَنَّوْا مَافَضَّلَ اللهُ به بعضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ[١]﴾ لأن معنى هذا عند العلماء أن يتمنى الرجل مال أخيه وامرأة أخيه ، ليصرفه الله عنه إليه ، فذلك التمنى المكروه .

قال محمد بن سيرين : نُهيتم عن الأمانىّ ، ودُلِلْتُم على ما هو خير منها[٢] لكم ، سلوا الله من فضله .

وقد ذكرنا فى كتاب « التمهيد » معنى قوله عليه السلام : « لا يتمنينّ أحدكم الموت لضُرٍّ نزل به » ، عند قوله عليه السلام : « لا تقومُ السّاعة حتى يمرّ الرجل بقبر أخيه فيقول : ياليتنى مكانه » .

قال المنصور لإسحاق بن مُسْلِم[٣] العُقَيْلى : ما بقى من لذاتك ؟ قال : جليس يقصر به طول ليلى ، وزائر اشتهى من أجله طول السهر .

وقال غيره : زائر أشتهى به طول السهر[٤] ودابة أشتهى من أجلها طول السفر .

قال مَسْلَمَة بن عبد الملك : العيشُ فى ثلاثٍ : سَعَةِ المنزل ، وموافقةِ المرأة ، وكثرةِ الخَدَم .

قال عَبَايةُ الجُعْفِىّ : ما يَسرُّنى بنصيبى من التمنى حُمْرُ النَّعَم .

قال عبدُ الرحمن بن أم الحكم : لذةُ العيش فى زحف الأحرار إلى طعامك ،

---

(١) سورة النساء الآية : ٣٢ .

(٢) ساقط من ا .

(٣) ب : أسلم ، والصحيح ما أثبتناه ، انظر قصة حدثت له مع أبى جعفر المنصور فى صدد قتل أبى مسلم الخراسانى ، فى البيان ٣/٣٢٢ .

(٤) ساقط من ب .

وبذل الأشراف وجوههم إليك فيما تجد السبيل إليه ، وقول المنادى : الصلاة أيها الأمير .

قال قتيبةُ بنُ مُسلم لوكيع بن أبى سُود : ما السُّرور ؟ قال : لواءٌ منشور، وجلوسٌ على السّرير ، والسّلام عليك أيّها الأمير .

قيل لأمّ البنين : ما أحسنُ شيءٍ رأيتِ ؟ قالت : نِعَمُ اللهِ مقبلةً علىّ[(١)] .

سأل قتيبةُ رجلاً : ما السّرور ؟ قال : الولد الصالح ، والمال الواسع .

قال عمرُ بن عبد العزيز — رحمه اللهُ — : لذّة العيش ظفرُكَ بمن تحبّ بعد امتناع ، ولذة لا توجب عليك إثمًا ، وحقّ وافق هوًى .

قيل لأبى حازم : ما اللّذة ؟ قال : الموافقةُ ، ولا أنيسَ كالصاحب المُوَاتى .

وروى الرِّياشى عن الأصمعى قال : قال شَبِيبُ بنُ شَيْبة[(٢)] : عيشُ الدنيا فى ثلاث : محادثةُ الإخوان ، ومباشرة النسوان ، وشم الصبيان .

قال بعض الحكماء : كثرة الالْتفات سُخْف ، ومجالسة الحمقى تورث النّوْك[(٣)] ، وكثرة المُنَى تُخْلِقُ العقل ، وتُفسدُ الدين ، وتَنْفِى القناعة .

قال أبو العتاهية :

---

(١) زيادة من ب .

(٢) فى ب شبة ، والصحيح أنه شبيب بن شيبة بن عبد الله التميمى المنقرى ، الخطيب الذى بلغ الذروة فى الفصاحة والبيان ، وهو الذى عناه أبو نخيلة السعدى الراجز بقوله :

إذا غدت سعد على شبيبها ... على فتاها وعلى خطيبها
من مطلع الشمس إلى مغيبها ... عجبت من كثرتها وطيبها

توفى شبيب حوالى سنة ١٧٠ هـ ، انظر تهذيب التهذيب ٤/٣٠٧ ، البيان ١/٦٢ .

(٣) النوك : الحمق والجنون .

اللهُ أصدقُ والآمالُ كاذِبةٌ وجُلُّ هذى المنى فى القلْب وَسْوَاسُ[(١)]

ذكر عمرو بن بحر عن الأصمعى ، قال : قال بعضهم : الاحتلام أطيب من الغشيان ، وتمنِّيك الشىء أوفر حظاً للّذةِ من قدرتك عليه .

قال عمرو بن بحر : كأنه ذهب إلى أن المال إذا مُلِك[(٢)] وجبت فيه حقوق ، وخاف مالكه عليه الزوال ، واحتاج إلى الحفظ ، وكل من عظمت عليه نعمة الله عظمت مؤونة الناس عليه .

ذكر المدائنى قال : قيل لامرئ القَيْس : ما أطيبُ عَيْشِ الدّنيا ؟ فقال : بيضاء رُعْبُوبة ، بالطّيب مَشْبُوبة ، باللحم مَكْرُوبة[(٣)] .

وسُئِل الأعشى : أىّ العيشُ ألذّ ؟ فقال : صَهْبَاء صافِية ، تمزجها سَاقِية ، من صَوْب غادية .

وسُئِل طَرَفَة ، فقال : مَطْعَمٌ شهىّ ، وملبس زَهِىّ ، ومَرْكب وَطِىّ .

وقال غيرُه :

أطيبُ الطَّيِّبات قَتْلُ الأعَادى وَاخْتِيَالٌ عَلَى مُتُونِ الجِيَادِ
وأيادٍ حَبَوتُهنّ كَريمًا إنّ عِنْدَ الكَرِيمِ تَزْكُو الأيَادِى[(٤)]

لبعض الحكماء : أسوأ الناس حالاً من اتسعت أُمنيّته ، وضاقت مقدرتُه ، وبعدت همّته .

---

(١) ديوانه ١٣٢ .

(٢) ا : هلك .

(٣) الرعبوبة : الحسنة البياض الرطبة المكاسر ، والمشبوبة : الظاهرة الحسن المشرقة اللون ، وباللحم مكروبة : أى مفتولة الأعضاء غير مترهلة .

(٤) عيون الأخبار ٣ / ٢٤٨ ، المحاسن والمساوئ ١ / ٢٦١ .

قيل لعبد الرحمن بن أبى بكرة : أىّ الأمور أمتع ؟ فقال : ممازحة حبيب ، ومحادثة خدين[١]، وأمانٍ[٢] تقطع بها أيامَك . وفى رواية أخرى عن عبد الرحمن بن أبى بكرة ، أنه قيل له : أىُّ شىءٍ أكثر إمتاعاً ؟ قال : المنى .

قال بعض الأعراب ، ويروى لأبى بكرٍ العَرْزَمى[٣] :

مُنًى إنْ تَكُنْ حَقاً تَكُنْ أحْسَنَ المنَى ... وإلاَّ فَقَدْ عِشْنَا بِهَا زَمَنًا رَغْدَا

أَمانىُّ مِنْ سَلْمَى عِذَابٌ كَأَنَّمَا ... سَقَتْكَ بِهَا سَلْمَى عَلَى ظَمَإٍ بَرْدَا[٤]

اجتمع عبدالله وعروة ومصعب بنو الزبير بن العوام ، عند الكعبة ، فقال عبد الله : أحب ألا أموت حتى تجىء إلىّ الأموال وأكون خليفة .

وقال مصعب : أحب أن ألِىَ العراقين — يعنى الكوفة والبصرة — وأُزَوَّج سُكينة بنت الحسين وعائشة بنت طلحة .

وقال عروة : لكنى أسأل الله الجنة . فصار عبدالله ومصعب إلى ما تمنيا، ويرون أن عروة صار إلى الجنة .

كان المتمنى بالكوفة إذا تمنّى يقول : أتمنى أن يكون لى فِقْهُ أبى حنيفة ،

---

(١) ب : صديق .

(٢) ب : أمانى .

(٣) فى م : الخوارزمى ، والعرزمى هو محمد بن عبيد الله بن أبى سليمان الفزارى ، شاعر حضرمى ، عاش فى الكوفة ونسبته إلى «جبانة عرزم» بها ، أكثر شعره آداب وأمثال ، انظر ترجمته فى تهذيب التهذيب ٩/٣٢٢ ، اللباب ٢/١٣٢ ، الأعلام ٧/١٣٥ .

(٤) ويروى: أمانى من سعدى رواء ، وقد نسب البيتان فى حماسة أبى تمام ٢/١٥٩ لرجل من بنى الحارث ولم يعينه ، ووردا فى عيون الأخبار ٣/٢٦١ ، نوادر القالى ١٠٢ ، زهر الآداب ٢/٥٨ ، معجم الأدباء ١٦/٢٣٠ بغير نسبة .

وحفظ سفيان ، وورع مِسْعَرِ بن كِدَام[١] ، وجواب شَرِيك[٢].

قال الأصمعيّ : قال لى بن أبى الزناد : المنى والحُلْمُ أخوان .

قال مالك بن أسماء[٣] :

وَلَمَّا نَزَلْنَا مَنْزِلاً طَلَّهُ النَّدَى   أَنِيقًا وَبُسْتَانًا من النَّوْرِ حَالِيَا
أَجَدَّ لَنَا طِيبُ الْمَكَانِ وحُسْنُهُ   مُنًى فَتَمَنَّيْنَا فَكُنْتِ الأَمَانِيَا

قال سَلْمُ الخاسر[٤] :

لولا مُنَى العَاشِقِينَ مَاتُوا   أَسًى وبعضُ الْمُنى غُرُورُ
مَنْ رَاقَبَ النَّاسَ مَاتَ غمًّا   وفَازَ باللَّذَةِ الْجَسُورُ

وقال منصور الفقيه :

لَوْ أَنَّ لَيْتًا نَفَعَتْ   مَعْ تَرْكِ ما يَنْفَعُنِى
مَا كَانَ لِى قَوْلٌ سِوَى   يَالَيْتَنِى لَمْ أَكُنِ

---

(١) ابن ظهير الهلالى العامرى الكوفى ، أبو سلمة ، كان يقال له : « المصحف » لعظم الثقة فيه ، توفى سنة ١٥٢ هـ ، انظر فى ترجمته : تهذيب التهذيب ١١٣/١٠ ، حلية الأولياء ٢٠٩/٧ (الأعلام ١٠٩/٨).

(٢) شريك بن الحارث النخعى الكوفى ، عالم بالحديث فقيه ، اشتهر بقوة ذكائه وسرعة بديهته ، استقضاه أبوجعفر المنصور على الكوفة سنة ١٥٣ هـ وتوفى بها سنة ١٧٧ هـ ، انظر ترجمته فى : تاريخ بغداد ٢٧٩/٩ ، البداية والنهاية ١٧١/١٠ . (الأعلام ٢٣٩/٣) .

(٣) مالك بن أسماء بن خارجة الفزارى ، أبو الحسن ، شاعر غزل ظريف ، تزوج الحجاج أخته هند بنت أسماء ، وتولى له خوارزم وأصبهان ، توفى حوالى سنة ١٠٠ هـ . انظر معجم الشعراء ٣٦٤ ، وانظر البيتين فى عيون الأخبار ٢٦٢/١ ، وقد نسبا فى الوزراء والكتاب ٤٥ إلى عبد الله بن أبى فروة ، ونسبا فى حماسة أبى تمام ٢٣٥/١ إلى أبى بكر بن عبد الرحمن الزهرى .

(٤) سلم بن عمرو الخاسر ، شاعر ماجن ظريف من شعراء صدر الدولة العباسية ، وشعره رقيق رصين ، انظر فى ترجمته : تاريخ بغداد ١٣٦/٩ ، معجم الأدباء ٢٣٦/١١ ، وانظر الأبيات فى الشعر والشعراء ١٠٠ ، نهاية الأرب ٧٨/٣ ، معجم الأدباء ٢٣٦/١١ .

وقال آخر :

ذَهَبَ البَرْدُ وآبَا فاستَوى العَيْشُ وطَابَا

وقال آخر :

وَلِى من تَمَنِّى النَّفسِ دُنيا عَرِيضَةٌ وَمُصْطَبَحٌ يَغْدُو عَلَىَّ ويَطرُقُ
تُمَلِّكُنِى الأَمْوالَ لافقرَ بعدَهَا وَعِرْسًا غَيُورًا فَاحِشًا وَتطَلَّقُ
فقدتُ المُنَى لانَحْنُ نَلْهُو عن المُنَى لتجربةٍ مِنَّا ولا هِىَ تَصْدُقُ

(١) وقال آخر :

وأَكثرُ أَفعَالِ الليالى إساءةٌ وأَكثرُ ما تَلْقَى الأمانى كَوَاذِبَا (١)

وأنشد نفطويه :

الدَّهرُ يَصْدُقُنَا وَتَكْذِبُنَا المُنَى بِعِدَاتِها وَتَغُرُّنَا الآمالُ
وَإِذَا المَنِيَّة أَقبَلَتْ لم تَثْنِها خَيْلٌ مُطَهَّمَةٌ ولا أَمْوَالُ

وقال آخر :

إنَّ القَنَاعَةَ وَالعفَا فَ لَيُغْنِيَان عن الغِنَى
فإِذَا صَبَرْتَ عَلَى المُنَى فاشكُرْ فَقَدْ نِلْتَ المُنَى

وقال عبد الملك بن حبيب (٢) :

صَلاحُ أَمْرِى والَّذِى أَبْتَغِى هَيْنٌ عَلَى الرَّحْمنِ فى قُدْرَتِه

---

(١) ساقط من ا .
(٢) السلمى الإلبيرى القرطبى ، عالم الأندلس وفقيهها فى عصره ، توفى سنة ٢٣٨ هـ ، ترجمته فى جذوة المقتبس ٢٦٣ ، بغية الملتمس ٣٦٤ .

أَلْفٌ مِنَ البِيْضِ وأقلِلْ بِهـــا لِعالِمٍ أزْرَى عَلَى بُغْيَـــتِهِ
زِرْيابُ قَدْ يأْخُذُها جُمْلَةً وَصَنْعَتِي أَشْرَفُ مِنْ صَنْعَتِهِ(١)

قال آخر :

مُسيئاتُ أَيَّامِ الزَّمانِ كثيرةٌ وُمحسِنَةُ الأيامِ في الدَّهْرِ أَعْلامُ
وعَيْشُكَ فيما تَسْتَخِصُّ وَتَصْطَفِي قَصيرٌ وإنْ طَالَتْ لَيالٍ وأَيَّامُ
فَصِلْ بِسُرُورِ النَّفْسِ عَيْشَكَ إنَّه مَضَى مِثلَ مَامَرَّتْ بعَيْنِكَ أَحْلامُ

قال بشار بن برد :

ذَكَرْنا أَحَادِيثَ الزَّمَانِ الَّذِي مَضَى فَلَذَّ لَنَا مَحْمُودُهَا وَذَمِيمُهَا(٢)

وقال آخر :

مَنْ رَاقَبَ المَوْتَ لَمْ تَكْثُرْ أَمانِيهِ وَلَمْ يَكُنْ طَالِبًا مَا لَيْسَ يَغْنِيهِ(٣)

قيل لرَقَبَةَ بن مَصْقَلَة : أنت بعيد الدار من المسجد ، وتنصرف بلا مُؤنس ؟ قال : إني حين أخرج من المسجد أبتدئ أمنية فما تنقضي حتى أدخل المنزل .

قال لبيد بن أبي ربيعة :

وَاكْذِبِ النَّفْسَ إذَا حَدَّثْتَهَا إنَّ صِدْقَ النَّفْسِ يُزْرِي بِالْأَمَلْ(٤)

---

(١) في الجذوة : سهل على الرحمن ... ، ألف من الحمر ... ، لعالم أوفى، قد يأخذها دفعة . انظر جذوة المقتبس ٢٦٣ ، نفح الطيب ٢/٢١٥ .

(٢) عيون الأخبار ١/٢٦١ .

(٣) ساقط من ب .

(٤) ديوانه ١٠٣ ، الشعر والشعراء ١٥٣ ، نهاية الأرب ٣/٦٧ ، معجم الأدباء : ٢٠/١٠٩

وقال آخر :

رُبَّ من بَاتَ يُمَنِّى نَفْسَهُ ... حَالَ مِنْ دُونِ مُناهُ أَجَلُهْ

قال يزيد على المنبر : ثلاث يُخلِقْنَ العقل ، وفيها دليلٌ على الضعف : سرعةُ الجواب ، وطولُ المنى ، والاستغراقُ فى الضحك .

وقال الأحنفُ بنُ قيس : كثرةُ الأمانى من غُرُور الشيطان .

قال حبيب(١) :

مَنْ كَانَ مَرْتَعُ عَزْمِهِ وهُمُومِهِ ... رَوْضَ الأَمَانِى لَمْ يَزُلْ مَهْزُولاَ

وقال آخرُ :

إذا تمنيتُ بتُّ اللَّيْلَ مغتبطاً ... إنَّ المُنى رأسُ أموالِ المفاليس(٢)

وقال آخرُ :

إذَا حَدَّثَتكَ النَّفسَ أَنكَ قَادِرٌ ... عَلَى ماحَوَتْ أَيْدِى الرِّجَال فَكَذِّبِ

فإنْ أنتَ لم تفعَلْ وَمَالَ بِكَ الهوَى ... إلى بَعْض ما مَنَّتْكَ يَوْمًا فجرِّبِ(٣)

قال أبو العتاهية :

إنما الفقرُ فضُولُ التَّمَنِّى ... فانسَها واستَوْهِبِ اللهَ ذِكْرًا(٤)

قيل لسُليمان بن عبد الملك : ما اللّذةُ ؟ قال : جليس ممتع أضعُ بينى وبينه التّحفُّظ .

---

(١) ديوانه بشرح التبريزى ١/٦٧ .

(٢) نسب البيت فى التمثيل والمحاضرة ١١٢ إلى أبى بكر الخالدى ، وورد فى عيون الأخبار ٣/٢٦١ ، نهاية الأرب ٣/١٠٣ بغير نسبة .

(٣) نسب البيتان فى معجم الشعراء ٣٤٨ إلى الكميت بن زيد الأسدى ونسبها القالى فى النوادر ٤٩ إلى أعرابى من بنى سعد يدعى خنوص ، وكان عمرو بن العاص قد وعده أن يساعده فى نفقات زواجه ثم لم يفعل ، فقال البيتين .

(٤) لم أعثر عليه فى الديوان ، ولعله مما حفظه المصنف من شعره ولم يرد فى مجاميع الديوان .

قال الحَجاجُ بن يُوسف لخُرَيْم — وهو خُرَيم بن خَليفة بن سنان بن أبى حارثة المُرّى — ما العيشُ ؟ قال : الأمنُ ، فإنى رأيت الخائف لا ينتفعُ بعيش . قال : زدنى . قال : والشّبابُ ، فإنى رأيتُ الشّيخ لا ينتفعُ بعيش . قال : زِدنى . قال : والصّحة ؛ فإنى رأيتُ السّقيم لا ينتفع بعيشٍ . قال زِدْنى . قال : لا أجد مزيداً .

قال أعرابىّ :

وما العَيْشُ إلاّ فِى الخُمُولِ مع الغِنَى وعافِيةٍ تَغْدُو بِهاَ وتَرُوحُ

وقال آخر :

إنّ الفتَى يُصْبِحُ للأَسْقامِ كالغَرَضِ المَنْصُوبِ للسِّهامِ
أخطأَ رَامٍ وأصابَ رَامِ يَقُولُ : إنِّى مُدْرِكٌ أَمَامِى
فى قابل ما فاتَنِى فى العامِ[1]

قيل لرجل من الحكماء : من أنعم الناس عيشاً ؟ قال : من كُفِىَ همَّ الدنيا ، ولم يهتم بالآخرة .

---

(١) الرجز لأبى النجم الفضل بن قدامة بن عبيد العجلى ، انظر ثلاثة الأبيات الأولى فى زهر الآداب ١٣/٤ ، وقد ورد فى معجم الشعراء ٣١١ برواية أخرى هى :

المرء كالحالم فى المنام يقول أنا مدرك أمامى
فى قابل مافاتنى فى العام والمرء يدنيه من الحمام
مر الليالى السود والأيام إن الفتى يصبح للأسقام
كالغرض المنصوب للسهام أخطأ رام وأصاب رام

قال الشاعر :

لا تَمَنَّ المُنَى فَتَغْتَرَّ جَهْلاً ... طَالَمَا اغْتَرَّ بالمُنَى الجُهَلاَءُ

قال آخر (١) :

لَيْتَ شِعْرِى وأَيْنَ مِنِّى لَيْتُ ... إنَّ لَيْتًا وإنَّ لوًّا عَنَاءُ

(١) فى ا ، ب : قال الحارث بن حلزة ولم أعثر عليه فى معلقته : آذنتنا ببينها أسماء ، وقد نسب فى الشعر والشعراء ٢٦٣ إلى أبى زبيد الطائى .

باب اخْتِلاَفِ الهِمَمِ فى أنْوَاعِ المَال

عن رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ، أنه قال : « خيرُ المال عينٌ ساهرةٌ لعين نَائِمة » .

وروى عنه عليه السّلام أنه كان يأمرُ الأغنياءَ باتّخاذ الغنم ، ويأمرُ المساكين باتّخاذ الدَّجَاج .

قال مالكُ بن أَنَس[1] — رحمه اللهُ — : لما خرج مروانُ من المدينـة مرّ بماله بذى خُشُب[2] ، فلما نظر إليه قال : ليسَ المالُ إلا ما أُسْرِجَت عليه المناطق .

قيل لابنة الخُسّ : ما تقولين فى مائة من المعز ؟ قالت : قِنًى . قيل : فمائة من الضأن ؟ قالت : غِنًى . قيل فمائة منَ الإبل؟ قالت : مُنًى .

وأما قول امرئ القيس[3] :

لَنَا غَنَمٌ نُسَوِّقُهَا غِزَارٌ كَأَنَّ قُرُونَ جِلَّتِهَا العِصِيُّ

فإنه أراد أنها كانت معزى ، لوصفه قرونها بالعصى ، وأما قوله :

فتملأُ بيتنا إِقْطاً وسَمْناً وحَسْبُكَ من غِنًى شِبَعٌ ورِيُّ

فإنه زعم بعضهم أن الإقط لا يكون إلا من ابن البقر ، وقالوا : المعزى أكثر لبنا ، وأكثر سمنا وزبداً .

---

(١) ا ، ب : أسد .

(٢) فى ا : خشيب ، وهوخطأ ، وذوخشب : واد معروف على مسيرة ليلة من المدينة ، انظر معجم البلدان ٣٧٢/٧ .

(٣) ديوانه ١٣٧ ، عيون الأخبار ٣٣٣/١ .

قال المُستَوْرِد : الذَّهَب والوَرِق حَجَران ، إن تركتَهما لم يزيدا ، وإن أخذتَ منهما نَفِدَا ، والحيوانُ كالبقل[١] إن أصابتْه الشمس ذوى[٢] ، ولكن المالَ الأرضُ والماء .

قال ابن شهاب الزهرىّ - رحمه الله - يخاطب أخاه عبدالله[٣] :

تَتَبَّعْ خَبَايَا الأَرْضِ وادْعُ مَلِيكَها　　　لَعَلَّكَ يَوْمًا أَنْ تُجَابَ فَتُرْزَقَا[٣]

وروى عن النبي صلّى الله عليه وسلم أنه قال : « تسعة أعشار الرزق فى التجارة ، والعشر فى السَّابِيَاء[٤] » .

لما بلغ عمرَ بن الخطاب أن من نزل بالكوفة من الصحابة اتخذوا الضياع وعمروا الأرضين ، كتب إليهم : لا تنهكوا وجه الأرض فإن شحمها فى وجهها .

ولما بلغه أن عُتْبَةَ بنَ غَزْوَان وأصحابه بنوا باللَّبِن كتب إليهم : وقد كنت أكره لكم ذلك ، فإذا فعلتم فعرّضوا الحيطان ، وارفعوا السُّمك ، وقاربوا بين الخشب .

باع رجل رجلا أرضًا ، فقال البائع : أما والله لقد أخذتَها شديدة المئونة قليلة المعونة - يعنى الأرض - . فقال المبتاع : والله لقد أخذتَها بطيئة الاجتماع سريعة التفرق[٥] - يعنى الدراهم .

---

(١) فى ا : والبقل
(٢) فى ا : قوى .
(٣) معجم الشعراء ٣٤١ .
(٤) السابياء : الجلدة الرقيقة التى تحيط بالجنين وهو فى بطن أمه ، والمقصود بها فى الحديث نتاج الإبل والماشية . أنظر النهاية ٢/٣١٤ .
(٥) ب : التفريق .

قالوا : إذا بَعُدَ المال[١] عن موضع ربّه[٢] قلت فوائده .

قال الشاعر :

سَأَبْغيكَ مالاً بالمَدِينة إنَّنِي ... أرى عَازِبَ الأَمْوَالِ قَلّتْ فَوَائِدُهْ[٣]

أوصى سهلُ بنُ حُنَيْف ، أحدَ بنى عبد الرحمن بن عوف ، وكانت أمُّه أنصارية فقال له : إنك أحبّ إخوتك إلىّ ، وإنى موصيك بوصية : اعلم أنه لا عيلة على مصلح ، ولا مال مع الخُرْق[٤] ، واعلم أن خير المال العقل[٥] ، وخير المال ما أطعمك ولم تطعمه وإن قلّ ، واعلم أن الرقيق ليسوا بمال ، ولكنهم جَمال[٦] ، واعلم أن الماشية إنما هى مال أهلها ، وإن كنت متخذاً من المال شيئاً فمزرعة إن زرعتها انتفعت بها ، وإلا لم ترزَأْكَ شيئاً . قال : فحفظت نصيحته ، فكانت لى أنفع مما ورثت[٧]

ذُكر النخلُ والزّرعُ عند بعض الأشراف العقلاء ، فقال : شَرَيْنا النخل من فضول غلات الزرع ، ولم نشتر الزرع من فضول غلات النخل .

قال اللّيثُ بنُ سَعْد : لما افتُتِحت إفريقية عجب الناس من كثرة ما أصابوا فيها من الأموال ، فسألوا بعض من كان معهم من الأسرى ، فبدر إلى شجرة زيتون كانت بين يديه ، فأخذ منها عوداً وأراهم إياه ، وقال : من هـــذا جمعنا هذه

---

(١) ب : الماء .

(٢) ب : ربه .

(٣) عيون الأخبار ١/٢٥١ ، البيان ٢/٤٠٢ ، التمثيل والمحاضرة ٣١١ وفيه : سأبتاع .

(٤) ب : الخريق ، الخرق : الحمق والغفلة .

(٥) ب : العقد .

(٦) ب : خيال .

(٧) ب : ترك عن أبى .

الأموال، نُصيب الزيتون، فيأتينا أهل البحر والبر، والصحراء والرمل، يبتاعون منا الزيتون، فمن ثَمَّ كثرت أموالنا.

قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لعمرو بن العاص: «هل لك يا عمرو أن أبعثك فى جيشٍ يُسلّمك الله ويغنمك، وأرغب لك رغبة صالحة».

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلّم من حديث المِقْدَادِ بن مَعْدِى كرب، وهو حديث صحيح، أنه قال صلّى الله عليه وسلّم: «ما أكل ابنُ آدم طعاماً خيراً له من أن يأكلَ من عملِ يده، وكان داودُ عليه السلام يأكل من عمل يده».

وكان داود عليه السلام يعمل القِفافَ الْخوص، وقيل كان نوح نجاراً، وكان زكريا نجاراً صلى الله عليهما وسلَّم.

وأجمع العلماء أنّ أشرفَ الكَسْب: الغنائمُ، وما أوجف الله عليه[1] بالخيل والرِّكاب، إذا سلم من الغُلول. وقد سمّى الله الجهادَ تجارة مُنْجيَة من عذابٍ أليم.

قال[2] بعضُ لصوص هَمْدان[3]:

---

(١) ساقط من ب.

(٢) فى ب: قالت.

(٣) وردت الأبيات فى الصفحة التالية منسوبة إلى مالك بن حريم فى عيون الأخبار ١/٢٣٧، العقد الفريد ٣/٣٩١، ووردت منسوبة لعمرو بن براقة الهمدانى: فى الأغانى ٢١/١١٣، المؤتلف ٦٦، ٥٧، فى قصة حدثت له مع حريم بن مالك الهمدانى، لا ابنه مالك بن حريم، كما قد يتبادر إلى الذهن من نسبتها إليه فى عيون الأخبار، وأصل القصة أن حريما أغار على إبل لعمرو فذهب بها فجاء عمرو إلى امرأة من همدان كانوا يستشيرونها، فأخبرها الخبر، وأنه يريد الإغارة على حريم، فنهته عن ذلك وحذرته العاقبة، فلم يبال بقولها، وأغار على حريم فاستاق كل شيء له، ولم يستطع حريم أن ينال منه منالا، وقال فى ذلك قصيدته التى منها هذه الأبيات وأولها:

تقول سليمى لاتعرض لتلفة ... وليلك عن ليل الصعاليك نائم

ومنها: كأن حريماً إذ رجا أن أردها ... ويذهب مالى يابنة القيل حالم

وانظر البيتين الثانى والثالث فى البيان والتبيين ٣/١٥٩، الامالى ٢/١٢٢، العقد ٣/٣٩٩، والثالث فى حماسة البحترى ٢٠.

وَمَنْ يَطْلُبِ المَالَ المُمَنَّعَ بالقَنَا يَعِشْ مُثْرِيًا أو تخترمْهُ المَخَارِمُ
مَتَى تجمعِ القَلْبَ الذكيَّ وصَارِمًا وأنفًا حَمِيًّا تَجْتَنِبْكَ المَظَالِمُ
وكنت إذا قوم غزَوْنى غزوتُهُمْ فهل أنا فى ذا يا لَهَمْدَانَ ظالِمُ (٣١)

باب التِّجارَة

قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « أفضلُ الكسب عَمَلُ اليد ، وكلّ بيع مَبْرور » .

وعنه عليه السلام أنه قال : « أفضلُ الكَسْب كسبُ الصَّانع إذا صحّح[1] » .

وقال عليه السلام : « التجارُ هم الفجّار إلاّ من بَرَّ وصدق » .

وقال عليه السلام : « التاجرُ الأمينُ الصدوقُ مع الشّهداء يوم القيامة » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « يا معشرَ التجار ! إن بيعكم هـذا يشوبه الحَلِفُ ، فشوبُوه بالصّدقة » .

وقال صلى الله عليه وسلّم : « الجالبُ مرزوقٌ ، والمحتكر مَلْعون » .

أو قال « ... مَذْموم[2] » .

وقال صلّى الله عليه وسلّم: «تسعةُ أعشار الرِّزْقِ فى التجارة، والعُشْر فى السَّابِياء».

وقال عليه السّلام : « اللّهم بارك لأمّتى فى بُكُورِها » .

وروى عنه عليه السّلام أنه قال : « مِنْ أشْراطِ السّاعة ، أن يُرفع العِلْمُ ، ويقبضَ المال ، ويظهرَ القلمُ ، وتكثرَ التجار[3] » .

---

(١) ا : صنع، وفى مجمع الزوائد ٤/٦١ أخرج الإمام أحمد عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال: خير الكسب كسب العامل إذا نصح . وانظر كتاب البيوع فى صحيح البخارى وسنن النسائى ، وكتاب التجارات فى سنن ابن ماجة .

(٢) ساقط من ا .

(٣) لم نعثر على هذا الحديث بنصه ، وقد أخرج البخارى ، وأصحاب السنن الأربعة ما نصه : عن أنس بن مالك ، قال : « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من أشراط الساعة أن يقل العلم ، ويظهر الجهل ، ويظهر الزنا ، وتكثر النساء ، ويقل الرجال ، حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد » .

وأيضاً : « إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم ، ويثبت الجهل ، ويشرب الخمر ويظهر الزنا » . انظر التجريد فى فتح البارى ١/١٨٨ ، [illegible] صحيح مسلم [illegible]

وقال صلّى الله عليه وسلّم : « من استَقَاله أخوه المسلمُ فى بيعٍ باعه منه فأقاله أقالَه الله من عثرته يومَ القيامة » .

وقال عمرُ بن الخطاب رضى الله عنه : فرّقوا بين المَنَايَا ، واجْعلوا الرَّأسَ رَأسَيْن[١] .

وقال عمرُ : بع الحيَوانَ أحسنَ ما يكونُ فى عينك .

وقال ابنُ شهاب : مرّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بأعرابىّ وهو يبيع مُسَوَّمَـة[٢] فقال : « عليك بأولِ سَوْمَـة ، أو بأول سَوْم ، فإن الرّبحَ مع السَّماح » .

قيل للزبير رحمه اللهُ : بم بلغتَ هذا المال ؟ قال : إنى لم أُرِدْ ربحاً ، ولم أشْتر عيباً .

كان يقالُ : الأسْواقُ موائدُ لله فى الأرض ، فمن أَتاها أصاب منها .

قال خالدُ بن صفوان : فى التِّجَارِ لؤمُ الطبائع ، وعِىّ اللّسان ، وموتُ القلب ، وسوء الأدب ، وقِصَرُ الهمة ، والاشتمالُ على كل بليّة .

اشترى أعرابىٌّ جملا ، فنَدِم عليه فى شرائه ، فجعل يُصَعِّد النظرَ فيه ويصوّبه ليجد ما يتوسّل به إلى ردّه ، فقال البائعُ : مَنْ طلب عيباً وجده .

---

(١) ذكره ابن الأثير فى النهاية ،وقال : فرقوا بين المنية، بدل المنايا ... الخ ، وقال فى تفسيره : إذا اشتريتم الرقيق أو غيره من الحيوان ، فلا تغالوا فى الثمن ، واشتروا بثمن الرأس الواحد رأسين ، فإذا مات الواحد بقى الآخر ، فكأنكم فرقتم بين المنية .

(٢) فى ب : شيئا ، والمسومة : السامة تباع بالمساومة فى ثمنها .

يقال : الغَبْن فى شيئين ، فى الرَّداءة[١] أو الغَلاء ، فإذا استجدتَ فقد سلمت من أحدهما .

قال الراجزُ :

ما أرْخَصَ الغَالِى إذَا كانَ حَسَنْ .

وقال محمود الورَّاق :

وإذا غَلَا شيءٌ عَلَيَّ تَرَكْتُهُ فيكونُ أرْخَصَ ما يكونُ إذا غلاَ[٢]

قال معاوية — رحمه الله[٣] — لقوم : ما تجارتكم ؟ قالوا : بيع الرقيق . قال : بئس التجارة ، ضمان[٤] نفس ، ومئونة ضرس .

قال عمر بن الخطاب[٥] رضى الله عنه : إذا اشتريت بعيراً فاشتره ضخماً ، فإن لم توافق كرماً ، وافقت[٦] لحماً .

ودخل مالكُ بنُ دينار السوق فجلس الى قوم يحدثهم ، فقال : كيفَ سُوقكم ؟ قالوا : كاسدة . قال : غششتم[٧] . قال : وكيف متاعكم ؟ قالوا : ردىء . قال : كذبتم . قال : وكيف كثرته ؟ قالوا : قليل . قال : حلفتم .

---

(١) فى ب : الردىء .
(٢) البيت فى نهاية الأرب ٣/٨٥ ، محاضرات الأدباء ١/٢٢٥ ، المستطرف ١/١٢١ ، ٢/٧٩ .
(٣) ساقط من ب .
(٤) فى ا : ضمن .
(٥) ساقط من ب .
(٦) فى ب : واقعت .
(٧) فى ب : غششتم .

كان عبدالله بنُ مَسْعود يقول : عجباً للتاجرِ كيف يَسْلم ؟ إن باع مَدَح ، وإن اشترى ذَمّ .

قال سعيدُ بنُ المُسَيّب : إذا أبغض الله عبداً جعل رزقه في الصِّياح . يعني — والله أعلم — من لا صناعة لهُ إلاّ النّداء لغير صلاة محترساً بالليل و براحاً بالنهار . ونحو هذا عن الفضيلِ بن عياض ، وزاد كالملاحين ودونهم[1] . [2]ومنهم الذين يصيحون على أسوار المدن بالليل[2] .

قال ابنُ عباس : من اشترى مالا يحتاج اليه يُوشِكُ أن يبيعَ ما يحتاج إليه .

قال المغيرةُ بن حَبْنَاء :

وما كلُّ حينٍ يَصْدُقُ المرْءَ ظَنُّهُ ... وَلاَ كلُّ أَصْحَابِ التِّجَارَةِ يربَحُ

ولابن شهاب الزُّهرى :

ألا كلُّ مَنْ يُهْدَى لَهُ البَيْعُ يُرْزَقُ ... وَقَدْ يُصْلِحُ المالَ اليَسِيرَ المُوَفَّقُ[3]

ولمنصور الفقيه :

بُنَيَّتي لا تَجْزَعِي واصْبِرِي ... عساكِ بِصَبْرِكِ أن تَظْفَرِي

فلو نَالَ يوماً أَبُوكِ الغِنَى ... كَسَاكِ الدّبِيقِيَّ والتُّسْتَرِي[4]

ولكنْ أَبوكِ ابْتُلِي بالعُلومِ ... فَما إنْ يَبِيعُ وَلا يَشْتَرِي

---

(١) في ب : ودونهم .
(٢) زيادة من م .
(٣) ب : الترفق .
(٤) ب الرقيق ، وهو تصحيف ، والدبيق : نوع فاخر من الثياب كان يصنع في بلدة دبيق بمصر . والتسترى : نوع من الثياب الفائقة ، كان يصنع بتستر بإقليم خوزستان بفارس .

بابُ الرِّزْقِ

قال الله عزَّ وجل : ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [1] الآية .

وقال : ﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ﴾ [2] .

سمع رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلم أمَّ حبيبةَ تقول : اللَّهم متِّعْني بزوجي رسول الله ، وبأبي أبي سُفيان ، وبأخِي معاوية ، فقال لها رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : « دَعَوْتِ اللهَ لآجالٍ مَعْلومَةٍ وَأَرْزَاقٍ مَقْسُومَةٍ » .

وقال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلم : « أَبَى الله أن يجعلَ أرْزَاقَ عباده المؤمنين إلَّا مَنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُون » .

وقال عليه السلام : « اسْتَنْزِلُوا الرِّزْقَ بالصدقة » .

وقال عليه السلام : « ولا يَحْمِلَنَّكُمُ استبطاء [3] الرِّزق أن تطلبوه بمعاصي الله؛ فإنهُ لَا يُنالُ ما عنده بما يكره ، اتقوا اللهَ وأجملوا في الطلب ، خذوا ما حلَّ ، ودَعوا ما حرُم » .

وقال عليه السلام لعبد الله بن مسعود : « لا تُكْثِرْ هَمَّكَ يا عبد الله ، ما يقدَّرْ يَكُنْ ، وما تُرْزَقْ يأتِك » [4] .

---

(١) سورة الزخرف : ٣٢ .

(٢) سورة النحل : ٧١ .

(٣) في ا : غيظ .

(٤) في ب : يكون ، يأتيك .

قال الشاعر :

فإنَّكَ مَا يُقْــدِرْ لَكَ اللهُ تَلْقَهُ ... كِفاحًا وَتجلبْهُ عَلَيْكَ الجَوَالِبُ

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن رُوحَ القُدس نَفَثَ فى رُوعِى ، أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها ، فاتقوا اللهَ وأجملوا فى الطلب » .

أنشد ابنُ أبى الدنيا(١) :

وَمَنْ ظَنَّ أَنَّ الرِّزْقَ يَأْتِى بحِيلةٍ ... فقد كَذَّبَته نفسُه وَهْو آثِمُ

يَفُوتُ الغِنَى من لا يَنامُ عن السُّرَى ... وآخرُ يأتى رزقَهُ وَهْوَ نائِمُ

فما الفقرُ فى ضعفِ احتيالٍ ولا الغِنَى ... بِكدٍّ وللأرزاق فى النَّاس قاسِمُ

سأصبرُ إنْ دَهْرٌ أناخ بكلكلٍ ... وأرضَى بحكم الله مالَهُ(٢) حاكِمُ

لقد عشتُ فى ضيقٍ من الدَّهْرِ مُدَّةً ... وفى سَعَةٍ والعِرْضُ مِنِّى سالِمُ

وقال جعفرُ بنُ محمَّد : إنى لأمْلَق فأتاجر الله بالصدقة فأربح .

وقال عروةُ بنُ الزبير(٣) : العاقلُ من إذا رُزق مالاً نظر فيه ، فإنه لا يدرى لعله يكون آخرَ رزقه .

ومما يُروى لعلىّ بن أبى طالب رضى الله عنه ، وفيه نظر :

لو كانَ فى صَخْرةٍ فى البَحْرِ راسِيَةٍ ... صَمَّاءَ مَلْمُومَةٍ مُلْسٍ نَوَاحِيها

---

(١) عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان القرشى الأموى بالولاء ، كان من الوعاظ العارفين بأساليب الكلام وما يلائم طبائع الناس ، وله مؤلفات كثيرة فى الزهد والرقائق ، توفى فى بغداد سنة ٢٨١ هـ. انظر تهذيب التهذيب ١٢/٦ ، تاريخ بغداد ٨٩/١٠ (الأعلام ٢٦٠/٤) .

(٢) ا : فالله .

(٣) فى ب : ابن الزهر .

رِزْقٌ لِعَبْدٍ يَرَاه اللهُ لاَنْفَلَقَتْ حَتَّى يُؤَدَّى إِلَيْهِ كلُّ ما فيها
أَوْ كانَ تَحْتَ طِبَاقِ السَّبْعِ مَطْلَبُهَا لَسَهَّلَ اللهُ فِي الْمَرْقَى مَرَاقِيهَا
حَتَّى تُؤَدِّى الّذِى فِي اللَّوْحِ خُطَّ لَهُ إِنْ هِىَ أَتَتْهُ وَإِلاَّ سَوْفَ يَأْتِيهَا

وأنشد ابنُ الأعرابى :

الحمدُ للهِ لَيْسَ الرِّزْقُ بِالطَّلَبِ وَلاَ العَطَايَا لِذِى[1] عَقْلٍ وَلاَ أَدَبِ
إن قَدَّرَ اللهُ شَيْئًا أَنتَ طَالِبُهُ يَوْمًا وَجَدْتَ[2] إِلَيْهِ أَقْرَبَ السبَبِ
وَإِنْ أَبَى اللهُ مَا تَهْوَى فَلاَ طَلَبٌ يُجْدِى عَلَيكَ وَلَوْ حَاوَلْتَ مِن كَثَبِ
وقد أقول لِنَفْسِى وَهْىَ ضَيِّقَةٌ وَقَدْ أَنَاخَ عَلَيْهَا الدَّهْرُ بِالعَجَبِ
صَبْرًا عَلَى ضَيقَةِ الْأَيَّامِ إِنَّ لهَا فَتْحًا وَمَا الصَّبْرُ إِلاَّ عِنْدَ ذِى الْأَدَبِ
سَيَفْتَحُ اللهُ أَبوابَ العَطَاءِ بِهَا فِيهِ لِنَفْسِكَ راحَاتٌ من التَّعَبِ
وَلَوْ يَكُونُ كَلاَمِى حِينَ أَنْشُرُهُ[3] مِنَ اللُّجَيْنِ لَكَانَ الصَّمْتُ من ذَهَبِ

وقيل لِعلىّ بن أبى طالب رضى الله عنه : كيف يحاسبُ اللهُ العباد على كثرتهم ؟ قال : كما قَسَّمَ بينهم[4] أرزاقهم .

ولسُرَيْج بن يونس المحدث[5] :

يا طالبَ الرِّزْقِ فى الآفاق مُجْتَهِدًا أَتعبْتَ نَفْسَكَ حَتَّى شَفَّكَ التَّعَبُ

(١) فى ب : على .
(٢) فى ا : رجوت .
(٣) فى ب : أنشده .
(٤) فى ب : فيهم .
(٥) فى الأصل : شريح ، وهو خطأ ، والصحيح أنه سريج بن يونس بن ابراهيم البغدادى ، أبو الحارث. العابد محدث ثقة ، توفى سنة [illegible] هـ (تاريخ بغداد [illegible] ، تهذيب التهذيب [illegible]) .

تَسْعَى لرزق كفاكَ اللهُ مُؤْنَتَهُ ... أَقْصِرْ فرزقك لا يأتى به الطَّلَبُ
كم من سَخِيفٍ ضَعِيفِ العَقْلِ نعرفه ... له الولاية والأرزاقُ والذَّهَبُ
ومن حَصِيفٍ[1] له عقلٌ ومعرفةٌ ... بَادِى الخَصَاصَةِ لم يُعْرَف له نَشَبُ[2]
فاسترزقِ اللهَ ممـــا فى خَزَائِنِهِ ... فاللهُ يرزق لا عقلٌ ولاَ حَسَبُ

وقال آخر :

كم من قوىٍّ قوىٍّ فى تَقَلُّبِهِ ... مُهَذَّبِ الرَّأْىِ عَنْهُ الرِّزْقُ مُنْحَرِفُ[3]
وكم ضعيفٍ ضعيفِ الرأى تبصرُهُ ... كأَنه من خليج البحر يغترفُ

أنشد أبو حاتم عن الأصمعى :

يا أيُّها المضْـــمِرُ هَمًّا لا تُهَمّ ... إنَّكَ إنْ تُقْدَرْ لك الْحُمَّى تُحَمْ
ولو علوت شاهقاً من العَلَمْ ... كيفَ تَوَقّيكَ وقد جَفَّ القَلَمْ[4]

قالوا : المقادير تبطل التقدير ، وتَنْقُضُ التدبير .

قال الشاعر :

إذا عَقَدَ القَضَاء عليْكَ عَقْداً ... فَلَيْسَ يَحُلُّهُ إلاَّ القَضَاءُ[5]

وقال ابن المعتز :

يا مُكِلَّ العِيسِ فى دَيْمُومَةٍ ... يَتْبَعُ الآمال كالبَاغِى المُضِلّ

---

(١) ا : خصيب .
(٢) ب : نسب .
(٣) فى ا : ينحرف .
(٤) البيتان فى عيون الأخبار ١٤٧/١ .
(٥) البيت فى التمثيل والمحاضرة ٢٣٢ ، ومعجم الأدباء [illegible] .

إنَّ مفتاح الذى تَطْلُبُهُ   بِيَدِ المِقْدارِ[١] فاصبرْ واتّكِلْ
فَرَغَ اللهُ من الرزق ومن   مُدَّة العُمْرِ ومن وقت الأجَلْ

وقال أبو العتاهية :

وَفَدْتُ إلى الله فى وفده   لِألْتَمِسَ الرِّزْقَ مِنْ عِنْدِه
إذا ما قَضَى اللهُ أمرًا مَضَى   ولم يَقْوَ حَيٌّ عَلَى رَدِّه[٢]

قال المُفَضَّل الضَّبِّي : قيل لأعرابىّ : من أين معاشكم ؟ قال : من أزواد الحاجّ . قلت : فإذا صدروا ؟ فبكى ، ثم قال : لو كنا نعيش من حيث نعلم لم نعش[٣] . ثم قال : أتفهم ؟ قلت : نعم ، فقال :

هَلِ الدهرُ إلاَّ ضِيقَةٌ فتَفَرَّجُ   وإلاَّ جَدِيدٌ ناضِرٌ ثم يَنْهَجُ
أَرَى النَّاسَ فى الدُّنْيا كَسَفْرٍ[٤] تتابعوا   على مَنْهَجٍ ثم استقلُّوا فأَدْلَجُوا

فقال البَرْبرى[٥] :

يا أيُّهَا الطَّاعِنُ فِى حَظِّهِ   إِنَّمَا الطَّاعِنُ مِثْلُ المُقيمْ
كَمْ مِنْ لَبِيبٍ عاقِلٍ قُلَّبٍ   مُصَحَّحِ الجِسْمِ مُقِلٌّ عَدِيمْ
وَمِنْ جهُولٍ مُكْثِرٌ مَالُهُ   ذَلِكَ تَقْدِيرُ العَزِيزِ العَلِيمْ

---

(١) فى ا : بقدر المقدار ، ولا يستقيم معها وزن البيت .
(٢) ديوانه ٦٨ .
(٣) فى ب : لوكنا لانعيش إلا من حيث نعلم . وانظر عيون الأخبار ٣/١٤٥ حيث ساق القصة بصورة أخرى .
(٤) فى ب : كسفن .
(٥) فى ب : اليزيدى ، تحريف ، وقد سبقت ترجمته .

حظكَ يأتيك وإن لم تَرِمْ ... ما ضَرَّ مَنْ يُرْزَق ألاَّ يَرِيمْ[١]

كان يقال : بكّروا فى طلب الرزق ، فإن النّجاح فى التبكير .

قال أبو هريرة : إذا سأل أحدكم الله الرزقَ فلينظرْ كيف يسأل ، فإن الله يرزق الحلال والحرام ، ولكنْ ليقُل اللّهم ارزقنى ما ينفعنى ولا يضرنى .

قالوا : الرزق رزقان رِزْق لا يأتيك إلا بالتسبّب ، ورزق يأتيك به الله من حيث لا تحتسب .

وقلت أنا الرزق رزقان . فرزق تطلبه ، ورزق يأتيك عفواً .[٢]

قال عُرْوة بن أُذَيْنَة ، أو بكر بن أذينة ، وهو الصحيح[٣] :

إنّى لأَعلَمُ وَالأَقْدارُ نافِذَةٌ[٤] ... أَنَّ الّذِى هُوَ رِزْقِى سَوْفَ يأْتينِى

أَسْعَى إليه فيُعيِينِى تَطَلُّبُهُ ... وَلَوْ قَعَدْتُ أتانى لا يُعَنِّينِى

وقال آخر :

تَوَكَّلْ عَلَى الرَّحْمٰنِ فِى كُلِّ حَاجَةٍ ... ولا تؤثِرَنَّ العَجْزَ يَوْمًا عَلَى الطَّلَبْ[٥]

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ قَالَ لِمَرْيَمَ ... إليك فهزِّى الجذع يَسَّاقَطِ الرُّطَبْ

ولو شاء أن تجنيه من غيرِ هَزِّهَا ... جنته ولكن كلُّ شىءٍ له سَبَبْ[٦]

---

(١) ساقط من ا .

(٢) ب : صفوا .

(٣) زيادة فى ب فقط ولم أعثر على مايرجح هذا الرأى فكل المراجع قد أجمعت على أنها لعروة ، انظر المؤتلف والمختلف ٥٤ ، الأغانى ١٠/٢٣٢ ، وفيات الأعيان ٢/١٣٢ ، الوافى بالوفيات ٢/٨٦ ، التمثيل والمحاضرة ٢٥ ، عيون الأخبار ٣/٦٧ ، العقد الفريد ٣/٢٠٥ .

(٤) فى م : جارية ، وقد ورد الشطر الأول فيما عدا الوفيات والعيون والعقد : لقد علمت وما الإسراف من خلقى ، وفى الوفيات : وما الإشراف ، وفى عيون الأخبار : وما الإسراف فى طمع ، وفى العقد : وقد علمت وخير القول أصدقه .

(٥) ساقط من ا .

(٦) البيتان الثانى والثالث فى التمثيل والمحاضرة ٢٦٩ ، وفيه : فهزى إليك الجذع .

وقال آخر :

ما يُغلِقُ اللهُ بابَ الرِّزْقِ عن أحدٍ ... إلّا سيفْتَح دُونَ[١] البابِ أبْوَابَا

وقال بَكْرُ بنُ حَمَّاد[٢] :

النَّاسُ حَرْصَى عَلَى الدُّنْيَا وقَدْ فَسَدَتْ ... فَصَفْوُهَا لَكَ مَمْزُوجٌ بِتَكْدِيرِ

فَمِنْ مُكِبٍّ عَلَيهَا لا تُساعِدُهُ ... وعَاجِزٍ نَالَ دُنْيَاهُ بِتَقْصِيرِ

لم يُدْرِكُوهَا بِعَقْلٍ عِنْدَمَا قُسِمَتْ ... وإنما أدركوها بالمقاديرِ

لَوْ كَانَ عَنْ قُدْرَةٍ أَوْ عَنْ مُغَالَبَةٍ ... طَارَ البُزَاةُ بِأَرزاقِ العَصَافِيرِ

وقال آخر :

قد يُرْزَقُ المَرْءُ لم تَتْعَبْ رَوَاحِلُهُ ... ويُحْرَمُ الرِّزْقَ مَنْ لَمْ يُؤْتَ مِنْ تَعَبِ

وإنني واجِدٌ في النَّاسِ وَاحِدَةً ... الرِّزْقُ أَرْوَغُ شَيْءٍ عن ذَوِي الأَدبِ[٣]

ولعلي بن هشام[٤] :

المرءُ يَسعَى ويَسعَى الرِّزْقُ يَطْلُبُهُ ... وَرُبَّمَا اختَلَفَا فِي السَّعْيِ والطَلَبِ

حَتَّى إذا قَدَّرَ الرَّحْمٰنُ جَمْعَهُمَا ... للاتِّفاقِ أَتَاكَ الرزق عن كَثَبِ

وقال آخر :

يَخِيبُ الفَتَى مِنْ حَيثُ يُرْزَقُ غَيرُه ... ويُعْطَى الفَتَى مِن حَيْثُ يُحْرَمُ صَاحِبُه[٥]

(١) م : بعد .

(٢) ف : ابن جناد ، وهو تحريف ، فهو بكر بن حماد بن سمك الزناتى ، أبو عبد الرحمن التاهرتى ، شاعر ، محدث فقيه ، وفى تاريخ الجزائر : إن شعره كثير جدير بالجمع ، توفى بتاهرت سنة ٢٩٦ هـ . انظر تاريخ الجزائر ٣١/٢ ، البيان المغرب ١٥٣/١ ، (الأعلام ٣٧/٢) .

(٣) البيتان لإبراهيم بن المهدى ، عيون الأخبار ١٩٠/٢ ، الأغانى ٢١٦/٥ .

(٤) شاعر من شعراء الدولة العباسية ، كان سريا كريما بعيد الهمة ظاهر المروءة ، توفى سنة ١٥٦ هـ ، انظر وفيات الأعيان ١٦/٤ التمثيل والمحاضرة ١٥٦ .

(٥) عيون الأخبار ٢١٤/١ ، البيان والتبيين ٣٤٠/٢ .

قال بعض الحكماء : الحلال يقطر قطراً ، والحرام يسيل سيلا .

قال الغَزّال(١) :

طَالِبُ الرِّزقِ الحَلاَلِ لاَ يَقِر   نَهارُهُ ولَيْلُه عَلَى سَفَرْ
فِي الْحَرِّ وَالْبَرْدِ وأوقات المطر   وما له فى ذاك نَزْرٌ مُحْتَقَرْ
إنَّ الحَلاَلَ وَحدَه لاَ يَخْتَمِرْ   أين ترى مالاً حلالاً قَد ثَمِرْ
ما إن رأينا صافياً منه كَثُرْ

قال الناشيء(٢) :

إِذَا الْمَرْءُ أَحْمَى نَفْسَهُ كلَّ شَهوَةٍ   لِصِحَّةِ أَيَّام تَبِيدُ وَتَنْفَدُ
فَمَا بَالُهُ لا يَحْتَمِي عَنْ حَرَامِهَا   لِصِحَّةِ مَا يَبْقَى لَهُ وَيُخَلَّدُ

وقال آخر :

إنَّ الحَرَامَ غزيرَةٌ حَلبَاتُه   وَوَجَدتُ حالبةَ الحَلالِ نَزُورَا(٣)

قال أكثم بن صيفى : من فاته الرزق الحرام فبالعاقبة ظفر .

قال منصور الفقيه :

أَرْزَاقُنَا مَقْسُومَةٌ وهٰكَذَا(٤) آجَالُنَا   فَمَا تَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهَا أَحْوَالُنَا

---

(١) يحيى بن الحكم الجيانى ، كان يسمى الغزال لجماله ، شاعر أندلسى مطبوع ، كان يمتاز ببديهة الرأى وحسن الجواب ، أرسله عبد الرحمن بن الحكم بن هشام سفيراً منه إلى ملك النورمان ، توفى سنة ٢٥٠ هـ . انظر بغية الملتمس ٤٨٥ ، المطرب من أشعار أهل المغرب ١٣٣ .

(٢) عبد الله بن محمد ، الناشيء الأنبارى ، أبو العباس ، شاعر مجيد ، يعد من طبقة ابن الرومى والبحترى ، ولكنه أغرب فى شعره إغرابا شديدا فسقط فى بغداد ، فجاء إلى مصر فسكنها ، ومات بها سنة ٢٩٣ هـ . تاريخ بغداد ١٠/٩٢ ، وفيات الأعيان ٢/٢٧٧ .

(٣) عيون الأخبار ٣/١٨٤ ، وفيه : مصورا بدل نزورا ، والمصور بطيئة خروج اللبن ، والنزور : قليلة الولد ، أو قليلة اللبن .

(٤) ب ، م : وكذا .

وله أيضاً :

ما ضَيَّعَ اللهُ خَلْقًا فأتَّقِي أَنْ أَضِيما
اللهُ يَرْزُقُ مَنْ لاَ يُطِيعُهُ وَالْمُطِيعَا
فَاجعلْ سُكُوتَكَ لِلّـٰهِ وَنَجْوَاكَ جَمِيعاً
وَكلٌّ بُؤْسَى وَنُعْمَى سيَفْنَيَانِ سَرِيعا[١]

وقال آخر :

يا رُبَّمَا جَاءَنِى مَالاَ أُؤَمِّلُهُ وَرُبَّمَا خابَ مَأْمولٌ وَمُنْتَظَرُ
لو زاد فى الرزق حرصٌ أَوْ مُطَالَبَةٌ ما كان من قد يطيلُ الكدَّ يَفْتَقِرُ

ولأبى يعقوب إسْحَاقَ بن حَسَّان الخُرَيْمى[٢] :

أَقِلِّى عَلَىَّ اللَّوْمَ يَا أُمَّ مَالِكٍ فَلَمْ يُؤْتَ مِن حِرْصٍ عَلَى الْمَالِ طَالِبُهْ
فواللهِ ما قصَّرتُ فى وجه مَطْلَبٍ أرى أن فِيهِ مَطْلَبًا فأُطَالِبُهْ
ولكنْ لهذا الرزق وقتٌ مُوَقَّتٌ يُقسّمه بين البَرِيَّةِ وَاهِبُهْ
وأسهَرَنى طول التَّفكُّرِ إنّنى عَجِبْتُ لأَمْرٍ ما تُقَضَّى عَجَائِبُهْ
أرَى فَاجِراً يُدْعَى جَلِيداً لِظُلْمِهِ ولو كُلِّفَ التَّقْوَى لَكَلَّتْ مَضارِبُهْ[٣]
وعَفًّا يسمَّى عاجِزاً لِعفَافِهِ ولولا التُّقَى ما أعجزته مَذَاهِبُهْ
وأحمقَ مَصْنوعاً لَهُ فى أموره يُسوِّده إخوانه وأقاربُهْ

(١) فى ب : سكونك ... والحراك ، وسينسيان مكان سيفنيان .

(٢) شاعر محسن ، وصفه أبوحاتم السجستانى بأنه أشعر المولدين ، أصله من خراسان من أبناء الصغد ، ثم اتصل بعثمان بن خريم ، أو خريم بن عامر المرى فنسب إليه ،توفى سنة ٢١٤هـ . تاريخ بغداد ٦/٣٢٦ ،طبقات الشعراء ٢٩٣ ، زهر الآداب ٤/١٦ .

(٣) ورد هذا البيت فى ا هكذا :

إلى عاجز يدعى جليدا لطابه ولو كلف التقوى لفلت مضاربه

وقد نسب هذا البيت والذى يليه فى معجم الشعراء ٤١٧ إلى أبى بكر العرزمى .

عَلَى غَيْرِ حَزْمٍ فى الأمورِ ولا تُقَى ولا نَائِلٍ جَزْلٍ تُمَدّ مَوَاهِبُـــهْ
فليس لِعَجْزِ الْمَرْءِ أخطأه الغنى ولا باحتيالٍ أدركَ المالَ كاسِبُهْ
ولـكنَّه قَبْضُ الإِلٰهِ وبَسطُهُ فمن ذا يجاريه ومن ذا يُغَالِبُهْ

أنشدنى خلف بن قاسم ، قال : أنشدنا محمد بن عبيد الله الصَّيْدَلاَنِىّ ، قال : أنشدنا علىّ بن سليمان الأخفش :

قَدْ يُرْزَقُ الخافِضُ المقيمُ وما شَدَّ بِعَنْسٍ رَحْلًا ولا قَتَبًا(١)
ويُحْرَمُ الرزقَ ذو المطيةِ والرَّ حْلِ ومن لا يَزَالُ مُغْتَرِبا

وقال محمود الوراق :

قيامَةُ من مات فى موته وإخْمَالِ ما شَاعَ(٢) من صَوْتِهِ
ترى المرءَ يجزعُ من فوت ما لعلّ السَّلامة فى فَوْتِهِ
ويَفْـــــنَى ولم تفنَ آمالُهُ وإعمال ســـوف إلى لَيْتِهِ
وكَمْ أزعج الحِرص من راغبٍ إلى الصِّين(٣) والرِّزْقُ فى بَيْتِهِ

ولأبى الأسود الدؤلى أو العَرْزَمى :

وعَجِبْتُ للدُّنْيَا(٤) وَحِرفَةِ أهلِهَا وَالرِّزْقُ فيما بَيْنَهُمْ مَقْسومُ

(١) فى ا : وما يشد نسعا ولا رحلا ولاقتبا . والبيتان للحكم بن عبدل الأسدى ، انظر حماسة أبى تمام ٢/٥٠ ، معجم الأدباء ١٠/٢٣٩ . والعنس : الناقة القوية .
(٢) ب : من شاع .
(٣) فى ا : إلى الضيق .
(٤) ا : عجبت من الدنيا ، وانظر ديوان أبى الأسود ١٣٦ وفيه : رغبة أهلها .

وَالْأَحْمَقُ الْمَرْزُوقُ أَعْجَبُ مَا أَرى ... مِنْ أَهْلِهَا وَالْعَاجِزُ الْمَحْزُومُ
ثُمَّ انْقَضَى عَجَبِي لِعِلْمِي أَنَّهُ ... رِزْقٌ مُوَافٍ(١) وَقْتُهُ مَعْلُومُ

وقال آخر :

لَيْسَ بِالْعَقْلِ يَطْلُبُ الْمَرْءُ رِزْقًا ... كَمْ رَأَيْنَا مِن أَحْمَقٍ مَرزُوقِ
وأصيل من الرجال نبيلٍ(٢) ... سَدَّ عَنْهُ الْحِرْمَانُ كل طَرِيق

وقال آخر :

الرِّزْقُ يَأْتِي قَدَرًا عَلَى مَهَلْ(٣) ... والمرءُ مطبوعٌ على حُبِّ العَجَلْ

وقال آخر :

يَا رَاكِبَ الْهَوْلِ وَالآفاتِ وَالْهَلَكَهْ ... لَا تَعْجَلَنَّ فَلَيْسَ الرِّزْقُ بِالْحَرَكَهْ
مَن غيرُ(٤) رَبِّكَ فِي السَّبْعِ الْعُلَى مَلِكًا ... وَمَنْ أدار على أرجائِهَا فَلَكَهْ
أما ترى الْبَحْرَ والصَّيَّادُ تَضرِبُهُ ... أمواجُهُ وَنُجُومُ اللَّيلِ مُشْتَبِكَهْ
يَجُرُّ أَذْيَالَهُ وَالْمَوجُ يَلْطِمُهُ ... وعَقْلُهُ بين عَيْنَيْهِ كَكَلْكَلِ السَّمَكَهْ
حَتَّى إذا رَاحَ مَسْرُورًا بِهَا فَرِحًا ... والحوت قَدْ شكَّ سَفُّودُ الرَّدَى حَنَكَهْ
أَتَى إليك بِهِ رِزْقًا بِلَا تَعَبٍ ... فَصِرْتَ تَمْلِكُ مِنْهُ مِثْلَ مَا مَلَكَهْ
لُطفًا مِنَ اللهِ يُعطِي ذَا بِحِيلَتِهِ ... هَذا يَصِيدُ وهذا يأكُلُ السَّمَكَهْ

---

(١) فى ا . سواء : وفى الديوان ، والكامل المحروم بدل العاجز.
(٢) ساقط من ب .
(٣) فى ب : الرزق يأتى مقدوراً على عجل ، وانظر البيت فى البيان والتبيين ٣/ ٢٨٠ .
(٤) ب : من عند .

وقال أبو العتاهية :

طَالَ هَمِّى بِغَيرِ ما يَعنِينِى وَطِلَابِى فَوْقَ الّذِى يَكْفِينِى
ولو أنى كففت لم أبغ رزقى كان رزقى هو الذى يَبغِينِى
أَحْمَدُ اللّهَ ذا المعارج شكراً ما عليها إِلاَّ ضَعِيفُ اليَقِينِ[١]

وقال آخر :

لَعَمْرُكَ ما كلُّ التعطُّلِ ضَائِرٌ ولا كلُّ شُغْلٍ فيه للمرءِ مَنْفَعه
إذا كَانَتِ الأرزاقُ فى القربِ والنَّوَى عَلَيكَ سواءٌ فاغتنم لَذَّةَ الدَّعَه
وإنْ ضِقْتَ فاصْبِرْ يكشِفِ اللهُ ما تَرَى فيَا رُبَّ ضِيقٍ فى جوانِبِهِ سَعَه[٢]

وقال آخر :

هَوِّن عَلَيْكَ فإِنَّ الأَمْرَ مَقْدُورُ وكلُّ شىءٍ من الأشياء مَسْطُورُ
والرِّزْقُ والخَلْقُ والآجالُ قَدْ قسِمَتْ وَأَحْكَمَتْهَا وَزَمَّتْهَا المقادِيرُ
فَلَيسَ يَقْدِرُ مَرْءٌ صَرفَ وَاحِدَةٍ مِنْهَا وَلَوْ كَثُرَتْ مِنْهُ التَّدَابِيرُ
كَم مَنْ رَأَينَاهُ ذَا مَالٍ وذَا سَعَةٍ وذا غَضَارَةِ عَيْشٍ وَهْوَ مَحْبُورُ
لا يَعرِفُ اللّهَ جَهْلاً خاطِئاً حُمُقًا لَوْلَا[٣] غِنَاهُ لَعَافَتْهُ الخَنَازِيرُ
لَم يَرْكَبِ الهَوْلَ فى قَفْرٍ وَلَا لُجَجٍ وَلَا تَكَلَّفَ أَمرًا فِيهِ تَغْيِيرُ
لَكِنْ أَتَاهُ الغِنَى حتَّى أَنَاخَ بِهِ وَمَا تَقَدَّمَ مِنه فِيهِ تَفْكِيرُ[٤]

---

(١) الأبيات فى ديوانه ٢٦٢ ، وفيه طال شغلى ...
(٢) الأبيات لعلى بن الجهم . انظر معجم الأدباء ١٩/٥٤ .
(٣) فى ب : لو .
(٤) فى ب : وماتقدم فيه منه تفكير .

وآخرُ رَجُلٌ نَاهِيكَ مِنْ رَجُلٍ عَلَّامةٌ بأمورِ النَّاسِ نِحْرِيرُ [١]
قَدْ جَالَ في الأرْضِ [٢] حتَّى لم يَدَعْ أُفُقًا شرقًا وغربًا وما في ذاكَ تقصيرُ
وقد تكمَّلَتِ الآدابُ واجْتَمَعت فيهِ العُلُومُ وما تحوى القماطيرُ [٣]
ولم تَفُتْهُ من الأشياء واحدةٌ يَحْظَى بِهَا رَجلٌ إلاَّ الدَّنَانِيرُ

كان يقال : إذا لم يُرزق الإنسانُ ببلدة فلْيتحوَّل إلى أخرى .

قال ابنُ القاسم : سمعتُ مالكاً يقول : بلغني أنَّ عمرَ بن الخطاب قال : مَنْ كانَ له رُزقٌ في شيء فلْيَلزمه .

قال وقال مالك : سمعتُ أهل مكَّة يقولون : ما من أهل بيت فيهم اسم محمَّدٍ إلا رزقوا ورُزق خيراً .

قال العَكّى [٤] :

يَا رُبَّ فِتْيَانٍ ذَوِى [٥] غُرْبَةٍ أَبناءِ أَسْفَارٍ مُقِلِّينَا
مَا أَدرَكُوا في طُولِ تطوَافِهِمْ خفضاً من العيش وَلاَ لِينَا
وَسَهَّلَ اللهُ بتوفيقه ما أَمَّلُوهُ للمقيمينَا
وَإِذا الأَرْزَاقُ مَقْسُومَةٌ يَقْسِمُهَا اللهُ فيعطينَا

ولسهل الورَّاق :

---

(١) ساقط من ب .
(٢) في ا : قد جدل الأرض .
(٣) في ا : القناطير .
(٤) ساقط من م ، ولم أعثر له على ترجمة .
(٥) ب : ولى .

أرى اثنين فى الدنيا وَشتَّانَ ما هُمَا ... وَما مِنهُمَا إلاَّ عَجيبٌ شؤونه
أَخو حرَكاتٍ[١] فى المكاسب مُعْدَمٍ[٢] ... عَلَى أنهُ فيهـا قليلٌ سُكُونُهُ
وآخر مُثْرٍ ذو سُكُونٍ كَأَنَّما ... عَلَى رزقه ذَاكَ السُّكُونُ يُعينُهُ
أَلاَ رُبَّمَا يَأْسَى اللبيبُ لِما يرَى ... وَيكمدُ حتَّى تستهل جُفُونُه
كريمٌ جفاه دهرُه فهْوَ ضائعٌ ... وَلاَ رَيْبَ إلاَّ أَنَّ دهرا يخونُهُ
وَوَغدٌ لئيمُ الطَّبْعِ تحوى يمينُه ... مكاسب ما خفت بهنَّ يمينهُ
فَذَاكَ عَلَى إقتارِهِ ذُو تجمّل ... وَذَا مقرفٌ جَعْدُ البَنَانِ ضَنينُهُ[٣]
إِذَا غاصَ فِى ذَا مُفكِرٌ طاش عقلُهُ ... وَلَم يَدْرِ ما أسبابه وَفنونُهُ
جُدودٌ وفيها للمفكر عِبْرَةٌ ... طويلٌ بها وَسْوَاسُهُ وَشجُونُهُ
ولولا اعتصامُ المرءِ بالعلم إنه ... نجاةٌ لأَهْلِيهِ لساءَتْ ظنونُهُ
وَما كانَ رَبِّى عزَّ رَبِّى بجائرٍ ... وَلـكنَّه علم عجيبٌ يَصُونُه
شَهِدْتُ بأن الله عدلٌ قضاؤه ... وإنى بدين الموقنين أدِينُه

وقال آخر :

وَقَد يَحْرِمُ اللهُ الفتَى وهوَ عاقِلٌ ... ويُعطى الفَتَى مالاً وَلَيسَ بذى عَقلِ
وذلك عدلٌ مِنْ حكومَةِ رَبِّنَا ... يجودُ وَيُعْطى وَهْو ذو النائل الجَزْلِ[٤]

---

(١) فى ا : فواجد خير .
(٢) فى ب : مقدر .
(٣) فى ا : صفينه ، والمقرف :
(٤) ساقط من ا .

وقال آخر :

لاَ تعذُلِي لَمْ أُقصِّرْ وَيْكِ فى الطّلَبِ أَىَّ البلادِ وَأَىَّ الأرضِ لم أجُبِ
هذا وفىّ خلالٌ كلُّهــا سَبَبٌ إلى الغِنَى غيرَ أَن الرِّزقَ لم يُجِبِ[١]
والله أحْمَدُ فى رِزْقى فمــا صَرَفتْ عَنِّى المكاسِبَ إِلاّ حِرْفَةُ الأَدَبِ

وقال الوليد بن عبيد البحترىّ :

وآيَسنى عِلْمِى بأَلاّ تقَدُّمِى مُفِيدِى وَلاَ مُزْرٍ عَلَىَّ تأَخُّرِى
ولَوْ فاَتنِى[٢] المَقْدورُ ممــا أَرُومُه بِسعْيٍ لأَدْرَكْتُ الذى لمْ يُقَدَّرِ[٣]

(١) ساقط من ا.
(٢) ف ا : يأتنى ، وقد أثبتنا ما فى ب لموافقته رواية الديوان .
(٣) ديوانه ٢/ ٥ .

باب الحِرْصِ والأمل

الحرص على أكل الشجرة أخرج آدم من الجْنة .

كان يقال : شدة الحرص من سبل المتالف[1] .

وقال الأحنف : آفة الحرص الحرمان ، ولا ينال الحريص إلاّ حَظّه .

كان الحسن البَصْرىّ يقول : ما بَعُدَ أملٌ إلاّ مُلَّ عمَل .

كان يقال : من أطالَ الأمل أماتَ العمل .

قال بعضُ الحكماء : الإنسانُ لا ينفكُّ من الأمل ، فإنْ فاته الأملُ قَوِى على المنى.

قال : والأمل يقع بسبب ، وباب المنى مفتوح لمن أراد الدخول فيه .

من كلام الحكماء : الرزقُ مَقْسوم ، والحريصُ محرومٌ ، والحسودُ مغمومٌ ، والبخيلُ مَذْموم .

قال الخليلُ بنُ أحمد :

الحِرْصُ مِنْ شَرِّ أُذاةِ الفَتَى لا خَيْرَ فِي الحِرْصِ عَلَى حَالِ
مَنْ بَاتَ مُحْتَاجًا إلى أَهْلِهِ هَانَ عَلَى ابْنِ العَمِّ والْخالِ[2]

وقال غيره : الحرصُ[3] مَفْسَدة ، والبخلُ مَبْغضة ، والعَجَلة خطأ ، والرفق يُمْن ، والبذاء[4] شؤم .

---

(١) فى ا : المثالب

(٢) انظر البيتين فى عيون الأخبار ٣/١٧٨

(٣) فى ب : الرزق .

(٤) فى ا : الهزء

وقال آخر :

أَيُّهَا الدَّائِبُ الْحَرِيصُ الْمُعَنَّى ... لَكَ رِزْقٌ وسَوف تَسْتَوْفيهِ

فاسأل اللهَ وحـــده ودع النَّا ... س وأَسْخِطْهُمْ بمـــا يُرْضِيهِ

لا ينالُ الحريصُ شيئاً فيـكفيـ ... ـهِ وإنْ كانَ فَوْقَ ما يَـكْفِيهِ(١)

وقال محمود الوراق :

غِنَى النَّفْسِ يُغْنِيها إذا كنتَ قانِعاً ... وَلَيْسَ بِمُغْنِيكَ الـكثيرُ مَعَ الحِرْصِ

وإن اعتقادَ الهَمِّ للخيرِ جَامِعٌ ... وَقِلَّةُ هَمِّ المَرْءِ تَدْعُو إلى النَّغْصِ(٢)

وقال أيضاً :

لا تَحْمَدَنَّ أَخَا حِرْصٍ عَلَى سَعَةٍ ... وانظر إليه بعينِ الماقتِ القَالِي

إنَّ الحريصَ لمشغول بِشِقْوَتِهِ ... عن السُّرُورِ بما يحوى من المالِ(٣)

وقال محمود الوراق أيضاً :

عَلَامَ يشقى الحريص فى طَلَبِ الرِّزْ ... قِ بِطولِ الرَّوَاحِ والدَّلَجِ

يا قارعَ البَـــابِ رُبَّ مُجْتَهِدٍ ... قد أَدْمَنَ القرع ثم لم يَلِجِ

وربّ مُسْتَوْلِجٍ عَلَى مَهَـــلٍ ... لم يَشْقَ من قَرْعِهِ ولم يهج

فاطوِ عَلَى الهمّ كَشْحَ مُصْطَبِرٍ(٤) ... فآخر الهمِّ أولُ الفَرَجِ

(١) انظر الأبيات فى عيون الأخبار ٣/١٧٨

(٢) فى ب : الحرص ، وانظرهما فى العقد ٣/٢٠٦ ، وفيه النقص مكان النغص .

(٣) للبيتان فى جامع بيان العلم وفضله ١/١٦٩ .

(٤) طوى كشحه على الشىء : أضمره وستره

وقال آخر :

يا أيها النَّاسُ كان لى أَمَلٌ ... أعْجَلَنِى عَنْ بلوغه الأجلُ
فليتق الله رَبَّهُ رَجُــــلٌ ... أمكنه فى حياته العَمَلُ[١]

كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يتمثل :

وَبالِغُ أمرِ كانَ يَأمُلُ دُونَهُ ... ومُخْتَلِجٍ من دون ما كانَ يأْمُلُ[٢]

وكان يتمثل أيضاً :

لا يَغُرَّنْكَ عِشاءٌ ساكِنٌ ... قَدْ يُوافى بالمنِيَّاتِ السَّحَرْ[٣]

كان المأمون يعجبه قول أبى العتاهية :

تَعالَى اللهُ يا سَلْمُ بْنُ عَمْرٍو ... أَذَلَّ الِحرْصُ أَعْنَاقَ الرِّجَالِ[٤]

أخذه أبو الفتح الملقب بِكُشاجم فقال :

بالحرصِ فى الرِّزْق يذِلُّ الفَتَى ... وفى القُنُوعِ الشَّرَفُ الشَّامِخُ

قال أبو عمر : وشعر أبى العتاهية الذى فيه هذا البيت الذى أعجب المأمون :

نَعَى نَفْسِي إلَيَّ مِنَ اللَّيَالِي ... تَصَرُّفُهُنَّ حَالاً بَعْدَ حالِ
فَما لِي لَسْتُ مَشْغُولاً بِنَفْسِي ... وَمَالِي لَا أَخافُ المَوْتَ مَالِي
لَقَدْ أَيْقَنْتُ أَنِّى غَيْرُ بَاقٍ ... ولـكِنِّى أَرَانِي لَا أُبَالِي

(١) البيتان فى معجم الأدباء ٤/٢٥٩ .
(٢) البيت للجراح بن عمرو الهمدانى ، انظر حماسة البحترى ٣٤٦ ، وانظره فى لباب الآداب ٣١٢ ، معجم الأدباء ١٩/٤٢ ، بغير نسبة .
(٣) لباب الآداب ٣١٢ ، عيون الأخبار ١/١١٨ ، البيان والتبيين ٣/١٨٨ .
(٤) البيت فى ديوانه ٢٠٦ .

تعالَى اللهُ يَا سَلْمُ بْنُ عَمْرٍو ... أَذلَّ الحِرْصُ أَعناقَ الرِّجالِ
هَبِ الدُّنيا تُسَاقُ إِلَيْكَ عَفوًا ... أَلَيْسَ مَصِيرُ ذَاكَ إِلى زَوَالِ
فَمَا تَرْجُو بِشَيْءٍ لِيسَ يَبْقَى ... وَشِيكاً مَا تُغَيِّرُهُ اللَّيالِي[1]

قال : فلما بلغ سلماً الخاسر قول أبى العتاهية ، قال[2] :

مَا أَقْبحَ التَّزْهِيدَ مِنْ وَاعِظٍ ... يُزَهِّدُ النَّاسَ وَلَا يَزْهَدُ
لو كان فى تزهيده صادقاً ... أضْحَى وَأَمْسَى بيتُه المسجدُ
إن رفض الدنيا فما بالُهُ ... يكتنز المال ويسترفدُ
يخافُ أن تَنْفَدَ أرزاقُه ... والرزقُ عند الله لا ينفدُ
الرزقُ مَقْسُومٌ على من ترى ... يَسْعَى له الأبيض والأسودُ

ولأبى العتاهية شعر فى عروض شعره هذا وقافيته أوله[3] :

أَتَدْرِي أَيَّ ذلٍّ فِي السُّؤَالِ ... وَفِي بَذْلِ الوُجُوهِ إِلَى الرِّجَالِ

شعر حسن جيد فى معناه قد ذكره فى باب القناعة من هذا الكتاب .

قال زياد بن أبى سفيان : اثنان[4] يتعجلان النَّصَب ولا يظفران بالبُغية : الحريص فى حرصه ، ومعلِّم البليد ينبو عنه فهمه .

(١) انظر الأبيات فى ديوانه ٢٠٥ ـ ٢٠٦ .

(٢) انظر الأبيات فى جامع بيان العلم ١/١٩٤ ، ومعجم الأدباء ، ١١/٢٣٩ ، وفيات الأعيان ٢/٩٧ ، الأغانى ٢١/٩٠ .

(٣) ديوانه ٢٢٦ ، البيان والتبيين ١/٢١٨ .

(٤) ساقطة من ا .

قال داوُد الطائى : يا ابن آدم ارتحلك[١] الحرصُ فأنساك أجلك ، ونصب لك أملك ، ورب حريص محروم ، وواجد مذموم .

قال مسلم بن قتيبة : فى إفراط الحرص مذلّة قبل إدراك الطلبة .

كانوا يقولون : أول دناءة الحرص ، تأميل البخل .

قال محمود الوراق :

أَرَاكَ يَزِيدُكَ الإِثْرَاءُ حِرْصًا ... عَلَى الدُّنْيَا كَأَنَّكَ لاَ تَمُوتُ
فَهلْ لَكَ غَايَةٌ إنْ صِرْتَ يَوْمًا ... إلَيْهَا قُلْتَ حَسْبِي قَدْ رَضِيتُ

وقال آخر :

الحِرْصُ دَاءٌ قَدْ أَضَرَّ ... بِمَنْ تَرَى إلاَّ قَلِيلا
كَمْ مِنْ عَزِيزٍ قَدْ رَأَيْـ ... ـتَ الحِرْصَ صَيَّرَهُ ذَلِيلا
فَتَجَنَّبِ الشَّهَوَاتِ وَاحْـ ... ـذَرْ أَنْ تَكُونَ لَهَا قَتِيلا
فَلَرُبَّ شَهْوَةِ سَاعَةٍ ... قَدْ أَوْرَثَتْ حُزْنًا طَوِيلا[٢]

وقال آخر :

كَمْ إلى كَمْ أَنْتَ لِلْحِرْ ... صِ وللآمالِ عَبْدُ
لَيْسَ يُجْدِى الحِرصُ والشُّغْـ ... لُ إذَا لَمْ يَكُ جَدُّ

---

(١) ارتحله : حط عليه رحله ليركبه أو يحمل عليه .
(٢) وردت الأبيات فى جامع بيان العلم وفضله ١٦٩/٢ غير منسوبة لقائل، وهى لأبى العتاهية ديوانه ٢١٧ .

مَا لِنَا قد قَدَّر اللَّـ ـــــــــهُ من الأمْرِ مَردّْ(١)

وقال محمود الوراق :

لَا يَنْفَعُ الجِدُّ وَالتَّشْمِيرُ والحَذَرُ ... خُطَّ الـكِتَابُ فَلاَ وِرْدٌ وَلَا صَدَرُ
تَسْتَعْجِلُ النَّفْسُ آمالاً لتَبلُغَهَا ... كَـأَنَّهَا لَا تَرَى مَا يَصنَعُ القَدَرُ

وقال آخر :

كـُلُّنَا نَأْمُلُ مَدًّا فى الأَجَلْ ... وَالمَنَايَا هُنَّ آفاتُ الأَمل(٢)

وقال آخر :

لَقَد غرَّتِ الدُّنْيَا رِجالاً فَأَصبَحُوا ... بِمَنْزِلَةٍ مَا بَعْدَها مُتَحَوَّلُ
فَسَاخِطُ أَمرٍ لا يُبَدَّلُ غَيْرَهُ ... وَرَاضٍ بعَيشٍ غَيْرَهُ سَيُبدَّلُ
وَبالغ أَمرٍ كانَ يأمل غيره(٣) ... وَمُخْتَلِجٍ من دون ما كان يأمل(٤)

وقال محمود الوراق :

الحِرصُ عَوْنٌ للزَّمانِ على الفتى ... وَالصَّبْرُ نِعْمَ العَوْنُ للأَزْمانِ
لَا تَخْضَعَنَّ فإِنَّ دَهْرَكَ إِنْ رأى ... مِنْكَ الخُضُوعَ أَمَدَّهُ بِهَوَانِ

قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم : « احرص على ما ينفعك ولا تعجز ، فإنه

---

(١) وردت الأبيات فى جامع بيان العلم ١/١٧٠ ، وقد ورد البيت الأول هكذا :

كم أنت للحر ... ص والأمانى عبد

وقد وردت فى العقد ٣/٢٠٧ منسوبة لابن أبى حازم .

(٢) البيان والتبيين ٣/١٨٨ .

(٣) ساقط من ب .

(٤) الأبيات لمحمد بن المستنير النحوى البصرى ، المعروف بقطرب ، انظر معجم الأدباء ١٩/٥٤ ، وفيه : فساخط عيش ، ومصطلم مكان مختلج ، ووردت أيضا فى العقد الفريد ٣/١٧٥ بدون نسبة ، وفيه مخترم بدله مختلج والألفاظ الثلاثة معناها واحد ، وهو المختطف بالموت فجأة .

غلبك أمر فقل : قَدَرُ الله وماشاء فعل ، وإياك واللّو ، فإن اللَّوَّ يفتح عمل الشيطان».

ولأبي عبد اللهِ الصُّورى :

لَمَّا رَأَيْتُ النَّاسَ قَدْ أَصْبَحُوا ۔۔۔ وَهِمَّةُ الإِنْسَانِ مَا يَجْمَعُ
قَنِعْتُ بِالْقُوتِ فنِلْتُ الْمُنَى ۔۔۔ وَالْفَاضِلُ الْعَاقِلُ مَنْ يَقْنَعُ
وَلَمْ أُنَافِسْ فِي طِلَابِ الْغِنَى ۔۔۔ عِلْماً بِأَنَّ الْحِرص لا يَنْفَعُ

ولبكرِ بن حَمَّاد :

النَّاسُ حَرْصَى عَلَى الدُّنْيَا وَقَدْ فَسَدَتْ ۔۔۔ فَصَفْوُهَا لَكَ ممزوج بِتَكْدِيرِ[1]

في أبيات ذكرتها في باب «ذكر الدُّنيا » من هذا الكتاب .

---

(١) انظر ص ١٤٣ .

بابُ الطَّمعِ واليأس

كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم يستعيذُ بالله من طَمَعٍ فى غيْرِمَطْمَع ، ومن طَمَعٍ يقود[1] إلى طبع .

قال عمرُ بن الخطاب : ما شىء أذهب لعقول الرجال من الطمع .

وفى حديث آخر أن عُمَر أو ابن الزبير قال[2] لكعب : ما يذهب العلم من صدور الرجال بعد أن علموه ؟ قال : الطمع ، وطلب الحاجات إلى الناس .

وقال كعب : الصَّفا[3] الزَّلَّال الذى لا تثبت عليه أقدام العلماء : الطمع .

قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : فى اليأس الغنى ، وفى الطمع الفقر ، وفى العزلة راحة من خلطاء[4] السوء .

قال عَمْرُو بن عُبَيْد : فى المؤمن ثلاثُ خلال : يسمعُ الكلمة التى تؤذيه فيضربُ عنها صفحاً كأن لم يسمعْها ، ويحبُّ للناس ما يحبُّ لنفسه ، ويقطعُ أسبابَ الطمع من الخلق .

قال أبو العتاهية[5] :

أَطَعْتُ مَطَامِعِي فَاسْتَعْبَدَتْنِى ... وَلَوْ أَنِّى قَنِعْتُ لَكُنْتُ حُرّا

---

(١) ا : يعود .

(٢) فى ب أن عمر وابن الزبير قالا .

(٣) ساقط من ا .

(٤) فى ب : خطا .

(٥) ديوانه ٥٥

ولإسحاق الموصلى :

اللُّؤْمُ وَالذُّلُّ وَالضَّرَاعَةُ وَالفَاقَةُ فِي أَصْلِ أُذْنِ مَنْ طَمِعا

قال ابن المبارك رضى الله عنه : ما الذلُّ إلاّ فى الطمع .

وقال غيره : وَيْحَ من غرّه الطمع ، وتمادى به الوَلَع .

وقال أبو العتاهية(١) :

أَذَلَّ الحِرْصُ وَالطَّمَعُ الرِّقَابَا

وله أيضاً :

إِنَّ المَطامِعَ مَا عَلِمْتَ مَذَلَّةٌ لِلطَّامِعِينَ وَأَيْنَ مَنْ لَا يَطْمَعُ(٢)

وقال محمود الوراق :

وَمَا زِلْتُ أَسْمَعُ أَنَّ النُّفُوسَ مَصَارِعُها بَيْنَ أَيْدِى الطَّمَعْ

وقال بعض الحكماء : قلوبُ الجُهّال تُسْتَعْبَدُ بالأطماع ، وتُسْتَرَقُّ بالمنى ، وتُنَال(٣) بالخدائع .

قال محمد بن أبى حازم :

جَعَلْتُ غَنِيمَةَ الأَطْمَاعِ يَأْسًا فَآوَتْنِى إِلَى كَنَفٍ وَدِيعِ(٤)

(١) ديوانه ١٣ وعجز البيت * وقد يعفو الكريم إذا استرابا *
(٢) ديوانه ١٤٥ .
(٣) فى ب : وتملك .
(٤) ورد البيت فى ب هكذا :
جعلت عقيبة الأطماع يأساً فآوانى إلى كهف وديع

فَتِلْكَ مَطِيَّةُ الإِقْبالِ غُفلاً ... بِلاَ رَحْلٍ يُشَدُّ وَلاَ نسُوع

وقال آخر :

اليأْسُ عَمَّا بِأَيْدِى الناسِ مَكْرُمَةٌ ... وَالرِّزْقُ يصحب والأرزاقُ تَتَّسِعُ

لاَ تَجْزَعنَّ عَلَى ما فَاتَ مَطْلَبُهُ ... ها قد جزعت فماذا ينفع الجزَعُ

إنَّ السَّعَادَةَ يَأْسٌ إنْ ظَفِرْتَ بِهِ ... بعضُ المرَادِ وَإِنَّ الشَّقْوَةَ الطمعُ[١]

أتى رجلٌ إلى خالدِ بنِ عبدِ الله القَسرِىّ ، فقال : أتكلم بجرأة اليأس ، أم بهيبة الأمل ؟ قال بل بهيبةِ الأمل. فسأله حاجةً ، فقضاها .

وقال الهَمْدانىّ :

فَلاَ الحِرصُ يُغنِينى وَلاَ اليأْسُ مَانِعى ... نَصِيبِى مِنَ الشَّىءِ الَّذِى أنَا آمُلُه[٢]

وقال محمود الوراق :

حَدَّثْتُ بِاليَأْسِ عَنْكَ النَّفْسَ فَانْصَرَفَتْ ... واليَأْسُ أَحْمَدُ مَرْجُوٍّ مِنَ الطَّمَعِ

فَكُنْ على ثِقَةٍ أَنِّى على ثِقَةٍ ... أَلاَّ أُعَلِّلَ نَفْسِى مِنكَ بِالْخُدَعِ[٣]

مَحَوْتُ ذِكْرَكَ مِنْ قَلْبِى وَمِنْ أُذُنِى ... وَمِنْ لِسانِى فَصِلْ إنْ شِئْتَ أَوْ فَدَعِ

إنَّ الَّذِى بِبِلاَدِ الصِّينِ أَقْرَبُ لِى ... وَسَاءَ مُنْتَجَعًا لَوْ رُمْتُ مُنْتَجَعِى

إذَا تَبَاعَدَ قَلْبِى عَنْكَ مُنْصَرِفًا ... فَلَيْسَ يُدْنِيكَ مِنِّى[٤] أَنْ تَكُونَ مَعِى

---

(١) الأبيات فى لباب الآداب ٣١٨ ، وفيه : إن ظفرت به بعض المرار .

(٢) البيت للجراح بن عمرو الهمدانى، انظر حماسة البحترى ٢٠٠ ، وفيه : أنا نأمله ، وانظر عيون الأخبار ٢٤٣/٣ .

(٣) فى ا : ألا أعلل بعد اليوم بالخدع .

(٤) فى ا : الا

وقال آخر :

وَلاَ تُلْبِثُ الأَطْماعُ مَنْ لَيْسَ عِنْدَهُ ... مِنَ الدِّين شَىْءٌ ان[1] تميلَ بِهِ النَّفْسُ

كان بشرُ بن الحارث[2] ينشد هذه الأبيات كثيرًا متمثلاً بها :

المَرْءُ يُزْرِى بِلُبِّهِ طَمَعُهْ ... وَالدَّهْرُ فَاعْلَمْ كثِيرَةٌ خُدَعُهْ

والنَّاسُ إخْوَانُ كُلِّ ذِى نَشَبٍ ... قَدْ جاَعَ عَبْدٌ إِلَيْهِمُ ضَرَعُهْ

و كُلُّ مَنْ كانَ مُسْلِماً وَرِعاً ... يَشْغَلُهُ عَنْ عُيوبِهِمْ وَرَعُهْ

كما المَرِيضُ السَّقِيمُ يَشْغَلُهُ ... عنْ وَجَعِ النَّاسِ كُلِّهِمْ وَجَعُهْ

وقال آخر :

اللهَ أَحْمَدُ شاَكِرًا ... فبلاَؤهُ حَسَنٌ جَمِيلُ

أصبحت مسروراً مُعاَ ... فًى بَيْنَ أَنْعُمِه أَجُولُ

خلوًا منَ الأَحزانِ خِفْ ... ـفَ الظهر يُغْنِينِى القَليلُ

وَنَفَيْتُ بِالْيَأْسِ المُنَى ... عَنِّى فَطَابَ لِى المَقِيلُ

والنَّاسُ كُلُّهُمُ لِمَنْ ... خَفَّتْ مَؤُونَتُهُ خَلِيلُ[3]

---

(١) فى ب : أو .

(٢) بشر بن الحارث المروزى ، المعروف بالحافي ، من كبار الصالحين ، ومن ثقات رجال الحديث ، سكن بغداد وتوفى بها سنة ٢٢٧ هـ ، انظر تاريخ بغداد ٦٧/٧ ، روضات الجنات ١٢٣/١ ، (الأعلام ٢٦/٢)

(٣) الأبيات فى معجم الأدباء ٦٨/١٦ ، بغير نسبة .

باب ذَمِّ السُّؤَال ، وحَمْدِ ما جاءَ عَنْ غَيْرِ مَسْأَلَة مِن النَّوال

روى ابن شهاب عن سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطى عمر بن الخطاب عطاءً ، فقال عمر : يا رسول الله ! أعطه من هو أفقر مني . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خذه فتموّله أو تصدق به ، وما جاءك من هذا المال وأنت غير مستشرف إليه ، ولا سائل له[1] فخذه ، وما لا فلا[1] تتْبعه نفسك » .

قال سالم : فمن أجل ذلك كان ابن عمر لا يسأل أحداً شيئاً ، ولا يردّ شيئاً أُعطيه .

قال ثَوْبَانُ : سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لا تسألوا الناس » قال : فما سألتُ أحداً شيئاً بعدها ، فكان سوطه يسقط من يده ، فما يسأل أحداً أن يناوله إياه .

ومن حديث مالك، أن رسول الله صلى الله عليه وسلّم أرسل إلى عمر بن الخطاب بعطائه فردّه ، فقال له : « لم ردَدْته » ؟ فقال : يارسول الله ! أليس أخبرتنا أن خيراً لأحدنا ألاّ يأخذ[2] من أحد شيئاً ؟ فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلم : « إنما ذلك عن المسألة ، فأما ما كان من غير مسألة فإنما هو رزق ساقه الله إليك » . فقال عمر : والذى نفسى بيده لا أسأل أحداً شيئاً ولا يأتينى شيء من غير مسألة إلاّ أخذته .

---

(١) ساقط من ب .

(٢) فى ا : أن خيراً لأحدنا أن يأخذ .

قال أبو الدَّرْدَاء : إنّ أحدَكم يقول : اللهم ارزقني ، وقد علم أنَّ الله لا يخلق له ديناراً ولا درهماً ؛ وإنما يرزقُ بعضكم من بعض ، فإذا أُعطى أحدكم شيئًا فليقبلْه، فإنْ كان غِنيا فلْيَضعْه فى أهل الحاجة من إخوانه ، وإن كان إليه فقيراً فليستَعِنْ به على حاجته ، ولا يردّ على الله رزقَه الذى رزقه .

قال عبد الله بن عُمر : ما يمنع أحدكم إذا أتاه الله برزق لم يسأله أن يقبلَه ، فإن كان غنيا عاد به على أخيه ، وإن كان محتاجًا كان رزقًا قسمه اللهُ له .

قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : « من سأَل وعنده ما يغنيه فإنما يستكثر من جَمْر جهنم » .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلّم : « للسائل خدوشٌ أو كُدُوحٌ يَكْدَحُ بها الرّجلُ وجهه إلاّ أن[1] يسأَل ذا سُلْطان » .

وروى عنه عليه السلام ، من حديث هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة ، أن النبيّ صلّى الله عليه وسلم قال : « إذا دَخَلَ السّائلُ بغير إذنٍ فلا تُطْعموه» .

وقال عليه السلام : « مَنْ كان لا بدّ سائلا فليسأَل الصّالحين ، أو ذا سلطان ، أو فى أمر لا يجد منه بدًّا » .

وقد أشبعنا هـذا الباب وأوضحنا معانيه فى كتاب « التمهيد » والحمد لله .

رفع الواقدىُّ — رحمه الله — إلى المأمون رقعة ، فوقع فيها المأمون : إنك رجلٌ فيك خَلّتان : سخاءٌ وحياءٌ ، فأَما السخاء فهو الذى أطلق ما فى يديك ، وأما الحياء فهو الذى منعك من أن تطلعنا على ما أنت عليه[2] ، وقد أمرنا لك بثلاثة آلاف .

---

(١) فى ا : إذا بدلا من : إلا أن .
(٢) فى ب : فيه .

درهم[١]. فان كنا أصبنا إرادتك فذاك ، وإن لم نكن فبجنايتك على نفسك ، وأنت حدثتني وأنت على قضاء الرشيد ، عن محمد بن إسحاق ، عن الزهري ، عن أنس ، أن رسولَ اللهِ صلّى الله عليه وسلّم ، قال للزُّبير «يا زبير! إن مفاتيح الرزق بإزاءِ العرش، ينزل الله للعباد أرزاقهم عَلَى قَدْر نفقاتهم ، فمن كَثَّر كُثِّرَ له ، ومن قَلَّلَ قُلِّلَ له » . قال الواقديّ : فقلت له : يا أمير المؤمنين ! قد نسيت هذا الحديث ، فكان تذكارك إياى له أعجب إلىّ من الجائزة .

قال أبو العتاهية[٢] :

إذَا مَا المَرْءُ صِرْتَ إلى سُؤَالِهْ ... فَمَا تُعطِيهِ أَكْثَرُ مِنْ نَوَالِهْ
وَمَنْ عَرَفَ المحَامِدَ جَدَّ فيهَا ... وحَنَّ إلى المَكارِمِ باحْتِيَالِهْ[٣]
وَلَمْ يَسْتَغْلِ مَحْمَدَةً[٤] بِمَالٍ ... وَلَوْ كَانَتْ تُحيطُ بِكُلِّ مَالِهْ
عِيَالُ اللهِ أَكْرَمُهُمْ عليهِ ... أَبَثُّهُم المَكارِمَ فِي عِيَالِهْ

وللفقيه أبي عمر بن عبد البر رضى الله عنه :

تَعَفُّفُ المَرْءِ عَنْ سُؤَالِهْ ... وَكَسْبُهُ الحِلَّ باحْتِيَالِهْ
وَسَعْيُهُ فِي صَلَاحِ عَيْشٍ ... لِمَنْ يُوَارِيهِ مِنْ عِيالِهْ
مُرُوءَةٌ وَبَالِغٌ بِهَا[٥] ... مَن يَبْلُغُهَا مُنْتَهَى كَمَالِهْ

(١) فى لباب الآداب ٨٣ أنها مائة ألف درهم .
(٢) ديوانه ٢٣٠ .
(٣) فى الديوان : إلى المحامد باحتياله .
(٤) فى ب : ولم تشغله .
(٥) فى ب : ومنها .

ومن يَصُنْ وَجْهَهُ يَزِنْهُ صِيَانَة الْوَجْهِ مِنْ جَمالِهْ
رِضَى الفتى بالقضاء عِزٌّ وذِلَّةُ الوَجْهِ فِي ابْتِذَالِهْ

ولأبي دُلَف العِجْلي [١] :

بَلوْتُ مَرَارَةَ الْأَشْيَاء طُرًّا فَمَا شَيْءٌ أَمَرَّ مِنَ السُّؤَالِ
وَلَمْ أَرَ فِي الخُطُوبِ أَشَدَّ هَوْلا [٢] وأَصْعَبَ مِنْ مُعَادَاةِ الرِّجالِ [٣]

وقال أعرابي:

عَلامَ سُؤَالُ النَّاسِ وَالرِّزْقُ واسِعُ وأَنْتَ صَحِيحٌ لم تَخُنْكَ الأصابعُ
وَفِي العَيْشِ [٤] أَوْطَارٌ وَفِي الأرضِ مَذْهَبٌ عَرِيضٌ وَبَابُ الرِّزْقِ فِي الأرضِ وَاسِعُ
فَكُن طَالِبًا لِلرِّزْقِ مِنْ رَازِقِ الغِنَى وَخَلِّ سُؤَالَ النَّاسِ فَاللهُ صانِعُ

وحج هارون الرشيدُ ، فأَرسل إلى سفيان بن عيينة فأَمره أن يحدث بنيه ، فقال ، يا أمير المؤمنين ! قد سأَلني الناس فامتنعت عليهم ، ولكني أجلس لبنيك وللناس ، فقال : نعم . فلما جلس صاح به الناس : سأَلناك الجلوس لنا فأَبيت علينا ، فلما جاءك المال والجائزة جلست . فقال للمستملي : أنصتهم لي . فصاح المستملي : صَه صَه . فسكت الناس ، فأَخرج سفيان بن عيينة رأسه إليهم ، وقال : حدثني الزهري ، عن أنس بن مالك ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما شيء

(١) في ا : وقال آخر .
(٢) في ا : هما .
(٣) البيتان لأبي العتاهية كما في ديوانه ٢٠٧ ، وفيه : وذقت مرارة ... الخ ، ونسبت للأفوه الأودي في عيون الأخبار ٢/١١٣ .
(٤) في ا : وللعيش .

أحل وأطيب من ثلاثة : صداق الزوجة ، والميراث ، وما أتاك الله به من غير مسألة ، فإنه رزق ساقه الله إليك » . والله ما جئت هذا الرجل ولا سألته شيئًا من ماله ، ولو وجّه إليّ شطر ماله لقبلته ، ثم أدخل رأسه ولم يحدثهم في ذلك الموسم بشيء[١].

أشخص المنصور سِوَارًا القاضيَ[٢] من البصرة إلى بغداد في شيء أراد أن يشافهه فيه ، فمر بواسط ، وفيها يحيي بن سعيد الأنصاري[٣] يتولى القضاء ، فدلّ[٤] عليه ، فقال له : ألك حاجة إلى أمير المؤمنين ؟ قال : نعم يعفيني من القضاء . فقال سوار للمنصور إذ[٥] قدم عليه ، وكلمه فيما أراد : يا أمير المؤمنين ! الأنصار تعلم ما يجب في حقهم . قال : هيه . قال : يحيي بن سعيد تعفيه من القضاء . قال : قد أعفيته . فلما انحدر سِوَار مرّ بواسط ، فقال ليحيي بن سعيد : قد أعفاك أمير المؤمنين . فقال : لا جزاك الله خيرًا عن صبية من الأنصار كانوا يقتاتون هذه الست[٦] مائة درهم في كلّ شهر .

كأنه أراد أن يعرّض ولا يحقق .

كان الحسن البصريّ رحمه الله يقول : لا يردّ جوائزهم إلاّ أحمقُ أو مُرَاءٍ ، وقد ذكرنا مَنْ رأى[٧] قبول جوائز السلطان من أئمة أهل العلم ، ومن تورع عن ذلك منهم في كتاب « التمهيد » والحمد لله .

---

(١) زيادة من ب .

(٢) سوار بن عبد الله بن قدامة العنبرى ، من أهل البصرة ولى قضاءها لأبى جعفر المنصور ، وكان عالماً بالحديث والفقه ، له أخبار مشهورة فى العدل والورع توفى سنة ١٥٦ هـ . تهذيب التهذيب ٤/٢٦٩ ، تاريخ بغداد ٩/٢١٠ .

(٣) يحيى بن سعيد بن قيس الأنصارى النجارى ، من أكابر أهل الحديث ولى قضاء المدينة فى زمن بنى أمية ، ثم رحل إلى العراق فولاه أبو جعفر قضاء الحيرة وتوفى بالهاشمية سنة ١٤٣ هـ . تهذيب التهذيب ١١/٢٢١ ، تاريخ بغداد ١٤/١٠١ .

(٤) ب : فنزل .

(٥) ب : إذا .

(٦) ا : السنة .

(٧) ساقط من ا .

قال مُطَرِّفُ بن الشِّخِّير[١] : إذا كانت لأحدكم إلىّ حاجة فليرفعها فى رقعة ولا يواجهنى بها ، فإنى أكره أن أرى فى وجه أحدكم ذل المسألة .

وقد روى عن يحيى بن خالد بن برمك مثل ذلك ، وتمثل :

ما اعْتَاضَ باذلُ وَجْهِهِ بِسُؤَالِهِ ... عِوَضًا وَلَوْ نَالَ الغِنَى بِسُؤَالِ
وإذا السُّؤَالُ مع النوَالِ وزنْتَه ... رَجَحَ السُّؤَالُ وخفّ كلُّ نوال[٢]

لبعض الكتاب إلى عبدالله بن طاهر :

وَلَقَدْ عَلِمْتُ وَإِنْ نَصَبْتَ[٣] لِىَ المُنَى ... أَنّ الخَصَاصَةَ لاَ تُدَاوَى بِالمُنَى
فَلَئِنْ وَفَيْتَ لَأَنْهَضَنَّ بِشُكْرِكُمْ ... وَلَئِنْ أَبَيْتَ لأحملنَّ على القضا

فأنجز له عبدالله بن طاهر عدته .

قال الحسن بن عُبَيْد البغدادى :

صُنِ الوَجْهَ الّذِى إنْ لَمْ تَصُنْهُ ... بَقِيتَ وَأَنْتَ فِى الدُّنْيَا ذَلِيلُ
وعِشْ حُرًّا ولاَ يَحْمِلْكَ ضُرٌّ ... عَلَى مَرْعىً لَهُ غِبٌّ وَبِيلُ
فَلَيْسَ الرَّأْىُ إلاَّ الصَّبْرَ حَتّى ... يُدِيلَ اليُسْرَ مِنْ عُسْرٍ مُدِيلُ[٤]
أَلَيْسَ لِكُلِّ آفِلَةٍ طُلُوعٌ ... بَلَى ولِكُلِّ طَالِعَةٍ أُفُولُ

---

(١) الحرشى العامرى ، زاهد من كبار التابعين ، ومحدث ثقة. له كلمات فى الحكم مأثورة ، ولد فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم كانت إقامته ووفاته بالبصرة ، توفى سنة ٨٧هـ على الأصح ، انظر تهذيب التهذيب ١٧٣/١ ، وفيات الأعيان ٩٧/٢ .

(٢) البيتان لأبى العتاهية ، ديوانه ٢٠١ ، لباب الآداب ٣٠٧ .

(٣) ب : لى يصيب .

(٤) ب : يزيل اليسر من عسر مزيل .

وكان أَبَانُ بنُ عثمان رحمه الله يتمثل :

مَالِي تِلَادٌ وَلَا استَطْرَفْتُ من نَشَبٍ ... وما أُؤَمِّلُ غَيْرَ الله من أَحَدِ
إنّي لَأُكرم وَجْهِي أن أُوَجِّهَهُ ... عِنْدَ السُّؤَال لغير الوَاحِدِ الصَّمَدِ
عِزُّ القَنَاعَةِ والإيمان يَمْنَعُنِي ... من التَّعَرُّضِ لِلمَنَّانَةِ النَّكِدِ
رضيت باللهِ في (١) يَوْمِي وفي غدِهِ ... والله أكرمُ مَأْمُولٍ لِبَعْدِ غَدِ

قال أبو العتاهية :

أَتَدْرِي أَيَّ ذُلٍّ في السُّؤَالِ ... وَفِي بَذْلِ الوُجُوهِ إِلَى الرِّجَالِ
يَعِزُّ عَلَى التَّنَزُّه مَنْ رَعَاهُ ... وَيَسْتَغْنِي العَفِيفُ بغيرِ مالِ
إذا كان السُّؤال بِبَذْلِ وَجْهِي ... فَلَا قُرِّبْتُ من ذاك النَّوَالِ
مَعَاذَ اللهِ مِنْ خُلُقٍ دَنِيٍّ ... يكون الفَضْلُ فيه عَلَيَّ لَا لِي (٢)

وقال أيضاً :

لَوْ رَأَى النَّاسُ نَبِيًّا ... سَائِلاً مَا رَحِمُوهُ (٣)

ولأبي دلف أو لعبد الله بن طاهر :

أَعْجَلْتَنَا فَأَتَاكَ عَاجِلُ بِرِّنَا ... قلًّا وَلَوْ أَمْهَلْتَنَا لَمْ يَقْلِلِ (٤)

(١) ب : من .
(٢) ديوانه ٢٢٦ .
(٣) ديوانه : ٢٠٥ ، وفيه : ماوصلوه .
(٤) ونسب البيت في العقد الفريد ١/٢٨٧ إلى الحسن بن وهب ، وانظره في عيون الأخبار ١/٣٢٤ .

وقال عبدُ الصمد بن المُعَذَّل[١] ، في حين قدوم يحيى بن أكثم البصرة ، قالت له امرأته: لو أتيته فسألته، فقال :

تُكَلِّفُنِي إذلالَ نَفْسِي لِعِزِّهَا ... وَهَانَ عَلَيْهَا أن أُهَانَ لِتُكْرَمَا

تقول : سَلِ المَعْرُوفَ يَحْيَى بْنَ أَكْثَمٍ ... فقلتُ : سليه ربَّ يَحْيَى بنِ أَكْثَما[٢]

وقال مُسْلِمُ بنُ الوَلِيد :

أقول لمأفون البديهة طائر ... مَعَ الْحِرْصِ لم يغنم ولم يَتَمَوَّلِ

سَلِ الناسَ إِنِّى سائِلُ اللهِ وحْدَهُ ... وصائِنُ عِرْضِى عن فُلاَنٍ وعَن فُلِ[٣]

قال حبيب :

وما أُبَالِى وَخَيْرُ القَوْلِ أصْدَقُهُ ... حَقَنْتَ لِى ماءَ وَجْهِى أَمْ حقَنْتَ دَمِى[٤]

قال محمود الوراق :

يا أيُّهَا الطَّالِبُ مِنْ مِثْلِهِ ... رِزْقًا لَهُ جُزْتَ عَنِ الحِكْمَهْ

لَا تَطْلُبِ الرِّزْقَ إِلَى طَالِبٍ ... مِثْلِكَ مُحْتَاجٍ إِلَى الرَّحْمَهْ

وارغب إِلَى اللهِ الذى لم يَزَلْ ... فى يده النعمــة والنِّقْمَهْ[٥]

وقال يونس[٦] :

---

(١) العبدى ، من شعراء الدولة العباسية ، ولد ونشأ فى البصرة ، وكان هجاء شديد العارضة . توفى سنة ٢٤٠ هـ . انظر فوات الوفيات ١/٢٧٧ ، الموشح للمرزبانى ٣٤٦ (الأعلام ٤/١٣٤) .

(٢) البيتان فى وفيات الأعيان ٦/٦٢ ، الكامل ١/٢٣٣ .

(٣) ديوانه ٢٠٦ ، عيون الأخبار ١/٣٣ .

(٤) ديوانه ١٤٥ ، العقد الفريد ٥/٢٧٩ ، نهاية الأرب ٢/١١٠ ، فصل المقال ٢٩٣ .

(٥) ساقط من ب .

(٦) الأرجح أنه يونس بن عبيد ، شيخ البصرة ومحدثها ، وكان يتكسب من بيع الخز ، وقد نعته الذهبي نه أحد أعلام الهدى ، توفى سنة ١٣٩ هـ ، انظر تاريخ الإسلام للذهبى ٥/٣١٨ ، تهذيب التهذيب ١١/٤٤٢ (الأعلام ٩/٣٤٦) .

إنّ الوُقوفَ عَلَى الْأَبْوَابِ حِرْمان ... والعَجْزُ أَنْ يَرْجُوَ الإِنسَانَ إنسان
حتى م تأمُل مَخْلوقاً وتقصده ... إن كان عندك بالرحمن إيمانُ
عَطَاؤهُ لَكَ إِنْ أَعْطاكَهُ ضِعَةٌ[1] ... فكَيْفَ إن كانَ بَعْدَ المطْلِ حِرْمانُ
ثِق بالذى هو يُعْطى ذا ويمنع ذا ... فى كلِّ يومٍ له فى خَلْقِهِ شانُ

[2] قال محمود الوراق :

إنَّ السُّؤَالَ — فعدِّ عنه — قَلِيلُهُ ... ثمَنٌ لِكُلِّ عَطِيَّةٍ أَوْ مالِ
والحال تَقْعُدُ بالكريم فما ترى ... فيه لِعِزَّتِهِ تَغَيُّرَ حالِ[2]

وقال أيضاً :

شَادَ الْمُلُوكُ قُصُورَهُمْ وتَحَصَّنُوا ... مِنْ كلِّ طالِبِ حَاجَةٍ أَوْ رَاغِبِ
غَالَوْا بِأَبْوَابِ الحَدِيدِ تَمَنُّعاً ... قَدْ بَالَغوا فِي قُبْحِ وَجْهِ الحَاجِبِ[3]
فَاطْلُبْ إِلَى مَلِكِ المُلوكِ وَلاَ تَكُنْ ... بَادِي الضَّرَاعَةِ طالِباً مِنْ طَالِبِ

وقال النمر بن تولب :

لا تَغْضَبَنَّ عَلَى امْرِئٍ فِي مالِهِ ... وَعَلَى كَرَائِمِ صُلْبِ مالِكَ فَاغْضَبِ[4]

وقال عبيد بن الأبرص :

مَنْ يَسْأَلِ النَّاسَ يَحْرِمُوهُ ... وَسَائِلُ اللهِ لاَ يَخِيبُ[5]

(١) فى ا : إن أعطاك ضيعة .   (٢) ساقط من ب .
(٣) فى ب : لمنعها وتانقوا ، وفى العقد الفريد ١/٨٦ : لعزها وتنوقوا بمعنى بالغوا أيضاً .
(٤) الشعر والشعراء ٢٦٩ ، طبقات فحول الشعراء ١٣٣ ، مختارات ابن الشجرى ١٦ .
(٥) الشعر والشعراء ١٤٥ ، عيون الأخبار ٣/١٨٨ ، العقد الفريد ٤/٢٤٨ .

وقال النمر بن تولب :

وَمَتَى تُصِبْكَ خَصَاصَةٌ فَارْجُ الغِنَى　　　وَإِلَى الَّذِى يَهَبُ الرَّغَائِبَ فَارْغَبِ(١)

وقال أبو الأسود الدؤلى :

وَإِنَّ أَحَقَّ النَّاسِ إِنْ كُنْتَ مَادِحًا　　　لِمَدْحِكَ مَنْ أَعْطَاكَ وَالعِرْضُ وَافِرُ(٢)

وقال سَلْمُ الخاسر :

وَفَتًى خَلَا مِنْ مَالِهِ　　　وَمِنَ المُرُوءَةِ غَيْرُ خَالِ
أَعْطَاكَ قَبْلَ سُؤَالِهِ　　　وَكَفَاكَ مَكْرُوهَ السُّؤَالِ(٣)

قال قيسُ بنُ عاصِم : إياكم والمسألة ، فإنها آخر كسب الرجل .

دخل أعرابىٌّ على داود بن مزْيَد المهلّبى ، فقال : إنى لم أصُنْ وجهى عن مسألتك ، فصُنْ وجهك عن ردِّى ، وضَعْنى من كرمك بحيث وضعتك من أملى فيك . قال : قد أمرت لك بعشرة آلاف درهم ، وهى أكثر من قدرك . قال : والله لئن جاوزتَ قدرى فما بلغتْ قدرَك .

قال أبو الفرج الببغاء :

ما الذُّلُّ إلاَّ تَحَمُّلُ المِنَنِ　　　فَكُنْ عَزِيزًا إنْ شِئْتَ أوْ فَهُنِ(٤)

---

(١) انظر مراجع البيت فى هامش رقم ٤ فى الصفحة السابقة .
(٢) ديوانه ٣٨ ، وتردد فى نسبتها فى العقد ٢٧٨/١ بين المنذر بن أبى سبرة وبين أبى الأسود .
(٣) ورد البيتان فى معجم الأدباء ٢٤١/١١ ، لباب الآداب ٣٠٨ البيان ٣١٣/٣ ، منسوبة لسلم ، ونسبها فى فصل المقال ٢٩٣ لأشجع السلمى ، وورد البيت الثانى فى حماسة البحترى ٢٣١ بدون نسبة .
(٤) يتيمة الدهر ٢٢٩/١ ، نهاية الأرب ١٠٦/٣ .

وقال آخر :

أَمِنْ بَيْتِ الكِلَابِ طَلَبْتَ عَظْماً ... لَقَدْ حَدَّثْتَ نَفْسَكَ بالمُحَالِ[١]

وقال آخر :

لَعَنَ اللهُ نَائِلاً تَرْتَجِيهِ ... مِنْ يَدَىْ مَنْ[٢] تُرِيدُ أَنْ تَقْتَضِيهِ

أَىُّ فَضْلٍ لِصَاحِبِ الفَضْلِ مِنْ بَعْـــدِ تَقَاضِيهِ وَابْتِذَالِ الوُجُوهِ

إنما الفَضْلُ وَالسَّمَاحُ لِمَنْ يُعْـ ... ـطِيكَ عَفْوًا وَمَاءُ وَجْهِكَ فِيهِ

أَيُّهَا الدَّائِبُ الحَرِيصُ المُعَنَّى[٣] ... لَكَ رِزْقٌ وَسَوْفَ تَسْتَوْفِيهِ

فَسَلِ اللهَ وَحْدَهُ وَدَعِ النَّا ... سَ وَأَسْخِطْهُمُ بِمَا يُرْضِيهِ

لَنْ تَرَى مُعْطِيًا لِمَا مَنَعَ اللَّـــهُ وَلَا مَانِعًا لِمَا يُعْطِيهِ

وقال آخر :

إِذَا مَا كُنْتَ مُتَّخِذًا خَلِيلاً ... فَخَالِلْ مِثْلَ حَسانِ بنِ سَعدِ[٤]

فَتًى لَا يَرْزَأُ الإِخْوَانَ شَيْئًا ... وَيَرْزَؤُهُ الخَلِيلُ بِغَيْرِ كَدِّ

وقال آخر :

وَلَسْتُ بِسَائِلِ الأَعْرَابِ شَيْئًا ... حَمِدْتُ اللهَ إِذْ لَمْ يَأْكُلُونِى[٥]

---

(١) التمثيل والمحاضرة ٣٥٦ .

(٢) ق ب : ما .

(٣) ق ب : تأيد .

(٤) ب : ابن عبد ، والبيتان للفرزدق فى مدح حسان بن سعد الأسدى من أهل الكوفة وكان والى البحرين، وبنى لبنى أسد مسجدهم بالبصرة ، شرح ديوان الفرزدق ١٥٣ .

(٥) انظر البيت في عيون الأخبار ٣/١٣٤ بدون نسبة، وقد نسبه في الكامل ١/٢٠٨ إلى أبى فرعون العدوى.

وقال أعرابى :

إنَّ المَسائِلَ للرِّجالِ مَذَلَّةٌ تَفْنى مَنافِعُها وَيَخْلُدُ عارُها

وقال آخر :

وَكائِنْ رَأينا مِنْ فَتًى مُتَجَمِّلٍ يَظَلُّ وَيُمْسِى لَيْسَ يَمْلِكُ دِرْهَما
يَبِيتُ يُراعِي النَّجْمَ مِنْ سُوءِ حالِهِ وَيُصْبِحُ يُلْقَى(١) ضاحِكاً مُتَبَسِّما
وَلَا يَسأَلُ المُثْرِينَ ما فِي رِحالِهِمْ وَلَوْ ماتَ هُزْلاً عِفَّةً وَتَكَرُّما
وَلَا يَسْأَلَنْ مَنْ كانَ يَسأَل مَرَّةً(٢) وَإنْ كَثُرَتْ أموالُهُ وَتَدَرْهَما

وقال ربيعة الرَّقِّى :

وَلَا تَسأَلِ الناسَ مَا يَمْلِكُونَ وَلَكِنْ سَلِ اللهَ وَاسْتَكْفِهِ
وَلَا تَخْضَعَنَّ إلَى سِفْلَةٍ(٣) وَإنْ كانَتْ الأَرضُ فِي كَفِّهِ
فإِنَّ اللَّئِيمَ وَإنْ خِلْتَهُ كَرِيمًا يَذُودُكَ عن عُرْفِهِ
وَيَرجِعُ مَحْصُولُ أخْلَاقِهِ إلَى أصلِهِ وَإلَى صِنْفِهِ
وَكُلُّ مُقِلٍّ وَذِى ثَرْوَةٍ فإِنَّ المَنِيَّةَ مِن(٤) خَلْفِهِ

وقال محمود الوراق :

اسْأَلِ العُرْفَ إنْ سَأَلْتَ كَرِيمًا لَمْ يَزَلْ يَعرِفُ الغِنَى والْيَسَارَا

(١) فى ا : منها .
(٢) فى ا : ولاسائل من قد كان سيل مرة .
(٣) فى ب : سفية .
(٤) فى ب : فى .

فَقَلِيلُ الشَّرِيفِ يُكْسِبُ مَجْدًا ... وَكَثِيرُ الوَضِيعِ يُكْسِبُ عَارَا
وإذَا لَمْ يَكُنْ مِنَ الذُّلِّ بُدٌّ ... فَالْقَ بِالذُّلِّ إنْ لَقِيتَ الكِبَارَا
لَيْسَ إجْلالُكَ الكَبِيرَ بِذُلٍّ ... إِنَّمَا الذُّلُّ أَنْ تُجِلَّ الصِّغَارَا

وقال أيضاً :

يا أيها المتعبُ بُزْلَ الجِمَالْ ... وطَالِبَ الحَاجَاتِ مِنْ ذِي النَّوَالْ
لاَ تَحْسَبَنَّ المَوْتَ مَوْتَ البِلَى ... فَإِنَّمَا المَوْتُ سُؤَالُ الرِّجَالْ
كِلاَهُمَا مَوْتٌ ولـكِنَّ ذَا ... أَشَدُّ مِنْ ذَاكَ لِذُلِّ السُّؤَالْ(١)

وقال محمود بن الحسن النحاس الوراق :

بَخِلْتُ ولَيْسَ البُخْلُ مِنِّي سَجِيَّةً ... وَلـكِنْ رَأَيْتُ الفَقْرَ شَرَّ سَبِيلِ
لَمَوْتُ الفَتَى خَيْرٌ مِنَ البُخْلِ لِلْفَتَى ... ولَلْبُخْلُ خَيْرٌ مِنْ سُؤَالِ بَخِيلِ
فَلاَ تَسْأَلَنْ مَنْ كَانَ يَسْأَلُ مَرَّةً ... فَلَلْمَوْتُ خَيْرٌ مِنْ سُؤَالِ سَئُولِ
لَعَمْرُكَ مَا شَيْءٌ لِوَجْهِكَ قِيمَةٌ ... فَلاَ تَلْقَ إِنْسَانًا بِوَجْهِ ذَلِيلِ(٢)

وقال ابن المعتز :

يا رُبَّ جُودٍ جَرَّ فَقْرَ امْرِئٍ ... فَقَامَ لِلنَّاسِ مَقَامَ الذَّلِيلْ
فَاشْدُدْ عُرَى مَالِكَ واسْتَبْقِهِ ... فَالبُخْلُ خَيْرٌ مِنْ سُؤَالِ البَخِيلْ(٣)

---

(١) انظر البيتين الثانى والثالث فقط فى لباب الآداب ٣٠٦ ، والبازل : الشديد القوي .
(٢) الأبيات فى لباب الآداب ٣٠٧ ، والبيت الثانى فيه : لموت الفتى خير من الموت للفتى والموت خير... الخ
(٣) البيتان فى زهر الآداب ٣/٢٤٧ ، والتمثيل والمحاضرة ٤٤٣ .

وقال أعرابى لص :

وإِنِّى لَأَسْتَحْيِي مِنَ اللهِ أَنْ أُرَى أَطُوفُ بِحَبْلٍ لَيْسَ فِيهِ بَعِيرُ
وأَنْ أَسْأَلَ المَرْءَ اللَّئِيمَ[١] بَعِيرَهُ وبُعْرَانُ رَبِّى فِى البِلَادِ كَثِيرُ[٢]

وفى التمهيد أبيات فى هذا المعنى ذوات عدد حسان لم أذكرها[٣] ها هنا .

---

(١) فى ا : المقيم .
(٢) البيتان فى عيون الأخبار ١/٢٣٧ ،غير منسوبين ، وهما للأحيمر السعدى كما فى المؤتلف والمختلف ١٦ .
(٣) فى ب : لمن اذكرها .

بابُ انتِظَارِ الفرَجِ[1]

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « انتظار الفرج بالصبر[2] عبادة » .

ويروى لأبى محجن الثقفى :

عَسَى فَرَجٌ يَأْتِى بِهِ[3] اللّهُ إنَّهُ ... لَهُ كلَّ يَوْمٍ فِى خليقَتِهِ أَمْرُ

عَسَى مَا تَرَى أَلاَّ يَدُومَ وَأَنْ تَرَى ... لَهُ فَرَجًا مِمَّا أَلَحَّ بِهِ الدَّهْرُ

إِذَا اشْتَدَّ عُسْرٌ فَارْجُ يُسْرًا فإنَّهُ ... قَضَى اللّهُ أَنَّ العُسْرَ يَتْبَعُه اليُسْرُ[4]

وقال الأضبط بن قُرَيع :

لِكلِّ ضِيقٍ مِن الأُمُورِ سَعَهْ ... والمُسْىُ وَالصُّبْحُ لاَ بَقاءَ[5] مَعَهْ[6]

وقال آخر :

كُنْ عَن هُمُومِكَ مُعْرِضًا ... وَكِلِ الأُمُورَ إِلَى القَضَا

وَابْشِرْ بِخَيْرٍ[7] عاجِلٍ ... تَنْسَى بِهِ ما قَدْ مَضَى

فَلَرُبَّ أَمْرٍ مُسْخِطٍ ... لَكَ فِى عَوَاقِبِهِ الرِّضَا

[8] كان يقال : كن لما لا ترجُو أرْجَى منك لما تَرْجو .

---

(١) ساقط من ب .
(٢) ساقط من ا .
(٣) فى ب : من .
(٤) التمثيل والمحاضرة : ١٠ ، لباب الآداب ٦٣ .
(٥) فى ب : والمشى . وفى ا : لافلاح .
(٦) البيت فى الشعر والشعراء ٢٢٦ ، والشطر الأول فيه : لكل ضيق من الهموم سعة ، وانظره فى البيان ٣/٣٠٣ ، التمثيل والمحاضرة ٦٠ ، أمالى القالى ١/٧٠ .
(٧) فى ب : ببشر .
(٨) يبدأ من هنا نقص يبلغ ثلاث ورقات من النسخة ب .

قال الشاعر :

كُنْ لِمَا لَا تَرْجُو مِنَ الْأَمْرِ أَرْجَى   مِنْكَ يَوْمًا لِمَا لَهُ أَنْتَ رَاجِ
إِنَّ مُوسَى مَضَى لِيَطْلُبَ نَارًا   مِنْ ضِيَاءٍ رَآهُ وَاللَّيْلُ دَاجِ
فَأَتَى أَهْلَهُ وَقَدْ كَلَّمَ اللَّـ   ـهَ وَنَاجَاهُ وَهْوَ خَيْرُ مُنَاجِ
وَكَذَا الْأَمْرُ كُلَّمَا ضَاقَ بِالنَّا   سِ أَتَى اللهُ فِيهِ سَاعَةً بِالانْفِرَاجِ

وقال منصور الفقيه :

* وَمَا عُسْرٌ لِمُنْتَظِرِ الْفَرَجْ *

وقال بشار :

خَلِيلَيَّ إِنَّ الصَّبْرَ سَوْفَ يُفِيقُ   وَإِنَّ يَسَارًا فِي غَدٍ لَخَلِيقُ
وَمَا خَابَ بَيْنَ اللهِ وَالنَّاسِ عَامِلٌ   لَهُ فِي التُّقَى أَوْ فِي الْمَحَامِدِ سُوقُ
وَلَا ضَاقَ فَضْلُ اللهِ عَنْ مُتَعَفِّفٍ   وَلَكِنَّ أَخْلَاقَ الرِّجَالِ تَضِيقُ(١)

وقال آخر :

رَوِّحْ فُؤَادَكَ بِالرِّضَا   تَرْجِعْ إِلَى رَوْحٍ رَطِيبْ
لَا تَيْأَسَنَّ وَإِنْ أَلَحَّ م   الدَّهْرُ مِنْ فَرَجٍ قَرِيبْ(٢)

وقال آخر :

لَعَمْرُكَ مَا كُلُّ التَّعَطُّلِ ضَائِرٌ   وَلَا كُلُّ مَسْعًى فِيهِ لِلْمَرْءِ مَنْفَعَه

(١) البيان والتبيين ١/١٨٩ ، المختار من شعر بشار ٢١١ ، وفيه إن العسر بدل الصبر فى الشطرة الأولى .
(٢) لباب الآداب ٢٤٧ ، مجموعة المعانى ٦٢ .

إِذا كَانَتِ الْأَرْزَاقُ فِي الْقُرْبِ وَالنَّوَى ... عَلَيْكَ سَوَاءً فَاغْتَنِمْ لَذَّةَ الدَّعَهْ
وَإِنْ ضِقْتَ فَاصْبِرْ يُفْرِجِ اللَّهُ مَا تَرَى ... أَلَا رُبَّ ضِيقٍ فِي عَوَاقِبِهِ سَعَهْ[1]

وقال آخر:

رُبَّمَا خِيرَ لِامْرِىءٍ ... وَهْوَ لِلأَمْرِ كَارِهْ
رُبَّ خَيْرٍ أَتَاكَ مِنْ ... حَيْثُ تأتى المَكَارِهْ[2]

وقال أحمد بن محمود، وقيل إنها لأحمد بن صالح:

إِذَا اشْتَمَلَتْ عَلَى النَّاسِ الْخُطُوبُ ... وضَاقَ لِمَا بِهِ الصَّدْرُ الرَّحِيبُ
وَأَوْطَنَتِ الْمَكَارِهُ واطْمَأَنَّتْ ... وَأَرْسَتْ فِي أَمَاكِنِهَا الْخُطُوبُ
وَلَمْ تَرَ لانْفِرَاجِ الضِّيقِ وَجْهًا ... وقَدْ أَعْيَي بحِيلَتِهِ الأَرِيبُ
أَتَاكَ عَلَى قُنُوطٍ مِنْكَ غَوْثٌ ... يَمُنُّ بِهِ اللَّطِيفُ الْمُسْتَجِيبُ
وكُلُّ الْحَادِثَاتِ إِذَا تَنَاهَتْ ... فَمَوْصُولٌ بِهَا الْفَرَجُ الْقَرِيبُ
وَمَوْلَانَا الإِلَهُ فَخَيْرُ مَوْلًى ... لَهُ إِحْسَانُهُ وَلَنَا الذُّنُوبُ[3]

وقال الشاعر:

لَعَمرُكَ مَا يَدرِى الْفَتَى كَيفَ يَتَّقِى ... نَوَائِبَ هٰذَا الدَّهْرِ أَم كَيفَ يَحْذَرُ
يَرَى الشَّيْءَ مِمَّا يُتَّقى فَيخَافُهُ ... ومَالَا يَرَى مِمَّا يَقِى اللهُ أَكبَرُ[4]

---

(١) الأبيات لعلى بن الجهم، وقد سبقت فى ص ١٤٨
(٢) فصل المقال ٣١٦، لباب الآداب ١١٠، بدون نسبة.
(٣) وردت الأبيات عدا الأخير منسوبة إلى ابن السكيت فى وفيات الأعيان ٥/٤٤٢، وانظرها فى أمالى القالى ٢٧/٣٠٣، ٣٠٤، لباب الآداب ٣٦١، مع اختلاف فى بعض ألفاظ الرواية.
(٤) البيتان فى عيون الأخبار ١/٢٦٤.

وقال منصور الفقيه :

إِذَا الحَادِثَاتُ بَلَغْنَ المَدَى ... وَكَادَتْ لَهُنَّ تَذُوبُ الْمُهَجْ
وَحَلَّ الْبَلَاءُ وَقَلَّ الْوَفَا ... فَعِنْدَ التَّنَاهِي يَكُونُ الْفَرَجْ

وقال آخر :

وَاصْبِرْ عَلَى الدَّهْرِ إِنْ أَصْبَحْتَ مُنْغَمِرًا ... بِالضِّيقِ فِي لُجَجٍ تَهْوِى إِلَى لُجَجِ
فَمَا تَجَرَّعَ كَأْسَ الصَّبْرِ مُعْتَصِمٌ ... بِاللهِ إِلَّا أَتَاهُ اللهُ بِالْفَرَجِ
لَا تَيْأَسَنَّ إِذَا مَا ضِقْتَ مِنْ فَرَجٍ ... يَأْتِى بِهِ اللهُ فِي الرَّوْحَاتِ وَالدُّلَجِ
وَإِنْ تَضَايَقَ بَابٌ عَنْكَ مُرْتَتِجٌ ... فَاطْلُبْ لِنَفْسِكَ بَابًا غَيْرَ مُرْتَتِجِ (١)

قال أبو العتاهية فى نفيع حاجب موسى الهادى :

مَا تَرَى عِنْدَ نُفَيْعٍ مَنْفَعَهْ ... فَسَلِ الرَّحْمَنَ رِزْقًا فِي دَعَهْ
إِنْ يَكُنْ أَمْسَكَ عَنَّا نَيْلَهُ ... فَسَيُغْنِى اللهُ كُلًّا مِنْ سَعَهْ (٢)

وقال أبو العتاهية :

النَّاسُ فِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا ذَوُو دَرَجٍ ... وَالمَالُ مَا بَيْنَ مَوْقُوفٍ وَمُخْتَلِجِ
مَنْ ضَاقَ عَنْكَ فَأَرْضُ اللهِ وَاسِعَةٌ ... فِي كُلِّ وَجْهٍ مَضِيقٍ وَجْهُ مُنْفَرَجِ
قَدْ يُدْرِكُ الرَّاقِدُ الهَادِى بِرَقْدَتِهِ ... وَقَدْ يَخِيبُ أَبُو الرَّوْحَاتِ وَالدُّلَجِ
خَيْرُ المَذَاهِبِ فِي الحَاجَاتِ أَنْجَحُهَا ... وَأَضْيَقُ الأَمْرِ أَدْنَاهُ مِنَ الفَرَجِ (٣)

---

(١) مجموعة المعانى ١٣ ، المحاسن والمساوئ ٢/٢١٦ .
(٢) البيتان فى ديوانه ٢٠١ .
(٣) ديوانه ٦١ .

وقال آخر :

سَأَصْبِرُ لِلزَّمَانِ وَإِنْ رَمَانِي ... بِأَحْدَاثٍ تَضِيقُ بِهَا الصُّدُورُ
وَأَعْلَمُ أَنَّ بَعْدَ العُسْرِ يُسْرًا ... يَدُورُ بِهِ القَضَاءُ المُسْتَدِيرُ

ومما ينسب إلى الشافعى رضى الله عنه ، وقيل إنها لسهل الوراق ، والله أعلم :

سَيُفْتَحُ بَابٌ إِذَا سُدَّ بَابُ ... نَعَمْ وَتَهُونُ الأُمُورُ الصِّعَابُ
وَيَتَّسِعُ الحَالُ مِنْ بَعْدِ مَا ... تَضِيقُ المَذَاهِبُ فِيهَا الرِّحَابُ
مَعَ الهَمِّ يُسْرَانِ هَوِّنْ عَلَيْكَ ... فَلَا الهَمُّ يُجْدِي وَلَا الاكْتِئَابُ
فَكَمْ ضِقْتَ ذَرْعًا بِمَا هِبْتَهُ ... فَلَمْ يُرَ مِنْ ذَاكَ قَدْرٌ يُهَابُ
وَكَمْ بَرَدٍ خِفْتَهُ مِنْ سَحَابٍ ... فَعُوفِيتَ وَانْجَابَ عَنْكَ السَّحَابُ
وَرِزْقٌ أَتَاكَ وَلَمْ تَأْتِهِ ... وَلَا أَرَّقَ العَيْنَ مِنْهُ الطِّلَابُ
وَنَاءٍ عَنِ الأَهْلِ ذِي غُرْبَةٍ ... أُتِيحَ لَهُ بَعْدَ يَأْسٍ إِيَابُ
وَنَاجٍ مِنَ البَحْرِ مِنْ بَعْدِ مَا ... عَلَاهُ مِنَ المَوْجِ طَامٍ عُبَابُ
إِذَا احْتَجَبَ النَّاسُ عَنْ سَائِلٍ ... فَمَا دُونَ سَائِلِ رَبِّي حِجَابُ
يَعُودُ بِفَضْلٍ عَلَى مَنْ رَجَاهُ ... وَرَاجِيهِ فِي كُلِّ حِينٍ يُجَابُ
فَلَا تَأْسَ يَوْمًا عَلَى فَائِتٍ ... وَعِنْدَكَ مِنْهُ رِضًا وَاحْتِسَابُ
فَلَا بُدَّ مِنْ كَوْنِ مَا خُطَّ فِي ... كِتَابِكَ تُحْبَى بِهِ أَوْ تُصَابُ
فَمَنْ حَائِلٌ دُونَ مَا فِي الكِتَابِ ... وَمَنْ مُرْسِلٌ مَا أَبَاهُ الكِتَابُ

فى أبيات قد ذكرتها فى موضعها من هذا الكتاب .

وقال محمد بن يسير[١] :

إنّ الأُمورَ إذَا انسَدَّتْ مَسَالِكُهَا ... فالصَّبْرُ يَفْتِقُ مِنْهَا كُلَّ مَا ارْتَتَجَا

لاَ تَيْأَسَنَّ وإنْ طَالَتْ مُطَالَبَةٌ ... إذَا اسْتَعَنْتَ بِصَبْرٍ أَنْ تَرَى فَرَجَا

أَخْلِقْ بِذِي الصَّبْرِ أَنْ يَحْظَى بِحَاجَتِهِ ... وَمُدْمِنِ القَرْعِ لِلأَبْوَابِ أَنْ يَلِجَا

وقال محمد بن حازم الباهلي :

هَوِّنْ عَلَيْكَ فَكُلُّ الأَمْرِ يَنْقَطِعُ ... وَخَلِّ عَنْكَ عِنَانَ الهَمِّ يَنْدَفِعُ

فَكُلُّ هَمٍّ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ فَرَجٌ ... وَكُلُّ أَمْرٍ إذَا مَا ضَاقَ يَتَّسِعُ

إنَّ البَلاَءَ وإنْ طَالَ الزَّمَانُ بِهِ ... فَالْمَوْتُ يَقْطَعُهُ أَوْسَوْفَ يَنْقَطِعُ

وقال آخر :

رَأَيْتُ الأَمْرَ يَبْعُدُ بَعْدَ قُرْبٍ ... وَيَدْنُو الامْرُ بِالقَدَرِ المَسُوقِ

فَلاَ تَفْرَحْ بِأَمْرٍ إنْ تَدَانَى ... ولاَ تَيْأَسْ مِنَ الأَمْرِ السَّحِيقِ

وقال ابن المبارك :

مَا أَقْرَبَ الأَشْيَاءَ حِينَ يَسُوقُهَا ... قَدَرٌ وأَبعَدَهَا إذَا لَمْ تُقْدَرِ[٢]

وقال آخر :

إنْ يَكُنْ يَوْمِي تَوَلَّى سَعْدُهُ ... وَتَدَاعَى لِي بِنَحْسٍ وَنَكَدْ

---

(١) محمد بن يسير الرياشي البصري ، شاعر محسن ، توفي سنة ٢١٠ هـ ، انظر ترجمته والأبيات في سمط اللالى ٤٠ ، وانظرها في العقد الفريد ١/٢٨٠ .

(٢) البيت في حماسة البحتري ٢٤٦ ، منسوبا إلى عبد الله بن يزيد الهلالي، ونسب في معجم الأدباء ٩٤/٩٠ إلى عبد الله الأصبهاني ، المعروف بلغدة أو لكذة ، وانظره في عيون الأخبار ١٢٣/٢ ، لباب الآداب ١

فَلَعَلَّ اللهَ يَقْضِى فَرَجًا فِى غدٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بَعْدَ غَدْ

وقال آخر :

أَحْسِنِ الظَّنَّ بِمَنْ قَدْ عَوَّدَكْ حَسَنًا أَمْسِ وَسَوَّى أَوَدَكْ

إِنَّ رَبًّا كَانَ يَكْفِيكَ الَّذِى كَانَ بِالأَمْسِ سَيَكْفِيكَ غَدَكْ

قال العبسى : خرجت حاجاً فضاق صدرى ، فجعلت أقول :

أَرَى المَوْتَ لِمَنْ أَمْسَى عَلَى الذُّلِّ لَهُ أَصْلَحْ

فإذا هاتف من ورائى يقول :

يَا أَيُّهَا المَرْءُ الَّذِى يَرَى الهَمَّ بِهِ بَرَّحْ

إِذَا ضَاقَ بِكَ الصَّدْرُ فَفَكِّرْ فِى أَلَمْ نَشْرَحْ(١)

وقال آخر :

رَأَيْتُ العُسْرَ يَتْبَعُهُ يَسَارُ وقَوْلُ اللهِ أَصْدَقُ كُلِّ قِيلِ

فَلَا تَجْزَعْ وَقَدْ أَعْسَرْتَ يَوْمًا فَقَدْ أَيْسَرْتَ فِى دَهْرٍ طَوِيلِ

وَلَا تَظُنَّنْ بِرَبِّكَ ظَنَّ سُوءٍ فَإِنَّ اللهَ يَأْتِى بِالجَمِيلِ

ذكر الطحاوى قال : حدثنا أحمد بن أبى عمران ، قال : حدثنا أبو نصر أحمد بن حاتم ، قال : حدثنا الأصمعى عن أبى عمرو بن العلاء ، قال : استعمل الحجّاج أبى على بعض أعماله فنقم عليه ، فتوارى أبى عنه فى بادية قومه وأنا معه ، فبينا أنا فى سَحر من الأسحار إذ مرّ راكب وهو يقول :

(١) انظر الخبر والأبيات فى زهر الآداب ٣/١٣٢ .

صَبِّرِ النَّفْسَ عِنْدَ كُلِّ مُلِمٍّ ... إِنَّ فِي الصَّبْرِ حِيلَةَ الْمُحْتَالِ
لَا تَضِقْ فِي الْأُمُورِ ذَرْعًا فَقَدْ ... يُكْشَفُ غَمَّاؤُهَا بِغَيْرِ احْتِيَالِ
رُبَّمَا تَجْزَعُ النُّفُوسُ مِنَ الْأَمْـ ... ـرِ لَهُ فَرْجَةٌ كَحَلِّ الْعِقَالِ[1]

قال : فقلت: ماذاك ؟ قال: مات الحجاج .فوالله ما أدرى بأيهما كنت أشد فرحاً، أبقوله : مات الحجاج ، أم بقوله : فرجة . .

قال العَطَوى[2] :

مُسْتَشْعِرُ الصَّبْرِ مَقْرُونٌ بِهِ الْفَرَجُ ... يُبْلَى وَيَصْبِرُ وَالْأَشْيَاءُ تَنْتَهِجُ
حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ مَقْدُورَ غَايَتِهَا ... جَاءَتْكَ تَضْحَكُ عَنْ ظَلْمَائِهَا السُّرُجُ
فَاصْبِرْ، وَدُمْ، وَاقْرَعِ الْبَابَ الَّذِي طَلَعَتْ ... مِنْهُ الْمَطَامِعُ فَالْمُغْرَى بِهِ يَلِجُ
يُقَدِّرُ اللهُ فَارْجُ اللهَ وَارْضَ بِهِ ... فَفِي إِرَادَتِهِ الْغَمَّاءُ تَنْفَرِجُ

وقال هلال بن العلاء الرَّقِّي :

هَوِّنْ عَلَيْكَ مَصَائِرَ الدُّ ... نْيَا تَكُنْ سُبُلًا فِجَاجًا
لَا تَضْجَرَنَّ بِضِيقَةٍ ... يَوْمًا فَإِنَّ لَهَا انْفِرَاجًا

---

(١) نسبت البيت الثالث فى البيان والتبيين ٣٤١/٢ إلى أمية بن أبى الصلت مع اختلاف فى روايته ، وكذلك ورد منسوبا إليه فى حماسة البحترى ٣٥٤ ، ونسبها فى معجم الأدباء ١٨٦/١، ١٥٧/١١ إلى إبراهيم بن العباس الصولى ، وفى لباب الآداب ٢٩٤ إلى عبيد بن الأبرص ، وورد فى معجم الشعراء ٢٤٣ منسوبا لعمير الحنفى ، وانظره فى المختار من شعر بشار ٢١٣ بدون نسبة .

(٢) اسمه محمد بن الرحمن بن أبى عطية ، أبو عبد الرحمن العطوى ، من شعراء الدولة العباسية ، كان معتزليا يعد من المتكلمين الحذاق ، توفى نحو سنة ٢٥٠ هـ ، انظر سمط اللآلى ١٤٠ ، المرزبانى ٤٣٢ ، (الأعلام ٦١/٧) .

وقال آخر :

كلوا الْيَوْمَ مِنْ رِزْقِ الإِلٰهِ وَأبْشِرُوا   فإِنَّ عَلَى الرَّحْمٰنِ رِزْقَكُمُ غَدَا(١)

وقال منصور الفقيه :

يَا مَن يَخَافُ أَنْ يَكُو   نَ مَا يَخَافُ سَرْمَدَا
أَمَا سَمِعْتَ قَولَهُمْ   إِنَّ مَعَ الْيَوْمِ غَدَا(٢)

وقال أبو العتاهية :

هِيَ الأَيَّامُ وَالغِيَرُ   وَأمْرُ اللهِ مُنْتَظَرُ
أَتَيْأَسُ أَنْ تَرَى فَرَجًا   فأَيْنَ اللهُ وَالْقَدَرُ(٣)

(١) التمثيل والمحاضرة ١٠ ، وفي ب : من رزق الله وانتشروا .
(٢) التمثيل والمحاضرة ١٠٥ .
(٣) ديوانه ٢٣٨ .

باب الجَدِّ والحَدّ[1]

قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « لا مانِعَ لما أعطى الله ، ولا مُعْطِي لما مَنَع ، ولا ينفعُ ذا الجَدِّ منه الجَدّ » .

قال أكثم بن صيفي : جَدُّك لا كدُّك .

قال أشجع السُّلمي :

سَبَقَ الْقَضاءُ بِكُلِّ ما هُوَ كائِنٌ ‏ فَلْيَجْهَدِ الْمُتَقَلِّبُ المُحْتَالُ

قالوا : أسعدُ الناس : من كان القضاء له مساعداً ، وكانَ لذلك أهلا ، وأشقى الناس : من كان مشغولاً بلا دين ولا دنيا ، ولم يثقْ بأَحد لسُوء ظنه ، ولا وثق به أحدٌ لسوء فعله .

قال أبو الأسود الدُّؤَلِي :

الْمرءُ يُحْمَدُ سَعْيُهُ مِنْ جَدِّهِ ‏ حَتَّى يُزَيَّنَ بِالَّذِي لَمْ يَعْمَلِ
وَتَرَى الشَّقِيَّ إذَا تَكامَلَ حَدُّه ‏ يُرْمَى وَيُقْذَفُ بِالَّذِي لم يَفْعَلِ[2]

أنشد ابن الأعرابي :

الْجَدُّ أَنْهَضُ بالْفَتَى مِنْ عَقْلِهِ ‏ فانْهَضْ بِجَدٍّ فِي الْحَوَادِثِ أَوْ ذَرِ

---

(1) الجد : البخت والحظوة والرزق ، والحد : المنع والدفع .
(2) ديوانه ۱۲۲ ، وفيه : يفعل مكان يعمل ، ونسبا في حماسة البحتري ٢٤٦ إلى صالح بن عبد القدوس ، وفيها ورد الشطر الأول : المرء يسعى ثم يسعد جده وفيها : غيه مكان حده في البيت الثاني ، وانظر الثاني في عيون الأخبار ١٧/٢ ، وفيه : يقرف بدل يقذف .

فَلَقَدْ يَجِدُّ الْمَرْءُ وَهْوَ مُقَصِّرٌ ... وَيَجِدُّ ثم يُجَدُّ غيرَ مقصِّرِ[١]

وقال يزيدُ بنُ محمَّد الْمُهَلَّبِيّ :

وَإِذَ جُدِدْتَ فَكلُّ شَيءٍ نَافِعٌ ... وإذَا حُدِدْتَ فَكلُّ شَيءٍ ضَائِرُ

وَإِذَا أَتَاكَ مُهَلَّبِيٌّ فِي الوَغَى ... وَالسَّيْفُ فِي يَدِهِ فَنِعْمَ النَّاصِرُ[٢]

قال أبو يعقوب الخُرَيْمي ، واسمه إسحاق بن حَسَّان :

[٣] لَا تَنْظُرَنّ إِلَى عقْلٍ وَلاَ أدَبِ ... إن الجدود قَرِينَاتُ الْحَمَاقَاتِ [٣]

وقال خِرَاشُ بنُ زُهَير :

وكانت قريشٌ يَفْلِقُ الصَّخْرَ جَدُّها ... إذا أوهن النَّاسَ الجدودُ العَوَاثِرُ[٤]

وقال الحارثُ بنحلِّزَة :

عِشْ بِجَدٍّ لَا يَضِرْ ... كَ النَّوْكُ مَا لاَقَيْتَ جَدَّا

وَالنَّوْكُ خَيرٌ فِي ظِلَا ... لِ الرِّزْقِ مِمَّنْ عَاشَ كَدَّا[٥]

وقال آخر :

فَعِشْ فِي ظِلِّ أنْوَكَ حَالَفَتْهُ ... مَقَادِيرٌ يُسَاعِدُهَا الصَّوَابُ

---

(١) نسب البيتان فى مجموعة المعانى ١٠ إلى عبدالله بن يزيد الهلالى ، وكذلك ورد البيت الأول منسوبا إليه فى حماسة البحترى ٢٤٦ ، وهما فى لباب الآداب ٣٦١ بدون نسبة ، والرواية هناك للشطر الأخير :

ويخيب جد المرء غير مقصر

(٢) الكامل ٢/٢٠ ، ووردا فى العقد الفريد ٢/١٢٩ بدون نسبة .

(٣) ساقط من ا ، وانظره فى عيون الأخبار ٢/١٢٤ ، الأمالى ٢/٩٥ .

(٤) زيادة فى م .

(٥) الأغانى ١١/٥٠ ، الشعر والشعراء ١٥١ ، حماسة البحترى ٢٤٥ ، وفيها :

فانعم بجدك لايضرك النوك إن أعطيت جدا

ذَهَابُ المَالِ فِي حَمْدٍ وأَجْرٍ ... ذَهَابٌ لَا يُقَالُ لَهُ ذَهَابُ(١)

قيل لزياد : ما الحظّ ؟ قال : من طال عمره ، ورأى فى عـــدوه ما يسره فهو ذو حظ .

وكان يقال : لا حظَّ إلا ما أشخص عنك ما تـكره ، وجلب إليك ما تحب .

قال محمد بن أبي حازم الباهلي :

لَا تَعْجَبَنّ لِأَحْمَقٍ ... نَالَ الغِنَى مِنْ غيْرِ كَدِّهْ

وَلِعاَقِلٍ مَا يَسْتَقِلُّ (م) فـكُلُّهُمْ يَسْعَى بِجَدِّهْ(٢)

وقال امرؤ القيس :

وَقَاهُمْ جَدُّهُمْ بِبَنِى أَبِيهِمْ ... وَبالأَشْقَيْنَ مَا كَانَ العِقَابُ(٣)

وقال عبدُ العزيز بن زُرَارَة الكلابىّ :

ومَا لُبُّ اللَّبِيبِ بِغَيْرِ حَظٍّ ... بِأَغْنَى فِي المَعِيشَةِ مِنْ فَتِيلِ

رَأَيْتُ الحَظَّ يَسْتُرُ عَيْبَ قَوْمٍ ... وَهَيْهاتَ الحُظُوظُ مِنَ العُقُولِ(٤)

ولحسان أو لابنه عبد الرحمن :

---

(١) الأول فى عيون الأخبار ١/٣٢٩ ، وهما فى البيان ٢/٢٤٦ ، ٢٤٧ وفيه : فعش فى جد أنوك .

(٢) فصل المقال ٢٣٠ ، وفيه : نال العلا .. ولعاقل مايستتب .

(٣) ساقط من ا ، والرواية فى ب : ببنى على ؟ وهى خطأ ، وانظره فى الديوان ٥٠ ، الأغانى٨/٦٧، الشعر والشعراء ٥٩ ، العقد الفريد ٣/١١٧ .

وقصة البيت أن امرأ القيس خرج للايقاع ببنى أسد فأوقع بإخوتهم بنى كنانة ، وهو يحسبهم أعداءه ، فقال البيت .

(٤) عيون الأخبار ١/٢٤٢ .

وإنَّ امرَءًا يُمْسِي ويُصْبِحُ سَالِمًا ... مِنَ النَّاسِ إلاَّ مَا جَنَى لَسَعِيدُ(١)

وقال أعرابيّ :

وإنَّ الَّذِي يَنْجُو مِنَ النَّارِ بَعْدَمَا ... تَزَوَّدَ مِنْ أَعْمَالِهَا لَسَعِيدُ(٢)

ولبعض أهل عصرنا :

أَرَى هِمَمَ المَرْءِ مَا لَمْ يَكُنْ ... يُسَاعِدُهُ السَّعْدُ هَمًّا عَلَيْهِ

وقَدْ يَعْجِزُ المَرْءُ ذُو الإِحْتِيَالِ ... إِذَا اللهُ لَمْ يَقْضِ رِزْقًا إِلَيْهِ

وقال صالح بن عبد القدوس :

ولَيْسَ رِزْقُ الفَتَى مِنْ حُسْنِ حِيلَتِهِ ... لَكِنْ جُدُودٌ بِأَرْزَاقٍ وأَقْسَامِ

كالصَّيْدِ يُحْرَمُهُ الرَّامِي المُجِيدُ وَقَدْ ... يَرْمِي فَيُرْزَقُهُ مَنْ لَيْسَ بِالرَّامِي(٣)

ولرجل من بنى قريع أو للمَعْلوط، وقيل : إنها لحاتم الطائى :

مَتَى مَا يَرَ النَّاسُ الغَنِيَّ وَجَارُهُ ... فَقِيرٌ يَقُولُوا عَاجِزٌ وَبَلِيدُ

وَلَيْسَ الغِنَى والفَقْرُ مِنْ حِيلَةِ الفَتَى ... ولَكِنْ أَحَاظٍ قُسِّمَتْ وجُدُودُ

وَكَائِنْ رَأَيْنَا مِنْ غَنِيٍّ مُذَمَّمٍ ... وَصُعْلُوكِ قَوْمٍ بَادَ وَهْوَ حَمِيدُ

ومُعْطَى ثَرَاءَ المَالِ مِنْ غَيْرِ قُوَّةٍ ... ومَحْرُومِ جَمْعِ المَالِ وَهْوَ جَلِيدُ(٤)

---

(١) الصحيح أنه لحسان ، انظر قصة بيتين آخرين على قافيته لابنه عبد الرحمن وحفيده سعيد فى الديوان ١٤١ ، ١٤٢ ، وانظره فى نهاية **الأرب** ٦٩/٣ ، الشعر والشعراء ١٧٣ ، وقد نسبه أبو تمام فى الحماسة١٣/٢ لرجل من بنى قريع .

(٢) البيت ليزيد بن الصقيل العقيلى ، وهو لص كان يسرق الإبل ، ثم تاب وقتل فى سبيل الله ، انظر الأمالى ٦١/١ .

(٣) التمثيل والمحاضرة ٧٨ ، وفيات الأعيان ٤٨٤/٣ .

(٤) وردت الأبيات منسوبة للمعلوط فى عيون الأخبار ٢٤٦/١ ، زهر الآداب ١٨٥/٢ ، وانظر الأبيات الثلاثة الأولى فى حماسة أبى تمام ١٣/٣ ، ١٤ والبيتين الأولين فى حماسة البحترى ٢٤٥ بغير نسبة ، وفيهما : جليد مكان بليد .

وقال حبيب الطائى :

أَبَا جَعْفَرٍ إِنَّ الْجَهَالَةَ أُمُّهَا وَلُودٌ وأُمُّ العِلْمِ جذَّاء حائِلُ [١]

وله أيضاً :

فَإِنِّى مَا حُورِفْتُ فِى طَلَبِ الغِنَى وَلَكِنَّكُمْ حُورِفْتُمُ فِى المَكَارِمِ [٢]

احتاج أبو الأسود الدؤلى إلى جار له يستقرضُ منه ، وكان حسنَ الظَّنِّ به ، فاعتلَّ عليه ودفعه ، فقال أبو الأسود :

فَلَا تَطْمَعَنْ فِى مَالِ جارٍ لِقُرْبِهِ فَكُلُّ قَرِيبٍ لاَ يُنالُ بَعِيدُ
وَفَوِّضْ إِلَى اللهِ الأُمُورَ فإِنَّمَا تَرُوحُ بأَرْزَاقٍ عَلَيْكَ جُدُودُ
وَلاَ تُشْعِرَنَّ النَّفسَ يَأْسًا فَإِنَّما يَعِيشُ بِجَدٍّ عاجِزٌ وَبَلِيدُ [٣]

وفى نحو هذا لبعض أهل عصرنا :

تجشَّم جسيمَ الهَوْل فى طلب المجد فَنَيْلُ الغِنَى بينَ التَّجَشُّمِ وَالْكَدِّ [٤]
وَدَعْ قولَ ذِى جَهْلٍ يَرَى الْعَجْزَ رَاحَةً : ذَرِ الكَدَّ فيما رمته المنع بالجِدِّ [٥]

وقال آخر :

تَطَلَّبْتُ حَتَّى لَمْ أَجِدْ مُتَطَلَّبًا وبالجَدِّ يَسْعَى المَرْءُ لَا بِالتَّطَلُّبِ [٦]

---

(١) ديوانه ١٢٨ ، عيون الأخبار ٢/١٢٤ . والجذاء : التى لاثدى لها ، والحائل : الناقة لم تلقح سنة أو سنوات.
(٢) ديوانه ١٤٥ .
(٣) انظر الأبيات فى معجم الأدباء ١٢/٣٧ على خلاف فى الترتيب ، وانظرها فى ديوانه ٢٢٧ ، وفيه : جليد مكان بليد .
(٤) ا : فى طلب الغنى ، ولا تقعدن بين الخ .
(٥) البيت ساقط من م ، وفى ب : واسع مكان المنع .
(٦) ب : بالتقلب .

كتب كسرى إلى بُزرجمهر وهو فى الحبس : جنت لك ثمرة العلم أن صرت به أهلا للقتل . فكتب إليه بزرجمهر : أما ما كان معى الجَد فقد كنت أنتفع بثمرة العلم ، والآن إذ ولّى عنى الجَدّ، فقد أنتفع بثمرة الصبر .

قال سابق البَرْبرى(١) :

والنَّاسُ فى طَلَبِ المَعَاشِ وَإِنَّمَا ... بالجَدِّ يُرْزَقُ مِنْهُمُ مَنْ يُرْزَقُ
وَلَوَ أَنَّهُمْ رُزِقُوا عَلَى أَقْدَارِهِمْ ... أَلْفَيْتَ أَكْثَرَ مَا تَرَى يَتَصَدَّقُ
ما النَّاسُ إِلَّا عَامِلَانِ فَعَامِلٌ ... قدْ ماتَ مِنْ عَطَشٍ وَآخَرُ يَغْرَقُ(٢)

وقال البحترى :

أَلَا لَيْتَ المَقَادِرَ لَمْ تَقَدَّرْ ... وَلَمْ تَكُنِ الأَحَاظِى وَالجُدُودُ
فَتَعْلَمَ أَيُّنَا يَغْدُو وَيُمْسِى ... لَهُ هذى المَوَاكِبُ وَالعَبِيدُ(٣)

وقال حبيب الطائى :

يَنَالُ الفَتَى مِنْ عَيْشِهِ وَهْوَ جَاهِلُ ... وَيُكْدِى الفَتَى فِى دَهْرِهِ وَهْوَ عَالِمُ(٤)

وقال ابن دريد :

لَا يَنْفَعُ العِلْمُ بِلَا جَدٍّ وَلَا ... يُحْبِطُكَ الجَهْلُ إِذَا الجَدُّ عَلَا

وقال الحسين بن أحمد :

---

(١) ساقط من ب .
(٢) ورد البيتان الأول والثالث فى معجم الأدباء ٧/١٢ منسوبة إلى صالح بن عبد القدوس .
(٣) ديوانه ١/١٧٢ ، فأنظر أينا يضحى ويمسى .
(٤) شرح الديوان ١/١٨٧ .

بالجَدِّ أجْدَى عَلَى امْرِئٍ طَلَبُه ... وَمَنْ يَطل حِرْصُهُ يَطُلْ تَعَبُهْ

وقال آخر :

عِشْ بجَدٍّ وَكُنْ هَبَنَّقَةَ القَيْ ... سِيَّ نَوكاً أوْ شَيْبَةَ بْنَ الوَلِيدِ

عِشْ بجَدٍّ وَلَا يَضُرَّكَ نَوْكٌ ... إنَّما عَيْشُ مَنْ تَرَى بِالجُدُودِ[١]

هبنقة القيسى اسمه يزيد بن ثروان ، وكنيته أبو نافع ، أحد بنى قيس بن ثعلبة ، وهو الذى شرد[٢] له بعير فجعل لمن جاء به بعيرين ، فقيل له : لم هذا ؟ قالَ : فأين فرحة الوجدان ؟ !

وأنشدنى محمد بن نصر الكاتب رحمه الله لنفسه :

لَا تَشْرَهَنَّ إلَى دُنْيَا تَمَلَّكَهَا ... قَوْمٌ كَثِيرٌ بِلَا عَقْلٍ وَلَا أدَبِ

وَلَا تَقُلْ إنَّنِى أبْصَرْتُ مَا جَهِلُوا ... مِنَ الإدَارَةِ فِي مَرٍّ وَمُنْقَلَبِ

فَبِالجُدُودِ هُمُ نَالُوا الَّذِى مَلَكُوا ... لَا بِالْعُقُولِ وَلَا بِالعِلْمِ وَالحَسَبِ

وأيْسَرَ الجَدُّ تَحْوِى كُلَّ مُمْتَنِعٍ ... عَلَى التَّمَكُّنِ عِنْدَ الْبَغْيِ وَالطَّلَبِ

وإنْ تَأَمَّلْتَ أحْوَالَ الَّذِينَ مَضَوْا ... رَأَيْتَ مِنْ ذَا وَهَذَا أعْجَبَ العَجَبِ

وقال إبراهيم بن المهدى :

---

(١) فى ب ، م : هاشم بن الوليد ، وفى عيون الأخبار ٢٤٢/١ : خالد بن يزيد ، والصحيح أن البيتين ليحيى بن المبارك اليزيدى النحوى فى هجاء شيبة بن الوليد أحد أكابر قواد المهدى ، وكان اليزيدى يناظر الكسائى بين يدى المهدى ، فانتصر عليه ، وكان شيبة حاضرا ، فهاتر اليزيدى ، فأسرها فى نفسه ، ثم قال فيه هذه الأبيات التى منها :

شيب ياشيب ياهنى بنى القعـ ... ـقاع ما أنت بالحليم الرشيد

انظر البيان هامش ٢٧١/٢ ، الأغانى ٧٧/١٨ ، ٢٨/٢٠ ، نهاية الأرب ١٢٩/٢ ، حماسة البحترى ٢٤٦ .

(٢) فى ب : ند .

قَدْ يُرْزَقُ المَرْءُ لَمْ تَتْعَبْ رَواحِلُهُ ... وَيُحْرَمُ الرِّزْقَ مَنْ لَمْ يُؤْتَ مِن تَعَبِ
مَعْ أَنَّنِي وَاجِدٌ فِي النَّاسِ وَاحِدَةً ... الرِّزْقُ أَرْوَغُ شَيْءٍ عَنْ ذَوِي الْأَدَبِ
وخَلَّةٍ قَلَّ فِيهاَ مَنْ يُخَالِفُنِي ... الرِّزْقُ والنَّوْكُ[(١)] مَقْرُونَانِ فِي سَبَبِ
يَا ثَابِتَ الْعَقْلِ كَمْ عَايَنْتَ ذَا حُمُقٍ ... الرِّزْقُ أَوْلَى بِهِ مِنْ لَازِمِ الجَرَبِ[(٢)]

وقال آخر :

مَاَ ازْدَدْتُ فِي أَدَبِي حَرْفًا أُسَرُّ بِهِ ... إِلَّا تَزَيَّدْتُ حَرْفًا فِيهِ لِي شُومُ
إِنَّ المُقَدَّمَ فِي حِذْقٍ بِصَنْعَتِهِ ... أَنَّى تَوَجَّهَ فِيهاَ فَهْوَ مَحْرُومُ[(٣)]

وقال بكر بن النطاح :

كَفَى حَزَنًا أَنَّ الغِنَى مُتَعَذِّرٌ ... عَلَيَّ وَأَنِّي بِالْمَكَارِمِ مُغْرَمُ
فَوَاللهِ مَا قَصَّرْتُ فِي نَيْلِ غَايَةٍ ... وَلَكِنَّنِي أَسْعَى إِلَيْهَا فَأُحْرَمُ

وقال آخر :

لَيْسَ عَنْ حِيلَةِ الرِّجَالِ أَصَابُوا الْـ ... ـمَالَ بَلْ قِسْمَةٌ لَهُمْ وَجُدود
مِنْهُمُ الْعَاجِزُ الْمُرَجَّى لَهُ الرِّ ... زْقُ وَمِنْهُمْ مُحَارَفٌ مَجْدُودُ

قال بشار بن برد :

مَا ضَرَّ أَهْلَ النَّوْكِ ضَعْفُ الكَدِّ ... صَادَفَ حَظًّا مَنْ سَعَى بِجِدِّ[(٤)]

---

(١) فى ب : النول .
(٢) الأبيات فى عيون الأخبار ٢/١٢٩ ، وقد سبق البيتان الأولان فى ص١٤٣.
(٣) البيتان لإسماعيل بن إبراهيم الحمدونى وهما فى نهاية الأرب ٣/٨٧ ، وانظر عيون الأخبار ٢/١٢٤ .
(٤) البيت من أرجوزته الشهيرة : ياطلل الحى بذات الصمد، انظر المختار من شعر بشار ١٠٦ ، البيان ١/٢٦٣ .

وقال البحتري :

وَآيسَنِي عِلمِي بِأَلَّا تَقَدُّمِي ... مُفِيدِي ولا مُزْرٍ عَلَيَّ تَأَخُّرِي
ولَوْ فَاتَنِي المَقْدُورُ مِمَّا أَرُومُهُ ... بِسَعْيٍ لَأَدْرَكْتُ الَّذِي لَمْ يُقَدَّرِ (١)

وقال الصابي :

إِذَا جَمَعَتْ بَيْنَ امْرَأَيْنِ صِنَاعَةٌ ... وَأَحْبَبْتَ أَنْ تَدْرِي الَّذِي هُوَ أَحْذَقُ
فَلَا تَتَأَمَّلْ مِنْهُمَا غَيْرَ مَا بِهِ ... جَرَتْ لَهُمَا الأَرْزَاقُ حِينَ تُفَرَّقُ
فَحَيْثُ يَكُونُ النَّوْكُ فَالرِّزْقُ واسِعٌ ... وحَيْثُ يَكُونُ الحِذْقُ فالرِّزْقُ ضَيِّقُ (٢)

---

(١) ديوانه ٢/٥ .
(٢) الأبيات في معجم الأدباء ٢ / ٨٥ ، يتيمة الدهر ٢/٢٦٧ .

بابُ المَـال حَمْداً وذمًّا[1]

قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم : « قلبُ الشَّيخ شابٌّ فى حبِ اثنتين : طول الحياة وكثرة المال » .

وقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : « نِعمَ المال الصَّالح للرجل الصالح » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « إنّ الدِّينار والدِّرهم أهلكا من كان قبلكم وإنهما مهلكاكم » .

[2] وقال رسولُ اللهِ صلّى الله عليه وسلم : لكلّ أمةٍ فِتْنَة ، وفتنةُ أمتى المال » .

وقال أيضاً : إنَّ أحْسَابَ أهل الدُّنيا التى إليها ينتمون : المال » [2] .

وقال عليه السلام : « ما ذِئبان جائعان أُرْسِلا فى حظيرة غَنم بأفسد لها من حب المال ، والشَّرَف لدين المؤمن » .

قال قيس بن عاصم لبنيه حين حضرته الوفاة : يا بَنِيَّ عليكم بالمال واصطناعه ، فإنه مَنْبَهَةٌ للكريم ، ويُستغنى به عن اللئيم .

قال الحسن البصرى : لكل أمة وثن يعبدونه ، وصنمُ هذه الأمة الدينار والدرهم .

وقال الحسن : إذا أردت[3] أن تعلم من أين أصاب الرجل ماله ، فانظر فيم أنفقه ، فإن الخبيث يُنفق فى السرف .

---

(١) ساقط من ب .
(٢) ساقط من ب .
(٣) فى ا : أزمت .

قال أبو ذَرّ : أموال الناس تشبه الناس . وعن أبى ذر أيضاً : إنما مالك لك ، أو للوارث ، أو للجائحة[١] ، فلا تكن أعجز الثلاثة .

قال أكثم بن صيفي : من ضعف عن كسبه اتكل على زاد غيره .

قال سعيد بن المسيب: لا خير فيمن لا يكسب المال ليكفَّ به وجهه ، ويؤدِّى به أمانته ، ويصل به رَحِمَه .

قالوا للمسيح : ياروح الله ! أخبرنا عن المال ، فقال : المال لا يخلو صاحبه من ثلاث خلال : إما أن يكسبه من غير حله ، وإما أن يمنعه من حقه ، وإما أن يشغله إصلاحه عن عبادة ربه .

قال الحطيئة :

ولَسْتُ أَرَى السَّعَادَةَ جَمْعَ مالٍ ... ولكِنَّ التَّقِىَّ هُوَ السَّعِيدُ[٢]

وأنشد ابن الأعرابى[٣] :

المالُ يَغْشَى رِجالًا لَا طَبَاخَ لَهُمْ ... كالسَّيْلِ يَغْشَى أُصُولَ الدِّنْدِنِ البَالِي

وهذا البيت فى شعر لعمار الكلبي أوله :

قِفْ بِالْعُوَيْرِ عَلَى أَبْلَاءِ أَطْلَالِ ... كَأَنَّهَا حُلَلٌ أَوْ خَطُّ تِمْثَالِ

الْفَقْرُ يُزْرِى بِأَقْوَامٍ ذَوِى حَسَبٍ ... ورُبَّمَا سَادَ جِبْسُ القَوْمِ بِالمَالِ

(١) فى ا ، م : للحاجة ، والجائحة : الشدة المذهبة للمال .

(٢) البيت مما نسب إلى البحترى من شعر ، انظر زيادات الديوان ٣٩٣ ، وقد نسب لعبد الله بن المخارق الشيبانى فى حماسة البحترى ٢٤٨ ، وانظره فى لباب الآداب ٢٢ .

(٣) الأبيات التى سترد بعد وردت كلها فى الحماسة لأبى تمام ٢/٣٠٠ ، ٣٠١ على خلاف فى الترتيب منسوبة لحسان بن ثابت ، وكذلك ورد البيت الأول له فى اللسان ، وعقب عليه بأنه ورد أيضا فى شعر لحية بن خلف الطائى ، وانظره فى عيون الأخبار ١/٢٤٧ .

ومعنى الدندن : السود من الكلأ لقدمه ويبسه ، ويروى : ويقتدى بلئام الأصل أنذال مكان وربما ساد .. الخ .

وفيه يقول :

أَصُونُ عِرْضِي بِمَالِي لَا أُدَنِّسُهُ　　　لَا بَارَكَ اللهُ بَعْدَ الْعِرْضِ فِي المَالِ

أَحْتَالُ لِلْمَالِ إِنْ أَوْدَى فَأَجْمَعُه　　　وَلَسْتُ لِلْعِرْضِ إِنْ أَوْدَى بِمُحْتَالِ

الجبس : اللئيم . وقوله : لا طباخ لهم : أى لا قوة ولا طاقة ، قاله الخليل .

وقال فضالة بن زيد العدوانى :

وَمَا الْعَيْشُ إِلَّا المالُ فَاحْمَدْ فُضُولَهُ　　　وَلا تُهْلِكَنْهُ فِي الضَّلَالِ فَتَنْدَمِ

إِذَا جَلَّ خَطْبٌ صُلْتَ بِالمالِ حَيْثُمَا　　　تَوَجَّهْتَ مِنْ أَرْضٍ فَصِيحٍ وَأَعْجَمِ

وَهَابَكَ أَقْوَامٌ وَإِنْ لَمْ تُصِبْهُمُ　　　بِنَفْعٍ وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُحْمَدْ وَيُكْرَمِ

وَيُعْطَى الَّذِي يَبْغِي وَإِنْ كَانَ بَاخِلاً　　　بِمَا فِي يَدَيْهِ مِنْ مَتَاعٍ ودِرْهَمِ

وقال لبيد :

وَمَا البِرُّ إِلَّا مُضْمَرَاتٌ من التُّقَى　　　وما المَالُ إِلَّا مُضْمَرَاتُ وَدَائِعِ [١]

وقال حاتم الطائى [٢] :

لَعَمْرُكَ مَا يُغْنِي الثَّرَاءُ عَنِ الفَتَى　　　إِذَا حَشْرَجَتْ يَوْمًا وَضَاقَ بِهَا الصَّدْرُ

أَمَاوِيَّ إِنَّ المَالَ غَادٍ ورَائِحٌ　　　وَيَبْقَى مِنَ المالِ الأَحَادِيثُ والذِّكْرُ

وقال الشماخ :

لَمَالُ المَرْءِ يُصْلِحُهُ فَيُغْنِي　　　مَفَاقِرَهُ أَعَفُّ مِنَ القُنُوعِ [٣]

(١) الشعر والشعراء ٢٣٦ ، الأغانى ١٥/٢٧٣ .
(٢) ديوانه ٣٩ ، وفيه : أماوى مكان لعمرك ، الشعر والشعراء ١٩٩ ، معجم الأدباء ٥/٣٦٧ .
(٣) ديوانه ٦٠ ، وحماسة البحترى ٢٠٣ ، وفيها : لحفظ المال يصلحه فيغنى

وقال المتلمس :

لَحِفْظُ المالِ أيْسَرُ مِنْ بِغاه ... وَضَرْبُك فِي البِلَادِ بِغَيْرِ زَادِ
قَلِيلُ المالِ تُصْلِحُهُ فَيَبْقَى ... ولَا يَبْقَى الكَثِيرُ مَعَ الفَسَادِ(١)

وقال آخر :

واطْلُبِ المالَ بِحِرْصٍ ... وَاسرِعِ المَشْيَ إِلَيْهِ
كُلُّ مَنْ كَانَ غَنِيًّا ... سَلَّمَ النَّاسُ عَلَيْهِ
وَإِذَا كَانَ فَقِيرًا ... فُقِدَ الْبِرُّ لَدَيْهِ(٢)
وَثِيَابُ المَرْءِ أعْوَانٌ(٣) ... لَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ(٤)

وقال آخر :

إِذَا قَلَّ مالُ المَرْءِ قَلَّ صَفَاؤُهُ ... وضَاقَتْ عَلَيْهِ أرْضُهُ وسَمَاؤُهُ
وَأَصْبَحَ لَا يَدْرِي وَإِنْ كَانَ حَازِمًا ... أَقُدَّامُهُ خَيْرٌ لَهُ أَمْ وَرَاؤُهُ
إِذَا قَلَّ مالُ الْمَرْءِ لَمْ يَرْضَ عَقْلَهُ ... بَنُوهُ ولَمْ يَغْضَبْ لَهُ أوْلِيَاؤُهُ
فَإِنْ مَاتَ لَمْ يُفْقَدْ وَلَمْ يَحْزَنُوا لَهُ ... وَإِنْ عاشَ لم يَسْرُرْ صَدِيقاً بَقَاؤُهُ(٥)

وقال أبو اليقظان : ما ساد فى الجاهلية مملق إلا عتبة بن ربيعة .

---

(١) الأغانى ٢١/١٣٦ ، فصل المقال ٢٢٩ نهاية الأرب ٣/٦٤ ، المحاسن والمساوى ٢/١٤٦ ، العقد ٣/١٤٠ .
(٢) فى ب : زهدوا فيما لديه .
(٣) فى ا : حلوان له .
(٤) لباب الآداب ٢١٢ ، مجموعة المعانى ١٧ ، والأبيات ساقطة من م .
(٥) ورد البيت الأول فقط فى التمثيل والمحاضرة غير منسوب لقائل ، وورد فى لباب الآداب ٢٨٥ منسوبا إلى صالح بن عبد القدوس .

وقال محمد بن مناذر :

رَضِينَا قِسْمَةَ الجَبَّارِ فِينَا ... لَنَا حَسَبٌ وَلِلثَّقَفِيِّ مالُ(١) .

وقال المَمْلوط :

وَمَا سَوَّدَ المَالُ الدَّنِيءَ وَلَادَنَا ... لِذَاكَ وَلَكِنَّ الكَرِيمَ يَسُودُ

وقال عروة بن الوردِ :

وَمَنْ يَكُ مِثْلِي ذَا عِيَالٍ وَمُقْتِرًا ... مِنَ المالِ يَطرَحْ نَفْسَهُ كلَّ مَطرَحِ

لِيَبْلُغَ عُذْرًا أَوْ يُصِيبَ غَنِيمَةً ... وَمُبْلِغُ نَفْسٍ عُذْرَهَا مِثْلُ مُنْجِحِ

هذان البيتان أنشدهما ابن قتيبة لأوس بن حجر ، وخالفه حبيب وغيره فأنشدوهما لعروة(٢) .

وقال عروة بن الورد :

إِذَا المَرْءُ لَمْ يَطْلُبْ مَعَاشًا لِنَفْسِهِ ... شَكَا الفَقْرَ أَوْ لَامَ الصَّدِيقَ فَأَكْثَرَا

وصَارَ عَلَى الْأَدْنَيْنَ كَلًّا وأَوْشَكَتْ ... صِلَاتُ ذَوِي القُرْبَى لَهُ أَنْ تَنَكَّرَا(٣)

وقال منصور الفقيه :

إِذَا المَرْءُ لَمْ يَطْلُبْ مَعَاشًا لِنَفْسِهِ ... وَهَى(٤) نَعْلُهُ أَوْ بَاعَ فِي السُّوقِ خُفَّهُ

وَلَمْ يَكُ مَأْمُونًا عَلَى مَالِ جَارِهِ ... إِذَا مَا رَآهُ خَالِيًا أَنْ يَلُفَّهُ

(١) عيون الأخبار ١/٣٤٦ ، وفيها : رضينا قسمة الرحمن ... الخ . ، وانظر الشعر والشعراء ٨٤٧ .
(٢) البيتان فى ديوان عروة ٨ ، وفى نهاية الأرب ٣/٦٥ ، حماسة أبى تمام ١/١٨٤، ١٥٨ ، الأمالى ٢/٢٣٤ ، ونسبهما ابن قتيبة فى عيون الأخبار ١/٢٣٨ لأوس بن حجر كما ذكر المصنف .
(٣) ديوانه ١٩ ، ٢٠ .
(٤) فى ب ، «ومن وهى» ، ولا يستقيم معها الوزن .

وقال الفرزدق :

والمَالُ بَعْدَ ذَهَابِ المَالِ يُكْتَسَبُ[١]

قال إبراهيم النخعى : إنما أهلك الناس فضول الكلام وفضول المال .

ولعُبَيْد الله بن عبد الله بن عتبة الهذلى الفقيه :

أَعَاذِلُ عَاجِلُ مَا أَشْتَهِي أَحبُّ إِلَيَّ مِنَ الرَّائِثِ
سَأَحْبِسُ مَالِي عَلَى حَاجَتِي وَأُوثِرُ[٢] نَفْسِي عَلَى الوَارِثِ[٣]

وقال عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر :

أَرَى نَفْسِي تَتُوقُ إِلَى أُمُورٍ وَيَقْصُرُ دُونَ مَبْلَغِهِنَّ مَالِي
فَنَفْسِي لَا تُطَاوِعُنِي لِبُخْلٍ وَمَالِي لَا يُبَلِّغُنِي فَعَالِي[٤]

وقال أعرابى :

إِذَا مَا الْفَتَى لَمْ يَبْغِ إِلَّا لِبَاسَهُ وَمَطْعَمَهُ فَالْخَيْرُ مِنْهُ بَعِيدُ
يُذَكِّرُنِي صَرْفَ الزَّمَانِ[٥] وَلَمْ أَكُنْ لِأَهْرُبَ مِمَّا لَيْسَ مِنْهُ مَحِيدُ
فَلَوْ كُنْتُ ذَا مَالٍ لَقُرِّبَ مَجْلِسِي وَقِيلَ إِذَا أَخْطَأْتُ : أَنْتَ رَشِيدُ
فَذَرْنِي أُجَوِّلْ فِي الْبِلَادِ لَعَلَّهُ يُسَرُّ صَدِيقٌ أَوْ يُسَاءُ حَسُودُ[٦]

---

(١) ديوانه ٩٧ ، نهاية الأرب ٧٢/٣ ، وصدر البيت : يمضى أخوك فلا تلقى له خلفاً .
(٢) فى ب : وآثر .
(٣) عيون الأخبار ١٨٠/٣ بدون نسبة .
(٤) عيون الأخبار ٣٤٠/١ ، حماسة أبى تمام ٣٥/٢ ، ٣٦ .
(٥) فى ا : خوف المنايا .
(٦) الأبيات لأعرابى كان يمنعه أبوه من التصرف إشفاقاً عليه فرد عليهم بها انظر عيون الأخبار ٢٣٨/١ ، أمالى القالى ١٣٦/٢ وفيها : لعلنى أسر صديقا .

وقال آخر :

أَنْتَ لِلْمَالِ إذا أَمْسَكْتَهُ ... فإِذَا أنفقته فَالمَالُ لَكْ[(١)]

وقال قيسُ بن عاصم :

سَأُودِعُ مَالِي الحَمْدَ وَالأَجْرَ كُلَّهُ ... فَلاَ أجْرُ فِي الدُّنْيَا وَلَا الحَمْدُ دَائِمُ

فَرِحْتُ بِما قَدَّمْتُ مِنْهُ وَإِنَّنِي ... عَلَى حُسْنِ مَا أَخَّرْتُ مِنْهُ لنَادِمُ

كان يقال : شر مالك ما لزمك إثمُ مكسبه ، وحُرِمْت لذة إنفاقه .

قال الشاعر :

ذَهَابُ المَالِ فِي حَمْدٍ وَأَجْرٍ ... ذَهَابٌ لَا يُقَالُ لَهُ ذهابُ[(٢)]

وقال آخر :

وَحِفْظُكَ مالاً قَدْ عُنِيتَ بِجَمْعِهِ ... أَشَدُّ مِنَ المَالِ الَّذِي أَنْتَ طَالِبُهْ

قال جعفر بن محمد رحمهما الله[(٣)] : من نقله الله من ذل المعصية إلى عز الطاعة أغناه بلا مال ، وآنسه بلا أنيس ، وأعزّه بلا عشيرة .

قال محمود الوراق :

هاكَ الدّليلَ لِمَنْ أَرَا ... دَ غِنًى يَدُومُ بِغيْرِ مَالِ .

وَأَرَادَ عِزًّا لَمْ تُوَطِّ ... دْهُ العَشَائِرُ بِالْقِتَالِ

---

(١) عيون الأخبار ٣/١٨١ ، العقد الفريد ٣/١٠٧ .

(٢) سبق مع بيت آخر ص ١٨٩ .

(٣) في ا : محمد بن جعفر رحمه الله .

وَمَهَابَةً مِنْ غَيْرِ سُلْطَانٍ وَجَاهًا فِي الرِّجَالِ
فَلْيَعْتَصِمْ بِدُخُولِهِ فِي عِزِّ طَاعَةِ ذِي الْجَلَالِ
وَخُرُوجِهِ مِنْ ذِلَّةِ الْ مَاصِي لَهُ فِي كُلِّ حَالِ[1]

وقال النمر بن تولب:

خَاطِرْ بِنَفْسِكَ كَيْ تُصِيبَ رَغِيبَةً إِنَّ الْجُلُوسَ مَعَ النِّسَاءِ قَبِيحُ
فَالْمَالُ فِيهِ تَجِلَّةٌ وَمَهَابَةٌ وَالْفَقْرُ فِيهِ مَذَلَّةٌ وفُضُوحُ[2]

وقال آخر:

وَيُزْرِي بِعَقْلِ الْمَرْءِ قِلَّةُ مَالِهِ تُحَمِّقُهُ الْأَقْوَامُ وَهْوَ لَبِيبُ[3]

وقال حسان بن ثابت الأنصاري:

رُبَّ حِلْمٍ أَضَاعَهُ عَدَمُ الْمَا لِ وَجَهْلٍ غَطَّى عَلَيْهِ النَّعِيمُ[4]

وقال الخريمي وهو أبو يعقوب:

الْعَيْشُ لَا عَيْشَ إِلَّا مَا قَنِعْتَ بِهِ قَدْ يَكْثُرُ الْمَالُ وَالْإِنْسَانُ مُفْتَقِرُ

وقال أمية بن أبي الصَّلت:

إِذَا اكْتَسَبَ الْمَالَ الْفَتَى مِنْ وُجُوهِهِ وَأَحْسَنَ تَدْبِيرًا لَهُ حِينَ يَجْمَعُ
وَمَيَّزَ فِي إِنْفَاقِهِ مَا بَيْنَ مُصْلِحٍ مَعِيشَتَهُ فِيمَا يَضُرُّ وَيَنْفَعُ

---

(١) فى م : ها أنا بدل هاك ، وفى صاعة الله ذى الجلال بدل فى عز طاعة الخ .
(٢) عيون الأخبار ١/٢٣٨ . وفيها غنيمة بدل رغيبة ، والعيال بدل النساء ، وقبوح بدل فضوح .
(٣) أنشده ابن الأعرابى فى عيون الأخبار ٣/٢٤٠ .
(٤) ديوانه ١٠٠ ، نهاية الأرب ٣/٦٩ ، معجم الأدباء ٢٠/١٠ .

وَأَرْضَى بِهِ أَهْلَ الحُقوقِ وَلَمْ يُضِعْ ... بِهِ الذُّخْرُ زَادًا لِلَّتِي هِيَ أَنْفَعُ
فذَاكَ الْفَتَى لَا جَامِعُ المَالِ ذَاخِرًا ... لِأَوْلَادِ سُوءٍ حَيْثُ جَاءُوا وَأَوْضَعُوا (١)

وقال كُثَيِّرٌ :

إِذَا المَالُ لَمْ يُوجِبْ عَلَيْكَ عَطَاءَهُ ... صَنِيعَةُ نُعْمَى أَوْ خَلِيلٌ تُوَامِقُهْ
بَخِلْتَ وَبَعْضُ البُخْلِ حَزْمٌ وَقُوَّةٌ ... فَلَمْ يَفْتَلِتْكَ المَالَ إِلَّا حَقَائِقُهْ (٢)

وقال محمود الوراق :

وَلَمْ أَرَ مِثْلَ الْفَقْرِ أَوْضَعَ لِلْفَتَى ... وَلَمْ أَرَ مِثْلَ المَالِ أَرْفَعَ لِلنَّذْلِ
وَلَمْ أَرَ عِزًّا لِامْرِىءٍ كَعَشِيرَةٍ ... وَلَمْ أَرَ ذُلًّا مِثْلَ نَأْيٍ عَنِ الْأَهْلِ
وَلَمْ أَرَ مِنْ عُدْمٍ أَضَرَّ عَلَى الْفَتَى ... إِذَا عَاشَ بَيْنَ النَّاسِ مِنْ عَدَمِ الْعَقْلِ (٣)

وقال آخر :

الْفَقْرُ يُزْرِى بِأَقْوَامٍ ذَوِى حَسَبٍ ... وَقَدْ يُسَوِّدُ غَيْرَ السَّيِّدِ المَالُ (٤)

وقال محمود الوراق :

أَرَى دَهْرَنَا فِيهِ عَجَائِبُ جَمَّةٌ ... إِذَا اسْتُعْرِضَتْ بِالْعَقْلِ ضَلَّ لَهَا الْعَقْلُ
أَرَى كُلَّ ذِي مَالٍ يَسُودُ بِمَالِهِ ... وَإِنْ كَانَ لَا أَصْلٌ هُنَاكَ وَلَا فَصْلُ

---

(١) ديوانه ٩٢ .

(٢) الشعر والشعراء ٤٩٨ ، وفيه : صنيعة تقوى أو صديق ، زهر الآداب ٣/٢٤٧ ، وفيه : فلم يعتملك ، الكامل ١/٢٠٦ ، ويفتلتك أى يقطع منك

(٣) الأبيات فى عيون الأخبار ٣/٩١ ، محاضرات الأدباء ٢/٢٧٣ ، الكامل ١/١٨٤ ، والبيت الثانى فى البيان ١/٢٤٦ .

(٤) عيون الأخبار ١/٢٣٩ بدون نسبة .

وَآخَرَ مَنْسُوبًا إِلَى الرَّأْيِ خَامِلاً ... وَأَنْوَكَ مَخْبُولاً لَهُ الجَاهُ وَالنُّبْلُ
وَمَا الْفَضْلُ فِي هَذَا الزَّمَانِ لِأَهْلِهِ ... وَلَكِنَّ ذَا المَالِ الكَثِيرِ لَهُ الفَضْلُ
فَشَرِّفْ ذَوِي الأَمْوَالِ حَيْثُ لَقِيتَهُمْ ... فَقَوْلُهُمْ قَوْلٌ وَفِعْلُهُمُ فِعْلُ(١)

ومما ينسب إلى محمود ، وأظنها لغيره وهو أبو عبد الرحمن العَطَوِى :

دَعِ الرِّيَاءَ لِمَنْ لَجَّ الرِّيَاءُ بِهِ ... فِي الأَمْرِ بِالْبَذْلِ واذْكُرْ ذِلَّةَ العَدَمِ
وَمُتْ عَلَى الدِّرْهَمِ المَنْقُوشِ مَوْتَ فَتًى ... رَأَى المَمَاتَ عَلَيْهِ أَكْرَمَ الكَرَمِ
وَعَدِّ عَنْ ذَا وَعَنْ هَذَا وَقَوْلِهِمُ ... الذِّكْرُ يَبْقَى وَتَفْنَى لَذَّةُ النِّعَمِ
لَوْلَا غِنَاكَ لَكُنْتَ الكَلْبَ عِنْدَهُمُ ... فَإِنْ أَبَيْتَ فَجَرِّبْ وَاشْقَ بِالنَّدَمِ(٢)

وقال أبو العتاهية :

وَالنَّاسُ(٣) حيثُ يَكُونُ المَالُ وَالجَاهُ(٤)

---

(١) الأبيات ماعدا الأول فى العقد الفريد ٣/٣٠ ، وفيه : يبر لماله مكان يسود بماله فى البيت الثانى .
(٢) وردت الأبيات فى محاضرات الأدباء ١/٢٩١ ، منسوبة إلى أبى على المحمودى .
(٣) ب : والمال .
(٤) لم أعثر عليه فى ديوانه المطبوع .

بابُ جَامِعِ القَوْلِ فى الغِنَى والفَقْر

قال رسولُ اللهِ صلّى اللهُ عليه وسلَّم : « ارْضَ بما قسم اللهُ لك تكنْ أَغْنَى النَّاس ، واعملْ بما افْتَرَض اللهُ عليك تكنْ أعْبَدَ النَّاسِ ، واجتنبْ ما حَرَّمَ اللهُ عليك تكن أوْرَعَ النّاس » .

وقال عليه السلام : « ليس الغنى عن كثرة العَرَض ، إنما الغِنَى غِنى النَّفْس » .

وفى الحديث المرفوع : « الفقرُ أزين للمؤمن من العِذَارِ[1] على خدِّ الفرس » .

وقد أتينا في معنى الفقر والغنى ، والمقدار المحمود فى ذلك عند العلماء بدلائل السنن ، وأقاويل السلف ، بما فيه كفايةٌ وتبصرة وشفاءٌ لما فى الصدور فى موضعه من كتاب « بيان العلم » والحمد لله .

قال أوسُ بن حارثة : خيرُ الغِنَى القناعة ، وشرُّ الفقر الضَّراعة[2] .

قال فضَيْلُ بن عِيَاض : إنما الفقر والغنى بعد العَرْضِ على الله .

أنشدنا الرياشي :

ما شِقْوَةُ المرءِ بالإقْتَارِ تُقْتِرُهُ ... وَلا سَعَادَتُهُ يَوْمًا بِإِكْثَارِ
إنَّ الشَّقِيَّ الذى فى النَّارِ مَنْزِلُهُ ... وَالفَوزُ فَوزُ الذى يَنْجُو منَ النَّارِ[3]

قال جعفرُ بن محمد : العز والغنى يجولان فى الأرض ، فإذا أصابا موضعاً يدخله التوَكُّلُ أوْطَناه .

(١) العذار : ماسال على خد الفرس من اللجام .
(٢) ب : الخضوع .
(٣) البيتان لصخر بن جناء كما فى الكامل ١/ ٦٢ ، ٦٣ .

كان يقال : الشكرُ زينةُ الغنى ، والعفافُ زينةُ الفقر .

وقالوا : حقُّ الله واجب فى الغنى والفقر ، ففي الغنى العطفُ والشكر ، وفى الفقر العفافُ والصَّبر .

كان يقال : سوءِ حَمْل الغنى يُورث مَقْتًا ، وسوء حمل الفاقة يَضعَ شرفًا .

كان يقال : الغنى(١) فى النفس ، والشرف فى التواضع ، والكرم فى التقوى .

أنشدنا الرياشى :

وَبَيْنَا الفَتَى فِى الفَقْرِ إِذْ صَارَ فِي الغِنَى ... وَبَيْنَا الفَتَى فِى البؤْسِ إِذْ صارَ فِى الخَفْضِ
كَذَاكَ صُرُوفُ الدَّهْرِ تَلْعَبُ بِالفَتَى ... فَتُبْرِمُ أَحْيَانًا وَتُسْرِعُ فِى النَّقْضِ

وقال آخر :

قَدْ أَنْطَقَتِ الدَّرَاهِمُ بَعْدَ عِيٍّ ... أُنَاسًا طَالَمَا كَانُوا سُكُوتَا
فَمَا عَادُوا عَلَى جَارٍ بِخَيْرٍ ... وَلَا رَفَعُوا لِمَكْرُمَةٍ بُيُوتَا
كَذَاكَ المَالُ يُنْطِقُ كُلَّ عِيٍّ(٢) ... وَيَتْرُكُ كُلَّ ذِى حَسَبٍ صَمُوتَا

(٣ وقال آخر :

نَطَقْتَ مُذِ اسْتَفَدْتَ المَالَ حَتَّى ... كَأَنَّكَ عَالِمٌ ذَلِقُ اللِّسَانِ
وَشَجَّعَكَ الَّذِى قَدْ كَانَ قِدْمًا ... يُسَمِّيكَ الجَبَانَ ابنَ الجَبَانِ ٣)

(١) ا : العز .
(٢) ب : غث .
(٣) ساقط من ا .

وقال محمود الوراق

الفَقْرُ فِي النَّفْسِ وَفِيهاَ الغِنَى ... وَفِي غِنَى النَّفْسِ الغِنَى الأَكْبَرُ[١]

وقال حماد الراوية : أفضل بيت من الشعر قيل فى الأمثال :

يَقولُونَ يَسْتَغْنِي وَوَاللهِ مَا الغِنَى ... مِنَ المَالِ إلَّا مَا يُعِفُّ وَمَا يَكْفِي[٢]

ولمحمود الوراق أيضاً :

صَاحِبُ اليُسْرِ يَرْقُبُ العُسْرَ وَالْعُسْـ ... ـرُ فِي دَهْرِهِ يرَاقِبُ يُسْرَا

لَيْسَ خَلْقٌ لَهُ عَلَى اللهِ حَقٌّ ... إنَّمَا حَقُّهُ عَلَى النَّاسِ طُرًّا

لَا يُحَـــابِى[٣] الْغَنِىَّ فِيمَا أَتَاهُ ... لَا وَلَا يَظْلِمُ الذِى مَاتَ فَقْرَا[٤]

يَمْنَعُ اللهُ عَبْدَهُ نَظَرًا مِنْـ ... ـهُ وَيُسْنِى لَهُ العَطِيَّةَ مَكْرَا

لَيْسَ مِنْ بُخْلِهِ يُنَقِّصُ ذَا الفَقْـ ... ـرِ وَلَمْ يُعْطِ ذَا الغِنَى المَالَ قَسْرَا

قال عبد الله بن الأهتم : من ولد فى الفقر أبطره الغنى .

كان يقال : خصلتان مذمومتان : الاستطالةُ مع السّخاء ، والبطر مع الغناء .

كان يقال : لا تَدْعُ على ولدك بالموت ، فإنَّه يُورث الفقر .

قال أعرابىٌّ من باهلة :

سَأُعْمِلُ نَصَّ العِيسِ[٥] حَتَّى يَكُفَّنِى ... غِنَى المَالِ يَوْمًا أَوْ غِنَى الحَدَثَانِ

---

(١) العقد الفريد ٣/٢٠٧ .

(٢) البيت مما ينسب إلى الحطيئة من شعر ، انظر زيادات الديوان ٣٢٠ .

(٣) ا : لم يحاب ، ب : لايخاف .

(٤) ا : حرا .

(٥) نص العيس : استخراج أقصى ما عندها من سير .

فَلَلْمَوْتُ خَيْرٌ مِنْ حَيَاةٍ يُرَى لَهَا ... عَلَى الحُرِّ بِالإِقْلَالِ[١] وَسْمُ هَوَانِ
كَأَنَّ الغِنَى فِي أَهْلِهِ بُورِكَ الغِنَى ... بِغَيْرِ لِسَانٍ نَاطِقٌ بِلِسَانِ[٢]

وقال يحيى بن حكم الغزال،[٣] وتروى لغيره ابن المعتز، أو غيره[٣]:

إذا كُنْتَ ذَا ثَرْوَةٍ مِنْ غِنًى ... فَأَنتَ المُسَوَّدُ فِي العَالَمِ
وَحَسْبُكَ مِنْ نَسَبٍ صُورَةٌ ... تُخَبِّرُ أَنَّكَ مِنْ آدَمِ[٤]

وللغزال أيضاً:

إِنِّي حَلَبْتُ الدَّهْرَ أَصْنَافَ الدِّرَرْ ... فَمَرَّةً حُلْوٌ وَأَحْيَانًا مِقِرْ[٥]
وَعَلْقَمًا حِينًا وَأَحْيَانًا صَبِرْ ... وَجُلُّ مَا يَسْقِيكَهُ الدَّهْرُ كَدَرْ
فَلَمْ أَجِدْ شَيْئًا مِنَ الفَقْرِ أَمَرّ ... أَلَا تَرَى أَكْثَرَ مَنْ فِيهَا يَفِرّ
مَخَافَةَ الفَقْرِ إِلَى نَارِ سَقَرْ

وقال آخر:

لَعَمْرُكَ إِنَّ القَبْرَ خَيْرٌ مِنَ الفَقْرِ ... لِمَنْ كَانَ ذَا يُسْرٍ وَعَادَ إِلَى عُسْرِ

ولعروة بن الورد:

دَعِينِي لِلْغِنَى أَسْعَى فَإِنِّي ... رَأَيْتُ النَّاسَ شَرُّهُمُ الفَقِيرُ

---

(١) ب: على المرء ذى العلياء.

(٢) إعتاب الكتاب ٢١٧، عيون الأخبار ١/٢٣٩، البيان ٢/٢٣٨، الكامل ١/١٨٤، زهر الآداب ٤/٥٦، وفيه: وإن الفتى فى أهله يرزق الغنى بغير لسان ... الخ، العقد الفريد ٣/٢٩.

(٣) ساقط من ب.

(٤) التمثيل والمحاضرة ٣٩٢، ونسبها لابن المعتز ولا توجد فى ديوانه.

(٥) المقر: الحامض أو المر.

وَأحقَرُهُمْ وَأهوَنُهُمْ عَلَيْهِمْ ... وَإنْ أمْسَى لَهُ كَرَمٌ وَخيرُ
يُباَعِدُهُ الخَلِيلُ وَتزْدَرِيهِ ... حَلِيلَتُهُ وَيَنْهَرُهُ الصَّغيرُ
وَتَلْقَى ذَا الغِنَى وَلَهُ جَلَالٌ ... يَكادُ فُؤَادُ صَاحِبِهِ يَطِيرُ
قَليلٌ عَيْبُهُ وَالعَيْبُ جَمٌّ ... وَلَكِنْ لِلْغِنَى رَبٌّ غَفُورُ[1]

وقال آخر :

رَأيْتُ النَّاسَ لَمَّا قَلَّ مَالِي ... وَأكْثَرْتُ الغَرَامَةَ[2] وَدَّعُونى
فَلَمَّا أنْ غَنِيتُ وَثَابَ وَفْرِي ... إذَا هُمُ ـ لاأبَالَكَ ـ رَاجَعُونى[3]

وقالوا : بقدر ما يعطى الغنىُّ من الإيسار ، يعطى من الإجلال ، وبقدر ما ينزل بالفقير من فقر يذهب بهاؤه وتتضع منزلته ، حتى يتهمه من كان يأمنه ، ويسيء به الظن من كان يثق به . ومحاسن الغنى مساوىء الفقير ، إذا كان جواداً قالوا : مبذر ، وإن كان لَسِنًا قالوا : مهذار ، وإن كان شجاعاً ، قالوا : أهوج ، وإن كان حليما صموتًا ، قالوا : عيّ بليد ، وكل شيء هو للغنيّ مدح هو للفقير ذم .

قال الشاعر :

لَعَمْرُكَ إنَّ المالَ قَدْ يَجْعَلُ الْفَتَى ... سَنِيًّا وَإنَّ الْفَقْرَ بِالمَرْءِ قَد يُزْرِى
فَمَا[4] رَفَعَ النَّفْسَ الدَّنِيئَةَ كَالْغِنَى ... وَلَاوَضَعَ النَّفْسَ الكَرِيمَةَ كَالْفَقْرِ[5]

---

(١) يروى : وأبعدهم وأهونهم ،وإن أمسى له حسب ،ويقصيه الندى، وينكره الصغير ، قليل ذنبه والذنب، انظر الأبيات فى ديوان عروة ٢٠ ، معجم الأدباء ١٨٣/٦ ، البيان ٢٣٨/٢ ، عيون الأخبار ٢٤١/١ ، محاضرات الأدباء ٢٤٢/١ ، العقد الفريد ٢٩/٣ .

(٢) ب : الملامة .

(٣) البيان والتبيين ٢٩٩/٣ .

(٤) ا : ولا .

(٥) المستطرف ٤٤/٢ .

وقال حبيب :

لَا تُنْكِرِى عَطَلَ الْكَرِيمِ مِنَ الْغِنَى ... فَالسَّيْلُ حَرْبٌ لِلْمَكَانِ الْعَالِى[(١)]

وللمغيرة بن حَبْنَاء :

وَمَا الْفَقْرُ يُزْرِى بِالرِّجَالِ وَلَا الْغِنَى ... وَلَكِنْ قُلُوبُ الْقَوْمِ لِلْقَوْمِ تَقْدَحُ

وقال امرؤ القيس :

بَكَى صَاحِبِى لَمَّا رَأَى الدَّرْبَ دُونَهُ ... وَأَيْقَنَ أَنَّا لَاحِقَانِ بِقَيْصَرَا

فَقُلْتُ لَهُ : لَا تَبْكِ عَيْنُكَ إِنَّمَا ... نُحَاوِلُ مُلْكاً أَوْ نَمُوتَ فَنُعْذَرَا[(٢)]

وقال أبو العتاهية :

أَجَلَّكَ قَوْمٌ حِينَ صِرْتَ إِلَى الْغِنَى ... فَكُلُّ غَنِىٍّ فِي الْعُيُونِ جَلِيلُ

[(٣)] إِذَا مَالَتِ الدُّنْيَا إِلَى الْمَرْءِ رَغَّبَتْ ... إِلَيْهِ وَمَالَ النَّاسُ حَيْثُ يَمِيلُ[(٣)]

وَلَيْسَ الْغِنَى إِلَّا غِنًى زَيَّنَ الْفَتَى ... عَشِيَّةَ يَقْرِى أَوْ غَدَاةَ يُنِيلُ[(٤)]

وقال الصَّلَتَانُ العَبْدِىّ[(٥)] :

إِذَا قُلْتَ يَوْماً لِمَنْ قَدْ تَرَى ... أَرُونِى السَّرِىَّ أَرَوْكَ الغَنِى

وقال ابنُ سعدان[(٦)] :

---

(١) ديوانه ١٢٣ ، نهاية الأرب ٣/٩١ ، زهر الآداب ٤/٣٥ .

(٢) ديوانه ٦٦ ، عيون الأخبار ١/٢٣٦ ، الشعر والشعراء ٦٢ ، معجم الشعراء ٢٠٠ .

(٣) ساقط من ا .

(٤) ديوانه ٢٢١ ، العقد الفريد ٣/٣٠ ، والبيتان الأول والثالث فى حماسة أبى تمام ٢/٢٨٥ .

(٥) قثم بن خبية العبدى ، شاعر حكيم ، توفى نحو سنة ٨٠ هـ ، انظر فى ترجمته وأشعاره : سمط اللآلى ٥٣١ ، ٧٦٦ ، والمؤتلف ١٤٥ ، الشعر والشعراء ١٩٦ (الأعلام ٦/٢٩)، وانظر البيت فى عيون الأخبار ١/٢٤١ ، الشعر والشعراء ٤٧٩ .

(٦) هو محمد بن سعدان الكوفى ، محدث فقيه عالم بالقراءات ، توفى سنة ٢٣١ هـ ، انظر تاريخ بغداد ٥/٣٢٤ ، بغية الوعاة ٤٥ (الأعلام ٧/٨) .

تَقَنَّعْ بِمَا يَكْفِيكَ وَالْتَمِسِ الرِّضَا ... فَإِنَّكَ لَا تَدْرِى أَتُصْبِحُ أَمْ تُمْسِي
فَلَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْمَالِ إِنَّمَا ... يَكُونُ الْغِنَى وَالْفَقْرُ مِنْ قِبَلِ النَّفْس

وقال بكر بن أذينة :

كَمْ مِنْ فَقِيرٍ غَنِي النَّفْسِ نَعْرِفُهُ ... وَمِنْ غَنِيٍّ فَقِيرُ النَّفْسِ مِسْكِينُ

وقال محمود الوراق :

لَبِسْتُ صُرُوفَ الدَّهْرِ كَهْلًا وَنَاشِئًا ... وَجَرَّبْتُ حَالَيْهِ عَلَى الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ
فَلَمْ أَرَ بَعْدَ الدِّينِ خَيْرًا مِنَ الْغِنَى ... وَلَمْ أَرَ بَعْدَ الْكُفْرِ شَرًّا مِنَ الْفَقْرِ

ولمحمود الوراق :

يَا عَائِبَ الْفَقْرِ أَلَا تَزْدَجِرْ ... عَيْبُ الْغِنَى أَكْثَرُ لَوْ تَعْتَبِرْ
مِنْ شَرَفِ الْفَقْرِ وَمِنْ فَضْلِهِ[١] ... عَلَى الْغِنَى إِنْ صَحَّ مِنْكَ النَّظَرْ
أَنَّكَ تَعْصِي كَيْ تَنَالَ الْغِنَى ... وَلَسْتَ تَعْصِي اللّٰهَ كَيْ تَفْتَقِرْ[٢]

وفى رواية أخرى :

أَنَّكَ تَعْصِي اللّٰهَ تَرْجُو الْغِنَى ... وَلَسْتَ تَعْصِي اللّٰهَ كَيْ تَفْتَقِرْ

وقال آخر :

وَلَا تَعِدِينِى الْفَقْرَ يَا أُمَّ مَالِكٍ ... فَإِنَّ الْغِنَى لِلْمُنْفِقِينَ[٣] قَرِيبُ

---

(١) ب : فعله .
(٢) عيون الأخبار ١/٢٤٩ العقد الفريد ٣/٢٠٩ والبيتان الثانى والثالث فى محاضرات الأدباء ١/٢٤٧ .
(٣) ب : للمتقين .

وهذا مأخوذ والله أعلم من حديث الرسول صلى الله عليه وسلم : « يقول الله يا ابنَ آدمَ أَنفِقْ أُنفِقْ عَلَيْكَ » .

وقال بعض الحكماء فى ذم الغنى : طالبُ الغِنى طويل العَنَاء ، دائم النَّصب ، كثير التعب ، قليل منه حَظُّهُ ، خَسِيس منه نصيبه ، شديد من الأيام حذره ، ثم هو بين سلطان يرعاه ، ويفغر[١] عليه فاه ، وبين حقوق تجب عليه ، يضعف عن[٢] منعها ، وبين أكفاء وأعداء ينالونه[٣] ويحسدونه ويبغون عليه ، وأولاد يملّونه[٤] ويودون موته ، ونوائب تعتريه وتحزنه .

وقال بشر بن المعتمر المتكلم :

وإِذَا الجَهُولُ رَأَيْتَهُ مُسْتَغْنِيًا   أَعْيَا الطَّبِيبَ وَحِيلَةَ المُحْتَالِ[٥]

وقال الخليل بن أحمد :

مَا أَسْمَجَ النُّسْكَ بِسَأَلٍ[٦]   وَأَقْبَحَ البُخْلَ بِذِى المَالِ
مَنْ كَانَ مُحْتَاجًا إِلَى أَهْلِهِ   هَانَ عَلَى ابْنِ العَمِّ والخَالِ
[٧]مَا وَقَعَ الإِنْسَانُ فِى وَرْطَةٍ   أَزْرَى بِهِ مِنْ رِقَّةِ الحَالِ[٧]

قيل لبعض الحكماء : ما بالنا نجد مَنْ يطلبُ المالَ من العلماء أكثرَ ممن

---

(١) ا : ويعض .
(٢) ب : عقت على .
(٣) : يغتابونه .
(٤) ب : وولد يذمونه .
(٥) البيت فى البيان والتبيين ٣/٢٤٧ .
(٦) ا : بتسآل .
(٧) زيادة من ب .

يطلبُ العلمَ من ذوى الأموال ؟ قال : لمعرفةِ العُلماءِ بمنافع المال ، وجَهْل ذوى الأموال بمنافع العلم .

قال الشاعر :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الفقْرَ يُزْرِى بِأَهْلِهِ   وأَنَّ الغِنَى فِيهِ العُلاَ والتَّجمُّلُ

قال أُحَيْحَةُ بن الجُلاَح :

اسْتَغْنِ عَنْ كُلِّ ذى قُرْبَى وذِى رَحِمٍ   إنَّ الغَنِىَّ مَنِ[1] اسْتَغْنَى عَنِ النَّاسِ
والْبَسْ عَدُوَّكَ فِى رِفقٍ وَفِى دَعَةٍ   لِبَاسَ ذِى إرْبَةٍ لِلدَّهْرِ لَبَّاس

(١) ب : الذى . والبيتان فى لباب الآداب ٣٥٦ والثانى منهما فى حماسة البحترى ٩ ، وفيها : أطوار ذى لربة .. الخ . والإربة بالكسر : الدهاء والمكر .

بَابُ الدَّيْن

قال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلّم : يارسول الله ، أرأيتَ إن قتِلْتُ فى سبيل الله مقبلا غيرَ مُدْبر ، أيكفّر اللهُ عنّى خطاياى ؟ قال : « نعم . إلاّ الدَّيْن ، بذلك أخبرنى جبريلُ » .

وعنه عليه السلام أنه قال : « صاحبُ الدَّيْن محبوسٌ عن الجنة بِدَيْنه » .

وقال عليه السلام — بعد [(1)] أن فتح الله عليه وأفاء الله على المسلمين [1)] — : « من ترك مالاً فلورثته ، ومن ترك دَيْنًا فعلَىّ » .

كان يقال : لا همّ إلاّ همّ الدَّيْن ، ولا وجعَ إلاّ وجع العين . وقد روى هذا القول عن النبى صلّى الله عليه وسلم من وجه ضعيف .

قال عمرُ بن الخطاب : إياكم والدَّين ، فإنّ أوله همٌّ وآخره حرب .

قال جعفر بن محمد : المستدينُ تاجر الله فى الأرض .

قال عمر بن عبد العزيز : الدَّيْنِ وقرٌ طالما حمله الكرام .

قال عمرو بن العاص : من كثر صديقه كثر دَيْنه .

قيل لمحمد بن المُنْكَدِر : أتحجُّ وعليك الدين ؟ قال : الحج أقضى للدين . يريد الدعاء فيه ، والله أعلم .

كان يقال : الدَّيْن رِقّ ، فلينظرْ أحدكم أين يضع رقّه .

كان يقال : الأذلة أربعة : النمّامُ ، والكذّابُ ، والفقيرُ ، والمديان .

---

(1) ساقط من ب .

كان يقال : حُرِّيّة المسلم كرامتُه ، وذُلُّه دَيْنُهُ ، وعذابه سوء خلقه .

كان الفضل بن عباس بن عتبة بن أبى لهب الشاعر يعامل الناس بالعَيْنة[١] ، فإذا حَلت دراهمه ركب حماراً يقال له شارب الريح ، فيقف على غرمائه فيقول :

بَنُو عَمِّنَا أَدُّوا الدَّرَاهِمَ إِنَّمَا يُفَرِّقُ بَيْنَ النَّاسِ حُبُّ الدَّرَاهِمِ[٢]

وقال آخر :

فَمَا شَأْنُ دَيْنِى إِذْ يَحُلُّ عَلَيْكُمُ أَرَى النَّاسَ يَقْضُونَ الدُّيُونَ ولاَ يُقْضَى
لَقَدْ كَانَ ذَاكَ الدَّيْنُ نَقْدًا وَبَعْضُهُ لِعَرضٍ فَمَا أَدَّيْتِ نَقْدًا ولاَ عَرْضاً
ولَكِنَّمَا هَذَا الَّذِى كَانَ مِنْكُمُ أَمَانِىُّ ما لاَقَتْ سَمَاءً ولاَ أَرْضَا
فَلَوْ كُنْتِ تَنْوِينَ القَضَاءَ لِدَيْنِنَا لأَنْسَأْتِ[٣] لِى بَعْضًا وَعَجَّلْتِ لِى بَعْضاً[٤]

قال أبو عثمان المازنى : سمعت معاذ بن معاذ ، وبشر بن المفضل ينشدان هذين البيتين لمجنون بنى عامر :

طَمِعْتُ بِلَيْلَى أَنْ تَرِيعَ وإِنَّمَا تُقَطِّعُ أَعْنَاقَ الرِّجَالِ الْمَطَامِعُ
وَدَايَنْتُ لَيْلَى فِى خَلاَءٍ وَلَمْ يَكُنْ شُهُودٌ عَلَى لَيْلَى عُدُولٌ مَقَانِعُ[٥]

---

(١) العينة : أى تعيين وقت لاستقضاء الدين .
(٢) انظر الخبر والبيت فى عيون الأخبار ٢٥٦/١ .
(٣) ب،م: لأنسأتكم .
(٤) محاضرات الأدباء ٢٢٩/١ .
(٥) نسب البيتان فى نهاية الأرب ٢٢/٨ ، لباب الآداب ٣٢٢ ، أمالى القالى ١٦٩/١ إلى البعيث المجاشعى ، وهما فى محاضرات الأدباء ٩٦/١ ، والأول فى حماسة البحترى ٢٠٢ بغير نسبة، وتريع : ترجع إلى سابق عهدها .

وقال آخر أنشده ابن الزبير :

أَلاَ لَيْتَ النَّهَارَ يَعُودُ لَيْلاً فَإِنَّ الصُّبْحَ يَأْتِي بِالهُمُومِ
حَوَائِجُ مَا نُطِيقُ لَهَا قَضَاءً وَلاَ دَفْعًا وَرَوْعَاتُ[(١)] الغَرِيمِ

كان يقال : الدَّيْن هَمٌّ بالليل وذل بالنهار ، وإذا أراد الله أن يذل عبده جعل فى عنقه دينًا .

وقال آخر :

إِنَّ القَضَاءَ سَيَأْتِي دُونَهُ زَمَنٌ فَاطْوِ الصَّحِيفَةَ واحْفَظْهَا مِنَ الفَارِ[(٢)]

قال كُثَيِّر بن عبد الرحمن بن أبى جمعة :

قَضَى كُلُّ ذِي دَيْنٍ فَوَفَّى غَرِيمَهُ وَعَزَّةُ مَمْطُولٌ مُعَنًّى غَرِيمُهَا[(٣)]

أنشدنا الصولى لسليمان بن وهب متمثلا :

مِنَ النَّاسِ إِنْسَانَانِ دَيْنِي عَلَيْهِمَا مَلِيَّانِ لَوْ شَاءَا لَقَدْ قَضَيَانِي
خَلِيلَيَّ أَمَّا أُمُّ عَمْرٍو فَمِنْهُمَا وأَمَّا عَنِ الأُخْرَى فَلاَ تَسَلاَنِي[(٤)]

---

(١) ب : روعات .

(٢) البيت لأعرابى يدعى أبا النباش الدقيلى ، أخذ مالا من تاجر بالمدينة يدعى سيار بن الحكم ثم غاب عنه مدة ، ولما ظهر أخيراً لاحقه التاجر وجماعة معه بصحيفة الدين ، فأظهر لهم استعداده لدفعه فى مكان معين بالمدينة ، فلما ساروا معه فى دروبها أسرع بالفرار وأعجزهم هربا ، انظر القصة وأبيات ثلاثة أخر فى حماسة البحترى ٤١٦ ، ٤١٧ ، عيون الأخبار ١/٢٥٥ .

(٣) ديوانه ١٧٧ ، نهاية الأرب ٣/٧٥ ، عيون الأخبار ٤/٩٢ ، التمثيل والمحاضرة ٧٢ ، الشعر والشعراء ٤٩٠ .

(٤) وفيات الأعيان ٢/١٤٧ .

باب الاقتصاد والرفق

قال الله عزّ وجلّ : ﴿ وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ ، وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ[1] ﴾ وقال : ﴿ والَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا[2] ﴾ .

فهذا أدب الله تعالى .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلّم : « ما عَالَ مَنِ اقْتَصد » .

كان يقال : ثلاثٌ من حقائق الإيمان : الاقتصادُ فى الإنفاق ، والإنصافُ من نفسك ، والابتداء بالسلام .

كتب بعضُ الصالحين إلى بعض إخوانه : كل مارده[3] العقل ، ونالهُ الفضل لجميلٌ حَسَن .

قال عبدالله بن عباس : الهَدْىُ الصّالح ، والسَّمْتُ الحسن ، والاقتصاد ، جزء من خمسة وعشرين جزءًا من النبوة .

قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم : « إن الله يحبُّ الرفق فى الأمر كله » .

وقال عليه السلام : « ما كان الرفق قط فى شيء إلاّ زانه ، ومن حُرم الرفق حرم الخير » .

---

(١) سورة الإسراء آية ٢٩ .

(٢) سورة الفرقان آية ٦٧ .

(٣) ا : ما أخره .

وقال صلى الله عليه وسلّم : « ما أراد الله بأهل بيت خيرًا إلا أدخل عليهم الرفق، ولا أراد بهم شرًّا إلاّ أدخل عليهم الخُرْق[١] » .

قال عمر بن الخطاب : لا يقل مع الإصلاح شىء ، ولا يبقى مع الفساد شىء .

قال المتلمّس :

وإصْلاحُ القَلِيلِ يَزِيدُ فيهِ ... وَلاَ يَبْقَى الكَثِيرُ مَعَ الفَسَادِ[٢]

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الرفق يمن ، والُخرْق شؤم » .

سئل بعض العلماء عن السكينة ، فقال : هى السكون عما الحركة فيه ، والعجلة لا يحمدها الله ولا يرضاها .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الأناة من الله ، والعجلة من الشيطان » .

لسهل بن هارون فى يحيى بن خالد :

عَدُوُّ تِلاَدِ المَالِ فِيمَا يَنُوبُهُ ... مَنُوعٌ[٣] إذَا مَامَنْعُهُ كَانَ أحْزَمَا[٣]

وقال آخر[٤] :

عَلَيْكَ بِأَوْسَاطِ الأُمُورِ فَإِنَّهَا ... نَجَاةٌ وَلاَ تَرْكَبْ ذَلُولاً وَلاَ صَعْبَا[٥]

وقال آخر :

---

(١) الخرق : ضد الرفق ، وألا يحسن المرء التصرف فى الأمور .
(٢) ديوانه ١٦٨ ، نهاية الأرب ٣/٦١ . العقد الفريد ٣/١٤٠ .
(٣) ساقط فى ب ، وانظر البيت فى البيان والتبيين ٣/٣٠١ .
(٤) ساقط من ب .
(٥) البيت لأبى عيينة المهلبى ، انظر التمثيل والمحاضرة ٤٢٩ . البيان ١/٢٥٤ ، فصل المقال ٢٥٤ .

لَا تَذهَبَنَّ فِي الْأُمُورِ فَرَطًا   لَا تَسْأَلَنَّ إِنْ سَأَلْتَ شَطَطَا
وَكُنْ[1] مِنَ النَّاسِ جَمِيعًا وَسَطَا

قال أعرابي للحسن : يا أبا سعيد ! علمني ديناً وَسُوطاً لا ذاهباً فروطاً ، ولا ساقطاً سَقُوطاً . قال له الحسن : أحسنت[2] ، خير الأمور أوسطها .

قال محمود الوراق :

إِنِّى رَأَيْتُ الصَّبْرَ خَيْرَ مُعَوَّلٍ[3]   فِي النَّائِبَاتِ لِمَنْ أَرَادَ مُعَوَّلَا
وَرَأَيْتُ أَسْبَابَ الْقُنُوعِ مَنُوطَةً   بِعُرَى الْغِنَى فَجَعَلْتُهَا لِي مَعْقِلَا
فَإِذَا نَبَا بِى مَنْزِلٌ لَا يُرْتَضَى   جَاوَزْتُهُ وَاخْتَرْتُ عَنْهُ مَنْزِلَا
وإِذَا غَلَا شَيْءٌ عَلَيَّ تَرَكْتُهُ   فَيَكُونُ أَرْخَصَ ما يَكون إِذَا غَلَا[4]

لبعض المتأخرين من البخلاء يوصى ابنه :

إِذَا مَا كُنْتَ فِي بَلَدٍ غَرِيبًا   وَخِفْتَ مِنَ أَنْ تَبُوءَ بِغَيْرِ مالِ
فَلَا تَبْسُطْ يَدَيْكَ وَكُلْ قَلِيلاً   يَفُوتُكَ كُلَّ يَوْمٍ فِي اعْتِدَالِ
وَذُبَّ عَنِ الدَّرَاهِمِ كُلَّ حِينٍ   وَكَثِّرْهَا وَقَلِّلْ فِي العِيَالِ
وَقُلْ فِي كل شَيْءٍ تَشْتَهِيهِ   مِنَ الأَشْيَاءِ هَذَا الشَّيءِ غالِ
فَتَرْكُ المالِ للأَعْدَاءِ خَيْرٌ   لِرَبِّ المالِ مِنْ ذُلِّ السُّؤَالِ

(١) ب : تكن . والأبيات فى البيان ١/٢٠٤ .
(٢) ب : حسبت .
(٣) ا : مغبة .
(٤) الأبيات فى نهاية الأرب ٣/٨٥ ، محاضرات الأدباء ١/٢٢٥ ، المستطرف ١/١٢١ ، ٢/٧٩ .

روينا عن نصر بن على الجهضمى ، قال : دخلت على أمير المؤمنين المتوكل ، فإذا هو يمدح الرفق فأطنب ، فقلت : يا أمير المؤمنين أنشدنى الأصمعى فى الرفق . فقال هاته يا نصر ، فقلت :

لَمْ أَرَ مِثْلَ الرِّفْقِ فِي لِينِهِ   أَخْرَجَ لِلْعَذْرَاءِ مِنْ خِدْرِهَا
مَنْ يَسْتَعِنْ بِالرِّفْقِ فِي أَمْرِهِ   قَدْ يُخْرِجُ الْحَيَّةَ مِنْ جُحْرِهَا

قال سابق :

إِنَّ التَّرَفُّقَ لِلْمُقِيمِ مُوَافِقٌ   وَإِذَا يُسَافِرُ فَالتَّرَفُّقُ أَوْفَقُ
لَوْ سَارَ أَلْفُ مُدَجَّجٍ فِي حَاجَةٍ   لَمْ يَلْقَهَا إِلَّا الَّذِي يَتَرَفَّقُ[1]

---

(١) ورد البيتان فى معجم الأدباء ١٢/٨ منسوبين إلى صالح بن عبد القدوس ، من قصيدته الشهيرة :

المرء يجمع والزمان يفرق   ويظل يرقع والخطوب تمزق

وقد سبقت فى كتابنا بعض أبيات منها انظر ص ١٣٨

باب السَّفَرِ والاغْتِرابِ

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « السفرُ قطعةٌ من العذاب ، فإذا قضى أحدكم نَهْمَتَهُ[1] من سفره فليعجِّلْ الرجوعَ إلى أهله » ، وزاد بعضُهم فى هذا الحديث « السفر قطعة من العذاب ، فاقطعوه بالدُّلْجَة[2] » .

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : تَلَقَّوْا الحاجَّ ولا تشيّعوهم .

قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلّم : « سافروا تصِحّوا وتغنموا » .

وفى حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « ما مات ميت بأرض غربَةٍ إلا قيس له من مَسْقط رأسه إلى مُنْقَطَعِ أثره فى الجنة » .

ومن حديث ابن عباس ، عن النبي صلى الله عليه وسلَّم ، قال : « موتُ الغريب شَهادة » .

ومن حديث أنس ، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم ، قال : « مَنْ مات غريباً مات شَهيداً » .

وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « العبادُ عبادُ الله ، والبلادُ بلادُ الله ، فأينما وجدتَ الخيرَ فأقم واتق الله » .

وروى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه — ومنهم من يرفعه — قال : من سعادة

---

(١) النهمة : الحاجة وبلوغ الهمة والشهوة فى الشئ .

(٢) الدلجة : السير من أول الليل .

المرء أن تكونَ زوجته موافقة ، وَأولاده أبراراً ، وإخوانه صالحين ، ورزقه فى بلده الذى فيه أهله .

مكتوبٌ فى التوراة : ابن آدم ! أَحْدِث سَفرًا أُحْدِث لك رزقًا .

قالت العربُ : من أجْدَب انتجع[1] .

قيل لأعرابىّ . أين منزُلك ؟ قال : بحيث ينزل الغيْث .

من أمثال العامة : البركات مع الحركات .

وقالوا : ربما أسفر السَّفَر عن الظفَّر .

قال البحترى :

وإذَا الزَّمَانُ كَسَاكَ حُـلَّةَ مُعْدِمٍ ... فَالْبَسْ لَهَا حُلَلَ النَّوى وتَغَرَّبِ[2]

وقال زهير :

ومَنْ يَغْتَرِبْ يَحْسَبْ عَدُوًّا صَدِيقَهُ ... وَمَنْ لاَ يُكَرِّمْ نَفْسَهُ لا يُكَرَّمِ[3]

وقال الأعشى :

وَمَنْ يَغْتَرِبْ عَنْ قَوْمِهِ لاَ يَزَلْ يَرَى ... مَصَارِعَ مَظْلُومٍ مَجَرًّا وَمَسْحَبَا

وتُدْفَنُ مِنْهُ الصَّالِحَاتُ وإِنْ يُسِئْ ... يَكُنْ مَاأَسَاءَ النَّارَ فِي رَأْسِ كَبْكَبَا[4]

(١) الانتجاع : طلب الـكلأ فى موضعه .

(٢) ديوانه ١/٢٠ .

(٣) شرح ديوانه ٥٠ ، حماسة البحترى ٢٤٨ ، التمثيل والمحاضرة ٤٦ .

(٤) وردت الأبيات بهذه الرواية فى عيون الأخبار ٣/٩١ محاضرات الأدباء ٢/٢٧٣ ، نهاية الأرب ٣/٦٦ ، التمثيل والمحاضرة حماسة البحترى ١٥٤ ، ١٥٥ ووردت فى ديوانه ١١٣ برواية أخرى هى :

متى يغترب عن قومه لايجدله ... على من رهط حواليه مغضبا
ويحطم بظام لايزال يرى له ... مصارع مظلوم مجراً ومسحباً
وتدفن ... الخ

ومجرا ومسحبا : مصدران ميميان من الجر والسحب ، وكبكب : جبل خلف عرفات مشرف عليها .

وقال آخر :

إنَّ الغريبَ بأرضٍ لا عشيرَ بها ... كبائعِ الرِّيحِ لا يُعطَى به ثَمَنا

وقال سابق :

لا أُلفِيَنَّكَ ثاوِيًا في غُربةٍ ... إنَّ الغريبَ بكلِّ سَهمٍ يُرشَقُ[1]

وقال آخر :

فلمْ أرَ عِزَّ المرءِ إلاَّ عَشيرةً ... ولمْ أرَ ذُلاًّ مِثلَ نأيٍ عن الأهلِ[2]

وقال آخر :

إنِّي الغريبُ فما أُلامُ على البُكا ... إنَّ البُكا حَسَنٌ بكلِّ غريبِ

وقال آخر :

يُجازَى بالذي تجِدُ القلوبُ ... ويأنَسُ بابنِ بلدتِهِ الغريبُ
وصادَفَني غريبٌ فالتقَينا ... وكلُّ مُساعِدٍ فهْوَ القريبُ

وقال آخر :

تغرَّبتُ عنْ أهلي أُؤمِّلُ ثروةً ... فلمْ أُعطَ آمالي وطالَ التَّغرُّبُ
فما لِلفتى المُحتالِ في الرِّزقِ حِيلةٌ ... ولا لِجُدودٍ جَدَّها اللهُ مَذهَبُ

وقال كعب بن زهير :

فقَرِّي في بلادِكِ إنَّ قومًا ... متى يَدَعُوا بلادَهُمُ يَهُونوا[3]

(١) البيت لصالح بن عبدالقدوس من قصيدته المشهورةالتى مرت الإشارة إليها ، انظر معجم الأدباء١٢/٢٠٨

(٢) يروى الشطر الأول : فلم أر عزا لامرىء كعشيرة ، انظر محاضرات الأدباء ٢/٢٧٣، البيان ١/٢٤٦ ، الـكامل ١/١٨٤ وهو لمحمود الوراق ، وقد سبق مع أبيات أخرى فى ص ٢٠٣

(٣) ديوانه ٢١٧ .

وقال آخر :

لَيْسَ ارْتِحَالُكَ تَزْدَادُ الغِنَى سَفَرًا ‏ ‏ ‏ بَلِ الْمُقَامُ عَلَى خَسْفٍ هُوَ السَّفَرُ (١)

قالوا : ترك الوطن أحد اليسارين (٢) .

قال الشاعر :

ومَا المَوْتُ إلاَّ رِحْلَةٌ غَيْرَ أَنَّهَا ‏ ‏ ‏ مِنَ المَنْزِلِ الفَانِي إلَى المَنْزِلِ البَاقِي (٣)

وقال آخر :

لَقُرْبُ الدَّارِ فِي الإِقْتَارِ (٤) خَيْرٌ ‏ ‏ ‏ مِنَ العَيْشِ المُوَسَّعِ فِي اغْتِرَابِ (٥)

(٦) وقال آخر :

ومَهْمَهٍ فِيهَا السَّرَابُ يَسْبَحُ ‏ ‏ ‏ يَدْأَبُ فِيهِ القَوْمُ حِينَ يُصْبِحُ

كَأَنَّمَا ثَوَوْا بِحَيْثُ أَصْبَحُوا ‏ ‏ ‏ اللَّيْلُ أخفَى والنَّهَارُ أفْضَحُ (٦)

قالوا : إذا كنت فى غير بلدك ، فلا تنس نصيبك من الذل .

وأنشدوا :

إِنَّ الغَرِيبَ لَهُ اسْتِكَانَةُ مُذْنِبٍ ‏ ‏ ‏ وَخُضُوعُ مِدْيَانٍ وَذُلُّ مُرِيبِ

(١) التمثيل والمحاضرة ٤٠٠ ، وفيات الأعيان ٤٣٩/٥ . والخسف : الإذلال ، وأن يحمل الإنسان على مايكره .

(٢) ب : التسابق .

(٣) البيت لأبى العتاهية ، ديوانه ١٧٤ ، وورد فى التمثيل والمحاضرة ٤٠٦ بغير نسبة .

(٤) ا : الإنسان .

(٥) التمثيل والمحاضرة ٤٠١ بدون نسبة .

(٦) زيادة فى ب ، و لم أعثر إلا على الشطر الأخير فى البيان ١٦٤/٢ ، وقبله: إنك يا ابن جعفر لاتفلح ... الليل أخفى .. الخ

وقال آخر :

إذَا كُنْتَ فِي قَوْمٍ عِدًا(١) لَسْتَ مِنْهُمُ ... فَكُلْ مَا عُلِفْتَ مِنْ خَبِيثٍ وَطَيِّبِ

وقال آخر :

إنّ الغَرِيبَ وإنْ أَقَامَ بِبَلْدَةٍ ... يُهْدَى إلَيْهِ خَرَاجُهَا لَغَرِيبُ

وقال آخر :

غَرِيبٌ يُقَاسى الهَمَّ فِي أرْضِ غُرْبَةٍ ... فَيَارَبِّ قَرِّبْ دَارَ كُلِّ غَرِيبِ

قالوا: الغريب كغرس ذابل ماتت أرضه ، ونفد شربه(٢).

قال النمر بن تولب :

إذَا كُنْتَ فِي سَعْدٍ وَأُمُّكَ مِنْهُمُ ... غَرِيبًا فَلَا يَغْرُرْكَ خَالُكَ مِنْ سَعْدِ

فَإِنّ ابنَ أُختِ القوم مُصْغًى(٣) إناؤُه ... إذا لم يُزَاحِمْ خَالَهُ بأَبٍ جَلْدِ

قالت العرب : ليس بينك وبين بلاد نسب ، خير البلاد ما حملك .

(٤)وقال آخر :

لَيْسَ الفَتَى بِفَتًى لا يُسْتَضَاءُ بِهِ ... وَلَا يَكُونُ لَهُ فِي الأَرْضِ آثَارُ(٤)

---

(١) العدا : المتباعدون أو الغرباء ، واستعمل الجمع مكان المفرد لضرورة الشعر ، وقد نسب البيت فى البيان ٢/٢٢٣ إلى خالد بن نضلة الأسدى ، ونسب فى الـكامل ١/٢٨٤ إلى أعرابى من بنى سعد يدعى خنوص ، وورد فى محاضرات الأدباء ٢/٢٧٣ ، عيون الأخبار ١/٢٩٢ ، حماسة أبى تمام ١/١٤١ بغير نسبة .

(٢) زيادة فى ب .

(٣) مصغى إناوه : منقوص حقه ، وقد نسب البيتان فى محاضرات الأدباء ١/١٧٧ ، الحماسة لأبى تمام ١/٢٠٦ إلى غسان بن وعلة ، ووردت منسوبة للنمر فى عيون الأخبار ٣/٨٩ ، الشعر والشعراء ٢٦٩ .

(٤) ساقط من ا . وانظره فى الشعر والشعراء ٣٢ .

وقال آخر :

سَلِ اللهَ الإِيَابَ مِنَ المَغِيبِ ... فَكَمْ قَدْ رَدَّ مِثْلَكَ مِنْ غَرِيبِ
وَسَلِّ الهَمَّ عَنْكَ بِحُسْنِ ظَنٍّ ... وَلاَ تَيْأَسْ مِنَ الفَرَجِ القَرِيبِ

قال بعض العقلاء : أعرف بيتاً قد بيّت أكثر من مائة ألف رجل فى المساجد، وفى غير أوطانهم ، وهو :

فَسِرْ فِى بِلاَدِ اللهِ وَالْتَمِسِ الغِنَى ... تَعِشْ ذَا يَسَارٍ أَوْ تَمُوتَ فَتُعْذَرَا[1]

قال خالد بن صفوان : فى السفر ثلاثة معان : الأول الغرم ، الثانى القدرة ، والثالث الرحيل .

كان يقال : فقد الأحبة غربة .

قال الشاعر :

إِذَا مَامَضَى القَرْنُ الَّذِى أَنْتَ فِيهِمُ ... وَخُلِّفْتَ فِى قَرْنٍ فَأَنْتَ غَرِيبُ[2]

وقال لبيد بن ربيعة :

لَعَمْرُكَ مَا يُدْرِيكَ إِلاَّ تَظَنِّيًا[3] ... إِذَا رَحَلَ السُّفَّارُ مَنْ هُوَ رَاجِعُ
لَعَمْرُكَ مَا تَدْرِى الطَّوَارِقُ بِالحَصَى ... وَلاَ زَاجِرَاتُ الطَّيْرِ مَا اللهُ صَانِعُ

وقال على بن الجهم :

يَارَحْمَتَا لِلْغَرِيبِ فِى البَلَدِ النَّا ... زِحِ مَاذَا بِنَفْسِهِ صَنَعَا

(١) البيت لعروة بن الورد ، ديوانه ١٩ ، وقد نسب فى الأغانى ١٩/٧٨ إلى أبى عطاء السندى ، ونسب فى لباب الآداب ٢٧ إلى النابغة ، وورد فى عيون الأخبار ١/٢٤٣ بغير نسبة .

(٢) البيت لأبى محمد التيمى ، انظر البيان ٣/١٨٩ ، محاضرات الأدباء ٢/١٤٩ ، الأغانى ١٨/١١٩ ، زهر الآداب ٣/٢٢١ .

(٣) ب : تطنيا ، والبيتان فى ديوانه ١٠٢ ، الشعر والشعراء ٢٣٧ ، المستطرف ٢/١٠٤ .

فَفَارَقَ أَحْبَابَهُ فَمَا انْتَفَعُوا ... بِالْعَيْشِ مِنْ بَعْدِهِ وَلَا انْتَفَعَا
يَقُولُ فِي نَأْيِهِ وَغُرْبَتِهِ ... عَدْلٌ مِنَ اللَّهِ كُلُّ مَا صَنَعَا[1]

أراد أعرابي السفر فقال لامرأته — وقيل إنه الحطيئة —:

عُدِّي السِّنِينَ لِغَيْبَتِي وَتَصَبَّرِي ... وَذَرِي الشُّهُورَ فَإِنَّهُنَّ قِصَارُ

فأجابته[2]:

اذْكُرْ صَبَابَتَنَا إِلَيْكَ وَشَوْقَنَا ... وَارْحَمْ بَنَاتِكَ إِنَّهُنَّ صِغَارُ[3]

فأقام وترك سفره.

قال امرؤ القيس:

وَقَدْ طَوَّفْتُ فِي الآفَاقِ حَتَّى ... رَضِيتُ مِنَ الْغَنِيمَةِ بِالإِيَابِ[4]

وقال إسحاق بن إبراهيم الموصلي:

طَرِبْتَ إِلَى الأُصَيْبِيَةِ الصِّغَارِ ... وَهَاجَكَ مِنْهُمُ قُرْبُ الْمَزَارِ
وَكُلُّ مُسَافِرٍ يَزْدَادُ شَوْقًا ... إِذَا دَنَتِ الدِّيَارُ مِنَ الدِّيَارِ[5]

وقال جرير:

وَلَمَّا الْتَقَى الْحَيَّانِ أُلْقِيَتِ الْعَصَا ... وَمَاتَ الْهَوَى لَمَّا أُصِيبَتْ مَقَاتِلُهْ[6]

---

(١) الأبيات في ديوانه ٧٧ ، الأغاني ٩/١١٢ ، وفيات الأعيان ٣/٤١ ، المختار من شعر بشار (البيتان الأول والثاني) ٢٥١ ، محاضرات الأدباء ٢/٢٧٣ ، ونسبها هناك إلى القاسم بن عبيد الله .
(٢) ساقط من ا .
(٣) البيتان في المستطرف ١/٥٣ ، عيون الأخبار ١/١٤١ .
(٤) زيادة من ب ، ويروى ، وقد نقبت . ديوانه ١٢ ، الكامل ١/٢٢٥ ، محاضرات الأدباء ٢/٢٧٥ .
(٥) معجم الأدباء ٦/٢٥ ، الأمالي ١/٥٥ ، وفيه : وأبرح ما يكون الشوق يوما . مكان الشطر الثالث ، عيون الأخبار ١/١٤١ .
(٦) ديوانه ٤٧٨ .

وقال آخر :

مُرِرْتُ بِجَعْفَرٍ والقُرْبِ مِنْهُ ... كَمَا سُرَّ المُسَافِرُ بالإيَابِ

وَكُنْتُ بِقُرْبِهِ إِذْ حَلَّ أَرْضِي ... أَمِيرًا بالسَّكِينَةِ والصَّوَابِ

كَمَمْطُورٍ بِبَلْدَتِهِ فَأَضْحَى ... غَنِيًّا عَنْ مُطَالَبَةِ السَّحَابِ(١)

وقال آخر ، وحكى صاحب البيان أنه لمُضَرِّس الأسدى(٢) :

مُقِلٌّ رَأَى الإِقْلَالَ عَارًا فَلَمْ يَزَلْ ... يَجُوبُ بِلَادَ اللهِ حَتَّى تَمَوَّلَا

إِذَا جَابَ أَرْضًا أَوَ ظَلَامًا رَمَتْ بِهِ ... مَهَامِهَ أُخْرَى عِيسُهُ مُتَقَلْقِلَا

وَلَمْ يَثْنِهِ عَمَّا أَرَادَ مَهَابَةٌ ... وَلَكِنْ مَضَى قُدْمًا وَمَا كَانَ مُبْسَلَا

فَلَمَّا أَفَادَ المَالَ جَادَ بِفَضْلِهِ ... لِمَنْ جَاءَهُ يَرْجُو نَدَاهُ مُؤَمِّلَا(٣)

وقال آخر ، وهو الأحمر بن سالم المزنى :

فألقت عَصَاهَا واستقرّ بِهَا النَّوَى ... كما قرَّ عيناً بالإِيَابِ المُسَافِرُ(٤)

وقال آخر :

إِذَا نَحْنُ أُبْنَا سَالِمِينَ بِأَنْفُسٍ ... كِرَامٍ رَجَتْ أَمْرًا فَخَابَ رَجَاؤُهَا

فَأَنْفُسُنَا خَيْرُ الغَنِيمَةِ إِنَّهَا ... تَؤُوبُ وَفِيهَا مَاؤُهَا وَحَيَاؤُهَا(٥)

---

(١) نسبت الأبيات فى التمثيل والمحاضرة ٢٣٩ لأبى عيينة المهلبى ، وفى زهر الآداب ١٩٢/٣ لابن المولى. وانظرها فى عيون الأخبار ١٤١/١ بدون نسبة .

(٢) ساقط من ب .

(٣) البيان ٣٨/٣ ، ونسبت فى المحاضرات ٢٨٤/١ لابن الإطنابة .

(٤) التمثيل والمحاضرة ٢٩٦ غير منسوب لقائل، ونسب فى المؤتلف ٩٢ لمعقر بن حمار البارقى وفى المختار من شعر بشار ٢٢٠ نسب للأحمر بن سالم المرادى، وفى نهاية الأرب ٥٩/٥ تردد فى نسبته بين معقر بن حمار، والطرماح بن حكيم ، ونسب فى محاضرات الراغب ٢٧٥/٢ لأبى عيينة المهلبى .

(٥) نسب البيتان فى الكامل ٢٠٢/١ الشعر والشعراء ٨٤٩ إلى عبد الله بن محمد بن أبى عيينة ، ووردا فى عيون الأخبار ١٤١/١ من غير نسبة .

وقال آخر :

رَجَعْنَا سَالِمِينَ كَمَا بَدَأْنَا ... وَمَا خَابَتْ غَنِيمَةُ سَالِمِينَا

وَمَا تَدْرِينَ أَيُّ الأَمْرِ خَيْرٌ ... أَمَا تَهْوِينَ أَمْ مَا تَكْرَهِينَا[1]

قال عوف بن محلِّم[2] : عادلت عبدالله بن طاهر إلى خراسان ، فدخلنا الرَّيَّ في السحر فإذا قمرية تغرد على فنن شجرة ، فقال عبد الله : أحسن والله أبو كبير[3] في قوله :

أَلاَ يَا حَمَامَ الأَيْكِ إِلْفُكَ حَاضِرٌ ... وَغُصْنُكَ مَيَّادٌ فَفِيمَ تَنُوحُ[2]

ثم قال : يا عوف ! أجزها . فقلت : شيخ كبير ، وحُملت على البديهة ، وهى معارضة أبى كبير[3] ، ثم انفتح لى شىء ، فقلت :

أَفِي كُلِّ عَامٍ غُرْبَةٌ وَنُزُوحُ ... أَمَا لِلنَّوَى مِنْ وَنْيَةٍ فَتُرِيحُ

لَقَدْ طَلَّحَ البَيْنُ المُشِتُّ رَكَائِبِي ... فَهَلْ أَرَيَنَّ البَيْنَ وَهْوَ طَلِيحُ

وَأَرَّقَنِي بِالرَّيِّ نَوْحُ حَمَامَةٍ ... فَنُحْتُ وَذُو الشَّجْوِ القَرِيحِ يَنُوحُ

عَلَى أَنَّهَا نَاحَتْ وَلَمْ تُذْرِ عَبْرَةً ... وَنُحْتُ وَأَسْرَابُ الدُّمُوعِ سُفُوحُ

وَنَاحَتْ وَفَرْخَاهَا بِحَيْثُ تَرَاهُمَا ... وَمِنْ دُونِ أَفْرَاخِي مَهَامِهُ فِيحُ[4]

---

(١) عيون الأخبار ١/١٤٢ ، البيان ٢/٢٨٨ .

(٢) الخزاعى بالولاء أبو المنهال ، أحد الأدباء العلماء الرواة ، من موالى بنى أمية أو شيبان ، انتقل إلى العراق فاختصه طاهر بن الحسين لمنادمته ، فبقى معه ثلاثين سنة ، ولما مات قربه ابنه عبد الله وجعل له منزلته عند أبيه ، توفى سنة ٢٢٠ هـ . ترجمته فى فوات الوفيات ٢/١١٨ ، إرشاد الأريب ٦/٩٥ (الأعلام ٥/٢٧٨) .

(٣) ب : أبو كثير . وهو تصحيف ، وأبو كبير هو عامر بن الحليس الهذلى ، شاعر فحل ، قيل أدرك الاسلام وأسلم ، انظر الشعر والشعراء ٢٥٧ ، وإرشاد الأريب ٤/٢٢٦ (الأعلام ٤/١٧) ، وانظر البيت فى ديوان الهذليين ١/٩٨ .

(٤) الأبيات فى نهاية الأرب ٢/٢٦٤ ، معجم الأدباء ١٤/١٤٢ ، العقد الفريد ٥/٤١٤ ، الأمالى ١/١٢٣ .

وذكر تمام الخبر .

كان يقال : من لم يرزق ببلدة فليتحوّل إلى أخرى .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم : «الأرضُ أرض الله ، والعبادُ عباد الله ، فحيث وجد أحدكم رزقه ، فليتق الله وليُقِم» .

قال عبدالله بن أبي الشّيص :

أَظُنُّ[1] الدَّهْرَ قَدْ آلَى فَبَرَّا ... بِأَلاَّ يُكْسِبَ الأَمْوَالَ حُرَّا
لَقَدْ قَعَدَ الزَّمَانُ بِكُلِّ حُرٍّ ... وَنَقَّضَ مِنْ قُوَاهُ المُسْتَمِرَّا
كَأَنَّ صَفَائِحَ الأَحْرَارِ أَرْدَتْ ... أَبَاهُ فَحَارَبَ الأحْرَارَ طُرَّا
فَأَصْبَحَ كُلُّ ذِي شَرَفٍ رَكُوبًا ... لِأَعْنَاقِ الدُّجَى بَرًّا وَبَحْرَا
فَهَتَّاكَ جَيْبَ دِرْعِ الأَيْلِ عَنْهُ ... إِذَا مَا جَيْبُ دِرْعِ اللَّيْلِ زُرَّا
يُرَاقِبُ لِلْغِنَى وَجْهًا ضَحُوكًا ... وَوَجْهًا لِلْمَنِيَّةِ مُكْفَهِرَّا
فَيَكْسِبُ مِنْ أَقَاصِي الأَرْضِ كَسْبًا ... يَحُلُّ بِهِ المَحَلَّ المِشْمَخِرَّا
وَمَنْ جَعَلَ الظَّلاَمَ لَهُ قَعُودًا ... أَصَابَ لَهُ الدُّجَى خَيْرًا وشَرَّا[2]

وقال آخر :

لاَ تَصْحَبَنَّ رَفِيقًا لَسْتَ تَأْمَنُهُ ... شَرُّ الرَّفِيقِ رَفِيقٌ غَيْرُ مَأْمُونِ

أنشد نفطويه :

خَاطِرْ بِنَفْسِكَ لاَ تَقْعُدْ بِمَعْجَزَةٍ ... فَلَيْسَ حُرٌّ عَلَى عَجْزٍ بِمَعْذُورِ

(١) ب : أرى .
(٢) انظر محاضرات الأدباء ١/٢٤٥ ، عيون الأخبار ١، ٢٣٢ ، ٢٣٣ .

إنْ لَمْ تنَلْ فِي مَقَامٍ مَا تُطَالِبُهُ ... فَأَبْلِ عُذْرًا بِلادْلاَجِ وَتَهْجِيرِ
لَنْ يَبْلُغَ الْمَرْءُ بالإِحْجَامِ هِمَّتَهُ ... حَتَّى يُبَاشِرَهَا مِنْهُ بِتَغْيِيرِ(١)

قالت بنت الأعشى :

أَرَانَا إِذَا أَضْمَرَتْكَ البِلَا ... دُ نُجْفَى وَتُقْطَعُ مِنَّا الرَّحِمْ
إِذَا غِبْتَ عَنَّا وَخَلَّفْتَنَا ... فَإِنَّا سَوَاءٌ وَمَنْ قَدْ يَتِمْ(٢)

وقال آخر :

وَقَالَتْ وعَيْنَاهَا تَفِيضَانِ عَبْرَةً ... أَيَا أَمَلِي خَبِّرْ مَتَى أَنْتَ رَاجِعُ
فَقُلْتُ لَهَا تَاللهِ يَدْرِي مُسَافِرٌ ... إِذَا أَضْمَرَتْهُ الأَرْضُ مَا اللهُ صَانِعُ(٣)

وقال آخر :

حَتَّى مَتَى أَنَا فِي حِلٍّ وَتَرْحَالِ ... وَطُولِ سَعْيٍ وَإِدْبَارٍ وَإِقْبَالِ
وَنَازِحُ الدَّارِ لاَ أَنْفَكُّ مُغْتَرِبًا ... عَنِ الأَحِبَّةِ لاَ يَدْرُونَ مَا حَالِي
بِمَشْرِقِ الأَرْضِ طَوْرًا ثُمَّ مَغْرِبِهَا ... لاَ يَخْطُرُ المَوْتُ مِنْ حِرْصِي عَلَى بَالِي
وَلَوْ قَنِعْتُ أَتَانِي الرِّزْقُ فِي دَعَةٍ ... إِنَّ القُنُوعَ الغِنَى لاَ كَثْرَةُ المَالِ(٤)

---

(١) الأبيات فى الأمالى ٢/٣٠٤ ، وفيها : بتغرير مكان بتغيير .

(٢) ورد البيتان فى معجم الأدباء ٧/١١٣ ، العقد الفريد ٢/٢٠١ ، هكذا :

تقول ابنتى يوم جد الرحيل ... أرانا سواء ومن قد يتم
أبانا إذا أضمرتك البلا ... د نجفى وتقطع منا الرحم

وانظر محاضرات الأدباء ١/٢٥٧ .

(٣) البيتان للكميت بن زيد الأسدى ، انظر المؤتلف والمختلف ١٧٠ .

(٤) الأبيات لكلثوم بن عمرو العتابى كما فى العقد الفريد ٣/٢٠٨ ، ٢٠٩ ، وفيه الشطر الثانى من البيت الأول: وطول شغل بإدبار وإقبال .

أنشد الأصمعي لحاجب الفيل اليشكري :

لَمَّا رَأَتْ بِنْتِي بِأَنِّي مُزْمِعٌ ... بِتَرَحُّلٍ مِنْ أَرْضِهَا فَمُوَدِّعُ
وَرَأَتْ رِكَابِي قُرِّبَتْ لِرِحَالِهَا ... قَالَتْ وَغَرْبُ العَيْنِ مِنْهَا يَدْمَعُ
أَبَتَا أَتَتْرُكُنَا وَتَذْهَبُ تَائِهًا ... فِي الأَرْضِ تَخْفِضُكَ البِلَادُ وَتَرْفَعُ
فَيَضِيعُ صِبْيَتُكَ الَّذِينَ تَرَكْتَهُمْ ... بِعُضِيمَةٍ فِي المِصْرِ لَمْ يَتَرَعْرَعُوا
فِيهِمْ صَغِيرٌ لَيْسَ يَنْفَعُ نَفْسَهُ ... وَصَغِيرَةٌ تَبْكِي وَطِفْلٌ يَرْضَعُ
إِنَّا سَنَرْضَى مَا أَقَمْتَ بِعَيْشِنَا ... مَا كَانَ مِنْ شَيْءٍ نَجُوعُ وَنَشْبَعُ
وَاللهُ يَرْزُقُنَا فَنَرْضَى رِزْقَهُ ... وَكَفَى(١) بِحُسْنِ مَعِيشَةٍ مَنْ يَقْنَعُ
إِنَّا إِذَا مَا غِبْتَ عَنَّا لَمْ نَجِدْ ... مِمَّا تَخَلَّفَ عِنْدَنَا مَا يَنْفَعُ
تَجْفُو مَوَالِينَا وَيُعْرِضُ جَارُنَا ... وَقَرِيبُنَا الأَدْنَى يَعِزُّ وَيَقْطَعُ
وَنَخَافُ أَنْ تَلْقَاكَ وَشْكُ مَنِيَّةٍ ... فَيُصِيبَنَا الأَمْرُ الجَلِيلُ المُفْظِعُ
فَنَصِيرَ بَعْدَكَ لَيْسَ يُرْفَعُ بَيْتُنَا ... وَيُذِلُّنَا أَعْدَاؤُنَا وَنُضَيَّعُ
هَذَا الرَّحِيلُ وَأَمْرُنَا مَا قَدْ تَرَى ... فَمَتَى تَؤُوبُ إِلَى الصِّغَارِ وَتَرْجِعُ
فَخَنَقْتُ مِنْ قَوْلِ الصِّغَارِ بِعَبْرَةٍ ... كَادَ الفُؤَادُ لِقَوْلِهِمْ يَتَصَدَّعُ
وَأَجَبْتُهَا صَبْرًا بُنَيَّةُ(٢) وَاعْلَمِي ... أَنْ لَيْسَ يَعْدُو يَوْمَهُ مَنْ يَجْزَعُ

وقال الغَزَّال :

---

(١) ا : ويفى .
(٢) ب : صبراً ابنتى ، ا : بنتى صبراً ، ولا يستقيم مع كليهما الوزن ، وما أثبتناه أقرب إلى رواية ب .

وَكَمْ ظَاعِنٍ قَدْ ظَنَّ أَنْ لَيْسَ آيِبًا فَآبَ وَأَوْدَى حَاضِرُونَ كَثِيرُ
وَإِنَّ الَّذِي أَعْظَمْتِهِ مِنْ تَغَرُّبِي عَلَيَّ — وَإِنْ أَعْظَمْتِ ذَاكَ — يَسِيرُ
رَأَيْتُ الْمَنَايَا يُدْرِكُ الْعُصْمَ عَدْوُهَا فَيُنْزِلُهَا وَالطَّيْرُ مِنْهُ تَطِيرُ
وَعَلَّ أَمْضِي(١) ثُمَّ أَرْجِعُ سَالِمًا وَيَهْلِكُ بَعْدِي آمِنُونَ حُضُورُ
جَعَلْتُ أُرَجِّيهَا إِيَابِي وَمَنْ غَدَا عَلَى مِثْلِ حَالِي لَا يَكَادُ يَحُورُ
وَكَيْفَ أُبَالِي وَالزَّمَانُ قَدِ انْقَضَى وَعَظْمِي مَهِيضٌ وَالْمَكَانُ شَطِيرُ
وَإِنِّي وَإِنْ أَظْهَرْتُ مِنِّي تَجَلُّدًا (٢لَذُو كَبِدٍ حَرَّى عَلَيْكِ حَسِيرُ٢)

وقال آخر :

يُقِيمُ الرِّجَالُ الْأَغْنِيَاءُ بِأَرْضِهِمْ وَتَرْمِي النَّوَى بِالْمُقْتِرِينَ الْمَرَامِيَا
فَأَكْرِمْ أَخَاكَ الدَّهْرَ مَا دُمْتُمَا مَعًا كَفَى بِالْمَمَاتِ فُرْقَةً وَتَنَائِيَا(٣)

وقال الراجز(٤) :

إِنَّ فِرَاخًا كَفِرَاخِ الْأَوْكُرِ بِأَرْضِ بَغْدَادَ وَرَاءَ الْأَجْسُرِ
تَرَكْتُهُمْ كَبِيرُهُمْ كَالْأَصْغَرِ عَجْزًا عَنِ الْحِيلَةِ وَالتَّشَمُّرِ
ذِكْرِي لَدَيْهِمْ مِثْلُ طَعْمِ السُّكَّرِ وَوَجْدُهُمْ بِي مِثْلُ وَجْدِ الْأَعْوَرِ
بِعَيْنِهِ إِذْ ذَهَبَتْ لَمْ يُبْصِرِ(٥)

---

(١) ا : على سأمضى .
(٢) ساقط فى ب .
(٣) انظر البيتين فى معجم الأدباء ١٠/١٣٧ ، وفيه : .. الرجال الموسرون .. الخ .
(٤) ب : آخر .
(٥) ورد الشطران السادس والسابع فقط فى التمثيل والمحاضرة ٣٢٣ .

التشمر : الاكتساب ، شمرت لأهلي : أي اكتسبت لهم ، وتشمَّر الشجرُ إذا أورق .

قال أبو الفتح البُستيّ :

لَئِنْ تنقَّلتُ مِنْ دَارٍ إلَى دَارِ ... وَصِرْت بَعْدَ ثُوَاءٍ رَهْنَ أسْفَارِ

فَالحرُّ حُرٌّ عَزِيزُ النَّفْسِ حَيْثُ ثوَى ... والشَّمسُ فِي كلِّ بُرْجٍ ذَاتُ أنْوَارِ(١)

وقال غيره :

كَفَى حَزَنًا أنِّي مُقِيمٌ بِبَلْدَةٍ ... وأَنتِ بأُخْرَى ما إلَيكِ سَبيلُ

خرج الشافعي الفقيه رضي اللهُ عنه في بعض أسفاره ، فضمَّه الليلُ إلى مسجدٍ ، فبات فيه ، وإذا في المسجدِ قوم عوَامّ يتحدثون بضروب من الخَنا وهُجْرِ المنطق ، فتمثل :

وَأَنْزَلَنِي طُولُ النَّوَى دارَ غُرْبَةٍ ... إِذَا شِئْتُ لَاقَيْتُ امْرَءًا لا أُشاكِلُهُ(٢)

قال شَرِيك : كان يقال : إن أنجى النَّاسِ من البَلَايَا والفتن ، من انتقل من بلدٍ إلى بلد .

قيل لبعضهم : أيُّ سفرٍ أطول ؟ فقال : من كان في طلبِ صاحبٍ يرضاه ، أو دِرْهم حلالٍ يكسبه .

قال حاتِمُ الطَّائي :

إذَا لَزِمَ النَّاسُ البُيُوتَ وَجَدْتَهُمْ ... عُمَاةً عَنِ الأَخْبَارِ خُرْقَ الْمَكَاسِبِ(٣)

(١) التمثيل والمحاضرة ٢٢٩ ، يتيمة الدهر ٣٢٤/٤ .

(٢) البيت المعيطي (عمرو بن الوليد بن عقبة بن أبي معيط الأموي) ، انظر البيان والتبيين ٢٠٤/٢ ، ٣٤٦/٣ ، معجم الأدباء ٣١٠/١٧ ، المختار من شعر بشار ٢١٥ .

(٣) الديوان ٤ ، وفيه : إذا أوطن القوم البيوت .

قال محمد بن أبي حازم الباهلي :

كَمِ الْمُقَامُ وكَمْ تَعْتَاقُكَ العِلَلُ ... مَاضَاقَتِ الْأَرْضُ فِي الدُّنْيَا وَلاَ السُّبُلُ
فارحلْ فإنّ بلادَ اللهِ ما خُلِقَتْ ... إلا لِيُسْلَكَ منها السَّهْلُ والجَبَلُ
إن ضاقَ لى بلدٌ يَمّمْتُ لى بلدًا ... وإن نَبَا منزلٌ بى ، كانَ لى بَدَلُ
وإن تغيَّر لِى عن وُدِّه رَجُــلٌ ... أَصْفَى المودَّة لِي مِنْ بَعْدِه رَجُلُ
لم يقطعِ اللهُ لى من صاحبٍ أملا ... إلاّ تجَدَّدَ لى مِنْ صَاحِبٍ أَمَلُ
اللهُ قد عَوَّدَ الحُسْنَى فما بَرِحَتْ ... منهُ لَنــاَ نِعَمٌ تَتْرى وتَتَّصِلُ
يُمْسِي ويُصْبِحُ بى عُمْرٌ أُدَافِعُهُ ... برزقِ رَبِّيَ حتّى يَنْفَدَ الأَجَلُ[1]

وقال بعض المتأخرين من المغاربة ، وتنسب إلى المتنبي ، ولا تصح له :

رَأَيْتُ الْمُقَامَ عَلَى[2] الإِقْتِصَادِ ... قُنُوعًا بِهِ ذِلَّةً لِلعِبَادِ[3]
[4] وَعَجْزٌ بِذِى أَدَبٍ أَنْ يَضِيقَ ... بِهِ عَيْشُهُ وُسع هٰذِى البِلاَدِ[4]
وَمَا غَرُبَ الرِّزْقُ عَنْ رَائِدٍ ... وَلاَ سِيَّمَا حَسَنُ الإِرْتِيَادِ
إِذَا مَا الأَدِيبُ ارْتَضَى بِالخمُــول ... فَلاَحَظَّ[5] فِي الأَدَبِ المُسْتَفَادِ
وَفِي الإِضْطِرَابِ وفِي الإِغْـتِرَابِ ... مَنَالُ الْمُنَى وبُلُوغُ الْمُـرَادِ
وَشَرُّ الضَّرَاغِمِ ضِرْغَامَةٌ ... طَوَى شِبْلَهُ وَهْوَ فى الغِيلِ هَادِ

(١) المحاسن والمساوئ ٢/٣ .
(٢) ا : المعيشة فى .
(٣) ب : لذة فى العباد .
(٤) زيادة من ب .
(٥) ب : فما الحظ .

وإنْ صَارِمٌ قَرَّ فِي[١] غِمْـدِهِ … حَوَى غَيْرُهُ الفَضْلَ[٢] يَوْمَ الجِلادِ

وَلَوْ يَسْتَوِى بِالنُّهُوضِ القُعُودُ … لَمَا ذَكَرَ اللهُ فَضْلَ الجِهَادِ

إذَا النَّارُ ضَاقَ بِهـا زَنْدُهَا … فَفُسْحَتُهَا فِي فِرَاقِ الزِّنَادِ

فَدَعْ مَوْطِنًا واغْدُ مُسْتَرْزِقًا … كَذَا الرِّزْقُ غَادٍ إلَى كُلِّ غَادِ

وَلاَ تُفْنِ عُمْرَكَ خَوْفَ الفِرَاقِ … لِبِيضٍ مِلاَحٍ وَسُمْرٍ خِـرَادِ

يُطِلْنَ البُـكَا عِنْدَ شَحْطِ النَّوَى … وَيَأْسَيْنَ كُلَّ الأَسَى فِي البِعَادِ[٣]

فَكَمْ تَرْحَةٍ مِنْ أَسَى فُرْقَةٍ[٤] … تَعُودُ سُرُورًا بِحُسْنِ المَعَـادِ

إلَى كَمْ تَحَمَّلُ ضِيقَ المَعَاشِ … وتَصْبِرُ والصَّبْرُ صَعْبُ القِيَادِ

عَلَى حَالَةٍ فَوْتُهَا[٥] خَـيْرُهَا … وضِيقُ المَعِيشَةِ سُقْمُ الفُؤَادِ

بِلاَ حَاسِدٍ لِي وَلاَ حَامِدٍ … قَلِيلَةِ خَـيْرٍ كَمَاءِ الثِّمَـادِ

فَلاَ شَرَّ مِنِّي يَخَافُ العَـدُوُّ … وَلاَ خَيْرَ يَرْجُوهُ أَهْلُ الوِدَادِ

جُبِ الأَرْضَ شَرْقًا وَجُبْ غَرْبَهَا … إلَى كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ وَوَادِ

عَسَاكَ تَنَالُ الغِنَى أَوْ تَمُوتُ … وَعُذْرُكَ فِي ذَاكَ لِلنَّاسِ بَادِ

فَإِنْ يَكُنِ الفَقْرُ حَتْمًا عَلَيْكَ … فَـكَابِدْهُ فِي غَيْرِ نَادِيكَ نَادِ

فَلَلْمَوْتُ أَهْوَنُ مِنْ أَنْ تَرَاكَ … بِعَيْنِ الخَسَاسَةِ عَيْنُ الأَعَادِي

(١) ا : فرمن .

(٢) ا : الحظ .

(٣) ب : العياد .

(٤) ب : ترحة .

(٥) ب : فوقها .

فإنْ لَمْ تنَلْ مَطْلَبًا رُمْتَهُ   فَلَيْسَ عَلَيْكَ سِوَى الإجْتِهادِ[١]

وقال آخر :

مَا مِنْ غَرِيبٍ وإنْ أَبْدَى تجَلُّدَه   إلَّا سَيَذْكُرُ بَعْدَ الغُرْبَةِ[٢] الوَطَنَا

وقال عَبيد بن الأبرص :

وَكُلُّ ذى غَيْبَةٍ يَؤُوبُ   وغَائِبُ المَوْتِ لَا يَؤُوبُ[٣]

---

(١) هذا وقد نسبت الأبيات الثلاثة الأولى إلى البحترى فى معجم الأدباء ١/٧٧، ولكنها لاتوجد فى ديوانه أيضا .

(٢) ب : الفرقة .

(٣) الكامل ١/٢٦٧ ، عيون الأخبار ٣/١١٨ ، الشعر والشعراء ١٤٥ ، التمثيل والمحاضرة ٤٩ .

باب التحول عن مواطن الذل

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « لا ينبغى لمؤمن أن يذل نفسه » قالوا : يا رسول الله ! وكيف يذل نفسه ؟ قال : « يتعرض من البلاء[1] لِمَا لا يطيق » .

قال أَوْسُ بن حَجَر :

أُقِيمُ بِدَارِ الحزْمِ مَا دَامَ حَزْمُهَا ... وأَحْرِ إِذَا حَالَتْ بِأَنْ أَتَحَوَّلاَ[2]

وقال المتلمّس :

إِنَّ الهَوَانَ حِمَارُ البَيْتِ يَأْلَفُهُ ... والحُرُّ يُنكِرُهُ والفِيلُ والأَسَدُ
ولاَ يُقِيمُ بِدَارِ الذُّلِّ يَأْلَفُهَا ... إِلاَّ الذَّلِيلاَنِ عَيْرُ الحَيِّ والوَتِدُ
هَذَا عَلَى الخَسْفِ مَرْبُوطٌ بِرُمَّتِهِ ... وذَا يُشَجُّ فَمَا يَأْوِى لَهُ أَحَدُ[3]

وقال مالك بن الرَّيب :

فإِنْ تُنْصِفُونَا آلَ مَرْوَانَ نَقْتَرِبْ ... إِلَيْكُمْ وإِلاَّ فَأْذَنُوا بِبِعَادِ
فَفِي الأَرْضِ عَنْ دَارِ المَذَلَّةِ مَذْهَبٌ ... وَكُلُّ بِلاَدٍ أُوطِنَتْ كَبِلاَدِى[4]

---

(١) ساقط من ا .

(٢) عيون الأخبار ١/٣٤ ، حماسة البحترى ١٧٩ .

(٣) يروى : حمار الأهل يعرفه ، والحر ينكره والرسلة الأجد ، ويروى الجسرة الأجد ، ويروى البيت الثانى : ولا يقيم على خسف يراد به إلا الأذلان ... الخ، وفى البيت الثالث يروي معقول مكان مربوط ، وفلا يبكى مكان فما يأوى .
ومعنى الرسلة الأجد : الناقة الموثقة الخلق القوية الأعضاء والجسرة : الجمل الماضى أو الطويل، فما يأوى : ما يرق . والأبيات فى ديوانه ١٩٦ ، حماسة البحترى ١٩ ، نهاية الأرب ٣/٦١ ، محاضرات الأدباء ٢/٢٧٢ .

(٤) ينسب البيتان أيضا للفرزدق انظر شرح ديوانه ١٩٠ ، ووردا فى حماسة البحترى ١٨٠ لرجل من تميم ولم يعينه . وانظرهما فى الكامل ١/٣٠١ ، ٣٠٢ محاضرات الأدباء ١/٢٣٧ ، ويروى مكان الشطر الأول من البيت الثانى : وفى الأرض عن ذى الجور منأى ومذهب .

وقال المغيرةُ بنُ حَبْنَاء :

وَمِثْلِي إِذَا مَا الدَّارُ يَوْمًا نَبَتْ بِهِ ... تَحَوَّلَ عَنْهَا وَاسْتَمَرَّتْ مَرَائِرُهْ
وَلَا أَنزِلُ الدَّارَ(١) الْمُقِيمَ بِهَا الأَذَى ... وَلَا أَرْأَمُ الشَّيْءَ الَّذِي أَنَا قَادِرُهْ
إِذَا أَنْتَ لَمْ تَرْغَبْ بِدَارٍ نَزَلْتَهَا ... فَبِعْهَا بِدَارٍ أَو بِجَارٍ تُجَاوِرُهْ(٢)

أنشد أبو عُبَيد عن الأَصْمعى :

إِذَا كُنْتَ فِي دَارٍ يُهِينُكَ أَهْلُهَا ... وَلَمْ تَكُ مَكْبُولاً بِهَا فَتَحَوَّلِ(٣)

وقال الزبير(٤) بن عبد المطلب :

وَلَا أُقِيمُ بِدَارٍ لَا أَشُــدُّ بِهَا ... صَوْتِي إِذَا مَا اعْتَرَتْنِي سَوْرَةُ الغضَبِ(٥)

وقال آخر :

لَا تَأْسَفَنَّ عَلَى خِــلٍّ تُفَارِقُهُ ... إِنَّ الأَقَاصِيَ قَدْ تَدْنُو فَتَأْتَلِفُ
فِي النَّاسِ مُبْتَدَلٌ وَالأَرْضُ وَاسِعَةٌ ... فِيهَا مَجَالٌ لِذِي لُبٍّ وَمُنْصَرَفُ

وقال قيس بن الخطيم(٦) :

وَمَا بَعْضُ الإِقَامَةِ فِي دِيَارٍ ... يَعِيشُ بِهَا الْفَتَى إِلَّا بَلَاءُ(٧)

(١) ب : الأرض .
(٢) المرائر : جمع مريرة وهى العزيمة ، أرأم الشىء : أحبه وآلفه .
(٣) ورد البيت فى معجم الشعراء ٤٩٥ منسوباً إلى هبنقة الحمق واسمه يزيد بن ثروان ، وانظره فى محاضرات الأدباء ٢/٢٧٢ .
(٤) ب : الزهر .
(٥) البيت فى عيون الأخبار ١/٢٩٢ .
(٦) ا : آخر .
(٧) ب : بهان ، وقد ورد البيت له أيضاً فى حماسة البحترى ١٧٩ ، ولا يوجد فى ديوانه ، وورد فى محاضرات الراغب ٢/٢٧٢ غير منسوب لقائل .

وقال المغيرة بن حَبْنَاء :[١]

وَفِي الدَّهْرِ وَالْأَيَّامِ لِلْمَرْءِ عِبْرَةٌ ... وَفِي الْأَرْضِ عَنْ دَارِ الْأَذَى مُتَرَحْرَحُ[١]

وقال معْنُ بن أوس :

وَفِي النَّاسِ إِنْ رَثَّتْ حِبَالُكَ وَاصِلٌ ... وَفِي الْأَرْضِ عَنْ دَارِ الْقِلَى مُتَحَوَّلُ[٢]

وقال عبد الصمد بن المعذل ، ويروى لغيره :[٣]

إِذَا وَطَنٌ رَابَنِي ... فَكُلُّ بِلَادٍ وَطَنْ[٣]

وقال أبو العتاهية :

مَنْ عَاشَ قَضَّى كَثِيرًا مِنْ لُبَانَتِهِ ... وَلِلْمَضَايِقِ أَبْوَابٌ مِنَ الْفَرَجِ

مَنْ ضَاقَ عَنْكَ فَأَرْضُ اللهِ وَاسِعَةٌ ... فِي كُلِّ وَجْهٍ مَضِيقٍ وَجْهُ مُنْفَرَجِ[٤]

وقال الحسين بن الضحاك ، أو أبو العتاهية :

هِمَمٌ تَقَاذَفَتِ الْخُطُوبُ بِهَا ... فَهَرِعْنَ مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدِ[٥]

وقال آخر :

* وَفِي الْأَرْضِ عَمَّنْ لَا يُوَاتِيكَ مَرْحَلُ *

وقال حبيب بن أوس الطائى :

وَطُولُ مُقَامِ الْمَرْءِ فِي الْحَيِّ مُخْلِقٌ ... لِدِيبَاجَتَيْهِ فَاغْتَرِبْ تَتَجَدَّدِ

---

(١) ساقط من ب ، والمترحرح: الواسع الفسيح

(٢) زهر الأداب ٣/٢٣٢ ، المستطرف ٢/٤٨ ، حماسة أبى تمام ٢/٣ .

(٣) ساقط من ا وانظره فى نهاية الأرب ٣/٨٧ ، التمثيل والمحاضرة ٨٨ ، منسوبا إليه .

(٤) البيتان في ديوانه ٦١ .

(٥) ب،م : فترعن، ولم أجده فى ديوان أبى العتاهية.

فَإِنِّى رَأَيْتُ الشَّمْسَ زِيدَتْ مَحَبَّةً ... إِلَى النَّاسِ إِذْ لَيْسَتْ عَلَيْهِمْ بِسَرْمَدِ(١)

وقال ابن المعتز :

رَأيتُ حيَاةَ المَرْءِ تُرْخِصُ قَدْرَهُ ... فَإِنْ مَاتَ أَغْلَتْهُ الْمَنَايَا الطَّوَائِحُ

كما يُخْلِقُ الثوبَ الجديد ابتذالُه ... كذا تخلق المرءَ العيونُ اللَّوَامِحُ(٢)

وقال أبو الفتح البستى :

وَطُولُ مُقامِ الماءِ فِي مُسْتَقَرِّهِ ... يُغَيِّرُهُ لَونًا وَرِيحًا وَمَطْعَمَا(٣)

وقال أبو الفتح الشذونى(٤) :

إِذَا ما الْحُرُّ هَانَ بِأَرْضِ قَوْمٍ ... فَلَيْسَ عَلَيْهِ فِي هَرَبٍ جُنَاحُ

وَقَدْ هُنَّا بِأَرْضِكُمُ وَصِرْنَا ... لَقًى(٥) فِي الْأَرْضِ تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ

وقال محمود الوراق :

وَإِذَا نَبَا بِي مَنْزِلٌ لَا يُرْتَضَى ... جَاوَزْتُهُ وَاخْتَرْتُ مِنْهُ مَنْزِلَا

وقال آخر :

وَإِذَا الدِّيَارُ تَنَكَّرَتْ عَنْ حَالِهَا ... فَدَعِ الدِّيَارَ وَأَسْرِعِ التَّحْوِيلَا

لَيْسَ الْمُقَامُ عَلَيْكَ حَقًّا وَاجِبًا ... فِي مَنْزِلٍ يَدَعُ الْعَزِيزَ ذَلِيلَا(٦)

---

(١) ديوانه ٥١ .

(٢) البيت الثانى فقط فى الديوان ٢٩ ، وفيه : فما يخلق الثوب ، وانظرهما معاً فى التمثيل والمحاضرة ١٠٣ .

(٣) يتيمة الدهر ٤/٣٢٤ ، نهاية الأرب ٣/١١١ .

(٤) ب : التعفون الشذونى ، ا : اليعقوبى ، ولم أعثر له على ترجمة .

(٥) اللقى : ما طرح على الأرض لعدم قيمته .

وقال بشار بن برد :

وَكُنْتُ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيَّ مَحَلَّةٌ ... تَيَمَّمْتُ أُخْرَى مَا عَلَيَّ تَضِيقُ

وَمَا خَابَ بَيْنَ اللهِ وَالنَّاسِ عَامِلٌ ... لَهُ فِي التُّقَى أَوْ فِي الْمَحَامِدِ سُوقُ

(١) وَلَا ضَاقَ فَضْلُ اللهِ عَنْ مُتَعَفِّفٍ ... وَلَكِنَّ أَخْلَاقَ الرِّجَالِ تَضِيقُ (١)

وقال آخر :

إِذَا كُنْتَ فِي دَارٍ وَحَاوَلْتَ رِحْلَةً ... فَدَعْهَا وَفِيهَا إِنْ رَجَعْتَ مَعَادُ (٢)

وقال آخر :

خَلِّطْ فَهَذَا زَمَانٌ فِيهِ تَخْلِيطُ ... وَالنَّاسُ صِنْفَانِ مَحْرُومٌ (٣) وَمَغْبُوطُ

وَلَا تُقِمْ بِبِلَادٍ لَا انْتِفَاعَ بِهَا ... فَالْأَرْضُ وَاسِعَةٌ وَالرِّزْقُ مَبْسُوطُ

وَلَا تَكُنْ غِرَّةً تَرْضَى بِغَيْرِ رِضًى ... فَإِنَّ رِزْقَكَ عِنْدَ اللهِ مَخْطُوطُ

وقال جواس (٤) الكلبي :

وَإِذَا العِلْجُ أَغْلَقَ الْبَابَ دُونِي ... لَمْ يُحَرِّمْ عَلَيَّ مَتْنَ الطَّرِيقِ

وَكَفَانِي جَفَاءَ مَنْ يَزْدَرِينِي ... قَطْعِيَ الْخَرْقَ بِالْمَرُوحِ الحَرُوقِ

وقال آخر :

اصْبِرْ عَلَى حَدَثِ الزَّمَانِ فَإِنَّمَا ... فَرَجُ الشَّدَائِدِ مِثْلُ حَلِّ عِقَالِ

---

(١) سبق البيتان الأولان ، والثالث ساقط من ب .

(٢) البيان والتبيين ٢/٢٨٩ .

(٣) ب : مرحوم .

(٤) ا : خداش ، ب ، م فى حواش ، والصحيح أنه جواس الكلبي انظر المؤتلف ٧٤ ، وانظر البيت الأول فقط فى البيان والتبيين ، ٣/٢٥٨ والخرق : الفلاة والأرض الواسعة ، والمروح الحروق : الناقة السريعة .

وَإِذَا خَشِيتَ تَعَذُّرًا فِي بَلْدَةٍ ... فَاشْدُدْ يَدَيْكَ بِعَاجِلِ التَّرْحَالِ
إِنَّ الْمُقَامَ عَلَى الْهَوَانِ مَذَلَّةٌ ... وَالْعَجْزُ أَضْعَفُ[1] حِيلَةِ الْمُحْتَالِ

وقال يحيى بن حكم الغزال :

وإِنَّ مُقَامِي شِطْرَ يَوْمٍ بِمَنْزِلٍ ... أَخَافُ عَلَى نَفْسِي بِهِ لَكَثِيرُ
[2]وقد يهرب الإنسان من خيفة الردى ... فيدركه ما خاف حيث يسير[2]

وقال المتنبي :

إذا لَمْ أَجِدْ فِي بَلْدَةٍ مَا أُرِيدُهُ ... فَعِنْدِي لِأُخْرَى عَزْمَةٌ وَرِكَابُ[3]

وقال أبو عثمان العروضي في مهموزته :

إِنَّ الْفَتَى كُلَّ الْفَتَى مَنْ رَأَى ... هَوَانَهُ أَقْبَحَ مَا قَدْ رَأَى
اهْرُبْ عَنِ الذُّلِّ وَعَجِّلْ فَمَا ... أَقْرَبَهُ مِنْ كُلِّ مَنْ أَبْطَأَ
لَوْ جَرَحَتْ رَأْسِي يَدَا مُنْصِفٍ ... لَمَا تَمَنَّيْتُ بِأَنْ أَبْرَأَ

وَلِي حين رحلت من إشبيلية[4] :

وَقَائِلَةٍ مَالِي أَرَاكَ مُرَحِّلاً ... فَقُلْتُ لَهَا : صَهْ وَاسْمَعِي الْقَوْلَ مُجْمَلاً
تَنَكَّرَ مَنْ كُنَّا نُسَرُّ بِقُرْبِهِ ... وَعَادَ زُعَافًا بَعْدَمَا كَانَ سَلْسَلاً

---

(١) في ا : آفة ، وانظر الأبيات في لباب الآداب ٢٩٤ .
(٢) ساقط في ا ، ب .
(٣) البيت لأبي فراس الحمداني لا المتنبي ، انظره في ديوانه ٢٢ ، محاضرات الأدباء ٢/٢٧٢ ، يتيمة الدهر ١/٥٤ ، وفيها : إذا لم أجد من خلة ما أريده .
(٤) في ا ، ب : وللفقيه أبي عمر بن عبد البر في حين رحلته من إشبيلية .

وَحُقَّ لِجَارٍ لَمْ يُوَافِقْهُ(١) جَارُهُ ... وَلاَ لاَءَمَتْهُ الدَّارُ أَنْ يَتَرَحَّلا
بُلِيتُ بِخَفْضٍ(٢) وَالْمُقَامُ بِبَلْدَةٍ ... طَوِيلاً لَعَمْرِى مُخْلِقٌ يُورِثُ البِلاَ
إذا هَانَ حُرٌّ عِنْدَ قَوْمٍ أَتَاهُمُ ... وَلَمْ يَنْأَ عَنْهُمْ كَانَ أَعْمَى وَأَجْهَلاَ
وَلَمْ تُضْرَبُ الْأَمْثَالُ إلاَّ لِعَالِمٍ ... وَلاَ عُوتِبَ الإِنْسَانُ إلاَّ لِيَعْقِلاَ

وقال ابن أبى حازم، أو ابن بسام :

وَإِنْ نَبَا مَنْزِلٌ بِحُرٍّ ... فَمِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانِ
لاَ يَلْبَثُ الحُرُّ فِى مَكَانٍ ... يُنْسَبُ فِيهِ إِلَى هَوَانِ
الحُرُّ حُرٌّ وَإِنْ تَعَدَّتْ ... عَلَيْهِ يَوْمًا يَدُ الزَّمانِ
(٣وَالنَّذْلُ نَذْلٌ وَإِنْ تَكَنَّى ... وَصَارَ ذَا مَنْطِقٍ وَشَانِ(٣)
فَاسْتَرْزِقِ اللهَ وَاسْتَعِنْهُ ... فَإِنَّهُ خَيْرُ مُسْتَعَانِ(٤)

وقال أبو الفتح :

مَتَى رَفَضَتْنِى دَارُ قَوْمٍ تَرَكْتُهَا ... وَإِنْ لَمْ يَكُنْ(٥) مِنْهَا وَمِنْ أَهْلِهَا بُدُّ

وقال حبيب :

لاَ يَمْنَعَنَّكَ خفْضَ الْعَيْشِ فِى دَعَةٍ(٦) ... نُزوعُ نَفْسٍ إِلَى أَهْلٍ وَأَوْطَانِ

---

(١) ب : أن يوافق .
(٢) ب : بحمص .
(٣) زيادة فى ب .
(٤) وردت الأبيات ماعدا الرابع لابن أبى حازم فى عيون الأخبار ٣/١٨٤ على خلاف فى الترتيب، ونسبت إلى الحسين بن عبد الله بن أبى حصينة المعرى فى معجم الأدباء ١٠/١١٣ .
(٥) ب : وسرت ولى .
(٦) ب : نطالبه ، وكذلك فى عيون الأخبار ١/٢٣٤ . وفيها أيضاً : نزاع بدل نزوع .

تَلْقَ بِكُلِّ بِلَادٍ إِنْ نَزَلْتَ بِهَا ... أَهْلاً بِأَهْلٍ وَإِخْوَانًا بِإِخْوَانِ (١)

وقال ابن أبى حُبَيْش :

يَا نَازِلاً بِبَطَلْيَوْسٍ إِذَا ظَفِرَتْ ... يَوْمًا يَدَاكَ بِيَوْمِ الْبَيْنِ فَاسْتَبِقِ

وَلَا تُقِمْ بِبِلَادٍ لَا يُعَادُ بِهَا الْ ... مَرْضَى وَعَجِّلْ عَلَى مَا فِيكَ مِنْ رَمَقِ

إِنَّ الْمُقَامَ بِأَرْضٍ لَا يُزَارُ بِهَا ... وَلَا يُعَادُ أَخُو الشَّكْوَى مِنَ الْحُمْقِ

---

(١) ب : وجيرانا بجيران ، وورد الشطر الثانى من البيت الأول فى العقد الفريد ٣/٢٣ : نزاع شوق إلى أهل وأوطان . والبيتان ليسا فى ديوان أبى تمام ، وقد وردا بغير نسبة فى حماسته ١/١٠٤ ، ١٠٥ ، محاضرات الأدباء ٢/٢٧٦ ونسبا فى معجم الأدباء ١/١٩٢ إلى الصولى .

باب التَّوْدِيع والفِرَاق

ودع رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب فى مسيره إلى العمرة ، فقال : « يا أَخي لا تَنْسَنَا مِنْ دُعَائِك » .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا خرج أحدكم إلى سفر فليودع إخوانه ، فإنَّ الله جاعل[1] له فى دعائهم بركة » .

وكان عبد الله بن عمر إذا ودع رجلا يقول : استودع الله دينك ، وأمانتك ، وخواتم عملك .

قال الشعبى : السُّنة إذا قدم رجل من سفر ، أن يأتيه إخوانه فيسلّموا عليه ، وإذا خرج إلى سفر أن يأتيهم فيودعهم وَيغتنم دعاءهم .

ودع شعبة بن الحجّاج رجلا خارجاً إلى الحج ، فقال له : أما إنَّكَ إن لم تَعُدَّ الحِلْمَ ذُلاّ ، ولا السّفه شرفاً ؛ سَلِم حجُّك .

ودع عبد الله بن المبارك رجلا ، فقال :

وَنَحْنُ نُنَادِى أَنّ فُرْقَةَ بَيْنِنَا فِرَاقُ حَيَاةٍ لاَ فِرَاقُ مَمَاتِ[2]

وقال إبراهيم الموصلى[3] :

تَقَضَّتْ لُبَانَاتٌ وَجَدّ رَحِيلُ و يُشْفَ من أهلِ الصَّفَاء غَلِيلُ

---

(١) ب : عاجل .
(٢) زيادة من ا .
(٣) فى الأغانى ٣/١٤ ، طبعة الساسى ، أنها لابنه إسحق ، يمدح بها إسحق بن إبراهيم المصعبى بعد إيقاعه بالخرمية ، وفيها يقول :

تفرد إسحاق بنصح أميره فليس له عند الأنام عديل
يفرج عنه الشك صدق عزيمة ولب به يعلو الرجال أصيل

ونسبت لإسحاق أيضا فى المختار من شعر بشار ٢٤٩ .

وَمُدَّتْ أَكُفٌّ لِلْوَدَاعِ تَصَافَحَتْ ... وَكَادَتْ عُيُونٌ لِلفِرَاقِ تَسِيلُ
[1]وَلاَ بُدَّ لِلإِلْفَيْنِ مِنْ ذَمِّ لَوْعَةٍ[2] ... إِذَا مَا خَلِيلٌ بَانَ عَنْهُ خَلِيلُ
فَكَمْ مِنْ دَمٍ قَدْ طُلَّ يَوْمَ تَحَمَّلَتْ ... أَوَانِسُ لاَ يُودَى لَهُنَّ قَتِيلُ
غَدَاةَ جَعَلْتَ الصَّبْرَ شَيْئًا نَسِيتَهُ ... وأَعْوَلْتَ لَوْ أَجْدَى عَلَيْكَ[3] عَوِيلُ

وقال محمد بن مِقْسَم ، أنشده له ابنه أبو الحسن أحمد بن محمد بن مقسم :

فِرَاقُ الأَحِبَّةِ دَاءٌ دَخِيلُ ... ويَوْمُ الرَّحِيلِ لِنَفسٍ رَحِيلُ
سَمِعْتُ بِبَيْنِكَ فَاعْتَادَنِي ... غَلِيلٌ بِقَلْبِي وَحُزْنٌ طَوِيلُ
أَهَذَا وَلَمْ يَكُ يَوْمُ الفِرَاقِ ... فَإِنْ كَانَ لاَ كَانَ زَادَ الغَلِيلُ
وأَيْقَنْتُ أَنِّي بِهِ تَالِفٌ ... ومَا قَدْ وَصَفْتُ عَلَيْهِ دَلِيلُ
حَيَاةُ الخَلِيلِ حُضُورُ الخَلِيلِ ... وَيُفْنَى إِذَا غَابَ عَنْهُ الخَلِيلُ

وقال آخر :

بَكَتْ عَيْنِي غَدَاةَ البَيْنِ حُزْنًا ... والأُخْرَى بالبُكَا بَخِلَتْ عَلَيْنَا
فَجَازَيْتُ التي جَادَتْ بِدَمْعٍ ... بِأَنْ أَقْرَرْتُهَا بالوَصْلِ عَيْنَا
وجَازَيتُ التي بَخِلَتْ بِدَمْعٍ ... بِأَنْ غَمَّضْتُهَا يَوْمَ التَقَيْنَا

وقال الزبير بن بكار : شيعني إسحقُ بن إبراهيم وقال :

---

(١) يبدأ من هنا سقط قدره ورقتان من نسخة ب .
(٢) فى الأغانى : ولا بد للألاف من فيض عبرة .
(٣) فى الأغانى : على .

فِرَاقُكَ مِثْلُ فِرَاقِ الحَيَاةِ وَفَقْدُكَ مِثْلُ افْتِقَادِ الدِّيَمْ
عَلَيكَ السَّلامُ فَكَمْ مِنْ وَفَاءٍ أُفَارِقُ مِنكَ وَكَمْ مِنْ كَرَمْ (١)

وقال آخر:

وَدَّعَ أَحْبَابَهُ فَمَا وَقَفُوا وَلاَ عَلَى ذِي صَبَابَةٍ عَطَفُوا
كَمْ كَبِدٍ قَطَعُوا بِبَيْنِهِم وَكَمْ دُمُوعٍ عَلَيْهِمُ تَلِفُ (٢)
كَأَنَّهُمْ لَمْ يُجَاوِرُوكَ وَلَمْ (٣) تَعْرِفْهُمْ والوِصَالُ مُؤْتَلِفُ (٤)

وقال آخر:

لَمْ أَنسَ يَومَ الرَّحِيلِ مَوْقِفَهَا وَطَرْفُهَا فِي دُمُوعِهَا غَرِقُ
وَقَولَهَا والرِّكَابُ وَاقِفَةٌ تَرَكْتَنِي هَكَذَا وَتَنطَلِقُ

وقال آخر:

لَيْسَ شَيءٌ مِنَ الفِرَاقِ وَإِنْ كَا نَ أَخُو الوَجْدِ وَالِهاً كَلِفَا
أَحْرَقَ مِنْ وَقْفَةِ المُشَيِّعِ لِلْقَلْـ ـبِ يُرِيدُ الرُّجُوعَ مُنْصَرِفَا

وقال آخر:

أَقُولُ لَهُ حِينَ وَدَّعْتُهُ وَكُلٌّ بِعَبْرَتِهِ مُبْلِسُ
لَئِنْ رَجَعَتْ عَنكَ أَجْسَامُنَا لَقَدْ سَافَرَتْ مَعَكَ الأَنْفُسُ (٥)

---

(١) ورد البيتان منسوبين إلى دعبل الخزاعي في زهر الآدب ٤/١٠٦ ، وانظرهما في العقد الفريد ٥/٤١٣ ، عيون الأخبار ٣/٣٢ ، محاضرات الأدباء ٢/٢٧ وفيها جميعا : وداعك مثل وداع الربيع .

(٢) تلف : تغزر .

(٣) ساقط من ب .

(٤) نهاية الأرب ٢/٢٤٦ .

(٥) ورد البيتان في العقد الفريد ٥/٤٠٩ منسوبين إلى أبي الطيامير ، وانظرهما في نهاية الأرب ٢/٢٤٦ ، والمبلس : الساكت على ما في نفسه من هم .

وقال آخر :

مَنْ يَكُنْ يـكْرَهُ الفِرَاقَ فَإِنِّى … أَشْتَهِيهِ لِمَوْضـِعِ التَّسْلِيمِ
إِنَّ فِيهِ اعْتِنَاقَةً لِوَدَاعٍ … وَانْتِظَارَ اعْتِنَاقَةٍ لِقُدُومِ[1]

وقال آخر :

صَاحَ الغُرَابُ بِوَشْكِ البَيْنِ فَارْتَحلُوا … وَقَرَّبُوا العِيسَ قَبْلَ الصُّبْحِ وَاحْتَمَلُوا
وَغَادَرُوا القَلْبَ مَا تَهْدَا لَوَاعِجُهُ … كَأَنَّهُ بِضِرَامِ النَّارِ مُشْتَعِلُ
وَفِى الجَوَانِحِ نَارُ الحُبِّ تَقذِفُهَا … أَيْدِى النَّوَى بِزِنَادِ الشَّوْقِ إِذْ رَحَلُوا
لَمَّا أَنَاخُوا قُبَيْلَ الصُّبْحِ عِيرَهُمُ … وَرَحَّلُوهَا وَسَارَتْ بِالدُّمَى الإِبِلُ
وقَلَّبَتْ مِنْ خِلَالِ السُّجْفِ نَاظِرَهَا … تَرْنُو إِلَىَّ وَدَمْعُ العَيْنِ مُنْهَمِلُ
وَوَدَّعَتْ بِبَنَانٍ عَقْدُهُ عَنَمٌ … نَادَيْتُ : لَا حَمَلَتْ رِجْلَاكَ يَا جَمَلُ
وَيْحِى مِنَ البَيْنِ مَاذَا حَلَّ بِى وَبِهِمْ … مِنْ نَازِلِ البَيْنِ حَلَّ البَيْنُ وارْتَحَلُوا
يَا رَاحِلَ العِيسِ عَرِّجْ كَىْ نُوَدِّعَهُمْ … يَارَاحِلَ العيسِ فِى تَرْحَالِكَ الأَجَلُ
إِنِّى عَلَى العَهْدِ لَمْ أَنْقُضْ مَوَدَّتَهُمْ … يَالَيْتَ شِعْرِى لِطُولِ البَيْنِ مَا فَعَلُوا[2]

أنشدنى أبو القاسم خلف بن قاسم رحمه الله ، قال أنشدنى أبو بكر بن محمد ابن عبد الله بن أحمد الصَّيْدلانى ، قال : أنشدنا أبو الحسن على بن سليمان بن الفضل الأخفش :

---

(١) محاضرات الادباء ٢/٢٧ نهاية الأرب ٢/٢٤٣ ، وهما فيه لأبى حفص الشطرنجى .

(٢) المستطرف ٢/٩٩ ، نهاية الأرب ٢/١٨١ ، العقد الفريد ٦/١٦٨ .

سُقْيًا ورَعْيًا وإِيـاَنَا وَمَغْفِرَةً   لِلْبَاكِيَاتِ عَلَيْنَا حِينَ نَرْتَحِلُ
يُبْكَى عَلَيْنَا ولاَ نَبْكِى عَلَى أَحَدٍ   أَنَحْنُ أَغْلَظُ أَكْبَاداً أَمِ الإِبلُ[(١)]

وقال آخر :

أَحُجَّاجَ بَيْتِ اللهِ فى أىِّ هَوْدَجٍ   وَفِى أَىِّ خِدْرٍ مِنْ خُدُورِكُمُ قَلْبِى[(٢)]
أَأَبْقَى نَحِيلَ الجِسْمِ فِى أَرْضِ غُرْبَةٍ   وحَادِيكُمُ يَحْدُو بِقَلْبِى مَعَ الرَّكْبِ[(٣)]

[(٥)] وقال عمر بن أبى ربيعة :

هَاجَ القَرِيضَ الذِّكَرُ   لَمَّا غَدَوْا فَانْشَمَرُوا
عَلَى بِغَالٍ شُحَّجٍ[(٤)]   قَدْ ضَمَّهُنَّ السَّفَرُ
فِيهِنَّ هِنْــدٌ لَيْتَنِى   مَا عُمِّرَتْ أُعَمَّــرُ
حَتَّى إِذَا مَا جَاءَهَا   حَتْفٌ أَتَانِى القَدَرُ[(٥)]

وقال آخر :

أَيَا عَجَبًا[(٦)] مِمَّنْ يُوَدِّعُ إِلْفَهُ   يَمُدُّ يَدًا نَحْوَ الفِرَاقِ فَيُسْرِعُ[(٧)]
هَمَمْتُ بِتَوْدِيعِ الحَبِيبِ فَلَمْ أُطِقْ[(٨)]   فَوَدَّعْتُهُ بِالقَلْبِ والعَيْنُ تَدْمَعُ

(١) زهر الآداب ٣/١٩٠ ، وفيه الشطر الأخير : لنحن أغلظ أكباداً من الإبل ، وفيه إقواء .
(٢) إلى هنا ينتهى الساقط من ب .
(٣) ورد البيتان فى المطرب من أشعار أهل المغرب ٢١٤ ، منسوبين إلى شاب خرج يودع الحاج ، ولم يعينه.
(٤) الشحيج : صوت البغال .
(٥) زيادة من ب وانظر الأبيات فى ديوانه ١٠٢ ، الأغانى ١/١٨٧ .
(٦) ا : أياعجبى .
(٧) ب : فيشرع .
(٨) ب : فلم نطق .

وينظر إليه قول الآخر :

وَدَّعَهَا طَرْفِي فَقَالَتْ لَهُ ... بِالدَّمْعِ أَسْتَوْدِعُكَ اللهَ

وقال حبيب :

مَا اليَوْمُ أَوَّلَ تَوْدِيعِي ولاَ الثَّانِي ... البَيْنُ أَكْثَرَ مِنْ شَوْقِي وأَحْزَانِي

حَسْبُ الفِرَاقَ بِأَنَّ الدَّهْرَ سَاعَدَهُ ... فَصَارَ أَمْلَكَ مِنْ رُوحِي بِجُثْمَانِي

ومَا أَظُنُّ النَّوَى يَرْضَى بِمَا صَنَعَتْ ... حَتَّى تُشَافِهَ بِي أَقْصَى خُرَاسَانِ(١)

وقال آخر :

أَهْدَى إِلَيْهِ سَفَرْجَلاً فَتَطَيَّرَا ... مِنْهُ وَظَلَّ مُفَكِّرًا مُسْتَعْبِرَا

خَوْفَ الفِرَاقِ لأَنَّ شَطْرَ هِجَائِهِ(٢) ... سَفَرٌ وحَقَّ لَهُ بِأَنْ يَتَطَيَّرَا

وقال آخر :

أُقِيمُ وتَظْعَنِينَ وأَنْتِ رُوحِي ... وهَلْ جَسَدٌ يَعِيشُ بِغَيْرِ رُوحِ

لَئِنْ كَانَ الفِرَاقُ غَدًا فَإِنِّي ... سَأُحْمَلُ لاَ أَشُكُّ إِلَى ضَرِيحِي

تَعَالَيْ بَعْدَ فُرْقَتِنَا لِنَبْكِي ... فَإِنِّي نَائِحٌ أَبَدًا فَنُوحِي

وقال أبو الشيص ، وهو محمد بن عبد الله بن رزين :

مَا فَرَّقَ الأَحْبَابَ بَعْـ ... ـدَ اللهِ إِلاَّ الإِبِلُ

والنَّاسُ يَلْحَوْنَ(٣) غُرَا ... بَ البَيْنِ لَمَّا جَهِلُوا

(١) انظر الأبيات فى شرح الديوان ٢/٣٠٨ ، ٣١٠ وفيه : أول توديع .
(٢) ا : شطرهمابه ، وهو تصحيف ، وانظر البيتين فى العقد ٢/٣٠٢ .
(٣) ب . قد لاموا .

وما على ظهر غرا ... ب البين تطوى[١] الرحل
ولا إذا صاح غرا ... بٌ في الديار ارتحلوا[٢]
وما غراب البين إلا (م) ... ناقةٌ أو جمل[٣]

أنشدنيها عبد الوارث عن قاسم عن أبي خيثمة لأبي الشيص .

وقال العلوى على بن محمد :

وَلَقَدْ نَظَرْتُ إلَى الفِرَاقِ فَلَمْ أجِدْ ... لِلْمَوْتِ لَوْ فُقِدَ الفِرَاقُ سَبِيلاَ
يَا سَاعَةَ البَيْنِ الطَّوِيلِ كَأَنَّمَا ... وَاصَلْتِ سَاعَاتِ القِيَامَةِ طُولاَ

وقال عبيد الله بن عبد الله بن عتبة الفقيه :

لَعَمْرِي لَئِنْ شَطَّتْ بِعَثْمَةَ دَارُهَا ... لَقَدْ كِدْتُ مِنْ قَبْلِ الفِرَاقِ أَلِيحُ[٤]
أَرُوحُ بِهَمٍّ ثُمَّ أغْدُو بِمِثْلِهِ ... وَيُحْسَبُ أَنِّي فِي الثِّيَابِ صَحِيحُ[٥]

وقال حبيب :

يَوْمُ الفِرَاقِ لَقَدْ خُلِقْتَ طَوِيلاَ ... لَمْ تُبْقِ لِي جَلَدًا ولاَ مَعْقُولاَ
لَوْ جَاءَ[٦] مُرْتَادُ المَنِيَّةِ لَمْ يَجِدْ ... إلاَّ الفِرَاقَ عَلَى النُّفُوسِ دَلِيلاَ

(١) ب : تعطى .
(٢) ب . احتملوا .
(٣) انظر الأبيات كلها فى زهر الآداب ٢/١٧٠ الشعر والشعراء ٨٢١ ، والبيتين الثانى والخامس فى التمثيل والمحاضرة ٣٦٩ ، والأول والثالث فى الكامل ٢/٣ ، وفيه : ما فرق الألاف ... والبائس المسكين ما تطوى .
(٤) ب م : أنيح . ومعنى أليح : أهلك .
(٥) انظرهما فى العقد الفريد ٦/٢٦ ، الأمالى ٢/١٦٠ .
(٦) ب : حار .

قَالُوا الرَّحِيل(١) فَأَشْكَكْتُ بأَنَّهَا نَفْسِي عَنِ الدُّنْيَا تُرِيدُ رَحِيلاَ(٢)

وهذا باب أكثر فيه أهل الظرف، فرأيت اختصاره، قال الحارث بن وَعْلة؛ وتُنسب إلى العتّابى كُلْثوم بن عمرو، وهى أبيات كثيرة أولها :

ما غَنَاءُ الْحِذَارِ والإِشْفَاقِ وشآبِيبِ دَمْعِك المُهْرَاقِ
غُرَّ مَنْ ظَنَّ أَنْ يَفُوتَ الْمَنَايَا وعُرَاهَا قَلاَئِدُ الأَعْنَاقِ
ويَدُ الحَادِثَاتِ رَهْنٌ بِمُرَّا(م) تٍ مِنَ العَيْشِ مُصَرَّاتِ(٣) المَذَاقِ
كَمْ صَفِيَّيْنِ مُتِّعَا باتفاق(٤) ثُمَّ صَارَا مِنْ بَعْدِهِ لافْتِرَاقِ
قُلْتُ لِلفَرْقَدَيْنِ واللَّيْلُ مُلْقٍ سُودَ أَكْنَافِهِ عَلَى الآفَاقِ
ابْقَيَا مَا بَقِيتُمَا سَوْفَ يُرْمَى بَيْنَ شَخْصَيْكُمَا بِسَهْمِ الفِرَاقِ
هَوِّنِي ذَا عَلَيْكِ واقْنَيْ حَيَاءً لَسْتِ تَبْقَيْنَ لِي ولَسْتُ بِبَاقِ
أَيُّنَا قَدَّمَتْ حِمَامُ المَنَايَا فَالَّذِي أَخَّرَتْ سَرِيعُ اللَّحَاقِ
(٥ لا يَدُومُ البَقَاءُ لِلخَلْقِ لَكِنْ دوامَ البقاءِ لِلخَلاَّقِ(٥)
إنْ قَضَى اللهُ أَنْ يَكُونَ تَلاَقٍ بَعْدَ مَا قَدْ تَرَيْنَ كَانَ التَّلاَقِي(٦)

وقال آخر، وهو نفطويه :

---

(١) ب : الفراق .

(٢) شرح الديوان ٢/٦٦ ، محاضرات الأدباء ٢/٢٨ .

(٣) مصرات : حامضات .

(٤) ب : بتلاق .

(٥) ساقط من ب .

(٦) انظر الأبيات فى زهر الآداب ٣/٤١ ، والبيتين هونى وما بعده فى معجم الشعراء ٣٥٢ .

شَيْئَانِ لَوْ بَكَتِ الدِّماءَ عَلَيْهِمَا ... عَيْنَاىَ حَتَّى تُؤْذِنَا بِذَهَابِ
لَمْ يَبْلُغَا الْمِعْشَارَ مِنْ حَقَّيْهِمَا ... فَقْدُ الشَّبَابِ وَفُرْقَةُ الْأَحْبَابِ[١]

وقال الغزال :

وَإِن رَجَائِى فِى الْإِيَابِ إِلَيْكُمُ ... وإِنْ أنَا أظْهَرْتُ العَزَاءَ قَصِيرُ
وَإِنْ كُنْتِ تَبْغِينَ الوَدَاعَ فَبَالِغِى ... فَدُونَكِ أَحْوَالٌ أرَى وَشُهُورُ

وقال آخر :

لَيْسَ الفِرَاقُ وَإِنْ جَزِعْتَ بِضَائِرٍ ... مَا لَمْ تُفَرِّقْ بَيْنَنَا الأَخْلَاقُ
إِنْ لَمْ يَحُلْ حَدَثُ الْمَنِيَّةِ بَيْنَنَا ... فَسَنَلْتَقِي وَسَيُحْفَظُ الْمِيثَاقُ
والدَّهْرُ يَجْمَعُ بَيْنَ كلِّ مُفَارِقٍ ... وَلِكلِّ مُلْتَقِيَيْنِ مِنهُ فِرَاقُ

وقال محمد بن عبد الله بن طاهر بن الحسين :

مَدَّتْ إِلَى الْبَيْنِ أَطْرَافاً مُخَضَّبَةً ... لَمَّا تَوَلَّتْ وَذَاقَتْ حُرْقَةَ الْبَيْنِ
وَوَدَّعَتْنِي وَمَا هَمَّتْ وَلاَ نَطَقَتْ ... وَإِنَّمَا وَدَّعَتْ وَحْياً بِعَيْنَيْنِ
بَلَى لَقَدْ أَوْمَأَتْ نَحْوِى بِإِصْبَعِهَا ... إِيمَاءَةً خَتَلَتْ[٢] عَنْهَا الرَّقِيبَيْنِ

وقال آخر :

أَتَذْكُرُ إذْ تُوَدِّعُنَا سُلَيْمَى ... بِعُودِ بَشَامَةٍ سُقِىَ الْبَشَامُ[٣]

---

(١) ورد البيتان فى محاضرات الأدباء ٢/١٤٧ منسوبين إلى محمود الوراق ، ونسبهما صاحب المستطرف ١/١٩٨ ، ٢/٤٠ إلى أبى العيناء محمد بن القاسم بن خلاد ، ووردا فى التمثيل والمحاضرة ٤٦٩ ، ووفيات الأعيان ٦/٢٤٤ غير منسوبين .

(٢) ب : خبلت ، وانظر الأبيات فى المحاسن والمساوى ٢/٧٩ .

(٣) البيت لجرير ، ديوانه ٥١٢ وفيه وفى الأغانى ٢/٦٥ ، نهاية الأرب ٤/٢٧٦ ، أتنسى ، وبفرع بشامة ، وفى اللسان : أتذكر كما هنا .

(١ يريد : تشير إلينا بعسوا كها مودعة١) .

وقال أبو عَوَانة(٢) : كنت أجالس أبا العتاهيـة فأراد الخروج إلى مكة فودعنى وقال :

إنْ نَعِشْ نَجْتَمِـعِ وَإلاَّ فمَا ... أشْغَلَ مَنْ مَاتَ عَنْ جَمِيعِ الأَنَامِ(٣)

قالت أعرابية لابن لها ، وقد ودعته وهو يريد سفراً : امض مصاحباً مكلوءاً ، لا أشمت الله بك عدوًّا ، ولا أرى محبيك فيك سوءاً .

ودع أعرابى رجلا ، فقال كَبَتَ الله لك كل عدوّ إلا نفسك ، وجعل خير عملك ما ولى أجلك .

بيت قديم :

وكلُّ مُصيباتِ الزّمانِ وَجَدتُهَا ... سِوَى فُرْقَةِ الاحبابِ هَيِّنَةَ الْخَطْبِ(٤)

قال محمد بن عبد السلام الخُشَنى :

كأَنْ لَمْ يَكُنْ بَيْنٌ وَلَمْ تَكُ فُرْقَةٌ ... إذَا كَانَ مِنْ بَعْدِ الْفِرَاقِ تَلَاقِ
كَأَن لَم تُؤَرِّق بِالْعِرَاقِينِ مُقْلَتِي ... وَلَم تمرِ كَفُّ الشَّوْقِ مَاءَ مَآقِ(٥)
وَلَمْ أَزُرِ الأَعرَابَ فِى خَبْتِ أَرْضِهِمْ(٦) ... بِذَاتِ اللَّوَى مِنْ رَامَةٍ وَبُرَاقِ

(١) زيادة من ب .

(٢) فى ا : أبو عربة ، والصحيح ما أثبتنا ، فو أبو عوانة الوضاح بن خالد اليشكرى من حفاظ الحديث الثقات ، مات بالبصرة سنة ١٧٦ هـ ، تاريخ بغداد ١٣/٤٦٠ ، تهذيب التهذيب ١١/١١٦ .

(٣) لم يرد البيت فى ديوان أبى العتاهية ، وقد نسب إلى زهير السامى فى تاريخ بغداد ٢/٣٨٤ .

(٤) البيت لقيس بن ذريح الليثى ، أنظره فى الحماسة لأبى تمام ٢/٧٠ ، سير أعلام النبلاء ٣/٣٥٠ وفيه: وكل ملمات .

(٥) ب ولم كف بالشوق ، ا : ولم تركف ، وتمر معناها تمسح .

(٦) م : عقر خبتهم ، ب : أرض خبتهم ، والخبت : المتسع الفسيح من الأرض .

وَلَمْ أَصْطَبِحْ فِي الْبِيدِ مِنْ قَهْوَةِ النَّوَى ... بِكَأْسٍ سَقَانِيهَا الفِرَاقُ دِهَاقِ[١]

وقال آخر :

خَلِيلَيَّ إِلَّا تَبْكِيَا لِيَ أَسْتَعِنْ ... خَلِيلاً إِذَا أَفْنَيْتُ دَمْعِي بَكَى لِيَا

كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بَيْنٌ إِذَا كَانَ بَعْدَهُ ... تَلَاقٍ وَلَكِنْ لَا إِخَالُ تَلَاقِيَا[٢]

قالوا : كم بين لوعة الفراق ، وفرح التلاق .[٣]

---

(١) انظر الأبيات للخشنى أيضا فى جذوة المقتبس ٦٤ ، ونسبها فى نفح الطيب ٢/٢٢١ إلى محمد بن عيسى ، ورواية الشطرة الأخيرة فيها : وكأس سقاها فى الأزاهر ساق .

(٢) البيتان فى حماسة أبى تمام ٢/١٢٢ .

(٣) ساقط من ا .

باب الزيارة والعيادة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من زار أخًا له فى الله ، أو عاده ، خاض الرحمة حتى يرجع وقال اللهّ عز وجلّ له : طبت وطاب ممشاك وتبوأت من الجنَّة منزلا » ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا أتاكم الزائر فأكرموه » وقال[1] حاكيًا عن الله عز وجل : « وجبت محبتى للمتزاورين فىّ والمتحابين فىَّ » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأبى هريرة : « يا أبا هريرة ! زُرْ غِبًّا تزددْ حُبًّا » . أخذه الشاعر فقال :

إِذَا شِئْتَ أَنْ تُقْلَى فَزُرْ مُتَوَاتِرًا ... وإِنْ شِئْتَ أَنْ تَزْدَادَ حُبًّا فَزُرْ غِبًّا[2]

أنشدنى أبو عثمان سعيد بن سيد[3] ، لعبد الملك بن جهور الوزير :

وَقَدْ قَالَ الرَّسُولُ وكَانَ بَرًّا ... إِذَا زُرْتَ الحَبِيبَ فَزُرْهُ غِبًّا

وأَقْلِلْ زَوْرَ مَنْ تَهْوَاهُ تَزْدَدْ ... إِذَا مَازُرْتَهُ مِقَةً وَحُبًّا

ولعلى بن أبى طالب الكاتب[4] :

إِنِّى رَأَيْتُكَ لِى مُحِبًّا ... وإِلَىَّ حِينَ أَغِيبُ صَبًّا

فَهَجَرْتُ لَا لِمَلَالَةٍ ... حَدَثَتْ وَلَا اسْتَحْدَثْتُ ذَنْبَا

إِلَّا لِقَوْلِ نَبِيِّنَا ... زُورُوا عَلَى الأَيَّامِ غِبًّا

ولِقَوْلِهِ مَنْ زَارَ غِبًّا (م) مِنْكُمُ يَزْدَادُ حُبًّا

---

(١) ساقط من ب .

(٢) ساقط من ا ، وانظر البيت فى معجم الأدباء ١٦/١٥ .

(٣) ب : سعد .

(٤) ساقط فى ب .

قال خارجة بن زيد النحوى : دخلت على محمد بن سيرين بيته زائراً له ، فوجدته جالسًا بالأرض ، فألقى إلىّ وسادة ، فقلت له : إنى قد رضيت لنفسى ما رضيتَ لنفسك . فقال : إنى لا[١] أرضى لك فى بيتى ما أرضى به لنفسى ، واجلس حيث تؤمَر ، فلعل الرجل فى بيته شيء يكره أن تستقبله .

قال بشار :

لاَ تجْعَلَنْ أَحَدًا عَلَيْك إِذَا ... أَحْبَبْتَهُ وَهَوِيتَهُ رَبًّا
وَصِلِ الخَلِيلَ إِذَا شُغِفتَ بِهِ ... واطْوِ الزِّيَارَةَ دُونَهُ غِبًّا
فَلَذَاكَ خَيْرٌ مِنْ مُوَاصَلَةٍ ... لَيْسَتْ تَزِيدُكَ عِنْدَهُ قُرْبَا
لٰكِنْ يَمَلُّكَ[٢] ثُمَّ تَدْعُو باسْمِهِ ... فَيَقُولُ : هَا ، وطَالَمَا لَبَّى[٣]

وقال آخر :

عَلَيْكَ بِإِقْلاَلِ الزِّيَارَةِ إِنَّهَا ... تكونُ إذَا دَامَتْ إِلَى الهَجْرِ مَسْلَكَا
فإِنِّى رَأيتُ الغَيْثَ يُسأَمُ دَائِمًا ... ويُسْأَلُ بالأَيْدِى إِذَا هُوَ أَمْسَكَا[٤]

قال قيس بن سعد بن عبادة : أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم زائرًا ، فوقف ببابنا .

---

(١) ساقط من ب .

(٢) ب : لكى يملك .

(٣) لم أعثر على هذه الأبيات فيما طبع من ديوانه ، ولا فى المختار من شعره للخالديين ، ورواية م لهذا البيت:

لابل يملك عند رؤيته ... ويقول أف وطالما لبا

(٤) محاضرات الأدباء ١/١٢١، التمثيل والمحاضرة ٤٦٣ ، غير منسوبين ، ونسبا لناصر بن أحمد الخوى ، فى معجم الأدباء ١٩/٢١١ . ولابن حموش القيسى المقرى فى وفيات الأعيان ٤/٣٦٤.

قال ابن المعتز[١] :

وَقْفَةٌ فِي الطَّرِيقِ نِصْفُ الزِّيَارَهْ[٢]

وقال آخر :

وَحَظُّكَ زَوْرَةٌ فِي كُلِّ عَامٍ ... مُوَاقَفَةٌ عَلَى ظَهْرِ الطَّرِيقِ
سَلَامًا خَالِيًا مِنْ كُلِّ شَيءٍ ... يَعُودُ بِهِ الصَّدِيقُ عَلَى الصَّدِيقِ[٣]

كان يقال : امشِ ميلا وعُدْ عليلا ، وامش ميلين وأصلح بين اثنين ، وامش ثلاثة أميال ، وزُر فى الله .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كان فيمن قبلكم رجل يزور أخًا لَهُ فى الله بقرية أخرى ، فأرصد[٤] الله على مدرجه[٥] ملكا ، فلما انتهى إليه قال له : أين تريد ؟ قال : أريد قرية كذا . قال : وما حاجتك فيها ؟ قال : زيارة أخ لى فى الله . قال : وهل غير ذلك ؟ قال : لا . قال : فهل عليك من نعمة تُربيها[٦] ، أو يد تشكرها ؟ قال : لا ، إلا أنه أحبنى فى الله فأحببته فيه[٧] . قال : فإنى رسول الله إليك ، مخبرك أنه يحبك كما أحببت فيه » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كنتُ نهيتكم عن زيارة القبور ، ثم أُذِنَ لى فيها فزُورُوها فإنها تذكر الآخرة ، ولا تقولوا هُجْراً » .

---

(١) ب : ابن المغيرة .
(٢) صدره * قف لنا فى الطريق ان لم تزرنا * ديوانه ١٠٣ ، التمثيل والمحاضرة ١٠١ .
(٣) البيان والتبيين ٢/٣،٤٠٢/٢٠٠ ، عيون الأخبار ٣/٢٤ ، وفيه : وحظك لقية ، محاضرات الأدباء ٢/١٥ .
(٤) ب : فأرسل .
(٥) المدرج : المسلك والطريق .
(٦) ب : تربها .
(٧) ب ، م : إلا أنه أخى فى الله أحببته فيه .

كان سفيانُ بنُ عُيَيْنَةَ يقول : لا تُعْمل الأقدام فى الزيارة إلاّ إلى أقدارها ، وينشـــد :

فَضَعِ الزِّيَارَةَ حَيْثُ لاَ يُزْرِى بِهَا ... كَرَمُ المَزُورِ وَلاَ يُعَابُ الزَّائِرُ[١]

وقال العباس بن الأحنف :

يُقَرِّبُ الشَّوقُ دَارًا وَهْىَ نَازِحَةٌ ... مَنْ عَالَجَ الشَّوقَ لَمْ يَسْتَبْعِدِ الدَّارَا

أَزُورُكُمْ لاَ أُكَافِئُكُمْ بِجَفْوَتِكُمْ ... إِنَّ المُحِبَّ إِذَا لَمْ يُسْتَزَرْ زَارَا[٢]

وقال الأحوص :

وَمَا كُنْتُ زَوَّارًا وَلَكِنَّ ذَا الهَوَى ... إِذَا لَمْ يُزَرْ لاَ بُدَّ أَنْ سَيَزُورُ

أَزُورُ عَلَى أَنْ لَسْتُ أَفْقِدُ كُلَّمَا ... أَتَيْتُ عَدُوًّا بِالبَنَانِ يُشِيرُ[٣]

وقال آخر :

فَإِنِّى لَزَوَّارٌ لِمَنْ لاَ يَزُورُنِى ... إِذَا لَمْ يَكُنْ فِى وُدِّهِ بِمُرِيبِ

ومُسْتَقْرِبٌ دَارَ الحَبِيبِ وإنْ نَأَتْ ... وَمَا دَارُ مَنْ أَبْغَضْتَهُ بِقَرِيبِ[٤]

وقال آخر :

رَأَيْتُ تَبَاعُدَ الإخْوَانِ قُرْبًا ... إِذَا اشْتَمَلَتْ عَلَى الوُدِّ القُلُوبُ

وَلَيْسَ يُوَاصِلُ الإِلْمَامَ إلاَّ ... ضَنِينٌ فِى مَوَدَّتِهِ مُرِيبُ[٥]

---

(١) عيون الأخبار ٣/٢٩ ، محاضرات الأدباء ١/٢٧٧ .

(٢) ديوانه ١٢٥ ، مع اختلاف فى ألفاظ الرواية . محاضرات الأدباء ١/٣٠٥ ، ٢/١٥ .

(٣) البيتان فى الأغاني ١٢/١١٥ ، والأول فى الكامل ١/٣٣٣ .

(٤) ا : إذا لم يكن لى فى وجوه مريب ، والبيتان فى محاضرات الأدباء ٢/١٥ منسوبين إلى ابن حجاج .

(٥) فى ا : ظنين يجود به مريب .

وقال إبراهيم بن العباس الصولى :

دَنَتْ بِأُنَاسٍ مِنْ تَنَاءٍ زِيَارَةٌ ... وَشَطَّ بِلَيْلَى عَن دُنُوٍّ[1] مَزَارُهَا

وَإِنَّ مُقِيمَاتٍ[2] بِمُنْقَطَعِ اللِّوَى ... لَأَقْرَبُ مِن لَيْلَى وَهَاتِيكَ دَارُهَا[3]

وأما قول قرم بن مالك :

عَلَامَ أُوَايِمُ البُخَلَاءَ فِيهَا ... فَأَقْعُدُ لَا أَزُورُ وَلَا أُزَارُ

قال بعضهم : إن معناه علام أستوحش من الناس ، وتأول من ذهب هذا المذهب فى قول العرب: لولا الأوام هلك الأنام ، أى لولا أنس الناس بعضهم ببعض لهلكوا إذا عمتهم الوحشة . وقال آخرون فى قولهم : لولا الأوام هلك الأنام ، أى لولا أن بعض الناس إذا رأى صاحبه صنع خيراً تشبه به ، لهلك الناس ، ولبعض أهل العصر :

أَزُورُ خَلِيلِي مَا بَدَا لِي هَشُّهُ ... وقَابَلَنِي مِنْهُ البَشَاشَةُ والبِشْرُ

فَإِنْ لَمْ يَكُنْ هَشٌّ وبَشٌّ تَرَكْتُهُ ... وَلوْ كانَ فى اللُّقْيَا الوِلَايَةُ واليُسْرُ

وحَقُّ الَّذِي يَنْتَابُ دَارِى زَائِرًا ... طَعَامٌ وبِرٌّ قَدْ تَقَدَّمَهُ بِشْرُ

---

(١) ا : عن تناء .

(٢) ا : وإن مقيماً حيث .

(٣) محاضرات الأدباء ٢/٣١ ، وفيات الأعيان ١/٢٥ ، نهاية الأرب ٢/٨٩ ، التمثيل والمحاضرة ٩١ ، زهر الآداب ٤/١٥٦ وفيه : تمانت بقوم عن .

باب العِيَادَة أيضاً[١]

قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « عائدُ المريض فى مَخْرَفَةِ[٢] الجنة » .

وقال عليه السلام : « عائدُ المريض يخوض الرحمة ، فإذا قعد عنده غمرته » .

قال مالك : أو نحو هذا .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مِنْ حقِّ المُسْلِم على المُسْلِم أن يُسَلِّم عليه إذا لَقِيَه ، ويَعُودَه إذا مَرِض ، ويُشَمِّتَه إذا عَطِس ، ويُشَيِّعَ جِنازتَه إذا مات ، ويُجِيبَهُ لطعامه إذا دَعَاه » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أفضلُ العيادة أخفُّها » .

وذكر أبو بكر بن أبى شيبة ، قال : حدثنا عبد الرحيم بن سليمان ، عن[٣] الحجاج — يعنى ابن أَرْطَاة — عن المِنْهال عن عَبْد الله بن الحارث ، عن ابن عبّاس ، قال : « من دخل على مريضٍ لم تحضر وفاته ، فقال : أسألُ اللهَ العظيم ، رَبَّ العرش العَظِيم أن يَشْفِيَك ، سبع مرات ، شُفِى » .

قال الشاعر :

إنْ كُنْتُ فِى تَرْكِ العِيَادَةِ تَارِكًا ... حَظِّى فَإِنِّى فِى الدُّعَاءِ لَجَاهِدُ
ولَرُبَّمَا تَرَكَ العِيَادَةَ مُشْفِقٌ ... وأَتَى عَلَى غِلِّ الضَّمِيرِ الحَاسِدُ[٤]

---

(١) ساقط فى ب .
(٢) المخرفة : البستان ، والسكة بين صفين من نخل يخترف المخترف من أيهما شاء .
(٣) ب : ابن .
(٤) البيتان فى محاضرات الأدباء ٢/٥٠٠ ، منسوبين إلى الخوارزمى ووردا من غير نسبة فى عيون الأخبار ٣/٤٦ .

وقال آخر :

إذَا مَرِضْنَا أَتَيْنَاكُمْ نَعُودُكُمُ ... وتُذْنِبُونَ فَنَأْتِيكُمْ فَنَعْتَذِرُ[١]

وقال عبد الله بن مصعب الزبيرى :

مَالِى مَرِضْتُ فَلَمْ يَعُدْنِى عَائِدٌ ... مِنْكُمْ ويَمْرَضُ كَلْبُكُمْ فَأَعُودُ[٢]

فسُمى عائد الكلب .

ولجعفر بن حَذَار الكاتب :

إنَّ العِيَادَةَ يَوْمٌ بَيْنَ يَوْمَيْنِ[٣] ... واقْعُدْ قَلِيلاً كَلَحْظِ العَيْنِ بالعَيْنِ

لا تُبْرِمَنَّ مَرِيضًا فِي عِيَادَتِهِ ... يَكْفِيكَ مِنْ ذَاكَ تَسْآلٌ بِحَرْفَيْنِ[٤]

وللشافعى الفقيه رضى الله عنه ، وقد اشتكى بمصر شكوى عاده فيها بعض إخوانه ، فلمسوا جبينه ، وقالوا له : أنت بخير ونحو هذا ، فقال :

أَقُولُ لِعَائِدِيَّ وَشَجَّعُونِى ... وَغَرَّهُمُ فُتُورُ حِمَى[٥] جَبِينِى

تَعَزَّوْا بالتَّصَبُّرِ عَنْ أَخِيكُمْ ... فَضَجُّوا بالبُكَاءِ وَوَدَّعُونِى

فَلَمْ أَدَعِ الأَنِينَ لِقِلِّ سُقْمِى ... وَلَكِنِّى ضَعُفْتُ عَنِ الأَنِينِ

---

(١) البيت للمؤمل بن أميل ، انظر التمثيل والمحاضرة ٩٠ ، المستطرف ١/٢٢٦ ، ٢/٣٣٢ .

(٢) الكامل ١/٣٢٢ ، المستطرف ٢/٣٣٢ ، عيون الأخبار ٣/٥٢ .

(٣) ب : يوم بيومين ، وفى محاضرات الأدباء والمستطرف: حق العيادة يوم بعد يومين .

(٤) انظر المحاضرات ١/٢٠٩ ، والمستطارف ٢/٣٣٢ ، العقد الفريد ٢/٤٥٠ ، وقد ورد فيه البيت **الأول** :

عيادة المرء يوم بين يومين ... وجلسة لك مثل اللحظ بالعين

وفيه : مساءلة مكان عيادته فى البيت الثانى .

(٥) الحمى بالكسر : السخونة والعرق .

سَأَصْبِرُ لِلْحِمَامِ وَقَدْ أَتَانِي … وَإِلاَّ فَهْوَ آتٍ بَعْدَ حِينِ
وإنْ أَسْلَمْ يَمُتْ قَبْلِي حَبِيبٌ … ومَوْتُ أَحِبَّتِي قَبْلِي يَسُوءُنِي[١]

قال المدائني : سقط عبد الله بن شُبْرُمة القاضي عن دابته ، فوُثِئَتْ[٢] رجله ، فدخل عليه يحيي بن نوفل[٣] الشاعر عائداً له ومادحاً ، وكان جاره ، فأنشده :

أَقُولُ غَدَاةَ أَتَانَا الخَبِيرُ … وَدَسَّ أَحَادِيثَهُ هَيْنَمَهْ[٤]
لَكَ الوَيْلُ مِنْ مُخْبِرٍ مَاتَقُولُ؟ … أَبِنْ لِي وَعَدِّ عَنِ الجَمْجَمَهْ[٥]
فَقَالَ خَرَجْتُ وَقَاضِي القُضَا … ةِ مُنْفَكَّةٌ رِجْلُهُ مُؤْلَمَهْ
فَقُلْتُ وَضَاقَتْ عَلَيَّ البِلادُ … وخِفْتُ المُجَلِّلَةَ المُعْظِمَهْ
فَغَزْوَانُ حُرٌّ وَأُمُّ الوَلِيدِ … إِنِ اللهُ عافى[٦] أَبَا شُبْرُمَهْ
جَزَاءً لِمَعْرُوفِهِ عِنْدَنَا … ومَا عِتْقُ عَبْدٍ لَهُ أو أَمَهْ[٧]

قال : وفي المجلس جارٌ ليحيي بن نوفل ، يعرف ما[٨] في منزله ، فلما خرج تبعه ، فقال له : يا أبا مَعْمر[٩] ! رحمك الله مَنْ غَزْوَانُ وأمّ الوليد ؟ قال : سِنَّوْرَان في البيت ، فاستر عليّ .

---

(١) الأبيات الثلاثة الأول في معجم الأدباء ١/١٩٧ ، والرواية للبيت الأول فيه.أقول لصاحبي وسليماني : الخ .
(٢) وثئت : انفكت ، أو أصابها وجع من غير كسر .
(٣) الحميري اليماني ، كان شاعراً هجاء، وكان مع ذلك ظريفا ذا فكاهة ، انظر في ترجمته الشعر والشعراء ٧١٧ — ٧٢١ ، رغبة الآمل ١/١٣٣ ، ٤/١٨٣ ، ٥/١٤٦ .
(٤) الهينمة : الصوت الخفي .
(٥) الجمجمة : الكلام الذي لايبين .
(٦) ب : عفا .
(٧) الأبيات في عيون الأخبار ٣/٤٨ ، الشعر والشعراء ٧١٩ .
(٨) ا : من .
(٩) ب ، ا ، م يا أبا العمر ، وهو خطأ ، انظر مراجع ترجمته السابقة .

بابُ الحِجَاب

قال رسولُ الله صلىّ اللهُ عليه وسلَّم : «مَنْ وَلِيَ من أمورِ النَّاسِ شيئاً فاحْتَجَبَ عن حاجَتِهِم ، احتجب اللهُ عنه يوم القيامة وعن حاجته ، وخَلّتِهِ وَفَاقته » .

وقال رسولُ الله صَلَّى اللهُ عليه وسلم : « مَنْ رفع حاجةَ ضعيفٍ إلى ذى سُلطان لا يستطيع رَفْعَها ، ثبّت اللهُ قدميه على الصِّراط يوم القيامة » .

حجب معاويةُ أبا الدّرداء يوماً ، وحبسه عند بابه ، فقيل له : يا أبا الدرداء ! ويفعل هذا بك وأنت صاحبُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : من يأتِ أبواب السلطان يَقم ويَقْعد .

قال عبدُ العزيز بن زُرَارَة الكلابى :

دخلتُ عَلَى معاويةَ[1] بن صَخْرٍ عَلَى حِينٍ يئستُ من الدّخولِ
وما نلتُ الدُّخول عليه حتّى حَلَلْتُ محلّةَ الرّجل الذَّليلِ
وأغضَيْتُ الجفون على قَذَاها ولم أَنظُرْ إلى قالٍ وقيلِ
فأدركتُ الّذى أمّلتُ منه بِمُكْثٍ والخطأ زادُ العَجُولِ[2]

حُجب أعرابىٌّ عند باب سُلطان فقال :

أُهِينُ لهم نَفْسِي لأُكرمَها بهم ولن يُكْرِمَ النّفسَ الّذى لا يُهِينُهَا[3]

(١) ب : ابن منصور .

(٢) الأبيات فى عيون الأخبار ١/٨٣ ، التنبية للبكري ٦١ ، وفيهما : ... بن حرب وذلك إذ ، وفى البيت الأخير رواية التنبيه : والخطاء مع العجول .

(٣) فى هامش البيان علق الأستاذ السندوبى على البيت بأنه للحسن بن عبد الحميد ، وقد رؤى وهو يزاحم الناس على باب محمد بن سليمان العباسى ، فقيل له : مثلك يرضى بهذا ؟ فقال البيت . انظر البيان ٣/١١٨ . وانظره فى العقد ١/٨٢ ، عيون الأخبار ١/٩١ .

حدثنى أبو القاسم خلفُ بن قاسم رحمه اللهُ ، قال : حدثنا أبو بكر محمد بن عُبَيْد الله الصَّيْدَلاَنى ، قال : حدثنا علىُّ بنُ سليمان الأخفش ، قال : أنشدنى بعض أصحابنا :

فى كلِّ يومٍ لى بِبَابِكَ وَقْفَةٌ ... أَطْوى إليها سائرَ الأَبْوابِ
فإذا جلستَ وغبتُ عنك فإنّه ... ذنْبٌ عقوبتُه عَلَى البَوّابِ[1]

استأذن أبو سُفيانُ على عثمانَ رضى الله عنـــه ، فأبطأ إذنه ، فقيل حَجَبَك أمير المؤمنين ؟ فقال : لا عدمتُ من قومى من إذا شاء حَجَب .

قال معاويةُ لحُضَيْنِ بنِ المُنْذِرِ : يا أبا سَاسَان ! كأنك لاتحسن[2] أذنك . فأنشأ يقول :

كلُّ خفيف الرّأى يمشى مُشَمِّرًا ... إذا فتح البوابُ بابك إِصْبَعَا
ونحنُ الجلوسُ الماكثُون رزانةً ... وحِلْمًا إلى أنْ يُفْتَحَ البابُ أجمعا[3]

قال زياد لحاجبه : يا عَجْلان ! إنّى ولّيتك ما وراء بابى ، وعَزَلْتُك عن أربعة : طارقِ ليل فشرٌّ[4] ما جاء به ، وخبرِ رسولِ صاحبِ الثغر فإنه إن تأخر ساعة أبطل عمل سَنَة ، وهذا المنادى للصّلاة ، وصاحبِ الطعام فإنَّ الطَّعامَ إذا أُعيد عليه التَّسخين فســـد .

---

(١) البيتان فى عيون الأخبار ١/٩١ ، المستطرف ١/١١٥ .

(٢) ساقط من ا .

(٣) البيان ٢/٢١٧ ، وفيه : وكل خفيف الساق يسعى ، الماكثون توقرا . وانظر عيون الأخبار ٣/٨٨ ، المستطرف ١/١٣ ، العقد ١/٧٩ ، وورد الشطر الأول فيه : رأيت أناساً يسرعون تبادرا .

(٤) ساقط من ب .

قال مروان لابنه عبد العزيز — حين ولاّه مصر — : يا بنيّ ! مُرحاجبَك يخبرْك مَنْ حضر بابك كلّ يوم ، فتكون أنت تأذن وتحجب ، وآنِسْ من دخل عليك بالحديث فينبسطَ إليك ، ولا تعجل بالعقوبة إذا أَسخِط عليك الأمر ، فإنّك على العقوبة أقدر منك على ارتجاعها .

كان يقال : لا تَقُم على باب حتى تدعى إليه .

أقام رجل على باب كسرى سنة ، فلم يؤذن له ، فقال له الحاجب : اكتب كتاباً وخفّفه أُوصِلْه لك . فقال : لا أزيد على أربعة أسطر ، فكتب في السطر الأول : الأملُ والضرورة[١] أقدماني عليك[٢] ، وفي السطر الثاني : [٣]ليس مع العَدَم صبر على الطلب . وفي السطر الثالث[٣] : الرجوعُ بلا فائدة شماتةُ الأعداء ، وفي السطر الرابع : إما نَعَم مثمرة ، وإما لا مؤنسة . فوقع كسرى تحت كل سطر بأربعة آلاف درهم[٤] ، فانصرف بستة عشر ألف درهم .

قال أشجع بن عمرو السُّلَمِي[٥] ، في باب محمد بن منصور بن زياد :

على باب ابن مَنْصُورِ عَلَامَاتٌ من البَذْلِ
جَمَاعَاتٌ وحَسْبُ البا بِ فَضْلا كَثْرةُ الأهْلِ[٦]

---

(١) ب : القدرة .

(٢) ا : على الملك .

(٣) ساقط من ب .

(٤) وقع تحت كل سطر ببدرة .

(٥) ب : السليمي .

(٦) عيون الأخبار ١/٩٠ ، السكاكي ١/١٠١ وبه : وحسب الباب نبلا ، محاضرات الأدباء ١/٢٥٦ .

وقال بشار بن برد :

يَسْقطُ الطَّيرُ حيث يُنْتَثَرُ الحَبُّ (م) وَتُغْشَى مَنَازِلُ الكُرَمَاءِ[١]

وقال حبيب :

إنّ السّماءَ تُرَجَّى حِينَ تُحْتَجَبُ[٢]

وقال آخر :

يَزْدَحِمُ النَّاسُ عَلَى بَابِهِ والمَشْرَبُ[٣] العَذْبُ كَثِيرُ الزِّحَامِ[٤]

وقال عبيد الله بن عكراش :

وإنّي لَأَرْثِي للكرِيمِ إذا غدَا عَلَى طمعٍ عنـد اللَّئِيمِ يُطَالِبُـهْ

وأَرْثي له من وقفةٍ عندَ بابه كَمَرْثِيَتِي للطِّرْفِ والعلجُ راكِبُـهْ[٥]

كتب رجل إلى عبد الله بن طاهر :

[٦]إذا كان الجوادُ له حجابٌ فما فَضْلُ الجوادِ عَلَى البَخِيلِ

فأجابه عبد الله بن طاهر[٦] :

إذا كان الجوادُ قليلَ مالٍ ولم يُعْذَرْ تَعَلَّلَ بالحِجَابِ[٧]

(١) المختار من شعر بشار ٩٣ ، البيان ١/١٨٢ ، ١٨٨ ، عيون الأخبار ١/٩١ ، ٣/٢٦ ، نهاية الأرب ٣/٧٧.
(٢) صدره : ليس الحجاب بمقص عنك لى أملا . انظر ديوانه ٤٢ .
(٣) ب : والمشرع وكذلك فى عيون الأخبار ، وفى المحاضرات : والمنهل .
(٤) البيت لبشار ، المختار من شعره ٩٥ ، الكامل ١/١٠١ ، محاضرات الأدباء ١/١٤١ ، معجم الأدباء ٦/٢٢٦ ، عيون الأخبار ١/٩٠ .
(٥) البيان والتبيين ٣/٢٠١ ، عيون الأخبار ١/٨٩ ، والطرف : الجواد الكريم .
(٦) زيادة من ب .
(٧) البيت والذى سبقه فى المحاسن والمساوىء ١/١٢٦ ، المستطرف ١/١١٣ ، عيون الأخبار ١/٨٩ . محاضرات الأدباء ١/١٠٣ ، العقد الفريد ١/٨٦ ، وفيه : الكريم مكان الجواد ، فى البيتين .

وقال البحتري :

أَتَيْتُكَ لِلتَّسْلِيمِ لا أَنَّنِي امْرُؤٌ طلبْتُ بإتْيانيك أَسْبَابَ نَائِلِكْ
فألفيت بَوَّابًا ببابك مُغْرِمًا بهدمِ الّذى أوطأتَهُ من فضائِلِكْ
وقد قيل قِدْمًا حاجبُ المرءِ عاملٌ عَلَى عِرْضه فاحذرْ جناية عامِلِكْ
وكن عالمًا أن لستُ من بعدُ راجعًا إليك ولو كان الهُدَى من رسائِلِكْ[١]

ولعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود إلى عمر بن عبد العزيز :

يا عُمَرَ بنَ عُمَرَ بن الخطّابْ إن وقوفَ الحرِّ عند الأبوابْ
يدفعه البوّابُ بعد البوابْ يَعْدِلُ عند الحرّ قَلْعَ الأنْيابْ[٢]

قال بعض الأكاسرة لحاجبه : لا تحجب عنى أحداً إذا أخذت مجالسى ، فإن الوالى لا يحجب إلا عن ثلاث : عىّ يكره أن يُطّلع عليه ، أو بخل فيكره أن يدخل إليه من يسأله ، أو ريبة .

وقد نظم هذا كله محمود الوراق فقال :

إذا اعْتَصَم الوالى بإغلاقِ بابه وردّ ذَوِى الحاجاتِ دُون حِجَابِهِ
ظننتُ به إحدى ثلاثٍ وربّما نزعتُ بظنٍّ واقعٍ بصَوَابِهِ
فقلتُ به مسّ[٣] من العِيِّ قاطعٌ ففى إذنه للنّاس إظهارُ مَا بِهِ
فإن لم يَكُ عِيُّ اللسان فغالبٌ من البُخْل يَحْمِى[٤] ماله عن طِلاَبِهِ

---

(١) لم أعثر عليها فى الديوان ، ووردت فى العقد ٨٧/١ بدون نسبة .
(٢) نسب البيتان فى المؤتلف ١٦٩ إلى كثير بن كثير السهمى .
(٣) ا : شىء .
(٤) ب : يحمى .

فإن لم يكن هٰذا ولاذا قَرِيبةٌ   يُصِرُّ عليها عند إغلاقِ بَابِهِ[(١)]

وله أيضاً :

لولا مُقَارَفَةُ الرِّيَبْ   ما كنتَ مِمّنْ يَحْتَجِبْ
أَوْ لاَ فَعِيٌّ فيك أو   بُخْلٌ عَلَى أهْلِ الطَّلَبْ
فاكْشِفْ لَنَا وَجْه العِتَا   بِ ولا تُبَالِ مَنْ عَتَبْ

وقد جمع منصور الفقيه هذا المعنى فى أقلِّ نظم ، فقال :

وَطُولُ الحجاب مُخَبِّرٌ   عن عِيٍّ صاحبه وبُخْلِهْ
فإذا الفتى لم يَسْتَبِن   هــذا تبيّن ضَعْفَ عقلِهْ

وأرفع من[(٢)] هذا قول زهير :

السِّتر دون الفاحشاتِ وما   يلْقَاكَ دُونَ الخيْرِ من سِتْرِ[(٣)]

قصد إبراهيم بن المهدى يحيى بن خالد فحجبه ، فكتب إليه إبراهيم :

إنى أتيتك للسّلام ولم   أَنْقُلْ إِلَيْكَ لحاجةٍ رجْلِي
فحُجِبتُ دُونَك مرّتين وَقد   تشتدّ واحدةٌ عَلَى مِثْلِي

---

(١) عيون الأخبار ١/٨٤ ، المحاسن والمساوىء ١/١٢٦ .

(٢) ب : مافى .

(٣) ا : ومانلق دون خير من مستر ، وقد أثبتنا رواية ب لموافقتها مختلف الروايات ، وانظره فى ديوانه ٩٥ ، التمثيل والمحاضرة ٤٧ ، زهر الآداب ٣/١٢٨ ، نهاية الأرب ٣/٥٩ ، الأمالى ١/٩١ .

وقال آخر :

سأتركُ باباً أنت تملكُ إذنَه ... وإن كنتُ أعمى عن جميع المسَالكِ

فلو كنتَ بوّابَ الجِنَان تركتُها ... وحوّلتُ رجلى مُسْرعاً نحو مَالِكِ(١)

وقال محمود الوراق :

سأتركُ هذا البابِ مادام إذْنُه ... كمَهْدِى به حتّى يَخفَّ قليلاَ

وما خابَ من لم يأته مُتَعَمِّدا ... ولا فازَ مَنْ قد نال منه وُصُولاَ

(٢وما جُعِلَتْ أرزاقُنا بيد امرىءٍ ... حَمى بَابه من أن يُنالَ دُخُولاَ ٢)

إذا لم أجدْ يوماً إلى الإذنِ سُلَّماً ... وجدتُ إلى تَرْكِ المجىءِ سَبِيلاَ(٣)

وقال آخر:

على أىِّ بابِ أطْلُبُ الإذْنَ بَعْدَمَا ... حُجِبتُ عن البابِ الذى أنا حَاجِبُه(٤)

وفى معني هذا قول الفرزدق :

وكان يُجيرُ النّاسَ من سيفِ مالكِ ... فأصبح يَبْغِى نَفْسَه من يُجيرُهَا(٥)

---

(١) المحاسن والمساوىء ١/١٢٦ ، المستطرف ١/١٤ ، عيون الأخبار ١/٨٥ .

(٢) ساقط من ب .

(٣) اضطرب فى نسبة هذه الأبيات إلى صاحبها اضطرابا كبيراً ، فقد نسبها المرزبانى فى معجم الشعراء٤٣١ أولا إلى السديرى أبى نبقة واسمه محمد بن هشام بن أبى خميصة ، ثم نسبها مرة ثانية فى ص٤٤٨ إلى محمد بن أبى عمران ، ووافقه الراغب فى المحاضرات١/١٠٢ ، ونسبت فى المستطرف ١/١١٤ ، إلى أبى تمام ولا توجد فى ديوانه ، ونسبت فى وفيات الأعيان ٢/٢٧٦ إلى أبى العميثل عبد الله بن خليد ، وانظرها فى العقد ١/٨٦ ، ٨٩ بدون نسبة .

(٤) البيت للتوت اليمامى عبد الملك بن عبد العزيز المعروف بتويت انظر البيان ٢/٤٠٠ وانظره فى معجم الأدباء ٣/٢٥٨ ، عيون الأخبار ١/٨٥ .

(٥) ديوانه ٧٣ ، البيان ٢/٣٤٠

وقال آخر :

ولست بمتّخذٍ صَاحبًا ... يقيمُ على بَابِهِ حَاجبَا
ويُلْزمُ إخوانَه حَقَّهُ ... وليس يَرَى حَقّهم وَاجِبًا[١]

وقال أبو تمام :

هَشٌ إذَا نَزَلَ الوفودُ ببابِهِ ... سَهْلُ الحجابِ مُهَذّبُ الخُدّامِ
وإذا رأيتَ صديقَهُ وشقيقَهُ ... لم تدرِ أيُّهما أخو الأَرْحَامِ[٢]

وقال أبو العتاهية فى عمرو بن مسعدة :

مَالَكَ قد حُلْتَ عن وفائِكْ[٣] واسـ ... ـتَبْدلْتَ يا عمرُو شيمةً كَدِرَهْ
[٤]ما لِىَ فى حاجةٍ إليْكَ سِوَى ... تسهيلُ إذْنى فإنها عَسِرَهْ[٤]
إنّى إذا البابُ تاه صَاحِبُه[٣] ... لَمْ يَكُ عندى لتركه نَظِرَهْ
لَسْتُمْ تُرَجَّوْنَ للحِسَابِ ولا ... يومَ تكونُ السَّمَاءُ مُنْفطِرَهْ
لكن لِدُنْيَا تكونُ بَهْجَتُهَا[٣] ... سريعةَ الإنقِضَاءِ مُنْشَمِرَهْ
قد كانَ وجْهِى لَدَيْكَ معْرِفَةً ... فاليومَ أَضْحَى باباً[٣] من النَكِرَهْ[٥]

(١) عيون الأخبار ١/٨٥ .
(٢) يروى البيت الأول : سهل الفناء إذا حلات ببابه طاق اليدين مؤدب الخدام ويروى : ذوو ، مكان أخو فى البيت الثانى ، والبيتان ليسا لأبى تمام بل وردا فى حماسته فقط ، وقد نسبهما هو نفسه لمحمد بن بشير الخارجى فى الحماسة ١/٢٤٠ ، ٣٤١ ، ووردا مرتين فى معجم الشعراء ص ٢٤٥ ، ٤١٢ ، ونسبا فى الأولى لأبى البلهاء عمير بن عامر مولى يزيد بن مزيد الشيبانى ، وفى الثانية لمحمد بن بشير الخارجى ، وقد نسبا فى البيان والتبيين ١/١٧٩ ، والعقد الفريد ٢/٣١٥ عيون الأخبار ١/٨٩ إلى ابن هرمة ، وانظرهما فى : محاضرات الأدباء ٢/٢ المحاسن والمساوىء ١/١٢٤ من غير نسبة .
(٣) رواية الديوان للكلمات التى عليها نفس الرقم بالترتيب : إخائك ... حاجبه ... كالظل ... حرفا .
(٤) ساقط من ب .
(٥) الديوان ٣٢٦ .

كتب أبو مِسْهَر إلى أبى جعفر محمد بن عَبْدِكَان ، وكان قد حُجِب على بابه :

إنى أتيتُك للسَّلاَمِ أَمْسِ فَلَمْ تأذنْ عَلَيك لِىَ الأَسْتارُ والحُجُبُ
وقد علمتَ بأنى لَمْ أُرِدَّ وَلاَ والله ماردّ إلاّ الحديثُ والأَدَبُ[1]

فأجابه محمد بن عبدكان :

لو كنتَ كافأتَ بالحُسْنَى لقلتَ كَمَا قال ابنُ أَوْسٍ ففى أشْعَاره أَدَبُ
لَيْسَ الحجَابُ بِمُقْصٍ عَنْكَ لِى أَمَلاً إِنّ السَّماءَ تُرَجّى حينَ تُحْتَجَبُ

وقال منصور الفقيه :

إن الحِجَابَ عَذَابٌ وليْسَ لِى بالعَذَابِ
كَلاَّ[2] فلا تَعْذِلُونى عَلَى اتّصَالِ اجْتِنَابِى

وله أيضاً :

إذا كان لابدَّ من حَجْبَةٍ ومِنْ حاجبٍ فاجْعَلُوه رَفِيقَا
يخاطبُ من جاءَهُ بالجميل فيأتى صديقاً ويَمْضِى صَدِيقَا

---

(١) فى العقد١/١٨٠ ، للتسليم مكان السلام ، وفيه : ولا والله مارد إلا: الحديث والعلم والأدب .
(٢) ب : إذاً .

بابُ المُصافَحَةِ وتَقبيلُ اليَدِ والفَمِ

قال رسولُ اللهِ صلّى اللهُ عليه وسلّم : « تَصافَحُوا يذهب الغِلّ[1] » .

وقال رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم : « إذا الْتَقى المُسلِمَانِ وتَصَافَحَا تَحاتَتْ ذنوبهما كما يَتَحاتّ[2] الشَّجر » .

كان رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم ، إذا صافح رجلاً لم ينزعْ يدَه من يده حتى يكونَ الرّجلُ هو الذى ينزَعُ يدَه من يده .

قال أبو مخلد : المصافَحة تجلبُ المحبة .

كان يقال : تحيةُ المؤمنين المصافحةُ والسَّلام .

قال الشّاعر :

قد يَمكُثُ النّاسُ دهرًا لَيسَ بَيْنَهُمُ ... وُدٌّ فيزرعُهُ التَّسليمُ واللُّطفُ

لما حضر رسول الله صلّى اللهُ عليه وسلم بنى قريظة ، وأرادوا النزول على حكم سعد بن معاذ ، وكان قد تخلف بالمدينة لجرحٍ أصابه بعث إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما قدم عليه ، قال للأنصار : « قوموا إلى سَيّدكم » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من سرّهُ أن يمثُلَ له الرجالُ قياماً فليتبوأ مقعده من النار » .

ومذهب الحديثين أنه جائز للرجل أن يكرمَ القاصد إليه إذا كان كريم قوم ، أو عالمهم ، أو من يستحقّ البرّ منهم بالقيام إليه أو يرضى بذلك منهم .

---

(١) الغل بالكسر : الحقد والضغن .

(٢) حته : فركه وقشره ، وتحات الشجر : سقط ورقه .

قال ابن المُسَيّب البغدادى ، جار[١] ابن الرومى :

أقومُ ومَا بِى أنْ أقومَ مَذَلّةٌ عَلَىّ وإنّى للكرامِ مُذَلَّلُ
على أنَّها مِنّى لَغيرِكَ هُجْنَةٌ ولكنّها بَيْنِى وَبيْنَكَ تَجْمُلُ[٢]

كان يقال : تقبيل[٣] اليد إحدى السجدتين .

تناول أبوعبيدة بن الجراح يد عمر ليقبّلها ، فقبضها ، فتناول رجله ، فقال : مارضيت منك بتلك فكيف بهذه ! !

دخل عَقَّالُ بنُ شَبَّةَ على هِشَامِ بن عبد الملك ، فأراد أن يُقَبِّل يده فقبضها ، وقال : مه . فإنه لم يفعل هذا من العرب إلا هَلُوع ، ومن العجم إلا خَضُوع .

قال الحَسَن : قُبْلة يدِ الإمام العَدْل طاعة .

كان يقال : قبلةُ الرّجل زوجتَه الفَمُ ، وقبلةُ الوالد ولدَه الرأس ، وقبلة الأمِّ الولدَ الخدُّ ، وقبلةُ الأخت الأخ العُنُق .

قال علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه : قبلة الوالد عبادة ، وقبلة الولد رحمة ، وقبلة المرأة شهوة ، وقبلة الرجل أخاه دين .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « العينان تزنيان ، وزناؤهما النظر ، والفم

---

(١) ب قال ، ا : خال .
(٢) محاضرات الأدباء ٢/ ١٧ ، ولم ينسبه ، وقد بحثت فى ديوان ابن الرومى لاحتمال كونهما له ، فلم أعثر عليهما فيه وقد سبقا فى ص ٤٤ .
(٣) ساقط فى ب.

يزني ، وزناؤه القبل[١] ، واليد تزني ، وزناؤها اللمس ، ويُصَدِّق ذلك كله الفرج أو يكذبه » .

قال الهَيْثَمُ بن عَدِيّ ، قال لي صالحُ بنُ حَيّان : مَنْ أفقهُ الشّعراء ؟ فقلت : الختلاف في ذلك . فقال : أفقهُ الشعراء وَضَّاحَ اليمن[٢] ، حيث يقول :

إذا قلتُ هاتي ناوليني تَبَسّمتْ ... وقالت: معاذَ اللهِ مِنْ فِعْلِ ماحَرُمْ

فما نَوَّلَتْ حتَّى تَضَرّعتُ عِنْدَها ... وأعلمتُها ماأرخَصَ اللهُ في اللَّمَمْ[٣]

(١) ا : القول .

(٢) هو عبد الرحمن بن إسماعيل بن عبد كلال ، شاعر رقيق الغزل ، قتله الوليد بن عبد الملك ، لتغزله في زوجته أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان ، انظر الأغاني ٦/٣٠ — ٤٤ .

(٣) البيتان في محاضرات الأدباء ١/٢١٠ ، وفيات الأعيان ٦/٦٦ .

بابُ الرَّسُول

ذكر ابن الأنبارى ، عن ثعلب ، عن ابن الأعرابى ، قال : الرَّسُول والرَّسِيل والرّسالة سواء .

وينشد هذا البيت على وجهين :

لقد كَذَبَ الواشُونَ مابُحْتُ عندهم ... بسرٍّ ولا أَرْسَلْتُهُمْ بِرَسُولِ[1]

[2]ويروى برسيل[2] .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا أبردتم[3] إلىّ بريداً ، أو بعثتم رسولا ، فليكن حَسَن الوجه ، حَسَن الاسم ، وإذا سألتم الحوائج فاسألوا حسان الوجوه » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الرجل الصّالح يجىء بالخبر الصالح ، والرجل السّوء يأتى بالخبر السّوء » .

أنشد أبو حازم القاضى ببغداد :

وأتانا عن النبيِّ حديثاً ... نِ[4] إليهِ كِلاهُما يُسْنَدَانِ[4]

واحِدٌ فى الحاجاتِ يَأْمُرُنا أَنْ ... نَبْتَغِي مِنْ ذَوِى الوُجُوهِ الحِسَانِ

ثم فى الفَألِ حبُّهُ حُسْنَ الاسْـ ... ـمِ وهٰذانِ فيك مُجْتَمِعانِ

ومعاذَ الإلهِ أن يُلْفَيا فيـ ... ـكَ كما جاءَ عنه[5] لا يَصْدُقَانِ

---

(١) البيت لكثير ديوانه ٩٢ ، الأمالى ٢/٦٣ ، وفيهما : بليلى ... برسيل .

(٢) ساقط من ب .

(٣) ب : أمرتم .

(٤) ساقط من ب ، وفى ا : كلاهما عن النبى يسندان ولا يستقيم معها الوزن .

(٥) فى ا : عدلا .

كان عبدَ الملك بن مروان إذا وَلَّى رجلاً البريدَ ، سأل عن صدقه وعفته وأمانته، وقال : إن كذبه يشككك فى صدقه ، وشرّه يحمله على كتمان الحق ، وعجلته تهجم به على ما يندمه ويؤثمه .

قالوا : الرسول قطعة من المرسل .

قال عمرُو بنُ العاص : ثلاثةٌ دالّة على صاحبها : الرسول على المرسل ، والهدية على المهدى ، والكتاب على الكاتب .

لما قال عمر بن أبى ربيعة :

مَنْ رسولى إلى الثُّرَيّا فإنِّى ضقتُ ذَرْعاً بهجرِهَا(١) والكِتَابِ
هى مكنونةٌ تَحَيَّرَ منها فى أديمِ الخدَّيْن ماءُ الشّبابِ
أَبْرَزُوها مِثْلَ المَهاةِ تَهَادَى بَيْنَ خمسٍ كواعبٍ أَتْرَابِ
ثم قالوا : تحبها ؟ قلتُ : بَهْرًا عَدَدَ القَطْرِ والحَصَى والتّرابِ(٢)

قال له ابن أبى عتيق : والله لا كان المبلغ لهذا الشعر غيري . فارتحل من المدينة حتى أتى مكة ، فصادف الثريا فى الطواف . فقالت له : ياابن أبى عتيق ! ماجاء بك، وليس هذا أوان الحج ؟ فقال : أبيات لعمر . فقالت : أنشدنى . فأنشدها الأبيات حتى أتى على آخرها . فقالت : أدى الله أمانتك ، فقد أديت . قال : فضرب راحلته ورجع .

قال صالح بن عبد القدوس:

إذا كنتَ فى حاجةٍ مُرْسِلاً فأرسلْ حَكِيمًا ولا تُوصِهِ

(١) ب : بحبها .
(٢) ديوانه ٢٦ .

وإن بابُ أمرٍ عَلَيْكَ الْتَوى فشاوِرْ لبيبًا ولا تَعْصِهِ[(١)]

سمع الخليلُ بنُ أحمد رجلاً يُنْشد بيت صالح هذا :

إذا كنتَ فى حاجةٍ مُرْسِلاً فأَرْسِلْ حَكيمًا ولا تُوصِهِ

فقال : هو الدِّرهم .

[(٢) وقال آخر :

وما أَرْسَلَ الأقوامُ فِي حاجةٍ أَمْضَى ولا أَنفَعُ مِنْ دِرْهَمِ

يأتيك عَفْوًا بالّذِي تَشْتَهِي نِعْمَ رَسُولُ الرَّجُلِ الْمُسْلِمِ[(٣)]

ولبعض المتأخرين من أهل عصرنا :

إذا ما كنتَ متّخذًا رسولاً فلا تُرْسِلْ سِوَى حُرٍّ نبيلِ

فإن النُّجْحَ فى الحاجاتِ يأْتِى لِطَالبها على قَدْرِ الرَّسُولِ

وقال الراجز :

ما مُرْسَلٌ أنجحُ فيما نَعْلَمُ مِنْ طَبَقٍ يُهدَى وهذا الدِّرْهَمُ[(٤)]

وقال منصور الفقيه :

أرسلتُ فى حاجةٍ رسولاً يُكْنَى أَبَا دِرْهَمٍ فتَمَّتْ

ولو سِوَاهُ بَعَثْتُ فِيهَا لم تَحْظَ نَفْسِي بما تَمَنَّتْ

---

(١) انظرهما فى الموشح للمرزبانى ١٦ ، وقد ورد البيت الأول فى حماسة البحترى ١٩٨ منسوبا إلى عبدالله معاوية الجعفرى .

(٢) يبدأ من هنا سقط كبير فى نسخة ب .

(٣) محاضرات الأدباء ١/٢٤٠ . عيون الأخبار ٣/١٢٣ .

(٤) البيت فى عيون الأخبار ٣/١٢٣ .

بابُ الهَدِيَّة

قال رسولُ اللهِ صلّى اللهُ عليه وسَلّم : « الهديةُ رزقٌ من رزق الله ، فمن أهدى إليه شيءٌ فليقبلْه ولا يردّه ، وليكافئْ عليه » .

وقال صلى اللهُ عليه وسلّم : تَهادوا فإنّ الهدية تُذْهِبُ السّخيمة[1] ، وتزيل وَحَرَ[2] الصدور ، ولا تحقرن جارة لجارتها ، ولو فِرْسِنْ شاة[3] » ، وكان رسولُ الله صلى اللهُ عليه وسلم ، يقبل الهدية ، ويثيب عليها أفضل منها .

وقال صلى اللهُ عليه وسلم : « لو أُهْدِى إلىّ ذراع لقبلت ، ولو دُعيتُ لِكراع لأجبت » .

قال رجل لأبى ذر : فلان يقرئك السلام . فقال : هدية حسنة ، وحمل خفيف .

وقال علىٌّ بن أبى طالب رضى اللهُ عنه : نعم الشىء الهديةُ أمام الحاجة .

وقد حدثنا ابنُ صاعِد،قال : حدثنا زياد بن يحيى أبو الخطاب ، حدثنا أبو عتّاب الدَّلاّل ، حدثنا عثمانُ بنُ عبد الرحمن ، حدثنى الزُّهْرى ، عن عبد الله بن وَهْب بن زَمْعَه عن أم سلمة ، عن النبى صلّى اللهُ عليه وسلم، قال: « الهدية تُذْهِب السّخيمَة». قيل : وما السَّخيمة ؟ قال : « الإحْنَة تكون فى الصُّدُور » .

وعن الهيثمُ بن عَدِىّ ، قال : كان يقالُ : ماارْتُضِىَ الغَضْبَان ، ولا استُعطف السُّلطان ، ولا سُلّبت الشَّحْناء ، ولا دُفِعَتِ المغارم، ولا تُوُقِّىَ المحذور،ولا اسْتُعمل المهجورُ ، بمثل الهَدِية والبِرّ .

---

(١) السخيمة : الحقد والعداوة .

(٢) الوحر : الحقد .

(٣) فى الأصل : [illegible] والفرسن : [illegible] ظلفها ، النهاية ٣/٤٢٩ .

قال رسولُ الله صلى اللهُ عليه وسلّم : « من أهْدِيَتْ إليه هَدية فجلساؤُه شركاؤُه فيها » .

قال أبو إسحاق الصَّابى :

رويت فِي السُّنةِ المشْهُورةِ البَرَكَهْ … أنّ الهدِيَّةَ فِي الجلاَّسِ مُشْتَرَكَهْ[1]

كان يزيدُ بنُ قيس الأرْحَبِيّ ، والياً لعلى رضى الله عنه ، فأهدى إلى الحسن والحسين رضى الله عنهما وترك ابن الحنفية ، فضرب علىّ رحمه الله على جنب ابن الحنفيه ،وقال :

وما شَرُّ الثَّلاثَةِ أُمَّ عَمْرٍو … بصَاحِبِكِ الَّذى لَمْ تُصْبِحِينَا[2]

روى عن النبي صلى اللهُ عليه وسلّم أنه قال للقرابات:« تزاوَرُوا ولا تجَاوَرُوا، وَتَهادَوْا فإن الهدّية تثبت المروءة ، وتَسْتَلُّ السّخيمة » .

أصبح عند علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه بالكوفة يوم نيروز هدايا كثيرة وتحف ، فأنكر ذلك . فقالوا له : إنه يوم النيروز . قال : فنيرزوا لنا إذاً كل يوم .

قال أبو عُمر : كان هذا منه رضى الله عنه – إن صَحّ – قبل أن يدخل الكوفة، وأن يكون خليفة ، لأن المحفوظَ عنه من رواية الثقات أنه كان لا يقبل هديةَ نيروز ولا مهرجان ، وأنه كان يأخذُ ما أهدَى إليه عمالُه فيضعُه فى بيت المال – مال المسلمين .

---

(١) التمثيل والمحاضرة ٤٦٨ ، وقد نسبه الثعالبى فيها إلى الصاحب بن عباد .

(٢) البيت لعمرو بن كلثوم من معلقته المشهورة ، انظره فى جمهرة أشعار العرب ١٥٨ ، التمثيل والمحاضرة ٥٤ ، نهاية الأرب ٣/٦٤ .

قال يونُسُ بن عبيد : أتيت ابن][1] سيرين يوماً ، ومعى خبيص[2] ، فقلت : قولوا له: يونس بالباب . فقال — وأنا أسمع — : قولوا له : قد نام . فقلت : إن معى خبيصاً . قال : كما أنت حتى أخرج إليك .

قال الشاعر :

هَدايا النّاسِ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ تُوَلِّدُ فى قُلُوبِهِمُ الوِصَالاَ
وتَزْرَعُ فى الضّمير هَوىً ووُدًّا ويَكْسُوهُمْ إذَا حَضَرُوا جَمالاَ[3]

قال أبو عَوَانة : قلت للأعمش : يا أبا محمد ! إن عندى بطة سمينة ، أفتكون عندى فى الدار ؟ قال : وما تصنع بعنائى ؟ ! ابعثْ بها إلى الدار .

قال الشاعر :

إنّ الهَدَايا لَهَا حَظٌّ إذا وَرَدَتْ أَحْظَى مِنَ الإِبْنِ[4] عِنْدَ الوَالِدِ الحَدِبِ

وقال آخر :

ما مِنْ صَدِيقٍ وإنْ أَبْدَى مَوَدّتَه يَوْمًا بأَنْجَحَ فى الحَاجَاتِ مِنْ طَبَقِ
إذا تَلَثّمَ بالمِنْدِيلِ مُنْطَلِقًا لَمْ يَخْشَ صولةَ[5] بَوابٍ ولا غَلَقِ
لا تكذبَنّ فإنّ النّاسَ قد خُلِقُوا لرغبةٍ يُكْرِمُونَ النّاسَ أو فَرَقِ

(١) إلى هنا ينتهى النقص من نسخة ب .
(٢) نوع من الأطعمة يصنع من التمر والسمن .
(٣) نسب البيتان لابن قم الزبيدى الحسين بن على المتوفى سنة ٥٨١ ﻫ ، فى معجم الأدباء ١٠/١٤٧ ، وقد وردا فى ديوان أبى العتاهية ٣٤٢ .
(٤) ب : الأمن .
(٥) ب : سطوة .

أَمّا الفَعَالُ فعِنْدَ النَّجْمِ مَطْلَعُه ... والقَوْلُ يُوجَدُ مَطْرُوحاً عَلَى الطُّرَقِ(١)

وقال آخر :

أهدى إليه حَبِيبُه أُتْرُجَّةً ... فبَكَى وأَشْفَقَ مِنْ عِيَافَةِ زَاجِرِ
خَوْفَ التَّبَدُّلِ والتَّلَوُّنِ إِنَّها ... لَوْنَان باطِنُها خِلاَفُ الظَّاهِرِ(٢)

بعث أبو العتاهية إلى الفضل بن الربيع بنعل، وكتب معها :

نعلٌ بعثتُ بها لتَلْبَسَها ... تَمْشِي بها قَدَمٌ إلى المَجْدِ
لو كان يَحْسُنُ أن أُشَرِّكَها ... خَدّى جَعَلْتُ شِرَاكَها خَدِّى(٣)

أهدى الطائى إلى الحسن بن وهب قلماً، وكتب إليه :

قد بَعَثْنا إليكَ أَكْرَمَكَ اللّـــهُ بِشَىءٍ فكُنْ لَهُ ذا قَبُولِ
لا تَقِسْهُ إلى نَدَى كَفِّكَ الغَمْـ ... ـرِ ولا نَيْلِكَ الكَثِيرِ الجَزِيلِ
واغْتَفِرْ قِلَّةَ الهَدِيَّةِ مِنِّى ... إِنَّ جُهْدَ المُقِلِّ غَيْرُ قَلِيلِ(٤)

أولم إسحاق بن إبراهيم الموصلى وليمة، فأهدى إليه إخوانه هدايا، وأهدى إليه إبراهيم بن المهدى جراب ملح وجراب أشنان(٥) مطيب، وكتب إليه رقعة :

---

(١) الأبيات فى محاضرات الأدباء ١/١٩٩ ، عيون الأخبار ٣/١٢٣ .

(٢) البيتان لـكلثوم بن عمرو العتابى ، انظر زهر الآداب ٤/٨٧ ، وفيه : أهدى له أحبابه ، وانظر العقد الفريد ٢/٣٠٢ محاضرات الأدباء ٢/٢٥٩ .

(٣) البيتان فى الديوان ٨٠ ، عيون الأخبار ٣/٣٩ ، البيان ٣/١٢٢ ، العقد الفريد ٦/٢٨٣ وشراك النعل : سيوره التى يشدبها .

(٤) لم أعثر على هذه الأبيات فى الديوان ، وقد وردت منسوبة إليه أيضا فى العقد الفريد ٦/٢٨٥ ، عيون الأخبار ٣/٣٩ .

(٥) الأشنان بضم الهزة وكسرها : نبات حلاء ينق تغسل به الأيدى والأسنان .

فداك أخوك عنده ، لولا أن البضاعة تقصر لجُزْتُ السَّابقين إلى برِّك ، وكَرِهْتُ أن تطوى صحيفة البرّ ولاحظّ لى فيها ، فوجّهتُ إليك بالمبتدأ به ليمنه وبركته ، والمختوم به لطيبه ونظافته ، جرابُ ملح وجراب أشنان ، هدية من يحتشم(١) إلى من لايغتنم ، وكتب أسفل الرقعة :

هَدِيَّتِي تَقْصُرُ عن هِمَّتِي ... وهِمَّتِي تَعْلُو عَلَى مَالِي
وخَالِصُ الوُدِّ ومَحْضُ الهَوَى ... أَحْسَنُ مَا يُهدِيهِ أَمْثَالِي(٢)

بعث رجل إلى دعبل بأضحية ، فكتب إليه دعبل(٣) :

بعثت إِلَيْنَا بأُضْحِيَّةٍ ... وكنتَ حرِيًّا بأَنْ تَفْعَلَا
ولكنَّهَا خَرَجَتْ غثَّةً ... كأنكَ أَرْعَيْتَهَا حَرْمَلَا(٤)
فإنْ قَبِلَ اللهُ قُرْبَانَها ... فَسُبْحَانَ رَبِّكَ ما أعْدَلَا

قال قَتَادَة : يُعرف سخف الرجل فى سخف هديته . قال ذلك فى نعل أهديت إليه .

ولى فى هذا :

سَخَافَةُ المَرْءِ تُدْرَى فِى هَدِيَّتِهِ ... والنَّوْكُ واللُّؤْمُ فيها(٥) يَظْهَران مَعَا
إنّ اللئِيمَ إذا أهدى هَدِيَّتَهُ ... أَبْدَى نَذَالَتَهُ فيها لمن سَمِعَا

(١) ب : من لايحتشم .
(٢) ورد البيتان منسوبين إلى محمد بن مهدى العكبرى فى معجم الشعراء ٤٣٠ ، وانظر هذه القصة مع اختلاف فى بعض ألفاظها فى العقد الفريد ٢/٢٨٤ .
(٣) الأبيات له فى عيون الأخبار ٣/٤٣ .
(٤) الحرمل : نبات مر صغير كالسمسم ، لاتأكله إلا المعزى .
(٥) زيادة من ا .

ولخلف الأحمر :

سَقَى حُجَّاجَنَا نَوْءُ الثُّرَيَّا ... عَلَى مَا كَانَ مِنْ بُخْلٍ ومَطْلِ[١]
هُمُ[٢] جَمَعُوا النِّعَالَ وأَحْرَزُوها ... وسَدُّوا دُونَهَا[٢] بابًا بِقُفْلِ
إذا أهديتُ فاكهةً وشَاةً ... وعَشْرَ دَجَائِجٍ بَعَثُوا بِنَعْلِ
ومِسْوَاكَيْنِ طُولُهُمَا ذِرَاعٌ ... وعَشْرٌ من ردىءِ الْمُقْلِ خَشْلِ[٣]
فإِن أهديتُ ذاك لَتحْمِلُونِي ... على نعل فدَقّ اللهُ رِجْلِي
أناسٌ يَأْنَفُونَ[٢] لهم رُوَاءٌ ... تَغِيمُ[٢] سماؤُهم من غَيْرِ وَبْلِ
إذا انْتَسَبُوا ففرعٌ من قريشٍ ... ولـكنّ الفِعَالَ فعَالُ عُكْلِ[٤]

وقال آخر فى جار له أتى من الحج لم يهد إليه شيئاً :

عَبّاسُ ما وَجْهُك بالهشِّ ... ولا أُبْرِئكَ من الغِشّ
لم تُهْدِلِى نَعلاً ولا مُقْلَةً ... كأنَّمَا جِئتَ من الحُشّ[٥]

ولمنصور الفقيه — يداعب صديقاً يكنى أبا نصر ، ويسمى فتحاً، قدم من الحج — شعرٌ حسنُ النظم مليح المعنى ، رأيت إيراده لحسنه :

سألتُ الحجيجَ وقد أقبلُوا ... يَؤُمُّونَ مِصرَ مِنَ أرْضِ الْحَرَمْ
فقلتُ لهم — بعد إينَاسِهِمْ — : ... أفَتْحٌ بِمَكَّةَ أَمْ قد قَدِمْ ؟

---

(١) ا : من مطل وبخل .
(٢) ب : تائهون .
(٣) المقل : ثمر شجر الدوم ، والخشل منه : رديئه أويابسه .
(٤) وردت الأبيات الأربعة الأولى فى البيان ٣/١١٢ ، محاضرات الأدباء ١/١٦٣ . وانظرها جميعاً فى عيون الأخبار ٣/٣٨ ، الشعر والشعراء ٧٦٤ .
(٥) الحش مثلثة الحاء: المخرج الذى يقضون حوائجهم فيه .

فقالوا : ترحَّـــلَ من قَبْلِنَا　　لعَشْرٍ لَيَالٍ توالتْ حُـرُمْ
فقلت : بحُرْمةِ من زُرْتُمُ ؟　　أحقًّا تَقُولُون ؟ قالوا : نَعَمْ
فأقبلتُ فى صَرْخَةٍ مِنْهُمُ　　وقَلْبِى مِمّـا بِهِ يَضْطَرِمْ
أعَــدِّدُ آلاءَهُ والجُفُونُ　　مَسَافِيحُ بالدَّمْعِ والدَّمْعُ دَمْ
فصادفنى صَالِحٌ عَبْدُهُ[١]　　فقال[٢] فدَيتُكْ لِمْ تَلْتَدِمْ ؟
وماذا دَعَاكَ إلى ما أرى　　فقلتُ : الحِذَارُ عَلَى ذِى الكرمْ
أبى[٣] نَصرٍ البَحْرُ من جُودِهِ　　إذا المُزْنُ ضَنّتْ بَصوبِ الدِّيَمْ
فقال : أَلَمْ يَأتِ من جُمْعَةٍ　　فقلتُ : كَذبتَ فأَيْنَ الأَدَمْ ؟
وأين القِفَافُ الحِسَانُ القُدُودِ　　وأَقداحُ جَيْشَانَ تلك السَّلَمْ[٤]
[٥]وأينَ النِّعَالُ وأين الفِرَاءُ　　وأين البُرُودُ وأين البُرُمْ[٥]
وأينَ القَدِيدُ قَدِيدُ الظِّبَاءِ　　وأين المُلَوَّزُ مِثْلَ العَنَمْ[٦]
فقال : وحقّكَ ما جَاءَنا　　بشىءٍ سِوَى نفسه فاغْتَنِمْ
قدومَ صديقكِ واسْتَهْدِه　　حديثَ الوُفُودِ وفودِ الأُمَمْ
إلى البيتِ يُشْهِدْكَ أخْبَارَهُ　　عجائبَ عُرْبِهِمُ والعَجَمْ
فقلتُ : ألا ليتَ أَخْبَارَه　　وناقِلَهَا خَلْفَ قافٍ ولَمْ

---

(١) ب : عنده .
(٢) ب : فقلت .
(٣) ساقط من ب
(٤) ب : وأتراح حسان تلك الشيم ، وأقداح جيشان أقداح منتظمة دقيقة تصنع فى بلدة جيشان باليمن.
(٥) زيادة فى م .
(٦) ب : اللوز مثل النعم .

وخلف بن خليفة الأقطع من بنى قَيْس بن ثَعلبة فى جار له غاب ثم قدم، ولم يُهدِ له، وكانت بينهما مصافاة :

أتانا أخٌ من غيبةٍ غابَ أَشْهُرًا ... وكنتُ إذا ماغابَ أَنْشُدُهُ الرَّكْبَا
فجاءَ بمعروفٍ كثيرٍ فدَسَّهُ ... كما دَسَّ راعِى السُّوءِ فِى حِضْنِهِ الوَطْبَا(١)
فقلتُ له : هل جئتنى بهدِيَّةٍ ... فقال : بِنَفْسى . قلتُ : آثِرْ بها الكَلْبَا
هى النَّفْسُ لا آسَى عليها وإنْ نأتْ ... ولا أَتَمَنَّى الدَّهْرَ يوماً لها قُرْبَا
إذَا هِىَ أَوْفَتْ من ثمانِينَ قامةً ... فلا السَّهلَ لقَّاها الإلهُ ولا الرَّحْبَا(٢)

أهدى أبو أسامة الكاتب إلى بعض إخوانه فى يوم نيروز وردة وسهما وديناراً ودرهماً، وكتب إليه :

لازلت كالوَرْدِ نَضِيرَ المَيسَمِ ... ونافِذًا مِثْلَ نُفُوذِ الأَسْهُمِ
فى عِزِّ دِينارٍ ونُجْحِ درْهَمِ(٣)

أهدى أبو إسحاق بن هلال الصابى إلى عضد الدولة فى يوم مهرجان اصطرلابا على قدر الدرهم محكم الصنعة وكتب إليه :

أهدى إليك بنُو الحاجاتِ واحتَشَدُوا ... فى مِهْرَجَانٍ عظيمٍ أَنْتَ تُعْلِيهِ
لكنَّ عبدَكَ إبراهيمَ حين رأى ... سُمُوَّ قدرِكَ عن شئٍ تُساميهِ

(١) ى ، : الرطبا ، وهوتصحيف ، والوطب : سقاء اللبن يصنع من جلد الجذع فما فوقه .
(٢) عيون الأخبار ٣/٣٦ ، محاضرات الأدباء١/١٩٩ مع خلاف فى ألفاظ الرواية .
(٣) محاضرات الأدباء١/١٩٤ .

[(١) لم يَرْضَ بالأرضِ يُهْدِيها إليك فقدْ   أهْدَى لك الفَلَكَ الأَعْلَى بما فيهِ (٢)

وأهدى شمس المعالى إلى عضد الدولة سبعةَ أقلام ، وكتب إليه :

قد بَعَثْنَا إليكَ سَبْعَةَ أَقْلاَ   مٍ لها فِي البَهَاءِ حَظٌّ عَظِيمُ

مرهفاتٍ كأنّها ألسُنُ الحَيَّـــاتِ قَدْ جَازَ حدَّها التّقويمُ

وتفاءلتُ أن سَتَحْوِي الأَقالِي   مَ بها كلُّ واحدٍ إقليمُ (٣)

وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله : كانت الهدية فيما مضى هدية ، أما اليوم فهي رشوة .

وقال كعب الأحبار : قرأت فى ما أنزل الله على بعض أنبيائه : الهدية تفقأ عين الحكيم .

وقال الشاعر :

إذا أتتِ الهديةُ بابَ قومٍ   تطايَرَتِ الأمانةُ من كُوَاهَا

---

(١) من هنا يبدأ سقط من نسخة ب .

(٢) يروى : واختلفوا بدل واحتشدوا ، ومبليه بدل تعليه ، وعلو مكان سمو ، انظرها فى : المستطرف ٢/٦٨ ، معجم الأدباء ٢/٣٤ ، زهر الآداب ٢/٦٣ .

(٣) الأبيات لشمس المعالى واسمه قابوس بن وشمكير ، انظر ترجمته والأبيات فى معجم الأدباء ١٦/٢٢٥ .

بَابُ الجَارِ

قالت عائشة : يارسولَ اللهِ ! إن لى جَارين فإلى أيِّهِمَا أُهْدِى؟ قال:« إلى أقْرَبِهما إليك باباً » .

وقال رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلّم : « لا يؤمنُ جارٌ حتى يأمن جارُه بوائِقَهُ »

وقال رسولُ اللهِ صلّى الله عليه وسلّم :« مازالَ جبريلُ يوُصِينى بالجارحتى ظننتُ أنه سيُوَرِّثُهُ ».

كان داودُ عليه السلام يقول : اللّهم إنى أعوذ بك من جار سوءٍ ، عينهُ ترعانى ، وقلبُه لا ينسانى .

مكتوب فى التوراة : إنّ أحسدَ النّاس لعالمٍ وأنعاه عليه قرابتُه وجيرانه .

وقال عِكْرمة : أزهدُ النّاسِ فى عالمٍ جيرانُه .

قال رجل لسعيدِ بن العَاص : واللهِ إنّى لأحبُّك . فقال له : ولِمَ لا تحبّنى ولستَ بجار لى ولا ابن عم .

كان يقال : الحسدُ فى الجيران ، والعداوَةُ فى الأقارب .

روى يحيى بن زكريا بن يحيى الباجى ، قال : حدثنى محمد بنُ الفضل المكّى ، قال : حدثنى أبى عن إبراهيم عن عبد الله ، قال : مَرَّ مالك بن أنسٍ بقَينة تغنى شعر مسلم :

أنت أختِي وأنتِ حُرْمَةُ جَارِى وحقيقٌ علىّ حفظ الجِوَارِ
إنّ للجارِ إنْ تغيبّ غيبًا حافظًا لِلمَغِيبِ والأَسْرَارِ
ما أُبالى أَكانَ للبابِ سترٌ مسبل أم بَقِي بغير سِتَارِ

فقال مالك : علموا أهليكم هذا ونحوه .

وعن مالك ، أيضاً ، قال مالك بن أنس ، قال أبو حازم : كان أهل الجاهلية أحسن جواراً منكم ، فإن قلتم : لا . فبيننَا وبينكم قولُ شاعرهم :

نارى ونارُ الجارِ واحدةٌ وإليه قَبْلى تنزِلُ القِدْرُ
ما ضرَّ جَارًا لى أُجَاوِرُهُ ألاّ يكونَ لِبَيْتِهِ سِتْرُ
أَعْمى إذا ما جَارَتِى بَرَزَتْ حتّى يُوَارِىَ جَارَتِى الخِدْرُ(١)

قال أبو عُمر : هذا الشاعرُ مسكينُ الدارىّ(٢).

وقال آخر :

أقولُ لجارى إذْ أَتَانى معاتبًا مُدلاّ بحقٍّ أو مُدِلا بباطلِ
إذا لم يَصِلْ خَيْرِى وأنتَ مُجاورى إليك فما شرِّى إليك بواصِلِ(٣)

قال الأصمعى : ومن أحسن ماقيل فى حسن الجُوار :

جاورتُ شيْبَانَ فَاحْلَوْلَى جِوَارُهُمُ إن الكرامَ خيارُ النّاسِ للجارِ

---

(١) الأبيات لمسكين الدارمى فى معجم الأدباء ١٣٢/١١ ، محاضرات الأدباء ١٠٢/٢ ، الشعر والشعراء ٥٣٠ ، لباب الآداب ٢٧٥ وفيها : ألايكون لبابه .

(٢) يفهم من هذا أن مسكينا كان من شعراء الجاهلية ، ولكن الواقع أنه شاعر إسلامى توفى سنة ٨٩ هـ وله أخبار مع معاوية وكان مقربا إلى زياد بن أبيه ، انظر معجم الأدباء ٢٠٤/٤ ، الشعر والشعراء ٢١٥ .

(٣) العقد الفريد ٣٦٥/٢ من غير نسبة ، وفيه : إن بدل إذا ، ويدل مكان مدلا .

من كلام عليّ رحمه الله : الجارُ قبل الدار ، والرفيق قبل الطريق ، أخــــذه الشاعر فقال :

يقولونَ قبلَ الدّار جارٌ مجاورٌ ... وقبل الطَّريق النّهْجِ أُنْسُ رفيقِ[1]

وقال آخر :

اطلبْ لنَفْسِكَ جيرانًا تُجاوِرُهمُ ... لا تَصْلُحُ الدّارُ حتّى يصلحَ الجارُ

وقال آخر :

[2]يلومونَنِي أَنْ بعتُ بالرُّخْصِ مَنْزِلِي ... ولَمْ يعرفُوا جارًا هناكَ يُنَغِّصُ[2]

فقلتُ لهم كُفّوا المَلامَ فإنّها ... بجيرانها تغلُو الدِّيَار وتَرْخُصُ[3]

قال الحسنُ البَصْرى رحمه اللهُ : إلى جنبِ كلِّ مؤمن ، منافقٌ يؤذيه .

وقال بَشّارُ بن بِشْر المجاشعي :

وإنى لعفٌّ عن زيارةِ جارَتِي ... وإنّي لَمَشْنُوءٌ[4] لدىّ اغتيَابُها

إذا غابَ عنّى بعلها[5] لم أكن لها[5] ... زَؤورًا ولم تَأْنَسْ إلىّ كِلاَبُها

ولم أكُ[6] طَلاّبًا أحاديث سِرِّها ... ولا عَالِمًا[7] من أى جنسٍ ثيابُها[8]

---

(١) فصل المقال ٣١١ ، محاضرات الأدباء ١/٢٣٠ .

(٢) ساقط من ب .

(٣) البيتان فى فصل المقال ٣١٠ ، ٣١١ .

(٤) ا : مسرور ، وهو تصحيف واضح .

(٥) ساقط من ب .

(٦) ب : أر .

(٧) ب : عايباً .

(٨) انظر الأبيات فى عيون الأخبار ٣/١٨٣ مع اختلاف فى بعض الألفاظ

قال عمرُ بن الخطّاب رضى الله عنه: من حق الجار أن تبسط له معروفك وتكف عنه أذاك .

قال علّى للعباس رضى الله عنهما : ما بقى من كرم أخلاقك ؟ قال : الإفضال على الإخوان ، وترك أذى الجيران .

كان يقال : ليس من حسن الجوار ترك[1] الأذى ، ولكنه الصبر على[2] الأذى .

قال منصور الفقيه يمدح بعض إخوانه من جيرانه :

يا سائلى عن حُسَيْنٍ[3] وقد مضى أَشْكالَهْ
أقل ما فى حُسَيْنٍ[3] كفُّ الأذى واحْتِمَالُهْ

قال الحطيئة[4] :

لَعَمْرك ما المجاورُ فى كليبٍ بمُقْصًى فِي الجوارِ ولا مُضَاعِ
هُمُ صَنَعُوا لجارِهِمُ وليستْ يدُ الخَرْقاء مثلَ يَدِ الصَّنَاعِ
ويَحْرُمُ سِرُّ جارَتِهِمْ عَلَيْهِمْ ويَأْكُلُ جارُهُمْ أُنُفَ القِصَاعِ[5]

وقال الحسن بن عرفطة :

ولم أرَ مثلَ الجَهْلِ يدعو إلى الرَّدَى ولا مثلَ جارِ السُّوء يُكره جانِبُه

---

(١) ب : كف .

(٢) ب : احتمال .

(٣) ب : حسن .

(٤) ديوانه ٦٢ ، وقد ورد الشطر الأول فيه : وليس الجار جار بنى كليب ، وانظر الأبيات فى الكامل ٢/١٩ .

(٥) قال فى الكامل : أنف القصاع : يريد المستأنف الذى لم يؤكل قبل منه شىء ، يقال : روضة أنف إذا لم ترع ، وكأس أنف إذا لم يشرب منها شىء قبل .

وقال آخر :

لا يأمنُ الجارُ شرًّا فى جِوارِهمُ ... ولا محالةَ من شَتْمٍ وألْقابِ[١]

ومثل هذا قول الآخر :

أُجِلُّ العَشِيرَةَ إمّا حَضَرْتُ ... ولا أتعَــلّمُ أَلْقابَها[٢]

وقال حاتم الطائى ، ويروى لغيره :

أيا ابنةَ عَبْدِاللهِ وابنةَ مالكٍ ... ويا ابنةَ ذِى البُرْدَيْنِ والفَرَسِ الوَرْدِ

إذا ما عملتِ الزّادَ فاتّخِذِى لَهُ ... أكيلاً فإنّى لَسْتُ آكِلَهُ وَحْدِى

بعيدًا قَصِيّا أَو قَرِيبًا فإنّنى ... أخافُ مَذَمّاتِ الأحادِيثِ مِن بَعْدِى

وكيف يُسيغُ المرءُ زادًا وجارُهُ ... خفيفُ المِعَى بادِى الخَصاصَةِ والجَهْدِ[٣]

وقال غيره :

سُقيًا ورَعْيًا لأقْوامٍ نزلتُ بهم ... كأنّ دارَ اغْتِرابِي عندَهُمْ وَطَنِي

إذا تأملتُ منْ أخْلاقِهِمْ خُلُقًا ... علمتُ أنّهُمُ من حِلْيَةِ الزّمَنِ

وقال ابن حبناء :

إذا مارفيق لم يكُنْ خلفَ ناقتِي ... له مركبٌ فَضْلٌ فلا حَمَلتْ رِجْلِي

(١) ورد البيت فى الحماسة لأبى تمام ٢/١٩٩ منسوبا إلى حريث بن عناب وفيها الشطر الأول : لا يرتجى الجار خيرا فى بيوتهم .

(٢) ورد البيت فى معجم الشعراء ٣٥٣ لكناز بن صريم الحرمى ، وفيه الشطر الأول : ولكن أطاوع ساداتها .

(٣) يروى : صنعت مكان عملت ، ويروى الشطر الأول من البيت الثالث : أخا طارقا أو جار بيت فإنني ، وقد وردت الأبيات ماعدا الأخير فى ديوان حاتم ٩ ، ونسبت له فى عيون الأخبار ٣/٢٦٣ ، وفى حماسة أبى تمام ١/٢٩٢ لم تنسب ، وعقب عليها التبريزى بأنها لحاتم يخاطب بها امرأته ، ووردت منسوبة لقيس بن عاصم المنقرى فى الأغانى ١٢/١٥٠ ، الكامل ١/٣٤٥ .

ولم يكُ من زادي له نصفُ مِزوَدِي ... فلا كنتُ ذا زادٍ ولا كنتُ ذا رَحْلِ
شريكَيْنِ فيما نحْنُ فيه وقد أَرَى ... عليَّ له فَضْلاً بما نَال مِنْ فَضْلِي

ويروى لحاتم الطائى .

تذاكر أهل البَصْرة من ذوى الآداب والأحساب فى أحسن ما قاله المولدون فى حسن الجوار من غير تعسف ولا تعجرف ، فأجمعوا على بيتى أبى الهندى[1] وهما :

نزلتُ على آلِ المهلَّبِ شاتِياً ... غريباً عن الأوطانِ فى زمنٍ مَحْلِ
فما زالَ بى إكرامُهُمْ وافتقادُهُمْ ... وبِرُّهُمُ حتّى حَسِبْتُهُمُ أَهْلِي[2]

(١) أبو الهندى ورد اسمه فى الأغانى ٢١/١٧٧ ، وفى فوات الوفيات ٢/٢٤٠ ، غالب بن عبد القدوس ابن شبث بن ربعى الرياحى اليربوعى ، وسماه فى الكامل عبد المؤمن بن عبد القدوس ، انظر رغبة الآمل ٦/١٦٢ ، وهو شاعر مطبوع أقام عمره فى سجستان وخراسان ، فلم يشتهر ذكره لبعده عن بلاد العرب، مات سنة ١٨٠ هـ تقريباً .

(٢) ورد البيتان فى البيان ٢/٢٢٢ ، عيون الأخبار ١/٢٦١ ، منسوبين إلى بكير بن الأخنس ، ووردا فى الأمالى ١/٤١ ، لباب الآداب ٣٦٦ ، وفيات الأعيان ٤/٤٣٩ ، الحماسة ١/١٣٥ ، ١٧٦ بغير نسبة ، ويروى : وإلطافهم بدل برهم .

باب الضَّيْف

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ليلةُ الضَّيف حقٌّ واجب » .

وقد أوضحنا فى كتاب « التمهيد » معنى هذا الحديث وغيره فى الضيافة،وذكرنا قول من أوجبها ومن ندب إليها ؟ ووجوه أقوالهم واعتلالهم والحمد لله وحده .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ، جائزته يوم وليلة ، والضيافة ثلاثة أيام ، وما زاد فهو صدقة ، ولا يحل أن يثوى غيره حتى يخرجه » .

قيل للأوزاعى : رجل قدّم إلى ضيفه الكامخ والزيتون ، وعنده اللحم والعسل والسمن ؟ فقال : هذا لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر .

قال أبو ذؤيب :

لا دَرَّ دَرِّىَ إن أطعَمْتُ نَازِلَهُم ... خُبْزَ الشَّعِيرِ وعِندى البُرُّ مَكْنُوزُ(١)

قال نافع : كان ابن عمر إذا نزل على قوم لا يأكل لهم شيئاً فوق ثلاث،ويقول بعد الثلاث : أمسكوا عنا صدقتكم ، ويقول لى : أنفق من عندك .

ذكر أبو عبيدة أن معاوية قال يوماً لجلسائه : أى أبيات العرب فى الضيافة أحسن ؟ فاختلفوا وأكثروا ، فقال معاوية : قاتل الله أبا النجم حيث يقول :

لقد علمتْ عِرْسِى فلانَةَ أنَّنِى ... طويلٌ سَنَا نَارِى بعيدٌ خُمودُهَا

---

(١) نسب فى البيان ١/ ٣٤ وفى ديوان الهذليين ٢/ ١٥ للمتنخل الهذلى (مالك بن عويمر) وفيهما : قرف الحتى بدلا من خبز الشعير ، [illegible]

إذا حلّ ضيفى بالفَلاةِ ولم أجد ... سوى مَنْبَتِ الأطنابِ شَبَّ وَقودُهَا[١]

وقالوا : أحسن شيء فى الضيافة قول مسكين الدارمىّ :

طعامى طعامُ الضَّيْفِ والرَّحْلُ رَحْلُهُ ... ولم يُلهِنِي عنه غَزَالٌ مُقَنَّعُ
أحدِّثه إنّ الحديثَ من القِرَى ... وتعلمُ نَفسى أنّه سوف يَهْجَعُ[٢]

[٣]وقال العلوى صاحب الزنج[٣] :

يستأنسُ الضَّيْفُ فى أبياتنا أبدًا ... فلَيْسَ يَعْلَمُ خلقٌ أيُّنا الضَّيْفُ

والخالد عَيْنَيْن ، وإنما قيل له خالد عينين[٤] لأنه كان ينزل أرضا بالبحرين : يقال لها عَيْنَيْن :

أيهـا الموقدان شبَّا سَنَاهَا ... إنّ للضَّيْفِ طَارِفى وتِلادِى

وقال عوف بن الأحوص[٥] .

ومستنبحٌ يغْشَى الغَدَاةَ وَدُونَه ... من اللَّيْلِ بَابَا ظُلْمةٍ وسُتُورُهَا
رفعتُ له نارى فلمّا اهتدى لها ... زجرتُ كلابى أن يَهِرَّ عَقُورُهَا
فلا تسأليني واسألى عن خليقتى ... إذا رَدَّ عَافِى القدْرِ من يَسْتَعِيرُهَا

---

(١) انظرها فى الحماسة ٤٠٦٠ ، معجم الشعراء ٣٠٧ .

(٢) ورد البيتان فى ديوان عروة بن الورد ٢٢ ، والشطر الأول هناك : فراشى فراش الضيف والبيت بيته ، ووردا فى الحماسة لأبى تمام ٢/٣١٤ وتردد فى نسبتهما بين مسكين الدارمى ، وعتبة بن بجير ، والرواية هناك لحافى لحاف الضيف والبيت بيته .. الخ ، وانظرهما فى عيون الأخبار ٢/١٩٣ .

(٣) ساقط من ا .

(٤) انظر ترجمته والبيت التالى فى الشعر والشعراء ٤٣٤ .

(٥) انظر ترجمته فى معجم الشعراء ٢٧٥ وقد ورد اسم أبيه هناك الأحوم وهو خطأ ، انظر حماسة أبى تمام ٢/٣٠٩ ، وانظر الأبيات كلها فى المرجع الأول ، والبيتين الأولين فى الثانى والرواية هناك : يبغى المبيت مكان يغشى الغداة ، وسجفا ظلمة بدل بابا ظلمة ، واهتدى بها بدل لها ، هذا وقد وردت الأبيات فى الأغانى ١٢/٢٧٨ منسوبة إلى شبيب بن البرصاء .

تَرَىْ أن قِدْرِى لا تزالُ كأنَّهَا ... لدَى الغَرثِ المَقْرُورِ أُمٌّ يَزُورُهَا

وقال حسان بن ثابت :

يُغشَوْنَ حتّى ما تَهِرُّ كلابُهُمْ ... لا يسألون عن السَّوَادِ المُقْبِلِ(١)

وقال أبو الطمحان القينى :

وقد عَرَفتْ كلابُهُمُ ثِيابى ... كأنّى منهمُ ونسيتُ أَهْلِى(٢)

وقال المَرّارُ الحملى(٣) :

أَلفَ النَّاسَ فما يَهْجِمُهُمْ(٤) ... من عَسِيفٍ(٥) يَبْتَغِى الخيرَ وَحُرّ

وقال امرؤ القيس :

أعرفُ الحقّ ولا أجهَلُه ... وكلابى أُنُسٌ غَيْرُ عُقُرْ

ما يُرى كَلْبِىَ إلا آيِسًا ... إن رأى خابطَ ليلٍ لم يَهِرْ(٦)

وقال حاتم الطائى :

إذا ما بخيلُ النّاسِ هَرّتْ كلابُهُ ... وشقّ على الضَّيْفِ الغَرِيب عَقُورُهَا

فإن كلابى قد أُقِرَّتْ وعُوِّدَت ... قليلٌ على من يعتريها هَرِيرُهَا(٧)

---

(١) ديوانه ٢٤٧ .

(٢) البيان والتبيين ٢/٢٢٤ .

(٣) زيادة من ب ، ولم أعثر له على ترجمة ، وقد جاء فى سمط اللآلى ٢٣١ أن المرارين من الشعراء سبعة ثم أورد أسماءهم ، ولم يرد فيهم هذا .

(٤) ب : هجيم ، م : يهيج ، والصواب ما أثبتناه .

(٥) العسيف : الأجير والعبد يستهان به .

(٦) ديوانه ٣٢ .

(٧) ديوانه ٢٧ ، وفيه : الضيف الضعيف بدل الغريب ، وقد أهرت مكان أقرت ، ويعتريى بدل يعتريها .

وقال أبو يعقوب الخريمي :

أُضاحكُ ضيفي قبل إنزالِ رَحْلِهِ ويُخْصِبُ عندي والمَحَلُّ جديب

وما الخِصْبُ للأضيافِ أن يكثُرَ[1] القِرَى

ولكنَّما وجهُ الكريمِ خصيبُ[2]

وللشماخ في عبد الله بن جعفر بن أبي طالب[3] :

إنك يا ابْنَ جعفر خيرُ الفَتَى وخيرُهُمْ لِطارِقٍ إذا أَتَى

وربَّ نِضْوٍ طَرَقَ الحيّ سُرًى صَادَفَ زادًا وحديثًا ما اشتَهَى

إنّ الحديثَ جانبٌ من القِرَى[4]

وقال سهل الوراق :

وضيفكَ قابِلْهُ ببِرِّكَ[5] وليَكُن له منك أبْكَارُ الحديثِ وَعُونُهُ[5]

وقال آخر :

سلي الطارق المُعْتَرَّ يا أمّ مالكٍ إذا ما أتاني بين نَارِي ومَجْزَرِي

أأبْسُطُ وَجْهِي؟ إنَّه أوّلُ القِرَى وأبْذُلُ مَعْرُوفي لَهُ دُونَ مُنكَرِي[6]

---

(١) ب : يكثروا .

(٢) البيتان في البيان ١/٢٨ مجموعة المعاني ٢٨ ، المختار من شعر بشار ١٩٣ ، عيون الأخبار ٣/٢٣٩ .

(٣) أول من ولد بالمسلمين بأرض الحبشة لما هاجر أبواه إليها، عاش في البصرة والكوفة والشام، وكان كريما يسمى بحر الجود ، توفي سنة ٨٠ هـ ، انظر الإصابة الترجمة ٤٥٨٢ ، فوات الوفيات ١/٢٠٩ (الأعلام ٤/٢٠٤) .

(٤) رواية البيان والتبيين ١/٢٦ : نعم الفتى .. ونعم مأوى طارق ، وجار ضيف طرق .. الخ ، وفي حماسة أبي تمام ٢/٣٢٨ : ورب ضيف مكان نضو ، ورواية الشطرة الأخيرة فيها : ثم اللحاف بعد ذاك في الذرى . أي في الكنف والجانب ، وانظر محاضرات الأدباء ١/٣١٢ .

(٥) ب : ببشرك ، م : عوانه .

(٦) يروى الشطر الأول : سلي الجائع الغرثان يا أم منذر ، ويروى : قدري بدل ناري ، وأيسفر مكان أأبسط ، والبيتان لعروة بن الورد ، ديوانه ١٩ ، الحماسة ٢/٢٤٦ ، ونسبا في البيان والتبيين ١/٢٦ إلى حاتم الطائي .

تمثل بهذين البيتين عبد الله بن جعفر بن أبى طالب فى جوابه معاوية .

أما قول الشاعر :

بِئْسَ عَمْرُ اللهِ قَوْمًا طُرِقُوا　　فَقَرَوا أَضْيَافَهُمْ لَحْمًا وَحِرْ

فإنه أراد لحماً دبت عليه الوَحَرَةُ ، وهى دُوَيبةٌ كالعَظَايَةِ خضراء إذا اجتمعت تلتصق بالأرض : الجمع : وَحْر ، ومنه قيل وَحْرُ الصدر ، كما قيل للحقد ضبٌّ ، ذهبوا به إلى لزوقه بالصَّدر التزاق الوَحَرَة بالأرض ، يقال : لحم وَحِر ، إذا دبّت عليه الوَحرة . ولبن فَئِر إذا وقعت فيه الفأرة .

وقال رجل من بنى فَقْعَس ، وهو الحارث بن يَزيد ، يمتدح نفسه بخدمة الضيف :

لَعَمْرُ أبيك الخير إنى لخادمٌ　　لضيفى وإنى إن ركبتُ لفارسُ[(١)]

وقال المُقَنَّع الـكِنْدِى[(٢)] :

وإنى لعبدُ الضَّيفِ ما دام نازلاً　　وما شِيمَةٌ لِى غَيْرَهَا تُشْبِهُ العَبْدَا[(٣)]

وما امتدح به ذم بضده ، قال الشاعر :

تَراهُمْ خَشْيَةَ الأَضْيَافِ خُرْسًا　　يُصَلُّونَ الصَّلَاةَ بِلَا أَذَانِ[(٤)]

---

(١) ورد البيت فى حماسة أبى تمام ٢٩٦/١ منسوبا إلى الهذلول بن كعب العنبرى ، وكان قد تزوج امرأة من بنى بهدلة فرأته يوما يطحن للأضياف فضربت صدرها وقالت : أهذا زوجى ، وقال فى الهامش : قال المبرد إنها لأعرابى سعدى ، وأول الأبيات التى منها هذا :

تقول وصكت نحرها بيمينها　　أبعلى هـذا بالرحى المتقاعس

(٢) محمد بن ظفر بن عمير ، أو محمد بن عمير بن أبى شمر الكندى ، شاعر من حضرموت ، اشتهر فى العصر الأموى ، وكان مقنعا طول حياته ، وزعموا أنه كان جميلا فكانت تصيبه العين ولهذا تقنع ، وشعره عذب رصين ، توفى حوالى سنة ٧٠ هـ ، انظر فى ترجمته الشعر والشعراء ٢٨٤ ، الوافى بالوفيات ١٧٩/٣ (الأعلام ٢١١/٧) .

(٣) يروى ثاويا مكان نازلا ، وانظر البيت فيما سبق ، وفى عيون الأخبار ٢٦٦/١ ، حماسة أبى تمام ٢٤/٢ الأمالى ٢٨١/١ .

(٤) العقد الفريد ١٨٨/٦ بدون نسبة .

وقال حَمّادُ عَجْرَد :

وجدتُ أبَا الصَّلْتِ ذَا خِبْرَةٍ ... بِمَا يُصْلِحُ المِعْدَةَ الفَاسِدَهْ
تَخوّف تخمة أضـــيافهِ ... فعلّمهم أكلة وَاحِـــدَهْ[1]

وقال عَمْرُو بن الأهْتَم التَّميمى المِنْقرى من أشرافهم ، وكان شاعراً محسناً ، يقال : كأن شعره حللٌ منشَّرة ، وله صحبة[2] :

ذريني فإنَّ الشُّحَّ يا أُمَّ مالكٍ ... لِصالِحِ أخلاقِ الرِّجالِ سَرُوقُ
ذريني وحظِّي في هوايَ فإنّني ... على الحسب العالى الرفيع شفيقُ
ومُسْتَنْبِحٍ[3] بعد الهدوء أجبتُهُ ... وقد حانَ من سارِى الشتاء طُرُوقُ
فقلت له : أهلاً وسهلاً ومرحباً ... فهذَا مَبيتٌ صَالِحٌ وصَدِيقُ
أضفت ولم أفْحِشْ عليه ، ولم أقل : ... — لِأحْرِمَهُ — إنَّ الفناء[4] يضيقُ
لَعَمْرُكَ ما ضاقت بِلادٌ بِأَهْلِهَا ... ولـكن أخلاقَ الرجال تَضيقُ[5]

وقال آخر :

وَطَرِيدِ ليل ساقَهُ سَغَبٌ ... وَهْنًا إلَيَّ وَقَادَهُ بَرْدُ

---

(١) يروى : حريث ، وحبيش أبو الصلت ، انظر البيان والتبيين ٢/٢٧٣ ، الشعر والشعراء ٧٧٥ ، العقد الفريد ٦/١٨٨ .

(٢) انظر ترجمته فى الإصابة الترجمة ٥٧٧٢ ، الشعر والشعراء ٢٤٠ .

(٣) ب : ومستفتح .

(٤) ب : إن الفتى .

(٥) انظر عيون الأخبار ١/٣٤٢ ، البيان ١/٢٧ معجم الشعراء ٢١٢ ، وانظر الأولين فى الشعر والشعراء ٦١٦ ، وفيه : يا أم هيثم بدل مالك ، وانظر الأول والخامس فى محاضرات الأدباء ١/٢٧٤ ، ٣١٠ والأخير فى المستطرف ١/٤٠ وقد سبق فى جملة أبيات منسوبة لبشار بن برد .

أوْسعتُ جُهْدَ بشَاشَةٍ وقِرًى ... وعلى الكريمِ لضيفهِ الجَهْدُ
ثُمَّ اغْتَدَى ورداؤه نِعَمٌ ... أسْدَيْتُهَا وَرِدَائِىَ الحَمْدُ

وقال القاسم بن أُمَيَّة بن أبى الصَّلْت :

قَوْمٌ إذا نَزَلَ الْغَرِيبُ بِأرْضِهِمْ ... رَدُّوهُ رَبَّ صَوَاهِلٍ وَقِيَانِ (٩)

(٩) نسب البيت فى لباب الآداب ٣٦٦ إلى كعب بن جعيل ، وانظره فى الشعر والشعراء ٢٥٧، عيون الأخبار ١٥٢/١ ، المستطرف ٢٧٣/١ بدون نسبة .

بابُ المَعْرُوف

قال رسولُ الله صلّى اللهُ عليه وسلّم : « كُـلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَة » .

قال أبو جُرَى الهُجَيْمِي[1] : يا رسولَ الله أوْصِني . فقال : « لَا تَحْقِرَنَّ شَيْئًا مِنَ المَعْرُوفِ أَنْ تَأْتِيَهُ ، وَلَوْ أَنْ تُفْرِغَ مِنْ دَلْوِكَ فِي إِنَاءِ المُسْتَسْقِي ، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ وَوَجْهُكَ مُنْبَسِطٌ إِلَيْهِ » .

قال رسولُ الله صلّى اللهُ عليه وسلّم : « أَهْلُ الْمَعْرُوفِ فِي الدُّنْيَا ، هُمْ أَهْلُ الْمَعْرُوفِ فِي الْآخِرَة » .

قال رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلّم : «إذا طَلَبْتُمُ الْمَعْرُوفَ فَاطْلُبُوهُ عِنْدَ حِسَانِ الْوُجُوه » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « أَلَا أَدُلُّـكُمْ عَلَى شَيْءٍ يُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُه ؟ » قالوا : بلى ، يا رسول الله . قال : « الْمَعْرُوفُ وَالتَّغَابُنُ لِلضَّعِيف » .

قال عيسى عليه السلام : استكثروا من شيء لا تمسّه النار . قالوا : وما هو يا روح الله ؟ قال : المعروف .

قال عبد الله بن عباس : ما رأيت رجلا أوليته معروفاً إلا أضاء ما بيني وبينه ، [2]ولا رأيت رجلا فرط إليه مني شيء إلا أظلم ما بيني وبينه[2] .

قال زيد بن على بن حسين : ما شيء أفضل من المعروفِ ولا ثوَابِهِ . ولا كلُّ

---

(١) ا : اللخمى ، وما أثبتناه هو الصحيح فهو أبو جرى جابر بن سليم الهجيمى من بنى أنمار بن الهجيم ، روى عن النبى صلى الله عليه وسلم ، انظر تهذيب التهذيب لابن حجر ١٢/٥٤ .

(٢) ساقط من ا .

من رَغِبَ فيه يقْدِرُ عليه ، ولا كلّ من قدر عليه يؤذن له فيه ، فإذا اجتمعت الرغبة والقدرة والإذن ، تمت السعادة للطالب والمطلوب منه .

قال ابن عباس : المعروف أيمن زَرْع ، وأفضل كنز[١] ، ولا يتم إلا بثلاث خصال : بتعجيله ، وتصغيره ، وستره . فإذا عُجّل فقد هَنِى ، وإذا صُغّر فقد عَظُمَ ، وإذا سُتِر فقد تُمِّم .

قال زهير :

وَمَنْ يَجْعَلِ الْمَعْرُوفَ مِنْ دُونِ عِرْضِهِ ... يَفِرْهُ[٢] وَمَنْ لَا يَتَّقِ الشَّتْمَ يُشْتَمِ[٣]

وقال آخر :

إِنَّ ابْتِدَاءَ العرفِ مَجْدٌ بَاسِقٌ ... وَالْمَجْدُ كُلُّ الْمَجْدِ فِى اسْتِتْمَامِهِ

إِنَّ الهِلَالَ يَرُوقُ أَبْصَارَ الْوَرَى ... حُسْنًا وَلَيْسَ كَحُسْنِهِ لِتَمَامِهِ[٤]

أنشد الزبير بن بكّار :

أُبْلُ مَنْ شِئْتَ تَقْلِهْ ... عَنْ قَلِيــــلٍ لِفِعْلِهِ

ضَاعَ مَعْرُوفُ وَاضِعِ الْـ ... ـعُرْفِ فِى غيرِ أَهْلِهِ[٥]

قال القاسم بن معن ، قال رجل لعون بن عبد الله بن عتبة : ما السخاء ؟ قال : التأنى للمعروف . قال : فما البخل ؟ قال : الاستقصاء على الملهوف .

(١) ا : أمتن ورع ، و أكبر كنز .
(٢) ب : يقيه ، وهما بمعنى ، وما أثبتناه هو الرواية المشهورة .
(٣) شرح الديوان ٣٠ .
(٤) البيتان لأبى تمام انظر شرح ديوانه للتبريزى ٢/٢٦٧ .
(٥) البيتان لأبى العتاهية ديوانه ١١٧ ، فصل المقال ٣١٠ .

قال ابن عباس : لا يُزَهِّدَنك في المعروف كُفْرُ من كَفَر ، فإنه يشكرك عليه من لم يصنعه .

كان يقال : في كل شيء سَرَفٌ إلّا في المعروف .

قال حبيب :

وَإِذَا امْرُؤٌ أَهْدَى إِلَيْكَ صَنِيعَةً ... مِنْ جَاهِهِ فَكَأَنَّهَا مِنْ مَالِهِ[١]

كان يقال : لا يُزَهِّدنك في المعروف دمامةُ من يسديه إليك ، ولا ينبو بصرك عنه ، فإن حاجتك في شكره ووفائه لا منظرِه ، وإن لم يكن أهلَه فكن أنت أهله .

قال الشاعر :

وَلَمْ أَرَ كَالْمَعْرُوفِ ، أَمَّا مَذَاقُهُ ... فَحُلْوٌ وَأَمَّا وَجْهُهُ فَجَمِيلُ[٢]

تمثل رجل عند عبد الله بن جعفر بقول الشاعر :

إِنَّ الصَّنِيعَةَ لَا تَكُونُ صَنِيعَةً ... حَتَّى يُصَابَ بِهَا طَرِيقُ الْمَصْنَعِ
فَإِذَا أَصَبْتَ صَنِيعَةً فَاعْمِدْ بِهَا ... لِلّٰهِ أَوْ لِذَوِي الْقَرَابَةِ أَوْ دَعِ[٣]

فقال عبد الله بن جعفر : هذان البيتان يبخّلان الناس ، لا . ولكن أَمْطِرِ المعروفَ إمطاراً ، فإن أصاب الكرام كانوا له أهلا ، وإن أصاب اللئام كنت له أهلا .

---

(١) ديوانه ٢٤٠ ، محاضرات الأدباء ١/٢٧٢ ، نهاية الأرب ٣/٩١ ، التمثيل والمحاضرة ٩٥ .
(٢) محاضرات الأدباء ١/٤١ غير منسوب ، ونسبه في معجم الأدباء ١٨/٣٠٦ ، إلى أبي العيناء ، ونسب في البيان والتبيين ٢/٢٢٩ ، إلى مالك بن حمار الشمخي الفزاري ، وفي حماسة أبي تمام ٢/٣٥ إلى رجل من بني فزارة .
(٣) البيتان للهذيل الأشجعي (هذيل بن عبدالله بن سالم) انظر معجم الشعراء ٤٨٢ .

كان يقال : من أسلف المعروف كان ربحه الحمد .

قال عمرو بن العاص : فى كل شىء سَرَفٌ إلا فى ابتناء المكارم أو اصطناع معروف ، أو إظهار مروءة .

وكان يقال : كما يُتَوَخَّى للوديعة أهل الأمانة والثقة ، كذلك ينبغى أن يُتَوَخَّى بالمعروف أهلُ الوفاء والشكر .

كان يقال : إعطاء الفاجر يقوّيه على فجوره ، ومسألة اللئيم إهانة للعرض ، وتعليم الجاهل زيادة فى الجهل ، والصّنيعة عند الكفور إضاعة النعمة ، فإذا هممت بشىء من هذا ، فارْتَد الموضع قبل الإقدام على الفعل .

قال النبي صلى الله عليه وسلم : « إنَّ الصَّنِيعَةَ لَا تَكُونُ إلَّا فِى ذِى حَسَبٍ أَوْ دِينٍ ، كما أَنَّ الرِّيَاضَةَ لَا تَكُونُ إلَّا فِى نَجِيبٍ » .

مكتوب فى التوراة : افعل إلى امْرِئِ السُّوءِ خَيْرًا يَجْزِكَ شَرًّا

كان يقال : صاحب المعروف لا يقع ، فإذا وقع أصاب متكئًا .

قال الشاعر :

وَدُونَ النَّدَى فِى كُلِّ قَلْبٍ ثَنِيَّةٌ   لَهَا مَنْجَدٌ[1] حَزْنٌ ومُنْحَدَرٌ سَهلُ
يَوَدُّ الفتَى فِى كُلِّ نَيْلٍ يُنِيلُهُ[2]   إذَا ما انقضَى لَوْ أَنَّ نَائِلَهُ جَزْلُ[3]

كان الحجاج بن يوسف يقول : خير المعروف ما أنعشت به الكرام .

---

(١) ب : مصعد .

(٢) ب : يناله .

(٣) البيتان لأبى يعقوب الخريمى ، انظر البيان ٢/٣٩٣ ، التمثيل والمحاضرة ٨٤ ، زهر الآداب ٤/٢ ٣ معجم الأدباء ١٦/٢٦٤ ، نهاية الأرب ٣/٨٤ ، الشعر والشعراء ٨٣٣ .

كان يقال : من لم يُرْبِ معروفه فكأنه لم يصطنعه .

وكان يقال : أحْيِ معروفك بإماتته .

كتب أرسطوطاليس إلى الإسكندر : املك الرعية بالإحسان إليها تظفر بالمحبة منها ، وطلبك ذلك منها بالإحسان أدوم بقاء لإحسانك منه باعتسافك[١] ، واعلم أنك إنما تملك الأبدان فتخطّاها إلى القلوب بالمعروف ، واعلم أن الرعية إذا قدرت على أن تقول ، قدرت على أن تفعل ؛ فاجهد ألاّ تقول تسلم من أن تفعل .

كان يقال : اتق أن يُسَدّ عنك طريق المعروف بالكفر أو بالمنّ ، فإن المنّ يفسد الصنيعة والكفر يمحوها ، والشكر يجلب النعمة[٢] .

قال الشاعر :

أفْسَدْتَ بِالْمَنِّ[٣] ما أَوْلَيْتَ مِنْ حَسَنٍ ... لَيْسَ الكَرِيمُ بِمَا أَسْدَى بِمَنَّانِ[٤]

وقال الحسن بن هانئ :

فَامْضِ لَا تَمْنُنْ عَلَيَّ يَدًا ... مَنُّكَ المَعْرُوفَ مِنْ كَدَرِهْ[٥]

قال معاوية ليزيد : يا بنيّ ! اتخذ المعروف منالا عند ذوى الأحساب تشتمل به مودّتهم ، وتعظم فى أعينهم ، وتكف به عاديهم ، وإياك والمنع ، فإنه ضد المعروف .

كان يقال : حصاد من يزرع المعروف فى الدنيا ، اغتباط فى الآخرة .

---

(١) ا : باعقاقك .
(٢) ب : والكفر يستلب النعمة .
(٣) ساقط من ب .
(٤) عيون الأخبار ١/١٧٧ ، محاضرات الأدباء ١/٢٩٠ .
(٥) ديوانه ٢٥ ، الكامل ، ١/٢٤٣ .

ذم أعرابى رجلا ، فقال : كان سمين المال ، مهزول المعروف .

قال الزهيرى : من زرع معروفاً حصد خيراً ، ومن زرع شراً حصد ندامة .

قال الشاعر :

مَنْ يَزْرَعِ الْخَيْرَ يَحْصُدْ مَا يُسَرُّ بِهِ   وزَارِعُ الشَّرِّ مَنْكُوسٌ عَلَى الرَّاسِ

وقال الراجز :

مَنْ يَزْرَعِ الخَيرَ يَحْصُدْ حَصَادَهْ   مُوفَّرًا يَوْمًا إِذَا مَا أَرَادَهْ

قال بشر بن أبى خازم :

وَأَيْدِى النَّدَى فى الصَّالِحِينَ قُرُوضُ(١)

وقال الحطيئة :

مَنْ يَفْعَلِ الْخَيْرَ لَا يَعْدَمْ جَوَازِيَهُ   لَا يَذْهَبُ العُرْفُ بَيْنَ اللهِ وَالنَّاسِ(٢)

وقال عبد الله بن المبارك رضى الله عنه :

يَدُ الْمَعْرُوفِ غُنْمٌ حَيْثُ كَانَتْ   تَحَمَّلَهَا شَكُورٌ أَوْ كَفُورُ

فَفِي شُكْرِ الشَّكُورِ لَهَا جَزَاءٌ   وَعِنْدَ اللهِ ما كَفَرَ الْكَفُورُ

قال الأصمعى . سمعت أعرابيًا يقول : أسرعُ الذنوب عقوبة كُفْر المعروف .

ولابن دريد وقيل إنه أنشدها :

---

(١) عجز بيت ، وصدره : يكن لك فى قومى يد يشكرونها . الديوان ١٠٧ ، وليس فى قافية اللام بل فى قافية الضاد إذ أن الرواية هناك : قروض مكان فضول .

(٢) ديوانه ٥٤

وَما هَـــذِهِ الْأَيَّامُ إِلَّا مُعَارَةٌ ... فَمَا اسْطَعْتَ مِنْ مَعْرُوفِهَا فَتَزَوَّدِ
فَإِنَّكَ لَا تَدْرِى بِأَيَّةِ بَلْدَةٍ ... تَمُوتُ وَلَا مَا يُحْدِثُ اللهُ فِي غَدِ(١)

قال بزرجمهر : خير أيام المرء ما أغاث فيه المضطر ، واحتسب فيه الأجر ، وارتهن فيه الشكر ، واسترقّ فيه الحرّ .

جمع كسرى مَرَازِبَتَه وعيونَ أصحابه ، فقال لهم : على أى شىء أنتم أشد ندامة ؟ قالوا : على وضع المعروف فى غير أهله ، وطلب الشكر ممن لا يشكره .

قال الشاعر :

وَزَهَّدَنِى فِي كُلِّ خَيْرٍ مَنَعْتُهُ ... إِلَى النَّاسِ مَاجَرَّبْتُ مِنْ قِلَّةِ الشُّكْرِ(٢)

وقال آخر :

النَّاسُ مِنْ شَاكِرٍ لِلعُرْفِ مُحْتَمِلٍ ... وَمِنْ كَفُورٍ لِمَا أَوْلَيْتَهُ زَمِرِ(٣)
فَابْسُطْ يَدَ الْجُودِ تَحْمِلْ بَعْضَ نَائِلِهَا ... وَإِنَّمَا النَّاسُ وَالْمَعْرُوفُ كَالْغُرَرِ

وقال آخر :

وَمَنْ يَجْعَلِ الْمَعْرُوفَ فِى غَيْرِ أَهْلِهِ ... يُلَاقِ الَّذِى لَاقَى مُجِيرُ أُمِّ عَامِرِ(٤)

قال المهلب : عجبت لمن يشترى المماليك بماله ، ولا يشترى الأحرار بمعروفه .

وقال : ليس للأحرار ثمن إلا الإكرام ، فأكرم حرًّا تملكه .

---

(١) البيتان من غير نسبة فى عيون الأخبار ١٨١/١ ، العقد الفريد ٤٦٩/٣ .
(٢) البيت فى عيون الأخبار ١٦٢/٣ ، الأمالى ١٢٣/١ ، العقد الفريد ١٩٩/٦ .
(٣) الزمر : قليل المروءة والوفاء .
(٤) محاضرات الأدباء ٢٨٣/١ ، المستطرف ٢٤٩/١ ، مجموعة المعانى ٥٧ ، وأم عامر ، كنية الضبع .

قال المتنبي :

إِذَا أَنْتَ أَكْرَمْتَ الْكَرِيمَ مَلَكْتَهُ ... وَإِنْ أَنْتَ أَكْرَمْتَ اللَّئِيمَ تَمَرَّدَا(١)

قال عبد مناف : دواء من لم يصلحه الإكرام الهوان .

قال الشاعر :

مَنْ لَمْ يُؤَدِّبْهُ الْجَمِيـ ... ـلُ فَفِي عُقُوبَتِهِ صَلَاحُهْ

وقال محمود الوراق :

فَكَّرْتُ فِي المَالِ وَفِي جَمْعِهِ ... فَكَانَ مَا يَبْقَى هُوَ الْفَانِي

وَكَانَ مَا أَنْفَقْتُ فِي أَوْجُهِ الْـ ... ـبِرِّ بِمَعْرُوفٍ وَإِحْسَانِ

هُوَ الَّذِي يَبْقَى وَأُجْزَى بِهِ ... يَوْمَ يُجَازَى كُلُّ إِنْسَانِ

وَمِنْ فَسَادِ الْعُرفِ إِحْصَاؤُهُ ... وَذِكْرُهُ فِي كُلِّ إِبَّانِ

فَانْشُرْ إِذَا أُولِيتَ عُرْفًا وَإِنْ ... أَوْلَيْتَهُ فَاسْتُرْ بِنِسْيَانِ

---

(١) ديوانه ٣٠٨ .

بابُ الشُّكرِ [1]

قال رسول الله صلّى الله عليه وَسلّم : « مَنْ أوْلَى معروفاً فلَم يَجدْ إلا الثَّنا فقد شكَره ، وَمَنْ كَتَمَهُ فقد كَفَرَه » .

وَقال صلّى الله عليه وَسلّم : « من أُهْدِىَ إليه معروف ، فقال لفاعله : جزاكَ الله خيْراً فقد أبلغ في الثناء » .

سمع رسول الله صلّى الله عليه وَسلّم عائشة رضِىَ اللهُ عنها تنشد لليهودى :

ارْفَعْ ضَعِيفَكَ لَا يَحُرْ بِكَ ضَعْفُهُ ... يَوْماً فَتُدْرِكَهُ الْعَوَاقِبُ قَدْ نَمَا
يَجْزِيكَ أَوْ يُثْنِي عَلَيْكَ وَإِنَّ مَنْ ... أَثْنَى عَلَيْكَ بِمَا فَعَلْتَ فَقَدْ جَزَى

فقال : « قاتله الله ! ما أحسن ما قال ! ، من لم يجد إلا الدعاء وَالثناء فقد كافأ » .

وَفى روَاية أخرى لهذا الخبر عن عائشة أنها قالت : قال لى رسول الله صلى الله عليه وَسلّم : « أنشدى شعر ابن الغريض اليهودى [2] حيث قال : إن الكريم » فأنشدته :

إِنَّ الْكَرِيمَ إِذَا أَرَادَ وِصَالَنَا ... لَمْ يُلْفِ حَبْلِي وَاهِيًا رَثَّ الْقُوَى

---

(١) يبدأ من هنا سقط قدره ورقة من نسخة ب .

(٢) سيذكر المصنف بعد إيراد الأبيات أن اسمه الغريض لا ابن الغريض كما ورد فى الحديث ، والواقع أنه الاختلاف كبير فى اسم هذا اليهودى الشاعر ، والشهير أن اسمه السموءل بن الغريض بن عادياء هكذا ورد فى سمط اللآلى ٥٩٥ ، والتبريزى ١/٥٥ ، وطبقات الشعراء ٢٢٥ ، ومن مترجميه من يسميه السموءل بن عادياء ، وهو فى المحبر ٣٤٩ : السموءل بن حيا بن عاديا الغسانى ، وكما اختلف فى اسمه اختلف فى وجوده أصلا ، انظر تاريخ العرب قبل الإسلام لجواد على ٢٦٩/٣ ؛ ولعل هذا هو السبب فى اضطراب نسبة هذه الأبيات إليه أو إلى غيره ، وانظرها مع النص الذى ساقه المصنف فى الأغانى ١١٧/٣ ، ١١٨ ؛ حماسة البحترى ٣٩٨ ، والأولين فى فصل المقال ١٧٤ ، والثانى منهما فى عيون الأخبار ١٨٢/٣ .

أَرْعَى أَمَانَتَهُ وَأَحْفَظُ غَيْبَهُ ... جَهْدِى فَيَأْتِى بَعْدَ ذَلِكَ مَا أَتَى
أَجْزِيهِ أَوْ أُثْنِى عَلَيْهِ فَإِنَّ مَنْ ... أَثْنَى عَلَيْكَ بِمَا فَعَلْتَ فَقَدْ جَزَى

وهذا الشعر لا يصح فيه إلا ما روى عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة : أنه للغريض اليهودى ، وهو الغريض بن السموءل بن عادياء اليهودى ، من ولد الكاهن هرون بن عامر بن ساعر ؛ وأما أهل الأخبار ، فاختلفوا فى قائله ، فقيل : هو لورقةَ بن نوفل، وقيل: هو لزهير بن جناب الكلبى، وَقيل : لعامر بن المجنون[1] وَقيل : ليزيد بن عمرو بن نفيل ، وَمنهم من قال : إنه ليزيد بن عمرو أو ورقة بن نوفل البيتان الأولان ، والصحيح فيها وفى الأبيات غيرها أنهما للغريض اليهودى ، والله أعلم .

قال ابن أبى الدنيا : أنشدنى الحسين بن عبد الرحمن :

لَوْ كُنْتُ أَعْرِفُ فَوْقَ الشُّكْرِ مَنْزِلَةً ... أَعْلَى مِنَ الشُّكْرِ عِنْدَ اللهِ فِى الثَّمَنِ
إِذًا مَنَحْتُكَهَا مِنِّى مُهَذَّبَةً ... شُكْرًا عَلَى صُنْعِ مَا أَوْلَيْتَ مِنْ حَسَنِ[2]

وقال آخر فى يحيى بن خالد البرمكى :

طَلَبْتُ ابْتِغَاءَ الشُّكْرِ فِيمَا فَعَلْتَ بِى ... فَقَصَّرْتُ مَغْلُوبًا وَإِنِّى لَشَاكِرُ
لَقَدْ كُنْتَ تُعْطِينِى الْجَزِيلَ بَدِيهَةً ... وَأَنْتَ لِمَا اسْتَكْثَرْتَ مِنْ ذَاكَ حَاقِرُ

---

(١) كذا بالأصول ولعل صحته : مجنون بنى عامر .
(٢) البيتان فى معجم الأدباء ١٠/٨٧ ، وقد نسبا فيه إلى الحسين بن على المغربى ، وورد الشطر الأول فيه : إذاً منحتكما منى مهذبة شكراً ، ونسبت فى نهاية الأرب ٣/٢٤٩ إلى أبى عيينة المهلبى ، وورد فيه البيت الثانى :

أخلصتها لك من قلبى مهذبة ... حذواً على مثل ما أوليت من حسن

فَأَرْجِعُ مَقْنُوطًا وَتَرْجِعُ بِالَّتِي لَهَا أَوَّلٌ فِي المَكْرُمَاتِ وَآخِرُ[١]

وَمما أنشده الرياشى :

شُكْرِي لِفِعْلِكَ فَانْظُرْ فِي عَوَاقِبِهِ تَعْرِفْ بِفَضْلِكَ مَا عِنْدِى مِنَ الشُّكْرِ

قال رسول الله صلى الله عليه وَسلّم : «ما أنعمَ الله على عبد نعمة فعلم أنها من عند الله إلا كتب الله له شكرها ، وماعلم الله من عبد ندامة على ذنب إلا غفر له إن يستغفر ، وإن الرجل ليلبس الثوب فيحمد الله فما يبلغ ركبته حتى يُغفر له » .

وقال رسول الله صلّى الله عليه وسلم : « من لم يشكر الناس لم يشكر الله عز وجل » .

وقال : « أشكَرُ الناس لله عز وجل أشكَرهم لعباده ، ومن لم يشكر القليل لم يشكر الكثير » .

وفى التفسير : « اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا »[٢] ، قالوا : الطاعات كلها شكر ، وأفضل الشكر الحمد .

وفى قوله فى نوح عليه السلام : « إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا »[٣] ، وقالوا : كان لا يقوم ولا يقعد ، ولا يلبس ثوبًا ، ولا يأكل ولا يشرب إلا حمد الله ، فأثنى عليه الله بذلك .

مكتوب فى التوراة : اشكر لمن أنعم عليك ، وأنعم على من شكرك ؛ فإنه لا زوال للنعم إذا شُكرت ، ولا مقام لها إذا كُفرت ، والشكر زيادة فى النعم ، وأمان من الغِيَر .

---

(١) نسب البيت الأول إلى طريح بن إسماعيل الثقفى ، ونسب الثانى إلى أبى يعقوب الخريمى فى عيون الأخبار ٣/١٦٠ . ونسبت كلها إلى طريح فى نهاية الأرب ٣/٢٤٩ ، البيان ٢/٤٠٣ .

(٢) سورة سبأ آية ١٣ .

(٣) سورة الإسراء آية ٣ .

قال أبو نخيلة :

شَكَرْتُكَ إنَّ الشُّكْرَ حَبْلٌ مِنَ التُّقَى ... وَمَا كُلُّ مَنْ أَوْلَيْتَهُ نِعْمَةً يَقْضِى
وَأَحْيَيْتَ مِنْ ذِكْرِى وَمَا كُنْتُ خَامِلاً ... ولكِن بَعْضَ الذِّكْرِ أَنْبَهُ مِنْ بَعْضِ(١)

قال حذيفة بن اليمان : ماعَظُمَتْ نعمة الله على أحد إلاّ ازداد حقّ الله عليه عِظَمًا .

قال عروة بن الزّبير : من لم يعرف سوء ما يُبلَى لم يعرف خير ما يُولَى .

قال جعفر بن محمد : ما أنعم الله على عبد نعمة فعرفها بقلبه وشكرها بلسانه فما يبرح حتى يزداد .

(٢قال ابن عباس : لو قال لى فرعون خيراً لرددتُ عليه مثله٢)

قيل لسعيد بن جبير : المجوسىّ يولينى خيراً أفأشكره ؟ قال : نعم .

قال أوس بن حجر ، وقيل : إنه لأبى يعقوب الخُرَيمى :

سَأَجْزِيكِ أَوْ يَجْزِيكِ عَنِّىَ رَبُّنَا ... وَحَسْبُكِ مِنِّى أَنْ أَوَدَّ وَأَحْمَدَا(٣)

ولأبى المعافى(٤) (٥يعقوب بن٥) إسماعيل بن رافع ، مولى مزينة فى بكار بن عبد الله الزبيرى :

إِنَّنِى أُثْنِى بِمَا أَوْلَيْتَنِى ... لَمْ يُضِعْ حُسْنَ بَلَاءٍ مَنْ شَكَرْ
إِنَّنِى وَاللهِ لَا أَكْفُرُكُمْ ... أَبَدًا مَا صَاحَ دِيكٌ فِى السَّحَرْ

---

(١) انظر البيتين فى عيون الأخبار ١٦٥/١ ، معجم الشعراء ١٩٣ ، وأبو نخيلة هو حزن بن زائدة بن لقيط السعدى ، انظر معجم الشعراء بالرقم السابق ، زهر الآداب ٦٧/٤ ، الأمالى ٣٠/١ .

(٢) ساقط من ب .

(٣) ورد البيت فى الأغانى ٧/١٠ ، وعيون الأخبار ١٦٥/٣ هكذا :

سأجزيك أو يجزيك عنى مثوب ... وقصدك أن يثنى عليك وتحمدى

(٤) ورد الاسم فى الأصل : أبو المعالى ، والتصحيح من معجم الشعراء ٥٠٤ .

(٥) ساقط من ب .

وقال آخر :

فَلَوْ كانَ يَسْتَغْنِي عَنِ الشُّكْرِ مَاجِدٌ لِعِزَّةِ مُلْكٍ أَوْ عُلُوِّ مَكانِ
لَمَا نَدَبَ اللهُ الْعِبَادَ لِشُكْرِهِ فَقَالَ : اشْكُرُونِي أَيُّها الثَّقَلانِ (١)

وقال آخر :

سَأَشْكُرُ عَمْرًا ما تَرَاخَتْ مَنِيَّتِي أَيَادِيَ لَمْ تُمْنَنْ وَإِنْ هِيَ جَلَّتِ
فَتًى غَيْرُ مَحْجُوبِ الْغِنَى عَنْ صَدِيقِه وَلَا مُظْهِرُ الشَّكْوَى إِذَا النَّعْلُ زَلَّتِ (٢)

وقال آخر :

رَأَى خَلَّتِي مِنْ حَيْثُ يَخْفَى مَكَانُها فَكَانَتْ قَذَى عَيْنَيْهِ حَتَّى تَجَلَّتِ (٣)

وقال آخر :

لَئِنْ طِبْتَ نَفْسًا عَنْ ثَنَائِي فَإِنَّنِي لَأَطْيَبُ نَفْسًا مِنْ نَدَاكَ عَلَى عُسْرِي
فَلَسْتُ إِلَى جَدْوَاكَ أَعْظَمَ حَاجَةً عَلَى شِدَّةِ الْإِعْسَارِ مِنْكَ إِلَى شُكْرِي (٤)

قال عمر بن عبد العزيز : ذكر النعمة شكر .

---

(١) البيتان لكلثوم بن عمرو العتابى كما فى زهر الآداب ٢/٣٣ ، وانظرهما فى العقد الفريد ٢/١٣٧ ، معجم الأدباء ١٧/٢٩ ، محاضرات الأدباء ١/١٨٣ .

(٢) البيتان فى أمالى القالى ١/٤٠ ، عيون الأخبار ٣/١٦١ من غير نسبة ، وقد نسبا فى معجم الشعراء ٤١٢ إلى محمد بن سعد الكاتب التميمى ، وفى سمط اللآلىء ١٦٦ نسبا إلى أبى الأسود ، وكان عند عمرو بن سعيد بن العاص ، وبينما هو يحدثه إذ ظهر كم قميصه من تحت جبته وبه خرق ، فلما انصرف بعث إليه بعشرة آلاف درهم ومائة ثوب ، وفى الحماسة ٢/٢٥٣ ورد البيتان بلا نسبة وعقب التبريزى عليهما بأنهما لعمرو بن كميل ، وقد نظر إليه عمرو بن ذكوان وعليه جبة بلا قميص ، فجعل يسعى له ويتشفع حتى ولى البصرة .

(٣) أورد المصنف هذا البيت منفرداً ، وهو تابع للبيتين قبله ، انظر المراجع السابقة ، وبالإضافة إلى ما سبق فيها فقد ورد البيت فى معجم الأدباء ١٣/١٢١ منسوباً إلى إبراهيم بن العباس الصولى ، ووردت الأبيات الثلاثة لإبراهيم أيضاً فى وفيات الأعيان ٣/١٤٧ .

(٤) عيون الأخبار ٣/١٦٦ .

قال جعفر بن محمد : من لم يشكُ الجفوة لم يشكر النعمة .

قال الشاعر :

إِذَا أَنَا لَمْ أعْرِفْ[١] لِذِى الفَضْلِ فَضْلَهُ ... وَلَمْ أَلُمِ الخِبَّ اللَّئِيمَ المُذَمَّمَا
فَفِيمَ عَرَفْتُ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ بِاسْمِهِ ... وَشَقَّ لِىَ اللهُ الْمَسَامِعَ وَالْفَمَا[٢]

وقال آخر :

وَالْكُفْرُ مَخْبَثَةٌ لِنَفْسِ الْمُنْعِمِ[٣]

وقال آخر :

وَمَا تَخْفَى الصَّنِيعَةُ حَيْثُ كَانَتْ ... وَلَا الشُّكْرُ الصَّحِيحُ مِنَ السَّقِيمِ

وقال العتابى :

فَلَوْ كَانَ لِلشُّكْرِ شَخْصٌ يُرَى ... إِذَا مَا تَأَمَّلَهُ النَّاظِرُ
لَمَثَّلْتُهُ لَكَ حَتَّى تَرَاهُ ... فَتَعْلَمَ أَنِّى امْرُؤٌ شَاكِرُ[٤]

وقال آخر :

وَإِنَّكَ إِنْ ذَوَّقْتَنِى ثَمَرَ الْغِنَى ... حَمِدْتَ الَّذِى تَجْنِيهِ[٥] مِنْ ثَمَرِ الشُّكْرِ

---

(١) ب : تعرف .

(٢) نسب البيتان فى الأمالى ٢/١٥٩ إلى أبى العالية الرياحى ، وورد البيت الأول منه : إذا أنا لم أشكر على الخير أهله ... ولم أذمم الجبس ... الخ ، وورد فى معجم الشعراء ٤٩٧ منسوبين إلى أبى عمران الضرير ، وفى محاضرات الأدباء ١/١٨٤ نسبا إلى أبى العيناء ، وورد فيها الشطر الأول : إذا أنا بالمعروف لم أثن صادقا ، وانظرهما فى زهر الآداب ١/٨٦ ، معجم الأدباء ١٨/٢٨٨ .

(٣) صدره : * نبئت عمراً غير شاكر نعمتى * وهو لعنترة العبسى ، ديوانه ٢٨ .

(٤) عيون الأخبار ٣/١٦١

(٥) ب : أجنيك .

وَإنْ يفنَ ما أعطيتَني اليومَ أو غدًا ... فإنَّ الذي أعطيك يَبقى على الدَّهرِ

وقال آخر :

لأشكرنَّك معروفًا هممتَ بهِ ... إنَّ اهتمامك بالمعروف معروفُ

ولا ألومك إنْ لمْ يُمضِه قدرٌ ... فالرِّزقُ بالقدرِ المحتومِ مصروفُ(١)

قال سليمان التيمي : إن الله عز وجل أنعم على عباده بقدر طاقته ، وكلفهم من الشكر بقدر طاقتهم .

قالوا : كلّ شكر وإن قلّ ، ثمن لكل نوال وإن جلّ .

كانت هند بنت المهلب تقول : إذا رأيتم النعمة مستبدرة فبادروها بالشكر قبل حلول الزوال .

وقال أبو نواس :

أنتَ امرؤٌ أوليتَني نِعمًا ... أوهتْ قُوى شُكري فقدْ ضعُفا

لا تُحدِثنَّ إليَّ عارِفةً ... حتَّى أقومَ بشُكرِ ما سلَفا(٢)

وقال البحترى :

مَنْ لا يقومُ بشُكرِ نِعمةِ حبِّهِ(٣) ... فمتى يقومُ بشُكرِ نِعمةِ ربِّهِ(٤)

---

(١) عيون الأخبار ١٦٥/٣ ، نهاية الأرب ٢٤٥/٣ ، وانظر جذوة المقتبس ١٢٩ ، وقد نسبهما فيه لابن عائشة .

(٢) ديوانه ٧٠ ، زهر الآداب / ٩٣ ، محاضرات الأدباء ١ /١٧٨ ، معجم الأدباء ١٧ / ١٧٤ ، الشعر والشعراء ٨٠ .

(٣) ا : خله .

(٤) ديوانه ٦٧/١

أنشد المبرد لمحمود الوراق :

إذا كانَ شُكْرِي نِعْمَةَ اللهِ نِعْمَةً ... عَلَيَّ لَهُ فِي مِثْلِهَا يَجِبُ الشُّكْرُ
فَكَيْفَ بُلُوغُ الشُّكْرِ إلاَّ بِفَضْلِهِ ... وَإنْ طَالَتِ الأَيَّامُ وَاتَّصَلَ العُمْرُ
إذا سَرَّ بِالسَّرَّاءِ عَمَّ سُرُورُهَا ... وَإِنْ مَسَّ بالضَّرَّاءِ أعْقَبَهَا الأَجْرُ
وَمَا مِنْهُمَا إلاَّ لَهُ فِيهِ نِعْمَةٌ ... تَضِيقُ بِهَا الأَوْهَامُ وَالبَرُّ وَالبَحْرُ(١)

قال أبو العباس المبرد : هذا معنى لطيف ، يقول : إن الله عز وجل لا يحمد إلا بتوفيقه ، فيجب أن يحمد على التوفيق ، ثم يجب فى الحمد الثانى ما يجب فى الحمد الأول أبداً إلى حيث لا نهاية ، ولقد أحسن أبو العتاهية فى قوله :

إذا أَنْتَ لَمْ تَزْدَدْ عَلَى كلِّ نِعْمَةٍ ... قَدْ آتَاكَهَا شُكْرًا فَلَسْتَ بِشَاكِرِ(٢)

ومن أبيات ليزيد بن محمد المهلبى فى هذا المعنى :

فكَيْفَ بِشُكْرِ ذى نِعَمٍ إذا ما ... شَكرتُ لَهُ فَشُكْرِى مِنْهُ نِعْمه

قال رجل من قريش لأشعب الطمع : يا أشعب ! أحسنتُ إليك فلم تشكر !
فقال : إن معروفك خرج من غير محتسب إلى غير شاكر .

قالوا : لا تثق بشكر من تعطيه حتى تمنعه .

قال الشاعر :

إذا الشَّافِعُ استَقْصَى لَكَ الجُهْدَ كُلَّهُ ... وَإنْ لَمْ تَنَلْ نُجْحًا فَقَدْ وَجَبَ الشُّكْرُ(٣)

---

(١) المستطرف ١/٢٧٨ ، زهر الآداب ١/٨٩ .
(٢) ديوانه ٣٤ .
(٣) محاضرات الأدباء ١/٢٧٣ ، عيون الأخبار ١/١٣٥ .

وقال آخر :

وَالْحَمْدُ شَهْدٌ(١) لايُرَى مُشْتَارُهُ   يَجْنِيهِ إلاّ مِنْ نقيع الْحَنْظَلِ(٢)

وقال آخر :

دَنَوْتَ للمَجْدِ وَالسَّاعُونَ قَدْ بَلَغُوا   جَهْدَ النُّفُوسِ وَشَدُّوا دُونَهُ الأُزُرَا

وَسَاوَرُوا الْمَجْدَ حَتَّى مَلَّ أكْثَرُهُمْ   وَعَانَقَ الْمَجْدَ مَنْ وَفَّى وَمَنْ صَبَرَا

لاتَحْسَبِ الْمَجْدَ تَمْرًا أنْتَ آكِلُهُ   لَنْ تَبْلُغَ الْمَجْدَ حَتَّى تَلْعَقَ الصَّبِرَا(٣)

قال جعفر بن محمد : مامن شيء أسَرُّ إليَّ من يد أُتْبِعُها أخرى ، لأنَّ مع الأواخر يُقْطَعُ لسانُ شكر الأوائل .

(١) ساقط من ب .

(٢) البيت لأبي تمام ، انظر شرح ديوانه ٤١/٢ ، زهر الآداب ١١٣/٤ .

(٣) الأبيات في الأمالي ١١٣/١ ، وفيه : دببت بدل دنوت ، وألقوا بدل شدوا ، وكابدوا بدل ساوروا ، وانظر البيتين الاولين في فصل المقال ٢٠٧ ، الحماسة لأبي تمام ٢١٥/٢ ، ٢١٦ ، وقد نسبهما هناك إلى رجل من بني أسد ولم يعينه

بابٌ فى طَلَبِ الحَاجاتِ

قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : « اشْفَعُوا تُؤْجَرُوا ، ويَقْضِي الله عَلَى لِسَانِ نبيِّهِ ما شَاء » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم : « اسْتَعينُوا على قَضاء حَوَائِجِكُمْ بِالكِتْمانِ ، فإنّ كلّ ذى نعمة محسود » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنَّ لله عِباداً خَلَقَهُمْ لِحَوَائِجِ النَّاسِ ، هُمُ الآمِنُونَ يَوْمَ القِيامَةِ » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اطْلُبُوا الخَيْرَ عِنْدَ حِسانِ الوُجُوهِ »

قال الشاعر :

أَنْتَ وَصْفُ النَّبِيِّ إذْ قالَ يَوْماً   اطْلُبُوا الْخَيْرَ مِنْ حِسانِ الْوُجُوهِ

وقال محمد بن واسع لقتيبة بن مسلم : إنِّى أتيتك فى حاجة رفعتها الى الله قبلك ، فإن أذن الله فيها قضيتها وحمدناك ، وإن لم يأذن الله فيها لم تقضها وعذرناك .

قال يونسُ رحمه الله :

أَنْزَلْتُ بالحُرِّ إبْرَاهِيمَ مَسْأَلَةً   أَنْزَلْتُها قَبْلَ إبْرَاهِيمَ باللهِ

فإنْ قَضَى حاجَتِي فاللهُ يَسَّرَها   هُوَ الْمُقَدِّرُها والآمِرُ النَّاهِي

إذا أَبَى اللهُ شَيْئاً ضاقَ مَذْهَبُهُ   عَلَى الكَبِيرِ[1] العَرِيضِ القَدْرِ وَالجاهِ

---

(١) ب : على الكريم .

وقال أبو العتاهية :

خَيْرُ الْمَذَاهِبِ فِي الْحَاجَاتِ أَنْجَحُهَا وَأَضْيَقُ الأَمْرِ أَدْنَاهُ الَى الفَرَجِ[١]

كتب سِوَار بن عبد الله بن سِوَار القاضي الى محمد بن عبد الله بن طاهر :

لَنَا حَاجَةٌ وَالْعُذْرُ فِيهَا مُقَدَّمٌ خَفِيفٌ مُعَنَّاهَا مُضَاعَفَةُ الأَجْرِ
فَإِنْ تَقْضِهَا فَالْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّنَا وَإِنْ تَكُنِ الأُخْرَى فَفِي أَوْسَعِ العُذْرِ
عَلَى أَنَّهُ الرَّحْمَنُ مُعْطٍ وَمَانِعٌ وَلِلرِّزْقِ أَسْبَابٌ الى قَدَرٍ تَجْرِي

فأجابه محمد بن عبد الله بن طاهر :

فَسَلْهَا تَجِدْنِي مُوجِبًا لِقَضَائِهَا سَرِيعًا إِلَيْهَا لَا يُخَالِطُنِي فِكْرُ
شَكُورٌ بِإِفْضَالِي عَلَيْكَ بِمِثْلِهَا وَإِنْ لَمْ تَكُنْ فِيمَا حَوَتْهُ يَدِي شُكْرُ
فَهَذَا قَلِيـــلٌ لِلَّذِي قَدْ رَأَيْتُهُ لِحَقِّكَ لَا مَنٌّ لَدَيَّ[٢] وَلَا فَخْرُ

قال معاوية يوماً لعمرو بن العاص : لى إليك حاجة . قال : ولى إليك حاجة يا أمير المؤمنين . قال : تهب لى الوهط[٣] . قال : هو لك يا أمير المؤمنين . قال معاوية : اذكر حاجتك . قال : ترده عليّ .

قال جعفر بن محمد : حاجة الرجل إلى أخيه فتنة لهما ، إن أعطاه شكر من لم يعطه ، وإن منعه ذم من لم يمنعه .

قال خالد بن صفوان : لا تطلبوا الحوائج عند غير أهلها ، ولا تطلبوها فى غير حينها ، ولا تطلبوا مالا تستحقون منها ، فإن من طلب مالا يستحق استوجب الحرمان .

---

(١) الديوان ٦١ .
(٢) ا : على .
(٣) قرية بالطائف ، زرعها عمرو كروماً ، وكانت له قيمة جليلة ، انظر معجم ياقوت ٧/١١١ .

كان يقال : اذا طلب عاقل الى كريم حاجة انقضت ، لأن العاقل لا يطلب إلا ما يمكن ، والكريم إذا سئل ما يمكن لم يمنع .

كان يقال : إذا أحببت أن تطاع ، فلا تسل[١] مالا يستطاع .

قال عامر بن خالد بن جعفر ليزيد بن الصَّعِق :

إنَّكَ إنْ كَلَّفْتَنِي مَا لَمْ أُطِقْ ... سَاءَكَ ما سَرَّكَ مِنِّي مِنْ خُلُقْ[٢]

قال رجل للأحنف : أتيتك فى حاجة لا ترزؤك ولا تنكؤك . قال : إذاً لا تقضى ، أمثلى يؤتى فيما لا يَرْزَأ ولا يَنْكأ .

قال رجل للعباس بن محمد ، أو لعبد الله بن عباس : أتيتك فى حاجة صغيرة ، قال : فاطلب لها رجلا صغيرًا .

قيل لآخر : أتيتك فى حاجة . قال : اذكُرها ، فإن الحرّ يقوم بصغير الحاجات وكبيرها .

كان يقال : لا تستعن على حاجة بمن هى طعمته ، ولا تستعن بكذاب ، فإنه يقرب البعيد ويباعد القريب ، ولا تستعن على رجل بمن له إليه حاجة .

قال ابن المقفع : الحاجة يعترى صاحبها الخيفة من مكانين : الاستقبال بها قبل وقتها ، والثانى حتى تفوت ، وأنشد :

وَقَدْ يَفُوتُ أُنَاسًا بَعْضُ مَا طَلَبُوا ... عِنْدَ التَّأَنِّى فَكَانَ الْحَزْمُ لَوْ عَجِلُوا[٣]

---

(١) ب : تحمل .
(٢) محاضرات الأدباء ١/٢٦١ ، معجم الأدباء ٢/١٨٧ ، العقد الفريد ٣/٢١٢ .
(٣) البيت للقطامى ، ديوانه ١٣٦ ، العقد الفريد ١/٧٥١ ، نهاية الأرب ٣/٣٩٠ ، المستطرف ١/٣٩ .

قال أبو فزارة الغَاضِرِيّ : أصل العبادة ألا تسأل سوى الله حاجة ، فلكل أحد في الله عوض من كل أحد ، وليس لأحد من الله عوض بأحد .

سأل رجل مطرّف بن عبد الله بن الشِّخّير حاجة ، فقال : من كانت له إلى حاجة فليكتبها في رقعة ، فإني أرغب بوجوهكم عن مكروه السؤال .

كان يقال : لا تصرف حوائجك إلى من معيشته فى رءوس المكاييل والموازين

قال العَرْزَمى[1] ، وروى لأبى الأسود الدؤلى :

وَإِذَا طَلَبْتَ إِلَى كَرِيمٍ حَاجَةً فَلِقَاؤُهُ يَكْفِيكَ وَالتَّسْلِيمُ
وَإِذَا طَلَبْتَ إِلَى لَئِيمٍ حَاجَةً فَأَلِحَّ فِي رِفْقٍ وَأَنْتَ مُدِيمُ[2]

وقال آخر :

لَا تَطْلُبَنَّ إِلَى لَئِيمٍ حَاجَةً وَاقْعُدْ فَإِنَّكَ قَائِمًا كَالْقَاعِدِ
يَا خَادِعَ الْبُخَلَاءِ عَنْ أَمْوَالِهِمْ هَيْهَاتَ تَضْرِبُ فِي حَدِيدٍ بَارِدٍ[3]

وقال أمية بن أبى الصلت يمدح عبد الله بن جدعان :

أَأَطْلُبُ حَاجَتِي أَمْ قَدْ كَفَانِي حَيَاؤُكَ إِنَّ شِيمَتَكَ الْحَيَاءُ
كَرِيمٌ لَا يُغَيِّرُهُ صَبَاحٌ عَنِ الْفِعْلِ الْجَمِيلِ وَلَا مَسَاءُ
إِذَا أَثْنَى عَلَيْكَ الْمَرْءُ يَوْمًا كَفَاهُ مِنْ تَعَرُّضِهِ الثَّنَاءُ[4]

---

(١) ب : العرجى .
(٢) البيتان فى ديوان أبى الأسود ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، محاضرات الأدباء ٣٦٣/١ من غير نسبة .
(٣) عيون الأخبار ١٣٥/٣ .
(٤) ديوانه ٦ ، وفيه أأذكر ، وخليل مكان كريم ، وانظر الأبيات فى حماسة أبى تمام ٣٤٦/٢ ، لباب الآداب ٢٨٥ ، نهاية الأرب ٣٨/٥ .

وقال جرير يخاطب عمر بن عبد العزيز :

أَأَذْكُرُ الضُّرَّ وَالْبَلْوَى الَّتِي نَزَلَتْ ... أَمْ أَكْتَفِي بِالَّذِي بُلِّغْتَ مِنْ خَبَرِي (١)

وقال آخر :

كَفَاكَ مُذَكِّرًا وَجْهِي بِأَمْرِي ... وَحَسْبِي أَنْ أَرَاكَ وَأَنْ تَرَانِي (٢)

وقال آخر :

أَرُوحُ بِتَسْلِيمٍ عَلَيْكَ وَأَغْتَدِي ... وَحَسْبُكَ بِالتَّسْلِيمِ مِنِّي تَقَاضِيَا
كَفَى بِطِلَابِ الْمَرْءِ مَا لَا يَنَالُهُ ... عَنَاءً وبِالْيَأْسِ الْمُصَرَّحِ نَاهِيَا (٣)

وقال آخر :

تَخَلَّ لِحَاجَتِي وَاشْدُدْ قُوَاهَا ... فَقَدْ أَمْسَتْ بِمَنْزِلَةِ الضَّيَاعِ
إِذَا أَرْضَعْتَهَا بِلِبَانِ أُخْرَى ... أَضَرَّتْهَا مُشَارَكَةُ الرَّضَاعِ (٤)

وقال آخر :

وَلَا تَسْتَعِينَنَّ فِي حَاجَةٍ ... بِمَنْ يَبْتَغِي حَاجَةً مِثْلَهَا
فَيَنْسَى الَّذِي كُنْتَ كَلَّفْتَهُ ... وَيَبْدَأُ بِحَاجَتِهِ قَبْلَهَا

وقال آخر :

(٥) وَإِذَا يُصِيبُكَ وَالْحَوَادِثُ جَمَّةٌ ... حَدَثٌ حَدَاكَ إِلَى أَخِيكَ الْأَوْثَقِ (٥)

---

(١) ديوانه ٩٦ ، وفيه : الجهد بدل الضر ، وانظره فى المحاسن والمساوى ١/١٩٤ ، عيون الأخبار ٣/١٥٠ ، المستطرف ١/١٢٨ .

(٢) عيون الأخبار ٣/١٤٩ ، العقد الفريد ١/٢٩٠ وفيه : كفاك مخبرا وجهى بشأنى ... وحسبك .

(٣) انظر البيتين فى عيون الأخبار ٣/١٥٠ ، العقد الفريد ١/٢٩٠ .

(٤) البيتان لطريح بن إسماعيل الثقفى كما فى أمالى القالى ٢/٧١ ، وانظرهما فى المستطرف ١/١٣٨ .

(٥) ساقط من ب ، وهو القطامى ، ديوانه ٧٢ وانظره فى عيون الأخبار ٣/٢ ، معجم الأدباء ٣/٦٢

وقال أبو العتاهية :

اقْضِ الحَوَائِجَ مَا اسْتَطَعْـ ... ـتَ وَكُنْ لِهَمِّ أخِيكَ فَارِجْ
فَلَخَـيْرُ أيَّامِ الفَتَى ... يَوْمٌ قَضَى فِيهِ الْحَوَائِجْ[(١)]

وقال الحارثى :

وَمَا رَوْضَةٌ عُلْوِيَّةٌ أَسَدِيَّةٌ[(٢)] ... مُنَمْنَمَةٌ زَهْرَاءُ ذَاتُ ثَرًى جَعْدِ
سَقَاهَا النَّدَى فِي غَفْلَةِ الدَّهْرِ نَوْءُهَا ... فَنُوَّارُهَا يَهْتَزُّ كَالْكَوْكَبِ السَّعْدِ
بِأَحْسَنَ مِنْ حُرٍّ تَضَمَّنَ حَاجَةً ... لِحُرٍّ فَأَوْفَى بِالنَّجَاحِ وَبِالرِّفْدِ[(٣)]

قال عمر بن أبى ربيعة :

إِنَّ لِي حَاجَةً إِلَيْكِ فَقَالَتْ ... بَيْنَ أُذْنِي وَعَاتِقِي مَا تُرِيدُ[(٤)]

كان يقال : من بكر يوم السبت فى حاجة ، كان حقًّا على الله قضاؤها .

قال بشار بن برد :

بَكِّرَا صَاحِبَيَّ قَبْلَ السُّحُورْ ... إِنَّ جُلَّ[(٥)] النَّجَاحِ فِي التَّبْكِيرِ

قالوا : من صبر على حاجة ظفر بها ، ومن أدمن قرع الباب يوشك أن يفتح له .

---

(١) ديوان أبى العتاهية ٦٢ ، ونسبا فى وفيات الأعيان ٢/٣٠٥ إلى عبيدالله بن عبدالله بن طاهر الخزاعى .
(٢) ب : أردية دلوية .
(٣) نسبت الأبيات فى العقد الفريد ٥/٤١٩ إلى ابن أبى الحارثى ، وفيه البيت الثانى :
سقاها الندى فى عقب جنح من الدجى ... فنوارها يهتز بالكوكب السعد
وفيه أيضاً : مع الوعد مكان بالرفد .
(٤) ديوانه ٥٢ .
(٥) ب : حد ، ولا يوجد البيت فيا طبع من ديوانه .

قال على بن أبى طالب رضى الله عنه :

اصْبِرْ عَلَى مَضَضِ الإِدْلَاجِ فِي السَّفَرِ ... وَفِي الرَّوَاحِ إِلَى الحَاجَاتِ وَالْبُكَرِ

لَا تَضْجَرَنَّ وَلَا يُعْجِزْكَ مَطْلَبُهَا ... فَالنُّجْحُ يَتْلَفُ بَيْنَ الْعَجْزِ وَالْقَصَرِ

إِنِّى رَأَيْتُ وَفِى الْأَيَّامِ تَجْرِبَةٌ ... لِلصَّبْرِ عَاقِبَةً مَحْمُودَةَ الْأَثَرِ

وَقَلَّ مَنْ جَدَّ فِي شَيْءٍ يُطَالِبُهُ(١) ... وَاسْتَصْحَبَ الصَّبْرَ إِلَّا فَازَ بِالظَّفَرِ(٢)

وقال محمد بن بشير :

إِنَّ الْأُمُورَ إِذَا انْسَدَّتْ مَسَالِكُهَا ... فَالصَّبْرُ يَفْتُقُ مِنْهَا كُلَّ مَا ارْتُتِجَا

لَا تَيْأَسَنَّ وَإِنْ طَالَتْ مُطَالَبَةٌ ... إِذَا اسْتَعَنْتَ بِصَبْرٍ أَنْ تَرَى فَرَجَا

أَخْلِقْ بِذِى الصَّبْرِ أَنْ يَحْظَى بِحَاجَتِهِ ... وَمُدْمِنِ الْقَرْعِ لِلْأَبْوَابِ أَنْ يَلِجَا(٣)

سأل عبد الرحمن بن حسان بن ثابت رجلا حاجة فلم يقضها له ، وسألها غيره فقضاها إليه ، فكتب هذه الأبيات :

ذُمِمْتَ وَلَمْ تُحْمَدْ وَأَدْرَكْتُ حَاجَتِى ... تَوَلَّى سِوَاكُمْ أَجْرَهَا وَاصْطِنَاعَهَا

أَبَى لَكَ كَسْبَ الْحَمْدِ رَأْىٌ مُقَصِّرٌ ... وَنَفْسٌ أَضَاقَ اللهُ فِى الْخَيْرِ بَاعَهَا

إِذَا هِىَ حَثَّتْهُ عَلَى الْخَيْرِ مَرَّةً ... عَصَاهَا وَإِنْ هَمَّتْ بِسُوءٍ أَطَاعَهَا(٤)

---

(١) ب : يحاوله .

(٢) انظر الثالث والرابع فى عيون الأخبار ٣/١٢٠ ، المستطرف ٢/٦٩ .

(٣) نسبت الأبيات لمحمد بن يسير الرياشى فى البيان ٢/٤٠٠ ، الشعر والشعراء ٨٥٥ ، ونسبت فى المستطرف ٢/٧٨ إلى محمد بن بشير الخارجى وكذلك فى حماسة أبى تمام ٢/٢٨ ، ٢٩ ، ووردت فى عيون الأخبار ٣/١٢٠ ، العقد الفريد ١/٨١ من غير نسبة .

(٤) وردت الأبيات منسوبة إلى عبد الرحمن كما هنا فى عيون الأخبار ٣/١٧٢ ، الأمالى ٢/٢٢٢ ، ووردت منسوبة لابنه سعيد فى البيان ٣/١٨٤ ، زهر الآداب ٤/٦٩ ، محاضرات الأدباء ١/٢٨٦ .

الإلحاح لا يصلح ولا يحمل إلا على الله عز وجل . قال مؤرق العجلى : سألت ربى حاجة عشرين سنة ، فما انقضت لى ولا يئستُ منها .

قال أبو العتاهية :

فِي النَّاسِ مَنْ تَسْهُلُ الْمَطَالِبُ أَحْ ... يَانًا عَلَيْهِ وَرُبَّمَا صَعُبَتْ
مَا كُلُّ ذِي حَاجَةٍ بِمُدْرِكِهَا ... كَمْ مِنْ يَدٍ لَا تَنَالُ مَا طَلَبَتْ
مَنْ لَمْ يَسَعْهُ الْكَفَافُ مُعْتَدِلًا ... ضَاقَتْ عَلَيْهِ الدُّنْيَا بِمَا رَحُبَتْ(١)

وقال القطامى :

قَدْ يُدْرِكُ الْمُتَأَنِّى بَعْضَ حَاجَتِهِ ... وَقَدْ يَكُونُ مَعَ الْمُسْتَعْجِلِ الزَّلَلُ(٢)

كان بنو يربوع يوصون أولادهم ، فيقولون : استعينوا على الناس فى حوائجكم بالتثقيل فذلك أنجح لكم .

قال أبو نواس :

وَلَنْ يُدْرِكَ الْحَاجَاتِ مِنْ حَيْثُ يَنْبَغِى ... مِنَ النَّاسِ إِلَّا الْمُصْبِحُونَ عَلَى رِجْلِ(٣)

وقال أشجع السلمى :

لَيْسَ لِلْحَاجَاتِ إِلَّا ... مَنْ لَهُ وَجْهٌ وَقَاحْ

---

(١) الديوان ٣٨ .

(٢) ديوانه ١٣٥ ، شرح الحماسة للتبريزى ١/٣٢٨ ، عيون الأخبار ٣/١٢١ ، المستطرف ١/٣٩ ، ٢/٧٢ ، الشعر والشعراء ٧٠٤ .

(٣) لم أعثر عليه فى ديوانه ، وقد نسب إليه أيضا فى عيون الأخبار ٣/١٢٠ ورواية الشطر الأول : وما طالب الحاجات ممن يرومها ، ونسب فى حماسة البحترى ١٨٧ إلى أبى عطاء السندى ، والرواية فيه : من حيث تبتغى .

وابْتِكَارٌ وَدَوَامٌ وَغُدُوٌّ وَرَوَاحْ
إِنْ تَكُنْ أَبْطَأَتِ الْحَاجَةُ عَنِّى وَالسَّرَاحْ
فَعَلَىَّ الْجُهْدُ فِيهَا وَعَلَى اللهِ النَّجَاحْ(١)

(٢) وقال آخر :

هَيْبَةُ الإِخْوَانِ قَاطِعَةٌ لِأَخِى الْحَاجَاتِ عَنْ طَلَبِهْ
فَإِذَا مَا هِبْتَ ذَا أَمَلٍ مَاتَ مَا أَمَّلْتَ مِنْ سَبَبِهْ(٢)

وقال آخر :

طَلَبُ الْحَوَائِجِ كُلِّهَا تَغْرِيرُ لَا تَرْضَ مَعْجَزَةً وَأَنْتَ قَدِيرُ (٣)

وقال دعبل بن على الخزاعى :

جِئْتُكَ مُسْتَشْفِعًا بِلَا سَبَبِ إِلَيْكَ إِلَّا بِحُرْمَةِ الْأَدَبِ
فَاقْضِ ذِمَامِى فَإِنَّنِى رَجُلٌ غَيْرُ مُلِحٍّ عَلَيْكَ فِى الطَّلَبِ(٤)

وقال آخر :

مَنْ عَفَّ خَفَّ عَلَى الصَّدِيقِ لِقَاؤُهُ وَأَخُو الْحَوَائِجِ وَجْهُهُ مَمْلُولُ(٥)

---

(١) الشعر والشعراء ٨٥٨ ، المستطرف ٢/٢٧٢ .
(٢) يروى مقطعة مكان قاطعة ، وانظرهما فى عيون الأخبار ٣/١٢٠ ، محاضرات الأدباء ١/٢٦٢ .
(٣) ساقط من ا ، وهذا البيت ملفق من بيتين مع اختلاف فى بعض الألفاظ وهما :
لا ترض منزلة الذليل ولا تقم فى دار معجزة وأنت خبير
وإذا هممت فأمض همك إنما طلب الحوائج كله تغرير
انظر عيون الأخبار ٣/١٢٢ وسوف يرد البيت الأخير فيما يلى .
(٤) العقد الفريد ١/٢٨٠ ، عيون الأخبار ٣/١٣٣ .
(٥) المستطرف ٢/٦٦ .

وقال آخر :

وَإذَا هَمَمْتَ فَأَمْضِ هَمَّكَ إِنَّمَا   طَلَبُ الْحَوَائِجِ كُلّهَا تَغْرِيرُ(١)

اختلف أبو العتاهيـة إلى الفضل بن الربيع فى حاجة زمانًا فلم يقضها له ، فكتب إليه :

أَكُلَّ طُولِ الزَّمَانِ أَنتَ إِذَا مَا   جِئْتُ فِي حَاجَةٍ تَقُولُ غَدَا
لَا جَعَلَ اللهُ لِي إِلَيْكَ وَلَا   عَنْدَكَ مَا عِشْتُ حَاجَةً أَبَدَا(٢)

وقال آخر وأظنه محمود الوراق :

وَذِي ثِقَةٍ تَبَدَّلَ حِينَ أَثْرَى   وَمَا شِيَمِي مُوَافَقَةُ الثِّقَاتِ(٣)
فَقُلْتُ لَهُ عَتَبْتَ(٤) عَلَيَّ ظُلْمًا   فِرَارًا مِنْ مَؤُونَاتِ الْعِدَاتِ
فَعُـــدْ لِمَوَدَّتِي وَعَلَيَّ نَذْرٌ   سُؤَالُكَ حَاجَةً حَتَّى(٥) الْمَمَاتِ

كتب أبو العتاهية إلى أحمد بن يوسف :

لَئِنْ عُدْتُ بَعْدَ الْيَوْمِ إِنِّي لَظَالِمٌ   سَأَصْرِفُ نَفْسِي حِينَ تُبْغَى الْمَكَارِمُ
مَتَى يَنْجَحُ الغَادِي إِلَيْـكَ لِحَاجَةٍ   وَنِصْفُكَ مَحْجُوبٌ وَنِصْفُكَ نَائِمُ(٦)

وقال الصلتان العبدى :

نَرُوحُ وَنَغْدُو لِحَاجَاتِنَا   وَحَاجَةُ مَنْ عَاشَ لَا تَنْقَضِي

---

(١) انظر التعليق رقم ٣ فى الصفحة السابقة .
(٢) الديوان ٣٣٣ .   (٣) فى عيون الأخبار : ومن شيمى مراقبة الثقات .
(٤) ب : عبثت .
(٥) وردت الأبيات فى عيون الأخبار ٣/١٤٨ غير منسوبة لقائل .
(٦) الديوان ٣٣٣ .

تَمُوتُ مَعَ الْمَرْءِ حاجَاتُهُ ... وَتَبْقَى لَهُ حاجَةٌ ما بَقِي(١)

وقال أبو العتاهية :

مَتَى تَنْقَضِي حاجَاتُ مَنْ لَيْسَ وَاصِلًا ... إِلى حاجَةٍ حَتَّى تَكُونَ لَهُ أُخْرَى(٢)

وقال آخر :

إِنَّمَا تَنْجَحُ الْمَقَالَةُ فِي الْمَرْ ... ءِ إِذَا صَادَفَتْ هَوًى فِي الْفُؤَادِ(٣)

سئل بعض الحكماء حاجة فامتنع ، فعوتب فى ذلك ، فقال : لأن يحمر وجهى مرة خير من أن يصفر وجهى مراراً .

قال منصور الفقيه :

مَنْ قَالَ لَا فِي حَاجَةٍ ... مَطْلُوبَةٍ فَمَا ظَلَمْ
وَإِنَّمَا الظَّالِمُ مَنْ ... يَقُولُ لَا بَعْدَ نَعَمْ(٤)

وقال آخر :

إِذا قلتَ فِي شَيْءٍ نَعَمْ فَأَتِمَّهُ ... فَإِنْ نَعَمْ دَيْنٌ عَلَى الْحُرِّ وَاجِبُ
وَإِلَّا فَقُلْ لَا . تَسْتَرِحْ وَتُرِحْ بِهَا ... لِئَلَّا يَقُولَ النَّاسُ إِنَّكَ كَاذِبُ(٥)

وقال أبو العتاهية :

لَا يَزَالُ الْمَرْءُ مَا عَاشَ لَهُ ... حاجَةٌ فِي الصَّدْرِ مِنْهُ تَعْتَلِجْ

---

(١) البيتان فى نهاية الأرب ١٩١/٨ ، عيون الأخبار ١٣٢/٣ ، معجم الشعراء ٢٣٠ .
(٢) زيادة ى ب ، والبيت فى ديوانه ٥٢ ، العقد الفريد ١٣٨/٣ ، وفيه : من ليس صابرا ... على .
(٣) البيت لأبى فراس الحمدانى ، انظر اليتيمة ١٧٤/١ .
(٤) التمثيل والمحاضرة ١٠٦ .
(٥) انظر البيتين فى حماسة البحترى ٢٢٠ ، لهرم بن غنام السلولى ، والرواية هناك : واسترح وأرح بها بها لـكيلا ، وانظرهما فى المستطرف : ٢٣/١ .

رُبَّ أَمْرٍ قَدْ تَضَايَقْتَ بِهِ ثُمَّ يَأْتِي اللهُ مِنْهُ بِالْفَرَجْ[1]

وقال آخر :

لَئِنْ أَخْطَأْتُ فِي مَدْحِيـ ـكَ مَا أَخْطَأْتَ فِي مَنْعِي
لَقَـــدْ أَحْلَلْتُ آمَالِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعِ[2]

وقال آخر :

قَدْ تُخْرِجُ الْحَاجَاتُ يَا أُمَّ مَالِكٍ كَرَائِمَ مِنْ رَبٍّ بِهِنَّ ضَنِينُ[3]

وقال أشجع السلمى :

قَدْ خَرَجَتْ حَاجَاتُ أَهْلِ الْحِجَا بِنُجْحِهَـــــا وَامْتَنَعَ الْمَنْهَجُ
وَلَيْسَ فِيهِمْ رَجُـــلٌ وَاحِدٌ مِنِّي إِلَى حَاجَتِــــهِ أَحْوَجُ
يُرِيبُنِي أَنِّي أَرَى حَاجَـــتِي تَدْخُلُ فِي الْحَاجِ وَلَا تَخْرُجُ
أَقُولُ إِذَا أَقْلَقَـنِي عَاذِلٌ بِكُلِّ مَا أَكْرَهُــــهُ مُلْهِجُ
قَدْ يُدْرِكُ الْأَمْرَ أَنَاةُ الْفَتَى وَيَسْبِقُ فِي الْحَاجَةِ مَنْ يُدْلِجُ[4]

---

(١) ديوانه ٦٢ .

(٢) البيتان لإسماعيل الفراطيسى فى الفضل بن الربيع ، انظر محاضرات الأدباء ١/٢٨٠٦ ، عيون الأخبار ١/١٤٣ ، الأغانى ٢٠/٨٨ .

(٣) محاضرات الأدباء ١/٢٢٥ ، ٢/٢٨٤ ، معجم الأدباء ١٢/٢٢٩ ، العقد الفريد ٣/٤٦٩ وفيه : يا أم عامر .

(٤) ب : ويسبق الحاجات الخ .

باب السُّلْطَان والسِّيَاسة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رعيَّتِهِ ، فَالإِمَامُ الَّذِى عَلَى النَّاسِ رَاعٍ عَلَيْهِمْ وَمَسْئُولٌ عَنْهُمْ ، والْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى مَالِ زَوْجِها وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُ » .

وقال عليه السلام : « الإِمامُ العَدْل لَا تَكَاد تُرَدُّ دَعْوَتَهُ » .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الْمُقْسِطُونَ يومَ القيامةِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمٰن — وكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِين — لَا يَفْزَعُونَ إِذَا فَزِعَ النَّاس » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كُلُّ أَميرٍ لم يُحِطْ رَعِيَّتَهُ بالنَّصِيحَةِ لم يَرُحْ رائحةَ الْجنة » .

قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه : لا يُصْلِحُ هذا الأمر إلاّ شدّةٌ فى غير عُنف ، ولين فى غير ضعف .

قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : لن يقيم[1] أمر الناس إلا امرؤ حصيف العقدة ، بعيد الغور ، لا يطّلعُ الناس منه على غوره ، ولا يخاف فى الله لومة لائم .

وعن عمر رضى الله عنه ، قال أيضاً : لا يقيم أمر الله فى الناس إلّا رجلٌ يتكلم بلسانه كله ، يخاف الله فى الناس ، ولا يخاف الناس فى الله .

لعلىّ بن أبى طالب فى أول كتاب كتبه : أمّا بعد ، فإنه أهلك من كان قبلكم أنهم منعوا الحق حتى اشتُرِى ، وبسطوا الجور حتى اقتُدِىَ[2] .

---

(١) ب : لم يقم .
(٢) ا : ابتدى .

قال مجّاعة بن مرارة الحنفي لأبى بكر الصديق رضى الله عنهما : إذا كان الرأى عند من لا يُقْبل منه ، والسلاح عند من لا يستعمله ، والمال عند من لا ينفقه ، ضاعت الأمور .

قال على بن أبى طالب رضى الله عنه : الْمُلْك والدين أخَوَان ، لا غنى بأحدهما عن الآخر ، فالدّين أسّ[1] ، والْمُلْك حارس ، فما لم يكن له أس فمهدوم ، وما لم يكن لَهُ حارس فضائع .

قال عبد الله بن المبارك :

إنَّ الْجمَاعَةَ حَبْلُ اللهِ فَاعْتَصِمُوا ... مِنْهُ بِعُرْوَتِهِ الوُثْقَى لِمَنْ دَانَا
كم يدفعُ الله بالسُّلْطَانِ مُعضِلَةً ... فِى دِينِنَا رَحْمَةً مِنْهُ وَدنْيانا
لَوْلَا الخلافةُ لم تأمَنْ لنا سُبُلٌ ... وكانَ أضعفنا نهباً لأقوانا[2]

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يؤمّ أحد على سلطانه ، ولا يجلس على تكرمة إلا بإذنه » .

كان يقال : شرّ الأمراء أبعدهم من العلماء ، وشر العلماء أقربهم من الأمراء .

قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه : مِنَ الملوكِ مَنْ إذَا ملك زهّده الله فيما فى يديه ، ورغبه فيما فى يد غيره ، وأشرب قلبه الإشفاق على ما عنده ، فهو يحسُدُ على القليل ، ويتسخّط على الكثير .

---

(١) ب : رأس .
(٢) ب : نهبا لأقوانا .

ولّى علىٌّ بن أبى طالب عمَّ المختارِ بن أبى عبيد عُكْبَرا[١] ، وقال له بين يدى أهلها : استوف منهم خراجهم ، ولا تجدن عندك ضعيفاً ولا رخصة . ثم قال له : رح إلىَّ. قال : فرحتُ إليه ، فقال لى : قد قلتُ لك بين أيديهم ما قلت ، وهم قومٌ خُدَعٌ ، وأنا الآن آمرك بما إن قبلتَهُ وإلا أخذك الله به دونى ، وإن بلغنى خلافُ ما أمرْتك به عزلتُك ، لا تتبعنّ لهم رزقاً يأكلونه ، ولا كسوة شتاء ولا صيف ، ولا تضربن رجلا منهم سوطاً فى طلب درهم ، ولا تُقمه[٢] فى السجن فى طلب درهم ، فإنا لم نؤمر بذلك ، ولا تستعرْ لهم دابّة[٣] يعملون عليها ، فإنا أمرنا أن نأخذ منهم العفو .

قال عمرو بن العاص لابنه : يا بنىّ ! ! احفظ عنى ما أوصيك به ، إمام عَدْل خير من مطر وَبْل ، وأسدٌ حَطُوم خير من إمام ظلوم ، وإمام ظلوم غشوم خير من فتنة تدوم .

رسالة أَرْدَشير بن بَابك الى الملوك بعده

من أردشير ملك الملوك ، الى الملوك الكائنين بعده : الخراج عمود المملكة بكنفه تعيش الرعية ، وتحفظُ الأطراف والبَيْضة ، فاختاروا للعمل عليه أولى الطينة الحرة ، من ذوى العقـــل والحُنْكة ، وكفّوهم بسنى[٤] الأرزاق يحسموا أنفسهم عن الارتفاق ، فما استغزر بمثل العدل ، ولا استنزر بمثل الجور .

---

(١) بليدة بينها وبين بغداد عشرة فراسخ . معجم البلدان ٤/١٤٢ .
(٢) ب : ولا تزيد .
(٣) ب : ولا تتبعن لهم حانة ... الخ .
(٤) أ : بيسير .

ومن كلام الفرس فى هذا الباب : لا مُلْكَ إلا برجال ، ولا رجال إلا بمال ، ولا مال إلا بعمارة ، ولا عمارة إلا بعدل .

ومن قولهم أيضاً : مَثَلُ الْمَلِكِ الذى يأخذ أموال رعيته ويُجْحف بهم ، مثلُ من يأخذ الطّين من أصول حِيطَانه ، فيطيِّنُ به سُطوحَه فيوشك أن تقع عليه البيوت .

ومن كلامهم أيضاً ، وينسب الى أرسطاطاليس : العَالَمُ بستانٌ سياجُهُ الدولة ، الدولة سلطان تحيا به السُّنة ، السُّنة [1] سياسة يسوسها المَلِك ، المَلِكُ راع يعضّده الجيش ، الْجيشُ أعوان يكنفهم المال ، المالُ رزقٌ تجمعه الرعية ، الرعيةُ عبيدٌ يتعبّدهم العدل ، العدلُ مألوفٌ وهو صلاحُ الْعَالَم .

قال عبد الملك بن عُمَيْر : كان مكتوباً فى مجلس زياد الذى يجلس فيه للناس بالكوفة ، فى أربع زوايا بقلم جليل : الوالى شديدٌ فى غير عُنْف ، لَيِّنٌ فى غير ضَعْف ، العطيةُ لأربابها[2] والأرزاقُ لأوقاتها ، البعوثُ لا تُجْمَر[3] ، المحسنُ يجازى بإحسانه ، والمسىء يؤخذ على يديه . فكان كلّما رفع رأسه قرأه .

قال قتيبةُ بن مُسْلم : مِلَاكُ الأمر فى السلطان : الشِّدة على المذنب ، واللِّين للمحسن ، وصدق القول .

قال أشجع بن عمرو السلمى :

لَا يُصْلِحُ السُّلْطَانَ إلَّا شِدَّةٌ تغْشَى البَرِىءَ بفَضْلِ ذَنْبِ المُجْرِمِ[4]

(١) ساقط من ا .
(٢) ا : لأحيانها .
(٣) ب : المبعوث لا يحمد ، تحريف ، وتجمير البعث : حبسه فى أرض العدو .
(٤) البيت فى الأمالى ١/١٢ ، زهر الآداب ١٤٢/٢ ، وفيه تخشى مكان تغشى .

قال الوليد بن عبد الملك لأبيه عبد الملك : يا أمير المؤمنين ! ما السياسة ؟ فقال : هيبة الخاصة(١) مع شدة عفتها(٢) ، واقتياد قلوب العامة بالإنصاف(٣) منها .

قال مسلمة بن عبد الملك : ما حمدتُ نَفْسي على ظفر ابتدأته بعجز ، ولا ذممتها على مكروه ابتدأته بحزم .

قال معاوية لابنه يزيد : أَعْطِ من أتاك صادقاً بما تكره ، كما تعطّى من أتاك بما تحب ، واعلم أنه إذا أَعْطَى الأمير على الهوى لا على الغنى فسد ملكه .

قيل لأنو شروان : إنك اصطنعت فلاناً ولا نسب له . فقال : اصطناعنا له نسبه .

قال أبو جعفر المنصور : الذى عليّ للرعية أن أحفظ سُبُلَهُم ، فينصرفون آمنين فى سبيلهم ، ولا يُصَدّون عن حجهم ، وقضاء نسكهم ، وأن أضبط ثغورهم ، وأحصّنها من عدوهم ، وأن أختار قضاتهم ، وأعزهم بالحق(٤) كيلا يصل ظلم بعضهم الى بعض، وأن أرفع أقدار فقهائهم وعلمائهم ، وأكف جهالهم عن حكمائهم .

كتب عبد الملك بن مروان الى الحَجّاج : صف لى الفتنة حتى كأنى أراها رأى العين . فكتب اليه : لو كنت شاعراً لوصفتها لك(٤) فى شعرى ، ولكنى أصفها لك بمبلغ(٥) رأيي وعلمى ، الفتنة تلقحُ بالنجوى ، وتَنْتج(٦) بالشكوى ، فلما

(١) ب : الرعية .
(٢) ب : محبتها .
(٣) ب : بالانصراف .
(٤) ساقط من ا .
(٥) ا : ببليغ .
(٦) ب : وتفتح .

قرأ كتابه ، قال : إن ذلك لكما وصفت ، نخذ من قبلك بالجماعة ، وأعطهم عطايا الفُرقة ، واستعن عليهم بالفاقة ، فإنها نعم العون على الطاعة ، فأُخبر بذلك أبو جعفر المنصور فلم يزل عليه حتى مضى لسبيله .

قال بعض الحكماء من ملوك الفرس ، لحكيم من حكماء مملكته : أى الملوك أحزم ؟ قال : من غلب جِدُّه هزلَه ، وقهر لبُّه هواه ، وأعرب عن ضميره فعلُه ، ولم يختدعه رضاه عن خطئه ، ولا غضبه عن كيده .

لما أراد عمرو بن العاص المسير الى مصر ، قال له معاوية[١] : إنى أريد أن أوصيك . قال : أجل . فأوْصِ . قال : انظر فاقة الأحرار فاعمل فى سدها ، وطغيان السفلة فاعمل فى قمعها ، واستوحش من الكريم الجائع ، واللئيم الشبعان ، فإنما يصول الكريم إذا جاع ، واللئيم إذا شبع .

قال بعض الحكماء : الرعية للملك كالروح للجسد ، فإذا ذهب الروح فنى الجْسد .

وروى الهيْثَم بن عَدِىّ ، عن مجالد ، عن الشعبى ، قال عمر بن الخطاب : دلّونى عن رجل أستعمله ، فقد أعيانى أمر المسلمين . قالوا له : عبدالرحمن بن عوف ، قال لهم : ضعيف . قالوا له : فلان . قال : لا حاجة لى به . قالوا : فمن تريد ؟ قال : رجل إذا كان أميرَهم كان كأنّه رجل منهم ، واذا لم يكن أميرهم كان كأنه أميرهم . قالوا : ما نعلمه إلا الرّبيع بن زياد الحارثى . قال : صدقتم .

قال أبو عمر : والربيع بن زياد هذا ، كان فاضلا جليلا فى قومه ، ولّاه معاوية خراسان ، فاستكتب الْحسن بن أبى الحسن فكان كاتبه ، فلما بلغه قتلُ معاوية

---

(١) ب : قال لمعاوية يا أمير المؤمنين .

حُجْرَ بن عدى"[١] ، قال : اللّهم إن كان للربيع عندك خير فاقبضه إليك وعجّل ، فزعموا أنه لم يبرح من مجلسه حتى مات .

كتب بعض ملوك العجم إلى ملك آخر منهم : قلوب الرعية خزائن ملوكها ، فما أودعوها فليعلموا أنه فيها .

قال الإسكندر لأرسطاطاليس : أوصنى . قال : فانظر من كان له عبيد فأحسنَ سياستهم فولّه الجُنْد ، ومن كانت له ضَيْعَةٌ فأحسن تدبيرها فولّه الخراج .

وقال بعض الحكماء : لا تصغِّر أمر من جاء يحاربك ، فإنك إن ظفرت لم تُحْمد ، وإن عجزت لم تُعذر .

قيل لكسرى ذى الأكتاف[٢] ، وكان ضابطاً لمملكته : بمَ ضبطتَ مُلكك ؟ قال : بثمان خصال : لم أهزل فى أمر ولا نهى ، ولم أخلف وعداً ولا وعيداً ، ووليّت للغنى لا للهوى ، وعاقبت للأَدب لا للغضب ، وأوطأت قلوب الرعية الهيبة من غير ضغينة ، وملأتها محبة من غير جرأة ، وأعطيتها القوت ، ومنعتها الفضول .

قال عبد الملك بن عُمَيْر : سمعت زياداً وهو يخطبُ ، فقال بعد حمد الله والثناء عليه : إنا أصبحنا لكم سَاسَة وعنكم ذَادَة ، نسوسكم بسلطان الله الذى ملّكنا ، ونذود عنكم بفيء الله الذى خوّلنا ، فلنا عليكم الطاعة فيما أحسَنّا[٣] ، ولكم العدل فيما ولينا ، فاستوجبوا عدلنا بطاعتكم ، ومَحْض وُدّنا بمناصحتكم ، ومهما قصّرت فيه

(١) انظر خبر حجر وأصحابه فى تاريخ : الطبرى ٦/١٤١ ، الكامل لابن الأثير ٣/١٨٧ ، سير أعلام النبلاء ٣/٣٠٥ .

(٢) ساقط من ا .

(٣) ب . أحببنا .

من أداء حقكم فلن أقصر في ثلاث : لست محتجباً عن ذى حاجة ولو أتانى طارقاً بليل ، ولا مُجَمِّرًا لكم جيشاً[١] ، ولا حابساً عنكم عطاء ولا رزقاً لإبّانه ، فادعوا الله لأئمتكم بالصلاح ، فإنهم ساستكم المَدبُون[٢] ، وكهفكم الذى إليه تأوون ، فإن تصلحوا يصلحوا ، ولا تشعروا قلوبكم بغضهم فيشتدَّ غيظكم ، ويطول حزنكم ، ولا تدركوا حاجتكم ، فإنه لو استجيب لكم فيهم كان شرًّا لكم ، نسأل الله أن يعين كلاً على كلّ .

كان يقال : ينبغى للمَلِكِ أن يعمل بثلاث خصال : تأخير العقوبة عند الغضب ، وتعجيل مكافأة المحسن بإحسانه ، والعمل بالأناة فيما يحدُث له ، فإن له فى تأخير العقوبة إمكان العفو ، وفى تعجيل المكافأة بالإحسان : المسارعة إلى الطاعة ، وفى الأناة : انفساح الرأى وإيضاح الصواب .

كان يقال : من سعى بدليل فى التدبير لم يقعد به إلاّ سابق قضاء لا يُملك .

ذكر المبرّد ، قال : كان بعض عقلاء ملوك الفرس إذا شاور من قد رتّبهم لمشورته فقصّروا فى الرأى . دعا الذين قد وكّلهم فى أرزاقهم فعاقبهم ، فيقولون : يخطىء أهل مشورتك فتعاقبنا نحن . فيقول : نعم . إنهم لم يخطئوا إلاّ بتعلق قلوبهم بأرزاقهم ، فإذا اهتمّوا لحاجاتهم أخطأوا .

قال بعض الحكماء لبعض الملوك : أوصيك بأربع خصال تُرضى بهن ربّك ، وتَصْلُح معهن رعيتك : لا يغرّنك ارتقاء السهل[٣] إذا كان المنحدر وعراً ، ولا تعدن

---

(١) تجمير الجيش : حبسه فى أرض العدو .
(٢) ب : المؤدبون .
(٣) ب : السير .

وعدًا ليس فى يديك وفاؤه ، واعلم أن الأمور بَغَتَاتٌ[1] فبادر ، واعلم أن الأعمال جزاء ، فاتَّق العذاب .

قال زياد : كمال الرأى شدةٌ فى غير إفراط ، ولين فى غير إهمال .

ضرب مصعب بن الزبير وجه الأسقف بالقضيب ، فقال : إنى أجد فى الإنجيل : لا ينبغى للإمام أن يكون سفيهاً ومنه يُلتمس الحِلم ، ولا ينبغى له أن يكون جائرًا ومن عنده يُلتمس العدل .

سألتْ بنو إسرائيل موسى عليه السلام ، أن يعرّفهم الزمان الذى يرضى فيه الله عن الناس ، فقال : إذا استُعْمِلَ منهم الهَيِّن البَرّ الخيّر[2] .

وفى خبر آخر : علامة رضا الله عن عباده أن يستعمل عليهم خيارهم ، وأن ينزل الغيث فى أوانه ، وعلامة سخطه عليهم أن يولى عليهم شرارهم ، وينزل عليهم الغيث فى غير أوانه .

قال معاوية لابن الكوَّاء[3] : صف لىَ الزمان ، فقال : أنت الزمان إن تَصْلُحْ يَصْلُحْ ، وإن تَفْسُد يَفسد .

خير من هذا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « صِنْفَانِ مِنْ أُمَّتِي إذا صَلَحا صَلَح الناس : الأمراء والعلماء » .

قال الأحنف بن قيس : كلّ ملك غدور ، وكلّ دابة شرود ، وكل امرأة خئون !

---

(١) ب : تفتات .

(٢) ب : اللين الحى .

(٣) ب : ابن الكر ، والصحيح ما ذكرناه ، فهو عبد الله بن عمرو (ابن الكواء) اليشكرى ، كان من النسابين العلماء بالأخبار والآثار ، خرج على على بعد التحكيم ، ثم كان من رءوس الخوارج الشراة الذين حاربهم المهلب . انظر تهذيب التهذيب ٤/٧٢ ، شذور الذهب ٦/٩٧ .

قال الأعور السلمي : يا معشر بني سليم ! أنذركم السلطان فإنه أصبح صَعْباً حَنُوطاً[١] يغضب كما يغضب الصبي ، ويفترس كما يفترس الأسد .

قال عبد الملك بن مروان : لقد كنت أمشي في الزرع فأتقي الْجُنْدُبَ أن أقتله ، وإن الحجاج اليوم ليكتب إلىّ بقتل فِئَامٍ[٢] من النّاس فما أحفل بذلك .

قال بعض الولاة لأعرابي : قل الحق وإلا أوجعتك ضرباً[٣] . فقال : وأنتَ فاعمل به ، فما تَوَعَّدك اللهُ به أشدُّ مما توعدني به .

قيل لمَلِكٍ زال عنه ملكه : لِمَ زال عنك ملكُك ؟ قال : لمدافعتي عمل اليوم إلى غد .

قال ابن شُبْرُمة : من أكل من حَلْوائهم انحطّ في أهوائهم .

قال كسرى لوزيره : إياك أن تدخل علىّ كثيرًا فأملّك ، فتثقلَ علىّ حوائجك ، ولا تُطِل الغيبة عني فأنساك .

قال بعضُ الحكماء : من زال عن أبصار الملوك زال عن قلوبهم .

قال ابن المعتز : أشقى النَّاسِ بالسُّلطان صاحبُه ، كما أن أقربَ الأشياء إلى النار أسرعُها احتراقاً .

قال الشاعر :

إِنَّ الْمُلُوكَ بَلاءٌ حَيْثُمَا حَلُّوا فَلا يَكُنْ لَكَ فِي أَفْنَائِهِمْ ظِلُّ

---

(١) الحنوط : الميال إلى الشر .

(٢) ا : قيام ، وهو تحريف ، وفئام ككتاب : الجماعة من الناس .

(٣) ساقط من ا .

وَمَا تُرِيدُ بِقَوْمٍ إِنْ هُمُ سَخِطُوا جَارُوا عَلَيْكَ وَإِنْ أَرْضَيْتَهُمْ مَلُّوا
وَإِنْ مَدَحْتَهُمُ ظَنُّوكَ تَخْدَعُهُمْ وَاسْتَثْقَلُوكَ كَمَا يُسْتَثْقَلُ الكَلُّ
فاستغن بالله عن أَبْوَابِهِمْ أَبَدًا إِنَّ الْوُقُوفَ عَلَى أَبْوَابِهِمْ ذُلُّ(١)

قالوا : السلطان كالنار ، من تباعد منها لم ينل من دفئها(٢) شيئًا ، ومن تقرب منها أحرقته .

ذكر أعرابى الملوك فقال : الملك أقرب ما تكون إليه أخوف ما تكون منه ، شاهده يظهر حبك ، وغائبه يتمنى غيرك .

قال المأمون : لو كنتُ مع العامة لم أصحب السلطان .

قال أبو قَرْدُودَة :

إِنِّى نَهَيْتُ ابنَ عَمَّارٍ وَقُلْتُ لَه : لا تَأْمَنَنْ أَحْمَرَ العَيْنَيْنِ وَالشَّعْرَهْ
إِنَّ الْمُلوكَ مَتَى تَنْزِلْ بِسَاحَتِهِمْ يَطِرْ بِثَوْبِكَ مِنْ نِيرانِهِمْ شَرَرَهْ(٣)

وقال آخر :

إِذَا ضَحِكَ الْأَمِيرُ إِلَيْكَ فَاعْلَمْ بِأَنَّ ضَمِيرَهُ لَكَ مُسْتَقِيمُ
وَلَا تَحْفِلْ بِضِحْكٍ مِنْ كِفِيٍّ(٤) فَكُلُّ النَّاسِ ضِحْكُهُمُ سَقِيمُ

---

(١) انظر الأبيات فى العقد الفريد ٣/٢٠٠ ، محاضرات الادباء ١/٩٢ .
(٢) ب : حرها .
(٣) كان ابن عمار الطائى خطيب مذحج كلها ، فبلغ النعمان حسن حديثه فحمله على منادمته ، وكان النعمان شديد العربدة قتالا للندماء ، فنهاه أبو قردودة الطائى عن منادمته ، فلم يستمع إليه ، فلما قتل رثاه ، انظر البيان ١/٢٢٨ ، ٣٤٩ ، وانظر محاضرات الأدباء ١/ ٩٢ .
(٤) الكفى : النظير والمثيل .

قال العباس بن محمد للمنصور : يا أمير المؤمنين ! إنما هو سيفك ودرعك ، فادْرَعْ بدرعك من شكرك ، واحصد بسيفك من كفرك .

قالوا : لا تغتر بالأمير إذا غشك الوزير .

(١ ومنهم من قال : لا تثق بالأمير إذا خانك الوزير ١) .

جلس معاوية يأخذ البيعة على الناس بالبراءة من عليّ . فقال رجل : يا أمير المؤمنين ! إنا نطيع أحياءكم ، ولا نبرأ من موتاكم . فالتفت معاوية إلى المغيرة بن شعبة ، فقال : رَجل فاستوص به خيرًا .

كان يقال : إذا نزلْتَ من الوالى بمنزلة الثّقة فاعزل عنه كلام الخنا والمَلَق ، ولا تكثرنّ له الدعاء فى كل كلمة ، فإن ذلك يشبه الوحشة ، وعظّمه ووقّره فى الناس .

قال الشُعبيّ : أخطأت عند عبد الملك بن مروان فى أربع : حدثنى بحديث يوماً فقلت : أعده علىّ فقال : أما علمت أن أمير المؤمنين لا يُستعاد . وقلت له حين أذن لى عليه : أنا الشعبى . فقال : ما أدخلناك حتى عرفناك . وكنيت عنده رجلا ، فقال : أما علمت أنه لا يكنى أحد عند أمير المؤمنين . وحدثنى بحديث فسألته أن يكتبه[٢] . فقال : إنا نُكَتِّبُ ولا نُكتَّبُ[٣] .

وهذا الخبر عندى غير صحيح ، لأن المحفوظ عن الشَّعبى أنه قال : ما استعدتُ حديثاً قط . ولا تشبه سائر الحكاية أخلاق الشعبى .

---

(١) ساقط من ا .
(٢) ب : يكتبنيه .
(٣) ب : لا نكتب .

قال الشعبي : قال لي عبد الملك : جنبني ثلاثاً وأورد عليَّ ما شئت : لا تُطْرِني في وجهي ، فأنا أعلم بنفسي ، وإياك أن تغتاب عندي أحداً ، واحذر أن أجِدَ عليك كذبة فلا أسكن إلى قولك أبداً . وهذا مأخوذ من قول العباس لابنه عبد الله رضي الله عنهما . قال عبد الله بن عباس ، قال لي أبي : إني أرى أمير المؤمنين — يعني عمر بن الخطاب — يدنيك دون أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، فاحفظ عني ثلاثاً : لا يجدنّ عليك كذباً ، ولا تغتابن عنده مسلماً ، ولا تفشين له سرًّا . فقيل له : يا ابن عباس[1] كل واحدة خير من ألف ، فقال : كل واحدة خير من عشرة آلاف .

قال عمر بن الخطاب لهُنَيّ إذ ولاه الحمى[2] : يا هُنَي ! اضمم جناحك ، واتق دعوة المظلوم .

قال الفرزدق :

قُلْ لِنَصْرٍ وَالْمَرْءُ فِي دَوْلَةِ السُّلْـ ... ـطَانِ أَعْمَى مَا دَامَ يُدْعَى أَمِيرَا

فَإِذَا زَالَتِ الْوِلَايَةُ عَنْـــهُ ... واستوى بالرجَالِ كَانَ بَصِيرَا[3]

قال المهلب لابنه : يا بني : اخفض جناحك واشتد[4] في سلطانك ، فإن الناس للسلطان أهيب منهم للقرآن .

---

(١) ب : يا عباس .

(٢) هني : مولى كان لعمر رضى الله عنه ولاه حمى النقيع التي حماها عمر لإبل الصدقة وخيل الجهاد انظر تهذيب التهذيب ١١/٧٣ ، وانظر معجم البلدان قسم ٢/٣٠٨ .

(٣) ديوانه ٩٢ ، نهاية الأرب ٣/٧٣ وفيها : قل لنصر ، التمثيل والمحاضرة ٧٠ ، ٠

(٤) ب : واشدد .

كان يقال : ثلاثة من عازّهم رجعت عزّته ذلاًّ ، السّلطانُ وَالوالدُ والعاَلِم .

كان يقال : أربعة تشتد معاشرتهم : المتوانى ، والفرس الجموح ، والسلطان الشديد المملكة ، والعالم .

بصق عبد الملك يوماً فقصر بُصَاقُه ، فوقع فوق البساط ، فقام رجل من المجلس يمسحه بثوبه . فقال عبد الملك : أربعة لا يُستحيا من خدمتهم : السلطان ، والوالد ، والضيف ، والدابة . وأمر للرجل بصلة .

كُتب إلى عمر بن عبدالعزيز رضى الله عنه عامل له : إنّ مدينتنا قد احتاجت إلى مرَمّة . فكتب إليه عمر : حصّنْ مدينتك بالعدل ، ونقّ طريقها من الظلم .

قال معاوية بن أبى سفيان : من وليناه من أمورنا شيئاً فليجعل الرفق بين الأمانة والعدل(١) .

قال محمد بن كعب القُرَظى : قال لى عمر بن عبد العزيز : صف لى العدل يا ابن كعب . قلت : بخٍ بخٍ ، سألتَ عن أمر عظيم . كن لصغير الناس أباً ، ولكبيرهم ابناً ، وللمِثْل منهم أخاً ، وللنساء كذلك ، وعاقب الناس بقدر ذنوبهم على قدر احتمالهم ، ولا تضربن لغضبك سوطاً واحداً فتكون من العادِين .

كان يقال : ليس شئ أحسن عند الله من حلم إمام ورأفته .

قال زياد لابنه عبيد الله : يا بنىّ ! إذا دخلتَ على أمير المؤمنين فادْعُ له ، واصفح صفحاً جميلا ، ولا تُرَيّن متهالكا عليه ، ولا منقبضاً عنه .

---

(١) ا : والرذل .

قال مالك : قيل لأبى الدرداء : يَرُدُّكَ معاوية ، وأنت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال اللّهُمَّ غفرًا . من يأت أبواب السلطان يقم ويقعد .

قال معاوية : لا أضع سوطى حيث يكفينى لسانى ، ولا أضع سيفى حيث يكفينى سوطى .

قال معاوية يوماً ، وقد ذكر من كان قبله : أما أبو بكر فهرب عن الدنيا ، وهربتْ عنه . وأما عمر فأقبلت إليه وهرب منها ، وأما عثمان فأصاب من الدنيا وأصابت منه[1] ، وأما أنا فقد داستنى الدنيا ودستها .

قال أبو عمر رضى الله عنه : سكت عن علىّ ، وأنا أقول : وأما علىّ فأصابت الدنيا منه ولم يصب منها .

وروى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال : إنى لأستعمل الرجل ، وأدع خيرًا منه ، وذلك أنى أستعمله لأن يكون أنقص عيباً وأوسع رأياً ، وأشد جرأة ، وأصبر على الجوع والعطش . وقد روى هـذا مرفوعاً إلى النبى صلى الله عليه وسلم .

كان يقال : يوم من أيام إمام عادل أفضل من مطر أربعين صباحاً أحوج ما تكون الأرض إليه .

قال المهلب : خير الولاة من كان فى رعيته كأنه غائب عنها ، وهو شاهد فيها ، وكان المحسن فى أيامه آمناً والمسىء خائفاً .

---

(١) ا : أصابته .

وقال بعض الحكماء: الناس يحبّون سلطانَهم على الدِّين، والتواضع ولين الجانب، وينقادون لشدة الطّيش.

قال أبو العتاهية:

رَضِيتُ ببعضِ الذُّلِّ خَوْفَ جميعِهِ ... وَلَيسَ لمثلي بالملوك يَدَانِ

وكُنْتُ امْرَءًا أخْشَى الْعِتَابَ وأَتّقِي ... مَغَبَّةَ مَا تَجْنِي يَدِي وَلِسَانِي

وَلو أَنّني عَانَدْتُ(١) صَاحِبَ قُدْرَةٍ ... لعرَّضْتُ نَفْسِي صَوْلَةَ الْحَدَثَانِ

فهلْ مِنْ شَفِيعٍ مِنْكَ يَقْبَلُ تَوْبَتِي ... فإِنِّي امْرُؤٌ أوفِي بكلِّ ضَمَانِ(٢)

وقال الحسن بن سهل:

فرِضَتْ عَلَيَّ زَكَاةُ مَا مَلَكَتْ يَدِي ... وَزكاةُ جاهِي أَنْ أُعِينَ(٣) وَأَشْفَعَا

فإذَا مَلَكْتَ فَجُدْ وَإِنْ لم تستطع ... فاجْهَدْ بِجَهْدِكَ(٤) كلّه أَنْ تَنْفَعَا(٥)

وقال آخر:

لَيْسَ فِي كلِّ سَاعَةٍ وَأَوَانِ ... تَتَهَيَّا صَنَائِعُ الإِحْسَانِ

فإذا أَمْكَنَتْ فَبَادِرْ إِلَيْهَا ... حَذَرًا مِنْ تَعَذُّرِ الإِمْكَانِ(٦)

---

(١) ا، م: ولو قد كنت، ب: ولو أنى عاينت، والمثبت من الديوان.
(٢) ديوانه ٣٢٤.
(٣) ا: أعيش.
(٤) ب: بحمدك.
(٥) البيتان فى محاضرات الأدباء ١/٢٧٢.
(٦) المستطرف ٢/٦٢، التمثيل والمحاضرة ٤٣٢، وفيها: وهلة، بدل: ساعة، المحاسن والمساوئ ١/١٩٥.

كان زياد إذا أُتِىَ بصاحب زلة ، أخّر عقوبتـه أياماً يسـأل عن قضيته مخافة الزيادة فى العقوبة .

صعد عبدالملك المنبر ، فقال فى خطبته : يا معشر رعيتنا ! سألتمونا سيرة أبى بكر وعمر ، ولم تسيروا فينا ولا فى أنفسكم سيرة رعية[1] أبى بكر وعمر ، ولـكن نسأل الله أن يعين كلاًّ على كلّ .

تعرَّض رجل للحسن بن سهل ، فقال : من أنت ؟ فقال : أنا الذى أحسنت إلىَّ عام كذا ، فقال الحسن : مرحباً بمن توسل إلينا بنا .

وهذا عندى مأخوذ من قول معاوية : أحب الناس إلى ، من له عندى يد ، ثم أحبهم إلىّ بعده من لى عنده يد .

قال الشعبي : دخلت يوماً على ابن هُبيرة وبين يديه رجل يريد قتله . فقلت : أصلح الله الأمير ، أنت على فعل ما لم تفعل أقدر منك على ما فعلت ، ولأن تندم على العفو خير من أن تندم على العقوبة . قال : صدقت يا شعبى . وأمر بالرجل إلى السجن .

قال المأمون : تَحْتَمِلُ الملوك لأصحابهم كلشىء إلا ثلاث خصال : القدح فى الملك ، وإفشاء الأسرار ، والتعرض للحُرَم .

روى ابن دريد ، عن ابن أخى الأصمعى ، عن عمه ، عن أبى [2] عمرو بن العلاء ، أنه دخل على سليمان بن على ، فسأله عن شىء فصرفه عنه[3] ، فغضب سليمان بن على فخرج أبو عمرو وهو يقول :

(١) الـكلمة ساقطه من ا .

(٢) ساقطة من ب .

(٣) ا : فصدقه فصده .

أنفتُ مِنَ الْعَارِ عند الْملوكِ — وَإنْ أكرموني وَإنْ قرَّبُوا
إِذَا مَا صَــــدَقْتهمُ خِفْتهمْ — ويرْضَوْنَ منِّي بأنْ يَكْذِبُوا[١]

قيل للعتابى : لم لا تخدم الأمير[٢] ؟ أو لا تكتب للأمير[٢] ؟ فقال : لأنى رأيته يعطى رجلا ألف مثقال بلا خصلة ، ويرمى آخر من أعلى السور على الرأس بلا ذنب ، فلا أدرى أى الرجلين أكون عنده ، مع أن الذى أُعْطى فى ذلك ، أكثر من الذى آخذ — يريد مهجته — وركوبُ الغرر[٣] فيها معه ، والعتابى هو القائل :

تَلُومُ عَلَى تَرْكِ الغِنَى باهِلِيَّةٌ — زَوَى الدَّهْرُ عنها كُلَّ طِرْفٍ وَتَالِدِ
رَأَتْ حَوْلَهَا النِّسْوَانَ يَرْفُلْنَ فِي الكُسَى — مُقَلَّدَةً أَجْيَــــادُهَا بالْقَلَائِدِ
يَسُرُّكِ أَنِّي نلتُ مَا نَالَ جعفرٌ — مِنَ الْمُلْكِ أوْ مَا نَالَ يحيى بنُ خَالِدِ
وأنَّ أميرَ الْمُؤْمنينَ أغصَّني — مُغَصِّهُمَا[٤] بِالْمُرْهفَاتِ الْبَوَارِدِ
ذريني تجِئْنِي مَيْتتِي مُطمَئِنَّةً — ولم أَتَجَشَّمْ هَوْلَ تِلْكَ الْمَوَارِدِ
وَإِنَّ كَرِيمَاتِ الْمَعَالِي مَشُوبَةٌ — بِمُسْتَوْدَعاتٍ فِي بُطُونِ الْأَسَاوِدِ[٥]

وقال الغَزَّالُ :

وَإِنْ أُعْطِيتَ سُلْطَانًا — فَحَاذِرْ صَوْلَةَ الزَّمَنِ

---

(١) انظر البيتين والقصة فى وفيات الأعيان ٣/١٣٨ .
(٢) ب : الأمين .
(٣) ب : الغدر .
(٤) ب : أغصه مغصهما .
(٥) يروى : لوى الدهر ، مكان : زوى ، وفى العقد : أعضنى معضهما ، ورواية الشطر الثانى للبيت الثالث فيه : (وما نال يحيى فى الحياة ابن خالد) ، وفى التمثيل والمحاضرة يروى شطر البيت الأخير : (فإن عظيمات الأمور مشوبة) ، وانظر : محاضرات الأدباء ١/٩٢ ، ١٦٣ ، نهاية الأرب ٣/٨٣ ، العقد الفريد ٣/٢٠٨ ، التمثيل والمحاضرة ٨٣ ، زهر الآداب ٣/٣٩ .

أَخُو السُّلْطَانِ مَوْصُوفٌ بحسن الرَّأْى والفِطَنِ
فَسَاعَةً مَا يُزاوله[١] رَمُلَهُ النَّاسُ باللَّعَنِ
ويُصْبِحُ رَأْيُهُ الْمَحْمُو دُ[٢] مَنْسُوبًا إِلَى الْأَفَنِ
وتبصرُ فِي مَطِيَّتِهِ سُقُوطَ الْعَيْنِ وَالْأُذُنِ
وَتَسْتَرخى مفاصلُهُ وتكسى كُسْوَةَ الحَزَنِ
كَأَنَّ بَشَاشَةَ السُّلْطَا نِ حِينَ تَزُولُ لم تَكُنِ

وقال إدريسُ بنُ مُتيم الإشْبيلي :

قَالُوا تَقَرَّبْ من السُّلْطَانِ قلتُ لهم : يُعيذُنى اللهَ مِنْ قُرْبِ السَّلَاطِينِ
إِنْ قُلْتَ دنْيَا فَلَا دُنْيَا لِمُمْتَحَنٍ أَوْ قلتَ دِينٌ فلاَ دِينًا لِمفتُونِ

قيل لأعرابى : من أنعم الناس عيشاً ؟ قال : من لم يعرف السلطان ، ولم يعرفه السلطان ، وكان فى كفاف وغنى .

وأما أهل الآخرة فطريقتهم الإعراض عنهم ، وترك معاشرتهم .

قال إسحق بن إبراهيم الموصلى : حدثونا أن الحسن البصرى نظر إلى قوم صحبوا السلطان واتسعت دنياهم ، فقال : ما تنظرون إليهم ، فوالله لئن كانوا من أهل الجنة لقد عجل لهم قليل من كثير[٣] ذخر لهم[٣] ، ولئن كانوا من أهل النار لقد أعطوا قليلا من كثير صرف عنهم فأتاهم ، فارحموا ولا تغبطوا[٤] .

(١) ا : ما يرى وله .
(٢) ا : المحسود .
(٣) ساقط من ب .
(٤) ب : ولا تقنطوا .

أنشدنى عبد الله بن محمد بن يوسف لنفسه :

مَا يَشْتَهِى قُرْبَ السَّلَاطِين غَيْرُ ضَعِيفِ العقل مَجْنُونِ
لَا تَكْذِبَنْ عَنْهُمْ فَمَا صَحْبُهُمْ مِنْهُمْ عَلَى دُنْيَا ولَا دِينِ
دُنْيَاهُمُ بِالْخِزْيِ مَوْصُولَةٌ وَلَا تَسَلْ عَنْ دِينِ مَفْتُونِ
خَيْرُهُمُ فَاعْلَمْهُ لَا يُرْتَجَى وَشَرُّهُمْ لَيْسَ بِمَأْمُونِ
لَا رَأْىَ لِى فِى نَيْلِ دُنْيَاهُمُ حَسْبِي بِأَنْ يَسْلَمَ لِى دِينِى

شكت الرعية بعض العمال ، فارتضى العامل بسهل بن عاصم ، فسأله الأمير ، فقال : ما فى عاملك ما يُشتكى إلا أن الله أمر بأمرين ، امتثل فينا أحدهما[1] وترك الآخر ، قال الله عز وجل[1] : ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾[2] ، فعدل فينا ولم يحسن إلينا ، وفى العدل بغير إحسان عطب[3] الرعيـــة ، فقال له الأمير : صدقت ، قد وليتك مكانه .

ومن كلام ابن المعتز فى هـذا الباب : لا يدرك الغنى بالسلطان إلا نفس خاشعة ، وجسم متعب ، ودين منثلم .

من شارك السلطان فى عز الدنيا ، شركه فى ذل الآخرة .

فساد الرعية بلا ملك ، كفساد الجسم بلا روح .

إذا زادك المَلِكُ إيناساً فزده إجلالا .

(١) ساقط من ب .
(٢) سورة النحل آية ٩٠ .
(٣) ا : غضب .

لا تلبسن بالسلطان فى وقت التباس الأمور عليه واضطرابها ، فإن البحر لا يكاد يسلم راكبه فى حال سكونه ، فكيف عند اختلاف رياحه واضطراب أمواجه .

ريح السلطان على قوم سموم ، وعلى قوم نسيم .

المِلكُ حقُّ المَلِك ، من نشر أنواع الفضل ، وبسط أنواع العدل ، وجانب المطامع الرديئة ، والمطاعم الدنيئة .

قال مُطَرِّف : لاتنظر إلى خفض عيش الملوك ، ولكن انظر إلى سرعة ظعنهم ، وسوء منقلبهم .

سئل رجل من بنى أمية عاقل ، فقيل له : أخبرنا عن أول شىء ، كان بدء زوال ملككم ، فقال : سألتَ فاسمع ، وإذا سمعت فافهم . تشاغلنا عن تفقد ما كان تفقده يلزمنا ، ووثقنا بوزراء آثروا مرافقهم على منافعها ، وأبرموا[١] أموراً أسروها[٢] عنا ، فظُلمت رعيتنا ، ففسدت نياتهم لنا ، وجدب معاشنا فخلت بيوت أموالنا ، وقل جندنا فزالت هيبتنا[٣] ، واستدعاهم أعداؤنا فظاهروهم[٤] علينا ، وكان أكبر الأسباب فى ذلك استتار الأخبار عنا .

أنشدنى أبو القاسم محمد بن نصير[٥] الكاتب لنفسه :

إِذَا مَا اللّٰهُ شَاءَ صَلاحَ قَومٍ ... أَتَاحَ لَهُمْ أَكابِرَ مُصْلِحِينَا

(١) ب : وأرموا .
(٢) ا : أبرموها .
(٣) ب : فزادت هيبتهم .
(٤) فظافروهم .
(٥) ب : بصير .

(١) ذَوى رأْيٍ ومَعْرِفَةٍ وَفَهْمٍ ... وإعداد لما قد يحذرونا (١)
فَلمْ يَستأثِرُوا بكثيرِ جَمْعٍ ... وكانوا للمصالح مؤثِرينا
وَيسَّرَهُمْ لِفِعْلِ الخَيْرِ فيما ... إليهمْ من أُمور المُسْلمِيناَ
(٢) وَإنْ يشأ الإلهُ فَسادَ قومٍ ... أتاحَ لَهُمْ أَكَابِرَ مُعتَدِينَا (٢)
ذَوِى كِبْرٍ وَمَجْهَلَةٍ وَجُبْنٍ ... وَإهمالٍ لما يَتوَقَّعُونَا
فَظَلُّوا يَشْرَهُونَ وَيَجْمَعُونَا ... وَلَيْسُوا فِى العَوَاقِبِ يَفْكُرُونَا
وَجَارُوا حَيْثُمَا أُمِرُوا بِعدلٍ ... كأَنْ قَدْ قِيلَ كُونُوا جَائرِينَا

وقال الأفوه الأودى :

لَا يَصْلحُ القومُ فوضَى لَا سَراةَ لَهُمْ ... ولَا سَرَاةَ إذَا جُهَّالُهم سَادوا
إِذَا تَوَلَّى سَرَاةُ القَوْمِ أمْرَهُمُ ... نَمَا عَلَى ذَاكَ أَمْرُ القَوْمِ وَازْدَادُوا
تَلْقَى الأُمُورِ بأهلِ الرأْى قد صَلُحَتْ ... وَإنْ تَوَلَّتْ(٣) فبالأَشْرَارِ تَنْقَادُ(٤)

(٥) وقال محمد بن نصر :

لَا تحقِرَنَّ امرءًا إن كان ذا ضعة ... فكم وضيعٍ من الأقوامِ قَدْ رَأَسَا
فربَّ قومٍ حَقَرْنَاهُم فلم نَرَهم ... أهلا لخدمتنا صاروا لَنَا رُؤَسَا (٥)

---

(١) ساقط من ب .
(٢) ساقط أيضاً من ب .
(٣) ا : بدلت .
(٤) نهاية الأرب ٣/٦٢ ، التمثيل والمحاضرة ٥٩ ، مجموعة المعانى ١٦ ، العقد الفريد ١/١٠ .
(٥) ساقط من ب .

من الأمثالِ فى السُّلطَانِ وَصُحْبته

إذا رغب الملكُ عن العدل رغبت الرعية عن الطاعة .

لا صلاحَ للخاصَّة مع فساد العامة ، ولا نظام للدَّهْماء مع دولة الغوغاء .

الحكم[١] ميزانُ الله فى الأرض .

كلُّ الناس أحقّاء بالسجود لله عزّ وجلّ ، وأحقّهم بالسجود لله وَالتواضع له من رفعه الله عن السجود لأحد من خلقه[٢] .

كفارةُ عملِ السلطان الإحسانُ إلى الإخوان .

لا رَحِمَ بين الملوك و بين أحد .

للمُلُوكِ بَدَوَات[٣] .

المُلك عقيم .

المُلْكُ يَبْقَى على الكُفْر ، ولا يبقى على الظلم .

سُكرُ السلطان أشدُّ من سكر الشراب[٤] .

السلطانُ كالنار : إن باعدتها بطل نفعها ، وإن قاربتها عظم ضررها .

جَاوِرْ ملكاً أو بحراً .

صاحبُ السلطان كراكب الأسد ، يهابهُ الناس وهو لمركبه أهيب .

---

(١) ب : الحلم .
(٢) وردت هذه العبارة مضطربة جدا فى ب .
(٣) البدوات : الآراء التى تسنح فجأة ، ويقال : فلان ذو بدوات وأبو البدوات إذا كانت تظهر له آراء فيختار أحزمها .
(٤) ا : الشباب.

أجرأُ الناس على الأسَد أكثرهم له رؤية .

السُّلطان كالسُّوق ما نَفَق فيها جُلب إليها .

إن كان البحرُ كثير(١) الماء فإنه بعيد المهوى .

السُّلطانُ إذا قال لعماله : هاتوا ، فقد قال : خذوا .

الناس على دين المَلِك .

عفو المُلُوك أبقى للملوك .

من خَدَمَ السلطان خَدَمَهُ الإخوان .

ثلاثة لا أمان لهم : السّلطانُ والبحرُ والزمانُ .

من تَحَسَّى مرقة السُّلطانِ أحرقت شفتاه ولو بعد حين .

مثل أصحاب السلطان كقوم رقوا جبلا ثم وقعوا منه ، فكان أبعدهم في المرتقى أقربهم من التلف .

---

(١) ا : قليل .

باب الكُتّاب والكتابة [1]

قال رسولُ اللهِ صلّى الله عليه وسلم : « نحن أُمّة أُمِّيةٌ لا نكتب ولا نحسب »[2] .

وروى عنه عليه السلام أنه قال : « من أشراط الساعة أن يرفع العلم ، ويقبض المال ، ويكثر التجار ، ويظهر القلم »[3] . يعنى الكتابة .

قال الحسن البصرى : لقد أتى علينا زمان وإنما يقال : تاجر بنى فلان وكاتب بنى فلان ، ما يكون فى الحي إلا التاجر الواحد والكاتب الواحد ، قال الحسن : لقد كان الرجل يأتى الحى العظيم فلا يجد به كاتباً .

وفى الحديث المرفوع : « فُشُوُّ القلم ، وفشو التجار من أشراط الساعة »[3]

يعنى بقوله فشو القلم : ظهور الكتابة وكثرة الكتّاب .

---

(١) يبدأ من هنا سقط قدره ورقتان من النسخة ب .

(٢) روى هذا الحديث الشيخان وأصحاب السنن ، ونصه عند البخارى ومسلم : « إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب ، الشهر هكذا أو هكذا . يعنى مرة تسعة وعشرين ومرة ثلاثين » . انظر فتح البارى ٥/٢٨ ، ٢٩ ، صحيح مسلم ٢/١٦١ . قال ابن حجر: وقد قال هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم بمناسبة رؤية هلال رمضان ، ورأى جمهور المحدثين على أن المراد بالأمة الأمة العربية ، والمراد من الأمية أمية القراءة والكتابة ، وقد قيل للعرب أميون لأن الكتابة كانت فيهم قليلة ، قال تعالى : « هو الذى بعث فى الأميين رسولاً منهم » ، ولا يرد على ذلك أنه كان فيهم من يكتب ويحسب لأن الكتابة كانت فيهم نادرة آنذاك ، والمراد بالحساب هنا حساب النجوم وتسييرها ولم يكونوا يعرفون من ذلك أيضا إلا اليسير ، لذلك علق الرسول حكم الصيام على رؤية هلال رمضان لرفع الحرج عنهم فى معاناة حساب حركة النجوم والكواكب . انظر فتح البارى ٥/٢٨ ، ٢٩ .

(٣) انظر تعليقنا السابق على هذين الحديثين فى ص ١٢٢ .

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أتربوا الكتب وسَجُّوها[١] من أسفلها فإنه أنجح للحاجة » .

وفى خبر آخر عنه عليه السلام : « إذا كتب أحدكم فى حاجة فليترب كتابه ، فالبركة فى التراب[٢] » .

وروى عن بعض أهل التفسير فى قول الله عز وجل حاكياً عن يوسف عليه السلام : ﴿ اجْعَلْنِى عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾[٣] . قال : كاتب حاسب .

كتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم جماعة منهم : أُبيّ بن كعب ، وزيد بن ثابت ، وعلى ، وعثمان ، وحنظلة الأسدىّ ، ومعاوية ، وعبد الله بن الأرقم ، وكان كاتبه المواظب له فى الرسائل والأجوبة زيد بن ثابت ، وأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتعلم السريانية ليجيب عنه من كتب إليه بها ، فتعلمها فى ثمانية عشر يوماً .

قال على بن أبى طالب رضى الله عنه لكاتبه عبيد الله بن أبى رافع : إذا كتبت فألن دواتك ، وأطل من قلمك ، وفرج بين السطور ، وقارب بين الحروف .

---

(١) سجوها أى أغلقوها .

(٢) لم أعثر على هذا الحديث والذى سبقه بنصهما ، وقد أخرج ابن ماجة فى كتاب الأدب من سننه بسنده عن أبى الزبير ما لفظه : « تربوا صحفكم فإنه أنجح لها ، لأن التراب مبارك » ، وفى سنده أبو أحمد الدمشقى وروايته منكرة ، فالحديث ضعيف كما أنكره الإمام أحمد والإمام يحيى بن معين ، انظر المقاصد الحسنة فى بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة للسخاوى صفحة ٤٣ .

(٣) سورة يوسف آية ٥٥ .

كتب عمر بن عبد العزيز إلى عماله : إذا كتبتم فأرِقّوا الأقلام ، وأقلوا الكلام واقتصروا على المعانى ، وقاربوا بين الحروف ، تكتفوا من القراطيس بالقليل .

كانت العرب تسمى كل صانع قيناً إلاّ الكاتب .

قالوا : القلم أحد اللسانين .

قالوا : الخَطّ الحسن يزيد الحق وضوحاً .

قال المأمون : الخطّ لسان اليد ، وهو أفضل أجزاء اليد .

قال بعض الملوك : للكاتب الناصح ثلاث خصال : رفع الحجاب عنه ، واتّهام الوشاة عليه ، ودفع غائلة العدوّ عنه .

قال ابن القِرِّيّة : خط القلم يُقرأ بكل مكان ، وفى كل زمان ، ويترجم بكل لسان ، ولفظ الإنسان لا يجاوز الآذان .

قال أبو ساسان حَضِينُ بنُ المنذر : ما رأيت بارياً لا يقيم الخط إلا رأيته لا يقيم الشعر .

قيل لنصر بن سيار(١) : فلان لا يخطّ . قال : تلك الزِّمانة الخفية .

قال بعض البلغاء : صورة الخط فى الإبصار سواد ، وفى الأبصار بياض ، وهذا عندى مأخوذ من قول ابن المعتز : القلم يخدم الإرادة ، ولا يمل الاستزادة ، على أرض بياضها مظلم ، وسوادها مضىء .

---

(١) ب : يسار .

أمر أبو جعفر المنصور بسجن طائفة من الكتاب غضب[١] عليهم ، فكتب إليه بعضهم من طريق السجن :

أَطَالَ اللهُ عُمْرَكَ فِي صَلَاحٍ ... وَعِزٍّ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَا
بِعَفْوِكَ نَسْتَجِيرُ فَإِنْ تُجِرْنَا ... فَإِنَّكَ رَحْمَةٌ لِلْعَالَمِينَا
وَنَحْنُ الكَاتِبُونَ وَقَدْ أَسَأْنَا ... فَهَبْنَا لِلْكِرَامِ الكَاتِبِينَا[٢]

وذكر هذا الخبر الحارث[٣] بن أبى أسامة فى كتابه المعروف بكتاب الخلفاء ، فى أخبار[٣] المنصور : أن أحزابا من الكتاب ترددوا فى ديوان داره ، فأمر بإحضارهم وتقدم من تأديبهم ، فقال واحد منهم ، وهو يضرب : أطال الله عمرك ، وذكر الأبيات الثلاثة ، فعفا عنهم وأمر بتخليتهم .

قال ابن القاسم : سئل مالك عن النصرانى أيستكتب ؟ قال : لا أرى ذلك ، وذلك أن الكاتب يستشار ، فيستشار هذا فى أمور المسلمين ![٤] ، ما يعجبنى أن يستكتب .

قال بعض الحكماء لبنيه : يا بنى تزيوا[٥] بزى الكتّاب ، فإن فيهم أدب الملوك وتواضع السوقة .

---

(١) فى الأصول : عتب .
(٢) انظر الأبيات والقصة فى الوزراء والكتاب ١٣٦ ، وانظر المستطرف ٢٢٩/١ .
(٣) ساقط من الأصول ، وقد أكملناه من كتاب « الوزراء والكتاب » للجهشيارى ص ١٣٦ .
(٤) إلى هنا ينتهى السقط الذى بدأ بأول الكتاب والكتابة ، وهو الساقط من نسخة ب .
(٥) ا : تزينوا .

قدم كتاب أبى عبيدة على عمر بن الخطاب ، وعنده أبو موسى ، فقال له : يا أبا موسى ! ادعُ كاتبك حتى يقرأ كتاب أبى عبيدة بالفتح . فقال : إنه لا يدخل المسجد . قال : ولم ، أجُنُبٌ هو ؟ قال : لا . وَلكنه نصرانىّ ، فصاح عليه صيحة وانتهره ، وقال : عزمت عليك إلا عزلته ، ثم قال : لا تقرّبوهم بعد أن أبعدهم الله ، ولا تكرموهم بعد أن أهانهم الله ، ولا تشاوروهم بعد أن جهّلهم الله ، قال أبو موسى : فعزلته وطردته .

قال أبو عمر رحمه الله : كيف يؤتمن على سر أو يوثق به فى أمر ، من دفع القرآن وكذب النبي عليه السلام .

استأذن على المأمون بعض شيوخ الفقهاء ، فأذن له(١) ، فلما دخل(١) عليه رأى(١) بين يديه رجلا يهوديًّا كاتبًا ، كانت له عنده منزلة وقربه لقيامه بما يصرفه فيه ويتولاه من خدمته ، فلما رآه الفقيه قال — وقد كان المأمون أومأ إليه بالجلوس — : أتأذن لى يا أمير المؤمنين فى إنشاد بيت حضر قبل أن أجلس ، قال : نعم . فأنشده :

إنَّ الذى شُرِّفْتَ مِنْ أَجلِهِ ... يَزْعُم هذا أَنَّهُ كاذِبُ(٢)

وأشار إلى اليهودىّ ، فخجل المأمون ووجم ، ثم أمر حاجبه بإخراج اليهودى مسحوبًا على وجهه ، وأنفذ عهداً باطّراحه وإبعاده ، وألاّ يُستعان بأحد من أهل الذمة فى شىء من أعماله.

---

(١) ا : لهم ... دخلوا ... رأوا .
(٢) المستطرف ١/١١٢ .

[(١)] اسم الكتّاب بالفارسية ديوان ، أى شياطين ، لحذقهم بالأمور ولطفهم ، فسمى الديوان باسمهم .

قال الزبير بن أبى بكر : كتب إلىّ المغيرة بن محمد يستبطىء كتبى ، فكتبت إليه :

مَا غَيَّرَ النَّأْىُ وُدًّا كنتَ تَعْهَدُهُ ... وَلَا تَبَدَّلْتُ بعد الذكْرِ نِسْيَانَا

وَلَا حَمِدْتُ إخَاءً من أَخِى ثِقَةٍ ... إلاَّ جَعَلْتُكَ فوقَ الحَمْدِ عُنْوَانَا

(١) يبدأ من هنا سقط كبير من نسخة ا .

بابُ الظُّلمِ والجَوْر

قال الله عز وجل : ﴿ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴾[1] .

وقال عز وجل : ﴿ وَمَنْ يَظْلِمْ مِنْكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴾[2] .

وفى صحف إبراهيم عليه السلام : اتق دعوة المظلوم ، فإنى لا أردّها ، ولو كانت من كافر ، أقول : وعزتى وجلالى لأنصرنّك ولو بعد حين .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ليس منّا من ظلَم مسلماً أو ضرَّه أو عَزَّه أو ناكَرَه[3] » .

وروى عنه عليه السلام أنه قال : « ما تُبالى حَسَّنْت جوراً أو دخلت فيه ، وفتحت عدلا ، أو خرجت منه » . وقد روى هذا من كلام على رضى الله عنه ، فالله أعلم .

لمرة بن مَحْكان فى الحارث بن عبد الله بن أبى ربيعة المخزومى[4] :

أَحارِ تَبَيَّنْ فى الْأُمورِ فإنَّهُ ... إذا الأَميرُ عَدا فِى الْحُكْمِ أَوْ فَسَدا
فإنَّكَ مَحْلُولٌ عليكَ وَظَاعِنٌ ... فمهما تُصِبْهُ الْيَوْمَ تُدْرَكْ بِهِ غدا

---

(١) سورة طه ، آية ١١١ .
(٢) سورة الفرقان ، آية ١٩ . (٣) عزه : غلبه فى المخاطبة ، وناكره : تجاهله أو عاداه .
(٤) مرة بن محكان الربيعى السعدى ، سيد بنى ربيع ، كان شاعراً مقلا مجيداً ، ترجمته فى الشعر والشعراء ٦٦٧ معجم الشعراء ٣٨٣ ، أما الحارث فهو وال من التابعين ، ولى البصرة سنة واحدة أيام ابن الزبير ، وسمى بالقباع وهو الواسع الرأس القصير القاع لعمله مكيالا بهذه الصفة وإلزامه الناس باستعماله ، ترجمته فى تهذيب التهذيب ٢/١٤٤ ، الأعلام ٢/١٥٨ .

وقال آخر :

نَخَافُ عَلَى حَاكِمٍ عَادِلٍ ... ونرجو، فَكَيْفَ لِمَنْ يَظْلِمُ
إِذَا جارحُكُم امرئٍ مُلْحِدٍ ... عَلَى مُسْلِمٍ هلكَ الْمُسْلِمُ

الظلم فى وضع كلام العرب : وضع الشىء فى غير موضعه ، وأخذ المرء ما ليس له ، ومن ذلك قولهم : من أشبه أباه فما ظلم ، أى ما وضع الشبه فى غير موضعه .

فكل مسىءٍ ظالم ، تقول العرب للمسىء المفرط فى الإساءة : هـذا أظلم من حيـة ، وأظلم من ذئب ، قال عمرو بن بحر : لأن الحية لا تتخـذ لنفسها بيتاً ، وهى تقصد كل بيت يصلح لها من بيوت الخِشَاشِ والهَوَامِّ فيهرُبُ أهله عنه ، ويخلّونه لهـا خوفا منها .

قال مضرّس بن لقيط الفقعسى :

إِذَا قلتُ ماتَ الداءُ بَيْنِى وبَيْنَهُمْ ... أَتَى حاطِبٌ منهم لآخر يَقْبِسُ
لعمرُكَ لو أَنّى أُخاصِمُ حَيّــةً ... إِلَى فَقْعَسٍ مَا أَنْصَفَتْنِى فَقْعَسُ
فَمالَكُمُ طُلْسًا إِلَىَّ كأَنَّكُمْ ... ذِئابُ الْغَضَا وَالذئبُ باللَّيلِ أطلَسُ[1]

ويقولون أيضاً : هو أظلم من ذئب ، وأظلم من وَرَل[2] ، كما يقولون : أظلم

---

(١) الأبيات فى محاضرات الأدباء ١/١٧٤ ، البيان والتبيين ٢/١٨٣ ، الحيوان ٥/٧١ ، والبيتان الثانى والثالث فى حماسة البحترى ٣٨٠ ، منسوبين إلى عامر بن لقيط الفقعسى ، وذئاب الغضا : أخبث الذئاب ، والأطلس : الذئب وهو بالليل شديد الضراوة .

(٢) دابة كالضب ، أو العظيم من أشكال الوزغ ، طويل الذنب صغير الرأس .

من حية ، وذلك أن الورل يقوى عَلَى الحيّات كلّها ، ويأ كلها أ كلا ذريعاً ، وكل شدة يلقاها ذو جُحر من الحية تلق مثل ذلك من الورل ، والورل ألطف بدناً من الضب ، ولكنه أشد من الضب وأجود سلاحاً ، وله شحمة ، والأعراب يستطيبون لحم ذنبه ، والورل دابة خفيفة الرأس والحركات ذاهبًا وجائيًا ، ويمينًا وشمالاً ، وليس شيء بعد العَظاء أ كثر تلفتًا منه ، وبُراشِن[1] الورل أقوى من بُراشن الضب ، حكى ذلك كله عمرو بن بحر[2] .

قال : ومن أمثال العرب : من استرعى الذئب ظلم ، وأنشد لبعض بني جعفر ابن كلاب يضرب المثل بجور الحية والذئب :

كَأَنّنِي حين أَحْبُو جَعْفَرًا مِدَحِي ... أَسْقِيهِمُ طَرْقَ[3] مَاءٍ غَيْر مَشْرُوبِ
وَلو أُخَاصِمُ أفعَى نَابُها لَثِقٌ[4] ... أَوِ الأَسَاوِدَ من صُمِّ الأَهَاضِيبِ[5]
لَكُنْتُمُ مَعَهَا إِلْبًا وَكَانَ لَهَا ... نَابٌ بِأَسْفَلِ سَاقٍ أَوْ بِعُرْقُوبِ
وَلو أُخَاصِمُ ذِئبًا فِي أَكِيلَتِهِ ... لَجَاءَنِي كُلُّهُمْ يَسْعَى مع الذيبِ[6]

قال بعض الحكماء : أعجل الأمور عقوبة وأسرعها لصاحبها : سرعة ظلم مَن لا ناصر له إلا الله ، ومجاورة النعم بالتقصير ، واستطالة الغنيّ على الفقير .

روى عن مجاهد أنه قال : المعلم إذا لم يعدل بين الصبيان كتب من الظلمة[7] .

---

(١) البراشن : الذى يمد نظره ويحده .
(٢) انظر الحيوان ٤/٣١٠ .
(٣) الطرق : الماء الذى خوضته الإبل وبولت فيه .
(٤) ناب لثق : رطب من امتلائه بالسم .
(٥) الأساود : جمع أسود وهى الحية العظيمة ، صم الأهاضيب : الجبال الصلبة .
(٦) وردت الأبيات فى البيان والتبيين ٣/٢٨٥ ، الحيوان ٤/٣١٦ ، منسوبة لحريز بن نشبة العدوى الفزارى .
(٧) إلى هنا ينتهى النقص من النسخة ا .

إنما شهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الجاهلية حرب الفِجَار ، وظهرت العرب على الفرس يوم ذي قار ، فسر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنهم كانوا فيها مظلومين .

فأما حرب الفجار فكانت بين بنى عامر بن صعصعة وبين قريش ، وذلك أن بنى عامر بن صعصعة طالبوا أهــــل الحرم من قريش (١) وكنانة ، بجريرة البَرَّاض بن قيس فى قتله عروة الرجال ، وكان البراض خليعاً فاتكاً ، فأقامهم إلى حربهم ، فألزموهم (٢) ذنب غيرهم ظالمين لهم ، فلذلك شهدها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأنهم دافعوا عن أنفسهم وديارهم وأموالهم ، ونُصروا بحضور النبي صلى الله عليه وسلم ، وكذلك نصرت العرب على فارس يوم ذى قار برسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبى : كانت وقعة ذى قار قبل وقعة بدر بأشهر ، والنبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، فلما بلغه ذلك ، قال : « هذا أول يوم انتصفت فيه العرب من العجم » .

قال هشام : حدثنى أبى عن أبى صالح عن ابن عباس ، قال : ذكرت وقعة ذى قار عند النبىّ صلى الله عليه وسلم فقال : « ذَلِكَ أَوّلُ يَوْمٍ انْتَصَفَتْ فِيهِ الْعَرَبُ مِنَ الْعَجَمِ » .

خرج الأضبط بن قُرَيْع السعدى من بنى سعد ، فجاور ناساً ، فلما رأى مذهبهم وظلمهم لم يحمدهم ، ورجع إلى قومه ، وقال : بكل واد بنى سعد ، فأرسلها مثلا .

---

(١) ساقط من ب .

(٢) ا : فلزموهم .

وقال الأشعرُ الرَّقبان الأسدى[1] في قصيدة له :

وَأَنتَ مَلِيخٌ كَلَحْمِ الحُوَار ... فَلا أَنتَ حُلوٌ وَلَا أَنتَ مُرّ
وَحَسْبُكَ فِي النَّاسِ أَنْ يَعْلَمُوا ... بِأَنَّكَ فِيهِم غَنِيٌّ مُضِرّ

ومن أمثالهم : من لم يكن ذئبًا أكلته الذئاب ، وكان الشعبي إذا تمثل بذلك يقول : ومن ذا الذى يرضى أن تأكله الذئاب .

ولعبيد بن أيوب[2] وكان قد تاب فَظُلِم ، فهم بمراجعة الضلال ، فقال :

[3] ظلمت الناس فاعترفوا بظلمى ... فتبتُ فأزمعوا أن يظلمونى [3]
فلست بصابرٍ إلا قليلاً ... فان لم يَرعَوُوا راجعت دِينِي

قال زهير :

... ومن لا يَظلِمِ النَّاسَ يُظلَمِ[4]

أخذه ابن دُرَيد فقال :

من ظلم النَّاسَ تَحَامَوْا ظُلْمَهُ ... وعَزَّ عَنْهُ جانِبَاهُ وَاحْتَمَى

(١) اسمه عمرو بن حارثة بن ناشب ، وسمى الرقبان لأنه ورث مالا عن رقبة (كلالة) لا عن آبائه ، انظر القاموس مادة رقب ، وقد وردت له ترجمة قصيرة فى المؤتلف ٤٧ ، ومعجم الشعراء ٢١٠ ، وورد البيت الأول فقط ضمن أبيات فيهما برواية مختلفة ، فرواية المؤتلف للشطرة الأولى : مسيخ مليخ كلحم الحوار ، ورواية معجم الشعراء : وأنت مليخ كلحم الحوار ، وورد البيت الثانى فى معجم الشعراء ٢٢١ ضمن الأبيات نفسها منسوبا الى عمرو بن ثعلبة الشيبانى ، وانظرهما فى محاضرات الأدباء ١/١٥١ ، والأول فى عيون الأخبار ٣/٢٦٩ .
والمسيخ من اللحم : الذى لا دسم فيه ، والمليخ الذى لا طعم له .

(٢) العنبرى : من شعراء العصر الأموى ، وكان لصاً حاذقاً أهدر السلطان دمه ، انظر الشعر والشعراء ٣٠٥ ، سمط اللآلى ٣٨٤ (الأعلام ٤/٣٤٠) .

(٣) ساقط من ب .

(٤) جزء بيت ، تكملته : ومن لم يذد عن حوضه بسلاحه ... يهدم ... انظر شرح ديوانه ٣٠ .

وقال المتنبي :

وَالظُّلْمُ مِنْ شِيَمِ النُّفوسِ فَإِنْ تَجِدْ ذَا عِفَّةٍ فَلِعِلَّةٍ لا يَظْلِمُ[١]

وله أيضاً :

ومَنْ عَرفَ الأَيَّام مَعرِفَتِي بِهاَ وبالنَّاسِ رَوَّى رُمْحَهُ غَيْرَ رَاحِمِ[٢]

وهذه الأخلاق أخلاق الفسّاق ، ومن لم يتأدب بأدب القرآن ، ولا استن بسنن الإسلام فى الأخذ بالعفو والصفح والرحمة والرأفة ، وأين قول المتنبي من قول محمود الوراق :

إِنِّى وَهَبْتُ لِظَالِمِى ظُلْمِي وغفرْتُ ذَاكَ لَهُ عَلَى عِلْمِي
وَرَأيْتُهُ أَسْدَى إِلَيَّ يَدًا فَأَبَانَ مِنْهُ بِجَهْلِهِ حِلْمِي
رَجَعَتْ إِسَاءَتُهُ عَلَيَّ لَهُ حُسْنًا فَعَادَ مُضاعَفَ الْجُرْمِ
وَغَدَوْتُ ذَا أَجْرٍ وَمَحْمَدَةٍ وَغَدَا بِكَسْبِ الذَّمِّ وَالإِثْمِ
فَكَأَنَّمَا الإِحْسَانُ كَانَ لَه وأَنَا الْمُسِيءُ إِلَيْهِ فِي الْحُكْمِ
مَا زَالَ يَظْلِمُنِي وَأَرْحَمُهُ حَتَّى بَكَيْتُ لَهُ مِنَ الظُّلْمِ[٣]

وله أيضاً :

اصْبِرْ عَلَى الظُّلْمِ ولا تَنْتَصِرْ فالظُّلْمُ مَرْدُودٌ عَلَى الظَّالِمِ

---

(١) ديوانه ٤٩٠ .
(٢) ديوانه ٣١٨ .
(٣) يروى : لما أبان بجهله ، ورجعت إساءته عليه وإحسانى فعاد ، ويروى الغنم مكان الجرم ، والظلم مكان الإثم ، ويروى : حتى رثيت مكان بكيت ، انظر الأبيات فى الكامل ١/ ٢٣٤ ، العقد الفريد ٢/ ٢٨٥ .

وَكِلْ إلى اللهِ ظلوماً فَمـــا   رَبِّى عَنِ الظَّالِمِ بالنَّائِمِ (١)

وقال آخر :

نَامَتْ جُفُونُكَ وَالمَظْلُومُ مُنْتَبِهٌ   يدْعُو عليْكَ وعَيْنُ اللهِ لَمْ تَنَمِ (٢)

وقال آخر :

وَمَا مِنْ يَدٍ إلَّا يَدُ اللهِ فَوْقَهَا   ولَا ظَالِمٌ إلَّا سَيُبْلَى بِظَالِمِ (٣)

وقال آخر :

فَإِنْ قُلْتُمُ إنَّا ظَلَمْنَا فَلَمْ نَكُنْ   ظَلَمْنَا وَلَكِنَّا أَسَأْنَا التَّقَاضِيَا (٤)

وقال آخر :

تَأَنَّ ولا تَعْجَلْ وَكُنْ مُتَرَفِّقًا   وكُنْ رَاحِمًا بالنَّاسِ تبْلَى بِرَاحِمِ

كان يقال : إذا دَعَتْك الضرورةُ إلى ظُلم من هو دُونك فاذكرْ قدرةَ اللهِ تعالى على عقوبتك ، فأنقصُ الناسِ عقلا من ظَلَمَ مَنْ هو دونه .

قال الشاعر :

وَنَسْتَعْدِى الأَميرَ اذَا ظُلِمْنَا   فَمَنْ يُعْدِى إذَا ظَلَمَ الأَميرُ

إذا كان الأميرُ عليكَ خصْماً   فلا تُكْثِرْ فَقَد غَلَبَ الأميرُ (٥)

---

(١) مجموعة المعانى ٧٥ .
(٢) مجموعة المعانى ٧٥ .
(٣) التمثيل والمحاضرة ٤٥٣ .
(٤) البيت للشميذر الحارثى ، انظر المؤتلف والمختلف ١٤٠ ، حماسة أبى تمام ١/٤١ ، عيون الأخبار ١/٧٢ .
(٥) عيون الأخبار ١/٧٨ ، وقد ورد فيها البيتان متفرقين وليس كما هنا .

وقال آخر:

والخَصْمُ لا يُرْتَجى النَّجاحُ له يَوْمًا إذا كانَ خَصْمُهُ القَاضِي[1]

وقال آخر :

من يكن القاضى أباهُ فَلْيَبِتْ فى رَاحةٍ مِنْ خَصْمِهِ لا يَلْتفِت

قال كعب لعمر بن الخطاب رضى الله عنهما : ويل لسلطان الأرض من سلطان السماء ، فقال عمر : إلا من حاسب نفسه ، قال كعب : والذى نفسى بيده إنها لكذلك إلا من حاسب نفسه ما بينهما حرف . يعنى فى التوراة .

خرج عمر بن عبد العزيز يوماً ، فقال : ما شاء الله ! كان الوليدُ بن عُتْبَة بالشام ، والحجاج بالعراق ، وقُرَّة بن شريك بمصر ، وعثمانُ بن حيَّان بالحجاز ، ومحمّدُ بنُ يوسف باليمن ، امتلأت الأرض ظلمًا وجوْرا .

ولعون بن عُبَيْد الله بن عُتْبَة بن مَسْعود :

وَأَوَّلُ ما نُفارِقُ غيرَ شَكٍّ نُفارِقُ ما يَقُولُ المارِقُونَا

وقالوا : مُؤْمِنٌ دَمُهُ حَلَالٌ وقد حَرُمَتْ دِماءُ المُؤْمِنِينا

وقالوا : مُؤْمِنٌ مِنْ أَهْلِ جَوْرٍ وَلَيْسَ المُؤْمِنُونَ بِجَائِرِينا[2]

وقال أبو العتاهية :

أَمَا واللهِ إنَّ الظُّلمَ لُؤْمٌ وما زالَ المُسِيءُ هوَ الظَّلُومُ

---

(1) محاضرات الأدباء ١/٩٨ ، التمثيل والمحاضرة ١٩٣ ، عيون الأخبار ١/٧٨ .

(2) انظر الأبيات فى البيان والتبيين ١/٣٦٥ .

إلَى ديأّانِ يوم الدّين نَمضِي   وعند اللهِ تجتمع الْخَصُومُ
ستعلَمُ فى الحساب إذا الْتَقَيْنَا   غدًا عنَد الإلهِ مَنِ الْمَلوُمُ[١]

وكتب بها مع يحيي بن خالد بن برمك .

قال الشاعر :

إذا جَارَ الأميرُ وكاتباه   وقاضى الأرض دَاهَنَ فِى القَضَاء
[٢]فَوَيْلٌ ثُمَّ وَيلٌ ثُمَّ وَيلٌ   لقَاضى الْأَرْضِ من قاضِي السَّماَء[٣]

(١) ديوانه ٢٤٦ ، ٢٤٧ .
(٢) يبدأ من هنا سقط كبير من النسخة ب .
(٣) المستطرف ١/١١٩ .

بَابُ الْعَفْوِ والتَّجاوُزِ وَكَظْمِ الْغَيْظِ

قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم : « مَا زَادَ اللهُ عَبدًا بعفوٍ إلَّا عزًّا » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « مَنْ لَا يَرحَمْ لَا يُرْحَم ، إنما يرحم الله من عباده الرحماء » .

وقال عليه السلام : « ما نزِعَتِ الرَّحمة إلَّا مِنْ شَقِيٍّ » .

وقال : « ارْحَمُوا تُرْحَمُوا ، وَاغفِرُوا يَغفِرِ الله لكم » .

وعنه صلى الله عليه وسلم قال : « ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّماء » .

وفى الأثر المرفوع أنه : « يُنادِي المُنادِي فى بعض مواقف القيامة : لِيَقُمْ مَنْ لَهُ عند الله ما يُحْمَدُ له ، فلا يقوم إلّا من عفا » .

وفى الحديث أيضاً : « إن الله عفوٌ غفور يُحِبُّ العفوَ عن عباده » .

وقال صلّى الله عليه وسلَّم : « أقيلوا ذَوِى الهيئات زَلّاتهم » .

قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : أفضل العفو عند القُدْرة ، وأفضل القصد عند الجِدَة .

قال سعيد بن المسيب : لأن يخطىء الإمام فى العفو خير من أن يخطىء فى العقوبة .

قال جعفر بن محمد : لأن أندم على العفو خير من أن أندم على العقوبة .

طلب عبدُ الملك بنُ مروان رجلا فأعجزه ثم ظفر به ، فقال رجاء بن حَيْوَة : يا أمير المؤمنين ! قد صنع الله ما أحببتَ من ظفرك به ، فاصنع ما أحبَّ الله من عفوك عنه .

قال رجل للمنصور حين ظفر بأهل الشام ، وقد أجلبوا عليه وخالفوه مع عبدالله ابن على : الانتقام عدْلٌ ، والتجاوزُ فَضْل ، ونحن نعيذُ أمير المؤمنين بالله أن يرضى لنفسه بأوكس النصيبين ، ولا يبلغ أرفع الدرجتين .

كان يقال : أولى الناس بالعفو أقدرُهم على العقوبة ، وأنقصُ الناس عقلا من ظلم من هو دونه .

قال المهلب بن أبى صفرة : خيرُ مناقب الملوكِ العفوُ .

قال المأمونُ : وددتُ أن أهل الجرائم عرفوا رأيى فى العفو ، فسَلِمَتْ لى صدورهم .

قال معاويةُ رحمه الله : ما وجدتُ شيئًا ألذَّ عندى من غيْظٍ أتجرعه ، ولم يعرف قيمة الأبهَّة[١] من لم يجرعه الحلم غصص الغيظ .

اعتذر رجل إلى الهادى فقال : يا أمير المؤمنين ! إقرارى بما ذكرت يوجب علىَّ ذنبًا لم أجنه ، وردِّى عليك لا أقدم عليه لما فيه من التكذيب لك ، ولكنى أقول :

---

(١) فى ا : الأجهمة ، وفى ب : الأئمة .

فإِنْ كـنتَ ترجُو فِي العقوبةِ رَاحَةً   فَلاَ تَزْهَدَنْ عند المعافاةِ فِي الأَجْرِ[١]

فَعَفَا عنه .

قال منصورُ الفقيه :

وقال نَبِيُّنَا فيما رَوَاهُ   عن الرحمٰنِ فِي عِلْمِ الغُيُوبِ
مُحالٌ أن يَنالَ العَفْوَ من لا   يَمُنُّ به على أهْلِ الذُّنوبِ[٢]

وقال آخر :

فَهَبْنِي مُسِيئًا كالذى قُلْتَ ظَالِمًا   فعفوٌ جَميل كى يكونَ لَكَ الفَضْلُ
فإِنْ لم أكُنْ للعفوِ أهْلًا لسُوءِ ما   أَتيتُ بِهِ جَهْلًا فَأَنتَ لَهُ أَهْلُ[٣]

سُئل ثعلب عن معنى : فهبنى مسيئًا . قال : معناه اعددنى مسيئًا .

قال محمّدُ بن على بن حُسين : من كظم غيظا يقدر على إمضائه حشا الله قلبه إيمانًا .
وروى هذا مرفوعاً إلى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم .

ومما ينسب الى عمرو بن العاص :

وَبَعضُ انْتِقَامِ المَرْءِ يُزْرِى بِعَقْلِهِ   وَإِن لم يَقَعْ إِلاَّ بِأَهْلِ الجَرَائِمِ
وَذِكْرُ ذنوبِ الوَغْدِ تَرْفَعُ ذِكْرَهُ   فدَعْهُ صَرِيعَ النَّوْمِ تَحْتَ القَوَادِمِ

---

(١) البيت فى الوزراء والكتاب للجهشيارى ١٦٩ ، والعقد ٢/ ١٩ ، المستطرف ١/ ٢٢٣ .
(٢) المستطرف ١/ ٢١٧ .
(٣) البيتان للصولى ، انظر معجم الأدباء ١/ ١٨٦ ، ووردا فى العقد ٢/ ١٤٣ بغير نسبة .

وفى معنى هذا البيت الأخير، قول ذى الرمة :

قيل لى : قد هَجَاك مَوْلَى زيادٍ ... فَأَجِبه ، فقلت : لَيْسَ بِكُفْوِى[١]
لستُ أهجُوه إنَّه خاملُ الذِّكْـ ... ـرِ لَعَلَّ الخَسِيسَ يَعْلُو بِهَجْوِى
هو كالكَلْبِ يَنْبَحُ اللَّيْثَ رُعْبًا ... فَذَرُوه يمرّ بعْدِى[٢] وَيعْوِى
هو من سَطْوَتى وبأسِ هِجَائى ... فى أمانٍ ما بَيْنَ حِلْمِى وعَفْوِى[٣]

كتب على بن الجهم إلى الحسن بن وهب :

إنْ تعفُ عَنْ عبدِكَ الْمُسِىءِ فَفِي ... فَضْلِكَ مَأْوَى للصَّفْحِ وَالْمِنَنِ
أتيتُ ما أَسْتَحِقُّ من خَطَـإ ... فَجُـدْ بِمَا تَسْتَحِقُّ مِنْ حَسَنِ[٤]

فجاوبه الحسن بن وهب بأبيات منها :

أعوذُ بالوُدِّ الَّذى بَينَنَا ... أنْ يَفسَدَ الأولُ بالآخِرِ

وله أيضاً :

أَقِلْنَى أَقَالَكَ مَنْ لَمْ يَزَلْ ... يَقِيكَ وَيَطْرِفُ عَنْكَ الرَّدَى[٥]

وقال آخر :

ألا إنَّ خيرَ العفو عفوٌ مُعجَّلٌ ... وَشرٌّ[٦] العِقَابِ مايُجَازُ بِهِ الْقَدْرُ[٧]

---

(١) إلى هنا ينتهى السقط من نسخة ب .
(٢) ب : بعد .
(٣) لم أعثر على الأبيات فى ديوانه .
(٤) إعتاب الكتاب : ١٦ ، عيون الأخبار ٣/٩٩ .
(٥) البيت فى عيون الأخبار ١/١٠١ ، ونسبه فى نفح الطيب ٢/١٢٦ إلى الحاجب أبى جعفر المصحفى .
(٦) ب : وخير .
(٧) ا : ما يجازى به النزر ، وفى عيون الأخبار ١/١٠١ : ما يجازى به

وقال أعرابى :

يَا رَبِّ قد حلفَ الأقوامُ وَاجْتَهدوا أيمانَهُم أنَّنى من ساكِنى النَّارِ
أيحلِفُونَ عَلَى عَمْيَاءَ وَيحَهُمُ[1] جَهْلًا بعفوِ عظيمِ العَفوِ غفَّارِ[2]

وقال آخر :

يَارَبِّ عَفْوَكَ عَنْ ذِى تَوْبَةٍ وَجِلٍ كَأَنَّهُ مِنْ حِذَارِ النَّـــارِ مَجْنُون
قد كان قَدَّمَ أعمالاً مُقَارِبَةً[3] أيّام لَيْس لَهُ عَقْلٌ وَلَا دِينُ[4]

---

(١) ب : ويلهم .
(٢) البيتان فى البيان ٣/٣٧٩ بدون نسبة .
(٣) ا : مقارفة .
(٤) البيتان لعبيد بن أيوب العنبرى ، انظر البيان والتبيين ٣/٣٧٩ .

باب الغضب

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ليس الشديد بالصُّرَعَة[1] ، إنما الشديد من يملك نفسه عند الغضب » .

قال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله ! دُلَّنِي على عملٍ إذا عملته دخلت الجنة ، وأقلل لعلّي أحفظه . قال : « لا تغضب » .

وروى عنه عليه السلام ، أنه قال : « إذا غضبتَ قائماً فاقْعُد ، وإذا غضبتَ قاعداً فقم ، أو قال : فاضطجع » .

أوحى الله إلى موسى : اذكرني عند غضبك ، أذكرك عند غضبي ، فلا أمحقك فيمن أمحق ، وإذا ظُلِمْتَ فارضَ بنصرتي لك ، فإنها خيرٌ من نصرتك لنفسك[2] .

قال عيسى عليه السلام : يباعدُك من غضب الله ألا تغضب .

أنشد ثعلب :

مَتَى تَرِدِ الشِّفَاءَ بِكلِّ غَيْظٍ تَكُنْ مِمَّا يغيظُكَ فِي ازْدِيَادِ[3]

قال سليمانُ بن داود عليهما السلام : أُعْطِينا ما أُعْطِي الناسُ وما لم يعطوا ، وعُلِّمنا ما عُلِّم الناس وما لم يُعَلَّموا ، فلم نَرَ شيئاً أفضل من العدلِ في الرضا والغضب ، والقصدِ في الغنى والفقر ، وخشيةِ اللهِ في السرِّ والعلانية .

قال عليُّ بنُ أبي طالب رضي الله عنه : إنما يُعْرَف الحلمُ ساعة الغضب .

---

(١) الصرعة : من يصرع الناس ولا يصرعونه .

(٢) ا : وإذا طلبت فارض بتصرف لك ، فإنه خير من تصرفك لنفسك .

(٣) محاضرات الأدباء ١/١١٠ .

وعنه أيضًا : عدوُّ العقلِ الغضب .

كان يقال : أول الغضب جنون ، وآخره ندم ، ولا يقوم عزّ[١] الغضب بذلّ الاعتذار .

وروى : كل العطب فى الغضب[٢] .

قيل للشعبي : لأى شيء يكون السّريع الغضب سريعَ الفيئة ، ويكون بطيء الغضب بطيء الفيئة ؟ قال : لأن الغضب كالنار ، فأسرعها وقودًا أسرعها خمودًا .

وهذا الخبر أصح عن عبد الله بن حسن ، حكاية عن كسرى ، ذكره ابن عائشة القرشي التيمىّ[٣] عنه . قال : قيل لعبد الله بن حسن : ما بال الرجل الحديد أسرع رجعةً من البطيء ؟ فقال : سئل كسرى عن ذلك ، فقال : مثلهما مثل النار فى الحطب ، أسرعها وقودًا أسرعها خمودًا .

أراد المنصورُ خراب المدينة لإطباق أهلها على حربه مع محمد بن عبد الله بن حسن ، فقال له جعفر بن محمد : يا أمير المؤمنين ! إن سليمانَ أُعطى فشكر ، وإن أيوب ابتلى فصبر ، وإن يوسفَ قَدَر فغَفَر ، وقد جعلك الله من قبيل[٤] الذين يعفون ويصفحون ، فطفئ غضبه وسكت .

شهد سَوَّارُ القاضى مجلس أبى جعفر المنصور يومًا فرآه قد غضب على أهل البصرة ، فقال له : يا أمير المؤمنين ! لا تغضب لله بما[٥] يُغضِب الله .

---

(١) ساقط من ب .
(٢) ا ، ب : وربما كان العطب فى الغضب .
(٣) ب : التميمى .
(٤) ب : انسل .
(٥) ب : فيما .

العرب تمدح بترك الغضب .

كان يقال : من أغضبته(١) أنكرته .

قال الشاعر :

لم أقْضِ مِنْ صُحْبَةِ زيدٍ أَرَبي   فَتًى إذَا نَهْنَهْتَهُ لَمْ يَغْضَبِ
أبيضُ بَسّامٌ وَإنْ لم يَعْجَب   وَلَا يَضِنُّ(٢) بالمَتَاعِ المُحْقَبِ
مُوَكَّل النَّفْسِ بحفظِ الْغُيَّبِ   أقصى رَفيقَيْهِ لهُ كالأقْرَبِ(٣)

قال عبد الله بن قيس الرقيات :

مَا نَقَمُوا مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ إلاَّ   أَنَّهُمْ يَحْلُمُونَ إنْ غَضِبُوا
وَأَنَّهُمْ سَادَةُ الْمُلُوكِ وَلَا   تَصْلُحُ إلَّا عَلَيْهِمُ العَرَبُ(٤)

قالوا : إذا غضب الرجل فليستلق ، وإذا أعيا فليرفع رجليه .

---

(١) ا : أبغضته .
(٢) ب : ولا يظن .
(٣) نهاية الأرب ٣/٢٣ وانظر عيون الأخبار ٣/٢٣ .
(٤) ديوانه ١٤ .

باب الرجاء والخوف

دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على بعض أصحابه يَعُوده ، فقال : كيف تجدك ؟ قال : أجدنى أرجو وأخاف ، قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : والذى نَفْسِي بِيَدِه ، ما اجتمعتا فى قلب رَجُلٍ إلّا أعْطَاهُ الله خير [1] ما يرجو منه ، وآمنه من شر ما يخاف » .

قال أبو الدَّرْداء : من خاف أدلج ، ومن أدلج بلغ المنزل .

قال مُطَرِّف بن عبد الله الشِّخِّير : لو وُزن رجاء المؤمن وخوفه لاعتدلا .

قال لقمان لابنه : يا بنيّ ! ارج الله رجاءً لا تأمن فيه مَكْرَه ، وخف الله مخافة لا تأيسنّ فيها من رحمته ، فقال : كيف أستطيع ذلك ، وإنما لى قلب ؟ فقال : يا بنى ! إن المؤمن كذى [2] قلبين ، قلب يخاف به ، وقلب يرجو به .

قال علىّ بن أبى طالب : خذوا عنى هذه الكلمات ، فلو رَحَلْتُم فيها المَطِيَّ حتى أنضيتموها لم تبلغوها : لا يرجو عبد إلّا ربّه ، ولا يخاف إلّا ذنبه . وذكر كلاماً قد ذكرته بتمامه فى كتاب « بيان العلم وفضله » .

كان يقال : من خاف اللهَ ورجاه ، آمَنَهُ خوفَه ، ولم يحرمه رجاءه .

وقف محمد بن سليمان على قبر أبيه ، فقال : اللهم إنى أمسيت أخافك عليه وأرجوك له ، فحقق رجائى ، وآمن خوفى عليه .

---

(١) ساقط من ب .

(٢) ساقط من ب .

قال مسلم بن يَسار [١] : ما أدرى فيم [٢] خوف امرىء ورجاؤه إذا لم يمنعاه من ركوب شهوة إن عرضت له ، أو لم يصبّراه على مصيبة إن نزلت به .

كتب بعض العلماء إلى بعض إخوانه : أما بعد ، فإنه من خاف الله أخاف الله منه كل شيء ، ومن لم يخف الله أخافه الله من كل شيء .

للحسن بن هانئ [٣] وتنسب للشافعى رضى الله عنهما ، والله أعلم :

خَفِ اللّهَ وَارْجُوهُ لِكلِّ عَظيمَةٍ ... وَلَا تُطِعِ النَّفْسَ اللَّجُوجَ فَتَنْدَمَا
وَكُنْ بَيْنَ هاَتَيْنِ مِنَ الْخَوْفِ وَالرَّجَا ... وَأَبْشِرْ بعفوِ اللهِ إِنْ كُنْتَ مُسْلِماَ [٤]

وفيها :

فلما قَسا قَلْبي وَضاقَتْ مَذَاهِبِي ... جعلتُ الرَّجا مِنِّي لِعَفْوِكَ سُلَّماَ

وَله :

قَدْ كُنْتُ خِفتُكَ ثُمَّ آمَنَنِي ... من أَنْ أَخاَفَكَ خَوْفُكَ اللّهَ [٥]

وقال العتابى :

رَحَلَ الرَّجاءُ إِلَيْكَ مُرْتَقِياً ... حُشِدَتْ إِلَيْهِ نَوَائِبُ الدَّهْرِ

---

(١) ساقط من ب .
(٢) ب : ما .
(٣) ب : سهل ، ا : وهب
(٤) الأبيات فى معجم الأدباء ١٧/٣٠٣ منسوبة إلى الشافعى رضى الله عنه ، وهى فى ديوان أبى نواس ٦٨ .
(٥) ديوانه ١٠٩ ، عيون الأخبار ١/٧٠ وذكر أنها لأبى نواس فى استعطاف الفضل بن الربيع .

رَدَّتْ إِلَيْكَ نَدَامَتِي أَمَلِي ... وَثَنَا إِلَيْكَ عِنَانَهُ شُكْرِي
وَجعلتُ عَتْبَكَ عَتْبَ موعظةٍ ... ورجاءَ عَفْوِكَ مُنْتَهى عُذْرِي

وقال أعرابي، وقد أدخله البعيث فى شعره:

وإنى لأرجُو اللهَ حتّى كأنما ... أرى بجميلِ[1] الظَّنِّ ما اللهُ صانِعُ[2]

وقال منصور الفقيه:

قَطَعْتُ رجائى مِنْ بَنِي آدمٍ طُرًّا ... فأصبحتُ من رِقِّ الرَّجاءِ لَهُمْ حُرَّا
وَعَدَّلَ يَأسِي بينهم فأَجلُّهُمْ ... ـ إذا ذُكروا ـ قَدْرًا كأَدْناهُمُ قَدْرَا
غَنِيٌّ لَهُمْ باللهِ لا مُتَطَاوِلًا ... عَلَى أحدٍ منهم وَلا قائِلًا هُجْرَا
وكيف يعيبُ النَّاسَ بالمنعِ مؤمنٌ ... يَرى النفعَ مِمَّنْ يَمْلِكُ النَّفْعَ وَالضُّرَّا
عليهِ اتّكالِي فى الشَّدَائِدِ كُلِّها ... وَحَسْبِي به عند الشَّدَائِدِ لِي ذُخْرَا

أنشدنى عبدُ اللهِ بن محمد بن يوسف رحمه اللهُ لنفسه:

أَسيرُ الخَطَايَا عِنْدَ بَابِكَ وَاقِفُ ... عَلَى وَجَلٍ مِمَّا بِهِ أنْتَ عَارِفُ
يَخَافُ ذُنوبًا لم يَغِبْ عَنْكَ غَيْبُها ... ويرجوكَ فيها فهو راجٍ وَخائِفُ
فَمَنْ ذَا الَّذِي يَرْجُو سِوَاكَ وَيَتَّقِي ... وَمَا لَكَ مِن فصْلِ القضاءِ مُخالِفُ
فيا سيّدى لا تُخْزِنى فى صحيفتى ... إذا نُشِرَتْ يومَ الحسابِ الصَّحائفُ

---

(١) ب: الجميل.
(٢) العقد الفريد ٣/١٨٠، عيون الأخبار ١/٣٦، التمثيل والمحاضرة ٩، وقد نسب البيت فى الكامل ١/٢٣١ إلى محمد بن أبى وهيب، ونسب فى زهر الآداب ٣/٢٥٤ لمحمد بن أبى حازم الباهلى.

وكن مُؤنِسِى فى ظلمةِ القَبْرِ عندما ... يَصُدُّ ذَوُو وُدِّى ويجفُو المُؤَالِفُ
لَئن ضاقَ عنِّى عَفْوُكَ الواسِعُ الّذى ... أُرَجِّى لإِسْرافى فإِنِّى لتالفُ(١)

وقال أبو العتاهية :

إِذَا مَا اتَّقى اللهَ امرؤٌ لانَ جَانِبُه(٢) ... وقَارَبَ بالإِحْسانِ مَنْ لا يُقارِبُهْ
يَقولُ الفَتى أَرجُو وأَرْجُو وَمَا لَه ... نُزوعٌ(٣) عن الذَّنْبِ الذى هو رَاكِبُهْ
ألا لَيْسَ يرجُو اللهَ من لّا يَخافُهُ ... وليس يَخافُ اللهَ مَنْ لا يُرَاقِبُهْ
من النَّاسِ من لا يُبْصِرُ الدَّهْرَ جَهْلَهُ ... ويَزْدَادُ فيه الضَّعْفَ حتّى يُعَاتِبُهْ
كفي بصروف الدهر علماً وحكمة ... لمن لم يخنـــه علمُهُ وتجاربُهْ
ومن لم يثق باللهِ لم يَصْفُ عَيْشُهُ ... ومن ضاق عنه الحقّ ضاقَتْ مذاهِبُهْ(٤)

كان أبو سعيد السيرافى كثيراً ما ينشد فى مجلسه :

اسكنْ إلى سَكَنٍ تسرُّ بِهِ ... ذهبَ الزَّمانُ وأَنتَ مُنفَرِدُ
تَرجُو غداً وَغدٌ كحاملةٍ ... فى الحَىِّ لا يَدْرُون مَا تَلِدُ(٥)

قرأت على سعيد بن نَصْر، أن (٦ قاسِمَ بنَ أَصْبَغ حدثهم ٦) ، قال حدثنا عبدالله ابن رَوّاح المَدَائنىّ ، قال يَزيدُ بنُ هرون ، قال : حدثنا أبو موسى التميمى ، قال :

---

(١) الأبيات فى نفح الطيب ٣/١١٢ .
(٢) ا : قلبه .
(٣) ا : فروغ . (٤) ديوانه ١٠ .
(٥) البيتان لبشار بن برد ، انظر المختار من شعره ٩٢ ، ٩٣ .
(٦) ساقط من ب .

توفيت النَّوَارُ امرأة الفرزدق نخرج في جنازتها وجوهُ أهـل البصرة ، وخرج فيها الحسنُ ، فقال للفرزدق : ما أعددتَ لهذا اليوم يا أبا فراس ؟ قال : شهادةُ ألَّا إله الله منذ ثمانين سنة ، فلما دُفنت قام الفرزدقُ على قبرها فقال :

أَخَافُ وَرَاءَ الْقَبْرِ – إنْ لَمْ يُعَافِنِى – أَشَدَّ مِنَ الْقَبْرِ التهابًا وَأَضْيَقَا
إذا جاءنى يومَ القيـــامة قائدٌ عَنِيفٌ وسَوَّاقٌ يَسُوقُ الْفَرَزْدَقَا
لَقد خاب من أولادِ آدم من مشى إلى النار مغلولَ القِلادةِ أَزْرَقَا[1]

[2] قال : فبكى وأبكى [2] .

---

(١) الأبيات فى الديوان ٥٧٨ ، الكامل ١/٧١ ، ورواية الديوان : دارم مكان آدم ، ومشدود الخناقة بدلا من مغلول القلادة . وفى الكامل : إذا قادنى مكان إذا جاءنى ، وموثقا مكان أزرقا .
(٢) ساقط من ب .

بابُ العافيَةِ والْبَلاء

قال رسولُ اللهِ صلّى اللهُ عليه وسَلم : « سلُوا اللهَ العافيةَ والمعافاةَ في الدُّنْيا والآخرة ، فإنه لم يؤتَ عبدٌ بعدَ اليقين باللهِ بأفْضلَ من المُعافاة[1] » .

قال رسولُ اللهِ صلّى الله عليه وسلّم : « مَنْ يُرِدِ اللهُ به خيراً يُصِبْ منه » .

قال رسولُ اللهِ صلّى الله عليه وسلم : « أشدُّ الناسِ بلاءً النبيُّون ، ثم الأمثل فالأمثل » . والأحاديثُ عنه صلّى اللهُ عليه وسلم في هذا الباب كثيرة جدًّا .

قال عيسى عليه السلام : إنما النّاس مبتلًى ومعافًى ، فإذا رأيتم أهل البلاء فارحموهم ، وسلُوا الله العافية .

قال على بن الحسين : ما صاحبُ البلاءِ الذى قد طَالَ به أحقّ بالدعاءِ من المُعَافَى الذى لا[2] يأمن البَلاء .

قال مُطَرِّفُ بن الشِّخِّير : لأن أُعافَى فأشْكُر ، أحبّ إلىَّ من أن أُبْتَلَى فأصبر، قال مطرِّف : ونظرت فى النعمة التى لا يشوبها كدر فإذا هى العافية .

قال سليمانُ التَّيْمى : إن المؤمنَ ليبتلَى ويُعَافَى ، فيكون بلاؤُه كفارةً واستعتابًا ، وإن الكافرَ ليبتلى ويعافى فيكون مثل بعيرٍ عقل ، لا يدرى فيم عُقل ولا لم أرسل .

---

(١) ا : اليقين .

(٢) ساقط من ب .

قال منصور الفقيه :

رَأَيْتُ الْبَلَاءَ كَقَطْرِ السَّمَاء ... وَمَا تُنْبِتُ الْأَرْضُ من نَامِيَهْ[١]

فلا تسألنّ : إِذَا مَا سَأَلْتَ ... إِلٰهكَ شَيْئًا سِوَى الْعَافِيَهْ

وله أيضًا :

حفظ الْفَتَى لسانَهُ ... محبةً فى العَافِيهْ

وَاقية من الْبَلَاء إن ... كانَ منه واقيـــهْ

قال أكثم بن صيفى : العافيةُ الْمُلْكُ الخفىّ .

[٢] كان يقال : لا خير فى بدن لا ينكأ ، ولا فى مال لا يرزأ [٢] .

كان يقال : من عمل بالعافية فيمن هو دونه رِزقها ممن هو فوقه .

قال الشاعر :

بَلاءٌ لَيْسَ يُشْبِهُهُ بَلاءٌ ... عداوةُ غيرِ ذِى حَسَبٍ وَدِينِ

يُبِيحُكَ منهُ عِرْضًا لم يَصُنْهُ ... ويرتعُ منكَ فِى عِرْضٍ مَصُونِ[٣]

وقال آخر ، وهو أبو راسب :

فلوْ أَنّى بُلِيتُ بِهَاشِمِىٍّ ... خُؤُولَتُه بَنُو عَبْدِ الْمَدَانِ

صبرتُ عَلَى عَدَاوَتِهِ ولـكِنْ ... تعالوا فانظروا بِمن ابْتَلَانِى[٤]

---

(١) ا : هامية .

(٢) زيادة من ب .

(٣) البيتان لعلى بن الجهم ، انظر محاضرات الأدباء ١/١٢٢ ، ١٨٦ ، وفيات الأعيان ٣/٤١ ، العقد الفريد ١/٢٥٠ ، ٢/٣٣٩ .

(٤) نسب البيتان فى المستطرف ١/٢٥٠ إلى زياد بن عبد الله ، ونسبا فى الكامل ٢/٦١ إلى دعبل بن على الخزاعى .

قال بشار بن برد :

إنِّى وَإنْ كانَ جَمْعُ المال يعجبنى ... فلَيْسَ يَعْدِلُ عندى صِحَّةَ الجَسَدِ
فى المال زَيْنٌ وفى الأولادِ مَكْرُمَةٌ ... والسُّقْمُ يُنسيكَ ذِكْرَ المالَ والْوَلَدِ(١)

قال النبى صلى الله عليه وسلم : « البلاء مُوَكَّلٌ بالقول » .

أخذه الشاعر فقال :

إنَّ الْبَلَاءَ مُوَكَّلٌ بِالْمَنْطِقِ(٢)

وقال آخر :

فإذَا رَأَيْتَ أَخَا البليّةِ فاستعذ ... باللهِ من شَرِّ البلاء النّازِلِ

قال إبراهيمُ النَّخَعِى : كانوا يكرهون أن يسألوا اللهَ العافيةَ بحضرة المبتلى .

---

(١) لم أعثر عليهما فيما طبع من ديوانه .

(٢) صدره : احفظ لسانك أن تقول فتبتلى ، وهو لصالح بن عبد القدوس كما فى حماسة البحترى ١٦٨ ، وانظره فى المستطرف ١/١٠٢ ، ومعجم الأدباء ١٢/١٠/١ من غير نسبة .

بابُ المرضِ والطبِّ

قال رسولُ اللهِ صلّى اللهُ عليه وسلم : « أَنْزَلَ الدَّاء الذى أنزَلَ الأَدْوَاء » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من خير ما تداويتم به الحِجَامة » .

وقال عليه السلام : « إن كان دواءٌ يبلغ الداء فالحجامة تبلغُه » .

قال محمد بن سيرين : كنا بساباط المدائن ، فمر بى رجل ، فقيل لى : هذا حَجَمَ[1] كسرى ، فدعوته ، فقلت له : أنت حجمت كسرى ؟ قال : نعم . قلت : وكم حجمته ؟ قال : واحدة . قلت : ولم اقتصر على واحدة ؟ قال : كان يقول : آخذ من الدواء - أدناه ، فإن كان نافعاً أخذت من نفعه ، وإن كان ضارًّا لم أكن استكثرت من ضرره .

روى النَزَّالُ بن سَبْرة[2] ، عن علىّ ، أنه قال : من ابتدأ غداءه بالملح أذهب الله عنه كل دائه ، ومن أكل إحدى وعشرين زبيبة كل يوم لم ير فى جوفه شيئاً يكرهه ، واللحم ينبت اللحم ، والثريد طعام العرب ، ولحم البقر داء ، ولبنها دواء ، وسمنها شفاء ، والشحم يخرج مثله من الداء . قال النزال : أظنه يريد شحم البقر . قال علىّ رضى الله عنه : وما استشفى بأفضل من السمن ، والسمك يذيب البدن ، أو قال : الجسد ، ولم تستشف النفساء بشىء أفضل من الرطب ، والسواك وقراءة القرآن يُذْهبان البلغم ، ومن أراد البقاء — ولا بقاء — فليباكرْ الغَدَاء ، وليخفف الرِّدَاء ،

---

(١) ب : يحجم .

(٢) ب : شبرمة ، تحريف .

وليقلّ غِشْيَان النّساء . قيل له : يا أُمير المؤمنين ! وما خفة الرِّداء ؟ قال : خفة الدَّيْن .

قال شُرَيح : امش بدائك ما حملك .

قال حَسَّانُ بنُ خُرَيم بن الأغَر : دع الدَّواء ما احتمل جسمُك الداء .

سئل الحارثُ بن كَلَدة طبيب العرب : ما الدواء الذى لا داء فيه ؟ قال : هو ألا يدخل بطنك طعام وفيه طعام .

قال غيره : هو أن يقدَّمَ الطعام إليك وأنت تشتهيه ، ويرفع عنك وأنت تشتهيه .

قالوا : ثلاثة تقتل : الحَمَّام على الكِظَّة ، والجماع على البِطْنة ، والإكثار من أكل القديد اليابس .

كانوا يقولون : لو أمات العليلَ الداءُ أعاشه[1] الدواء .

قال الربيع بن خُثَيْم : ذكرت عادًا وثمود وأصحاب الرسّ وقرونًا بين ذلك كثيراً ، كانت فيهم الأدواء ، وكانت فيهم الأطباء ، فلا المُداوِى بقى ولا المُدَاوَى .

وقيل له فى علَّته : ألا ندعو لك طبيبًا ؟ فقال : قد نظر إلى الطبيب . فقيل له : ما قال لك ؟ فقال : إنِّى فعال لما أريد .

وهذا نحو قول أبى الدرداء ، وقد قيل له : ألا ندعوك لك طبيباً ؟ قال : الطبيب أمرضنى . وقد أوردنا عن العلماء فى هذا المعنى ما فيه كفاية يكتفى بها فى كتاب « التمهيد » والحمد لله .

---

(١) ب : أقامه .

ولأبى العتاهية، ويروى لغيره :

إنَّ الطَّبيبَ بِطِبِّهِ وَدَوائِهِ   لا يَسْتَطِيعُ دِفاعَ مَكْرُوهٍ أتَى
ما للطَّبِيبِ يَمُوتُ بالدَّاءِ الذى   قد كان يبرئُ مثلَهُ فيما مَضَى[(١)]

كان سفيان بن عيينة، يستحسن قول عدىّ بن زيد، حيث يقول :

أينَ أهلُ الدِّيارِ من قومِ نُوحٍ   ثُمَّ عادٌ من بَعْدِهِمْ وَثَمُودُ
بَيْنَما هم عَلَى الأَسِرَّةِ وَالأَنْـ   ـماطِ أَفضتْ إلَى التُّرابِ الجلودُ
ثمَّ لم ينقضِ الحديثُ ولكنْ   بعد ذَا الوَعْدُ كُلُّهُ والوعِيدُ
والأطِبَّاءُ كلُّهمْ لَحِقُوهم   ضَلَّ[(٢)] عَنْهُمْ سَعُوطهمْ واللَّدُودُ
وصحيحٍ أَضْحَى يعودُ مريضًا   وَهْوَ أَدْنَى للموتِ مِمنْ يعودُ[(٣)]

أخذه على بن الجهم، فقال :

كَمْ مِنْ عَلِيلٍ قَدْ تَخَطَّاهُ الرَّدَى   فَنَجَا وَماتَ طَبِيبُهُ والعُوَّدُ[(٤)]

وقال أبو العتاهية :

نَعَى لك ظلَّ الشَّبابِ المشيبُ   ونَادَتْكَ باسمٍ سِوَاكَ الخُطُوبُ

---

(١) ديوانه ١٠ ، ويروى البيتان أيضاً لبشار ، انظر المختار من شعره ٢٣١ وفيه : دفاع مقدور مكان مكروه .
(٢) ب . ظل .
(٣) الأبيات فى : العقد الفريد ٣/١٨٨ عدا الرابع ، وفيه : ثم عاد من بعدها ، والخدود مكان الجلود ، وانظر معجم الشعراء ٢٥٠ .
(٤) التمثيل والمحاضرة ١٨٢ من غير نسبة .

وَقبلك داوى المريضَ الطبيبُ ... فعاشَ المرِيض ومَاتَ الطّبيبُ
يَخَافُ عَلَى نَفسِهِ من يتوبُ ... فكيف تَرَى حالَ مَنْ لايتوبُ[١]

وقال منصور الفقيه :

كَذَبْتُ إنْ أَنَا سَمَّيْـ ... ـتُ مُحْسِنًا أوْ مُصِيبًا
من لَّا يُعَاشِرُ إلَّا ... مُنَجِّمًا أوْ طَبِيبًا

وقال آخر ، وهو يزيد بن خذاق العبدى[٢] :

هل للفَتَى منْ بنَاتِ الدَّهْرِ منْ وَاقِ ... أمْ هلْ لَهُ من حِمَامِ الْمَوْتِ من رَاقِ
هَوِّنْ عليكَ ولا تُولَعْ بإِشْفَاقِ ... فإنَّمَا مالُنَا لِلْوَارِثِ البَاقِي

وقال ابن الطَّثْرِيَّة[٣] :

وكنتُ كَذِي داءٍ تَبَغَّى لِدَائِهِ ... طَبِيبًا فلمَّا لَمْ يَجِدْهُ تَطَبَّبَا

وقال محمود الوراق :

قَد قلتُ لَمّا قال لى قائِلٌ[٤] ... قد صَارَ بُقْرَاطُ إلَى رَمْسِهِ
فأيْنَ ما دَوَّنَ مِنْ كُتْبِهِ ... وَجَمْعُهُ الأحْجار مَعْ جِنْسِهِ[٥]

---

(١) لم أعثر على هذه الأبيات فى ديوانه المطبوع ، وقد نسبت إلى أبى حفص الشطرنجى فى الأغانى ١٩/٧٢، ووردت فى عيون الأخبار ٢/٣٢٧ ، العقد الفريد ٣/١٨٠ .

(٢) انظر ترجمته والبيتين فى الشعر والشعراء ٢٤٦ ، وانظرهما فى العقد الفريد ٣/٢٤٤ .

(٣) هو يزيد بن سلمة بن سمرة ، شاعر مطبوع من شعراء بنى أمية ، نسبته إلى أمه من بنى «طثر» من عنز بن وائل ، قتل سنة ١٢٦ هـ . ترجمته فى وفيات الأعيان ٢/٢٩٩ وسمط اللآلى ١٠٣ ، وانظر البيت فى الشعر والشعراء ٢٦٣ ، معجم الشعراء ٢٨٦ ، وفيات الأعيان ٥/٤١٢ .

(٤) ب : قد قلت للقائل الذى قال لى .

(٥) ب : من جنسه

لم يُغنِـــهِ إذا حُمَّ مِقْدارُهُ   ولم يُساوِ الْمُشْرَ مِنْ فَلْسِهِ
هَيْهَاتَ لَا يَدْفَعُ عن غَيْرِه   من كانَ لا يَدْفَعُ عن نَفْسِهِ

وقال منصور الفقيه :

يَا سيدًا باتَتْ الْقُلُوبُ – لِأنْ   بَاتَ كما لا يُحِبُّ – مُحْتَرِقَهْ
إنّ ذَوِي الطِّبِّ – لا أقولُ بما   لا يَعْلَمُ رَبِّي خلافَه – فَسَقَهْ
فَلَا تُشَاوِرْهُمُ فَلَيْسَ لَهُمْ   عَلَى شَحِيحٍ بدِينِهِ شَفَقَهْ
وَاتْلُ من الْوَحْيِ ما اسْتَطَعْتَ ولَوْ   فِي كلِّ يَوْمٍ وليلةٍ وَرَقَهْ
فَمَا يُداوِي العَلِيلُ يَرْحَمُكَ اللَّــهُ   بِمِثْلِ الْقُرْآنِ والصَّدَقَهْ

جاء في الخبر : « من كان به مرض قديم فليأخذ درهماً حلالاً ، فَلْيَشْتَرِ به عسلاً ، ثم ليشربه بماء السماء ، فإنه يبرأ بإذن الله » .

قال منصور الفقيه يخاطب بعض إخوانه :

يَاذا الَّذِي أَنْزَلَنِي(١) مَنْزِلِي   عِلْمِي بما أَنْزَلَهُ مَنْزِلَهْ
إنْ كُنْتَ فِي الصِّحَّةِ ذَا رَغْبَةٍ   فاعْتَضْ من الْمَجْزَرَةِ الْمَبْقَلَهْ
واسْتَعْمِلِ الْمَاشَّ(٢) وأَشْبَاهَهُ   وباعِدِ المِيلَ عنِ الْمُكْحُلَهْ
فإنَّمَا الْجَــاهِلُ كلّ امرىءٍ   يَأْكُلُ فِي الصِّحَّةِ ما عَنَّ لَهْ

---

(١) ا : أكبر لى ، ب : ألزمنى .
(٢) الماش : حب نافع للمحموم والمزكوم ، ملين .

قال أبو عمر رضى الله عنه : دخلت على الشيخ أبي الوليد بن عباد ، عائداً له من بطن كان يشكوه قد اشتد عليه ، فوجدته قد أخذ شيئا[١] من حسو[١] ، فقلت له : يا سيدى ما لصاحب البطن والحسو ؟ فقال : شيء تاقت نفسى إليه ، وسئمت أكل الجامد واليابس ، فانصرفت من عنده ، ثم كتبت إليه :

يَا سليلَ الكِرَامِ منْ آلَ لَخْمٍ ... وَأَخَا الرَّأْيِ والدَّهَا وَالوَفَاء

إنّ لى من سقام جِسْمِكَ سُقْمًا ... ثابتًا فى الفؤاد والأَحْشَاء

وبقلبِي ممَّا بجِسمِكَ ضِعْفٌ ... للذى تشتكي من الأدْوَاء

وَبُوُدِّى لو كنتُ عنكَ فداءً ... بَدَلاً عند هَجْمَةِ الضَّرَاء

فاقبلِ النُّصْحَ سيِّدى وَاسْمَعِ الْقَوْ ... لَ فإنِّى أحْكي عنِ الْحُكَمَاء

لا يُدَاوَى الإِسْهَالَ بالإِخْتِساءِ[٢] ... لاَ وَلاَ بالأمْرَاقِ وَالْبَاقِلاَء

إنَّمَا الطبُّ طَرْدُكَ الضِّدَّ بالضِّ ... دِّ ودَفْعُ الأهْوَاء بالإِحْتِمَاء

حَسْمُ ذَا الدَّاءِ ما كانَ قُوتًا ... يَأْلَفُ الطَّبْعُ فِي قِوَامِ الغِذَاء

وعَلَيْكَ الدُّعاءَ فَاللهُ يَشْفِي ... لَيس شافٍ سِوَاه منْ كلِّ داء

نعم عونُ العليلِ تَوبَةَ صِدْقٍ ... وكَذَا البرُّ جالبٌ للشفاءِ

وَسَلامٌ عليك مِنِّى دَأْبًا ... مَا جَرَى الدَّمع قاطعاً للسَّمَاء

---

(١) ا : ساقط من ب.

(٢) ا : بالحسو لالا .

ولمنصور الفقيه أيضا :

يَا شَرِيفًا طَيّ[١] أَمْثَا   لِيَ عَنْهُ النُّصْحَ بِدْعَهْ
لَو مَطَلْتَ النَّفسَ بالفَرُّو   جِ[٢] بَعْدَ اليَومِ جُمْعَهْ
لم تَمُتْ هَمًّا وَلَمْ تَدْ   مِمْ[٣] بِكَ الْحُمَّى بِسُرْعَهْ
فاخْتَرِسْ بَعْدُ فَحَسْبُ الْ   مَرْءِ أَنْ يُخْدَعَ خِدْعَهْ

(١) ب : يا شريفا طب. شر ، ا : يا شريف طبي.
(٢) ب : بالفروح .
(٣) ا : تلزمك .

بابُ الطَّاعَةِ والمَعْصِيَةِ

قال الله عز وجل : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾[١] . وقيل فى تأويل أولى الأمر قولان : أحدهما ، أمراء السرايا كان يرسلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والآخر العلماء .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «من أطاعنى فقد أطاع الله ، ومن أطاع أميرى فقد أطاعنى » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا طاعة إلا فى معروف ، ومن أمر بمعصية فلا طاعة له » .

قال عبد الله بن مسعود فى قول الله عزّ وجل : ﴿ اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ ﴾[٢]: أن يطاع فلا يُعصى ، ويُشكر فلا يُكفر ، ويذكر فلا يُنسى .

وقال قتادة ، مثل ذلك ، وزاد عليها[٣] : ﴿ فَاتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾[٤] .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يقول الله عزّ وجلّ : يا ابن آدم ! ما أنصفتنى أتَحَبَّب إليك بالنِّعم ، وتتبغّض إلىّ بالمعاصى ، خيرى إليك نازلٌ ، وشرُّك إلىَّ صاعدٌ ، كم[٥] من ملك كريم يصعد إلىَّ منك بعمل قبيح » .

---

(١) سورة النساء آية ٥٩ .
(٢) سورة آل عمران ١٠٢ .
(٣) ا : ونسختها .
(٤) سورة التغابن ١٦ .
(٥) ساقط من ب .

قال الهلالىّ : من لم يصلح على أدب الله لم يصلح على اختياره لنفسه ، ومن تعزز بمعصية الله ، أذاقه الله ذُلاًّ بحق .

قال على بن عبد الله بن عباس : من لم يجد نقص الجهل فى عقله ، وذل المعصية فى قلبه ، ولم يستبن موضع الخل من لسانه عند كلال حده ، فليس ممن يَرْغب عن ذنبه ، ولا يَنْزِعُ عن حال مَعْجزةٍ ، ولا يكترث لفضل ما بين حجّة وشبهة .

قال جعفر بن محمد : من نقـله الله عز وجل من ذل المعاصى إلى عزّ الطاعة أغناه بلا مال ، وآنسه بلا أنيس ، وأعزّه بلا عشيرة .

أخذه محمود الوراق ، فقال :

هَاكَ[١] الدَّليلَ لمن أرا ... دَ غِنًى يَدُومُ بِغَيْرِ مَالْ
وأرَادَ عِزًّا لم تُوَطِّـ ... ـدْهُ العَشائِرُ بالْقِتَالْ
ومَهَابَةً من غَيْرِ سُلْـ ... ـطَانٍ وَجاهًا فِي الرِّجَالْ
فَلْيَعْتَصِمْ بدُخُـــولِهِ ... فِي عزِّ طَاعة ذى الجلالْ
وَخُروجِهِ من ذلة الْـ ... ـمَاصِى لَهُ فِي كُلِّ حالْ

قال الحسن : لا يغرك توطّيهم رقاب المسلمين ، وإن هملجت[٢] بهم خيولهم ورفرفت[٣] بهم ركابهم ، إن ذل المعصية فى قلوبهم ، أبى الله إلا أن يذل من عصاه .

---

(١) ا : فأنا ، م : ها أنا .
(٢) هملجت : ذلت وانقادت .
(٣) ا : دفترت .

كان يقال : من أحبك نهاك ، ومن أبغضك أغراك .

قال العتبي : خطب يزيد بن الوليد فأوجز ، وقال : أيها الناس ! الأمر أمر الله ، والطاعة طاعة الله ، فأطيعوني بطاعته ما أطعت الله ، يغفر الله لي ولكم .

قالت هند : الطاعة مقرونة بالمحبة ، فالمطيع محبوب ، وإن نأت داره ، وقلّت آثاره ، والمعصية مقرونةٌ بالبغضة ، فالعاصي ممقوت ، وإن مسّتك رحمتُه ، ونالك معروفه .

كتب ابن السّماك إلى أخ له : أفضل العبادة الإمساك عن المعصية ، والوقوف عند الشبهة ، وأقبح الرغبة أن تطلب الدنيا بعمل الآخرة ، وقاله سفيان بن عيينة .

ذكر إبليس عند أبي حاتم ، فقال : وما إبليس ! فوالله لقد عصى فما ضرّ ، وأطيع فما نفع .

قال محمود الوراق ، وتنسب إلى الشافعي :

تَعْصِي الإِلٰهَ وَأَنْتَ تظهر حُبَّه ... هٰذَا مُحَالٌ فِي الْقِيَاسِ بَدِيعُ
لَو كان حُبُّكَ صادِقًا لأَطَعْتَهُ ... إن الْمُحِبَّ لِمَنْ يُحِبُّ مُطِيعُ
في كل يوم يبتديك بنعمةٍ ... منه وأَنْتَ لِشُكْرِ ذَاكَ مُضيعُ(١)

وقال إسحاق الموصلي :

الْمُلْكُ والعِزّ والمُرُوءَةُ والفطـ ... ـنَةُ(٢) والنبلُ واليَسَار مَعَا

(١) التمثيل والمحاضرة ١٢ ، الكامل ١/٢٣٤ ، العقد الفريد ٣/٢١٥ ، وتنسب أيضاً لذي الرمة ، زيادات الديوان ٦٧٠ .
(٢) ساقطة من ب .

مجتمعاتٌ فى طاعة العبد (١) لِلَّـ ... ـهِ إِذَا العبدُ أَعْمَلَ الوَرَعَا
واللُّؤمُ والذُّلُّ والضَّرَاعة والْـ ... ـفَاقَةُ فِي أَصْلِ أُذن مَنْ طَمِعَا(١)

وقال أبو العتاهية :

أَرَاكَ امْرَءًا ترجُو منَ الله عَفْوَهُ ... وأنتَ عَلَى ما لا يُحِبُّ مُقِيمُ
فحتّى مَتَى تَعْصِي ويعفُو(٢) إلى مَتَى ... تَبَارَكَ رَبِّي إِنَّهُ لرَحِيمُ(٣)

وله أيضاً :

أَطِعِ اللهَ بِجَهْدِكْ ... صَادِقًا أَوْ بَعْض جَهْدِكْ
أَعْطِ مَوْلَاكَ كَمَا تَطْـ ... ـلُبُ مِنْ طَاعَةِ عَبْدِكْ(٤)

---

(١) انظر البيتين الأولين فى المختار من شعر بشار ٢١٩ من غير نسبة .
(٢) ا : وتهفو .
(٣) ديوانه ٢٤٢ .
(٤) ديوانه ٨٦ .

بابُ الْغِيْبَةِ وَالنَّمِيمَـةُ

قال الله عزّ وجل : ﴿ وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ ﴾[1] ، قال مجاهد : هو الطعّان الآكل لحوم الناس .

قال الله عز وجل : ﴿ وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا ، أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا ﴾[2]

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا معشر من آمن بلسانه ، ولم يدخل الإيمان قلبه ، لا تغتابوا المسلمين ، ولا تتبعوا عوراتهم ، فإنه من يتبع عورات المسلمين يتبع الله عورته ، ومن يتبع الله عورته يفضحه وهو فى بيته » .

قال عمر بن الخطاب : من أدى الأمانة ، وكف عن أعراض المسلمين ، فهو الرجل .

وقع بين سعد وخالد كلام ، فذهب رجل يقع فى خالد عند سعد ، فقال سعد : مه ، إن ما بيننا لم يبلغ دِينَنَا .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا قلتَ فى أَخِيك ما فيه مما يَكْرَه فقد اغْتَبْتَه ، وإن قلت فيه ما ليس فيه فذلك البُهْتان » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من كف عن أعراض المسلمين لسانه أقاله الله يوم القيامة عثرته » .

---

(١) سورة الهمزة آية ١ .
(٢) سورة الحجرات آية ١٢

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « شراركم أيها الناس : المشاءون بالنميمة ، المفرقون بين الأحبة ، الباغون لأهل البر العثرات » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ثلاثةٌ لا غيبة فيهم : الفاسق المعلن بفسقه ، وشارب الخمر ، والسلطان الجائر » .

قال رجل لابن سيرين : إنى وقعت فيك ، فاجعلنى فى حلّ ، قال : لا أحب أن أحل لك ما حرم الله عليك .

قال رجل للحسن البصرى : إنى اغتبت فلانًا وإنى أريد أن أستحله ، فقال : لم يكفك أن اغتبته حتى تريد أن تبهته .

قال ابن عباد الصاحب :

احْذَرِ الْغِيْبَةَ فهى الْـ ... فِسْقُ لَا رُخْصَةَ فِيهِ
إِنَّما الْمُغْتَابُ كالآ ... كِلِ من لَحْمِ أَخِيهِ[1]

قال حُذَيْفة : كفارةُ من اغتبته أن تستغفرَ له .

قال عبد الله بن المُبَارك لسُفيان بن عيينة : التوبةُ من الغيبة أن تستغفرَ لمن اغتبته ، قال سفيان : بل تستغفره مما قلتَ فيه : قال ابن المبارك : لا تؤذِهِ مرتين .

قال عدىّ بن حاتم : الغيبةُ مَرْعَى اللئام .

قال أبو العتاهية : الصَّائِمُ فى عبادةٍ ما لم يَغتب .

---

(١) التمثيل والمحاضرة ١٢٣ .

قال ابن مُحَيْريز : ما مِنْ ذنبٍ أجدرُ أن تجدَه من الرجل — وإن أعجبك — من الغيبة .

قال أبو حاتم : أربحُ التّجارة ذكر الله ، وأخسرُ التجارةِ ذكر النّاس .

قال الفُضَيلُ بن عِياض : ذكرُ الناسِ دَاء ، وذكْر اللهِ شفاء .

سمع قتيبةُ بن مُسلمٍ رجلا يغتاب آخر ، فقال : لقد مضغتَ مضغة طالما لَفِظَها الكرام .

سمع أعرابىّ رجلا يقع فى الناس ، فقال : قد استدللتُ على عيوبك بكثرةِ ذكرك لعيوبِ النّاس ، لأنّ الطالبَ لها يطلبُها بقدْرِ ما فيه منها .

قال الشاعر :

وَيَأْخُذُ عيبَ النَّاسِ من عَيْبِ نَفْسِهِ ... مُرَادٌ لَعَمْرِى ما أَرَادَ قَرِيبُ[1]

وقال آخر :

وَأَجْرَأُ من رأيت بظهر غيبٍ ... على عَيْبِ الرِّجالِ أَخُو العُيُوبِ[2]

وقال آخر :

فكلّ عَيّابٍ لَهُ مَنْظَرٌ ... مُشْتَمِلُ الثّوب على عَيْبِ[3]

---

(١) البيت للمستورد الخارجى كما فى الكامل ٢/٢٦٧ ، وانظره فى التمثيل والمحاضرة ٤٠٦ ، زهر الآداب ٣/٦٠ .
(٢) معجم الأدباء ١١/٢٧ . والكامل ٢/١٥١ ، البيان والتبيين ١/٧٥ .
(٣) التمثيل والمحاضرة ٨٥ ، وفيها : رب عياب .. ، البيان والتبيين ١/٧٥ .

كان يقال : ظلم منك لأخيك أن تقول أسوأ ما تعلم فيه .

قال أبو عاصم النبيل : لا يذكر الناس بما يكرهون إلا سفلة لا دين له.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ارعَوُنَّ[١] عن ذكر الفاسق بما فيه يعرفه الناس » .

قال الحجاج بن الفُرَافِصَة[٢] : قلت لمجاهد : الرجلُ يكون وقّاعاً فى الناس ، فأقع فيه ، أله غيبة ؟ قال : لا . قلتُ : من ذا الذى تَحرُم غيبتُه ؟ قال : رجلٌ خفيفُ الظّهر من دماء المُسلمين ، خميص[٣] البطن من أموالهم ، أخرسُ اللّسان عن أعراضهم ، فهذا حرامُ الغيبة ، ومن كان سوى ذلك فلا حرمة له ، ولا غيبةَ فيه .

قال رجل لعَمْرو بن عُبَيْد : إنّى لأرحَمُك مما يقول النّاسُ فيك . قال : فما تسمعُنى أقول فيهم ؟ قال : ما سمعتُك تقول إلّا خيرا . قال : إيّاهم فارحم .

قال عُتبة بن أبى سفيان لابنه[٤] عمرو : يا بُنىّ ! نزّه نفسك عن الخنَا ، كما تنزّه لسانك عن البذَا ، فإن المستمع شريك القائل .

وهذا عندى مأخوذ من قول كَعْب بن زُهير :

إن كنتَ لا ترهبُ عن ذمّى لما ... تعرف من صَفْحِى عن الجاهِلِ

---

(١) ا : أترغبون .
(٢) ا : يوسف ، وهو تحريف .
(٣) ب : خفيف .
(٤) ب : لأبيه .

فاخشَ سُكوتى إذ أنا مُنصِتٌ فيك لمَسْمُوعِ خنَا القَائلِ
فالسَّامِعُ الذَّمِّ شريكٌ له ومُطْعِمُ المأكولِ كالآكلِ
مقالة السُّوءِ إلى أَهْلِها أَسْرَعُ من مُنْحَدِرٍ سائلِ
ومن دعا النَّاسَ إلى ذَمِّه ذَمُّوهُ بالْحَقِّ وبالبَاطلِ
فلا تَهِجْ إن كنتَ ذَا رِيبةٍ حَرْبَ أخِي التَّجْرِبةِ العَاقلِ
فإنَّ ذا العَقْلِ إذا هِجْتَهُ هِجْتَ به ذَا حَبْلِ حَابِلِ
يبصرُ فى عَاجِلِ شَدَّاتِه عليكَ غِبَّ الضَّرَرِ الآجِلِ[1]

ومن هذا المعنى قول عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود :

فلو شئتُ أذْلَى[2] فيكما غيرُ واحد عَلَانيةً أو قال عِنْدِىَ فى السِّرِّ
فإنْ أنا لم آمُرْ ولم أَنْهَ عَائبًا ضَحِكْتُ له حتَّى يَلِجَّ ويَسْتَشْرِى[3]

ومن هذا أيضاً قول محمود الوراق :

تحرَّ من الطُّرْقِ أوْسَاطَهَا وعَدِّ عن الجانِبِ[4] المُشْتَبِهْ
وسَمْعَكَ صُنْ عَنْ سَمَاعِ القَبِيـ ـحِ كَصَوْنِ اللِّسَانِ عن النُّطْقِ[5] بِهْ
فإنَّكَ عِنْدَ اسْتِماعِ القَبِيـ ـحِ شَرِيكٌ لِقَائِلِه فانْتَبِهْ[6]

(١) ديوانه ١٢٤ ، العقد ٢/٤٤٤ .
(٢) ب : أذنى .
(٣) البيتان مع أبيات أخر فى عيون الأخبار ١/٢٧٢ ، البيان ١/١٦٨ .
(٤) ب : الموضع .
(٥) ا : القول .
(٦) نسبت هذه الأبيات فى معجم الأدباء ١٠/١٦٣ إلى الحسين بن محمد النواجى المصرى المتوفى سنة ٥٠٠ هـ .

قالت الحكماء : حسبك من شرٍّ سماعه .

قال الله عزّ وجلّ : ﴿سَمّاعُونَ لِلْكَذِبِ ، أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ﴾[1] .

قال عبدُ الله بن عبّاس رضي الله عنه ، قال لي أبي : إني أرى أميرَ المؤمنين – يعني عُمر – يُدْنيك ويقرّبُك ، فاحفظ عني ثلاثًا : إياك أن يجرّب عليك كِذْبَة ، وإياك أن تُفْشِي له سِرًّا ، وإيَّاك أن تغتابَ عنده أحداً ، ثم قال : ياعبدالله ! ثلاثًا وأيّ ثلاث . فقال له رجل : يا ابنَ عباس ! كلُّ واحدةٍ خير من ألف . فقال : بل كلُّ واحدةٍ خيرٌ من عَشْرة آلاف .

قال عبد الصمد بن المعذّل :

قدْ هَجَرْنَا مَجْلِسَ الْغِيبةِ هِجْرَانَ الثِّقَالِ[2]
أَلْفَتْهُ عصبة نَوْكَى لِقيلٍ وَلِقَالِ
ربّ من يَشْجيه ذكرى[3] وهْو لا يَجْرِي ببالِي
قَلْبُه ملآنُ من خوْفِي وقلبي منه خَالِ[4]

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من كان يُؤْمن بالله واليوم الآخر فلا يرفع إلينا عورة مسلم » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « لايدخل الجنة قتّات[5] » .

(١) سورة المائدة ٤٢ .

(٢) ب : الثقال .

(٣) ب : أمري .

(٤) محاضرات الأدباء ١/١٢٢ ، ١٨٨ .

(٥) القتات : النمام أو الذي يسمع حديث الناس من حيث لا يعلمون .

وقال عليه السلام : « إياك ومُهْلك الثلاثة » قيل : وما مُهْلك الثلاثة ؟ قال : « رجل سعى بأخيه المسلم فقتله ، فأهلك نفسه وأخاه وسلطانه » .

وقالوا : قبول السِّعاية شرٌّ من السعاية ، لأن السعاية دَلالة والقبول إجازة .

قال يحيى بن أبى كثير : يُفْسِد النَّمام والكذابُ فى ساعة ما لا يفسد الساحر فى سنة[١] .

قال سابق :

إِذَ الواشِى بَغَى يوماً صديقاً   فلاَ تَدَعِ الصَّدِيقَ لقَوْلِ وَاشِ[٢]

وقول سابق هذا — والله أعلم — أخذه من قول معاذ بن جبل فى قوله : إذا كان لك أخ فى الله فلا تماره ، ولا تسمع فيه من أحد ، فربما قال لك ما ليس فيه فحال بينك وبينه .

تنقّص ابن عامر بن عبد الله بن الزبير عليَّ بن أبى طالب ، فقال له أبوه : مهلا يا بنيّ لا تَنَقَّصه ، فإن بنى مروان شتموه ستين سنة ، فلم يزده الله بذلك إلا رفعة ، وإن الدين لم يبنِ شيئاً فهدمْته الدنيا ، وإن الدنيا لم تبن شيئاً إلا عادت على ما بنت فهدمته .

كان يقال : المعرِّض بالناس اتقى صاحبه ، ولم يتق ربه .

قال الفرزدق :

تَصرَّم عَنِّى وُدُّ بكرِ بنِ وَائِلٍ   وما خِلْتُ عَنِّى وُدَّهُمْ يَتَصَرَّمُ

---

(١) ب : يوم .
(٢) عيون الأخبار ٢/٢٠ ، العقد الفريد ٢/٣٣٣ .

قوارِصُ تأتيني وَتحتَقِرُونَها ... وقد يملأ القطرُ الإناءَ فَيَفْعَمُ(١)

وقال يزيد بن الحكم الثقفي :

تُكَاشِرُني(٢) مَن لاقيتَ لِي ذا عَداوَةٍ ... وأنتَ صَدِيقٍ لَيْسَ ذَاكَ بِمُسْتَوِي
بَدَا مِنْكَ غِشٌّ طالما قد كَتَمْتَهُ ... كما كتمتْ داءَ ابْنِهَا أُمُّ مُدوِي
جمعتَ وفُحْشاً غِيبَةً ونميمةً ... ثلاثَ خلالٍ لَسْت عنها بِمُرْعَوِي(٣)

وقال زياد الأعجم :

إذَا لَقِيتُكَ تُبْدِي لِي مكاشرةً ... وإنْ أَغِبْ فأنتَ الْهَامِزُ اللُّمَزَهْ
ما كنت أخشى وإن طَالَ(٤) الزمان به ... حَيْفٌ عَلَى النّاسِ أن يَغتَابَنِي غُمَزَهْ

وقال منصور الفقيه :

هَبْنِي تحرَّزتُ مِمَّنْ ... يَنِمُّ بالكتمانِ
فكيفَ لِي باحْتِراسٍ ... مِنْ قَائلِ البهتانِ

وقال أيضاً :

لِي حيلةٌ فيمَن يَنِمُّ ... وليسَ في الكَذَّابِ حِيلَهْ
من كَانَ يخلُقُ ما يقو ... لُ فحيلَتِي فيه قلِيلَهْ(٥)

---

(١) ديوانه ٧٥٦ ، وفيه : وما خلت باقي ودها يتصرم ، وفيه أيضاً : فتحتقرونها ، والقطر الآتي بدل الإناء ، وانظر حماسة البحتري ٢٠٧ ، وفيه : وما كاد عني ودهم .

(٢) كاشره : ضحك إليه وباسطه .

(٣) محاضرات الأدباء ٦١/١ ، عيون الأخبار ١٢/٢ ، وانظر الأغاني ٢٩٦/١٢ ، حماسة البحتري ٢٨١ ، وفيها : تصافح مكان تكاشر وستأتي الأبيات مع زيادة فيما يلي ص ٤١٠ .

(٤) ب : يطل .

(٥) نسب البيتان في المستطرف ١٠/٢ إلى محمود بن أبي الجنوب ، وهي للفقيه كما ذكر هنا ، وفي معجم الأدباء ٢٩٠/١٩ .

قال موسى عليه السلام : يا ربّ إن الناس يقولون فىّ ما ليس فِىّ ، (١ فاجعلهم يا ربّ يقولون فيما فِىّ ١) . فأوحى اللهُ تعالى إليه : يا موسى لم أجعل ذلك لنفسى ، فكيف أجعله لك .

قال المسيحُ عليه السلام : لا يُحْزِنْكَ قولُ الناس فيك ، فإن كان كاذباً كانت حسنة لم تعملها ، وإن كان صادقاً كانت سيئة(٢) عجلت عقوبتها .

---

(١) ساقط من ب .

(٢) ب : سيئاً .

بابُ البَغْى والحَسَد

قال رسول اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم : « ما من ذنبٍ هو أجدرُ أن يعجِّلَ اللهُ لصاحبه العقوبة فى الدنيا مع ما يدّخره له فى الآخرة ، من البَغْى وقطيعة الرحم » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا حسدتم فلا تبغُوا ، وإذا ظَنَنْتُم فلا تُحَقِّقوا ، وإذا تطيرتم فامضوا ، وعلى اللهِ فتوكلوا » .

وفى حديث آخر عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ثلاثةٌ لا يكاد يسلَم منهن أحد : الطِّيَرَةُ[1] والحَسَد والظَّن » . قيل : فما المخرج منهنّ يارسولَ الله؟ قال : « إذا تطيرتَ فلا ترجع ، وإذا حسدتَ فلا تبغ ، وإذا ظننتَ فلا تحقّق » .

روى عن مجاهد ، عن ابن عبَّاس أنه قال : لو بَغى جبلٌ على جبلٍ ، لدُكّ الباغى منهما .

أخذه الشاعر فقال :

وَلَوْ بَغَى جَبَلٌ يوماً عَلَى جَبَلٍ ... لَدُكَّ مِنْهُ أعَالِيهِ وَأَسْفَلُهُ

وقال آخر :

ذَرِ الْبَغْىَ إنَّ الْبَغْىَ مُوبِقُ أهْلِهِ ... ولم يَعْدِمْ الْبَاغِى من النَّاسِ مَصْرَعَا

قال عمرُ بن الخطّاب : ما كانت على أحد نعمةٌ إلّا كان لها حاسد ، ولو كان الرجل أقومَ من القَدَح لوَجد له غامزاً .

---

(١) هي ما يتشاءم به من الفأل الردئ .

قال ابن مسعود : لا تعادُوا نعم الله عزّ وجلّ . قيل : ومن يُعادِي نعمَ الله ؟ قال : الذين يحسدُون الناسَ على ما آتاهم الله من فضله .

قال الحسنُ البَصْرى : ليس أحدٌ من خلق اللهِ إلا وقد جُعل معه الحسد ، ومن لم يجاوز ذلك إلى البغى والظّلم لم يتبعْهُ منه شيء .

وعن أنسِ بن مالك أنه مرّ على ديار خَرِبَةٍ خاوية ، قال : هذه أهلكها وأهلك أهلها البغى والحسد ، إن الحسدَ ليطفئُ نور الحسنات ، والبغى يُصَدِّق ذلك أو يُكذّبه ، فإذا حسدتُم فلا تبغوا .

قيل للحَسَن : يا أبا سعيد ! أيحسُدُ المؤمنُ ؟ قال : لا أمَّ لك ! أنسيتَ إخوةَ يوسف .

قال بعض الحكماء : البغيُ من فروع الحسد ، وأقدم الناس على البغى من جهل المعرفة بسرعة نصر الله لمن بَغى عليه .

وقالوا : ثلاثةٌ عائدة على فاعلها : البغى والمكر والنِّكْثُ[1] .

قال الله عز وجل : ﴿ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنفُسِكُمْ ﴾[2] ، وقال : ﴿ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ﴾[3] ، وقال تعالى : ﴿ وَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَى نَفْسِهِ ﴾[4] .

---

(١) النكث بالكسر : نقض العهد .
(٢) سورة يونس آية : ٢٣ .
(٣) سورة فاطر آية : ٤٣ .
(٤) سورة الفتح آية : ١٠ .

وقال يزيدُ بن الحَكَم :

إنَّ الْأُمُورَ دقيقُهَا ... مما يَهيجُ به[١] العَظِيمْ

وَالْبَغْىُ يصرعُ أهلَهُ ... والظُّلْمُ مرْتَعُه وَخِيم[٢]

قال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلّم : « لا حسدَ إلّا فى اثنتين : رجل آتاه اللهُ مالا فهو ينفقُه فى الحق ، ورجل أتاه الله الحكمة فهو يقضى بها ويُعلّمها » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الحسد يأكل الحسنات ، كما تأكل النار الحطب » . وقد ذكرنا كثيرًا من الآثار المرفوعة وغيرها فى الحسد عند قوله عليه السلام : « لا تحاسدوا » فى كتاب « التمهيد » ، بما فيه كفاية والحمد لله .

سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : أى المؤمنين أفضل ؟ قال :« المؤمن النقى[٣] القلب ، ليس فيه غل ولا حسد[٤] » .

كان يقال : أقبح الأشياء بالسلطان اللجاج ، وبالحكماء الضجر ، وبالفقهاء سخافة الدين ، وبالعلماء إفراط الحرص ، وبالمُقَاتِلة الجبن[٥] ، وبالأغنياء البخل ، وبالفقراء الكبر ، وبالشباب الكسل ، وبالشيوخ المُزاح ، وبجماعة الناس التباغض والحسد .

---

(١) ا : يهاج له .
(٢) البيتان فى حماسة أبى تمام ٢/٤٢ ، حماسة البحترى ٢٠٨ ، محاضرات الأدباء ٢/٧٦ .
(٣) ب : المحموم .
(٤) ب : لأحد .
(٥) ب : الحمق .

كان يقال : كادت الفاقة تكون كفرًا ، وكاد الحسد يغلب القدر ، والهم نصف الهرم ، والفقر الموت الأكبر .

قال عليٌّ بن أبي طالب في خطبة خطبها على المنبر بالكوفة : ما لنا ولقريش ؟ بلى . لنا ولهم ، إن الله فضلنا فأدخلهم في فضلنا .

قال عليٌّ بن أبي طالب ، قال إبليس لجنوده : ألقوا بين الناس التحاسد والبغى ، فإنهما يعدلان الشرك .

كان يقال : أول ما عُصِي الله به في السماء والأرض[1] الحسد والحرص . ذهبوا إلى أن إبليس حسد آدم فلم يسجد له ، وحرص آدم على الخلود فأكل من الشجرة ، وحسد ابن آدم أخاه حين تُقُبِّل منه قربانه فقتله

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :« احذروا ثلاثًا : الحرص فإنه أخرج آدم من الجنة ، والكبر فإنه حطّ إبليس عن مرتبته ، والحسد فإنه دعا ابن آدم إلى قتل أخيه » .

قال عمر بن أبي ربيعة :

وَقَدِيمًا كَانَ فِي النَّاسِ الحَسَدْ[2]

قال سابق :

جَنَى الضَّغَائِنَ آبَاءٌ لَنَا سَلَفُوا ... فلن تَبِيدَ وللآبَاءِ أَبْنَاءُ[3]

---

(١) ساقطة من ب .

(٢) ديوانه ١/١١٦ . وصدر البيت :

حسد حملنه من أجلها

(٣) المستطرف ١/٢٥٠ ، وفيه سن بدل جنى ، وفى مجموعة المعانى ٦٥ : أحيا ، وقد تردد فى نسبتها هناك بين قيس بن عاصم ، وسابق البربرى ، ونسب فى حماسة البحترى ١٨ لطريف بن دبسق التميمى .

قال أبو الدرداء : مكتوب فى التوراة : إن أحسد الناس لعالم وأبغاهم عليه قرابته وجيرانه.

كان يقال : الحسد فى الجيران ، والمداوة فى الأقارب .

قال ثُمَامَةُ بن الأَشْرَس [1] فى أحمد بن خالد :

أفكِّرُ ما ذَنْبِي لَدَيْكَ فَلَا أَرى   عَلَيَّ سَبِيلًا غَيْرَ أنَّكَ حاسِدُ
وَإِنا لمَوْسُومَان كلٌّ بِسِيمَةٍ   أَقرَّ مُقِرٌّ أو أبى ذَاكَ جاحدُ

قال بكر بن عبد الله المُزَنى : حَظُّكَ من الباغى حسن المكاشرة ، وذنبك إلى الحاسد دوام النعمة .

قال الحُسَيْن الخليع :

ما لِلْحَسُودِ وَأَشْيَاعِهِ   ومَنْ كَذَبَ الْحَقَّ إلَّا الْحَجَر

قال عبد الله بن المقفع : إن الحسد خُلُق دنىء ، ومِن دناءته أنه موكّل بالأدنى فالأدنى .

قال يَزِيدُ بنُ الحكم الثَّقَفى :

تكاشِرُنى كُرْهًا كأنَّكَ نَاصِحٌ   وعينُكَ تُبْدِى أنَّ قَلْبَكَ لِي دَوِى [2]
بَدَا مِنْكَ عَيْبٌ طَالمَا قَدْ كَتَمْتَهُ   كما كَتَمَتْ داءَ ابْنِهَا أُمُّ مُدَّوِى [3]

---

(١) ساقطة من ب .

(٢) كاشره : ضاحكه وباسطه ، ودوى كفرح : مرض ، ويقال : إنه لداء الصدر خاصة .

(٣) ادوى : أكل الدواية ، وهى جليدة رقيقة تعلو اللبن والمرق ، وأم مدوى خاطبة من الأعراب خطبت على ابنها جارية ، فجاءت أمها إلى أم الغلام لتنظر إليه ، فدخل الغلام فقال : أأدوى يا أمى ؟ فقالت : اللجام معلق بعمود البيت . أرادت بذلك كتمان زلة الابن وسوء عادته ، وأرتها أنه يقصد إلى السير فى الدو وهى الفلاة الواسعة .

لِسانُكَ ماذِيٌّ(١) وقلبك علقم ... وَشرُّكَ مَبْسُوطٌ وَخيرُكَ مُنْطَوِى

تَملَّأْتَ مِنْ غَيْظٍ عَلَيَّ فَلَمْ يَزَلْ ... بِكَ الْغَيْظُ حَتَّى كِدت بِالْغَيْظِ تشْتَوِى

وما بَرِحَتْ نَفسٌ حَسُودٌ حُشِيتَهَا ... تَذِيبُكَ حَتَّى قيل : هل أنت مكتوى

وَقَالَ النِّطاسِيُّون إِنكَ مُشْعَرٌ ... سُلَالًا . ألا بل أنت من حَسَدٍ جَوِى(٢)

أَرَاكَ إِذَا لم أَهْوَ أمرًا هَوِيتَهُ ... ولسْتَ لِما أَهْوَى مِنَ الأَمْرِ بالهَوِى

وكم موطِنٍ لَوْلَاىَ طِحْتَ كما هَوَى ... بأجْرامِهِ من قُلّةِ النِّيقِ مُنْهَوِى(٣)

عَدُوُّكَ يَخْشَى صَوْلَتِي إِنْ لَقِيتَهُ ... وأَنْتَ عَدُوِّى لَيْسَ ذَاكَ بِمُسْتَوِى(٤)

وفى رواية أخرى :

تصافحُ من أَلْفَيْتَ لِي ذَا عَداوَةٍ ... وأَنْتَ صَدِيقِى لَيْسَ ذَاكَ بِمُسْتَوِى

قال ابن المعتز :

ما عابَنِى إلَّا الحَسُو ... دُ وتلك من خير المعايبْ

والخيرُ والحسَّادُ مَقْ ... رُونَانِ إِنْ ذَهَبُوا فَذَاهِبْ

وَإِذَا مَلَكْتُ المَجْدَ لَمْ ... أَمْلِكْ مَذَمَّاتِ الأَقَارِبْ

---

(١) الماذى : عسل النحل .

(٢) جوى : مريض بصدره .

(٣) طحت : طاح يطيح ويطوح : هلك . هوى وانهوى : سقط . الأجرام : جمع جرم وهو الجسم . القلة : أعلى الجبل . النيق : أرفع موضع فى الجبل .

(٤) انظر الأبيات مع اختلاف فى روايتها فى الأغانى ١٢ / ٢٩٦ . وانظر بعضها فى محاضرات الأدباء ١ / ٦١ ، عيون الأخبار ٢ / ١٢ ، حماسة البحترى ٢٢٨ ، ورواية البيت الأخير فيها :

تود عدوى ثم تزعم أننى ... صديقك ليس الفعل منك بمستوى

وإذَا فَقَدْتُ الحَاسِدِينَ فقَدْتَ فِي الدُّنيَا المطايبْ[1]

وأنشد ابن عائشة :

خَلِيلَيَّ إِنِّي لِلثّرَيّا لَحاسِدٌ ... وإِنِّي عَلَى رَيْبِ الزَّمانِ لَوَاجِدُ
أَيُجْمَعُ مِنْهَا شَمْلُهَا وَهْيَ سَبْعَةٌ[2] ... وأُفْقَدُ من أَحْبَبْتُه وهْوَ وَاحِدُ[3]

وقَال سُوَيْدُ بن أبي كاهِل :

كيف ترجُونَ سُقُوطِي بَعْدَما ... عَمَّمَ الرَّأْسَ بَيَاضٌ وَصَلَعْ
بئسَ ما ظَنُّوا وقَد عَرَّفْتُهُمْ ... عند غاياتِ المَدَى كيفَ أَقَعْ
رُبَّ مَنْ أَنْضَجْتُ غَيظاً صَدْرَهُ ... قد تَمَنَّى لِيَ مَوْتًا لَمْ يُطَعْ
وَيَرَانِي كالشَّجَا فِي حَلْقِهِ ... عَسِرًا مَخْرَجُهُ ما يُنْتَزَعْ
مُزْبِدًا يَخْطِرُ ما لم يَرَنِي ... فإِذَا أَسْمَعْتُهُ صَوْتِي انْقَمَعْ
لَمْ يَضِرْنِي غَيْرَ أَنْ يَحْسُدَنِي ... فَهوَ يَزْقُو مثلَ مَا يَزْقُو الضُّوَعْ
وَيُحَيِّينِي إِذَا لَاقَيْتُهُ ... وإذَا يَخْلُو لَهُ لَحْمِي رَتَعْ
قَد كَفَانِي اللهُ ما فِي نَفْسِهِ ... وإذا ما يَكْفِ شيئًا لم يُضَعْ[4]

---

(١) يروى : المناقب بدل المعايب ، والمجد بدل الخير ، ومودات بدل مذمات ، والأطايب بدل المطايب . وانظر الأبيات فى ديوانه ٢٥٦ ، المختار من شعر بشار ٦٩ ؛ محاضرات الأدباء ١/١٢٠ ، ٢١٤ .

(٢) ا : أيبق جميعا شملها وهى ستة .

(٣) هى للمهلبى الوزير ، انظر التمثيل والمحاضرة ٢٣٤ .

(٤) يروى : سقاطى ، وجلل بدل عمم وقلبه مكان صدره ، وانقمع مكان انفقم .
المزبد الذى ملأ فه الزبد من الحديث العالى ، يخطر : يتبختر . يزقو : يصيح ، الضوع : ذكر البوم .
وانظر الأبيات ما عدا الثانى فى عيون الأخبار ٢/١٠ ، الشعر والشعراء ٣٨٥ .

وقال أبو الأسود الدُّؤَلى ، ويقال إنها للعَرْزَمى :

تَلْقَى اللَّبِيبَ مُحَسَّدًا لَمْ يَجْتَرِمْ ... شَتْمَ الرِّجَالِ وعِرْضُهُ مَشْتُومُ
حَسَدُوا الْفَتى إذْ لَمْ يَنالُوا سَعْيَه ... فالنَّاسُ أَعْداءٌ لَهُ وَخُصُومُ[1]

وقال المرَّارُ الفَقْعَسِيّ :

لَا تَسْأَلِ النَّاسَ عنْ مَالِي وكَثْرَتِهِ ... قدْ يَقْتُرُ المَرْءُ يَوْمًا وهْوَ مَحْمُودُ
أَمْضِى عَلَى سُنَّةٍ من وَالِدٍ سَلَفَتْ ... وفِي أَرُومته ما ينبتُ العُودُ
مُطَالَبٌ بتراتٍ غيرِ مُدْرَكةٍ ... مُحسَّدٌ والفَتَى ذُو اللُّبِّ مَحْسُودُ

وقال أبو الطيب :

أُعادَى عَلَى ما يُوجِبُ الحبَّ لِلفتَى ... وَأَهْدَأُ والأَفْكارُ فِيَّ تَجُولُ
سِوَى وَجَعِ الْحُسَّادِ دَاوِ فإِنَّهُ ... إِذَا حَلَّ فِي قلبٍ فَلَيْسَ يَزُولُ
وَلَا تطمَعَنْ من حَاسِدٍ فِي مودةٍ ... وَإِنْ كُنْتَ تُبْدِيها له وتُنِيلُ[2]

وقال لَبِيدُ بن عُطَارِد بن حَاجب التَّميمى :

إنْ يَحْسُدُونِى فإنِّى غيرُ لَائِمِهِمْ ... قبلى من الناسِ أَهْلُ الفَضْلِ قَدْ حُسِدُوا
فدامَ لِي ولَهُمْ ما بِي وما بِهِمُ ... ومات أَكْثَرُنَا غَيظًا بما يَجِدُ
أَنَا الَّذِي يَجِدُونى فِي حُلُوقِهِمُ ... لا أَرْتَقِي صُعُدًا فيها ولا أَرِدُ[3]

---

(١) ديوان أبى الأسود ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، وانظر محاضرات الأدباء ١/١٢٤، وفيات الأعيان ٢/٤٥٥ عيون الأخبار ٢/٩ .

(٢) ديوانه ٢٩٩ .

(٣) الأبيات فى شرح حماسة أبى تمام ١/٣٨١ ، وقد نسبت فى معجم الشعراء مرة إلى الكميت بن معروف الأسدى ص ٣٤٧، ومرة إلى أبى بكر العرزمى ص ٤١٧ . وانظرها فى الكامل ٢/٩٨؛ عيون الأخبار ٢/١٠ بدون نسبة .

وقال عِمَارَةُ بنُ عَقِيل بن بلَال بن جَرير :

ما ضَرَّنِي حَسَدُ اللئامِ ولم يَزَلْ   ذُو الفَضْلِ يَحْسُدُهُ ذَوُو النُّقصَانِ

وَقال مروان بن أبي حفصَة :

ما ضَرَّهُ(١) حَسَدُ اللئامِ ولم يَزَلْ   ذوالفضلِ يحسُدُهُ ذَوُو التَّقْصِيرِ(٢)

قال معاوية بن أبي سفيان : كل الناس أرضيته إلا حاسد نعمة ، فإنه لا يرضيه إلا زوالها

أخذه الشاعر فقال :

كلُّ العَدَاوةِ قد تُرْجَى(٣) إماتَتُها   إلَّا عَداوَةَ مَنْ عادَاكَ من حسَدِ(٤)

قال معاوية بن أبي سفيان : ليس في خلال الشر أشر من الحسد ، لأنه قد يقتل الحاسد قبل أن يصل إلى المحسود .

كان يقال : الحاسد إذا رأى نعمة بُهت ، وإذا رأى عثرة شمت .

قال الخليل بن أحمد : لا شيء أشبه بالمظلوم من الحاسد .

قال محمود الوراق :

أَعْطيتُ كلَّ النَّاسِ مِنْ نَفْسِي الرِّضَا(٥)   إلاَّ الحسُود فإنَّهُ أَعْيَانِي

---

(١) ب : ماضرني .
(٢) محاضرات الأدباء ١/١٢٤ .
(٣) ب : ترجو .
(٤) عيون الأخبار ٢/١٠
(٥) ا : الدنا .

لا أنَّ لِي ذَنبًا لَدَيْهِ عَلِمْتُهُ ... إلاَّ تظاهرَ نعمـــةِ الرَّحمَنِ
يَطوِى عَلَى حَنَقٍ حَشَاهُ لِأَنْ رَأَى ... عندى كمالَ غِنًى وَفَضْلَ بَيانِ
مَا إنْ أرَى يُرْضِيهِ إلَّا ذِلَّتِي ... وذهَابُ أَمْوَالِي وقَطْعُ لِسانِي

وقال آخر :

إن[1] يُكثِرِ اللهُ حُسَّادًا لَهُمْ فعَلَى ... مقدَارِ مَا كَثُرَتْ فِيهِمْ منَ النِّـعَمِ

وقال محمّد بن زياد الحارثى :

إذَ ما حَملتَ الشُّـكْرَ فِى كلّ نِعْمَةٍ ... يحقُّ عليكَ شُـكْرُهَا واحْتِمالُهَا
فدعْ لحسُودٍ بعدَ ذلك خُطةً ... يكونُ عليه همُّهَا ووبالُهَا
لك الأَجْرُ والمَهْنَى وللحاسد الّذِى ... يكيدُكَ فيها جُرْمُها ونـكالُهَا

وقال آخر :

تَمَنَّى لِيَ المَوْتَ المُعَجَّلَ خَالِدٌ ... ولَا خَيْرَ فِيمَنْ لَيْسَ يَعرِفُ حَاسِدُهْ[2]

وقال نصر بن أحمد :

كَأَنَّمَا الدَّهْرُ قَدْ أَغرَى بِنَا حُسُدًا ... ونِعْمَةُ اللهِ مَقْرُونٌ بِهَا الحَسَدُ

وقال آخر :

إنَّ العَرَانِينَ تَلْقَاهَا مُحَسَّدَةً ... ولَنْ تَرَى لِلِئَامِ النَّاسِ حُسَّادَا[3]

---

(١) ا : لئن .
(٢) البيت لأبى بن حمام العبسى ، انظر المؤتلف والمختلف ٩١ ، حماسة أبى تمام ١٦٩/١ .
(٣) البيت للمغيرة بن حبناء شاعر آل المهلب ، انظر معجم الشعراء ٣٦٩ ، محاضرات الأدباء ١٢٤/١ .

وقال آخر :

مُحَسَّدُونَ عَلَى مَا كانَ مِنْ نِعَمٍ لَا يَنْزِعُ اللهُ عَنْهُمْ مَالَهُ حُسِدُوا(١)

وقال آخر :

إنِّى نَشَأْتُ وَحُسَّادِي ذَوُو عَدَدٍ يَاذَ المَعَارِجِ لَا تُنْقِصْ لَهُمْ عَدَدَا(٢)

وقال بشار العقيلي :

فاللهَ أَسْأَلُهُ إِدْوَامَ دَائِهِمُ وَأَنْ يُدِيمَ لَنَا مَا يُوجِبُ الحَسَدَا(٣)

وقال أيضاً :

قَدْ أَذْهَبَ الدَّاءَ حُسَّادِى بِكَثْرَتِهِمْ وَلَوْ فَنُوا عَزَّ دائِى مَنْ يُدَاوِينِي

لا عِشْتُ خِلْوًا مِنَ الحُسَّادِ إِنَّهُمُ أَعَزُّ فَقْدًا مِن اللَّائِى أَحَبُّونِى

أبقَى لِيَ اللهُ حُسَّادِي وَغَمَّهُمُ حَتَّى يَمُوتُوا بداءٍ غَيْرِ مَكْنُونِ(٤)

وقال محمود الوراق :

لا تَحْسُدَنْ أَخاكَ وارْ عَ لَهُ عَلَى الأَيَّامِ عَهْدَه

حَسَدُ الصَّدِيقِ صَدِيقَهُ وأخاهُ من سُقْمِ المَوَدَّهْ

وقال حبيب :

وَإِذَا أَرَادَ اللهُ نَشْرَ فَضِيلَةٍ طُوِيَتْ أَتَاحَ لَهَا لِسَانَ حَسُودِ

---

(١) البيت لزهير بن أبي سلمى ، ديوانه ١٨٢ ، جمهرة أشعار العرب ٢٥ ، العقد الفريد ١/٣٣٧ .
(٢) البيت لنصر بن سيار ، انظر المستطرف ١/٢٥٤ .
(٣) المختار من شعر بشار ٦٦ .
(٤) المختار من شعر بشار ١١٢ .

(١) لَوْلَا اشْتِعَالُ النَّارِ فِيمَا جَاوَرَتْ ... ما كان يُعْرَفُ فَضْلُ عَرْفِ العُودِ (١)

وقال أبو القاسم الداعية : أدنى الأعراض عرض لا يرتع فيه ذم .

ولأحد بنى الطيفان(٢) :

وَمَوْلًى كَمَوْلَى الزِّبْرِقَانِ دُمِلْتُهُ ... كما دُمِلَتْ سَاقٌ يُهَاضُ بِهَا كَسْرُ
تَرَاهُ كَأَنَّ اللهُ يَجْدَعُ أَنْفَهُ ... وعينيه إِنْ مَوْلَاهُ ثَابَ لَهُ وَفْرُ

وقال ابن أبى طاهر(٣) :

يا حَاسِدًا فضْلَ امرئٍ سَيِّدٍ ... أصبح قد أحسن فِي فِعْلِهِ
لَا زِلْتَ إِلَّا باغِيًا حَاسِدًا ... لِكُلِّ ذِي نُبْلٍ عَلَى نُبْلِهِ
وزاد من تَحْسُدُهُ نعمةً ... دائمةً تبقى على مِثْلِهِ
ولم يزل ذُو النَّقص من نقصِه ... يَحْسُدُ ذَا الفضل على فَضْلِهِ

وقال أبو فراس الحمدانى ، وهو الحارث بن سعيد بن حمدان :

لِمَنْ(٤) جَاهَدَ الحُسَّادَ أجْرُ المجاهِدِ ... وَأعجزُ ما حاولْت إِرْضَاءُ حَاسِدِ
ولم أَرَ مثلَ اليَوْمِ أكثر حاسداً ... كَأَنَّ قلوبَ النَّاسِ فِي قلْبٍ واحِدِ(٥)

---

(١) ساقط من ا ، وهما فى ديوانه ٤٣ .
(٢) ا : أحمد بن الضيفان ، تحريف ، فالبيتان لخالد بن علقمة بن انطيفان ، انظر المؤتلف والمختلف ١٤٩ .
(٣) هو أحمد بن طيفور (أبى طاهر) الخراسانى ، أحد الكتاب البلغاء ، والمؤلفين المكثرين ، والمؤرخين الرواة ، وله شعر قليل . ترجمته فى تاريخ بغداد ٤/٢١١ ، ومعجم الأدباء ٣/٨٧ .
(٤) ب : لئن .
(٥) ديوانه ٨١ .

باب السِّبَاب والمُشاتَمَة

قال رسول الله صلّى اللهُ عليه وسلّم : « إيّاكم والفُحْش ، فإنّ الله لا يحبُّ الفُحْش ولا التّفحُّش[1] ».

قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : « المتسابّان ما قالا ، فعَلَى البَادى ما لم يَعْتَدِ المظلوم » .

قال بعضُ الحكماء : ما استبّ رَجُلان إلاّ غلب ألأمهما[2] .

قال الزِّبْرِقانُ بْنُ بَدْر : خَصْلَتان كبيرتان فى امرئ السّوء : شدة السّبّ ، وكثرة اللّطام[3] .

كان يقال : الغالبُ فى الشر مغلوب .

شتم رجلٌ أبا ذر ، فقال له : يا هذا[4] ؟ لا تُغْرِقَنَّ في شتمنا ودَعْ للصلح موضعا ، فإنّا لا نكافىء من عصى الله فينا ، بأكثر من أن نطيع اللهَ فيه .

قال أبو مسلم صاحب الدعوة ، عُصْبَة الأشراف تظهر بأفعالها ، وعصبة الأدنياء تظهر بألسنتها .

---

(١) ساقطة من ا .

(٢) ا ، ألسنهما .

(٣) ب اللظام ، ولم أعثر على معنى لها ، واللطام : ضرب صفحة الوجه ، ويحتمل أن تكون اللضام بالضاد : وهو العنف والإلحاح .

(٤) ب : ما هذا .

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « إن الله جعل الحقَّ على لسان عُمَر وقلبه » .

كان يقال : ظنُّ الحكيم كهانة . ويروى هذا لمعاوية رضى الله عنه .

سُئل بعضُ العرب عن العقل ، فقال : الإصابةُ بالظُّنُون ، ومعرفةُ ما لم يكن بما كان .

قال على بن أبى طالب : لله درّ ابن عباس ! إنه لينظر إلى[1] الغيب من ستر رقيق .

قال بَلْعَاء بنُ قَيْسٍ :

وأَبْغِي صوابَ الظَّنِّ أَعلَمُ أَنَّهُ ... إِذَا طاشَ ظَنُّ المرْء طاشَتْ مَقَادِرُهْ[2]

وقال أوسُ بن حجر :

الأَلْمَعِيُّ الذى يظنُّ بك الظنَّ (م) كأَنْ قَدْ رَأَى وَقَدْ سَمِعَا[3]

كان يقال : صحة الظن أول اليقين ، أخذه سعيد بن حميد فقال :

أَهابُكَ أَنْ أَدُلَّ عليكَ ظَنًّا ... لأَنَّ الظَّن مفتاحُ اليَقِين[4]

وقال آخر :

يَظُنُّ فلاَ يَعْدُو الضَّمِيرَ كَأَنَّمَا ... له فى الأمورِ الغَائِبَاتِ رَقِيبُ

(١) ساقطة من ا .

(٢) نسب البيت فى حماسة البحترى ٤٠٣ إلى عفرس بن جبهة الكلابى ، وانظره فى مجموعة المعانى ٢١٠ ، المؤتلف ١٠٦ ، فصل المقال ١٢٨ ، البيان ٢/٣١٨ ، عيون الأخبار ٢/٣٥ .

(٣) ديوانه ٨ ، البيان ١/٣٨١ ، معجم الأدباء ٦/١٨٢ ، ١٠/١٤٢ نوادر القالى ٢٤ ، حماسة البحترى ٤٠٣ .

(٤) عيون الأخبار ١/٣٥ . بدون نسبة ، وفيها : أصونك أن أظن .

وقال كثير بن عبد الملك :

رَأَيْتُ أَبَا الوَلِيد غَدَاةَ جَمْعٍ ... به شَيْبٌ وَما فَقَدَ الشَّبَابَا
ولـكن تحت ذاك الشَّيْبِ عَزْمٌ ... إذَا ما ظَنَّ أَمْرَضَ أَو أَصَابَا[1]

وقال آخر :

وإِنِّى لِطَرْفِ العَيْنِ بالعَيْنِ زَاجِرٌ ... فقد كِدْتُ لَا يَخْفَى عَلَيَّ ضَمِيرُ[2]

وقال عبد الله بن محمد الأُشْبُونى[3] :

ذكِيٌّ يرى ما فى الضمير بظنِّه ... كَأَنْ لَهُ غَيبًا عَلَى غامِضِ السِّرِّ

وقال آخر :

أَحْسِنِ الظَّنَّ بمن قَدْ عَوَّدَكْ ... حسنًا أمسُ وسوَّى أَوَدَكْ
إِنَّ رَبًّا كان يكفيك الذى ... كان بالأمسِ سيكفيك غَدَكْ[4]

سمع أعرابى رجلا يقول : إن الله تعالى يتولى محاسبة عباده بنفسه . فقال الأعرابى : إن الكريم إذا تولى[5] شيئا أحسن فيه .

قال ابن عباس رضي الله عنه : الجبن والبخل والحرص غرائز سوء يجمعها كلها سوء الظن بالله عز وجل .

---

(١) نسب البيتان فى الأمالى ٢/٩٤إلى مسعود بن بشر المازنى، وانظر البيان ٣/٢٨١ ، والرواية هناك : وقد فقد الشبابا ، وإذا ما ظن أعرض ، وأمرض معناها : قارب الصواب ، ومنه : إنه ليمرض فى القول إذا لم يصرح .

(٢) البيت لأبى نواس ، ديوانه ٩٩ .

(٣) ا : الأسنونى ، وهو تحريف ، والصحيح أنه منسوب إلى الأشبونة ، وهى مدينة غربى باجة على ساحل البحر ، انظر صفة جزيرة الأندلس من الروض المعطار ١٢ .

(٤) محاضرات الأدباء ١/٢٤٩ .

(٥) ب : ولى .

قيل لبعض العلماء : من أسوأ الناس حالاً ؟ قال : من اتسعت معرفته ، وضاقت مقدرته ، وبعدت همته ، وأسوأ منه حالاً : من لم يثق بأحد لسوء ظنه ، ولم يثق به أحد لسوء فعله .

قال غيره من الحكماء : حسب البعيد الهمة أن تكون غايته الجنة .

قال أبو العتاهية :

الظَّنُّ يُخْطِئُ تَارَةً وَيُصِيبُ [١]

وقال آخر :

وَإِنِّى بها فى كل حالٍ لواثقٌ ولكنّ سوء الظَّنِّ من شدّةِ الحُبِّ

قال المتنبي :

إذا ساء فعلُ المرء ساءتْ ظُنُونُه وصَدَّقَ ما يعتادُه من تَوَهُّمِ [٢]

قال ابن هرَمة :

وحسْبُكَ تهمةً لنصيح[٣] قومٍ يعدُّ على أخِي غدْرٍ جَنَاحَا

قال أبو حازم : العقلُ التَّجارب ، والحزمُ سوءُ الظن .

قال الحسن البصرى : لو كان الرجل يصيب ولا يخطىء ، ويحمد فى كل ما يأتى لداخله [٤] العجب .

---

(١) عجز بيت وصدره : وجميع ما هو كائن فقريب . ديوانه ٢٠ .
(٢) ديوانه ٣٩١ ، محاضرات الأدباء ١/١٤١ ، ٢/١٠ ، وقد نسب فى اليتيمة ١/٧٧ إلى أبى فراس الحمدانى .
(٣) ب : فى نصح ، والبيت فى الحماسة لأبى تمام ٢/٢٢٤ والرواية فيها :
وحسبك تهمة ببرىء قوم يضم على أخي سقم جناحا
(٤) ب : تداخله .

قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه : أفرسُ الناسِ كلِّهم — فيما علمتُ — ثلاثة : العزيزُ فى قوله لامرأته حين تفرّسَ فى يوسف : ﴿ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا ﴾[1] ، وصاحبةُ موسى حين قالت : ﴿ يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴾[2] . وأبو بكر حين تفرّسَ فى عمر رضى الله عنهما فاستخلفه .

نظر إياسُ بنُ معاوية يوماً ، وهو بواسط ، فى الرحبة إلى آجُرّة ، فقال : تحت هذه الآجرّة حيّة ، فنزعوا الآجرة فإذا تحتها حيةٌ منطوية ، فسئل عن ذلك ، فقال : إنّى رأيت ما بين الآجرتين نَدِيًّا من بين تلك الرحبة ، فعلمت أن تحتها شيئاً يتنفس .

قال عمرو بن بحر : إذا نظر الأعرابى إلى موضع منتفخ[3] فى أرضٍ مستوية ، فإذا رآه يتصدع فى تهيّل ، وكان تفتحه مستوياً علم أنها كمأة ، وإن خلط فى التصدع والحركة علم أنها دابّة ، فاتقى مكانها .

نظر إياسُ بن معاوية يوماً إلى صَدْع فى الأرض ، فقال : فى هذا الصدع دابة . فنظروا فإذا فيه دابة ، فقال : إن الأرض لا تنصدع إلا عن دابة أو نبات .

قال معن بن زائدة : ما رأيت قفا رجل قطّ إلا عرفت عقله ، فقال له الفضل بن شهاب : فإنْ رأيتَ وجهه ؟ قال : فذلك[4] حينئذ فى كتاب أقرأه .

---

(١) سورة يوسف ٢١ .
(٢) سورة القصص ٢٦ .
(٣) ب : منفتح .
(٤) ساقطة من أ .

ومر إياسُ بنُ معاوية ذات يوم بماء، فقال: أسمع صوتَ كلب غريب، قيل له: كيف عرفت ذلك؟ قال، بخضوع صوته وشدةِ نُباحِ غيره من الكلاب. قالوا: فإذا كلب[1] غريب مربوط، والكلابُ تنبحه.

وأما قول العمانى[2]:

وَيَفهَمُ قولَ الحُكْلِ لَوْ أَنّ ذَرّةً تُساوِدُ أُخرَى لم يَفُتْهُ سِوَادُهَا

فالحُكْلُ: كل من لم يكن له صوت تستبان مخارجه، أو كلام يفهم من الجواب كله. وأما قوله: تُساوِدُ فمعناه تُسارّ، والسِّوادُ: السِّرار، ومنه قولُ ابنةِ الخُسِّ:[3] حمانى على هذا قربُ الوِساد، وطول السِّواد.

وفى حديث ابن مسعود: تعالى أُساوِدْكَ، أى أسارّك.

قال وَهْبُ بنُ مُنَبّه: خصلتان إذا كانتا فى الغلامِ رُجيت نجابته: الرَّهبةُ والحَيَاء.

قال غيره: إذا استثقل[4] الصبي الأدب، وضج من الحصر إلا أنه إذا حفظ وعَى، وإذا فهم أدّى، كان ذلك ممن يُرجى.

قال غيره: إذا كان الغلامُ حازماً[5] فى الخَلاء، فَظِيعَ اللسان فى المَلَاء، يبغضُ التعليم، ويوارِبُ المعلم، ويقدم أباه على أمه، ويؤخِّر خاله على عمه، وكُنيته أحبُّ إليه من اسمه. فإنه يُرجى خيرُه ويُنتظر عِزّه.

---

(١) ساقط من ا.

(٢) العمانى: محمد بن ذؤيب العمانى البصرى، كان شاعراً راجزاً، وكان لطيفا داهية مقبولا لدى العظماء أوصله عبدالملك بن صالح إلى الرشيد، فأفاد منه مالا جزيلا. انظر ترجمته والبيت فى البيان ١/٥٦.

(٣) اسمها هند وهى امرأة من إياد ورد عنها كثير من الأمثال، وكانت معروفة بالفصاحة. وقد قيل إنها اتصلت بعبد لها، فلما سئلت عما حملها على ذلك أجابت بذلك القول.

(٤) ب: استقل.

(٥) ب: عازبا.

وقال ابن الزيّات : إذا رأيتَ الصبي يُحب(١) عاجل المكروه من غير أن يعرف عاجل المنفعة(٢) فهو مضعوف . قاله إذ رأى ابنه(٣) عمر يحب الكِتاب فاغتمّ له ، فسئل عن ذلك ، فقال ما ذكرنا ، قال أبو عمر رضى الله عنه : قوله عندى هذا ليس بشيء .

وقال غيره : يُستدل على نجابة الصبي بشيئين : الحياء ، وحبّ الكرامة ؛ أما الحياء فهو خير كله ، وأما حب الكرامة فيدعو إلى اكتساب الفضائل واجتناب الرذائل .

قال عمرو بن العاص : أنا للبديهة ، ومعاويةُ للأناة ، والمغيرةُ للمعضلات ، وزيادٌ لصغار الأمورِ وكبارِها .

أراد يوسفُ بنُ عمر بن هبيرة أن يولّيَ بكر بن عبد الله المُزَنِيّ القضاء ، فاستعفاه ، فأبى أن يعفِيَه ، فقال : أصلح الله الأمير ، ما أُحسن القضاء ، فإن كنتُ كاذبًا فلا يحلّ لك أن تولّى الكاذبين ، وإن كنت صادقًا ، فلا يحل أن تولّى من لا يحسن .

قال رجل من الأعراب ضرير النظر(٤) لابنته ، وهي تقوده في المرعى : يا بنية انظرى كيف ترين السماء ؟ قالت : كأنها قرونُ المِعْزى . قال : ارْعَيْ . فرعت ساعة ، فقال : انظرى كيف ترين السماء ؟ قالت : كأنها خيل دهم تجرّ جِلَالَها(٥) . قال :

---

(١) ب : يحب .
(٢) ب : المعرفة .
(٣) ب : أباه .
(٤) ب : البصر .
(٥) الجلال : ما تلبسه الدابة لتصان به .

ارعى . فرعت ساعة ، ثم قال : انظرى كيف ترين السماء ؟ قالت : كأن الرباب نعام تعلق بالأرجاء[١] من السماء ، قال : ارعى . ثم قال : انظرى كيف ترين السماء ؟ قالت . ابيضت واسودت ودنت[١] فكأنها عينُ نفسٍ تطرف[١] . قال : أنجى ولا أراك ناجية .

قال الشاعر :

أَكُلُّ وَمِيضِ بارِقةٍ كَذوبُ أمَا فى الدَّهْرِ شَىْءٌ لا يُرِيبُ[٢]

أشار ضيف لقوم إلى بنت لهم لتقبله[٣] ، فقالت والله إنى إذاً لطويل العنق .

فسمعها الشيخ ، فقال : أشار والله إليها لتقبلهُ[٤] .

للبيد أو للبعيث :

لَعَمْرُكَ ما تدرى الطَّوارِقُ بالحَصَى ولا زاجراتُ الطَّيْرِ ما اللهُ صانِعُ[٥]

(١) الرباب : السحاب الأبيض ، واحده ربابة ، وفى ب : تعليق بأرجله .
(٢) ساقط من ب .
(٣) البيت لأبى الفرج البيغه ، انظر التمثيل والمحاضرة ١١٧ ، نهاية الأرب ٣/١٠٦ .
(٢) ب : بقبلة .
(٥) يروى : الضوارب بالحصى ، وهو للبيد ، ديوانه ٥٨ ، وقد نسب لطرفة فى جمهرة أشعار العرب .

بهجة المجالس، وأنس المجالس

وشحذ الذاهن والهاجس

تأليف

الإمام أبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي

٣٦٨ - ٤٦٣ هـ

المجلد الثاني
من القسم الأول

تحقيق

محمد مرسي الخولي

باب الظَّنّ والزّكَانَة[1]

قد تقدم فى الباب الذى قبل هذا ، قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا ظننتم فلا تحققوا » .

وقال الله تعالى : ﴿ إنّ الظَّنّ لَا يُغْنِي من الْحَقّ شيئاً ﴾[2] .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إياكم والظنّ ، فإن الظنّ أكذبُ الحديث » .

قال عمر بن الخطاب : لا يحل لامرئ مسلم سمع[3] من أخيه كلمة أن[4] يظن بها سوءاً ، وهو يجد لها فى شىء من الخير مخرجاً .

قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : لا ينتفعُ بنفسه من لا ينتفع بظنه .

قال علىّ بن أبى طالب : حُسْن الظنّ بالله ألّا ترجو إلا الله ، ولا تخاف إلا ذنبك .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يموتنّ أحدُكم إلا وهو يُحْسن الظن بالله » .

قال الحسنُ البصرىّ : إنّ المؤمن إذا أحسن الظن أحسن العمل .

قال أبو مسلم الخولانى : اتقوا ظنّ المؤمن ، فإن الله جعل الحقّ على لسانه وقلبه .

---

(١) الزكانة : الفهم والتفرس والظن ، أو هى ظن بمنزلة اليقين .

(٢) سورة النجم ٢٨ .

(٣) ب : يسمع .

(٤) ساقط من ب

قال عبد الله بن عباس : كفى بك ظلمًا[1] ألا تزال مخاصماً ، وكفى بك إثمًا ألا تزال ممارياً .

وعن ابن مسعود : قال عبد الرحمن بن أبى ليلى : ما أمارى أخى أبداً ، لأنى أرى أنى إما أن أكذبه وإما أن أغضبه .

قال عبد الله بن حسين[2] بن على رضى الله عنهم : المراء رائدُ الغضب ، فأخزى[3] اللهُ عقلا يأتيك به الغضب .

قال محمّد بن على بن حسين : الخصومة تمحق الدين وتُنْبِتُ الشّحناء فى صدور الرجال .

كان يقال : لا تمارِ حليماً ولا سفيهاَ ، فإن الحليم يغلبك ، والسفيه يؤذيك .

قيل لعبد الله بن حسن بن حسين[4] : ماتقول فى المراءِ ؟ قال : يفسد الصداقة القديمة ، ويحلّ العقدة الوثيقة ، وأقل ما فيه أن يكون دَريئة[5] للمغالبة ، والمغالبة أمتن[6] أسباب القطيعة .

قال عبدالله بن عباس لمعاوية : هلِ لك فى المناظرة فيما زعمت[7] أنك خاصمت[8]

---

(١) ب : ظالما . (٢) ساقط من ا .
(٣) ب : فأخذ . (٤) ساقط من ا .
(٥) ب : درية ، والدريئة : ما يستتر به من الصيد ليختل .
(٧) ا : رغبت . (٨) ا،ب : خصمت .

فيه أصحابى ؟ قال : وما تصنع بذلك ؟ أشغب بك وتشغب بى ، فيبقى فى قلبك[١] ما لا ينفعك ، ويبقى فى قلبي ما يضرك[٢] .

قال إبراهيم التّيمى : إياكم والمخاصمات فى الدين ، فإنها تحبط الأعمال .

قال عمرُ بن عبد العزيز : من جعل دينه عرضاً للخصومات أكثر التنقل

قال الأوزاعىّ : إذا أراد الله بقوم شرًّا ألزمهم الجَدَل ، ومنعهم العمل .

قال ابن أبى الزناد : ما أقام الجدلُ شيئاً إلاّ كَسَره جدلٌ مثله .

وقد أفردنا فى كتاب « بيان العلم » باباً فيما تجوز فيه المناظرة والجدال ، وباباً فيما تكره فيه المناظرة والمجادلة ، وأوردنا فيهما من الآثار عن السلف وأئمة الخلف ما فيه كفاية وبيان ، والحمد لله وهو المستعان .

قال الأصمعى : سمعتُ أعرابيا يقول : من لاحى الرجال وماراهم قلت[٣] كرامته ، ومن أكثر من شيء عُرِف به .

وقال مِسْعَرُ بن كِدَام الهلالى يوصى ابنه كِداما :

إِنِّى مَنَحْتُكَ يا كِدَامُ نَصِيحَتِى ... فَاسْمَعْ لِقَوْلِ أَبٍ عَلَيْكَ شَفِيقِ

أَمَّا الْمُزَاحَةُ والمِرَاءُ فَدَعْهُمَا ... خُلُقَانِ لَا أَرْضَاهُمَا لِصَدِيقِ

إِنِّى بَلَوْتُهُمَا فَلَمْ أَحْمَدْهُمَا ... لِمُجَاوِرٍ جَارٍ وَلَا لِرَفِيقِ

---

(١) ا : ذلك

(٢) ب : ما لا يضرك .

(٣) ا : كثرت

وَالْجَهْلُ يُزْرِى بِالْفَتَى فِي قَوْمِهِ   وعُرُوقُهُ فِي النَّاسِ أَيُّ عُرُوقِ[١]

وقال مصعب الزبيرى :

أَأَقْعُدُ بعدما وَجَفَتْ[٢] عِظَامِي   وكان الموتُ أَقْرَبَ مَا يَلِينِي
أُجَادِلُ كُلَّ مُعترضٍ خَصِيمٍ   وأَجْعَلُ دِينَهُ غَرَضًا لِدِينِي
فَأَتْرُكُ مَا عَلِمْتُ لِرَأْيِ غَيْرِي   وَلَيْسَ الرَّأْيُ كَالْعِلْمِ الْيَقِينِ
وما أَنَا وَالْخُصُومَةُ وهى لَبْسٌ   تُصَرَّفُ فِي الشِّمَالِ وَفِي الْيَمِينِ[٣]

فى أبيات قد ذكرناها بتمامها فى كتاب « بيان العلم وفضله » والحمد لله .

قال أبو العبّاس النَّاشِيء :

وإِذَا بُليتُ بجاهلٍ مُتَحَامِلٍ   يجدُ المُحَالَ من الأُمُورِ صَوَابَا
أَوْلَيْتُهُ مِنِّى السُّكُوتَ وَرُبَّمَا   كَانَ السُّكُوتُ عَلَى الجَوَابِ جَوَابَا[٤]

---

(١) محاضرات الأدباء ١/١٣٦ ، جامع بيان العلم ٢/٩٩ ، عيون الأخبار ١/٣١٨ . حماسة البحترى ٣٨٩ وفيها : أأكدام إنى قد محضت نصيحتى .
(٢) ا : رجعت .
(٣) انظر الأبيات فى معجم الشعراء ٤٠٢ ، البيان ٣/٣١٩ ، جامع بيان العلم ٢/١٠٠ .
(٤) البيتان فى وفيات الأعيان ٣٤٣ .

باب المراء والخصومة والملاحاة[1]

قال رسول الله صلى اللهُ عليه وسلّم : « أنا زعيمٌ ببيت فى أعلى الجنة ، وبيت فى وسط الجنة ، وبيت فى ربض[2] الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقًّا ، ولمن ترك الكذب وإن كان لاعباً ، ولمن حسنت مخالفته للنّاس » .

قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : «لما أُسْرِى بى كان[3] أول ما أمرنى به ربى أن قال : إيّاك وعبادةَ الأوثان ، وشُرْبَ الخمر ، وملاحاةَ الرجال » .

قال قيسُ بنُ السّائِب : كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم شريكى فى الجاهلية ، فكان خيرَ شريك ، فكان لا يدارى ولا يمارى .

قال مُعَاذ بن جبل : إذا كان لك أخ فى الله فلا تماره ، ولا تساره الحديث .

قال لقمانُ لابنه : يا بنى لا تُمارين حكيماً ، ولا تجادلن لَجُوجاً ، ولا تعاشرن ظلوماً ، ولا تصاحبنّ متهماً .

قال لقمانُ لابنه : يا بنى مَنْ قصّر فى الخصة خُصِم ، ومَنْ بالغ فيها أَثِم ، فَقُلِ الحق ولو على نفسك ، ولا تُبال من غضب .

وفى الحديث المرفوع : « احْذَرُوا جِدَالَ كُلِّ مَفْتُون ، فإنّهُ يُلَقَّنُ حُجَّتَهُ إِلَى انقِطَاعِ مُدَتِه » .

---

(١) المراء : الشك والجدل ، والملاحاة : النزاع واللوم .
(٢) ب : ربط ، والربض من الجبل : ما يلى الأرض منه .
(٣) ساقطة من ا .

سب أعرابى أعرابيا ، فسكت . فقيل له : لِمَ سكتّ عنه ؟ فقال : ما لى علم بما فيه ، وكرهت أن أبهته بما ليس فيه .

ولمحمد بن زياد الحارثى :

وأرْفَعُ نَفْسِي عن نفُوسٍ وَرُبَّمَا ... تَذَلَّلْتُ فِي إِكْرَامِهَا لِنُفُوسِ
وَإِنْ رَامَنِي يومًا خسِيسٌ بجَهْلِهِ ... أَبَى اللهُ أَن أرْضَى بِعِرْضِ خَسِيسِ (١)

وقال حسان بن ثابت :

ما أبالى أنتَّ بالحَزْنِ تَيْسٌ ... أَمْ لَحَانِى بظَهْرِ غَيْبٍ لَئِيمُ (٢)

وقال آخر :

وقل ليزيد إن شَتَمْتَ سَرَاتَنا ... فَلَسْنا بِشَتَّامِينَ لِلْمُتَشَتِّمِ
ولكننا نَأْبَى الْجَوَابِ وَنَقْتَضِي ... بِكلِّ رَقِيقِ الشَّفرتين غَشَمْشَمِ (٣)

قال الخليل : الغشمشم : الجرىء الماضى ، قال الشاعر :

عَبْلُ الشَّوَى غَشَمْشَماً غَاشِماً (٤)

---

(١) ساقط فى ب ، وهما فى العقد الفريد ٢/ ٢٨٥ .

(٢) البيت فى ديوانه ١٠٠ ، التمثيل والمحاضرة ٦٣ ، ونب التيس : صاح عند الهياج .

(٣) البيتان والبيت الذي سيأتى فى الصفحة التالية وهو : وتبطش أيدينا ... الخ ، لمعبد بن علقمة ، انظر حماسة أبى تمام ١/ ١٥٧ ، الأمالى للقالى ١/ ١١٥ عيون الأخبار ١/ ١٩٨ . ورواية الحماسة : قل لزهير ، ونمتصى مكان نقتضى ، ومعناها . نأخذ للسيف ونضرب به مثل العصا ، ويروى : مصمم ، بدل غشمشم ، وتجهل بدل تبطش .

(٤) عبل الشوى : ضخم اليدين والرجلين ، والغشمشم : الجرىء الماضى — كما ذكر الخليل ، والغاشم : الظالم ، وانظر اللسان مادة « غشم » .

وقال آخر :

وتَبْطُشُ أَيْدِينَا ويَحْلُمَ رَأْيُنَا … ونَشْتِمُ بالأفعَال لا بالتَّكَلُّمِ

وقال الأخطل :

أَنبئتُ كَلْبًا تمنَّى أَنْ تُسافِهَنَا … وطَالَمَا سَافَهُونَا ثُمَّ ما ظَفِرُوا

قَدْ أُنذِرُوا حَيَّةً فِي رَأْسِ هَضَبَتِهِ … ومَا يَكادُ يَنَامُ الحَيَّةُ الذَّكَرُ(١)

وقال آخر :

فَإِنْ تَشْتُمُونَا عَلَى لُؤْمِكُمْ … فقد تَقْرِضُ العُثُّ مُلْسَ الأَدُمْ

العُثّ : دُوَيبّة صغيرة ليس بها قوة إلاّ أنّها تقرضُ كل شيء .

وقال آخر :

هَلْ يَشْتُمَنّي لا أَبَا لَكُمُ … دَنِسُ الثِّيَابِ كَطَابِخِ الْقِدْرِ

جُعَلٌ تَمَطَّى فِي غَثَاثَتِهِ … زَمِنُ المُرُوءَةِ نَاقِصُ الشِّبْرِ(٢)

أعطى الحسن بن على شاعراً ، فقيل له : تعطى من يقول البهتان ، ويعصي

---

(١) ديوانه ٢/٢٠٨ ، ٢٦٩ ، والبيت الثانى هذا ملفق من بيتين ، والرواية فى الديوان :

قد أنذروا حية فى رأس هضبته … وقد أتتهم به الأخبار والنذر

هنالك قالوا أنام الماء حيته … وما يكاد ينام الحية الذكر

(٢) الجعل : دويبة منتنة ، والغثاثة : الإفرازات أو القيح ، وزمن المروءة : مريضها ، وناقص الشبر : القصير القمىء

الرحمن ؟ فقال : إن خير ما بذلت به من مالك ما وقيت به من عرضك ، ومن ابتغى الخير اتقى الشر . وقد روى عن ابن شهاب مثل ذلك فى شاعر مدحه فأعطاه . وقد كان يقال : إعطاء الشاعر من بر الوالدين .

قال جرير :

وَما حَمَلَتْ أُمُّ امْرِىءٍ فِي ضُلُوعِهَا ... أَعَقَّ مِنَ الجَانِي عَلَيها هِجَائِيَا(١)

وقال آخر:

اصْحَبِ الأَخْيَارَ وأَرْغَبْ فيهمُ ... ربَّ مَنْ صَاحَبْتَهُ مثلُ الجَرَبِ
وَدَعِ النَاسَ وَلَا تَشْتُمْهُمُ ... وَإِذَا شَاتَمْتَ فَاشْتُمْ ذَا حَسَبِ
إِنَّ مَنْ سَبَّ لَئِيماً كَالَّذِى ... يبدِّلُ الصُّفْرَ بِأَعْيَانِ الذَّهَبِ(٢)

وقال آخر :

مَالِي أُكَفْكِفُ من سعدٍ [وَتَشْتُمُنِى] ... وَلَوْ شَتَمْتُ بَنِي سعدٍ لَقَدْ سكَتُوا(٣)

وقال آخر :

جَهْلًا عَلَيْنَا وَجُبْنًا عن عَدُوِّهِمُ ... لَبِئْسَتِ الخَلَّتَانِ الجَهْلُ والجُبُنُ(٤)

---

(١) البيت للفرزدق لا لجرير ، انظر شرح ديوان الفرزدق ٨٦٩ .

(٢) الصفر : النحاس ، وانظر الأبيات فى الأمالى ٢/٢٠٤ ، لباب الآداب ٢٥ ، وفيه : إن من شاتم وغداً .. الخ .

(٣) وتشتمنى ساقط من ا ، ب ، وفى ب : لما سكتوا بدل لقد سكتوا .

(٤) فى العقد : بخلا علينا وجبنا عن عدوكم ، وقد نسب البيت فى حماسة البحترى ٣٩٢ إلى ابن أم صاحب الغطفانى ، ونسب فى العقد ١/١٧٨ إلى كعب بن زهير .

قيل للشعبي : فلان يتنقصك ويشتمك . فتمثل بقول كُثَيّر :

هنيئًا مريئًا غير داءٍ مُخامرٍ لعزَّةَ من أعْرَاضِنَا مَا استَحَلَّتِ
أسيئي بِنَا أو أحْسِنِي لَا مَلُومَةً لَدَيْنَا وَلَا مقْلِيَّةً إنْ تَقَلَّتِ[(١)]

وقال قيس المجنون :

حَلَالٌ لِلَيْلَى شَتْمُنَا وَانتقاصُنَا هنيئًا وَمَغْفُورًا لِلَيْلَى ذُنُوبهَا

وقال آخر :

إذَا ما شِئْتَ سَبَّكَ غيْرُ قَوْمٍ[(٢)] وإن كُنْتَ المهذب واللُّبَابَا
يهابُكَ كلُّ ذِي حَسَبٍ ودِينٍ وأمَّا فِي اللئامِ فَلَنْ تُهَابَا

وقال آخر :

مَنْ شَاتَمَ النّاسَ رَمَوْهُ بِما لم يَكُ يَعْتَدُّهُ فِي الحِسَابِ[(٣)]

كأنه أخذه من قول كعب بن زهير :

وَمَن دَعَا النَّـــاسَ إلى ذَمِّه ذَمُّوهُ بِالْحَقِّ وَبِالْبَاطِلِ[(٤)]

---

(١) ديوانه ٥٧ ، نهاية الأرب ٣/٧٥ ، التمثيل والمحاضرة ٧٢ ، الكامل ١/٢٣٥ ، هذا وينسب البيتان أيضا لجرير بن عطية انظر ديوانه ٨٨ .

(٢) ب : عند .

(٣) نهاية الأرب ٣/٦٨ .

(٤) البيان ٢/٣٣٩ ، محاضرات الأدباء ١/١٨٩ ، نهاية الأرب ٣/٦٨ ، لباب الآداب ٣٦٠ ، وقد سبق مع أبيات أخر في ص ٤٠١ .

وقال آخر :

وَلَسْتُ مُشاتِمًا أَحدًا لِأَنِّى   رَأيْتُ الشَّتْمَ مِنْ عِيِّ الرِّجَالِ

إذَا جَعَلَ اللَّئيمُ أباهُ نصبًا   لشاتِمِهِ فَدَيتُ أبِى بِمالِى

وقال آخر :

وتَجْزَعُ نَفسُ المرءِ من شَتْمِ مَرَّةٍ   وَيُشتَمُ أَلْفًا بَعْدَ ذَاكَ فيَصْبِرُ(١)

وقال آخر:

لَعَمْرُكَ مَا سَبَّ الْأَمِيرَ عَدُوُّهُ   وَلَـكِنَّما سَبَّ الْأَمِيرَ المُبَلِّغُ(٢)

وقال آخر:

مَنْ يُخَبِّرْكَ بِشَتْمٍ عن أخٍ   فهو الشَّاتِمُ لَا مَنْ شَتَمَكْ

ذَاكَ شَتْمٌ لَمْ يُوَاجِهْكَ بِهِ   إنّما اللَّوْمُ عَلَى مَنْ أَعْلَمَكْ(٣)

وقال آخر :

أبا حَسَنٍ يكفيكَ ما فيك شاتمًا   لِعِرضكَ مِنْ شَتْمِ الرِّجَالِ وَمِنْ شتْمِي

وقال آخر :

وما يَقِى عنكَ قَوْمًا أنْتَ خائفُهم   كمثلِ دَفْعِكَ جُهَّالاً بِجُهَّالِ

---

(١) ا : ويشتم عشراً بعدها ثم يصبر .

(٢) البيت لعبد الصمد بن المعذل ، انظر عيون الأخبار ٢/٢٣ ، نهاية الأرب ٣/٢٩٦ ، فصل المقال ٩٤ .

(٣) المستطرف ١/٦٠ ، فصل المقال ٩٦ .

فَاقْمَسْ إِذَا حَدَبُوا وَاحْدَبْ إِذَا قَمَسُوا ... وَوَازِنِ الشَّرَّ مِثْقَالاً بِمِثْقَالِ[1]

وقال آخر :

ثَالَبَنِي عَمْرٌو وَثَالَبْتُهُ ... فَقَدْ أَثِمَ المَثْلُوبُ وَالثَّالِبُ

قُلْتُ لَهُ خَيْرًا فَقَالَ الخَنَا ... كُلٌّ عَلَى صَاحِبِهِ كَاذِبُ[2]

---

(١) القمس : خروج الصدر ودخول الظهر ، والحدب ضده ، والمقصود المزواجة بين اللين والشدة في معاملتهم .

(٢) ثالبه : لامه وعابه ، والخنا : الفحش ، والبيتان لعلى بن معاذ كما فى البيان ١/ ٣٨٠ ، وانظرهما فى محاضرات الأدباء ١/ ١٨٧ ، وفيات الأعيان ٦/ ٦٧ .

بَابُ الكِبْرِ وَالعُجْب والتِّيه

قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم ، حاكياً عن الله عزّ وجل : « الكبرياء ردائى ، (1 والعظمةُ إزارى 1) ، فمن نازعنى(2) (1 واحدًا منهما 1) أدخلته النار » .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا ينظر الله عزّ وجلّ إلى من جرَّ ثوبه خُيَلَاء » ، وفى حديث آخر : « لا ينظر الله عزَّ وجلّ إلى من جرَّ ثوبَه بَطرًا » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنما الكبر أن يُسَفِّهَ الحقَّ ، ويُغَمِّضَ النَّاسُ » .

قال محمّد بن علىّ بن حسين : يا عجباً من المختال الفخور الذى خُلق من نطفة ، ثم يصير جيفة ثم لا يدرى بعد ذلك ما يُفعل به .

قال إسحاقُ بن إبراهيم الموصلى : سمعتُ أحمد بن يوسف يوماً ، وذكر رجلا كان يذهب بنفسه فى التيه ، فقال : يتيه(3) فلان ، وما عنده فائدة ولا عائدة ولا رأى جميل .

---

(1) ساقط من ا .
(2) ا : نازعنيه .
(3) ب : تيه .

قال الشاعر :

يَا مُظْهِرَ الْـكِبْرِ إعْجَابًا بِصُورَتِهِ ... أَبْصِرْ خَلَاءَكَ إِنَّ الْمَيْنَ تَثْرِيبُ[١]
لَوْ فَـكَّرَ النَّاسُ فيما فى بُطونِهِمُ ... ما استشعرالـكِبْرَ[٢] شُبّانٌ ولاشِيبُ[٣]

قيل لعيسى عليه السلام : طوبى لبطن حملك ، فقال : طوبى لمن علمه الله كتابه ، ولم يكن جباراً .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يزالُ الرَّجُل يَذهب بنفسه فى التّيه حتى يُكتب فى الجبّارين ، فيصيبَه ما أصابهم » .

قال مالكُ بن دينار : كيف يتيهُ من أوله نُطْفة مَذِرَة ، وآخره جيفة قَذِرَة ، وهو فيما بين ذلك حاملٌ عَذِرَة .

أخذه أبو العتاهية فقال :

مَا بَالُ مَنْ أَوَّلُهُ نطفةٌ ... وجيفَــةٌ آخِرُهُ يَفْخَرُ
أَصْبَحَ لَا يَمْلِكُ تَقْدِيمَ مَا ... يرجُو ولا تأخير مَا يحذَرُ
وَأَصْبَحَ الْأَمْرُ إلى غيرِهِ ... فى كل ما يُقْضَى وما يُقْدَرُ[٤]

---

(١) ا : العمر تغريب .
(٢) ب : الناس .
(٣) البيتان فى عيون الأخبار ١/٢٧٢ ، ٢٧٣ وفيه : إن النّتن .. الخ .
(٤) ديوانه ١٠٣ ، الكامل ١/٢٣٩ .

وقال منصور الفقيه :

تتيهُ وَجِسمُكَ مِنْ نطفةٍ ... وَأَنْتَ وِعاءٌ لما تَعْلَمُ[1]

وله أيضاً :

قولُوا لزُوَّارِ الـكُنُفْ ... وَالمُنشَئِينَ مِنْ نُطَفْ

يا جِيَفًا مِنَ الجِيَفْ ... ما لَكُمْ ولِلصَّلَفْ

كان يقال : لولا ثلاثٌ سَلِمَ النّاس : شحّ مُطَاع ، وهوًى مُتّبع ، وإعجابُ المرء بنفسه .

قال جعفرُ بن محمد : علم اللهُ عز وجل أن الذنب خير للمؤمن من[2] العُجْب ، ولولا ذلك ما ابتلى مؤمن بذنب .

قال بلال بن سعيد : إذا رأيتَ الرجل لجوجًا مماريًا فقد تمت خسَارَتُه .

قال بعض الحكماء : البلية التي لا يُؤجر عليها المبتلى بها : العُجْب ، والنعمة التي لا يُحْسَد عليها : التواضعُ .

كان يقالُ : لا شيءَ أكلم للمحاسن من العُجْب والتيه .

قال نصرُ بن أحمد :

وَمَنْ أمِنَ الآفاتِ عُجْبًا برأيِهِ ... أحَاطَتْ بِهِ الآفَاتُ مِنْ حَيْثُ يَجْهَلُ

---

(١) التمثل والمحاضرة ٤٤٥ .
(٢) ساقطة من ا.

وقال منصور الفقيه :

لَا تحلِفَنَّ بتيَّاهٍ فتحمِلَه ... عَلَى التَّزَيُّدِ مما يُسْخِطُ اللهَ
واهجُرْهُ للهِ لا لِلنَّاسِ مبتغيًا ... ثَوابَ رَبِّكَ فِي هِجْرَانِ مَنْ تَاهَا

وقال آخر :

إن عيسَى أنفُ أنفِهْ ... أنفُهُ ضِعْفُ لِضِعْفِهْ
لَوْ تراهُ راكبًا وَالتِّيـ ... ـهُ قَدْ مالَ بِعِطفِهْ
لَرَأَيْتَ الْأَنفَ فِي السَّرْ ... جِ وعيسَى مِثْلُ رِدْفِهْ

وقال ابن السَّلمانى :

أَتِيهُ عَلَى جنٍّ البلادِ وَإِنْسِهَا ... ولو لم أَجِدْ خَلْقًا لِتهْتُ عَلَى نَفْسِي
أَتِيهُ فلاَ أَدْرِى مِنَ التِّيه من أَنَا ... سِوَى مايقولُ الناسُ فِيَّ وفِي جِنْسِي[1]
فإِنْ زَعَمُوا أَنّى من الإِنْسِ مِثْلُهُم[2] ... فَمَا لِيَ عيبٌ غيْرَ أَنّى منَ الإِنْسِ[3]

وقال خلف الأحمر :

لَنَا صاحِبٌ مُولَعٌ بالخِلَافِ ... كَثِيرُ الخَطَاءِ قَلِيلُ الصَّوَابْ
أَلَجُّ لجاجًا مِنَ الخُنْفُسَاءِ ... وَأَزْهَى إِذَا ما مَشَى من غُرَابْ[4]

---

(١) ا : ومن حسى .
(٢) ا : خالص .
(٣) انظر الأبيات فى عيون الأخبار ١/٢٧١ .
(٤) انظر البيتين فى معجم الأدباء ١٤/١٦١ ، الحيوان ٣/٤٠٠، فصل المقال ٣٨٧ .

ولأبى العتاهية ، ويروى لمنصور الفقيه :

حَذَرْتُكَ الكِبْرَ لا يَعْلَقْكَ[1] مِيسَمُهُ ... فإنَّهُ مَلْبَسٌ نَازَعْتَهُ اللهَ

يا بُوسَ حامِلِ رِجْسٍ لَيْسَ يَغْسِلُه ... بالماء عَنْهُ إذَا كَلَّمْتَهُ تاهَا

يَرَى عليك له فَضْلاً وَمنزلةً ... إنْ نَالَ فى العَاجِلِ السُّلْطَانَ والجاهَا

مُثْنٍ[2] عَلَى نَفْسِهِ رَاضٍ بسيرَتِهِ ... كَذبتَ يا صاحبَ الدُّنيا وموْلاهَا[3]

وقال منصور الفقيه :

قُلْتُ لِلمُعْجِبِ لَمَّا ... قَالَ مِثْلِي لَا يُرَاجَعْ

يا قَرِيبَ العَهْدِ بالمخْـ ... ـرَجِ لِمْ لَا تَتَوَاضَعْ[4]

قال علىُّ بن مُحمد : إنما أهلك الناسَ العجلةُ والعُجْب ، ولو تَبَيَّنوا ولم يعجلوا لم يهلك منهم أحد .

قال ابن أبى ليلى : ما رأيتُ ذَا عُجْب قطّ إلا اعترانى بعضُ دائه . يريد أنه يبعثه على مكافأته بالتكبر عليه .

قال بعضُ الحكماء : من استطاع أن يمنعَ نفسه أربعًا كان جديرا ألا ينزل به مكروه : العَجَلَة ، واللجاجة ، والتوانى ، والعُجْب .

---

(١) ب : لا يعطفك .

(٢) ب : مبق .

(٣) لم أعثر على الأبيات فى ديوان أبى العتاهية ، وإنما هى فى ديوان أبى نواس ١٩٧ ، وفيه البيت الثانى :

يا بؤس جلد على عظم مخرقة ... فيه الخروق إذا كلمته تاها .

(٤) ب : مما تواضع ، وانظرها فى محاضرات الأدباء ١/١٣١ .

وَلإبراهيم بن العبّاس الصولى فى محمد بن عبد الملك الزيات :

أبا جَعْفرٍ عَرِّجْ عَلَى خُلَطَائِكَا   وأقْصِرْ قَليلاً عَنْ مَدَى غُلَوَائِكَا
فإنْ كُنْتَ قَدْ أُوتيتَ بالأمْسِ رفعَةً   فإنّ رجائى فى غدٍ كرجائِكَا[1]

ولمنصور الفقيه :

قَدْ كنتُ أيَّام كنتُ مِثْلَكُمُ   أَرَى الهلالَ الخَفِىَّ بِالْعَجَلَهْ
لَوْ مرّ بى تائهٌ على جَمَلٍ   لم أره الآن قِلَّةً[2] ولا جُمْلَهْ

(١) معجم الأدباء ١/١٧٢ .
(٢) ب : قبله ، عيون الأخبار ١/٢٧٣ وفيها فإن كنت قد أعطيت فى اليوم .

بابُ التَّوَاضُع والإنصَاف

قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم «ما تواضع عبدٌ لله [1] إلّا رفعهُ الله».

وقال صلى الله عليه وسلم: «تواضَعُوا يرفعكم الله، واعفوا يعِزكم الله».

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: طوبى لمن تواضع من غير مَنْقَصَة، وذل نفسه من غير مسكنة، وأنفق مالاً جمعه من غير معصية، طوبى لمن طاب كسبه، وصلحت سريرته، وكرمت علانيته».

انتسبَ رجلٌ عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى بلغ عشر آباء، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلم: «لاحَسَبَ إلاّ فى التواضع، ولا نسبَ إلا بالتقوى، ولا عمل إلاَّ بالنية، ولا عبادةَ إلا باليقين».

وعنه عليه السلام أنه قال: «مَنْ عَظُمَتْ نعمةُ الله عليه فليطلب[2] بالتواضع شكرها، فإنه لا يكون شكوراً حتى يكون متواضعاً».

قال بعضُ الحكماء: رأسُ الحكمة طاعة الله، وتقديم حُسْن النية، وعُرَاها التواضعُ فى الحقّ، والإنصافُ فى المناظرة، والإقرارُ بما يلزم من الحجة، وثمرتها حفظ الثواب، فى العاجلة، والنجاةُ فى العاقبة، وحقُّها العملُ بها، وألاَّ تُمْنَع من من مُسْتَحَقّها، وأن تُوَقّرَ أوعيتَها لوقارها.

---

(١) ساقطة من .

(٢) ا : فليتلطف .

قال عمرُ بن الخطاب رضى الله عنه : ما من أحدٍ إلاّ وفى عنقه حكمةٌ موكل بها مَلَك ، يقول الله به : إنْ تَوَاضعَ عَبْدى فارفَعْه ، وإن ارتفع فضَعْه .

قال بكرُ بن عبد الله المزنى : ما أرى امرءًا إلاّ رأيت له الفضلَ علىّ ، لأنّى من نفسى على يقين ، وأنا من النّاس على شك .

قال عبد الله بن مَسْعود : إن من التواضعِ الرِّضا بالدُّون من شَرَف المجلس ، وأن تُسلِّمَ على مَنْ لَقيت .

قال عبدُ الله بن المبارك : التَعَزُّزُ على الأغنياء تواضع .

كان يقال : بالتواضع تتمُّ النعمة ، وبالتكبر تحق النقمة[1] .

كان سليمان عليه السلام يجىء إلى أوضع مجالس بنى إسرائيل فيجلس معهم ، فيقول : مسكينٌ بين ظَهرَانى مساكين .

كان يقال : ثمرة القناعة الرَّاحة ، وثمرةُ التواضع المحبة .

قال لقمانُ لابنه : يا بنىّ تواضع للحقّ ، تكن أعقل الناس .

قال أبُو الدَّرْدَاء : ليس الذى يقولُ الحق ويفعَلُه بأفضل من الذى يسمعه[2] فيقبله .

قال بعضُ الحكماء : إذا نَسَك الشريفُ تَوَاضَع ، وإذا نَسَك الوضيعُ تكبَّر.

(١) ب : تمحق النعمة .
(٢) ا : يضيعه .

ولذى الرُّمَّة الأُسَدِىّ :

إِذَا اصطَحَبَ الأَقْوَامُ كانَ أَذَلُّهم ... لأصحابِه نَفسًا أبَرَّ وَأفْضَلا
وما الفضلُ فِي أَنْ يُؤْثِرَ[1] المرءُ نَفْسَهُ ... ولكنَّ فضل المرْء أَنْ يَتَفَضَّلا[2]

قال سالم بن قتيبة : ما تكبّر فى ولايته[3] إلا من كبرت عنه ، ولا تواضع فيها إلا من كبر عنها .

قال بعض الفلاسفة : أظلم الناس لنفسه من تواضع لمن لا يكرمه ، ورغب فيمن يبعده .

قال بُزُرْجَمهر : وجدنا التواضع مع الجهل والبخل ، أَحْمَدُ من الكبر مع الأدب والسخاء فَأَعْظِم بحسنةٍ سَتَرَتْ من صاحبها سيئتين ، وأَقْبِحْ بسيئةٍ غَطَّتْ من صاحبها حسنتين .

قال عبدُ الملك بن مروان : أفضلُ النَّاس من تواضع عن رفعة ، وزَهَد عن قدرة ، وأنصف عن قوة .

كان يقال : من حقوق الشَّرفِ أن تتواضعَ لمن هو دونك ، وتنصفَ من هو مثلك ، وتنبلَ على من هو فوقك .

قال ابن السِّماك للرشيد : تَوَاضُعُكَ فى شرفك أَشْرَفُ من شرفك .

---

(١) ا : يذمم .
(٢) ورد البيتان في ديوان أبى العتاهية ٢١٢ ، ولم أعثر عليهما في ديوان ذى الرمة .
(٣) ب : ما تكبر في ولاية .

قال جعفر بن محمد : من أنصف الناس من نفسه قُضِي به حَكَمًا لغيره .

قال معن بن أوس :

إِذَا أَنتَ لم تَنْصِفْ أَخَاكَ وَجَدْتَهُ   عَلَى طَرَفِ الهِجْرَانِ إِنْ كانَ يَعْقِل[1]

قال مالك بن الرَّيْب :

فإنْ تُنْصِفُونَا يَاآلَ مرْوَان نَقْتَرِبْ   إليكُمْ وَإلَّا فَأْذَنُوا بِبِعَادِ
فَفِى الأَرْضِ عنْ دارِ المَذَلَّةِ مَذْهَبٌ   وَكلُّ بِلَادٍ أُوطِنَتْ كَبِلَادِى[2]

قال العبّاسُ بن عبد المطلب :

أَبَى قَوْمُنَا أَنْ يُنْصِفُونَا فَأَنْصَفَتْ   قَواطِعُ فِى أَيْمَانِنَا تَقْطُرُ الدِّمَا
تَرَكْنَاهُمُ لَا يَسْتَحِلُّونَ بَعْدَهَا   لذِى رحِمٍ يومًا من الدَّهْرِ مَحْرَمًا[3]

قال الحكم بن المنذر الجارود فى الإنصاف :

بنى عَمِّنَا لَا تَجْزَعُوا مِنْ طَعَانِنَا[4]   فَقَدْ كانَ قَبْلَ الْيَوْمِ مَبْكًى وَمَجْزَعًا
وذُوقُوا كما ذُقْنَا مِنَ الحَرْبِ إِنَّنَا   نَرَى شَرَّ أَهْلِ الأَرْضِ مَن قَدْ تَضَعْضَعَا
وَنَادَى منَادٍ يَاآلَ بَكْرِ بنِ وَائِلٍ   ونَادَى بِعَبْدِ الْقَيْسِ نَادٍ فَأَسْمَعَا
فَمَا خَذَلَتْنَا الأَزْدُ إِذْ دَارَتِ الرَّحَى   وَلكِنَّهُمْ يَحْمُونَ عِزًّا مُمَنَّعَا

---

(١) معجم الشعراء ٤٠٠ ، عيون الأخبار ٣/١٨ ، حماسة أبى تمام ٢/٤ ، حماسة البحترى ٢٨ .
(٢) سبق البيتان فى ص ٢٣٨
(٣) انظر البيتين فى مجموعة المعانى ٥٢ ، عيون الأخبار ١/٧٨ ، حماسة البحترى ٦٠ .
(٤) ب : من طعامنا .

خَلَطْنَا الْبُيُوتَ بِالْبُيُوتِ فَأَصْبَحُوا ... بَنِي عَمِّنَا مَنْ يَرْمِهِمْ يَرْمِنَا مَعًا[(١)]

وقال أبو الأسود الدؤلى :

إِذا قلتُ أنصِفْنِي وَلَا تَظْلِمَنَّنِي ... رَمَى كُلَّ حَقٍّ أَدَّعِيهِ بِبَاطِلِ

فَاطَلْتُهُ حَتَّى ارْعَوَى وَهْوَ كَارِهٌ ... وقدْ يَرْعَوِى ذو الشَّغْبِ عندَ التجادُلِ

وإنك لم تعطف إلى الحق ظَالِمًا[(٢)] ... بِمثلِ خصيمٍ عَاقِلٍ مُتَجَاهِلِ

قالوا : ثلاثة من حقائق الإيمان : الاقتصاد فى الإنفاق ، [والابتداء][(٣)] بالسلام والإنصاف من نفسك .

وفى سماع أشهب ، قال مالكٌ رضى الله عنه : ليس فى الإنسان شىء أقل من الإنصاف .

قال جعفرُ بن سعد : ما أقلَّ الإنصاف ، وما أكثرَ الخلاف ، الخلافُ[(٤)] موكَّلٌ بكلِّ شىء حتى القذاة فى رأس الكوز ، فإذا أردت أن تشرب الماء جاءت إلى فيك ، وإذا أردتَ أن تصب من رأس الكوز لتخرج رجعت .

قال الشاعر :

آخِ[(٥)] الكرامَ الْمُنْصِفِينَ وَصِلْهُمُ ... وَاقْطَعْ مَوَدَّةَ كلِّ مَنْ لَا يُنْصِفُ

---

(١) ب : فى حربهم يذهبا معاً ، وقد ورد البيت الأخير فقط فى حماسة أبى تمام ١/١٥١ ، منسوباً إلى المثلم بن رياح بن ظالم المرى .
(٢) ب : طالباً ، وانظر الأبيات فى ديوانه ١٩٠ .
(٣) زيادة من ب .
(٤) ساقط من ب .
(٥) ب : ارج ، وانظر البيت فى البيان ٣/٢٠٩ .

وقال أبو العتاهية :

إِذا مَا لم يَكُنْ لك حُسْنُ فَهْمٍ   أَسَأْتَ إِجَابَةً وَأَسَأْتَ فَهْمَا[١]

وقال أبو عثمان الشريشى :

لَوْ جَرَحَتْ رَأْسِى يَدَا مُنْصِفٍ   لَمَا تَمَنَّيْتُ بِأَنْ أَبْرَآ

(١) ديوانه ١٥٨ ، عيون الأخبار ٣/١٩

بابُ الرَّأيِ والمَشُورَة

قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « ما تَشاوَرَ قومٌ إلاّ هَدَاهم الله لأرْشَدِ أمُورِهم » .

قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « لَنْ يَهْلِكَ امرؤٌ عن مَشُورة » .

قال صلى الله عليه وسلم : « المُسْتَشارُ مؤتمن » .

قال الحسنُ : إن اللهَ لم يأمر نبيَّه بمشاورة أصحابه حاجة منه إلى رأيهم ، ولكنه أراد أن يعرفهم ما في المشورة من البركة .

قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ نزل به أمر فشاور فيه من هو دونه تَواضُعًا منه عُزِمَ له على الرَّشَد » .

قال عمرُ بن الخطاب رضى الله عنه : شاور في أمرك من يخاف اللهَ عز وجل .

قيل لرجل من بني عبس . ما أكثر صوابكم ؟! قال : نحن ألفٌ وفينا حازمٌ واحد ، ونحن نشاوره ونطيعه ، فصرنا ألفَ حازم .

قال عامرُ بنُ الظَّرِب[1] : الرأيُ نائم والهوى يقظان ، فلذلك يغلب الهوى الرأي .

---

(١) العدواني : كان من حكام العرب في الجاهلية ، وعمر طويلا ، وهو الذي قيل فيه : إن العصا قرعت لذى الحلم ، وذلك أن أولاده خشوا زيغه عن الصواب لكبر سنه ، فكلموه في ذلك فقال : اجعلوا لي أمارة أعرفها ، فإذا زغت فسمعتها رجعت إلى الصواب ، فكان يجلس قدام بيته ، ويقعد أحد أبنائه من ورائه ، فإذا هنا قرع له الجفنة فانتبه ، وله شعر جيد وكلام مسدد .

كان يقال : بإجالة الفكرة يُستَدَرّ الرأيُ المصيب .

كان عليٌّ بن أبى طالب يقول : رأيُ الشيخ خير من مشهد الغلام .

قال بُزرجمهر : حسبُ ذا الرأى ومن لا رأى له أن يستشير عالمًا ويطيعه .

مرَّ حارثة بن زيد بالأحنف بن قيس ، فقال : لولا أنك عجلان لشاورتك فى بعض الأمر . فقال : يا حارثة أجل ، كانوا لا يشاورون الجائع حتى يشبع ، والعطشان حتى يَنْقَع ، والأسير حتى يُطلَق ، والمُضِلّ حتى يجد ، والراغب حتى ينجح[(١)] .

كان يقال : استشر عدوَّك العاقلَ ، ولا تستشر صديقَك الأحمق ، فإن العاقل يتقى على رأيه الزَّلَل، كما يتقى الورَع على دينه الجَرْح .

قال ابن المقفع : ثلاثةٌ لا آراء لهم : صاحبُ الخفِّ الضيق ، وحاقنُ البول[(٢)] ، وصاحبُ المرأة السّليطة .

قال بعض البلغاء : لا نتيجةَ لرأى إلا عن طاعة ونصيحة ، ولا نتيجة لمشورة إلا عن محبّة ومودّة .

وقال بعضهم : لا تترك الأمر مُقْبِلا ، وتطلبه مُدبرًا ، فإن ذلك من ضعف العقل[(٣)] وقلة الرأى .

---

(١) ساقط من ا .
(٢) حاقن البول : محتبسه .
(٣) ا : العاقل .

كان يقال : لا تُدْخل فى رأيك بخيلا فيُقَصِّرَ بفعلك ، ولا جبانًا فيُخَوِّفَكَ مالا تخاف ، ولا حريصًا فيعدك مالا يُرجى .

قال بعض الأعراب :

وَلَوْ أنَّ قَوْمِى أَكْرَمُونِى وأتأقُوا ... سِجَالاً بها أَسْقِ الَّذين أُسَاجِلُ
كَفَفْتُ الأذَى ما عشتُ عَنْ حُلَمَائِهِمْ ... وَنَاضَلْتُ عَنْ أَعْرَاضِهِم من يُنَاضِلُ
ولكِنَّ قَوْمِى عَزَّهُمْ سُفَهَاؤُهُمْ ... عَلَى الرَّأْىِ حَتَّى لَيْسَ للرأىِ حَامِلُ(١)

قال النبى صلى الله عليه وسلم : « الحزمُ : فى مُشَاوَرَةِ ذَوِى الرَّأى وطَاعَتِهم » .

قال المهلب : إذا كان الرأى عند من يملكه دون من يبصره ضاعت الأمور .

قال الحكماء : إذا كنت مستشيرًا فتوخّ ذا الرأى والنصيحة ، فإنه لا يكتفى برأى من لا ينصح ، ولا نصيحة لمن لا رأى له .

ولبشار بن برد ، وقيل إنها لعنترة(٢) ، وقيل : إنها للعجّاج الأسدى :

إذَا بَلَغَ الرَّأْىُ المَشُورَةَ فَاسْتَعِنْ ... برَأْىِ نَصيحٍ أَوْ نَصاحَةِ حَازِمِ
وَلا تَحْسَبِ الشُّورَى عليكَ غَضَاضَةً ... فإنَّ الخَوَافِى رَافِدٌ للقوادِمِ
وأدْنِ من القُرْبَى المُقَدَّمِ نَفْسَهُ ... ولا تُشْهِدِ الشُّورَى امرءًا غَيْرَ كاتِمِ
وَما خيرُ كفٍّ أمسَكَ الغُلُّ أختَها ... وما خَيْرُ سَيْفٍ لم يؤيَّدْ بِقائِمِ

(١) أتأقوا : ملأوا ، والسجال : جمع سجل وهى الدلو العظيمة ، وأساجل : أفاخر وأبارى ، وعزهم : غلبهم : وانظر الأبيات فى أمالى القالى ١/٨٣ .
(٢) ب : لغيره .

فإنَّكَ لا تَسْتَطْرِدِ الهَمَّ بالمُنَى ... ولا تَبْلُغِ العَلْيَا بغيرِ المَكَارِمِ[1]

أنشدني الأعرابي:

وَأنفعُ مَنْ شاوَرْتَ من كان ناصحاً ... شفيقاً فأَبْصِرْ بعدَها مَنْ تُشاوِرُ

وليس بشافيكَ الصَّدِيقُ[2] ورَأْيُه ... غريبٌ ولا ذُو الرَّأْيِ والصَّدْرُ واغِرُ

وقال بكر بن أذينة:

ولا أشير على مَن لّا يُشاوِرُنِي ... إِذَا طَوَى ذَاتَ يومٍ أَمْرَهُ دُونِي

قال أكثم بن صيفي: المشورة مادة الرأى.

قال ابن هبيرة لبعض ولده: ولا تشر على مستبدّ، ولا على عدوّ، ولا على متلوّن، ولا على لجوج، ولا تكونَنَّ أوَّل مستشار، ولا أول مشير، وإياك والرأى الفطير[3]، وخف الله فى المستشير، فإن التماس موافقته لؤم، وسوء الاستماع منه خيانة.

قال سليمان عليه السلام لابنه: يا بنىَّ لا تقطع أمرًا حتى تشاور مرشدًا فإنك إذا فعلت ذلك لم تندم.

---

(١) يروى: ولا تجعل الشورى، و... فريش الخوافى تابع، ويروى: وأدن من الشوري المكتوم لسره، ولم يؤيد مكان يوند، ويروى: فإنك لا تستدرك الرأى بالمنى.

وانظر الأبيات منسوبة لبشار فى: المختار من شعر بشار ٢٠١، البيان والتبيين ٣/٢٧٠، التمثيل والمحاضرة ٧٤، مجموعة المعانى ١٧، زهر الآداب ٣/٢٣٦، الكامل ٢/٢٨٧.

(٢) ا: الشفيق، وانظر البيتين فى عيون الأخبار ١/٣٢، المختار من شعر بشار ٢٠٧.

(٣) ا: الخطير. والفطير: المعجول، وهو المعنى المناسب للسياق.

كان يقال : مَن اجتهد رأيَه وشاور صديقَه ، قَضَى ما عليه .

قال عمرو بن العاص : ما نزلتْ بى قطّ عظيمةٌ فأبرمْتُها حتى أشاورَ عشرةً من قريش مرتين[1] فإن أصبتُ كان الحظّ لى دونَهم ، وإن أخطأتُ لم أرجع على نفسى بلائمة .

قال بعضُ الأعراب :

خليلىَّ ليسَ الرأىُ فى صدرِ واحدٍ   أشيرَا عَلَىَّ اليومَ ما تَرَيانِ
أأركَبُ صعبَ الأمرِ إنَّ ذَلُولَهُ   بنجرانَ لا يُقضَى بحينِ أوانِ[2]

وأظن هذين البيتين من الأعرابى القائل :

لقد هزِئَتْ مِنِّى بنجرانَ إذ رَأَتْ   مَقَامِىَ فِى الْكَبْلَيْنِ أُمُّ أبانِ
كأنْ لم تَرَ قَبْلِى أسِيرًا مكبَّلًا   ولَا رَجُلاً يَرْمِى بِهِ الرَّجَوَانِ[2]

وقد تمثل بهذا البيت عمرُ بن الخطاب رضى الله عنه ، وكتب به إلى بعض أمرائه وقضاته .

كان يقال : أمرانِ جليلان لا يَصْلُح أحدهما إلاّ بالتفرُّد ، ولا يصلح الآخرُ إلاَّ بالتّعاون ، المُلْكُ والرَّأى ، فإن استقام الملك بالشركاء استقام الرأى بالاستبداد ، وهذا لا يكون أبداً .

(١) ساقطة من ب .
(٢) الأبيات الأربعة لطارد بن قران أحد بنى صعصعة بن مالك ، انظر معجم الشعراء ٣٠٠ ، الأمالى ٤٤/١ ، شرح حماسة أبى تمام ٧٥/١ ، ويرمى به الرجوان معناها لا يعبأ به ، وأصل الرجا الناحية ومثناها الرجوان ، والشيء الذى يلقى فى هذه الناحية ثم يلقى فى الناحية الأخرى شيء لا يعبأ به .

قال صالحُ بن عبد القدوس :

وإن بَابُ أمْرٍ عليك الْتَوَى   فَشاوِرْ لبيباً ولا تَعْصِـهِ
وإن ناصحٌ منك يوماً دَنَا   فَلاَ تَنْأَ عنهُ ولا تُقْصِهِ[1]

قال الأحنف : اضربوا الرأيَ بعضَه ببعض يتولّدُ منه الصّواب ، وتجنّبُوا منه شدةَ الحزم ، واتّهموا عقولكم ، فإن فيها نتائج الخطأ ، وذمّ العاقبة .

كان يقال : خذ الأمرَ مقبلا ، فشرُّ الرأى : الدَّبَرِىّ[2] .

قال الشاعر ، وهو القطامىّ :

وَخيرُ الأمْرِ ما استقبلتَ مِنْهُ   وليْسَ بأَن تَتَبَّعَهُ اتّباعَا[3]

قال بعض العرب :

قَبْلَ الرَّمْى يُرَاشُ السَّهْمُ

وقال سابق :

وَقبلَ أوَانِ الرَّمى تُمْلَا الـكَنَائِنُ[4]

وقال الفارسىّ : بادر الفرصة قبل أن تـكون غُصَّة ، وأنشد :

تَدَارُكُ الأمْرِ قَبْلَ نُهْبَتِهِ   أبْلَغُ فِيما تُحِبّ مِنْ دَرَكِهْ

---

(١) سبق البيتان فى ص ٢٧٨
(٢) الرأى الدبرى : الذى يسنح بعد فوات الحاجة ، وكذلك الجواب الدبرى
(٣) ديوانه ٤٠ .
(٤) التمثيل والمحاضرة ١٥٢ ، وفيه : وقبل نزول الحرب ... الخ .

قال بعضُ الحكماء : حقيق أن يُوكَّل إلى نفسه ، من أعجب برأيه .

قال عبدالملك : اللحن هُجْنَةُ(١) الشريف ، والعُجْب آفة الرأى .

قال قتيبةُ بن مسلم : مَنْ أعجب برأيه ، لم يشاور كفيا ، ولم يوات نصيحاً .

قال بُزر جمهر : أفْرَهُ الدّواب لا غنى به عن السّوط ، وأعفّ النساء لا غنى بها عن الزواج ، وأعقل الرجال لا غنى به عن المشورة .

قال عبـدُ الملك بن مروان : لِأن أُخْطِئ وقد استشرتُ أحب إلىَّ من أن أصيب من غير مشورة .

قال قتيبةُ بنُ مُسْلم : الخطأُ مع الجماعة خيرٌ من الصواب مع الفُرْقة ، وإن كانت الجماعة لا تخطىء ، والفُرْقة لا تصيب .

قال المأمونُ : ثلاثٌ لا يعدم المرء الرشـد فيهنَّ : مشاورةُ ناصح ، ومداراةُ حاسد ، والتحببُ إلى الناس .

كان عمرُ بن الخطاب رضى الله عنه يستشيرُ فى الأمر ، حتى إن كان ربما استشار المرأة ، فأبصر فى رأيها فضلا .

كان يقال : ما من قوم تمالئوا على أمرهم ، ثم شاوروا امرأة إلا تَبّر الله أمرهم .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يفلح قوم وَلّوْا أمرهم امرأة » .

كان يقال : من طلب الرُّخصة من الإخوان عند المشورة ، ومن الفقهاء عند

(١) الهجنة : العيب والنقيصة .

الشبهة ، ومن الأطباء عند المرض ، أخطأ الرَّأىَ ، وحَمَل الوِزْر ، وازداد مرضاً

قال الشاعرُ ، وأظنها لمنصور الفقيه :

إِذَا الأمرُ أشْكلَ إنفاذُهُ ... ولم تَرَ مِنْهُ سَبِيلاً فَسِيحاَ
فَشاَوِرْ بِأَمْرِكَ فِي سُتْرَةٍ ... أخاكَ اللَّبِيبَ المُحِبَّ النَّصِيحاَ
فَرُبَّتَمَا فَرَّجَ(١) النَّاصِحُون ... وأَبْدُوا مِنَ الرَّأْيِ رَأْيًا صَحِيحاَ
وَلاَ يَلْبَثُ المُستَشِيرُ الرِّجاَلَ ... إِذَا هو شاور أن يَسْتَرِيحاَ(٢)

وقال آخر :

إنَّ اللَّبِيبَ إذا تَفَرَّقَ أمْرُهُ ... فَتَقَ الأُمُورَ مُنَاظِرًا وَمُشاَوِرَا(٣)
وَأَخُو الجَهاَلةِ يَسْتَبِدُّ بِرَأْيِهِ ... فَتَراهُ يَعْتَسِفُ الأمورَ مُخاَطِرَا(٤)

وقال آخر :

وعاجزُ الرَّأْيِ مضياعٌ لِفُرْصَتِهِ ... حتَّى إذَا فَاتَ أَمْرٌ عاَتَبَ القَدَرَا(٥)

وقال آخر :

أَأَنتمْ أُناَسٌ عِظاَمٌ لَا حُلُومَ لَكُمْ ... لا تعْلَمُونَ أجاَءِ الرُّشْدُ أَمْ غاَبَا

---

(١) ا : كشف .
(٢) الأبيات فى لباب الآداب ٧٥ ، ولم تنسب لقائل .
(٣) زيادة من ب .
(٤) البيتان لمحمود الوراق ، انظر المستطرف ١/٩١ .
(٥) مجموعة المعانى ٢٥ ، العقد ١/٧٥ ، البيان ٢/٢٩١ ، من غير نسبة ، ونسب إلى يحيى بن زياد فى معجم الشعراء ٤٩٨ .

لا تبصِرُونَ وُجُوهَ الرَّأْيِ مُقْبِلَةً ... وتبصُرونَ إِذَا ولَيْنَ أَذْنَابَا[١]

قال أبو عُمر : الاستبدادُ مذموم عند جماعة الحكماء ، والمشورةُ محمودة عند غاية العلماء ، ولا أعلمُ أحداً رضى الاستبداد وحمده ، إلاَّ رجل واحد مفتون ، مخادع لمن يطلب عنده لذته فيرقب غرته ، أورجلٌ فاتك يحاول حين الغفلة ، ويرتصد الفرصة ، وكلاَ الرّجلين فاسقٌ مائق ، مثال أحدهما قول عمر بن أبي ربيعة . يخاطب من يخدعه .

لَيْتَ هِنْدًا أَنْجَزَتْنَا مَا تَعِدْ ... وَشَفَتْ أَنْفُسَنَا مِمَّا تَجِدْ

وَاستبدَّتْ مرَّةً وَاحِدَةً ... إنَّما العاجِزُ من لّا يَسْتَبِدْ[٢]

ومثال الآخر ، قول سعيد بن ثابت العنبرى الأعرابى[٣] .

إذَا هَمّ أَلْقَى بَيْنَ عينيهِ عَزْمَهُ ... وَنكّبَ عن ذِكْرِ العَوَاقِبِ جَانِبَا

ولم يستشرْ فِى رَأْيِهِ غيرَ نَفْسِهِ ... ولمْ يَرْضَ إلَّا قَائِمَ السَّيْفِ صَاحِبَا[٤]

سئل الحسنُ البصرىّ ، عن قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لا تستضيئوا بنار المشركين» . فقال : أراد لا تستشيروا المشركين فى أموركم ولا تأخذوا برأيهم .

---

(١) البيتان فى عيون الأخبار ١/٣٥ .

(٢) ديوانه ١/١١٥ .

(٣) ساقطة من ب .

(٤) مجموعة المعانى ٢٣ ، عيون الأخبار ١/١٨٨ ، حماسة أبى تمام ١/٢٥ ، الشعراء ٦٧٨ ، أمالى القالى ٢/١٧٥ ، ونسبت فى الثلاثة الأخيرة إلى سعد بن ناشب من بنى مازن بن مالك بن عمرو بن تميم .

باب كتمان السر وإفشائه

قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم : « مَنْ أَسَرَّ إلى أخيه سِرًّا لم يَحِلّ له أن يُفشِيَهُ عليه » .

قال عمرُ بن الخطاب رضى الله عنه : من كتم سره كان الخِيار بيده ، ومن عرّض نفسه للتُّهمة فلا يلومنّ من أساء الظنّ به .

قال عباسُ بن عبد المطلب لابنه عبد الله رضى الله عنهما : يا بُنيّ ! إن أمير المؤمنين يدنيك — يعنى عمرَ بن الخطاب — فاحفظْ عني ثلاثًا : لا تفشينّ له سرًّا ، ولا تغتابن عنده أحداً ، ولا يطّلعَنّ منك على كِذْبة .

قال أكثم بن صيفي : إن سِرّكَ من دمك ، فانظر أين تُريقه .

كان يقال : احفظوا أسرارَكم كما تحفظون أبصارَكم .

وكان يقال : أكثرُ ما يتم به التدبيرُ الكتمانُ .

قال قيسُ بن الخَطيم :

أَجُودُ بِمَضْمُونِ التِّلَادِ وَإِنَّنِي ... بِسِرِّكَ عَمَّنْ سَالَنِي لَضَنِينُ

وَإِنْ ضَيَّعَ الإِخْوَانُ سِرًّا فَإِنَّنِي ... كَتُومٌ لِأَسْرَارِ الخَلِيلِ أَمِينُ

يكونُ له عندى إذا ما ائْتُمِنْتُهُ ... مكانٌ بِسَوْدَاءِ الفُؤَادِ مكِينُ

إذا جَاوَزَ الإِثْنَـيْن سِرٌّ فإنَّهُ ... بنشرٍ وَإفشاء الحديث قمينُ[١]

وفى مثل هذا : إن السرّ لا يسمَّى سرًّا حتى يُسره رجلٌ [واحد][٢] إلى رجل آخر .

قال الصَّلْتَانِ العَبْدى :

وسرُّكَ ما كانَ عندَ امْرِىءٍ ... وسرُّ الثَّلاثةِ غيرُ الخَفِى[٣]

وقال سابق :

فَلاَ تُخْبِرْ بِسِرِّكَ ، كلُّ سِرٍّ ... إذا ما جَاوَزَ الإثْنَـيْنِ فَاشِى[٤]

وقال آخر :

لِـكلِّ امرىءٍ يَا أُمَّ عَمْرٍو طبيعةٌ ... وتفضيلُ ما بين الرِّجَالِ الطَّبَائِعُ

فلاَ يَسْمَعَنْ سِرِّى وَسِرَّكِ ثالثٌ ... أَلَا كلُّ سِرٍّ جَاوَزَ اثنيْن ضَائِعُ[٥]

وَكيف يُشِيعُ القلبُ سِرًّا وَفوْقَهُ ... حجابٌ ومافوق الحجابِ الأَضالِعُ[٦]

---

(١) يروى : بمضمون ، وبمكنون ، والعشير بدل الخليل ، وما ضمنته مكان ائتمنته ، ومقر بدل مكان ، وكنين بدل مكين ، وتكثير بدل إفشاء ، ونث مكان نشر .

التلاد : المال الموروث ، سوداء الفؤاد : حبة القلب ، وقين : حري خليق .

والأبيات فى الديوان ٥٥ ، ماعدا الأول فهو فى ذيل الديوان ص٨٢ ، وانظرها فى الأمالى للقالى ٢/١٧٧ ، ٢٠٢ ، لباب الآداب ٢٣ حماسة ابن الشجرى ١٤٢ ، المستطرف ١/٢٤٥ ، والبيت الأخير فى حماسة البحترى ٢٢٦ ، والكامل ٢/١٧ ، وقد نسبه فيه إلى جميل العذرى .

(٢) زيادة من ب .

(٣) يروى : وبين الثلاثة . وانظر البيت فى عيون الأخبار ١/٣٩ ، حماسة أبى تمام ٢/٥٢ ، لباب الآداب ٢٤٠ ، حماسة البحترى ٢٢٦ ونسبها هناك إلى الأشعر الجعفى .

(٤) عيون الأخبار ١/ ٣٩ ، لباب الآداب ٢٤١ .

(٥) ا : شائع .

(٦) زيادة من ب ، وقد نسبت الأبيات فى الكامل ٢/١٦ إلى جميل العذرى ، ونسبت فى معجم الشعراء ٣٢٥ إلى قيس بن حدادية الخزاعي ، وفى حماسة أبى تمام ١/٢٢٦ سماه قيس بن منقذ الخزاعى .

وذهبت طائفة إلى أن السرّ ما أسررته فى نفسك ، ولم تبده إلى أحد .

قال عمرو بن العاص : «ما استودَعْتُ رجلا سرًّا فأفشاه فلمته ، لأنى كنت به أضيق صدراً حين استودعته إياه .

وإلى هذا ذهب القائل حيث قال :

إذا ضَاقَ صَدْرُ المَرْءِ عن سِرِّ نَفْسِهِ ... فَصدْرُ الَّذِى يُسْتَوْدَعُ السِّرَّ أَضْيَقُ(١)

وأنشد الأصمعى قال : أنشدنى أعرابى :

لَا أَكتُمُ الأَسْرَارَ لَكِنْ أُبثُّهَا ... ولَا أَدَعُ الأَسْرَارَ تَقْتُلُنِى غَمًّا

وإنَّ سَخِيفَ الرَّأْىِ مَنْ بَاتَ لَيْلَهُ ... حريبًا بكِتْمَانٍ كَأَنَّ به حُمّى

وَفِى بَثِّكَ الأَسْرَارَ للقَلْبِ رَاحة ... وتكشف بالإفشاء عن قلبِكَ الْهَمَّا(٢)

وقال سُحَيم الفَقْعَسِيّ :

لَا أَكتُمُ الأَسْرَارَ لكِنْ أذيعُهَا ... ولَا أَدَعُ الأَسْرَارَ تَغْلِى عَلَى قَلْبِى

وَإِنَّ ضعيفَ العَقْلِ مَنْ بَاتَ لَيْلَهُ ... تُقَلِّبُهُ الأَسْرَارُ جنبًا إِلَى جَنْبِ(٣)

ومثله قول الآخر :

لَا تُفْشِيَنْ سِرَّكَ إلَّا إلَيْكَ ... فإنَّ لكلِّ نصيحٍ نَصِيحَا

---

(١) الكامل ٢/١٦ ، العقد الفريد ١/٧٧ ، لباب الآداب ٢٤٠ ، المستطرف ١/٢٤٥ .
(٢) محاضرات الأدباء ١/٦٠ ، مجموعة المعانى ٧١ ، عيون الأخبار ١/٤١ .
(٣) يروى : لكن أنمها ، ولا أترك الأسرار ، ويروى : وإن أحق الناس بالسخف لامرؤ . انظر الكامل ٢/١٨ ، حماسة أبى تمام ٢/٣٧١ ، المستطرف ١/٢٤٦ .

فإنِّى رَأَيتُ غُوَاةَ الرِّجَالِ لا يتركُون أديمًا صَحِيحَا[١]

وقال رجل من بنى سعد :

إذا ما ضَاقَ صَدْرُكَ عَنْ حَدِيثٍ فَأَفْشَتْهُ الرِّجَالُ فَمَنْ تَلُومُ
إذا عَاتَبْتُ مَنْ أفْشَى حَدِيثِى وسِرِّى عِنْدَهُ فَأَنَا الظَّلُومُ
وَإِنِّى حِينَ أَسْأَمُ حَمْلَ سِرِّى وَقَدْ ضَمَّنْتُه صَدْرِى[٢] سَؤُومُ
ولستُ محدِّثًا سِرِّى خليلاً ولَا عِرْسِى إذا خَطَرَتْ هُمُومُ
وَأَطْوِى السِّرَّ دُونَ النَّاسِ إنِّى لِمَا اسْتُودِعْتُ مِنْ سِرٍّ كَتُومُ[٣]

وقال المتنبى :

رِضَاكَ رِضَاىَ[٤] الَّذِى أُوثِرُ وسِرُّكَ سِرِّى فَمَا أُظْهِرُ
كَفَتْكَ الْمُرُوءَةُ ما تَتَّقِى وآمنكَ الوُدُّ ما تَحْذَرُ
وسِرُّكُمُ فِى الحَشَا مَيِّتٌ إذا انْتَشَرَ السِّرُّ لا يُنْشَرُ[٥]

وقال حارثة بن بدر الغُدَانى :

خليلَىَّ لَوْلَا حُبُّ زينَبَ لم أُسَلْ أَفِى اليَوْمِ لُقِّيتُ المَنِيَّةَ أَمْ غَدَا

---

(١) انظر البيتين فى مجموعة المعانى ٧١ ، عيون الأخبار ١/٣٩ ، لباب الآداب ٢٤٠ ، العقد الفريد ١/٧٦ ، الكامل ٢/١٥ ، حماسة البحترى ١٠٦ .
(٢) ا : سرى .
(٣) عيون الأخبار ١/٣٩ ، لباب الآداب ٢٤٣ ، ونسبه فيه إلى رجل من عبد شمس بن سعد .
(٤) ا : رضائى .
(٥) ديوانه ٢٩٢ ، ٢٩٣ ، وفيه : إذا أنشر السر ، وقد نسبت أيضا إلى أبى العتاهية . ووردت فى ديوانه ٩١ .

خليلَىَّ إنْ أُفشيتُ سِرِّى إليكُمَا فَلاَ تَجْعَلاَ سِرِّى حَدِيثًا مُبَدَّدَا
فإنْ أَنتما أفشَيْتماهُ فَلاَ رَأَتْ عيونكما يومَ الحِسَابِ مُحَمَّدَا

وقال آخر :

إذا أنت لم تحفظْ لِنَفْسِكَ سِرَّهَا فَسِرُّكَ عِندَ النَّاسِ أفْشَى وَأَضْيَعُ[(١)]

وقال ابنُ مَيَّادَة واسمه الرَّمَّاح :

يَا خليلَىَّ هَجّرَا كَىْ تَرُوحَا[(٢)] هجْتُمَاَ لِلرَّوَاحِ قَلْبًا قَرِيحَا
إنْ تَرُوحَا[(٣)] لِتَعْلَمَا سِرَّ سُعْدَى تَجِدَانِى بِسِرِّ سُعْدَى شَحِيحَا
إنَّ سُعْدَى كَمُنْيَةِ المُتَمَنِّى جَمَعتْ عِفَّةً وَوَجْهًا صَبِيحَا
كلمتنى وذَاكَ ما نلتُ منها إنَّ سُعْدَى تَرَى الكلامَ رَبِيحَا

قيل لرجل : كيف كتمانك للسر[(٤)] ؟ قال : أجحد المُخْبِر . وأحلف للمُسْتَخْبِر .

أسر رجل إلى رجل سرًّا ، فلما فرغ قال له : حفظت ؟ قال : [(٤)] لا . بل [(٤)] نسيت .

قال أبو محجن الثقفى :

قَدْ أركبُ الهَوْلَ مَسْدُولا سَتَائِرُهُ وأَكتُمُ السِّرَّ فيه ضَرْبَةُ العُنُقِ[(٥)]

---

(١) عيون الأخبار ١/ ٤٠ ، لباب الآداب ٢٤٢ . حماسة البحترى ٢٢٤ .
(٢) ا : هجرانى خروجاً .
(٣) ب : روحا .
(٤) ساقطة من ا .
(٥) ساقط من م ، وهو فى ديوانه ٢٦ ، وصدر البيت فيه : وقد أجود وما مالى بذى فنع ، والفنع : الغنى ، وانظره فى عيون الأخبار ١/ ٣٨ .

وقال مسكين الدرامى :

وإنّى امرُؤٌ مِنّى الحياءِ الّذى تَرَى ... أعِيشُ بِأخْلَاقٍ قليلٌ خِدَاعُهَا
أُوَاخِي رِجالاً لسْتُ مُطّلِعَ بَعْضِهِمْ ... عَلَى سِرِّ بَعْضٍ غَيْرَ أنّى جِمَاعُهَا
يَظلُّونَ شَتَّى فى البلاد وَسِرُّهُمْ ... إلَى صَخْرَةٍ أعْيَا الرِّجَالَ انْصِدَاعُهَا(١)

وقال آخر :

وَلَو قَدَرْتُ عَلَى نِسْيَانِ ما اشْتَمَلَتْ ... مِنّى الضُّلوعُ من الأَسْرَارِ والخَبَرِ
لَكنتُ أوّلَ مَنْ يَنْسَى سَرَائِرَهُ(٢) ... إذَا كُنْتُ مِنْ نَشْرِهَا يوماً عَلَى خَطَرِ(٣)

قال أبو الشِّيص :

ضَعِ السِّرَّ فِي صَمَّاءَ لَيْسَتْ بِصَخْرَةٍ ... صَلُودٍ كما عاينتَ من سَائِرِ الصَّخْرِ
ولـكنّها قلْبُ امرِىءٍ ذى حفيظةٍ ... يَرَى ضَيْعَةَ(٤) الأَسْرَارِ شرًّا من الشَّرِّ
يموتُ وما ماتَتْ كَرَائِمُ فِعْلِهِ ... فَيَبْلَى وَما يَبْلَى ثَنَاهُ عَلَى الدَّهْرِ

كان يقال : لا تطلعوا النّساء على سِرِّكم ، يصلح لـكم أمركم .

قال الشاعر :

خَتَمْتُ الفُؤَادَ عَلَى حُبِّهَا ... كَخَتْمِ الصَّحِيفَةِ بالخاتَمِ

---

(١) الأبيات فى مجموعة المعانى ٧١ ، الأمالى ٢/١٧٦ ، الحماسة ١/٤٧٣ ، وفيها البيت الثانى : وفتيان صدق .

(٢) ب : ضمائره .

(٣) لباب الآداب ٢٤١

(٤) ا : شيعة .

هَوَتْ بِىَ فِى حُبِّها نَظْرَةٌ هَوِىَّ الفَرَاشَةِ فِى الجَاحِمِ[١]

وقال آخر :

فإنْ تَكُ لَيْلَى حَمَّلَتْنِى أَمانَةً فلا وأَبى ليلَى إذاً لا أَخُونُهَا
حفظتُ لها السِّرَّ الّذِى كان بيننا ولا يحفظُ الأسرارَ إلا أَمينُها[٢]

كان يقال : كل شىء تكتمه عن عدوك ، فلا تُظْهِر عليه صديقك .

وقال آخر :

إذا كتم الصديقُ أخاه سِرًّا فما فضلُ الصَّدِيقِ عَلَى العَدُوِّ[٣]

وقال آخر :

وأبثثتُ عمراً بعضَ مافِى جوانحى وجَرَّعْتُهُ من مُرِّ ما أَتَجَرَّعُ
ولا بدَّ من شكوى إلى ذِى حَفِيظَةٍ إذا جعلتْ أَسْرَارُ نَفْسِى تَطَلَّعُ[٤]

وقال أبو الشيص :

لَا تَأْمَنَنَّ عَلَى سِرِّى وسِرِّكُمُ غَيْرِى وغيْرَكَ أَوْ طَىَّ القَرَاطِيسِ[٥]

وقال ابن وكيع :

إِذا كنتَ ذَا سِرٍّ تَخَافُ مِنَ العِدَا عليهِ ظُهُورًا فاطْوِهِ دونَ ذِى الوُدِّ

---

(١) ا : للجاحم .
(٢) عيون الأخبار ١/٤٢ ، الأمالى للقالى ٧١ ، وفيه : فلا وأبى أعدائها لا أخونها .
(٣) البيان ٣/٣٨٠ .
(٤) انظر البيتين فى محاضرات الأدباء ٢/٤٥ ، البيان والتبيين ٣/٣٨٠ ، من غير نسبة ، وهما لبشار بن برد ، كما فى المختار من شعره ١٤٥ ، وفيه : وأودعت عمرا .
(٥) عيون الأخبار ١/٤٢ ، شرح المختار من شعر بشار ١٥٧ .

فيأ رُبَّ خِلٍّ حَالَ عَمَّا عهدتهُ ... فظل لما قد كنتُ أوْدعته يُبْدِي

وقال شبيب بن البَرْصَاء :

وإني لأكْمُنُ السِّرَّ عندى وإن أتى ... لذلك من عَهْدِ الأمانةِ حينُ[1]

كُمُونَ النَّوَى لا يَشْعُرُ النَّاسُ أنَّهُ ... ثَوَى فِي رُفَاتِ الأَرْضِ وهو دَفِينُ

وقال آخر :

تَبُوحُ بِسِرِّكَ ضيقًا بِهِ ... وتَبغِي لسِرِّكَ مَنْ يَكْتُمُ

وكتمانُكَ السِّرَّ مِمَّنْ تَخَافُ ... ومن لَا تَخَوَّفُهُ أحزَمُ[2]

وقال آخر :

أُدَارِي خَلِيلِي مَا استَقَامَ بوُدِّهِ ... وأمْنَحُهُ وُدِّي إذا يتحبَّبُ

ولست ببادِي صاحبي بقطيعةٍ ... ولا أنا مُبْدِي سِرَّهُ حين أغْضَبُ

ومما أنشده الرِّياشي رحمه الله :

بديهتُه قبْلَ تدبيرِه ... متَى رُمْتَهُ فهْوَ مُستجْمِعُ

وفي كفّه للغنى مطلبٌ ... وللسِّرِّ فِي صَدْرِهِ مَوْضِعُ[3]

---

(١) ا : بين .

(٢) البيتان للحسين بن على بن أحمد النقيبي ، انظر معجم الأدباء ١٠/١٣٠ ، وانظرهما في لباب الآداب ٢٤٢ ، محاضرات الأدباء ١/٥٩ .

(٣) البيتان لأشجع بن عمرو السلمي ، انظر الشعر والشعراء ٥٨٩ ، وفيه : بديهته مثل تدبيره .

بابُ الحَرْبِ والشَّجَاعَةِ والجُبْن

قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم : « لا تَمَنَّوْا لِقَاءَ العَدوِّ ، وإذا لقيتموهم فاثبُتُوا » .

قال أبو بكر الصّدّيق رضى الله عنه فى كِتابه إلى خالد بن الوليد : احرصْ على الموت تُوهبْ لك الحياة : أخذه الشاعر فقال :

تأخرتُ أستبقِى الحياةَ فلم أجدْ   لِنَفْسِي حياةً مثلَ أنْ أتقَدَّمَا[1]

ومن هذا قول الخنساء :

نُهينُ النفوسَ وهونُ النُّفو   سِ عند الكَرِيهة أوقَى لَهَا[2]

قال عمرُ بن الخطاب رضى الله عنه لبعض بنى عبس : كم كنتم فى يوم كذا ؟ قال : كنا مائة ، لم نكثر فنتوا كل ونفشل ، ولم نقلّ فنذلّ . قال : فبم كنتم تظهرونّ على أعدائكم ، ولستم بأكثر منهم ؟ قال : كنا نصبرُ بعد الناس هنيهة .

قال على بن أبى طالب رضى الله عنه ، لابنه الحسن ، وقد قيل لابنه محمد : يا بنى ! لا تدعون أحداً إلى البِراز ، فإنه بَغْى[3] ، ولا يدعونَّك أحد إليه إلا أجبته .

قدم وفد على عمر بن الخطاب بفتح ، فقال : متى لقيتم عدوكم ؟ قالوا : أول

---

(١) نسب البيت فى حماسة أبى تمام ١/٦٨ إلى الحصين بن حمام المرى ، ونسبه فى الأغانى مرة إلى الحصين ١٢/٢٦٢ ، ومرة إلى شبيب بن البرصاء ١٢/٢٨١ ، ونسب فى عيون الأخبار ١/١٢٥ إلى يزيد بن المهلب بن أبى صفرة .

(٢) الديوان ٢١٥ ، شرح الحماسة للمرزوقى ١/١٣٥ ، محاضرات الأدباء ١/١٤٥ ، عيون الأخبار ١/١٢٥ .

(٣) ب : نعى ، وما أثبتناه موافق لرواية العقد [illegible] والباء [illegible] التحريف .

النهار . قال : فمتى انهزموا ؟ قالوا : آخر النهار ، فقال : إنا لله ! أوَقام الشرك للإيمان من أول النهار إلى آخره !! والله إنْ كان هذا إلاّ عن ذنب أحد ثتموه بعدى[١] ، أو أحدثته بعدكم . ولقد استعملتُ يَعْلَى بن أُمَيّة على اليمن أستنصر لكم بصلاحه .

قيل لعنترة : كم كنتم يوم الفروق[٢] ؟ قال : كنا ألفاً مثل الذهب الخالص ، ليس فينا غيرنا ، لم نكثر فنتواكل[٣] فنفشل ، ولم نقل فنذل .

لم يكن قَبيل فى العرب [٣] ألف فارس [٣] إلا ثلاث قبـــائل : مرّة وعبس وبنو الحارث بن كعب .

[٣] قال عمرُ بن الخطاب رضى الله عنه ، لعَمْرو بن مَعْدِى كَرِب [٣] : أخبرنى عن السِّلاح . قال : سلْ عما شئت . قال : الرُّمح ، قال : أخوك وربما خانك[٤] . قال : النّبل ؟ قال : منايا تخطىء وتصيب . قال : التُّرْس ، قال : ذلك المِجَنّ وعليه تدورُ الدوائر . قال : الدّرع ، قال : مَشْغَلة[٥] للرَّاجل متعبة للفارس ، وإنها لحصن حصين . قال : السيف ؟ قال : قارعتك أمُّك على الثّكل . قال عمر : بل أمُّك . قال : أخبرنى عن الحرْب ، قال : مُرَّة المذاق ، إذا قَلَصَت عن ساق ، من صَبَر لها عُرف ، ومن ضعف عنها تلف ، وهى كما قال الشاعر :

الحربُ أوّلَما تكونُ فتيَّةً[٦] تسعَى بزينتها لكلِّ جَهُولِ

(١) ب : أجرمتموه .

(٢) الفروق : موضع بديار بنى سعد ، كان فيه يوم من أيام حروب عبس وذبيان . وفى العقد ١/١١٦ ، كنا مائة بدل ألف .

(٣) ساقط من ب .

(٤) فى العقد : وربما خانك فانقصف .

(٥) فى العقد : مثقلة ، وانظر هذه المحاورة فى عيون الأخبار ١/١٢٩ وفى العقد ١/١١٦ حيث ساقها بصورة أخرى .

(٦) روى ابن الأثير المصرع الأول فى النهاية ٣/٤١٢ . وضبط فتية بضم الفاء وفتح التاء ، على التصغير . قال : ورواه بعضهم بالفتح .

حتَّى إذا اشتعلَتْ وشبَّ ضِرَامُها ... عادتْ عجوزًا غيرَ ذاتِ خُليلِ
شمطاءَ جزَّتْ رأسَها وتنكرتْ[(١)] ... مكروهةً للشَّمِّ والتقبيلِ[(٢)]

قال حذيفة بن اليمان : الفتنة تُلقَح بالنجوى ، وتُنْتَج بالشكوى . أخذ نصر بن سيار[(٣)] قول حذيفة هذا ، والله أعلم ، حين قال :

وإن الحرب أوَّلُها الكلامُ

وهى أبيات كتبها إلى مروان بن محمد :

أرى خَلَلَ الرَّمَادِ وميضَ نارٍ ... ويُوشِكُ أن يكونَ لهَا ضِرَامُ
فإن النَّارَ بالعُودَيْنِ تُذْكَى ... وإنَّ الحربَ أوَّلُهَا الكلامُ
فقلتُ من التَّعَجُّبِ ليت شِعْرِى ... أأيقاظٌ أميَّــةُ أمْ نِيَامُ[(٤)]

بلغ أبا الأغرّ[(٥)] أن أصحابه ، وقع بينهم شر ، فوجه ابنه الأغر[(٦)] ، وقال له : يا بنى كن يداً لأصحابك على من قاتلهم ، وإياك والسيف ، فإنه ظل الموت ، واتق الرمح ، فإنه رسالة المنية ، ولا تقرب السهام ، فإنها رسل لا تؤامر من يرسلها ، قال : فبم أقاتل ؟ قال : بما قال الشاعر :

---

(١) ا : تكرهت .
(٢) العقد ١/١٠٩ ، وفى هامشه أنها نسبت لامرىء القيس فى العقد الثمين من دواوين الشعراء الستة الجاهليين ، وانظرها فى الشعر والشعراء ٣٣٣ ، عيون الأخبار ١/١٢٨ ، محاضرات الأدباء ٢/٧٦ .
(٣) ا : سنان .
(٤) العقد الفريد ١/١١٠ ، وفيات الأعيان ٢/٣٢٧ ، عيون الأخبار ١/١٢٨ ، ونسبها لأعرابى يدعى أبا مهيم فى محاضرات الأدباء ٢/٧٥ .
(٥) ب : الفر ، والصحيح ما أثبتناه كما فى العقد وغيره .
(٦) ب : الآخر .

جَلاميدُ أمْلاءِ الأكُفِّ كأنَّها ... رءوس رجالٍ حُلِّقَتْ بالْمَوَاسِمِ

وهذا الشعر هو :

تُغَطِّى نُمَيْرٌ بالْعَمَائِمِ لُؤْمَهَا ... وكيف يُغَطِّى اللُّؤْمَ طَىُّ الْعَمَائِمِ

فإنْ تَضرِبُونَا بالسِّيَاطِ فإنَّنَا ... ضربناكُمُ بالْمُرْهَفَاتِ الصَّوَارِمِ

وإن تحلقُوا منَّا الرُّءوسَ فإننا ... حلقنا رءوساً باللِّحَى والغَلاَصِمِ

وإن تمنعُوا منَّا السِّلاَحَ فعِنْدَنا ... سلاَحٌ لَنَا[1] لا يُشترى بالدَّراهِمِ

جلاميدُ أمْلاءِ الأكفِّ كأنَّها ... رءوسُ رجالٍ حُلِّقَتْ بالْمَوَاسِمِ[2]

ومن أحسن ما قيل فى الصبر على الحرب قول نَهْشَل بن حَرِّى بن ضَمْرَة :

ويومٍ كأنّ الْمُصْطَلِينَ بحرِّهِ ... وإن لَم يكن نارٌ قيامٌ على الجمرْ

صبرنا له حتَّى تَقَضَّى وإنّما ... تُفَرَّجُ أيامُ الكَرِيهَةِ بالصَّبْرِ[3]

ومثله قول الآخر :

بكى صاحبى لما رأى الموتَ مُوقِناً ... مُطِلًّا كإِظْلاَلِ السَّحَابِ إذا اكْفَهَرّ

فقلتُ له : لا تبكِ عَيْنُكَ إنّما ... يكونُ غداً حسنُ الثناءِ[4] لمن صَبَرْ

فما أخَّرَ الإِحجامُ يوماً مُقَدَّمًا ... ولا عجَّلَ الإِقدامُ ما أخَّرَ القَدَرْ

---

(١) ساقطة من ا .

(٢) الأبيات لجرير ، بديوانه ٥٢٥ ، ٥٢٦ ، البيان ٣/١٢ ، العقد الفريد ١/٢١٣ ، محاضرات الأدباء ٢/٧١ ، الكامل ١/٣٤٤ ، ونسبت فى ذيل الأمالى ١١٦ ، ١١٧ ، إلى نافع بن خليفة الغنوى وانظر البيت الأخير فى عيون الأخبار ١/١٣١ وفيها : علاَن بدء أملاء .

(٣) يروى : وإن لم يكن له نار وقوف ، ويبوخ مكان تقضى . انظر البيتين فى شرح الحماسة للمرزوقى ١/٣٦٣ ، عيون الأخبار ١/١٢٨ ، العقد ١/١٢٥ . الشعر والشعراء ٦١٩ .

(٤) ب : إلينا ، والأبيات فى عيون الأخبار ١/١٥٠

ومن أحسن ما قيل فى النظم فى الصبر على الحرب[١] ، قول قَطَرِىّ بن الفُجاءَة التميمى الخارجى :

أقول لها وقد طارتْ شعاعًا ... من الأبطالِ ويحكِ لن تُرَاعِى
فإنك لو سألتِ بقاءَ يومٍ ... على الأجَلِ الذى لك لم تُطاعِى
فصبرًا فى مجال الموتِ صبرًا ... فما نيلُ الخلودِ بمُسْتَطاعِ
ولا ثوبُ البقاءِ بثوبِ عِزٍّ ... فيُطْوَى عن أخِى الْخَنْعِ اليَرَاعِ
سبيلُ الموتِ غايةُ كلِّ حىٍّ ... وداعيهِ لأهلِ الأرضِ داعِى
ومن لم يُعتَبَطْ يهرَمْ ويَسْقَمْ ... وتُسْلِمْه المَنونُ إلى انقطاعِ[٢]

وقال أصرم بن حميد :

حَرَامٌ عَلَى أرماحِنا طَعْنُ مُدْبِرٍ ... ويَنْدَقُّ قُدْمًا فى الصُّدُور صُدُورُهَا
مسلّمةٌ أعجازُ خيلِنَا فى الوَغَى ... ودامية لَبَّاتُها ونُحورُهَا[٣]

وقول الآخر :

وقد يلتقى الجمعانِ والموتُ فيهما ... فيُقْتَل من ولَّى ويَسْلَمُ مَنْ ثَبَتْ

وقد ذكرتُ فى «باب الاعتذار» أحسنَ ما قيل فى النظم ، فى الاعتذار من الفرار .

---

(١) ب : فى التحريض على القتال .

(٢) الخنع : الذل والخضوع ، واليراع : القصبة الفارغة تهتز من الريح يشبه بها الجبان ، ويعتبط : يموت شابا من غير علة ، والأبيات فى شرح الحماسة للمرزوقى ١/٩٦ ، وفيها : يسأم ويهرم بدل يهرم ويسقم ، وانظر وفيات الأعيان ٣/٢٥٢ ، لباب الآداب ٢٢٤ ، عيون الأخبار ١/١٢٦ حيث تختلف الرواية بعض الاختلاف .

(٣) يروى : وتغرق منها بدل يندق قدمًا ، ويروى صدر البيت الثانى : محرمة أكفال خيلى على القنا ، والبيتان فى العقد الفريد ١/١٠٧ ، ونسبا فى ديوان المعانى ٣٧ إلى أبى تمام .

ومن أحسن ما قيل فى الإنصاف فى صفة الحرب ، واللّقاء والصّدق فى ذلك ، قول عبد الشَّارق بن عبد العزّى الجُهَنى :

تنادَوْا يَالَ بُهْثَةَ يَوْمَ صَبْرٍ[١] فقلنا : أَحْسِنِى ضَرْبًا جُهَيْنَ
سمعنا دعوةً عن ظهر غيبٍ فجُلْنا جولةً ثم ارْعَوَيْنا
فلما أنْ تواقفْنا قليلاً أنخْنا للكَلاَكلِ فارتَمَيْنا[٢]
ولما لم نَدَعْ قَوْسًا وسَهْمًا مشينَا نَحْوَهُم ومَشَوْا إليْنا
تَلأْلُؤَ مُزْنَةٍ بَرَقَتْ لأُخْرَى إذا جاءوا بأسيافٍ رَدَيْنا[٣]
شددْنَا شَدَّةً فقتلتُ منهم ثلاثةَ فتـــيةٍ وقتلتُ قَيْنا
وشدُّوا شَدَّةً أُخرى فجَرُّوا بأرجلِ مِثْلِهِمْ وَرَمَوْا جُوَيْنا
وكان أخِى جُوَيْنٌ ذَا حِفَاظٍ وكانَ القَتْلُ للفِتيان زَيْنا
فآبُوا بالرِّماح مُكَسَّرَاتٍ وأُبْنَا بالسُّيوفِ قد انْحَنَيْنا
فباتوا بالصَّعيد لهم أُحَاحٌ ولوخَفَّتْ لنَا الكَلْمَى سَرَيْنا[٤]

(١) ى ا ، م : يا لهيبة قوم صبر ، وفى حماسة أبي تمام : يا لبهثة إذ رأونا ، ورواية حماسة البحتري : يا لبهثة إذ لقونا ، فقالوا أحسنى .

(٢) ب : فارقينا .

(٣) ا : وجينا .

(٤) آل بهثة : قبيلة العدو ، وارعوينا : تراجعنا ، وردينا : سرنا بخطو فوق الحجلان . ورواية حماسة أبى تمام لهذه الشطرة : إذا حجلوا بأسياف ردينا ، فالحجلان : تقارب الخطو كمشى المقيد ، والرديان : مشية فوق الحجلان ، وقتلت قينا : أى فارسهم المدعو قين ، أو هو عبد من عبيدهم ، والأحاح : الغيظ وحزازة الهم . والكلمى : الجرحى . وانظر الأبيات فى حماسة أبي تمام ١٧٧/١ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ، وقد نسبت في حماسة البحتري ٦١ إلى سلامة بن الخجاج .

وقال العُدَيْلُ[١] العِجْلى :

إذا ما حَمَلْنا حملةً ثَبَتُوا لنا بمُرْهَفَةٍ تفرى السَّوَاعِدَ من بُعْدِ
وإنْ نحنُ نازَلْناهُمُ بصوارمٍ رَدَوْا فى سَرَابِيلِ الحديدِ كما نَرْدِى[٢]

وقال آخر :

نَصِلُ السُّيوفَ إذا قَصُرْنَ بِخَطْوِنا قُدُمًا ونُلْحِقُها إذا لم تَلْحَقِ[٣]

وقال آخر :

إنَّ الرِّماحَ نَصِيرةٌ بالجاسِرِ

وقال آخر :

وَقلتُ لنفسِي إنَّما هو عامرٌ فلا تَرْهَبِيهِ وَانظُرِى أَيْنَ يَرْكبُ[٤]

قال قَطَرِىُّ بن الفُجاءَة :

لا يركَنَنْ أحدٌ إلى الإِحْجَامِ يَوْمَ الوَغَى مُتَخَوِّفًا لِحِمَامِ
فلقد أَرَانِى للرِّماحِ دَرِيئَةً مِنْ عَنْ يَمِينِى مرَّةً وَأَمَامِى
حتَّى خَضَبْتُ بما تحدَّرَ من دَمِى أحناءَ سَرْجِى بل عِنانَ لِجامِى

---

(١) ب : الهذيل ، وهو تحريف ، فهو العديل بن الفرخ العجلى، شاعر إسلامى أموى يلقب بالعباب من رهط أبى النجم العجلى ، انظر حماسة أبى تمام ١/٣١١ .

(٢) فى الحماسة : مثلوا بدل ثبتوا ، وتذرى مكان تفرى ، وصعد بدل بعد ، ومعنى ردوا فى سرابيل الخ : هرولوا إلينا كما نهرول إليهم . وانظر البيتين فى حماسة أبى تمام ١/٣١١ .

(٣) نسب البيت فى حماسة أبى تمام ١/١٠٦ ، ١٢٤ إلى بشير بن عبد الرحمن بن كعب ، ونسب فى الأغانى ١٥/٣٠ ، الشعر والشعراء ٣٤٢ ، الكامل ١/٦٨ إلى كعب بن مالك الأنصارى ، وانظره فى البيان ٢/٢٣ من غير نسبة .

(٤) البيت لمكرز بن حفص القرشي ، انظره في حماسة البحترى ١٢ ، والرواية هناك : وانظرى أى مركب .

ثم انصرفتُ وَقد أصبتُ وَلم أُصَبْ   جَذَعَ البَصِيرَةِ قارِحَ الإقْدَامِ[١]

قال عمر بن الخطاب : الجُرأة والجبن غرائز يضعها الله حيث يشاء ، فالجبان يفر عن أهله وولده ، والجرىء يقاتل عمن لا يؤوب به إلى رحله .

ومن شعر لأبى يَعْقُوب الخُرَيمى :

يَفِرُّ جبان القومِ عَنْ عِرْسِ نَفْسِهِ   وَيَحْمِي شُجَاعُ القَوْمِ مَن لّا يُنَاسِبُهْ

وَيُرْزَقُ مَعْرُوفَ الجوادِ عَدُوُّهُ   وَيُحْرَمُ معروفَ البخيلِ أَقَارِبُهْ[٢]

وقال قَطَرِىّ بن الفُجَاءَة :

يا رُبَّ ظِلِّ عُقَابٍ قد وَقَيْتُ بِهَا   مُهْرِى من الشَّمْسِ وَالأبطالُ تَجْتَلِد

وَربَّ يومٍ حِمًى أرْعَيْت عَقْوَتَهُ   خيلى اقتساراً وَأطرافُ القَنَا قِصَدُ

وَيومِ لَهْوٍ لأهلِ الخفض ظلَّ بِهِ   لَهْوِى اصطلاءَ الوَغَى أو نارُهُ تَقِدُ

مُشَهَّرًا موقفي وَالحربُ كاشِفَةٌ   عنها القِنَاعَ وَبحرُ الموت مُطَّرِدُ

وَربَّ هاجرةٍ تَغْلى مَرَاجِلُهَا   مَخَرْتُهَا بِمَطَايا غَارَةٍ تَخِدُ

تجْتَابُ أودية الأفْزَاعِ آمنةً   كأنّها أسدٌ يقتادُها أَسَدُ

فإن أمُتْ حَتْفَ أنفي لا أمُتْ كمداً   على الطِّعَانِ وَقصرُ العاجزِ الكَمَدُ[٣]

---

(١) شرح الأبيات : الدريئة : الهدف ، أو الحلقة التى يتعلم عليها الطعن . والأحناء : الجوانب ، ويروى بدلها الأكناف ، وجذع البصيرة : فتى الاستبصار ، أى وأنا على بصيرتى الأولى ، وقارح الإقدام ، متناه فى الجرأة . والأبيات فى شرح الحماسة للمرزوقى ١/١٣٠، والحماسة طبعة بيروت ١/٤٤ ، الأمالى للقالى ٢/١٩٠ .

(٢) فى عيون الأخبار ١/١٧٢ : عن أم رأسه ، وفى العقد الفريد ١/١٦٣ : عن أبيه وأمه ، وفى محاضرات الأدباء ١/١٣١ ، ٢/٥٧ : عن أم نفسه .

(٣) العقاب : طائر ، وتجتلد : تتقاتل ، والعقوة : شجر ، وقصد : قاطعة أو متكسرة من الطعان ، مخرتها : قطعتها ، ويروى مكان مخرتها : نجزتها . وتخد : تسير سيراً حثيثاً ، وقصر : أى حسب . والأبيات فى شرح الحماسة للمرزوقي ١/١٣٢ ، لباب الآداب ٢٢٥ ، الأمالي ١/٢٦٥ .

وقالت الخنساء :

وَمن ظنّ مِمَّنْ يُلَاقِى الحُرُوبَ   بألّا يُصابَ فقد ظَنَّ عَجْزَا(١)

وقال حبيب الطائى :

وَدنَوْنا وَدَنَوْا حتَّى إِذَا   أمكنَ الضَّربُ فمن شاءَ ضَرَبْ
تركوا القاعَ لنا إذْ كَرِهُوا   غمراتِ الموتِ وَاختارُوا الهرَبْ(٢)

وقال دُرَيْدُ بن الصِّمَّة ، ويقال : إنها لعَمْرِو بن مَعْدِى كَرِب :

أعاذلُ إِنَّما أفْنَى شَبَابِى   رُكُوبِى فى الصَّرِيخِ إلى المُنَادِى
مع الفِتْيَانِ حتَّى سُلَّ جِسْمِى   وَأقرحَ عاتِقِى حَمْلُ النّجادِ(٣)

وقال آخر :

قوم إذا اشْتَجَرَ القَنَا   جَعَلُوا القُلُوب لهاَ مَساَلِكْ
اللَّابِسِين قُلُوبَهُمْ   فوقَ الدُّرُوعِ لِدَفعِ(٤) ذَلِكْ(٥)

ومن أحسن ما قيل فى صفة(٦) الطعن ، قول الحارث بن حِلِّزَة :

فرددْنَاهُمُ بضربٍ كما يَخْ   رُجُ من جرْيَةِ المَزَادِ المَاءُ
وَفعلنا بهم كما عَلِمَ اللّـ   ـهُ وَمَا إنْ للخائنين دِمَاءُ

---

(١) الديوان ١٤٦.

(٢) الديوان ٢١١.

(٣) ب : سل عظمى . والبيتان فى عيون الأخبار ١/١٣٣ ، العقد الفريد ١/١٤٤ ، ١٤٢ ، وفيه : إجابتى الصريخ ، وانظر البيت الأول فى معجم الشعراء ٢٠٩ .

(٤) ا : لوقع .

(٥) البيتان فى أمالى القالى ١/٦٥ .

(٦) ب : صحه .

وقال الفِنْدُ الزِّمَّانِي[١] :

وطعنٍ كفمِ الزِّقِّ غَـــذَا وَالزِّقُّ مَلْآنُ

وقال آخر :

وَمِثلِكَ قد كسرتُ الرُّمْحَ فيه فآبَ بِدائِهِ وَشفيتُ دائِي

وقالت بنت المنذر بن ماء السماء[٢] :

وقالوا : فارسُ الهيجاءِ ، قُلْنا : كذاكَ الرُّمْحُ يَكْلَفُ بالكَرِيمِ

وقال آخر :

ضممتُ إليه بالقَنَاةِ قميصَهُ فخرَّ صريعًا لليَدَيْنِ وَللفَمِ[٣]

وقال عنترة :

فشككتُ بالرُّمحِ الطويلِ ثيابَهُ ليسَ الكريمُ على القَنَا بمحرَّمِ[٤]

وقال آخر :

صراعنا طريفاً بأرماحنا ولا تأكل الحَرْبُ إلاّ السّمِينَا

---

(١) اسمه شهل بن شيبان بن ربيعة بن زمان الحنفى ، كان سيد بكر بنى وائل وقائدها وفارسها وسمى الفند لعظم خلقته ، تشبيها بفند الجبل أى القطعة منه ، مات نحو سنه ٧٠ قبل الهجرة ، والبيت مع أبيات أخرى فى حماسة أبى تمام ١٦/١ ، حماسة البحترى ٧٥ وفيها : «وهى» مكان غذا ، والأمالى للقالى ٢٦٠/١ . والزق : وعاء الخمر ، وغذا : سال .

(٢) فى الحماسة أن قائلته هى بنت فروة بن مسعود من شعر قالته فى رثاء أبيها فروة وعمها قيس ابن مسعود وكانا قتلا مع المنذر ذى القرنين يوم عين أباغ ، والمنذر هو ابن امرىء القيس وأمه ماء السماء النمرية ، ورواية الحماسة للبيت : وقالوا ماجداً منكم قتلنا كذاك ... الخ ، انظر حماسه أبى تمام ٢٧١/١ .

(٣) البيت لربيعة بن مكدم ، الكامل ١٧١/٢ .

(٤) ديوانه ٢٦ ، جمهرة أشعار العرب ٩٧ .

وقالَ عليُّ بنُ محمد[١] العلوى ، المعروف بالمُبَرْقِعِ[٢] ، صاحب الزَّنْج :

يَنْثنى الصَّارِمُ المُهَنَّدُ وَالرُّمْـ ... ـحُ الرُّدَيْنِيُّ وَالشُّجَاعُ الجَرِىُّ
حيثُ لا أَنْثَنِي وَلا يَتَثَنَّى ... بِيَدِى صارمٌ وَلا سَمْهَرِىُّ
مَن رآنى فقد رَأى مَشْرَفِيًّا ... ماضياً[٣] فى يَمِينه مَشْرَفِىُّ
شأنِىَ الفارسُ المدجَّجُ فى النَّقْـ ... ـعِ إذا نَازَلَ الـكَمِىَّ الـكَمِىُّ
وَرأيتُ الفَضاَءَ أضْيَقَ ما يُسْـ ... ـعَى به حتى كأنَّه مَطْوِىُّ
يا ابنةَ العمِّ أوقدى النَّار فى اللَّيـ ... ـلِ فإنِّى لـكل آتٍ أتِىُّ[٤]
أُكْرِمُ الضيفَ ما استَطَعْتُ لأنِّى ... مطعمى حاضرٌ وكأسِى روىُّ
كيف لا تُزْهِقُ النفوسُ لشَخْصِى ... حِينَ أغشى الوغى[٥] وَجَدِّى عَلِىُّ
ذو التُّقَى والنُّبْلِ وَذو العِلْمِ والحِلْـ ... ـمِ ومن خيرِ طينة والوَصِىُّ
والَّذِى قَالَ إنَّه اليَوْمَ مِنِّى ... مثلُ هارُونَ من أخيه النَّبِىُّ

وقال عبيدة بن هلال :

يَهْوِى وتَرْفَعُه الرِّماحُ كأنه ... شِلْوٌ تَنَشَّبَ فى مَخالبِ ضارِ

---

(١) فى ا : على بن أحمد وهو خطأ ، فهو على بن محمد الورزنينى العلوى ، الملقب بصاحب الزنج ، من كبار أصحاب الفتن فى العهد العباسى ، ظهر فى أيام المهتدى بالله العباسى سنة ٢٥٥ هـ ، والتف حوله سودان أهل البصرة ورعاعها ، حتى بلغ جيشه ٣٠٠ ألف مقاتل ، وعجز عن قتاله الخلفاء حتى استطاع الموفق بالله فى أيام المعتمد سنة ٢٧٠هـ أن يقتله . انظر الطبرى ١١/١٧٤ ، الأعلام ٥/١٤٠ .

(٢) زيادة فى ا فقط ، وليس هذا اللقب له بل هو لثائر آخر .

(٣) ساقط من ب .

(٤) ا : آب أبى .

(٥) ساقطة من ب .

فيُرى صَرِيعاً وَالرّماح تنوشُه   إن السَّرَاةَ قصـــيرة الأعمارِ

وقال مهلهل :

لَمْ يُطيقُوا أن ينزلُوا ونَزلْنَا   وأخو الحَرْبِ مَن أَطَاق النُّزُولَا[١]

وقال [٢] ابن مقروم [٢] الضبي :

ودَعَوْا نَزَالِ فـكنتُ أولَ نازلٍ   وعَلَامَ أَرْكَبُهُ إذا لم أنْزِلِ

وقال أعشى همدان :

أبلغ يزيدَ بنى شيبانَ مَأْلُــكَةً   أَنَّ الـكتائبَ لا يُهزَمْنَ بالـكُتُبِ

إنّ الوعيدَ بظهرِ الغيب مَعْجَزَةٌ   فإنْ أردتَ قتالَ القومِ فاقتربِ

من ها هنا والله أعلم أخذ حبيب :

السيفُ أصدقُ أنباءً من الـكُتُبِ   فى حدِّه الحدُّ بين الجِدِّ واللَّعِبِ[٣]

وقال آخر :

وَخارجٍ أخرجَهُ حبُّ الطَّمَعْ   فرَّ من الموتِ وَفى الموتِ وَقَعْ

من كان يَهْوَى أهلَهُ فلا رَجَعْ[٤]

---

(١) ب : النزالا ، والبيت فى محاضرات الأدباء ٢/٥٧ .

(٢) ساقط من ا ، وابن مقروم هو ربيعة بن مقروم الضبى ، شاعر مخضرم شهد القادسية وجلولاء أيام عمر ، ويعد من شعراء مضر المجيدين . والبيت فى عيون الأخبار ١/١٢٦ ، حماسة أبى تمام ١/٢٣ ، ويروى : أركبها بدل أركبه .

(٣) البيت فى ديوانه ٤٥ .

(٤) الشعر والشعراء ٧٥٣ ، العقد الفريد ١/١٦٩ ، عيون الأخبار ١/١٨٣ وفيه : من كان ينوى أهله... الخ .

قال السموءل بن عادياء اليهودى :

يقرِّبُ حبُّ الموتِ آجالَنا لنا وتكرَهُهُ آجالُهُم فتَطُولُ[١]

كان معاوية رضى الله عنه يتمثل بهذين البيتين :

كأنّ الجبانَ يَرَى أنه سيُقتلُ قبل انقضاءِ الأَجَلْ

وقد تُدْرِكُ الحادثاتُ الجبانَ ويسلم منها الشُّجاعُ البَطَلْ[٢]

أشـــعار الجبناء

قال أيمن بن خُرَيْم :

إنّ للفتنةِ ميلاً بَيِّنًا فرُوَيْدَ الميلَ مِنْها يَعْتَدِلْ

فإذا كان عطاءٌ فأَقِمْ[٣] وإذا كان قتال فاعتزِلْ

إنَّما يُسْعِرها جهالُها حطبَ النَّارِ فدعْها تشتَعِلْ[٤]

وقال آخر :

أضحت تشجِّعُنِى هندٌ وقد علمتْ أنّ الشَّجاعة مقرونٌ بها العَطَبُ[٥]

للحرب قوم أضل الله سعيَهُمُ إذا دعتْهُمْ إلى نيرانِهـــــا وَثَبُوا

(١) حماسة أبى تمام ١/٣٨ ، البيان ٣/٣٨١ .
(٢) عيون الأخبار ١/١٦٥ .
(٣) ب : فأتهم .
(٤) الأبيات فى العقد الفريد ١/١٦٧ ، نهاية الأرب ٣/٧١ ، عيون الأخبار ١/١٦٣ ، وفيها كلها : ميطا بدل ميل وهما بمعنى ، وفى العقد فانتهز بدل أقم ، وفى عيون الأخبار فأتهم ، وهى موافقة للنسخة ب.
(٥) ساقط من ا ، وفى العيون فقلت لها إن الشجاعة ، وفيها : إلى حوباتها بدل نيرانها .

وَلستُ منهمْ ولا أُبغى فعالَهُمُ ... لا القتلُ يعجِبُنى منهم ولا السَّلَبُ[١]

لا وَالذى جعل الفِرْدَوْسَ جنَّته[٢] ... ما يشتهى الموتَ عندى من له أربُ[٢]

وقال أبو الغمر المدنى كاتب الحسن بن زيد :

قَدْ هَانَ عِنْدِى لِسانُ العَارِ والعذلِ ... فلسْتُ آنفُ من جُبْنٍ ولا فَشَلِ

إنِّى بخلتُ بنفسٍ لا يُجَادُ بهـــا ... وَلستُ بالمالِ أفْديها من البَخَلِ

هيهاتَ تأبَى لِيَ التغْرِيرَ فَلسَفَةٌ ... تَرَى حُضُورَ الوَغَى من أكثر الزَّلَلِ

متى رأيتَ شجاعاً مات بالأجَلِ ... ونال من لَذَّةِ الدُّنْيَا مَدَى الأَمَلِ

كأنَّ آجالَ شُجْعان الوَرَى خُلِقَت[٤] ... فى أنفس البيضِ والخَطِّيَّةِ الذُّبُلِ[٥]

وقال أيضاً :

إنى أضنّ بنفسٍ لا يُجـــاد بها ... وَالجودُ بالنّفْس أقْصَى غاية السَّرَفِ

ما أبعَدَ القتلَ من نفسِ الجبان وما ... أحلَّه بالفَتَى الحامِي عن الشَّرَفِ[٦]

وقال أيمن بن خُرَيم :

يقول لِيَ الأميرُ وقد رآنى ... تقدَّمْ حين جدَّ بنا المِرَاسُ

---

(١) ب : لا الجد يعجبنى منها ولا اللعب .

(٢) فى العقد : لا والذى منع الأبصار رؤيته ، وفى العيون : لا والذى حجت الأنصار كعبته .

(٣) الأبيات لأبى الغمر محمد بن أبى حمزة الطهوى ، انظرها فى عيون الأخبار ١/١٦٤ ، العقد الفريد ١/١٦٦ ، مجموعة المعانى ٤٤ ، محاضرات الأدباء ٢/٦٢ ، ٧٩ .

(٤) ب : جعلت .

(٥) المحاسن والمساوىء ٢/٢٤٥ .

(٦) معجم الشعراء ٢٦٩ ، وفيه : إنى بخلت .. الخ .

فمالى إن أَطَعْتُك غير نفسِى … ومالى غير هذا الراسِ رَاسُ[١]

وقال الهذلى يصف جبانا :

تَحُولُ قُشَعْرِيرَاتُه[٢] دُونَ لَوْنِهِ … فرائصُه من خيفةِ المَوْتِ تُرْعَدُ[٣]

وقال آخر :

وَكتيبةٍ لَبَّسْتُهَا بكتيبةٍ … حتَّى إذا التَبَسَتْ نَفَضْتُ لهَا يَدِى

فتركتُهُمْ تَقِصُ الرِّماحُ ظهورَهُمْ … من بين مُنْجَدِلٍ وآخَرَ مُسْنَدِ

ما كان ينفعُنِى مَقَالُ نِسَائِهِمْ … ـ وقُتِلْتُ دونَ رجالهم ـ لَاتَبْعَدِ[٤]

وروينا أن مروان بن الحكم، دعا أيمن بن خُرَيم إلى القتال بمرج راهط، فقال له : إن أبى وَعمى شهداء بدر، وَعهدا إلىَّ ألا أقاتل مسلما، ثم أنشأ يقول :

وَلستُ بقاتلٍ رَجُلاً يُصَلِّى … على سُلْطَانِ آخَرَ مِنْ قُرَيْشِ

له سُلْطَانُهُ وعَلَىَّ إِثْمِى … معاذَ اللهِ من سَفَهٍ وَطَيْشِ

أأقتلُ مسلماً فى غير جُرْمٍ … فلستُ بنافِعِي ما عشتُ عَيْشِى[٥]

---

(١) فى الكامل أنهما لحبيب بن المهلب بن أبى صفرة، وقيل إنهما للأعور الشنى، وقد وردا فى حماسة أبى تمام ٢/٣٦٥ بغير نسبة، وفيها : بغير جرم مكان وقد رآنى، ومن حياة مكان غير نفسى، وفى محاضرات الأدباء ٢/٧٩ : بغير نصح . وفى مجموعة المعانى ٤٣ : بغير علم .

(٢) ب : تشعر برأته .

(٣) البيت لساعدة بن جؤية الهذلى، ديوان الهذليين ٢/٢١٨ .

(٤) يروى : من بين منعفر الجبين ومسند، ومن بين مقتول، ويروى: هل كان بدل ما كان، وهل ينفعنى أن تقول نساؤهم ... الخ . ومعنى نفضت لها يدى أى أعرضت عنها، وتقص : تكسر، ومنجدل : مقتول . والأبيات للفرار السلمى (حيان بن الحكم) كما فى حماسه أبى تمام ١/٦٥، عيون الأخبار ١/١٠٤، وانظرها أيضاً فى حماسة البحترى ٥٠، العقد الفريد ١/١٦٤، محاضرات الأدباء ٢/٧٩ .

(٥) الشعر والشعراء ٥٢٧ .

وقد روى أن هذه القصة جرت لأيمن بن خُرَيم مع عبد الملك بن مروان .

وَلأبي الغمر كاتب الحَسن بن زيد أمير المدينة :

لستُ غَدَاةَ الكرِّ بالكرَّارِ ولا عَلَى الطِّعَانِ بالصَّبَّارِ
هانت عَلَيَّ سَبَلَاتُ العَارِ وما أبالى قبلوا اعْتِذَارِى
أو وَسَمُونى سِمَةَ الغَدَّارِ(١) أنا طليق الرَّكْضِ والفِرَارِ
فديتُ نَفْسِى منه بالإضْمارِ فلَوْ تَرَانِى أو تَرَى إحْضَارِى(٢)
لا أعرفُ اللَّيْلَ من النَّهَارِ لخلْتَنِي عَجْلَانَ ذا انْشِمارِ(٣)
طِرْفاً(٤) نجا من وَخزَةِ البيطَارِ أُحْكِمَ منه الصُّنْعُ فى المِضْمَارِ
أو عَدْوَ عَيرٍ غَيْرَ ما عِثَارِ أو كنَجاءِ النِّقْنِقِ الطَّيَّارِ(٥)

قيل لأسلم بن زُرعة : إن انهزمت من أصحاب مرداس غضب عليك الأمير عبيد الله بن زياد فقال : لأن يغضب عَلَيَّ وأنا حيّ ، أحب إلىَّ من أن يرضى عنى وأنا ميت .

وأسلمُ بن زُرْعة هذا هو القائل(٦) ، وَقد عبأ جيشاً عظيما ليفزع به الخوارج ،

---

(١) ب : الفرار . (٢) ب : إحصار .
(٣) ب : إنسار . (٤) ب : طربا .
(٥) شرح الكلمات : السبلات : جمع سبل بالتحريك ، وهو السب والشتم ، والإضمار : إعطاء الفرس القوت بعد السمن لتهزل وتستطيع دخول السباق . والإحضار : ارتفاع الفرس فى العدو ، وانشمر : مر جاداً فى عمله ، والطرف : الفرس الكريم ، والبيطار : معالج الدواب ، والمضمار : موضع إضمار الخيل ، والنقنق : الظليم ، أو النافر أو الخفيف .
(٦) ب : يقول .

فلما رآهم لم يفزعوا ، وَجعلوا يقبلون إليه ، قال لهم : عزمتم [١] خارَ اللهُ لنا وَلكُم ، ثم ضرب وجوه أصحابه وانصرف عنهم ، ولما هزمه مِرْدَاس قال شاعرهم — وكانوا أربعين — وَأسلم بن زُرْعة فى ألفين :

أألْفَا مُؤْمِنٍ منكمْ زَعَمْتُمْ ... وَيَهْزِمُهُمْ رجالٌ أرْبَعُونَا

كَذبْتُمْ لَيْسَ ذلكمُ كَذَاكُمْ ... وَلكنَّ الخَوَارِجَ مُؤْمِنُونَا

هُمُ الفِئَةُ القليلةُ قد عَلِمْتُمْ ... على الفِئَةِ الكثيرةِ يُنْصَرُونَا [٢]

وَجه أبو جعفر المنصور ، رَوْحَ بن حاتم إلى قتال بعض الخوارج ، فلقيه أبو دلامة ، فقال له روح : يا أبا دلامة ! لو خرجت معنا فى هذا الوجه ، فقاتلت فأبليت ، فذكرت بالشجاعة كما ذكرت بالشعر ، فضحك ، وَقال : اسمع أبا خالد ، قال : هات ، فأنشأ يقول :

إنِّى أعوذُ برَوْحٍ أن يُقرِّبَنِي ... إلى القِتَالِ فيَشْقَى بي [٣] بنُو أسَدِ

إن الدُّنُوَّ من الأعْدَاءِ تَعلَمُهُ ... مما يفرِّقُ بينَ الروحِ وَالجسَدِ [٤]

قال : فضحك وَأمر له بجائزة .

وَقال أبو الغَمْر :

ظلَّتْ تُشَجِّعُنِي ضَلًّا بتضْلِيلِ [٥] ... وَللشَّجَاعَةِ خَطْبٌ غيرُ مَجْهُولِ

---

(١) ساقطة من ا .

(٢) الأبيات لعيسى بن فاتك الخطمى ، أحد بنى تيم الله بن ثعلبة ، كما فى الكامل ٢/١٨٥ ، وفى العقد الفريد ١/١٧٣ ورد البيت الأول : أألفاً مؤمن لستم كذاكم ولكن الخوارج ... الخ ، وفيه : غير شك بدل قد علمتم . وانظر عيون الأخبار ١/١٦٣ وفيها : بآسك أربعونا .

(٣) ب : فيسفو الى .

(٤) البيتان فى نهاية الأرب ٤/٤٢ ، وفيه : فتخزى بى بنو أسد ، وانظر معجم الأدباء ١١/١٦٧ :

(٥) ب : ظلا تظلل تحريف ، وضلا بتضليل دعاء عليها بالضلال .

هل غير أَنْ عَذَلُونِي أَنَّنِي فَشِلٌ ... فَكُلُّ هَذَا نَمْ فاغْروا بِتَعْذِيلِي

الحربُ تُعْقِبُ من يَصْلَى بِهاحَزَنًا[1] ... يُتْمَ البنِين وَإرمالَ[2] المثاكِيلِ

وَاللهِ لو أَنَّ جبريلاً تَكَفَّلَ لِي ... بالنَّصْرِ خفتُ على عِلمِي بِجِبْرِيلِ

اللهُ خلَّصَنِي منهم وَفلْسَفَتِي ... حتَّى تخلصتُ مَخضُوبَ السَّرَاوِيلِ[3]

وَله أيضاً :

لستُ بداءِ الحربِ بوقَّافِ ... وَلا على القِرْنِ بعَطَّافِ

قد أَمَّنَ اللهُ عَدُوِّى فما ... يَخافُ أَرْمَاحِي وَأَسْيَافِي

إذا رأيتُ الحَرْبَ من فَرْسَخٍ ... خَذْرَفْتُ رِجلى أىَّ خِذْرَافِ[4]

(١) ب : جربا .
(٢) ا : آ.ال .
(٣) المحاسن والمساوى، ٢/١٤٤ ، ١٤٥ .
(٤) الخذروف : السريع الجرى ، وانظر الأبيات فى المحاسن والمساوى، ٢/١٤٥ ،

باب الاعتـــذار

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « مَن اعْتَذر إليه أَخُوه المسلمُ فلْيَتَقَبَلْ عذره ، مالم يعلمْ كذبه » .

قال عمرُ بنُ الخطّاب : لا تَلُمْ أخاكَ على ما يكون العُذْرُ فى مثله .

قال الأحنفُ : إيّاكَ وما يُعْتَذَر منه ، فإنّه قَلّما اعتذر أحدٌ فسلم من الـكذب .

قال الحسن بن علىّ رضى الله عنهما : لو أنّ رجلا شتمنى فى أذنى هذه ، واعتذر إلى فى أذنى هذه لقبلت عذره .

ومن النظم فى معناه :

قِيلَ لى قَدْ أسَا إليك فُلَانٌ وقُعُودُ الفَتَى عَلَى الضَّيْمِ عَارُ
قلتُ : قد جَاءنَا فأحْدَثَ عُذْرًا دِيَةُ الذَّنْبِ عِنْدَنَا الاعْتِذَارُ

وقال الأحنف : إذا اعْتَذَرَ إليك معتذر ، فلتلْقَه بالبِشر .

اعتذر إلى قتيبةَ بنِ مُسْلِم رجل فقبل منه ، ثم قال : لا يَدْعُوَنَّكَ أمرٌ قد تخلصت منه إلى الدخول فيما لعلّك لا تتخلص منه .

قال صالح بن أبى النجم :

ولَرُبَّما جَاءَ الفَتَى بِدَنِيَّةٍ وَوَرَاءَهَا عُذْرٌ لَهُ لَمْ يُفْهَمِ

وكان يقال : اعتذار يمنع خير من وعد ممطول .

وقال صالح بن عبد القدوس :

يَلومُنِي النَّاسُ فِيماَ لَوْ أُخبِّرُهُمْ بِالعُذرِ مِنِّى فِيهِ لَمْ يَلُومُونى

قال البحترى :

اقبَل مَعاذِيرَ مَنْ يَأْتِيكَ مُعْتَذِرًا إِنْ بَرَّ عِنْدَكَ فِيما قَالَ أَوْ فَجَرَا
فقد أطاعك من يرضيك ظاهره وقد أجلك من يعصيك مستترا[1]

وله أيضاً :

إذا مَحَاسِنِىَ اللَّاتى أُدِلُّ بهـا عُدَّتْ ذُنُوبِى فَقُلْ لِى كَيْفَ أَعْتَذِرُ؟[2]

وقال محمودُ بن داود القِياسى :

العُذْرُ يَلحَقُهُ التَّخْوِيفُ[3] والـكَذِبُ وَلَيْسَ فى غَيْرِ ما يُرْضِيكَ لِى أَرَبُ
فإنْ أسأتُ فَبِالنُّعْمَى الَّتِي سَلَفَتْ لَمَّا مُنِيتُ بِعَفْوٍ مَالَهُ سَبَبُ

وقال أبو على البصير :

لَمْ أَجْنِ ذَنْباً فإنْ زَعَمْتَ بِأَنْ جَنَيْتُ ذَنْباً فَغَيْرُ مُعْتَمِدِ
قَدْ تَطْرِفُ الْكَفُّ عَيْنَ صاحِبِهَا فَلا يَرَى قَطْعَهَا مِنَ الرَّشَدِ[4]

---

(١) البيتان فى ديوانه ١/٥٨ .
(٢) ديوانه ١/٦٣ .
(٣) ب : التحريف .
(٤) نهاية الأرب ٢/١١٥ .

وقال عليُّ بن الجَهْم :

إنَّ ذُلَّ السُّؤَالِ والإعْتِذَارِ خطَّةٌ صَعْبَةٌ عَلَى الأَحْرَارِ
لَيْسَ جَهْلاً بِهَا تَوَرَّطَهَا الحُــرُّ ولـكنْ سَوَابِقُ الأقْدَارِ
ارضَ للسَّائِلِ الخُضُوعَ وللقَا رِفِ ذنباً مذَلَّةَ الإعْتِذَارِ(١)

وقال آخر :

وما كنتُ أخشى أن تُرَى لى زَلَّةٌ ولـكنْ قضاءُ اللهِ مَا عَنْهُ مَهْرَبُ
إذا اعتذرَ الجانى مَحَا العُذْرُ ذَنْبَهُ وكلُّ امْرِىءٍ لَا يَقْبَلُ العُذْرَ مُذْنِبُ(٢)

كان يقال : مَنْ وُفِّقَ لحسن الاعتذار خَرَجَ من الذنب .

اعتذر رجلٌ إلى أبى عبيد اللهِ الوَزير الـكاتب(٣) ، فأساء الاعتذار ، فقال أبو عبيد الله : ما رأيت اعتذارًا أشبه باستئناف ذنبٍ من هذا .

وللشَّافعى رضى الله عنه ، وقد قيل : إنما تمثَّل بها :

يَالَهْفَ نَفسِى عَلَى مالٍ أُفَرِّقه عَلَى المُقِلِّين من أَهْلِ المُرُوءاتِ
إن اعتذارِى إلى مَنْ جَاء يَسْأَلُنِى ما ليسَ عِنْدِى من إحدى المُصِيبَاتِ

---

(١) ديوانه ١٤٩ ، العقد الفريد ١/٢٨٧ ، وفيه : إن بين السؤال ... الخ .
(٢) فصل المقال ٦٩ ، العقد الفريد ٢/١٤٣ .
(٣) هو معاوية بن عبيد الله بن يسار ، وزير المهدى ، كان أوحد الناس فى عصره حذقا وخبرة وكتابة ، مات سنة ١٧٠هـ ، انظر تاريخ بغداد ١٣/١٩٧ ، الوزراء والكتاب ١٤١ وما بعدها .

ومما يُنْشد للفراء مِنْ قوله :

أردتُ لكيما لا تُرى لي عَثْرَةٌ ... ومَنْ ذَا الذي يُعطَى الكمالَ فَيَكمُلُ[١]

وقال محمود الوراق :

أراني إذا ما زِدْتُ مالاً ورفعةً ... وخيرًا إلى خيرٍ تَزيَّدْتُ في الشَّرِّ

فكيف بشكر اللهِ إذ كنتُ إنما ... أقومُ مقامَ الشكر لله بالكفر

بأي اعتذارٍ أم بأية حجةٍ ... يقولُ الذي يدري من الأمر : ما أدري؟

إذا كان وجهُ العُذرِ ليس بواضحٍ ... فإنَّ اطِّرَاحَ العُذرِ خيرٌ من العُذْرِ[٢]

قال أبو بكر الصولي ، أخبرني أبو بكر بن عبد الله ، قال : سألني أبو سليمان الشّاشيّ حاجة فاعتذرت بشغل في تأخيرها ، فكتب إليّ :

سَكَنَتْ نَفْسِيَ لَمّا الْـ ... ـفَ حَبْـلي بِحَبالِكْ

إنما أطلبُ مِنْ جَا ... هِكَ نفعًا لا بمـالِكْ

لا تصيّر شُغُلَكَ اليَوْ ... مَ اعتِذَارًا لِطلابكْ[٣]

لو تفرّغتَ من الشُّغْـ ... ـلِ استَوَينا في المَسَالِكْ[٤]

وهذا عندي مأخوذ من قول أبي العتاهية :

ليسَ ذَا الشُّغْلُ عاذِرٌ لك عندي ... إنَّما تُرْتَجَى إذا كان شُغُلُ[٥]

---

(١) ينسب البيت أيضاً لثروان العكلي ، انظر أمالي القالي ٢/٤٣ .

(٢) الكامل ١/٣٢٨ ، زهر الآداب ١/٩٠ ، محاضرات الأدباء ١/١١٦ ، نهاية الأرب ٣/٨٥ .

(٣) ب . لا تصير ... لمطالك .

(٤) محاضرات الأدباء ١/٢٦٦ .

(٥) ديوانه ٢١٦ .

وقال آخر :

ولا تعتذرْ بالشُّغْل عنَّا فإنّما ... تُناطُ بك الآمالُ ما اتَّصَلَ الشُّغْلُ
ولا ترتفع عنَّا بشيء وُليتَـــه ... كما لم يُصغِّرْ عندنا شأنَك العَزْلُ[(١)]

وقال آخر :

وقد علمتُ لوَ انَّ العِلْمَ يَنْفَعُنِي ... أنّ انطلاقِي إلى الحَجَّاجِ تَغْرِيرُ
لئن رحلتُ إلى الحجَّاجِ مُعْتَذِرًا ... إنّى لأحمقُ من تَجْرِى به العِيرُ[(٢)]

وقال آخر :

لا تَرْجُ توبةَ مذنبٍ ... خَلَطَ احْتِجَاجاً[(٣)] باعتذار

وقال ابن الدُّمينة :

بنفسِى ومالِى من إذا عَرَضُوا له ... ببعضِ الأَذى لم يَدْرِ كيف يُجِيبُ
ولم يعتذرْ عُذْرَ البرىء ولم يزل ... به سكتةٌ حتَّى يُقال مُرِيبُ[(٤)]

وقال آخر :

فلا تَعْذِرَانِى[(٥)] فى الإسَاءَةِ إنَّه ... شِرَارُ الرِّجالِ من يُسِىء ويُعْذَرُ[(٦)]

---

(١) نسب البيتان فى معجم الشعراء ٣١٤ إلى أبى على البصير ، وانظرهما فى زهر الآداب ٢٠٦/١ ، عيون الأخبار ٨٧/١ ، نهاية الأرب ٨٩/٣ .

(٢) البيتان للأقيبل القينى ، كما فى المؤتلف والمختلف ٢٤ .

(٣) ب : الندامة ، والبيت لكلثوم بن عمرو العتابى كما فى الكامل ٣٢٨/٢ ، وانظره فى المحاضرات ١١٢/١ ، عيون الأخبار ١٠١/٣ .

(٤) ديوانه ١٣ ، البيان ٢١٥/١ ، حماسة أبى تمام ١١٢/٢ ، الشعر والشعراء ٧١٠ ، لباب الآداب ٣٧٢ ، وفيات الأعيان ٤١٢/٥ .

(٥) ب : تعذلانى .

(٦) البيان ٢٠٥/١ ، عيون الأخبار ١٠١/٣

وقال آخر :

وما حَسَنٌ أن يَعْذِرَ المرءِ نفْسَهُ وليس له من سَائِرِ النَّاس عَاذِرُ(١)

وقال آخر :

هى المقاديرُ فلُمنى أو فَذَرْ إن كنتُ أخطاتُ فما أخطأ القَدَرْ(٢)

وقال آخر :

وعاجزُ الرأى مضياعٌ لفُرصته حتى إذا فات أَمْرٌ عَاتَبَ القَدَرَا(٣)

وقال آخر :

إذا عُيِّرُوا قالوا مقاديرُ قد جَرَتْ وما العارُ إلاّ ما تَجُرُّ المَقادِرُ(٤)

قال بعض الحكماء : إياك وما يَسْبق للقلوب إنكارُه ، وإن كان عندك اعتذارُه .

قال محمود الوراق :

أَرَانِي مَعَ الأَحْياء حَيًّا وأكْثَرِى على الدَّهْرِ مَيْتٌ قد تَخَوَّنَهُ(٥) الدَّهْرُ

فما لم يَمُتْ(٦) منّى لما مات مَيِّتٌ وبعضٌ لبعضٍ قبلَ قَبْرِ البِلَى قَبْرُ

فيا رَبِّ قد أَحْسَنْتَ بدءًا وعَوْدَةً إلىّ فلم ينهضْ بإِحْسَانِكَ الشُّكْرُ

فمن كان ذا عذرٍ لَدَيْكَ وحُجةٍ فعُذْرِى إقْرَارِى بأن لَيْسَ لِى عُذْرُ

---

(١) حماسة أبى تمام ٢/١٥ ، لباب الآداب ٣٧٢ ، مجموعة المعانى ١٣ ، ٢٦ .
(٢) البيت من مزدوجة أبى العتاهية ، انظر ديوانه ٣٤٦ ، التمثيل والمحاضرة ٣٢٩ ، معجم الأدباء ٧/١٢٧ ، عيون الأخبار ٢/١٤١ .
(٣) العقد ١/ ٧٥ ، البيان والتبيين ٢/٣٩١ ، معجم الشعراء ٤٩٨ .
(٤) الأمالى ١/٣١ ، عيون الأخبار ٢/١٤١ .
(٥) ا : تحوفه .
(٦) ا : يهب .

وفى الأشعار فى الاعتذار من الفرار

قال الأصمعى : أحسنُ ماقيل فى الاعتذار من الفرار ، قول الحارث بن هشام المخزومى :

اللهُ يَعلَمُ ما تركتُ قِتالَهم حتّى عَلَوْا مُهرى بأَشقَرَ مُزْبِدِ
وعلمتُ أنّى إنْ أُقاتِلْ واحِدًا أُقتَلْ ولا يُحْزِنْ عَدُوّى مَشْهَدِى
فصددْتُ عنهم والأحِبّةُ فِيهِمُ طَمعًا لهم بعقابِ يَوْمٍ مُفسِدِ[1]

وقال خلفُ الأحمر : أحسن ما قيل فى الاعتذار فى الفرار ، قول هبيرة بن أبى وهب المخزومى :

لَعَمْرُكَ ما ولّيتُ ظَهْرِى مُحَمَّدًا وأصحابَهُ جبنًا ولا خيفة القَتْلِ
ولـكنّنى قلّبْتُ أمرى فلم أجِدْ لسيفى غناءً إن ضربتُ ولا نَبْلِى
وقفتُ فلما خفتُ ضَيْعَةَ موقِفِى رجعتُ لِعَوْدٍ كالهِزبْرِ أبى الشّبْلِ[2]

فر ابن مطيع[3] يوم الحَرّة ، وسار إلى ابن الزبير ، فلما قوتل ابن الزبير ، جعل يجتهد معه فى القتال ، ويقول :

---

(١) يروى : علوا فرسى ، ولا يضرر عدوى ، ويوم مرصد أى معلوم . وانظر الأبيات فى حماسة أبى تمام ١/٦٤ ، عيون الأخبار ١/١٦٩ ، حماسة البحترى ٥٠ .

(٢) يروى: خشية بدل خيفة ، وغناء لسيفى ، ويروى البيت الثالث :

وقفت فلما لم أجد لى مقدما صددت كضرغام هزبر أبى الشبل

انظر حماسة البحترى ٥٠ ، محاضرات الأدباء ٢/٧٨ .

(٣) هو عبد الله بن مطيع بن الأسود الـكمي القرشى ، كان على قريش يوم الحرة (حرة واقم ، انظر فى خبرها : معجم البلدان المجلد الثانى ٢٤٩) فلما انهزم أصحابه فر واختبأ ، ثم انضم إلى عبد الله بن الزبير ، ولم يزل معه حتى قتلا سنة ٧٣هـ ، انظر الإصابة ترجمة ٦١٨٧ ، تهذيب التهذيب ٦/٣٦ . وتروى الشطرة الأخيرة فيما يلى: لابأس بالـكرة بعد الفرة ، وانظر البيتين فى العقد١/١٧٥، وحماسة البحتري ٥٣، عدا الشطرة الأخيرة .

أنا الَّذِى فررتُ يَوْمَ الحَرَّه والحُرُّ لا يفرُّ إلا مَرَّهْ
فاليومُ أجْزِى فرّة بكَرّه يا حبّذا الكرّةُ بعد الفرّهْ

وقال أوس بن حجر :

أتَوْنَا فردُّوا حَافتَيْنَا بزَاعِقٍ[1] من الضَّرْبِ ضَرْمَ النَّارِ فى الحَطَبِ اليَبْسِ
وما بفرارِ اليَوْم عارٌ على الفَتى إذا عُرِفَتْ منه الشَّجاعةُ بالأَمْسِ[2]

قال الأحنفُ بنُ قيس : أسرعُ النَّاس إلى الفتنة ، أقلُّهم حياءً من الفرار .

وقال آخر[3] :

العبدُ يذنِبُ والمَوْلَى يُقَوِّمُه والعبدُ يَجْهَلُ والمَوْلَى يُعَلِّمُهُ[4]
إنّى ندمتُ على ما كان من زللٍ وزلّةُ المرء يَمْحُوهَا تَنَدُّمُهُ

---

(١) ب : براعن . والزاعق : الشديد الذى لا يحتمل .
(٢) نسب البيتان فى شرح الحماسة للتبريزى ٢/٢٠٢ وفصل المقال ٢٥١ لأوس ، ونسبا فى العقد ١/١٧٢ لعمرو بن معدى كرب ، ونسبهما فى محاضرات الراغب ٢/٧٨ إلى عبد الله بن غلفاء .
(٣) ساقط من ب .
(٤) ب : والمولى تعلمه .

بابُ المَوَاعِيد

أثنى اللهُ عز وجل على إسماعيل عليه السَّلام ، فقال : ﴿ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الوَعْدِ ﴾[1] ، قال كعبَ : كان لا يعدُ أحداً إلا أنجزه ، وقال : انتظرَ رجلا وَعَده سنة كاملة .

وروى أنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم انتظر رجلاً وعده فى موضع من طلوع الشمس إلى غروبها .

وروى عنه عليه السلام : أنه انتظره ثلاثاً ، وَالمُنْتَظَر عبد الله بن أبى الحَمْساَء[2] .

وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « من وَعده الله على عمل ثوابا فهو منجز له ما وَعده ، ومن أوعده على عمل عقاباً فإن شاء عذبه ، وإن شاء غفر له » ، وعن ابن عباس مثله[3] .

وَقال المثنى بن حارثة الشّيبانى : لأن أموتَ عطشاً أحبّ إلى من أن أخلف موعداً .

قال بعضُ الحكماء : وعدُ الكريم نَقْد ، ووعدُ اللئيم تَسْويف .

---

(١) سورة مريم الآية ٥٤ .

(٢) عبد الله بن أبى الحمساء العامرى ، له صحبة ، سكن البصرة ، وقيل مصر . انظر ترجمته فى تهذيب التهذيب ٥/١٩٣ .

(٣) ساقط من ب .

كان يحيى بن خالد يقول : المواعيدُ شِبَاكُ الكرام يصيدون بها محامد الإخوان ، ألا تراهم يقولون : فلانٌ ينجز الوعد ، ويفى بالضمان ، ويَصْدُق فى المقال ، ولولا ما تقدم من حُسن موقع الوعد ، لبطل حُسْن هذا المدح .

وكان يحيى بن خالد ، يقول : إنّ الحاجةَ إذا لم يتقدمها وعدٌ تنتظر نُجْحه ، لم تتجاوب الأنفس سُرُورها ، فدَع الحاجةَ تختمرُ بالوعد ، ليكون لها عند المُصْطَنَع حسنُ موقعٍ ولطفُ محَـل .

ومن كلام يحيى بن خالد بن برمك أيضاً : (لا) الكريم أنجح من (نعم) اللئيم ، لأنّ (لا) الكريم ، ربما كانت فى وقت غضب ، وإبّان سآمة ، (ونعم) اللئيم تصدر عن تصنع وفساد نِيَّة وَقبح مآل .

أنشد أبو عمرو بن العلاء :

ولا يرهبُ ابنُ العمِّ ما عشتُ صَوْلَتِي ... وَيَأْمَنُ مِنِّى صَوْلَةَ المُتَهَدِّدِ
وإنّى وإنْ أَوْعَدْتُهُ أو وَعَدْتُه ... لمخلِفُ إيعادِى ومنجزُ مَوْعِدِى (١)

وقال آخر :

لسانُكَ أحْلَى من جَنَى النَّخْلِ وَعْدُهُ ... وكفَّاكَ بالمَعْرُوفِ أضْيَقُ من نَعْلِ
تُمَنِّى الَّذى يأتيك حتَّى إذا انتهى ... إلى أملٍ ناوَلْتَهُ طَرَفَ الحَبْلِ (٢)

---

(١) محاضرات الأدباء ١/٢٧١ ، عيون الأخبار ١/٤٤ ، من غير نسبة ، ووردت منسوبة لعامر بن الطفيل فى العقد ١/٢٨٤ .

(٢) البيتان لصالح اللخمى ، انظر المستطرف ١/٢٣٤ ، عيون الأخبار ٣/١٤٨ . وفيهما : أضيق من قفل .

وقال زياد الأعجم :

لله دَرُّكَ من فتًى ... لو كنتَ تفعلُ ما تقولْ

لا خيرَ في كَذِبِ الجَوَا ... دِ وَحبَّذَا صِدْقُ البَخيلْ (١)

وقال آخر :

وإن جُمِعَ الآفاتُ فالبُخلُ شَرُّها ... وشرٌّ من البخل المواعيدُ والمَطْلُ (٢)

قال ابن عيينة : وعد رجلٌ ابنَ شُبْرمة عدة فمطله بها ، فكتب إليه ابن شبرمة :

الخيرُ أنفعه للنَّاس أعجَلُهُ ... وليس يَنْفَعُ خيرٌ فيه تطويلُ

ومثل هذا قول سابق :

وتأخيرُ ما يُرْجَى بلاءٌ مُبَرّحٌ ... وأفضلُ ما يُرْجَى من الخيرِ عاجِلُهْ

وقال كعبُ بن زهير :

كانتْ مواعيدُ عُرْقوبٍ لها مثلًا ... وما مَوَاعيدُهَا إلّا الأبَاطِيلُ (٣)

وقال الأشجعيّ :

وعدْتَ وكان الخُلْفُ منك سَجِيَّةً ... مواعيدَ عُرْقوبٍ أخاهُ بِيَتْرَبِ (٤)

قال ابن مُنبّه : هكذا قرأته على البصريين بيترب (٥) بالتاء ، وفتح الراء .

---

(١) عيون الأخبار ٣/١٤٦ ، الشعر والشعراء ٣٩٩ ، العقد ١/٢٨٧ .

(٢) البيت لصالح بن جناح العبسي ؛ انظر مجموعة المعاني ٣١ .

(٣) ديوانه ٨ ، فصل المقال ١٠٣ ، حماسة البحتري ٨٣ ، الشعر والشعراء ١٤٧ ، عيون الأخبار ٣/١٤٧ ، نهاية الأرب ٢/١٢٢ .

(٤) عيون الأخبار ٣/١٤٧ ، فصل المقال ١٠٢ .

(٥) ساقطة من ب .

قال ابن الكلبي ، عن أبيه : كان عُرقوبٌ رجلا من العماليق ، فأتاه أخ له يسأله شيئًا ، فقال له عرقوب : إذا طَلَع نخلي[١] ، فلما طلع أتاه فقال له : إذا بَلَح ، فلما بلح أتاه ، فقال : إذا زَهَى[٢] ، فلما زهى أتاه ، فقال : إذا أرطب ، فلما أرطب أتاه ، فقال: إذا تَمِر ، فلمّا تمر جَذّه ليلا ، ولم يُعطه شيئًا ، فضربتْ به العربُ المَثل في خلف الوعد .

وقال غيره : عُرقوب جبل مكلَّل بالسحاب أبداً ، ولا يمطر شيئًا .

قال الحكماء : من خاف الكذب ، أقلّ المواعيد .

وقالوا : أمران لا يسلمان من الكذب ، كثرةُ المواعيد ، وشدةُ الاعتذار .

قال الأصمعي : سمعتُ أعرابيا يقول : أنا والله منه في مواعيد تُهيض العظم[٣] ، وخُلْفٍ يذكر العدم ، ولكنه إذا وعد الحريص علق نفسه لديه وأتعب رجليه ، وأنشد :

أمّلتُ منك نوالاً لستُ أُدْرِكُهُ ... متى[٤] أقولُ الَّذِي أمَّلْتُ يأتِينِي

أفي حياتِي فأرْجُوهُ ويَنْفَعَنِي ... أم في مماتى فإنّ المَوْتَ يُغْنِينِي[٥]

وقال الشاعر :

فلا تَعِدْ عِدَةً إلّا وفيتَ بِهَا ... ولا تكُنْ مُخْلِفًا يومًا لما تَعِدُ

---

(١) طالع النخل : أول ما يبدو من ثمرته .
(٢) زهى : تلون بسره .
(٣) ا : تهبط العصم .
(٤) ا : من أن .
(٥) محاضرات الأدباء ١ / ٢٦٨ .

وأظن هذا من قول المثقب العبدى :

لا تقولنّ إذا ما لم تُرِدْ　　أن يتمَّ الوَعْدُ فى شىءٍ نَعَمْ
وإذا قلتَ نَعم فاصبرْ لها　　بنجاحِ الوَعْدِ إنّ الخُلْفَ ذَمْ[1]

وروى لعمار الكلبى ، وأظن من شعره هذا :

قم لوجه اللهِ بالحقِّ وكُنْ　　صَادِقَ الوَعْدِ فَمَنْ يُخْلِفْ يُلَمْ

وقال آخر :

إذا قلتَ فى شىءٍ نعم فأتِمَّهُ　　فإنَّ نَعَمْ دَيْنٌ على الحُرِّ وَاجِبُ
وإلّا فقُلْ لَا واسْتَرِحْ وَأَرِحْ بها　　لئلّا يقول النَّاسُ إِنَّكَ كاذِبُ[2]

وقال آخر :

إنَّ الكريمَ إذا حَبَاكَ بِمَوْعِدٍ　　أعطاكَهُ سَلِساً[3] بغير مِطَالِ[4]

وقال عمر بن أبى ربيعة المخزومى :

ليتَ هندًا أنجزَتْنَا ما تَعِدْ　　وشَفَتْ أَنْفُسَنَا مما تَجِدْ
واستبدّت مَرّةً وَاحِدَةً　　إنّمَا العاجزُ من لّا يَسْتَبِدْ[5]

---

(١) ورد البيتان للمثقب العبدى أيضاً فى حماسة البحترى ٢٢٢ ، وأوردها فى العقد الفريد ١/٢٨٤ لابن أبى حازم ، وانظرهما والبيت التالى الذى نسبه المصنف لعمار الكلبى فى محاضرات الأدباء ١/٢٦٩ .

(٢) محاضرات الأدباء ١/٢٦٩ .

(٣) ا : أعطاك سلسلة .

(٤) البيت لأبى العتاهية ، ديوانه ٢٠١ ، وفيه : إن الشريف ... الخ .

(٥) سبق البيتان فى ص ٤٩٧

وقال آخر :

تمنيتُ ما أرْجُوهُ من حُسْنِ وَعْدِكُمْ ... فكنتُ كَمَنْ يَرْجُو مَنَالَ الفَرَاقِدِ

هَبُونِيَ لم أَسْتَأْهِلِ العُرْفَ مِنْكُمُ ... أَما كُنْتُمُ أَهْلًا لِصِدْقِ المَوَاعِدِ

وقال عباس بن الأحنف :

ما ضرَّ مَنْ قَطَعَ الرَّجاءَ بِبُخْلِهِ ... لو كان علَّلَنِي بوعدٍ كاذِبِ[1]

وقال آخر :

إن لم يكنْ وصلٌ لديكِ لِمَا[2] ... يَشْفِي الصَّبَابَةَ فلْيَكُنْ وَعْدُ

وقال آخر :

فإنْ تَدَعِي[3] نَجْدًا أَدَعْهُ وَمَنْ بِهِ ... وَإن تَسْكُنِي نَجْدًا فيَا حَبَّذا نَجْدُ

وإن كان يومُ الوَعْدِ يومَ لقائنا ... فَلا تَعْذِلِينِي أن أقولَ مَتَى الوَعْدُ[4]

وقال محمد بن مُنَاذِر :

أَنِلِ المَالَ وَلا تَبْخَلْ بِهِ ... فإذَا أَعْسَرْتَ بِالْمَالِ فَعِدْ

لا تَعِدْ شرًّا وَعِدْ خَيْرًا وَلا ... تُخْلِفِ الوَعْدَ وَأَنْجِزْ مَا تَعِدْ

---

(١) ديوانه ٣٦ ، عيون الأخبار ٣/١٤٦، العقد الفريد ١/٢٨٥، وفيه . ماضر من شغل الفؤاد ... الخ .
(٢) ب : لنا .
(٣) ب : تدعنى .
(٤) محاضرات الأدباء ٢/١٦ ، الكامل ١/٦٤ .

بابُ عُيُونٍ من المَدْح

قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « أرحمُ أمّتى بأمّتى أبو بكر ، وأقواهُم على دين الله عمرُ ، وأصدقُهم حياءً عثمان ، وأقضاهُم علىّ بن أبى طالب ، وأقرأُهم أُبَىّ ابن كعب ، وأفرَضُهم زيد بن ثابت ، وأعْلَمُهم بالحلال والحرام معاذُ بنُ جَبَل ، وما أظلت الخضراء ولا أقلّتِ الغبراء من ذى لهجةٍ أصدقَ من أبى ذرّ ، ولكلّ أمة أمين ، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجَرّاح » .

مدح رسول الله صلى الله عليه وسلّم الأنصارَ ، فقال : « إنكم لتقلّون عند الطَّمَع ، وتكثرون عند الفَزَع » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم : « خيرُ دُورِ الأنصار دُورُ بنى عبد الأشهل ، وفى كل دور الأنصار خيرٌ » .

وقال عليه السلام : « إن الله اختارنى ، واختار لى أصحابًا وأنصاراً ، وجعل لى منهم وزراءَ وأصهاراً » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم : « خيرُ نساءٍ رَكِبْنَ الإبل نساءُ قريش ، أحْنَاهُنَّ على ولدٍ فى صغره ، وأرعاهن لبعلٍ فى ذات يده » .

ذُكر أبو بكر الصديق عند ابن عباس ، فقال : كان والله بالمسلم حفيا ، وعلى الكافر قسيا ، وعن اللذة سليا ، يتواضع حيث لا تُوهن نُصْرَته[1] ، ويعلو حين

(١) ب : يؤمن تقيته

لا تخاف سطوته ، القرآن قائده ، والموت إمامه ، لأن الأمر بين عينيه ، وعاقبته بين يديه ، رحمه الله وأحسن عنا مجازاته .

ذكر ابن عباس أبا بكر رضى الله عنهما ، فقال : كان ثانى اثنين إذ هما فى الغار ، وثانى اثنين فى العريش ، وثانى اثنين فى القبر .

قال الشَّعبىّ : لما مات على بن أبى طالب رضى الله عنه ، قام ابنه الحسن على قبره ، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ، واستغفر الله لأبيه ، ثم قال : نِعْمَ أخو الإسلام كنتَ يا أبى ، جواداً بالحق ، بخيلا بالباطل عن جميع الخلق ، تغضب حين الغضب ، وترضى حينَ الرِّضا ، عفيفَ النظر ، غضيضَ الطَّرْف ، لم تكن مداحاً ولا شتاماً ، تجودُ بنفسك فى المواطن التي تبخل بها الرجال ، صبوراً على الضّراء ، مشاركاً فى النّعماء ، ولذلك ثَقُلْتَ على أكتاف قريش .

ذكر على بن أبى طالب عند ابن عباس رضى الله عنهما ، فقال : كان والله يُسْكِنُه الحِلْمُ ، ويُنْطِقُه العِلْم .

ذكر على بن أبي طالب عند صَعْصَعَةَ بنِ صُوحَانَ العَبْدِىّ ، فقال : هو بالله عليم ، واللهُ فى عينيه عظيم .

قال معاوية لِضِرار الصُّدَائِى : صف لى عليًّا . قال : اعفنى يا أمير المؤمنين . قال : لتصفنّه . قال : أمَا إذْ لا بد من صفته ، فكان والله بعيد المدى ، شديد القُوى ، يقول فصلاً ، ويحكم عدلا ، يتفجّر العلم من جوانبه ، وتنطق الحكمة عن نواحيه ، يستوحش من الدنيا وزهرتها ، ويستأنس بالليل ووحشته ، وكان والله غزير العبرة ،

طويل الفِكْرَة ، يقلب كَفه ويحاسب نفسه ، يعجبه من اللباس ما قصر ، ومن الطعام ما خشن ، يعظم أهل الدين ، ويقرب المساكين (١) ، لا يطمع القوى فى باطله ، ولا ييأس الضعيف من عدله ، كان فينا كأحدنا ، يجيبنا إذا سألناه ، وينبئنا إذا استنبأناه ، ونحن والله مع تقريبه إيانا ، وقربه منا لا نكاد نكلمه لهيبته ، ولا نبتدئه لعظمته ، وأشهد لقد رأيته فى بعض مواقفه ، وقد أرخى الليل سدوله ، وغارت نجومه ، وقد تمثل فى محرابه قابضاً على لحيته ، يتململ تململ السليم (٢) ، ويبكى بكاء الحزين ، يقول : يا دنيا ! غُرِّى غيرى ، أَإلىّ تعرضْتِ ؟ أم إلىّ تشوقت ؟ هيهات هيهات ، قد بأينْتُك ثلاثاً لا رجعة لى فيها ، فعمرك قصير ، وخطرك قليل ، آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق .

فبكى معاوية ، وقال : رحم الله أبا حسن ، كان والله كذلك ، فكيف حزنك عليه يا ضرار ؟ قال حزن من ذُبح واحدها فى حجرها .

سئل عبد الله بن عباس عن علىّ بن أبى طالب ، فقال : ما شئت من ضرس قاطع فى العلم بكتاب الله ، والفقه فى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت له مصاهرة النبى صلى الله عليه وسلم ، والتبطن فى العشيرة ، والنجدة فى الحرب ، والبذل للماعون .

نظر علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه ، إلى زيد بن صوحان مقتولا ، فقال : والله لقد كنتَ ما علمتُ : عظيم المعونة ، خفيف المؤونة .

---

(١) ساقط من ب .

(٢) ب : السقيم ، والسليم ، اللديغ وسمى بذلك تيمنا بشفائه .

وقف عليّ على قبر طلحة بن عبيد الله رضى الله عنهما ، فقال :

وما تَدْرِى إذا أَزْمَعْتَ أمرًا ... بأىِّ الأرْضِ يُدْرِكُكَ المَقِيلُ(١)

ثم قال :

فتًى كان يُدْنِيهِ الغِنَى من صديقه ... إذَا مَا هُوَ استَغْنَى ويُبْعِدُه الفَقْرُ(٢)

وقال أبو خراش فى الذى ألقى على أبيه رداءه(٣) :

ولم أدْرِ من أَلْقَى عليه رِدَاءَهُ ... ولـكنّه قَدْ سُلَّ عَنْ مَاجِدٍ مَحْضِ

ولأعرابى فى يحيى بن خالد :

سألتُ النَّدى هل انت حرٌّ فقال لا ... ولـكنّنِى عبدٌ ليَحْيَى بنِ خَالِدِ
فقلتُ : شراءً ؟ قال : لا . بل وراثةً ... تَوَارَثَهَا عن والدٍ بَعْدَ وَالِدِ(٤)

وقال آخر :

إنّ للنَّاسِ غايةً فى المعَالِى ... وَقَفُوا عِنْدَهَا وَأَنتَ تَزِيدُ
قد تناهيتَ فى المكارمِ والمَجْـ ... ـدِ وحُزْتَ العُلَى فأيْنَ تُرِيدُ

---

(١) البيت لأحيحة بن الجلاح ، انظر مجموعة المعانى ٦ ، حماسة البحترى ١٨٦ .

(٢) البيت لسلمة بن يزيد الجعفى ، فى رثاء أخيه قيس بن يزيد ، حماسة أبى تمام ١/٤٠٥ ، أمالى القالى ٢/ ٧ ، وقال فى الكامل ١/١٢٦ ما نصه : يقول بعضهم: إنه للأبيرد الرياحي ، هذا وورد البيت فى حماسة البحترى مرتين ٩٨ ، ٤٣٢ ونسبه فى الأولى لسلمة بن يزيد ، وفى الثانية لليلى بنت سلمة ترثى أخاها ، وانظره فى عيون الأخبار ٢/٦٧ .

(٣) أبو خراش : خويلد بن مرة الهذلى ، وقد ذكر المصنف ها هنا أنه قال البيت فى رثاء أبيه ، وذكر أبو تمام فى الحماسة أن المقتول أخوه عروة بن مرة وانظر ديوان الهذليين ٢/١٥٨ ، الحماسة ١/٣٣٣ ، وفيه : على أنه بدل لـكنه ، وانظر البيت أيضاً فى معجم الأدباء ٣/٢٠٨ ، زهر الآداب ٣/١٥٨ .

(٤) المستطرف ١/١٩٢ ، العقد الفريد ١/٣٠ .

ولحبيب ويروى لإسحاق الموصلى :

إنْ يكنْ شَىْءٌ جَمِيلٌ حَسَنٌ … فَهُوَ فى دُورِ بَنى عَبْدِ الْمَلِكْ
عُقِدتْ أَلْسُنُهمْ عَنْ قَوْلِ لَا … فَهِىَ لَا (١) تُحْسِنُ إِلَّا هُوَ لَكْ

ومن عيون ما قيل فى المدح نظماً ، قول حسان بن ثابت فى بنى جفنة :

يُغْشَوْنَ حَتَّى ما تهِرُّ كِلابُهُمْ … لا يَسْأَلُونَ عن السَّوَادِ الْمُقْبِلِ
بيضُ الوُجُوهِ أعفَّةٌ أحسَابُهُمْ … شُمُّ الأُنوفِ من الطِّرَازِ الأَوَّلِ (٢)

قال جبلة بن الأيهم لحسان بن ثابت : أين أنا من النعمان ؟ فقال : والله لشمالك أندى من يمينه ، وقفاك أحسن من وجهه ، ولأمك أكرم من أبيه .

وقول الأعرابى فى عمر بن عبد العزيز كأنه (٣) مأخوذ من قول حسان هذا ، وذلك قوله حين دخل عليه ، وهو خليفة ، فقال :

وأنتَ الَّذى كِلْتَا يَدَيْكَ مُفِيدَةٌ … شِمالُكَ خيرٌ من يَمينِ سِوَاكَا
بلغتَ مَدَى الجارِينَ قَبْلَكَ إِذْ جَرَوْا … ولم يَبْلُغِ الجارُون بعدُ مَدَاكَا (٤)
لجدَّاكَ لا جَدَّيْنِ أكرم مِنْهُمَا … هناكَ تناهى المجـــدُ ثَمَّ هُنَاكَا

---

(١) ساقط من ب ، وهما لأبى تمام كما فى ديوانه ١٢٨ يمدح أبا موسى الحسن بن عبد الملك ، والرواية هناك للشطر الأول : إن يكن فى الأرض شىء حسن ، وفيه لا تعرف مكان لا تحسن .

(٢) ديوانه ١٥٦ ، النوادر للقالى ١١٧ ، نهاية الأرب ٤/١٨٩ ، المستطرف ٢/٣٠ ، زهر الآداب ٤/٢١٥ .

(٣) ب : كله .

(٤) ساقط من ب .

وَقال لقيط بن زرارة :[١]

وَإِنّى مِنَ القَوْمِ الَّذِين عَرَفْتَهُمْ ... إِذَا مَاتَ مِنْهُمْ سَيِّدٌ قَامَ صَاحِبُهْ

نجومُ سَمَاءٍ كلّما غَارَ كَوْكَبٌ ... بدا كوكبٌ تَأْوِى إِليهِ كَوَاكِبُهْ

أَضاءتْ لهم أَحسابُهم وَوجوهُهم ... دُجَى اللَّيْلِ حتَّى نظَّمَ الجَزْعَ ثاقِبُهْ

وَقال طُفَيْل الغَنَوِىّ :

نجومُ ظلامٍ كلّما غابَ كوكبُ ... بَدَا ساطِعًا فى حِنْدِسِ اللَّيْلِ كوكبُ

وَقال آخر :

دَرَارِى نُجُومٍ كلّما انقضّ كَوْكَبٌ ... بدا كوكبٌ تَرْفَضُّ[٢] عَنْهُ الكَوَاكِبُ

وَقال الخُرَيْمى يمدح بنى خُرَيْم من آل شيْبان بن حارثة :

بقيّة أقوامٍ من الغُرِّ لو خَبَتْ ... لظلَّتْ مَعَدٌّ فى المُلَا[٣] تتسَكَّعُ

إذا قمرٌ منهـــا تغوَّرَ أَوْ كَبَا ... بدا قمرٌ فى جانب الأفق يَلْمَعُ

وَمدح بعض بنى عمرو إخوته فقال[٤] :

خَبِّرْ ثَنَاءَ بنى عَمْـــرٍو فإِنّهُمُ ... أُولو فُضُولٍ وأَنْفَالٍ[٥] وَأَخْطَارِ

---

(١) الصحيح أن الأبيات لأبى الطمحان القينى (حنظلة بن الشرقى) ، انظر الكامل ١/٣١ ، وفيه : ولكنّى من القوم الذين هم هم ، وانظر الشعر والشعراء ٣٤٨ ، وفيات الأعيان ١/٤٣ ، المستطرف ١/١٥٧ ، وانظر البيت الأخير فى حماسة أبى تمام ٢/٢٥٨ ، لباب الآداب ٣٦٧ .

(٢) ترفض : تتوارى أو تتكسر .

(٣) ا : الدجى .

(٤) قبل الأول البيت فى الكامل ١/٤٨ قوله :

بل أيها الراكب المفنى شبيبته ... يبكى على ذات خلخال وأسوار

(٥) ب : وأنفال .

إنْ يُسْأَلوا الخَيْرَ يُعْطُوه وإنْ جَهِدُوا ... فالجَهْدُ يُخْرِجُ منهم طِيبَ أَخْبَارِ

هَيْنُونَ لَيْنُونَ أَيْسَارٌ بَنُو يُسُرٍ ... سُوَّاسُ مَكْرُمَةٍ أَبْنَاءُ إيسَارِ

مَنْ تَلْقَ مِنْهُم فَقَدْ لَاقَيْتَ سَيِّدَهُمْ ... مثلَ النجومِ التي يُهْدَى بِهَا السَّارِي

لا يَنطِقُونَ عن العَمْيَاءِ إنْ نَطَقُوا ... ولا يُمَارُونَ إن مارَوْا بِإِكْثَارِ(١)

وقد قيل : إن هذا الشعر لبعض بني كلاب(٢) يمدح بعض بني غَنِيّ ، وكان أبو عبيدة ينكر هذا ، ويقول : محال يمدح كلابي غنويًّا(٣)

قالت الخنساء :

أَشَمُّ أَبْلَجُ يَأْتَمُّ الهُداةُ بِهِ ... كأنَّهُ عَلَمٌ في رَأْسِهِ نَارُ(٤)

وقال آخر :

إذا قيلَ أيُّ فَتًى تَعْلَمُونَ ... أَهَشُّ إلى الطَّعْنِ بالذَّابِلِ

---

(١) يروى : بنو كرم ، و .. تقل لاقيت ، ويسرى مكان يهدى ، وعن الفحشاء بدل عن العمياء ، ويروى البيت الثانى :

إن يسألوا الخير يعطوه وإن شهدوا ... كشفت أذمار حرب غير أغمار

والمعنى : الأيسار جمع يسر من الميسر بالقداح ، والعرب تتمدح بذلك باعتباره من علامات البذل والكرم ، وسواس مكرمة : يروضون المكارم ويلون أمرها ، والمماراة : اللوم والعيب .

والأبيات بتمامها فى الكامل ١/٤٨ ، وورد بعضها فى معجم الشعراء ٣٠٦ ، زهر الآداب ٤/٦٧ .

(٢) هو العرندس الكلابى كما فى الأمالى وزهر الآداب ومعجم الشعراء ، أو ابنه عبيد بن العرندس كما فى الكامل ، يمدح بنى عمرو الغنويين .

(٣) أما السبب فى هذا كما ذكره أبو عبيد البكرى فى التنبيه على أوهام القالى فى الأمالى صفحة ٧٣ ، فهو أن فزارة كانت قد أوقعت ببنى بكر بن كلاب وجيرانهم من محارب وقعة عظيمة ، ثم أدركتهم غنى فاستنقذتهم ، وحدث بعد ذلك أن قتلت طيىء قيس الندامى الغنوى ، وقتلت عبس ضريم بن سنان الغنوى أيضا ، فاستغاثت غنى ببنى بكر وبنى محارب ليكافئوهم بيدهم عندهم ، فقعدوا عنهم ولم يجيبوهم ، فلم يزالوا متدابرين .

وهذا هو ما استند إليه أبو عبيدة معمر بن المثنى فى استحالة نسبة البيت إلى كلابى ولكن ما الذى يمنع من أنه قالها قبل أن يحدث التدابر بين القبيلتين ؟ خاصة وأنى لم أجد اختلافا بين الرواة فى نسبتها .

(٤) الديوان ٨٠ ، الأنيس والمعاضة ٢٥٢

وأَضْرَبُ للقِرْنِ فى مَفْرِقٍ[1] وأطعمُ فى الزَّمَنِ المَاحِلِ
أَشَارَتْ إليْكَ أكفُّ الوَرَى إشارةَ غَــرْقَى إلَى سَاحِلِ[2]

ومن أحسن ما قيل فى المدح أيضاً فى النظم ، قول أبى الجهم العدوى فى معاوية رضى الله عنه :

نُقَلِّبُهُ لنَخْبُرَ حَالَتَيْهِ فَنَخْبُرَ منهما كرماً ولِينَا
نَمِيلُ على جَوَانِبِهِ كأنَّا نَمِيل إذا نَمِيلُ عَلَى أَبِينَا[3]

وفى هذا الشأن قول زهير فى هرم بن سنان :

إنْ تَلْقَ يَوْمًا على علّاته هَرِمًا تَلْقَ السَّمَاحَةَ مِنْهُ والنَّدَى خُلُقَا
أغرُّ أبيضُ فيّاضٌ يُفَكِّكُ عَنْ أَيْدِى العُقَاةِ وعن أَعْنَاقِهَا الرِّبْقَا[4]

وقوله أيضاً :

أخو ثقة لا تُذْهِبُ الخمْرُ مَالَهُ ولـكنَّهُ قد يُذْهِبُ المَالَ نَائِلُهْ
تَراهُ إذا ما جِئْتَه مُتَهَلِّلاً كأنَّك تعطيه الَّذِى أَنْتَ سَائِلُهْ[5]

(١) ا : مضيق .
(٢) الأبيات لابن هرمة ، البيان ٣/٣٢٧ ، العقد ١/٢٦٤ .
(٣) يروى : إذا ملنا نميل ، البيان ٢/٢٢٣ ، العقد الفريد ١/٦١ ، مجموعة المعانى ٤٥ ، معجم الأدباء ١/٣٢٧ ، وفى الأمالى للقالى ١/٢٣٧ ما نصه : قال أبو الجهم بن حذيفة لمعاوية : نحن عندك يا أمير المؤمنين كما قال عبد المسيح لابن عبد كلال : نميل على جوانبه ... الخ .
(٤) ديوانه ١٩ وفيه : أشم بدل أغر ، والعناة : الأسرى واحدها عان ، والربق : حبل من ليف يوضع فى عنق الأسير .
(٥) ديوانه ١٣٢ ، الشعر والشعراء ١٠١ .

وقوله أيضاً :

على مكثريهمْ رزق مَنْ يَعْتَرِيهمُ ... وعند المقلّين السَّمَاحَةُ والبَذلُ(١)

وقول جرير :

ألستُم خَيْرَ من ركب المَطَايَا ... وأنْدَى العالَمِينَ بُطُونَ رَاحِ(٢)

وقول القاسم بن أمية بن أبي الصلت الثقفي :

قومٌ إذا نزل الغَرِيب بدارِهِمْ ... رَدُّوهُ رَبَّ صَوَاهِلٍ وقِيَانِ
وإذا دعوتَهُمُ ليومِ كَرِيهَةٍ ... سَدُّوا شُعَاعَ الشَّمس بالفُرْسَانِ
لا ينقُرُون الأرضَ عندَ سُؤَالِهِمْ ... لتطَلُّبِ العِلَّاتِ بالعِيدَانِ
بل يبسُطُونَ وجوهَهُم فترَى لهم ... عند اللِّقَاءِ(٣) كأَحْسَنِ الأَلْوَانِ(٤)

والجيِّد من النظم لا يُحصى كثرة ، وحَسْبُنا أن نأتى منه بما يقرب حفظه للمذاكرة ، ويقوم ببهاء مورده فى المجالسة .

قال عمرُو بن أمية الضَّمْرِىّ(٥) للنجاشى ، حين وجَّهه إليه رسول الله صلَّى الله عليه وسلّم : أيّها الملك ! كأنك فى الرَّأفة علينا منّا ، لم نَرْجُك قطّ لأمرٍ إلا نلناه ، وَلم نَخَفْكَ قطّ على أمر إلا أمنّاه .

---

(١) ديوانه ١١٥ ، زهر الآداب ٤/٢١٧ .
(٢) الديوان ٩٨ ، زهر الآداب ٤/٢١٤ .
(٣) ا : طلب العلاء .
(٤) لباب الآداب ٢٧٥ ، الشعر والشعراء ٤٣٣ ، والبيت الأول فى العقد الفريد ١/١٢٦ .
(٥) ا : عمر بن الخطاب ، وهو خطأ واضح ، انظر الطبري ٢/٣٢٩ .

ووقف حيّان بن مالك بن جعفر على قبر عامر بن الطُّفَيل ، فقال : كان والله لا يضل حتى يَضل النّجم، ولا يَعْطش حتى يعطش البعير، ولا يهاب حتى يهاب السيل.

مدح أعرابىٌّ رجلا فقال : كان يغنى فى طلب المكارم غير ضال فى مصالح طريقها ولا متشاغل عنها بغيرها .

وذكر أعرابى جَلَد أخيه ، فقال : ما بعثته فى سواد إلّا جَلّاه ومحاه ، ولا فى بياض إلا أزكاه وأضاءه .

وصف أبو مهديّة الأعرابى قوماً ، فقال : أدبتهم الحكمة ، وأحكمتهم التجربة ، ولم تغررهم السلامة المنطوية على الهلكة ، ورحل عنهم التسويف الذى قطع الناس به مسافة آجالهم ، فذلت ألسنتهم بالوعد ، وانبسطت أيديهم بالإنجاز ، فأحسنوا المقال وشفعوه بالفعال .

ومدح أعرابىٌّ رجلا فقال : كالمِسْك إن تركته عَبِق ، وإن خبّأته عَبِق .

قال محمد بن زياد الحارثى :

تخالُهُمُ للحِلْمِ صُمّاً عَنِ الخَنا ... وخُرْساً عن الفَحْشَاءِ عِنْدَ التَّفاخُرِ
ومَرْضَى إذا لَاقَوْا حَيَاءً وعِفّةً ... وعند الحِفَاظِ كاللُّيُوثِ الكَوَاسِرِ
لهم ذلُّ إِنْصَافٍ ولِينُ تَوَاضُعٍ ... بِهِمْ وَلَهُمْ ذَلَّتْ رِقَابُ العَشَائِرِ
كأنّ بِهِمْ وَصْمًا يَخَافُونَ عَارَهُ[1] ... وما وَصْمُهُمْ إلا اتّقاءُ المَعَايِرِ[2]

---

(١) ا : غارة .
(٢) الأبيات فى أمالى القالى ١/٢٣٨ ، العقد الفريد ٢/١٨٥ ، وفيه : الخوادر مكان الكواسر ، وما ذاك إلا لاتقاء مكان وما وصمهم إلا اتقاء .

وقال آخر :

لو قيلَ لابْنِ مُحَمَّدٍ : ياذا النَّدى قل لا ، وأنت مُخَلَّدٌ ما قَالَهَا

إنّ المَكَارِمَ لم تَزَلْ معقُولَةً حتَّى حَلَلْتَ براحتَيْك عِقَالَهَا(١)

مدح أعرابى رجلا ، فقال : كان إذا خرست الألسن عن الرأى حذق بالصواب كما يحذق الأريب .

أثنى عمرو بن زياد العَتَكِىّ على الحجاج بن يوسف عند عبد الملك بن مروان فقال : يا أمير المؤمنين ! هو سيفك الذى لا ينبو ، وَسهمك الذى لا يطيش ، وخادمك الذى لا تأخذه فيك لومة لائم . وكان الحجاج يقصيه فلما قال ذلك أدناه .

قال ابن شهاب : قال لى سعيد بن المسيب : ما مات من ترك مثلك .

ومن أحسن ما قيل فى المدح نظماً ، وإن كان الحسن منه كثيراً جدا ، ما ذكره أبو على البغدادى رواية عن شيوخه : أن علىّ بن الحسين بن على بن أبى طالب رآهُ هشام بن عبد الملك وَهو خليفة فى حجة حجها ، وعلىّ يطوف بالبيت وَالناس يفرجون له عند الحْجَر تعظيما له ، وَ ينظرون إليه مبجلين له ، فغاظ ذلك هشامًا ، فقال : من هذا ؟ كأنه لم يعرفه ، فقال الفرزدق منكرًا لقول هشام ، وَمادحًا لعلى بن حسين :

هذا الَّذِى تعرفُ البَطْحَاءُ وطْأَتَهُ والبيْتُ يعْرِفُهُ وَالحِلُّ وَالحَرَمُ

---

(١) البيتان لربيعة بن ثابت الرقى فى مدح العباس بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس ، انظر معجم الأدباء ١١/١٣٥ ، وانظر محاضرات الأدباء ١/٢٧٩ ، ٢٨٧ .

هذا ابنُ خيرِ عبادِ اللهِ كُلِّهِمُ   هذا التَّقِيّ النَّقِيّ الطَّاهِرُ العَلَمُ

إذا رأَتْهُ قريشٌ قال قائلُها   إلى مكارِمِ هذا يَنْتَهِي(١) الكَرَمُ

يَنْمِي(٢) إلى ذروةِ العِزّ التي قَصُرَتْ   عن نيلِها عَرَبُ الإسْلامِ والعَجَمُ

يكاد يُمْسِكُهُ عِرفانَ راحَتِهِ   رُكْنُ الحَطِيمِ إذا ما جاء يَسْتَلِمُ

يُغْضِي حياءً ويُغْضَى من مَهابَتِهِ   فلا يُكَلَّمُ إلَّا حينَ يَبْتَسِمُ

بِكَفِّهِ خيزُرانٌ رِيحُها عَبِقٌ   مِنْ كَفِّ(٣) أَرْوعَ في عِرْنِينِهِ شَمَمُ

مُشْتَقَّةٌ من رسولِ اللهِ نَبْعَتُهُ   طابَتْ عناصِرُهُ والخِيمُ(٤) والشِّيَمُ

ينجابُ ثوبُ الدُّجَى(٥) عن نورِ غُرَّتِهِ   كالشَّمس ينجابُ عن إشراقِها الظُّلَمُ(٦)

حَمَّالُ أثقالِ أقوامٍ إذا فُرِحُوا(٧)   حُلْوُ الشَّمائِلِ تَحْلُو عِنْدَهُ نَعَمُ

هذا ابنُ فاطِمَةٍ إن كنتَ جاهِلَهُ   بِجَدِّهِ أَنْبياءُ اللهِ قَدْ خُتِمُوا

فليس قولُك من هذا بضائِرِهِ   العُرْبُ تعرفُ مَنْ(٨) أنكرتَ والعَجَمُ

اللهُ فَضَّلَهُ قِدْمًا وشَرَّفَهُ   جَرَى بِذاكَ لَهُ في لَوْحِهِ القَلَمُ

مَنْ جَدُّهُ دانَ فَضْلُ الأَنْبياءِ لَهُ   وفَضْلُ أُمَّتِهِ دانَتْ لَهُ الأُمَمُ

سَهْلُ الخليقةِ لا تُخْشَى بَوادِرُهُ   تَزِينُهُ خَلَّتانِ الحِلْمُ(٩) والكَرَمُ

مُصَدَّقُ الوَعْدِ(١٠) ميمونٌ نقيبتُهُ   رَحْبُ الفِناءِ أَرِيبٌ حينَ يَعْتَزِمُ

---

(١) ب : ينتهى .   (٢) ب : ينهى .
(٣) ا : فى كف .   (٤) ا : والجسم .
(٥) ب : الهدى .   (٦) ب : القتم .
(٧) ا : مدحوا .   (٨) ب : ما .
(٩) ا : الخلق .   (١٠) ا : الخلق أيضا .

أيُّ الْقَبَائِلِ ليست في رِقابهم　　لأَوَّلية هــذا أَوْ لَهُ نِعَمُ
مَنْ يَعرِفِ اللهَ يَعرفْ أولية ذَا　　فالدِّين من بيتِ هذا ناله الأُمَمُ

وفيها أبيات لم أذكرها لأني أظنها مضافة مفتعلة ، وقد أنشد بعض هذا الشعر حبيب في الحماسة[١] للحر بن عبدالله الليثي[٢] في علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب.
هذا وذكر الفاكهي في أخبار مكة[٣] ، قال : حدثني أبو سعيد عبد الله بن شبيب ، قال حدثني ابن عائشة ، قال : أخبرني أبي ، قال : دخل الفرزدق مكة ، فإذا هو بعليّ بن عبيد الله بن جعفر يطوف بالكعبة في حُلّةٍ وهو محرم ، فقال : ويحكم يا معشر أهل مكة ، من هــذا الرجل الذي يطوف بالبيت ، فوالله ما رأيت أحسن من وجهه ، ولا من حُلّته ، فقالوا : هذا علي بن عبيد الله بن جعفر بن أبي طالب ، ولفاطمة[٤] بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنشأ يقول هــذه الأبيات [٥] التي ينشدها الناس [٥] .

---

(١) ورد في الحماسة ٢/٢٦٩ ، الأبيات : الأول والثالث والخامس والسادس والسابع وما قبل الأخير ، مع اختلاف في الترتيب .

(٢) في ا : السبق ، وهو تحريف ، ولم أعثر على هذا الاسم المثبت في النص في الحماسة أو غيرها ، فالأبيات منسوبة في الحماسة إلى الحزين الكناني ، واسمه عمرو بن عبيد بن وهب بن مالك أحد بني عبد مناة بن كنانة وهو ليثي أيضاً كما في اللباب ٢/٥٣ ، وكذلك نسب للحزين البيتان السادس والسابع في الأغاني ١٤/٧٤ ، والآمدي ٨٩ ، والبيان ١/٣٤٨ ، ونسب البيتان في لباب الآداب ١٠٨ إلى المتوكل بن عبد الله الليثي في مدح عبد العزيز بن مروان . ويبدو أن الاسمين قد تداخلا والتبسا على الناسخ فأثبت منهما : الحر بن عبد الله الليثي ، ولكن ما دام المصنف يذكر ما ورد في الحماسة فيجب أن تكون صحة الاسم : الحزين بن عبيد الكناني الليثي ، وتصرف فيه الناسخ إلى ما ترى .

(٣) الفاكهي : أبو عبد الله محمد بن إسحاق الفاكهي ، كتب سنة ٢٧٢هـ / ٨٨٥م تاريخ مكة ، نشر المستشرق فستنفلد منتخبات من الجزء الثاني منه مع تاريخ مكة المشرفة للأزرقي في ليبزج سنة ١٨٥٩ ، انظر تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار ٣/٢٣ .

(٤) ب : وفاطمة .

(٥) ساقطة من ا

هٰذا الّذِى تَعْرِفُ الْبَطْحاء وَطْأَتَهُ وَالْبيْتُ يَعْرِفهُ وَالحِلُّ وَالحَرَمُ

فذكر هذه الأبيات ولم يتمّها ، قال الفاكهيّ : ويقال إن الرجل الذى قال فيه الفرزدق هذا هو محمد بن علىّ بن حسين ، قال : وحدثنى أبو سعيد ، قال : (١ حدثنى الزبير ، قال ١) : قيل هذا الشعر فى قُثَم بن العباس ، قاله بعض شعراء أهل المدينة(٢) ، وزاد فى الشعر بيتين أو ثلاثة منها قوله :

كم صارخٍ بِكَ مَكْرُوبٍ وصارِخَةٍ يَدْعُوكَ يا قُثَمَ الخيراتِ يا قُثَمُ

وأما قوله فى الخبر الأول : ولفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن علىَّ بن عبد الله أمه زينب بنت علىّ بن أبى طالب ، وأمّها فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقولُ من قال : إن هذا الشّعر قيل فى علىّ بن عبيد الله بن جعفر ، أو فى محمد بن على بن حسين أصح عندى من قول من قال : إنه فى علىّ بن حسين ، لأن على بن حسين توفى سنة ثلاث أو أربع وتسعين ، وهشام بن عبدالملك إنما ولى الخلافة سنة خمس ومائة ، وعاش خليفةً عشرين سنة ، وجائز أن يكون الشعر للحر بن عبد الله(٣) فى محمّد بن على بن حسين ، وممكن أن يكون للفرزدق فى محمد ابن على بن حسين بن أبى جعفر — وإن كان له فى أبيه على بن حسين — فلم يكن هشامٌ يومئذ خليفةً كما قال أبو علىّ فى روايته ، وأما قول الزبير : إنه قيل فى قثم ابن العباس ، فليس بشىء ، وإنما ذاك شعر قيل فى قثم على قافية هذا الشعر وعروضه ليس هو(٤) هذا .

---

(١) ساقط من ا .

(٢) هو داود بن سلم ، أو خالد بن يزيد مولى قثم ، وقد ورد البيت فى البيان ١/٣٤٨ :

كم صارخ بك من راج وراجية فى الناس ، يا قثم الخيرات يا قثم

(٣) انظر التعليق رقم ٢ فى الصفحة السابقة .

(٤) ساقطة من ب .

قال عبدةُ بنُ الطبيب فى قيس بن عاصم المنقرى :

عليك سَلَامُ اللهِ قَيْسَ بنَ عَاصِمٍ ورحمتُـــهُ ما شَاءَ أَن يَتَرَحَّمَا
تحيّةَ من أَوْلَيتَه مِنْكَ نعمةً إذا زار عن شَحْطٍ مَزارَكَ[١] سَلَّمَا
فما كان قيسٌ هُلْكُهُ هُلْكُ وَاحِدٍ ولكنَّهُ بُنْيَانُ قَوْمٍ تَهَدَّمَا[٢]

وقال آخر :

كريمٌ يغُضّ الطَّرْفَ فَضْلُ حَيَائِهِ[٣] وَيدنُو وأَطْرَافُ الرِّمَاحِ دَوَانِ
وكالسَّيْفِ إِنْ لَايَنْتَهُ لَانَ مَتْنُهُ وَحدَّاهُ إِنْ خَاشَنْتَهُ خَشِنَانِ[٤]

وللخُرَيْمى :

يُلَامُ أَبُو الفَضْلِ فى جُودِهِ وهلْ يَقْدِرُ البَحْرُ أَلّا يَفِيضاَ[٥]

وَقال أبو جعفر محمد بن مناذر :

أتانا بنو الأَمْلَاكِ من آلِ بَرْمَكٍ فيا طيبَ أَخْبارٍ وَيا حُسْنَ مَنْظَرِ
لهم رحلةٌ فى كلِّ عامٍ إلى العِدَى وأُخْرَى إلى البيتِ الحرام المُسَتَّرِ[٦]
إذا نزلُوا بطحاءَ مكَّةَ أَشْرَقَتْ بيحيَي وَبالفَضْلِ بن يَحَيَي وجَعْفَرِ

(١) بلادك .
(٢) نسبت الأبيات فى وفيات الأعيان ١/١٢٦ إلى أبى تمام ، وهو خطأ ، انظر الحماسة لأبى تمام ١/٣٣٤ ، البيان ٢/٣٩٤ ، نهاية الأرب ٤/٢١٥ ، الشعر والشعراء ٧٠٧ .
(٣) ا : فى كل حالة .
(٤) فى حماسة البحترى ١٦٢ : لان مسه ، وانظرهما فى حماسة أبى تمام ٢/٢٦٥ ، البيان ٢/١٩٤ ، التمثيل والمحاضرة ٢٦ ، لباب الآداب ٧٥ .
(٥) محاضرات الأدباء ٢/١٠٧ .
(٦) ا : العتيق المطهر .

فتظلمُ بغدادٌ ويجلو لنا الدُّجى ... بمكةَّ ما حجُّوا ثلاثةُ أقمُرِ
فما خُلقتْ إلا لجودٍ أكُفُّهُمْ ... وأقدامُهُمْ إلّا لأعوادِ مِنْـــبرِ
إذا راضَ يحْيَي الأمرَ ذلَّت صِعابُهُ ... وناهيك من راعٍ له ومُدَبِّرِ
ترى النَّاسَ إجلالاً لهم وكأنّهم ... غرانيقُ ماءٍ تحتَ بازٍ مُصَرْصِرِ(١)

وقال آخر فى ابن شُبرمة القاضى :

إذا سألتَ الناسَ أينَ المكْرُمَهْ ... والعِزُّ والجُرْثُومَةُ المُقَدَّمَه
وأين فارُوقُ الأُمُورِ المحْكَمَه ... تتَابَعَ النّاسُ عَلَى ابْنِ شُبْرُمَه(٢)

وقال آخر :

ما لقينا من جودِ فَضْلِ بنِ يَحْيَي ... صَـيَّر النّاسَ كُلَّهُمْ شُعَرَاءِ(٣)

أنشد الأصمعى :

كلُّ يومٍ كأنَّهُ يَوْمُ أضْحَى ... عنـدَ عَبْدِ العَزيزِ أو يَوْمُ فِطْرِ

وهذا عبد العزيز بن مروان بن الحكم ، وله يقول نصيب :

لعبد العزيز على قَوْمه ... وغيرهِمُ نِعَمٌ غامِرَهْ

---

(١) الغرانيق جمع غرنوق بكسر أوله أو ضمه وهو طائر مائى أسود وقيل أبيض ، والبازى : ضرب من الصقور ، ومصرصر أى يصيح صياحاً شديدا . انظر الأبيات ٣ ، ٤ ، ٥ فى معجم الأدباء ١٩/٥٧ ، وكلها ما عدا الأخيرين فى وفيات الأعيان ٥/٢٦٩ .

(٢) البيتان ليحيى بن نوفل كما فى البيان ١/٢٤٠ .

(٣) البيت لنصيب الأصغر ، أبو الحجناء مولى المهدى ، انظره فى الوزراء والكتاب ١٩٥ ، معجم الأدباء ٧/٢١٦ ، وفيات الأعيان ٣ ٢٠٤ .

فبَابُكَ[١] أَلْيَنُ أَبْوَابِهِـمْ ودَارُكَ مأْهُولَةٌ عَامِرَهْ
وكلبُكَ آنَسُ بالمُعْتَفِينَ من الأُمِّ بالإِبْنَةِ الزَّائِرَهْ
وكفُّكَ حين تَرَى السَّائليـ ـنَ[٢] أَنْدَى من اللَّيْلَةِ[٣] الماطِرَهْ
فمنك العطاءُ ومنّى الثّنَاءُ بكلِّ مُحَبَّرَةٍ سَـائِرَهْ[٤]

وذكر رجل عند الحسن ، فقال : كان له خشوع الصابرين[٥] وبهاء الملوك .

ومن المدح :

له خُلُقَان لم يَدَعَا له مالاً ولا نَشَبَا
سخاءٌ لَيْسَ يَمْلِكُه وحِلْمٌ يَمْلِكُ الغَضَبا

وَقال آخر[٦] :

فلو كنتَ يوماً كنتَ يومَ سعادةٍ تُرَى شَمْسُهُ وَالمُزْنُ تَهْضِبُ بالقَطْرِ
ولو كنتَ ليلًا كنتَ ليلةَ صَيِّبٍ[٧] من المُشْرِقَاتِ[٨] البيضِ فى وَسَطِ الشَّهْرِ

وقال آخر :

بديهتُه وفكرته سَوَاءٌ إذا ما نَابَهُ الحَدَثُ الكَبِيرُ

---

(١) ا : هباتك .
(٢) ا : معتافاً فأندى .
(٣) ا : القيلة .
(٤) انظر الأبيات فى معجم الأدباء ١٩/٢٢٩ ، الشعر والشعراء ٢٧٤ ، الأغانى ١/٣٢٣ .
(٥) ب : العابدين .
(٦) ساقط من ب .
(٧) ب : صيف .
(٨) ب : المشرفات .

وأحزَمُ ما يكون الدَّهرَ رأياً   إذا عَمِيَ[١] المُشاوِرُ والمُشيرُ
وصدرٌ فيه للهمِّ اتّساعٌ   إذا ضاقتْ عن الهمِّ الصُّدُورُ[٢]

وقال حمزة بن بيض فى مخلد بن يزيد بن المهلب :

بلغتَ لعشرٍ مَضتْ من سِنِيـ   ـكَ ما يبلغُ السَّيِّدُ الأشْيَبُ
فهمُّكَ فيها جَسِيمُ الأُمُورِ   وهَمُّ لِداتِكَ أنْ يَلْعَبُوا[٣]

وقال ذو الرمة :

عطاءُ فتًى بَنَى وَبَنَى أبُوهُ   فأعْرَضَ فى المَكَارِمِ وَاسْتَطَالَا[٤]

قال أبو اليقظان : ولّى الحجاجُ محمدَ بن القاسم بن محمّد بن القاسم بن محمد بن الحكم الثقفى ، قتال الأكراد فأبادهم ، ثم ولاه السند والهند ، وقاد الجيوش وهو ابن سبع عشرة سنة ، فقال فيه الشاعر :

إنّ السَّمَاحَةَ والمُرُوءَةَ والنَّدَى   لمحمَّدِ بن القاسِمِ بنِ مُحمَّدِ
قادَ الجيوشَ لِسبْعَ عَشْرَةَ حَجَّةً   يا قُرْبَ سَوْرَةِ سُؤْدُدٍ من مَوْلِدِ[٥]

قال أبو اليقظان : وهو الذى جعل شيراز معسكرا ومنزلا لولاة فارس .

---

(١) ا : غنى .
(٢) الأبيات لسلم الخاسر أو أبى نواس ، انظر مجموعة المعانى ١٧ ، الوزراء والكتاب ٢٠٣ .
(٣) نسب البيتان أيضا إلى الكميت بن زيد الأسدى ، البيان والتبيين ٢/١٠ .
(٤) ديوانه ٤٤٧ ، الشعر والشعراء ١٩٢ .
(٥) الشعر لزياد الأعجم ، انظره فى محاضرات الأدباء ١/٧٦ ، عيون الأخبار ١/٢٢٩ ، المستطرف ٢٧/١ ، وسورة السؤدد ، علامته أو ارتفاعه .

قال الحطيئة :

أولئك قومٌ إن بَنَوْا أحسَنُوا البِنَا … وإنْ عاهَدُوا أَوْفَوْا وإنْ عَقَدُوا شَدُّوا
أَقِلُّوا عَلَيْهِم لا أبًا لِأَبِيكُمُ … من اللَّوْمِ أو سُدُّوا المكان الذى سَدُّوا(١)

وقال أبو الغُول الطُّهَوِىّ يمدح قومه :

فدتْ نفْسِى وما ملكتْ يَمِينِى … فوارسَ صَدَّقُوا فيهم ظُنُونِى
مَعاشِرَ لا يَمَلُّونَ المَنَايَا … إذا دارَتْ رَحَى الحَرْبِ الزَّبُونِ
ولا يَجْزُونَ من حَسَنٍ بِشَرٍّ … وَلا يَجْزُونَ من غِلَظٍ بِلِينِ
ولا تَبْلَى بَسالَتُهُمْ وَإِنْ هُمْ … صَلُوا بالحرْبِ حِينًا بعد حِينِ
هُمُ مَنَعُوا حِمَى الوَقَبَى بِضَرْبٍ … يُؤَلِّفُ بين أَشْتَاتِ المَنُونِ
فنكَّبَ عَنهمُ دَرْءَ الأعادِى … وَدَاوَوْا بالجُنُونِ من الجُنُونِ(٢)

وقال آخر :

بديهتُهُ مثــلُ تَدْبِيرِه … متى رُمْتَهُ فَهْوَ مُسْتَجْمِــعُ
وفى كفه للغِنَى مَطْلَبٌ … وللسِّرِّ فى صَدْرِهِ مَوْضِــعُ(٣)

(١) ديوانه ١٤٠ ، التمثيل والمحاضرة ٦٣ ، أمالى القالى ٢/١١٨ ، نهاية الأرب ٣/٦٩ .
(٢) يروى : فوارس مكان معاشر ، وبسىء مكان بشر فى البيت الثالث .
والزبون فى الأصل الناقة التى تزبن (تدفع) حالبها ، شبهت بها الحرب لأنها تدفع الرجال لشدة هولها
والوقبى : ماء لبنى مالك بن مازن على طريق المدينة من ناحية البصرة .
انظر الأبيات فى حماسة أبى تمام ١/١٧ ، ١٨ ، أمالى القالى ١/٢٦٠ .
(٣) سبق البيتان فى ص ٤٦٥ .

وباب المديح أوسع[1] الأبواب ، لا يحيط به كتاب ، والاختصار أولى بنا فيه على ما شرطنا من الإكثار .

قال عبد الله بن مسعود : لا تعجلن بمدح أحد ولا بذمه ، فإنه رب من يسرك اليوم يسوءك غدا .

قال النَّجاشِيُّ الشاعر ، واسمُه قيسُ بن عَمْرو الحارثى ، [2] من بنى الحارث ابن كعب [2] .

إنِّى امْرُؤٌ قلَّ ما أُثْنِى على أَحدٍ حتَّى أَرَى بَعْضَ ما يأْتِى وما يَذَرُ
لا تحمدنَّ امرءا حتَّى تُجَرِّبَهُ ولا تَذُمَّنَّ مَنْ لَمْ تَبْلُهُ الخبرُ[3]

قال علىُّ بن حُسَين : إذا قال فيك رجلٌ ما لا يعلم من الخير ، أَوشك أَن يقول فيك ما يعلمُ من الشَّر .

(١) ب : واسع .   (٢) ساقط من ا .
(٣) حماسة البحترى ٢٣٢ ، الشعر والشعراء ١٩٠ ، والثاني فى عيون الأخبار ٣/١٧٠ .

باب عيُون من الذّمّ

قالت عائشةُ رضى الله عنها : استأذن رجلٌ على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنا معه فى البيت ؛ فقال : « ائذنوا له فبئسَ ابنُ العشيرة ، أو قال : بئسَ أخُو العشيرة ، ثم قال : إنَّ من شرارِ النَّاس من اتّقاه الناسُ لشرِّه ، أو تركه الناس لشره » . هذا حديث ابن عيينة ، عن المنكدر ، عن عروة ، عن عائشة ، وليس بلفظ حديث مالك المرسل .

قال الحَسَن : ذمُّ الرجل نفسَه فى العلانيه مدحٌ لها فى السرّ .

كان يقال : من أظهرَ عيبَ نفسه فقد زكّاها .

ذمّ بعضُ البلغاء رجلا ، فقال : ما الحِمامُ على الإصْرار[1] ، والدَّيْن على الإقتار ، وَشدة السُّقم[2] فى الأسفار ، بآلم[3] من فلان[4] .

قيل لأعرابىّ : ما تنقم من أميرك ؟ قال : يقضى بالعَشْوة[5] ، وَيأكل الرِّشْوة ، وَيطيل النَّشْوة .

قال ثعلبُ : النَّشوة بالفتح : السُّكر ، وَالنِّشوة بالكسر : الريح .

---

(١) ب : الأضرار .
(٢) ا : المسلم .
(٣) ب : بألأم .
(٤) وردت العبارة فى الأمالى ٢/١٠٦ قريبة مما أثبتناه ونصها هناك : ما الحمام على الإصرار ، وحلول الدين على الإقتار ، وطول السقم فى الأسفار بآلم من لقائه .
(٥) ب : بالعشيرة ، ويمضي بالعشوة أي يتخبط فى قضائه ويحكم على غير هدى .

ذمّ رجلٌ رجلا ، فقال : كان وَالله سيىء الرَّوِية ، قليل التقية ، شديد السعاية ، ضعيف النكاية .

ذم خالدُ بن صفوان شبيبَ بنَ شَيْبة ، فقال : ليس له(١) صديقٌ فى السِّرِّ ، وَلا عدوٌّ فى العَلَانية .

وَذم أعرابىٌّ رجلا ، فقال : أنْتَ وَالله ممن إذا سأل ألحف ، وَإذا سُئل سَوَّف ، وَإذا حَدَّث حَلَف ، وَإذا وَعَدَ أخْلَف ، تَنْظُر نظرَ حَسُود ، وتعْرِضُ إعراض حَقُود .

قال حسان بن ثابت :

أبُوكَ - أبُوكَ وَأنْتَ ابْنُهُ فَبِئْسَ البُنَىُّ و بِئْسَ الأبُ
وأُمُّكَ سَوْدَاءُ نُوبِيَّةٌ كَأَنَّ أنَامِلَهَا الْعُنْظَبُ
يَبِيتُ أبُوكَ بِهَا مُعْرِسًا كما ساوَرَ الْمُهْرَةَ الثعلبُ(٢)

وَقال أعرابىٌّ :

أكثر ما يأتى على فِيهِ الكذبْ وإنَّما الشَّاعِرُ مجنونٌ كَلِبْ
حيَّاكُمُ اللهُ فإنِّى منقلب(٣)

مر سفيان الثَّورىّ رضى الله عنه ، بقوم فى السوق ، أو غيرها ، فقال لمن معه

---

(١) ا : لا صديق ...
(٢) ساقط من ب ، والأبيات فى ديوانه ١٤ . والعنظب : ذكر الجراد أو الأصفر منه .
(٣) ورد البيتان الاولان من هذا الرجز والثانى قبل الأول فى عيون الأخبار ٢/٢٧ .

أماَ ترون النعمة عند غير أهلها ، كأنها مسخوطٌ عليها ، أخذه الشاعر فقال :

يا حجة الله في الأرزاقِ والنِّعَمِ   يا محنة لذوى الأخطارِ والهِمَمِ
ما نَرَاكَ أصبحتَ في نعماء ظاهِرَةٍ   إلّا وربُّكَ غضبانٌ عَلَى النِّعَمِ[١]

قال بعض البلغاء : كفانى سقوطُ فلان إسقاطَه[٢] .

ذم رجل رجلا فقال : ذلك أعيا ما يكون عند جلسائه ، أبلغ ما يكون عند نفسه .

لعمر بن سليمان البجلى ، فى إسماعيل بن عبد الله أخى خالد بن عبد الله القسرى :

لو كنتَ ماءً كنت ماءً آسِنًا   أو كنتَ مَرْعًى لَمْ يردك الوُرَّدُ
أو كنتَ من شجرٍ لكنتَ إلَاءَةً   أو كنتَ من وَرِقٍ نفاكَ النَّاقِدُ[٣]

قال الحِرْمازِىّ :

قُبِّحتُمُ آلَ فُقَيمٍ عَدَدًا   لو كُنتُمُ قولاً لكُنْتُم فَنَدَا
أو كنتمُ ماءً لكنتُمْ زَبَدَا   أو كنتمُ شيئًا لكُنْتُمْ نَقَدَا
أو كنتمُ لحمًا لكُنْتُمْ غُدَدًا[٤]

النَّقَدُ : المَعْزُ ، وفى المثل : لهو أذل من النَّقَد .

---

(١) محاضرات الأدباء ١/٢٤٥ .
(٢) ساقطة من ا .
(٣) الألاء : شجر مر ، والورق : الذهب والفضة ، والناقد : مميز الدراهم .
(٤) الفند : الخطأ فى القول والكذب ، والغدة : كل عقدة فى الجسم أطاف بها شحم ، وكل قطعة صلبة بين العصب .

قال أبو عثمان العَرُوضى :

لو كان حَرْفاً كان لا مَعْنَى له　　أو كان ظرفاً لم يَكُنْ إلاَّ مَتَى(١)

وقال آخر :

لو كنتَ ماءً كنتَ غيرَ عَذْبِ　　أو كُنْتَ سَيْفاً كُنْتَ غيرَ عَضْبِ
أو كنتَ لحمًا كنتَ لحمَ كلبِ　　أو كُنْتَ عيراً كُنْتَ غيرَ ندبِ(٢)

وقال آخر :

لو كنتَ بَرْدًا كنتَ زَمْهَرِيرَا　　أو كنتَ رِيحًا كانَتِ الدَّبُورَا
أو كنتَ غيماً لم تكنْ مطِيرَا　　أَو كنتَ ماءً لم تكنْ طَهُورَا
أو كنتَ مُخًّا كنتَ مُخًا رِيرَا(٣)

ومما أنشده ثعلب :

لِلهِ دَرُّكَ أَيّمَا رَجُــــلِ　　يَبْنِى أَبُوكَ وشَــأْنُكَ الهَدْمُ
لو كُنتَ تصعَدُ فى السماء كما　　تنحطُ قَصَّرَ دُونَكَ النَّجْمُ

مرَّ عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، بقوم يَتْبَعُون رجلا قد أُخذ فى ريبة ، فقال : لا(٤) مرحباً بهذه الوجوه التى لا ترى إلا فى الشر .

---

(١) ا : اثنى ، ب : فيه شىء بدلا من إلا متى
(٢) وردت البيت الأول فى الكامل ٢/٥٧ : لو كنت ماء لم تكن بعذب ، وانظر الأبيات أيضاً فى محاضرات الأدباء ١/١٥٤ .
(٣) الأبيات فى محاضرات الراغب ١/١٥٤ ، الكامل ٢/٥٧ ، وتأتى الشطرة الأولى فيه فى آخرها ، والمخ الرير : الذائب أو الرقيق .
(٤) ساقطة من ب .

قال القطامى :

ألا إنّما نيرانُ قيس إذا اشْتَوَوْا   لِطَارِقِ ليْلٍ مِثْلُ نَارِ الحَبَاحِبِ[١]

يقال : نارُ الحَبَاحِبِ ، ونار أبى الْحباحب ، لكل نارٍ تراها العينُ ولاحقيقة لها

قال دُرَيْدُ بن الصِّمَّة :

يا آلَ سفيانَ ما بالى وَبَالُكُمُ   أَنتم كَثيرٌ وفِي الأَحْلَامِ عُصْفُورُ

وخير من هذا ، قول حسان بن ثابت يذم قوماً :

لا عَيْبَ فى القومِ من طولٍ ومن عِظَمٍ   جسمُ البِغَالِ وأحلامُ العَصَافِيرِ[٢]

وقال آخر :

قَبُحَتْ مَنَاظِرُهُمْ فحينَ خَبَرْتُهُمْ   حَسُنَتْ مَنَاظِرُهُمْ لِقُبْحِ المَخْبَرِ[٣]

وقال آخر :

له صُورَةٌ تُعْمِي العُيونَ سَمَاجَةً   وإِنْ تَخْتَبِرْ يَوْماً فأَقْبَحُ مَخْبَرِ

وقال محمد بن مناذر ، فى خالد بن طليق قاضى البصرة :

جُعِلَ الحَاكِمُ يا لِلنَّـــاسِ مِنْ آلِ طَلِيقْ

حاكمٌ يحكم فى النَّا   سِ بحكم الجاثَلِيقْ

(١) البيت فى ديوانه ٩ ، زهر الآداب ٣/٧٢ .
(٢) ديوانه ٤٦ .
(٣) المحاسن والمساوى ١/١٩٢ .

يَدَعُ الْحَقَّ ويَهْوِى   فى ثَنِيَّاتِ الطَّرِيقْ
أىُّ قاضٍ أنت لِلنَّقْ   صِ وتَعْطِيلِ الحُقُوقْ
يا أبَا الهَيْثَم ما أَنْ   تَ لهذا بخَلِيقْ
لَا ولَا أَنْتَ بِمَا حُمِّـــلْتَ مِنْهُ بمُطِيقْ
حَبْلُه حَبْـــلُ غُرُورٍ   عَقْدُهُ غَيْرُ وَثِيقْ[1]

وله فيه أيضاً :

قل لأميرِ المُؤْمِنِين الَّذِى   فى هَاشِمٍ سِرُّهَا واللُّبَابْ
إِنْ كُنتَ للسُّخْطَة عَاقَبْتَنا   بخَـــالِدٍ فهْوَ أشَدُّ العِقَابْ
أَصَمُّ أَعْمَى عَنْ طَرِيقِ الهُدَى   وقَدْ ضَرَبَ النَّوْكُ عَليْهِ الحِجَابْ
كانَ قَضَاءُ اللهِ فِيمَا مَضَى   مِنْ رَحْمَةِ اللهِ وهَذَا عَذَابْ
يا عجبًا مِنْ خَالِدٍ كيفَ لَا   يُخْطِيءُ فِينَا مَرَّةً بالصَّوَابْ[2]

قال أبو العتاهية :

وَلَيْسَ بحاكِمٍ مَنْ لَا يُبَالِى   أَأَخْطَأَ فى الحُكُومةِ أمْ أَصَابَا[3]

وقال آخر :

فإِنْ تُصِبْكَ مِنَ الْأَيَّامِ دَاهِيَةٌ   لَمْ نَبْكِ مِنْكَ عَلَى دُنْيَا وَلَا دِينِ[4]

---

(١) ساقط من ب ، وانظر الأبيات فى البيان ٢/٢٨٩ ، عيون الأخبار ١/٦٤ ، وما عدا الأخيرين فى الشعر والشعراء ٨٤٦ .
والجاثليق : كبير النصارى فى بلد الإسلام ، أو هو صاحب رتبة دينية تقل عن البطريرك .
(٢) الأبيات الخمسة ساقطة من ب ، وانظرها كلها فى عيون الأخبار ١/٦٣ ، ٦٤ .
(٣) ديوانه ١٤ .
(٤) البيت لأبى وجرة مولى عبد الله بن الزبير ، انظر العقد الفريد ٦/١٧٦ .

وقال آخر :

إِذَا مَا لَقِيتَ بَنِي عَامِرٍ   لَقِيتَ جَفَاءً ونَوْكًا كَثِيرَا
نَعامٌ تَجُودُ[١] بِأَعْنَاقِهَا   ويَمْنَعُهَا نَوْكُهَا أَنْ تَطِيرَا

وقال آخر :

وَإِنَّكَ إِنْ حَلَلْتَ بِدَارِ قَوْمٍ   رَحَلْتَ بِخِزْيَةٍ وتَرَكْتَ عَارَا[٢]

وقال آخر :

خَنَازِيرُ نَامُوا عَنِ المَكْرُمَاتِ   فَنَبَّهَهُمْ[٣] قَدَرٌ لَمْ يَنَمْ
فيا قُبْحَهُمْ فِى الَّذِى خُوِّلُوا   ويَاحُسْنَهُمْ فِى زَوَالِ النِّعَمْ[٤]

وقال آخر :

لَخَيْرٌ منكَ مَا لَا خَيْرَ فِيهِ   وخَيْرٌ مِنْ زِيَارَتِكَ القُعُودُ

وقال آخر :

وما يَنْفَعُ الأَصلُ مِنْ هَاشِمٍ   إذا كانَتِ النَّفْسُ من بَاهِلَهْ[٥]

وقال آخر :

كَأَنَّ رِيحَهُمُ مِنْ قُبْحِ فِعْلِهِمُ   رِيحُ الكِلَابِ إِذَا مَا مَسَّهَا المَطَرُ

---

(١) ب : تجر
(٢) البيت لجرير ، ديوانه ٢٨١ .
(٣) ب : فثبتهم .
(٤) البيتان لجرير ، ديوانه ٥٦٥ ، ونسبا فى محاضرات الأدباء ١ /٨٦ إلى محمود الوراق .
(٥) البيت فى التمثيل والمحاضرة ٤٥٦ ، محاضرات الأدباء ١ /١٦٢ من غير نسبة .

وقال خلف الأحمر :

إِذَا انْتَسَبُوا فَفَرْعٌ من قُرَيْشٍ ... ولكنَّ الفِعَالَ فِعَالُ عُكْلِ[١]

وقال أبو على البصير :

لَعَمْرُ أَبيكَ ما نَسبَ المُعَلَّى ... إلى كَرَمٍ وَفى الدُّنيا كَريمُ

ولكنَّ البِلَادَ إِذَا اقْشَعَرَّتْ ... وصَوَّحَ نَبْتُهَا رُعِيَ الهَشِيمُ[٢]

وللحطيئة فى أُمّه ، لا عفا الله عنه :

تَنَحَّىْ فاقْعُدِى مِنّى بعيداً ... أَراحَ اللهُ منك الْعَالَمِينا

أَلَمْ أُوضِحْ لكِ الْبَغضاءَ مِنّى ... ولكن لا إخالُكَ تَعْقِلينا

أَغِرْبالًا إِذَا اسْتُودِعْتِ سِرًّا ... وَكانُونًا عَلَى المُتَحَدِّثِينا

جزاكِ اللهُ شَرًّا من عَجُوزٍ ... ولقَّاكِ العُقُوقَ من البَنِينا[٣]

وللفقيه أبى عمر بن عبد البر :

وَاصلتَ فى شُرْبِ الشَّمُولِ[٤] سفاهَةً ... حتّى غدوْتَ كأَنَّ أَنْفكَ دُمَّلُ

قال أعرابىّ : أتيتُ بغـداد فإذا ثيابُ أجوادٍ على أَلْأَمِ أجْسادٍ ، إقبالُ حظّهم إدبارُ حظوظ الكرام ، شجرٌ فروعه عنـد أُصوله ، شَغلهم عن المعروف رغبتهم فى المنكر .

---

(١) سبق البيت مع أبيات أخرى فى باب الهدية .

(٢) البيتان فى معجم الأدباء ٣/٨٩ ، التمثيل والمحاضرة ٩١ ، نهاية الأرب ٣/٨٦ ، معجم الشعراء ٣١٤ ، الكامل ٢/٢٨٢ ، واقشعرت البلاد : أجدبت ، وصوح النبت : يبس وتشقق .

(٣) ديوانه ٢٧٧ .

(٤) الشمول : الخمر ، أو البارِدة منها .

قال أبو العتاهية :

أذمّ بَغْدادَ وَالْمُقامَ بها ... من بَعْدِ ما خبرةٍ وَتجريبِ
ما عند أمْلاكِها لمرْتَغِبٍ[١] ... رِفْدٌ وَلا فُرْجَةٌ لمكروبِ
خَلَّوْا سَبيلَ العُلَا لِغَيْرِهِمُ ... وَنازَعوا في الفسُوقِ وَالُحوبِ
يحتاج راجى النّوال عندهمُ ... إلى ثلاث من غير تكذيبِ
كنوزِ قارونَ أن تكونَ له ... وعمرِ نوحٍ وَصَبْرِ أيوبِ[٢]

وقال آخر :

أَما لَوْ أَنَّ جَهْلَكَ كانَ[٣] علماً ... إِذًا لنَفَذْتَ فِي علم الغُيُوبِ
ومالك فى الغريب يدٌ ولكن ... تعَاطيك الغَريبَ من الغَريبِ[٤]

وقال الناشىء :

لو كما تَجْهل تَدْرِى ... كنتَ للهِ[٥] رَسُولَا

وقال حماد بن الزبرقان[٦] فى حمّاد عَجْرَد :

نعم الفتى لو كان يَعْرفُ ربَّه ... وَيقيمُ وقتَ صَلَاتِهِ حَمّادُ
هَدَلَتْ[٧] مَشَافِرُه الشَّمُولُ فأنفُهُ ... مثلُ القَدُومِ يَسُنُّهَا الحَدَّادُ

---

(١) ب : لمرتقب .
(٢) لم أعثر على هذه الأبيات فى ديوانه المطبوع .
(٣) ا : عاد .
(٤) البيتان لأبى تمام ديوانه ٢٧ .
(٥) ب : والله .
(٦) ب : الزبير .
(٧) ب : هزلت . والأبيات فى الشعر والشعراء ٧٥٤ . وفيه : الدنان مكان الشمول .

وابيضَّ مِنْ شُرْبِ المُدَامَةِ وَجْهُهُ ... فبياضُهُ يَوْمَ الحِسابِ سَوَادُ

وقال رَافِعُ بن إِبْرَاهِيم اليَرْبُوعى :

ألستُم أقلَّ النَّاسِ تحتَ لوائِهِم ... وأكثرَهُمْ عندَ الذبيحَةِ والقِدْرِ
وأمْسَاهُ بالشَّىْءِ المُحَقَّرِ بَيْنَهُم ... وأعجزَهُم عند الجَسِيمِ من الأمْرِ (١)

وقال أعرابى :

العبدُ يجتنبُ الهِجَاءَ لشَيْنِهِ ... ولك الهِجاءُ إذا هُجيتَ جَمالُ
لم يبقَ عارٌ فى البَرِيَّةِ كلِّها ... إلا وأخبثُ منه فيك يُقَالُ

وقال أبو عيينة (٢) :

خالدٌ لولا أَبُوه ... كان والكَلْب سَوَاء
لو كَمَا يَنْقُصُ يَزْ ... دَادُ إذًا نَالَ السَّماءْ
(٣) أنَا ما عِشْتُ عَلَيْهِ ... أَسْوَأُ النَّاسِ ثَنَاءْ
إِنَّ مَنْ كان مُسِيئًا ... لحقيقٌ أنْ يُساءْ (٣)

وله أيضاً :

داود محمودٌ وأنتَ مُذَمَّمٌ ... عَجَبًا لذاكَ وَأَنْتُمَا من عُودِ

---

(١) ورد البيت الأول فى حماسة أبى تمام ٢/٢٢٦ منسوبا إلى عويف القوافى .

(٢) هو أبو عيينة بن المهلب بن أبى صفرة كان من أطبع الناس وأقربهم مأخذا فى الشعر وأقلهم تكلفا ، انظر ترجمته فى الشعر والشعراء ١٥٨ ، معجم الشعراء ٢٦٧ .

(٣) ساقط من ب ، والأبيات فى الشعر والشعراء ٨٥٢ ، معجم الشعراء ٢٦٧ ، والأولان فى محاضرات الأدباء ١/١٦٣ ، والثانى فى التمثيل والمحاضرة ٨٠ ، والأبيات قالها فى هجاء ابن عمه خالد بن يزيد والى جرجان .

ولربَّ عودٍ قد يُشقّ لمسجدٍ   نصفاً وسائرُه لحُشٍّ يهُودِ[١]

وقال الفرزدق :

أترجُو[٢] كُلَيْبًا أن تجيء صِغارها   بخيرٍ وقد أعيا عليك كبارُها[٣]

وقال أبو نُواس :

لأبي نوحٍ رغيفٌ   أبداً فى حجرِ دايَهْ
برَّةٍ تمسَحُهُ الدَّهْ   رَ بكُمٍّ ووِقايَهْ[٤]
وله كاتبُ سُوءٍ   خطَّ فيه بعِنايَهْ
فسيكفيكهمُ اللَّـ   ـهُ إلى آخر الآيَهْ[٥]

وقال فيه أيضاً :

أبو نوحٍ دخلتُ عليه يوماً   فغدَّانى برائحةِ الطعامِ
فكان كمن سقى الظمآنَ آلاً   وكنتُ كمن تغدّى فى المنامِ[٦]

قال رجل خياط أعور لبعض الشعراء : والله لأخيطن لك قِباءً لا تدرى أقباء

---

(١) الحش : المسلح والمخرج الذى يقضون فيه حوائجهم . وانظر البيتين فى محاضرات الأدباء ١٦٢/١ ، الشعر والشعراء ٨٥٤ ، المستطرف ٣٨/١ ، ٣/٢ ، معجم الشعراء ٢٦٧ .

(٢) ب : ترجى .

(٣) نهاية الأرب ٧٢/٣ ، التمثيل والمحاضرة ٦٩ـ وفيه : ترجى ربيع .

(٤) ب : وقباية .

(٥) ديوانه ٣١٢ ، المحاسن والمساوىء للبيهقى ٢٠٢/١ .

(٦) الآل : السراب ، وانظر البيتين فى ديوانه ٢٨٩ ، عيون الأخبار ٦٤/١ .

هو أم دُوَّاج [١] ، فقال له : وأنا والله أقول فيك شعراً ، لا تدرى أمدح هو أم هجاء ، فلما خاطه له قال فيه :

خاطَ لى عَمْرٌو قِبَاءْ ليت عَيْنَيْهِ سَوَاءْ
[٢] قل لمن يسمع هذا أمديح أم هجاءْ [٢]

فلم يدروا ما أراد : صحة عينيه أم عماه .

ولرجل من بنى تميم :

أمِنْ عَوَزِ الرِّجالِ وَهُمْ كَثِيرٌ حَبَاَ نصرٌ بِامْرَتِهِ [٣] عَقِيلاَ
فلو بكتِ المنابرُ من لئيمٍ سَمِعْتَ لعودِ منبره عَوِيلاَ

وقال آخر :

من دون سَيْبِك لونُ ليلٍ مُظْلِمٍ وحَفيفُ رائِحَةٍ وكلبٌ مُرصَدُ
والضيفُ عندكَ مثلُ أسْودَ سَالِخٍ لا بل أحبُّهما إليكَ الأَسْوَدُ [٤]

وقال آخر :

ورثْنَا المجدَ عن آباءِ صِدقٍ أَسَأْنَا فى دِيارِهِمُ الصَّنِيعَا
إذا الحسبُ الرفيعُ تعاوَرَتْهُ بُنَاةُ السُّوءِ أوشَكَ أن يَضِيعَا [٥]

---

(١) القباء : ثوب يشبه العباءة ، والدواج : المعطف الثقيل .
(٢) ساقط من ب . وقد نسب البيتان فى العقد ٥/٤١٠ إلى بشار بن برد ، وانظرهما فى محاضرات الأدباء ٢/٣١٨ .
(٣) ب . بامرأته .
(٤) فى عيون الأخبار ٢/٣٢ : نافجة مكان رائحة ، وموسد بدل مرصد ، وهى مأخوذة من أوسد الكلب بالصيد أى أغراه ، والأسود السالخ : الافعى ، ووصف بالسالخ لأنه يسلخ جلده كل عام .
(٥) الكامل ١/٢٧٦ ، عيون الأخبار ٢/١١١ .

وأحسنُ من هذا :

لسْنَا وإن أحسَابُنا كَرُمتْ … يوماً عَلَى الأحْسَابِ نَتَّـكِلُ
نَبْنِي كما كانتْ أوائلُنَـا … تَبْنِى ونفعلُ مثـل ما فعَـلُوا[١]

وقال آخر :

إن تلقَ ريبَ المنايا أو تَرُدّها[٢] … لم نبْكِ منكَ على دينٍ ولا حَسَبِ

وقال آخر :

وإن تُصِبْك من الأيامِ قارعةٌ … لم أبْكِ منك على دُنياً ولا دِين[٣]

قيل لمسلمة : أجرير أشعر أم الفرزدق ؟ قال : الفرزدق يبنى ، وجرير يخرب ، وليس يُقوِّم الخرابَ شَيْء .

قال أعرابى فى سعيد بن سَلْم[٤] :

مَدَحْتُ ابنَ سَلْمٍ والمديحُ مَهزَّةٌ … فكان كصفوانٍ عليه تُرَابُ
لِكلّ أخِي مَدْحٍ ثوابٌ يُعِـدُّهُ … وليس لمدحِ الباهـلىِّ ثَوَابُ[٥]

---

(١) فى ا : نسير كما كانت أوائلنا تسير ، والرواية للشطرة الأولى فى نوادر القالى ١١٧ : لسنا وإن كرمت أوائلنا ، وقد نسب البيتان فى الكامل ١/٩٤ إلى عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب ، ونسبا فى حماسة أبى تمام ٢/٣٣٩ إلى المتوكل الليثى ، وانظرهما فى زهر الآداب ١/٧٩ .

(٢) ب : تردقنا ، ا : تردفنا .

(٣) سبقت نسبته فى العقد ٦/١٧٦ لأبى وجرة مولى عبد الله بن الزبير انظر ص٥٢٢ ، وانظره بدون نسبة فى المصون لأبى أحمد العسكرى ٢١ ، وفيه : جائحة بدل قارعة .

(٤) ب : مسلم .

(٥) محاضرات الأدباء ١/١٨٤ ، الكامل ٢/٢٣ ، عيون الأخبار ٢/٣٢ ، مع تقديم الثانى على الأول ، العقد الفريد ١/٣١١ .

قال أبو بكر السَّامرى :

يا شاعرًا يهتكُ من عَقْلِهِ أضعافَ ما يهتكُ من عِرْضِى
إذا هجانى جاءنِى شِعْرُهُ وبعضُه يضحكُ من بَعْضِ

وهذا الباب أكثر من الحصى والتراب .

بابُ العَقْــل والُحمْق

أما العقلُ فقد أوردتُ فى معناه واشتقاقه والدّلالةِ عليه ، وما جاء في ذلك من النثر والنَّظم كتاباً كافيا ، ونورد هاهنا من صفات العاقِل وَالأحمق ما تحْسُن به المذاكرة ، ويجمل إيراده فى المجالسة إن شاء الله تعالى .

ومن حديث ابن عمر ، عن النبيّ صلّى الله عليه وسلم : « لا يُعْجِبَنّكُم إيمانُ الرجل حتى تعلموا ما عقدةُ عقله »

وروى عن النبيّ صلى الله عليه وسلّم ، أنه قال : « حقٌّ على العاقل أن يكون له أربع ساعات ، ساعة يحاسب فيها نفسَه ، وَساعة يناجى فيها ربّه ، وساعة يُفْضى فيها إلى إخوانه الذين يُخْبرونه بعيوبه ، ويَصْدُقونه عن نفسه ، وساعة يخلى فيها بين نفسه وبين لذاتها فيما يحلُّ ويجمل ، فإن هذه الساعة عونٌ له على هـذه الساعات ، وإجمام[1] للقلوب . وحقٌّ على العاقل ألا يظعن[2] إلا فى إحدى ثلاث : زادٌ لمعاده ، ومرمّة لمعاشه ، أو لذة فى غير محرم . وعلى العاقل أن يكون عارفاً بزمانه ، مالكاً للسانه ، مقبلاً على شانه » .

أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السّلام : أتدرى لم رزقتُ[3] الأحمق ؟ قال : لا . قال : ليعلَمَ العاقلُ أن الرزقَ ليس باحتيال .

---

(١) ا : إحكام .
(٢) ا : يظفر .
(٣) ا : خلقت .

قال النبيُّ صلى اللهُ عليه وسلّم : « ثلاثٌ من حُرِمَهُنَّ فقد حُرِمَ خيرَ الدنيا والآخرة : عقلٌ يدارى به الناس ، وحِلمٌ يردُّ به السفيه ، وورعٌ يَحْجِزُه من المحارم » .

افتخر رجلان عند علىّ بن أبى طالب رضى اللهُ عنه ، فقال : أتفتخران بأجساد بالية ، وأرواح فى النار ؟ ! إن يكن لكما عقلٌ فلكما أصل ، وإن لم يكن لكما خُلُق فلكما شرف ، وإن يكن لكما تقوى فلكما كرم ، وإلاّ فالحمار خير منكما ، ولستما خيرًا من أحد .

وقال علىُّ بن أبى طالب رضى الله عنه : العاقلُ من لم يَحْرِمْه نصيبُه من الدنيا حظَّه من الآخرة .

قال علىُّ بن أبى طالب فى وصيته لابنه : لا مالَ أعْوَدُ[1] من العقل ، ولا فقر أشدّ من الجهل ، ولا وِحْدة أوْحَش من العُجْب ، ولا مظاهرةَ كالمشاورة ، ولا حَسَب كحسن الخلق .

كان يقالُ : إذا كان علم الرجل أكثرَ من عقله ، كان قمينًا أن يضرّه علمُه .

قال عمرُو بن العاص : ليس العاقلُ الذى يعرف الخير من الشر ، ولكنه الذى يعرف خير[2] الشرين .

قال العُتْبىّ : العقلُ نوعان ، فأحدهما ما تفرد الله بصنعته ، والآخر ما يستفيده

(١) ا : أعدد .
(٢) ا : شر .

المرءِ بأدبه وتجربته ، ولا سبيلَ إلى العقل المستفاد إلاّ بصحة العقل المركب ، فإنهما إذا اجتمعا قوّى كلٌّ منهما صاحبَه ، كما أن النار فى الظلمة نور للبصر ، وأنشد :

إذا لم يكنْ للمرءِ عقــلٌ يَزِينُهُ ... مع النّاس لَمْ يَجْعلْ له مُشْفِقٌ عَقْلاَ[١]

وقال آخر :

ولا خيرَ فى حُسْنِ الْجُسُوم وَطُولِهَا ... إذاَ لم يَزِنْ حُسْنَ الْجُسُومِ عُقُولُ[٢]

وقال أردشير بن بابك : نموُّ العقلِ بالعلم .

وكتب عمرُ بنُ عبد العزيز رضى الله عنه ، إلى بعض عماله : أمَّا بعــد ، فإنّ العقل الْمُفْرَدَ لا يُقْوى به على أمر العامّة ، ولا يُـكتفى به فى أمر الخاصَّة ، فأَحْيِ عقلَك بعلم العلماءِ والأشرافِ من أهل التّجارب والمُرُوءات ، والسَّلام .

قال أيوبُ بنُ القِرِّيَّة : الناسُ ثلاثة : عاقلٌ ، وأحمقُ ، وفاجرٌ ، فالعاقل : الدّينُ شريعتُه ، والحِلمُ طبيعتُه ، والرأىُ الْحَسَنُ سَجِيَّتُه ، إن نطق أصاب ، وإن سمع وعى ، وإن كُلّم أَجاب . والأحمق : إن تـكلّم عَجِل ، وَإن حدَّث وَهِل ، وَإن استُنْزِلَ عن رأيه نزل . وأما الفاجرُ : فإن ائتمنته خانك ، وَإن صحبته شانك .

قال مُطَرِّفُ بن الشِّخِّير : عُقولُ كلِّ قوم على قَدْرِ زمانهم .

---

(١) ب : فايجعل له مشفقا عقلا

(٢) يروى ونبلها مكان طولها ، وقد نسب البيت فى البيان والتبيين ٢/٢٢٩ إلى مالك بن حمار الشمخى الفزارى ، وفى هامش أمالى القالى ١/٣٩ أنه لهذيل بن ميسر الفزارى ، وورد فى حماسة أبى تمام ٢/١٤ لرجل من بنى فزارة ولم يعينه ، ونسب فى معجم الأدباء ١٨/٦، ٣ إلى أبى العيناء .

كان يقالُ : ستّ خصال تُعْرَف فى الجاهل : الغَضَبُ فى غير شَىْء ، والكلامُ فى غير نفع ، والعطيّةُ فى غير موضعها ، وإفشاء السّر ، والثقةُ بكلّ أحد ، ولا يعرف صديقه من عدوه .

قيل لابن شُبْرُمَة : ما حَدُّ الحمق ؟ قال : لاحِدّ له .

سُئِل بعضُ الحكماء عن العقل ، فقال : الإصابةُ بالظُّنون ، ومعرفةُ ما لم يكن بما قد كان .

كان يحيي بن خالد ، يقول : ثلاثةُ أشياء تدلّ على عقول أربابها : الكتابُ على مقدار عقل كاتبه ، والرسولُ على مقدارِ عقل مُرْسِله ، والهديّة على مقدار عقل مُهـديها .

قال ابن الأعرابى : سُمّىَ الرجلُ أحمق ، لأنه لا يميز كلامه من رعونته

قال : والحُمق أيضاً الكساد ، يقال : انحَمَقَتِ[1] السّوق إذا كسدت ، ومنه الرجل الأحمق لأنه كاسدُ العقل لا ُينتفع برأيه ولا بعزمه . والحمق أيضاً : الغرور ، يقال : سرنا فى ليالٍ مُحَمّقات ، إذا كان القمر فيهن يَسْتَتِر بغيمٍ أبيضَ رقيق ، فيغترُّ الناس بذلك يظنون أن قد أصبحوا فيسيرون حتّى يملوا .

قال : ومنه أخذ اسم الأحمق لأنه يعزُك فى أوّل مجلسه بتماتله ، فإذا انتهى إلى آخر كلامه تبيّن حُمقه .

---

(١) ب : حمقت ، وكلاهما وارد صحيح .

وقيل للرِّجْلَة البَقْلَةُ الحمقاء ، لأنَّها تَنْبُت فى مسيل الماء ، وفى طريق الإبل ، فهى أبدًا مَدُوسة .

وفى الخبر المرفوع : « للعاقل خصال يُعْرَف بها : يَحْلُمُ عمَّن ظلمه ، ويتواضعُ لمن هو مثله ، ويسابقُ بالبِرّ من هو فوقه ، وإذا رأى بابَ فرصةٍ انتهزها ، لا يفارقُه الخوف ، ولا يصحبه العنف[1] ، يتدبَّر ثم يتكلَّم ، فإن تكلَّم غَنِم ، وإن سكت سَلِم ، وإن عرضت له فتنة ، اعتصم بالله ثم تنكَّبها ، وللجاهل خصالٌ يُعْرَف بها : يَظْلِمُ من خالطه ، ويتكلم بغير تَدَبُّر فيندم ، فإن تكلَّم أَثِم ، وإن سكتَ سَهَا ، وَإن عَرَضت له فتنةٌ أَرْدَتْه ، وإن رأى بابَ فضيلةٍ أعرض عنها .

ذكر المغيرةُ بنُ شُعْبَة يوماً عُمَر بنَ الخطّاب رضى الله عنه ، فقال : كان والله أفضل من أن يَخْدَع ، وأعقل من أن يُخْدَع .

فى كتاب « كليلة ودمنة » : رأسُ العقلِ التمييزُ بين الكائن والممتنع .

قال الحجاج يوماً : العاقلُ من يعرف عيبَ نفسه ، قال عبد الملك : فما عيبُك ؟ قال : أنا حسودٌ حقود ، قال عبد الملك : ما فى إبليسَ شرٌّ من هاتين .

قال الحسن البصرى : صلة[2] العاقل إقامةٌ لدين الله ، وهجران الأحمق قربة إلى الله ، وإكرامُ المؤمن خدمةٌ لله وتواضعٌ له .

---

(١) ب : التعنيف .
(٢) ا : ملة .

قال عبد الله بن الحسين[١] : حُمْقُ الرجل يفسد دينَه[٢] ، ولا دينَ لمن لا عقل له . وكان لا يجيز شهادةَ الأحمق العفيف ، فكُلِّم فى ذلك ، فقال : سأريكم . ودعا بحاجبه فقال : يا ممدودُ[٣] ، انظر لى ما الرِّيح ؟ فخرج ثم رجع ، فقال : هى شمالٌ يَشُوبها شئ من الجنوب . فقال : أَتَرَوْنَ أن أجيزَ شهادة مثل هذا ؟!

فقال أردشير : رضاء المرء عن نفسه دليل على عقله .

قال أنو شروان : ثقةُ الرجل برأيه ، وإقرارُه بتوفير عقله ، دليل على عقله .

قيــــل :

هل ينتهى من أول الزَّجر أحمقُ

كان يقال : إذا تمّ العقلُ نقصَ الكلام .

قال على بن أبى طالب : لا تؤاخِ الأحمق ، ولا الفاجِرَ ، أمّا الأحمقُ فمدخَلُه وَمَخْرَجُه شينٌ عليك ، وأما الفاجرُ : فيزيِّنُ لك فعلَه ، ويودُّ أنك مثله .

---

(١) كذا بالأصول ، وقد ورد فى عيون الأخبار ١/١٧ أنه عبيد الله بن الحسن العنبرى .

(٢) ساقطة من ا .

(٣) ا : مرود ، وجاء فى عيون الأخبار : أبا مودود .

قال سابق :

المرءُ يجمعُ والزَّمَانُ يُفرِّقُ ... ويظلّ يرقعُ والخُطُوب تمزِّقُ
وَلئن يُعَادِى عاقلاً خيرٌ له ... من أن يكون له صديقٌ أحمقُ

وقال آخر :

عدوك ذو العَقْل أبقَى عَلَيْكَ ... من الصَّاحِبِ الجاهِلِ الأَحْمَقِ[1]
وذو العقل يأتى حِسَانَ الأمورِ ... ويَعْمِد للأَرْشَدِ الأَوْفقِ

وقال دعبل بن على الخزاعى :

عداوةُ العاقل خيرٌ إذا ... حُصِّلْتَهَا من خُلَّةِ الأَحْمقِ
لأَنَّ ذا العَقْلِ إذا لم يَرِعْ[2] ... عن ظالمك استحيا فلم يَخْرُقِ
ولن ترى الأحمقَ يُبْقِى على ... دِينٍ ولا وُدٍّ ولا يَتَّقِى

وقال آخر :

عداوةُ العَاقِلِ خيرٌ لِمَنْ ... عَادَاهُ من وُدِّ امرئٍ جاهِلِ
بوائقُ الجاهِلِ مَبْثُوثةٌ ... وليس تخشاها من العاقِلِ

وقال صالح بن عبد القدوس :

ألا إنَّما الإنسانُ غِمدٌ لعقلِهِ ... ولا خيرَ فى غِمدٍ إذا لم يكنْ نَصْلُ

---

(١) التمثيل والمحاضرة ٣٠٦ ، فصل المقال ١٦٠ .
(٢) أى [illegible]

فإن كانَ للإِنسان عقلٌ فإِنَّه ... هو النَّصْلُ والإِنْسَان من بعدِهِ فَضْلُ

وقال أيضاً :

وما المرء إلاّ اثْنَان عقلٌ ومنطقٌ ... فمن فاتَهُ هذا وذاكَ فقد دَمَرْ

ولا سيَّما إن كانَ ممَّن نَصِيبُهُ ... من الدِّينِ والدُّنياَ قليلٌ إذا حَضَرْ

وقال ابن الرومى :

وليس عتابُ المرءِ للمرءِ نافعاً ... إذا لم يكنْ للمرءِ عقلُ يعاتبه[1]

وقال آخر :

زعمتَ أبَا سهلٍ بأنّك جامعٌ ... فنو نًا من الآداب يجمعُهَا الكَهْلُ

فهبْك تقولُ الحقّ أىُّ فضيلةٍ ... تكون لذى علمٍ وليس له عَقْلُ[2]

وقال آخر :

لكلّ امرئٍ شكلٌ من النّاسِ مِثْلُهُ ... فأَكْثَرُهُمْ شكلاً أَقَلُّهُـمُ عَقْلاَ

لأَنَّ صحيحَ العَقْلِ لَيْس بواجدٍ ... له فى طريقٍ حينَ يَسْلُكُهَا مِثْلاَ

ولا خيرَ فى طُول السِّبالِ[3] وَعَرْضِهاَ ... إذا اللهُ لم يجعلْ لِصَاحِبِهَا عَقْلاَ

---

(١) البيت فى المختار من شعر بشار ٩٢ بغير نسبة .

(٢) البيتان لأبى العباس الناشىء فى أبى سهل بن نوبخت ، زهر الآداب ٣/١٨٨ .

(٣) السبال : مقدم اللحية ، وانظر الأبيات فى الكامل ١/[illegible]٣٢ ، وفيه [illegible] يأول .. الخ

وقال آخر :

قد عرفناك باختيَـــارِكَ إذ كَا ... ن دليـلاً عَلَى اللَّبيبِ اختِيَارُهْ(١)

وقال بشار بن برد :

وما أنا إلا كالزَّمان إذا صَحَا ... صَحَوْتُ وإن مَاقَ الزَّمَانُ أَمُوقُ(٢)

وقال آخر :

وأنزلني طولُ النَّوَى(٣) دارَ غُرْبَةٍ ... إذا شئتُ لاقيتُ امرءًا لا أُشَاكِلُهْ

تحامقتُه حـــتّى يُقَـالَ سَجِيَّةٌ ... ولو كان ذا عقلٍ لـكنتُ أُعَاقِلُهْ(٤)

وقال آخر :

تحامقْ مع الحَمْقَى إذا ما لَقِيتَهُـــمْ ... ولا تَلْقَهُمْ بالعقل إن كُنْتَ ذا عَقْلِ

فإنِّي رأيتُ المرءَ يَشْـــقَى بعقلِهِ ... كما كَانَ قبل اليَوْمِ يَسْعَدُ(٥) بالعَقْلِ

وقال أبو يزيد(٦) البَسْطَامِي رحمه الله :

ياذا الذى ليس له والدٌ ... يَسْعَى على الأَرْضِ وَلا وَالِدَهْ

(١) العقد الفريد ١/٣

(٢) المختار من شعر بشار ٢١١ البيان والتبيين ١/١٨٩ .

(٣) ا : الشقا .

(٤) سبق البيت الأول وفى ص ٢٣٤ انظر نسبته ومراجعه هناك ، وانظرهما أيضا فى محاضرات الأدباء ١/١٣٦ ، عيون الأخبار ٣/٢٦ .

(٥) ب : يسود . والبيتان لواصل بن عطاء رأس المعتزلة ، انظر معجم الأدباء ١٩/٢٤٧ .

(٦) ا : دريد ، تحريف . فهو أبو يزيد طيفور بن عيسى البسطامى ، زاهد مشهور ، له أخبار كثيرة فى الزهد ، وأقوال فى الحكمة والتصوف ، مات سنة ٢٦١م . انظر فى ترجمته وفيات الأعيان ٢/٢١٣ .

قد ماتَ من قبلِهمُ آدَمُ   فأيُّ نفسٍ بعـــدَه خالِدَهْ
إن جئتَ أرضاً أهلُها كلُّهم   عورٌ فغمِّضْ عَيْنَكَ الْوَاحِدَهْ(١)

سمع عمر بن عبد العزيز رجـلا يكنى أبا الْعُمَرَيْن ، فقال : لو كان لك عقل كفاك أحدهما .

قال الحسنُ : هجرةُ الأحمق قربة إلى الله تعالى .

قال منصورُ الفقيه :

أجالس كلاًّ وإن لم يكن   على ما أحبُّ سوى الأَمْوَقِ
فإنِّى أُجالِسُه مـــرَّةً   وأنهضُ عنـــه فلا نَلْتَقِى
فما نعمةٌ بعد تَقْوَى الإله   بأفضلِ من هجْرَةِ الأَحْمَقِ

قال بعضُ الحكماء : ينبغى للعاقلِ أن يَتَمَسَّك بستّ خصال : أن يحفظ(٢) دينه ، ويصونَ عِرْضَه ، ويصلَ رَحِمَه ، ويحفظَ جارَه ، ويرعى حقَّ إخوانه ، ويخزُن عن البذاء لسانَه .

كان الحسنُ البَصْرِىّ إذا أُخْبِر عن أحد بصلاح ، قال : كيف عَقْلُه ؟ ثم يقول : ما يتم دينُ امرئٍ حتّى يتمّ عَقْلُه .

روى أنه لما أهبط الله عزّ وجل آدَمَ إلى الأرض ، أتاه جبريلُ ، فقال : يا آدم !

---

(١) فصل المقال ١٩٨ .
(٢) ا : يحوط .

إن الله تعالى قد أحضرك ثلاثَ خصالٍ لتختارَ منهنّ واحدة، وتخلّىَ عن اثنتين.

قال: وما هنّ؟ قال: الحياءُ والدينُ والعقلُ: قال آدم: إنى اخترتُ العقلَ.

قال جبريل للحياء والدين: ارتفعا فقد اختارَ العقل، قالا: لا نرتفع. قال: ولم عصيتما؟ قالا: لا، ولكنا أُمِرْنا ألاّ نفارقَ العقلَ حيثُ كان.

كان يقال: لا تعتدّ بمن ليس له عُقْدَةٌ من عقل.

قال بعض الحكماء: وُكِّلَ الحرمانُ بالعقل، والرزقُ بالْجَهْل، ليعْتبر العاقلُ فيعلم أنّ الرزقَ ليس عن حيلة.

قيل لزُرْعَة بن ضَمْرَة: متى عَقَلْت؟ قال: يومَ وُلِدتُ. قيل: وكيف ذلك؟ قال: مُنعتُ الثَّدى فبكيتُ، وأعطيتُها فسكتّ.

قال الحَسَن: لأَنَا للعاقلِ المُدْبر، أرجَى منّى للأحمق المقبل.

قال الأوزاعى: قيل لعيسى عليه السلام يارُوحَ الله! أنت تبرئُ الأكمهَ والأبرصَ وتحيي الموتى بإذن الله، فما دواءِ الأَحمق؟ قال: ذلك أعيانى.

قال قيس بن الخطيم:

وبعضُ الداء ملتمَسٌ دَوَاهُ   وَداءِ النَّوكِ لَيْسَ لَهُ دَوَاءُ[1]

---

(١) انظر ديوانه ٧٧، وفيه: ملتمس شفاه. ليس له شفاء... حماسة أبى تمام ٢/٤٠.

وقال آخر :

جنونُك مجنونٌ ولستَ بواجدٍ طبيبًا يُداوِى من جُنُونِ جُنُونِ[١]

وقال آخر :

قالوا جُننتَ بِمَنْ تَهْوَى فقلتُ لَهُمْ ما لَذَّةُ الْعَيْشِ إلاّ للْمَجَانِينِ
الحبُّ لا يَسْتَفِيقُ الدَّهرَ صَاحِبُهُ وإنما يُصْرَعُ المجنون فى الحِينِ

كان يقال : الأحمقُ بشأنه أعلمُ من العاقل بشأن غيره[٢] .

قال زيدُ بن أَسْلم ، قال لقمان لابنه : يا بنىّ لَئَنْ يُقْصيك[٣] الحكيم خيرٌ من أن يُدْنيك[٤] الأحمق .

قال عمرُ بنُ عبد العزيز : خَصْلَتَان لا تَعْدِمُك [إحداهما][٥] من الأحمق ، أو قال من الجاهل : كثرةُ الالتفاتِ ، وسرعةُ الجواب .

كانوا يُعَبِّرون عن الأحمق بالجاهل ، ومن ثَمّ قالوا : غضب كسرى على عاقل فسجنه مع جاهل . يريدون سجنه مع أحمق ، ويُعَبِّرون أيضًا عن العاقل بالحليم ، قال الشاعر :

---

(١) عيون الأخبار ٢/٤٧ .
(٢) وردت هذه العبارة فى عيون الأخبار : الأحمق أعلم من العاقل الخ ، وصححها فى الهامش كما ورد هنا .
(٣) ب : يضربك .
(٤) ب : يدهنك .
(٥) زيادة يستقيم بها المعنى .

فلا تَصْحَبْ أَخَا الْجَهْلِ   وَإيَّاكَ وَإيَّاه
فَكم من جاهلٍ أَرْدَى   حليماً حِينَ وَاخَاهُ
يقاسُ المرءُ بالْمَرْءِ   إذَا مَا هُوَ مَاشَاهُ(١)

قال سهلُ بن هارون : ثلاثةٌ من المجانين وإن كانوا عقلاء : الغضبان ، والغيران(٢) ، والسَّكران . قيل : فما تقولُ فى المنعظ ؟ قال :

وما شَرُّ الثَّلاثَةِ أُمَّ عَمْرٍو   بِصَاحِبِكِ الَّذِى لا تُصْبِحِينَا

قال ثمام بجيع : إذا قام ذكرُ الرجل ، ذهب ثلثا عقله .

قال محمود الوراق ، وقد نسب إلى ابن الزَّيات :

ليس شىءٌ مما يدَبِّرُه العا   قلُ إلاّ وفيه شىءٌ يُرِيبُهْ
فأخو العقل مُمْسِكٌ يتوقّى   ويخافُ الدُّخُول فيما يَعِيبُهْ
وَأَخُو الْجَهْلِ لا يَقْدُرُ فى الأمْـ   ـرِ وإن أَشْكَلَتْ عليه ضُرُوبُهْ
راكبٌ رَدْعَهُ كحاطِبِ(٣) لَيْلٍ   يخطئُ الْأَمْرَ كلَّهُ أَوْ يُصِيبُهْ
تتأتَّى له الأمورُ عَلَى الْجَهْـ   ـلِ إذا ما أرادها وتُجِيبُهْ

---

(١) عيون الأخبار ٣/٧٩ ، ورد البيت الثالث فيها أيضا ٣/٨ ضمن أبيات منسوبة إلى أبى العتاهية .
(٢) ب : والعريان .
(٣) ب : كخابط . وراكب الردع : من يمضى فى حاجته فيرجع خائبا ، وحاطب الليل : المخلط الذى يصيب مرة ويخطىء أخرى .

وأخُو العَقْل بعـد يَنتَتِجُ الرَّأْ ىَ فَيَرْضَى وَمَرَّةً[١] يَسْتَرِيبُهْ
وإذا صـــيَّر البعيـدَ قريبًا عادَ فيهِ فازداد بُعْـدًا قريبُه
فهو الدَّهرَ شاخصُ الْقَلْبِ فكرًا ما تَقَضَّى همومُه وكُرُوبُه

وقال آخر :

ألا إنّ عقـلَ المرء عَيْنَا فُؤَادِه فإنْ لَمْ يَـكُنْ عقلٌ فلن يُبْصِرَ الْقَلْبُ

[٢] وقال آخر:

أرى زمنًا نَوْكَاهُ أسعدُ أهْــلِهِ ولـكنّما يَشْقَى به كلُّ عاقل
مشى فوقه رجـلاه والرأسُ تحتَه فـكبّ الأَعَالى بارتفاعِ الأسَافِلِ [٢]

وقال آخر :

عَـــذَلُونِى عَلَى الْحَمَاقَةِ جَهْلاً وهى من عَقْلِهِمْ أَلَذُّ وَأَحْـــلَى
لو لَقُوا ما لقيتُ من حِرْفَةِ العَقْ لِ لَسَارُوا إلى الْحَمَاقَةِ رِسْـلاَ
حُمُقِى قَائِمٌ[٣] بِقُوتِ عِيَـــالِى وَيموتون إنْ تَمَاقَلْتُ هُزْلاَ

قال هِشامُ بن عبد الملك : يُعْرَف حمقُ الرجل بأربع : بطولِ لِحيته ، وَشناعةِ كُنْيته و نقشِ خَاتَمِه ، وإفراطِ شَهْوَته . فدخـل عليه ذات يوم رجـلٌ طويل

---

(١) ساقطة من ا .
(٢) ساقط من ا . وانظر البيت الثانى فى البيان والتبيين ١/٢٤٦ .
(٣) ب : قائما .

الْعُثْنُون ، فقال هشام : أمّا هذا فقد جاء بواحـدة ، فانظروا أين الثلاث ؟ قالوا : ما كنيتك ؟ قال : أنا أبو الياقوتِ الأحمر . قالوا : فما نقشُ خاتمك ؟ قال : ﴿وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾(١) .

وفى خبر آخر : أن معاويةَ جرت له مثل هـذه الحكاية ، إلاَّ أنَّ فى خبر معاوية ، قيل له : فما كنيتك ؟ قال : أنا أبو الكوكب الدريّ . قيل له : فما نقش خاتمك ؟ قال : ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَالِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾(٢)

قال يحيي بن الحكم الغَزّال :

يُعرف عقلُ المرء فى أربعٍ   مِشْيَتُهُ أَوَّلُهَا وَالْحَرَكْ
وَدَوْرُ عَيْنَيْه وألفاظُهُ   بعدُ عَلَيْهِنَّ يَدورُ الْفَلَكْ(٣)

وقال آخر :

طلبتُ الرِّزْقَ بالْعَقْـــلِ   من الْغَرْبِ إلى الشَّرْقِ
فلم يُـكْسِبْنِيَ الْعَقْـــلُ   سوى البعـدِ من الرِّزْقِ
فأدبرتُ عن الْعَقْـلِ   وأقبلتُ عَلَى الْحُمْقِ
فلم أتعبْ ولم أَنْصَبْ   ولم أَضْرَعْ إلى الْخَلْقِ

قال بعضُ الحكماء : من الحمق التماسُ الإخـوان بغير وفاء ، والتماسُ الآخرة

---

(١) سورة يوسف الآية ١٨ .
(٢) سورة النمل الآية ٥٤ .
(٣) العقد الفريد ٢/٢٤٣ .

بالرِّياء[١] . والتماس مودة النِّساء بالغلظة ، والتماسُ العلم والفضل بالدَّعة والخفض .

سمع الأحنف رجلا يقول : ما أبالى أمُدِحْتُ أم هجيت . فقال : استرحتَ من حيث تعب الكرام .

قالت العرب : استراح من لا عقل له .

وقالت الفرس : مات من لا عقل له .

أنشدنى بعض شيوخى رحمهم الله :

كم كافـــرٍ باللهِ أَمْوَالُهُ ... تزدادُ أضعافًا على كُفْرِهِ
ومؤمنٍ لَيْسَ له دِرْهَمٌ ... يزدادُ إيمانًا على فَقْرِهِ
لا خيرَ فيمنْ لم يكن عاقلاً ... يمـــدُّ رِجْلَيْه عَلَى قَدْرِهِ

وقال آخر[٢] :

ما إن يزالُ ببغدادِ يُزَاحِمُنَا[٣] ... على البراذين أَشْبَاهُ الْبَرَاذِينِ
أعطاهم اللهُ أمـــوالاً منزَّلَةً ... من الملوك بلا عقلٍ ولا دينِ
ما شئتَ من بغلةٍ شَقْرَاءَ ناجيةٍ ... أو من أثاثٍ وقولٍ غيرِ مَوْزُونِ[٤]

---

(١) ب : بالزنا .
(٢) هو عارق بن أثال الطائى ، كما فى البيان ١/٢٢١ .
(٣) ا : نرى جثثا .
(٤) ا : ومن أثاث وقول غير مأمون ، والبغلة الناجية : السريعة ، انظر الأبيات فى البيان والتبيين ١/٢٣١ ، ٢٣٢ و ٣/٢١٨ .

بابٌ من أَجْوِبَةِ الْحُمْق

وَمُرَاجعةِ السُّخَفَاء ، وألفاظ النَّوْكى وَالْجُهَلاَء

استعمل معاوية رجلاً من كَلْب ، فذكر المجوسَ يوماً ، فقال : لعن اللهُ المجوسَ ينكحون أمهاتِهم ، واللهِ لو أعطيتُ عشرةَ آلاف درهم ، ما نكحتُ أُمّي . فبلغ ذلك معاوية ، فقال : قبحه الله ! أترونه لو زِيد فعل ؟ ! !

قال أبو عبيدة : أُجْرِيَتِ الخيلُ فطلع منها فرسٌ سابق ، فإذا رجلٌ من النَظَّارة يكبّر ويثب من الفرح ، فقال له رجل إلى جنبه : يا فتى ! هذا الفرسُ فرسُك ؟ قال : لا ، ولكنَّ اللجام لجامي .

أرسل رجلٌ من بني عِجْل بن لُجَيْم فرساً في الحلبة ، فجاء سابقاً ، فقال لابنه : يابنيّ ! بأيِّ شيء أسميه ؟ فقال : يا أبت افقأ عينه وسمه الأعور . قال الشاعر :

رَمَتْنِي بنُو عِجْـلٍ بِداءِ أَبِيهِمُ وَأَيُّ عِبادِ اللهِ أَنْوَكُ من عِجْلِ

أَلَيْس أَبُوهم عَارَ عَـيْنَ جوادِهِ فَأَضحتْ به الأَمْثَالُ تُضْرَبُ بالْجَهْلِ (١)

قال أبو كعب القاصّ في قصصه : إن النبي صلى الله عليه وسلم قال في كبد حمزة ما علمتم ، فادعوا الله أن يطعمنا من كبد حمزة .

---

(١) انظر البيتين في وفيات الأعيان ١/٢٨٦ ، المحاسن والمساوىء للبيهقي ٢/٢٢٦ .

وقال أيضاً فى قصصه : إن اسم الذئب الذى أكل يوسف كذا وكذا ، قالوا له : فإن يوسف لم يأكله الذئب ، قال : فهذا اسم الذئب الذى لم يأكل يوسف .

وتلا فى قصصه يوماً قول الله عز وجل : ﴿ يَتَجَرَّعُهُ وَلاَ يَكَادُ يُسِيغُهُ ﴾[1] ، فقال : اللهم اجعلنا ممن يتجرعه ويسيغه .

قيل لبرذعة الموسوس : أيُّما أفضل غَيْلاَن أم مُعلى ؟ قال : مُعَلّى ، قالوا : ومن أين ؟ قال : لأنه لما مات غيلان ، ذهب مُعَلّى إلى جنازته ، فلما مات مُعَلّى لم يذهب غيلان إلى جنازته .

رفع رجلٌ من العامة ببغداد إلى بعض ولاتها على جار له أَنَّه يتزندق ، فسأله الوالى عن قوله الذى نسبه به إلى الزندقة ، فقال : هو مُرْجِىءٌ قدَرِىٌّ نَاصِبِىٌّ رَافِضِى ، من الخوارج ، يبغضُ معاويةَ بن الخطَّاب الذى قتل علىَّ بن العاص . فقال له ذلك الوالى : ما أدرى على أى شىءٍ أَحْسُدُك ؟ أعلى علمك بالمقالات ، أم على بصرك بالأنساب .

كان قوم من أهل العلم يتناظرون فى أمر معاوية وعلىّ ، ويذكرون أبا بكر وعمر ، وكان قريباً منهم رجل من العامة ، ينسب إلى أنه من أعقلهم ، وكان ذا سَبَلَةٍ[2] طويلة ،

---

(١) سورة إبراهيم الآية ١٧ .
(٢) السبلة بالتحريك : ما على الشارب من الشعر ، أو ما على الذقن منه إلى طرف اللحية .

فقال لهم : كم تطنبون فى أمر علىٍّ ومعاوية وفلان وفلان !! فقال له أحد القوم : وتعرف أنت مَنْ على[1] ومعاوية وفلان وفلان [1] ؟ قال : نعم ! أوليس هو أبو فاطمة ؟ قال : وَمن كانت فاطمة ؟ قال : امرأة النبى صلى الله عليه وسلم بنت عائشة أخت معاوية .قال : فما كان قصة علىّ ؟ قال : قتل فى غزاة حنين مع النبى صلى الله عليه وَسلّم .

دخل رجلٌ من العامة الجهلة الحمقاء على شيخ من شيوخ أهل العلم ، فقال : أصلح الله الشيخ ، لقد سمعتُ فى السوق الساعة شيئًا منكرًا ، ولا ينكره أحد قال : وما سمعت ؟ قال : سمعتُهم يشتمون الأنبياء ! قال : ومن المشتوم من الأنبياء ؟ قال : سمعتُهم يشتمون معاوية . قال : يا أخى ليس معاوية بنبىّ . قال : فهبه نصف نبىٍّ لم يُشْتم .

قال عَمْرُو بن بَحْر : ذكر لى شيخٌ من الإباضية أنه جرى عنده ذكر الشيعة يوماً فغضب وشتمهم ، وأنكر ذلك عليهم إنكارًا شديدًا . قال : فأتيته يوما فسألته عن سبب إنكاره على الشيعة وَلَعْنِهِ لهم فقال : لمكانِ الشين فى أول الكلمة ، لأنى لم أجد ذلك قطّ إلا فى مَسْخُوط ، مثل شُوم وَشَرٍّ وَشَيْطَانٍ وَشِيصٍ وَشُحّ وَشَغَبٍ وَشِعْبٍ وَشِرْكٍ وشَتْمٍ وَشِقَاقٍ وَشَطَرَنْج وَشَيْنٍ وَشَانِى وَشَحْطٍ وَشوصَة وَشَوْكٍ وَشَكْوَى وَشَنَآن . فقلت له : إن هذا كثير ، ما أظنّ أن[2] القوم يقيم الله لهم علمًا مع هذا أبدًا .

---

(١) ساقط من ا . (٢) ب : هذا .

كان عندنا رجل شاهدناه ، وكان من جيراننا على غاية من الجهل والغباوة ، وكان إذا سلَّم من صلاته فى جماعة أو وحده ، يقول : السَّلاَم على الملكين الكاتبين لأبى بكر وعمر ، وكان ألثغ يجعل مكان الكاف تاء .

اشترى باقلُ ، وهو رجل من قيس بن ثعلبة عنزًا بأَحَدَ عَشَرَ درهمًا ، فقالوا له : بكم اشتريت العنز ؟ ففتح كفّيه وفرّق أصابعه ، وأخرج لسانه ، يريد أحد عشر درهمًا ، فلما عَيَّرُوه ، قال :

يلومونَ فى حُمْقِهِ باقِلاً ... كَأَنَّ الحماقَةَ لم تُخْلَقِ
فلا تُكْثِرُوا الْعَذْلَ فِى عِيِّهِ ... فَلَلعِىُّ أَجْمَلُ بالأَحْمَقِ[1]
خروجُ اللسانِ وَفَتْحُ البَنَان ... أَحَبُّ إِلَيْنَا من الْمَنْطِقِ[2]

ذكر الصّولى عن ابن الجوهرىّ ضروبًا من العِىّ والحماقة والجهل ، وكان له تسبيح ظريف يسبحه بإثر كل صلاة : سبحانك يا عالمين ، والحمد لله الأكرمين ، ولا إله إلا الله الطيبين ، والصلاة على النبي المباركين ، وأزواجه أمهات المؤمنين ، ونسأل الله خير عوائق الأمور .

رأى معاويةُ بن مروان بن الحكم حمارَ طاحونةٍ فى عنقه جُلْجُل فى حانوت طحان، فقال له : ما بال هذا الحمار فى عنقه جلجل ؟ فقال : أنا مشتغل فى علاجى وطلب

---

(١) ا : بالأموق .
(٢) الأبيات فى المحاسن والمساوىء ٢/٢٢٧ .

معيشتى خارج الحانوت ، وبحركة الجلجل أعرف وقوفَ الحمارِ فأحرِّكه للمشى ، فقال له معاوية : أرأيتَ إنْ وَقفَ الحمارُ وَحرَّكَ رأسَه فتحرك الْجُلْجُل ؟ قال الطحان : وَمَنْ لحمارى بمثل عقلِ الأمير ؟ !

ومعاويةُ هذا هو الذى أمر بغلق بابَ المدينةِ إذ انفلتَ له البازى .

قال طحطاح[1] لابنه يومًا : ما الذى تشتهى ؟ قال : رَأْسَىْ كبشٍ . فقال له أبوه : لا يكون للكبش رأسان ، قال : فرأسَ كبشين ، فضحك منه .

قيل لمخنث : مالكم تحلقون لحاكم ؟ فقال : إن الْبُرُدَ[2] لا تعرف إلا بحذف أذنابها .

دخل راكب البريد يومًا عَلَى المأمون ، فقال له : متى خرجت ، أو متى قدمت ؟ فقال له : بعد غد ياأمير المؤمنين . فقال له المأمون : فإذًا أتيتنا[3] وبيننا وبينك مرحلتان .

مَرِضَ رجلٌ من الأعراب ، فَعَادَهُ جَارُه ، وقال له : ما تجد ؟ قال : أشكو دُمَّلا أهلكنى ، وزكامًا أضرنى . قال له : فقد بَلَغَنَا أن إبليسَ لا يحسد عَلَى شيء من الأمراض إلاَّ عَلَى هاتين العلتين لما فيهما من الأجر والمنفعة . فأنشأ الأعرابى يقول :

---

(١) ب : سلطاح .
(٢) البرد : خيل البريد ، وكانت تقص أذنابها لتعرف فتسهل مهمتها .
(٣) ساقطة من ب .

أيحسدُنى إبليس دَاءيْنَ أصْبَحَا ... بِرَأْسِي وَإِسْتِي دُمَّلاً وَزُكَامَا
فليتَهُمَا كانَا بِهِ وَأَزِيدُهُ ... رَخَاوَةَ زُبٍّ لا يطيقُ قِيَامَا[1]

وقال أبو نواس :

قد أضَرَّتْ بِى[2] دَمَامِيـ ... ـلُ عَلَى الظَّهْرِ مُلِحَّهْ
لَيْتَهَا فى عَيْنِ مَنْ يَحْـ ... ـسِبُهَا مَالاً وَصِحَّهْ[3]

سلم فزارة صاحب المظالم بالبَصرة على يساره فى الصلاة ، فقيل له فى ذلك ، فقال : كان على يمينى إنسان لا أكلمه .

وقال فزارة يومًا فى مجلسه : لو غسلت يدى مائة مرة ما تنظّفت ، أو أغسلها مرتين . وفيه يقول ابن المعذّل :

وَمن المظالِمِ أن تكو ... نَ عَلَى الْمَظَالِمِ يا فزَارَهْ[4]

تقدم رجل مع خصمه إلى قاض ، فقال : أصلح الله القاضى ، لى عند هذا الزانى ابن الزانية كذا وكذا . فقال القاضى لخصمه : ما تقول فيما سمعت من دعوى خصمك ؟ فقال : لا أعرف شيئًا فيما يقول ، وأنا منكر لما يدعيه . فقال للمدعى : هات بينة إن كان لك . فأتاه برجلين فجلسا بين يديه ، فقال لهما : بم تشهدان ؟

---

(١) البيتان لأعرابى يدعى أبا حكيمة ، انظر محاضرات الأدباء ١/٢٠٦ .
(٢) ب : به .
(٣) ديوانه ١٣٤ .
(٤) البيت فى يتيمة الدهر ٢/٢٣٤ ، وفيها : ومن المظالم أن قعدت ... الخ

قالا : نشهد أن لهذا الرجل على هذا الزانى ابن الزانية كذا وكذا لدعوى خصمه . فقال لهما : قد قبلتكما . قم يازانى ابن الزانية فأدّ ما شهدا به . فقال المشهود عليه : أيها القاضى ! إن كان هؤلاء استحلوا قذفى[(١)] وقذف أمى بجهلهم ، فما الذى استحللت به أنت ذلك منى ؟ فقال : والله يا ابن أخى[(٢)] ما حسبت إلا أنه اسمك واسم أمك ، لأنك لم تنكر ذلك على خصمك ولا على شاهديْه .

مر قاض بواسط أو بحمص على السوق فى يوم رمضان ، فرأى رجلا قد صنع معزفًا ، فوقف عليه وقال : أيها الفاسق ! فى هذا الشهر المبارك تعمل آلاتِ اللهو وظروفَ الشرّ فقال : أصلح الله القاضى ، إنما هى مِقْلاة . قال : لعن الله الشيطان! ماحسبتها إلا مِعْزَفا ، فنهض شيئًا ثم عاد إليه ، فقال له : يا فاسق ! وكيف تكون مقلاة من خشب ؟ هذا محال . فقال له : يا قاضى ! إنى أطليها بالقار ، فلا تؤثر فيها النار . قال : صدقت ، ثم انصرف عنه .

وُلّى رجلٌ مقلّ قضاء الأهواز ، فأبطأ عليه رزقه ، وحضر عيد الأضحى وليس عنده ما يضحّى به ولا ما ينفق ، فشكا ذلك إلى زوجته ، فقالت له : لا تغتم ، فإن عندى ديكًا جليلا قد سمنتُه ، فإذا كان عيدُ الأضحى ذبحناه . فلما كان يومُ الأضحى ، وأرادوا الديك للذبح ، طار على سقوف الجيران ، فطلبوه وفشا الخبر فى الجيران ، وكانوا مياسير ، فرقّوا للقاضى ، ورثوا لقلة ذات يده ،

---

(١) ساقطة من ب .

(٢) ب : يا أخى .

فأهدى إليه كلّ واحـد منهم كبشاً ، فاجتمعت فى داره أكبش كثيرة ، وهو فى المصلى لا يعلم ، فلما صار إلى منزله ، ورأى ما فيه من الأضاحى قال لامرأته : من أين هذا ؟ قالت أهْـدى إلينا فلان وفلان — حتى سَمَّت جماعتَهم — ما ترى . قال: ويحك! احتفظى بديكنا هذا فما فدِىَ إسحاق بن إبراهيم[1] إلاّ بكبش واحد ، وقد فُدى ديكنا بهذا العدد .

(١) كذا بالأصول ، وهو مخالف المعروف من أن الذبيح هو إسماعيل بن إبراهيم وليس إسحاق .

باب الْمُلَح وما به النَّفس تَرْتَاحُ من مُبَاح الْمُزَاح

قال الْأَصْمَعِيّ : وُصِلتُ بالعلم ، وكسبت بالْمُلَح .

قال عبد الرحمن بن أبي الزِّنَاد : قلت لأشعب : أنت شيخ كبير ، فهل رويتَ شيئاً من الحديث ؟ قال : بلى ! حدثني عِكْرمة عن ابن عبّاس ، عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : خصلتان من حافظ عليهما دخل الجنة . قلت : وما هما ؟ قال : نسيت أنا واحدة ، ونسي عكرمة الأخرى .

كان أشعبُ الطَّمع كثيرَ الإلمام بسالم بن عبد اللهِ بن عمر ، فأتاه يوماً وهو في حائط مع أهله ، فمنعه البوابُ من الدُّخولِ عليه من أَجْلِ عِيالِه ، وقال : إنَّهم يأكلون . فمال عن الباب ، وتسوَّر عليهم الحائط ، فلمَّا رآه سالم ، قال : سبحان الله يا أشعب ! على عيالي وبناتي تتسوَّر . فقال له : ﴿ لقد عَلِمْتَ مَالَنَا في بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ ، وإنَّكَ لَتَعْلَمُ ما نُرِيد ﴾[1] . فقال له : انزل يأتك من الطَّعام ما تريد .

أُخذ قومٌ في قطع ، فقُدِّموا لضرب أعناقهم ، فقام منهم واحدٌ ، وقال : اللهَ اللهَ فيَّ ، فوالله ما كنت في شيء مما كانوا فيه ، وإنما كنت أشربُ معهم وأغنِّي لهم ، فقالوا : هاتِ فغنِّ لنا ، فارتجت عليه الأشعار إلاّ قول الشاعر :

عن المرءِ لا تسألْ وَسَلْ عن قَرِينِه ... فكلّ قرينٍ بالْمُقارِنِ مُقْتَدِي[2]

---

(١) سورة هود ، الآية ٧٩ .

(٢) محاضرات الأدباء ٣/٢ ، والبيت لعدي بن زيد العبادي كما في مجموعة المعاني ١٤ ، الشعر والشعراء ١٣٢ حماسة البحتري ... [illegible]

فقالوا[١] : صدق . اضربوا عنقه .

كان بعضُ أمراء خُرَاسان يتشاءم بالحُول ، فمتى رأى أَحْوَل ضربه بالسِّياط ، وربما ضرب بعضَهم خمسمائة سـوط ، وحَـدَثَ أنه ركب فى بعض الأيَّام ، فرأى أحولَ فأمر بضربه ، وكان الأحولُ جلداً ، فلمـا فرغ من ضربه ، قال له : أيها الأميرُ ! أصلحك اللهُ ، لِمَ ضربتنى ؟ قال : لأنى أتشاءم بالحُول . قال : فأينا أشدُّ شؤماً على صاحبه ، أنت رأيتنى ولم يصبك إلاّ خير ، وأنا رأيتك فضربتنى خمسمائة سَوْط ، فأنت إذاً أشد شؤماً . فاستحيا منه ولم يضرب بعده أحداً .

كانت فى سعيد[٢] بن فروخ بن القطان ، والد يحيي بن سعيد الفقيه ، غفلة شديدة مشهورة ، فخرج يوم الجمعة وقد تهيأ للصلاة ، فلقى رجـلا من أهل البصرة كثير المزاح ، فقال له : قد أخروا الجمعة إلى غد ، فقال : حسن . ورجع إلى منزله .

كان إسماعيل بن يَسَار[٣] الشاعر قد خفَّ على عروة بن الزبير[٤] حتى زامله مَرّةً فى بعض أسفاره ، فقال ليلةً فى سفره ذلك لغلامه : انظر هل اعتدل المَحْمِل ؟

---

(١) ب : فقال .

(٢) ساقطة من ب .

(٣) ب : بشار ، وهو تحريف ، انظر ترجمته فى الأغانى ٤/٤٠٨ — ٤٢٩ .

(٤) ساقط من ب .

فقال له الغلامُ : ماهو إلاّ معتدل ، فقال إسماعيل : والله ما اعتدل الحقّ والباطل قبل هذه الليلة ، فضحك عروة .

قال الأصمعيّ: قدم تاجرٌ من أهل الكوفة المدينة بأخمرة فباعها كلها إلاّ السُّود منها، فلم تَنفْق ، وكان صديقاً للدارمىّ الشاعر ، فشكا ذلك إليه ، وقد كان الدارمىّ تنسّك، وترك الشعر والغناء . فقال له : لاتهتمّ بذلك فإنِّى سأنفقها لك حتى تبيع جميعَها إن شاء اللهُ تعالى ، ثم قال :

قل للمليحَةِ فى الخمارِ[1] الأَسْـوَدِ   مَاذَا صَنَعْتِ بِزَاهِـدٍ مُتَعَبِّـدِ
[2] قَدْ كَانَ شَمرَ للصَّـلاَةِ ثِيَابَهُ   حَتَّى عَرَضْتِ لَهُ بِبَابِ المَسْجِـدِ
رُدِّى عَلَيْهِ صِيَامَهُ وَصَـــلاَتَهُ   لا تَقْتُلِيهِ بِحَـقّ دِينِ مُحَمَّـدِ [2]

فشاع قول الدارمىّ هذا فى الناس : وقالوا : رجع الدّارمىُّ عن نُسْكه ، وعاد إلى فَتَـكِه[3] ، فلم يبق فى المدينة امرأةٌ ظريفة إلاّ ابْتَاعَتْ خماراً أَسـود حتى نَفِدَ ما كان منها مع العراقى ، فلما علم الدّارِمىّ ذلك ، رجع إلى نسكه ولزم المسجـد .

والدارمىّ هذا أصله مكىّ ، ثم انتقل إلى المدينة زمن عمر بن عبد العزيز ، وعاش إلى خلافة بنىَ العباس ، وانقطع إلى عبد الصمد بن على وكان شاعراً مطبوعاً ، ترك ذلك وتنسك[4] ، وهو القائل :

---

(١) ا : القاع .
(٢) ساقط من ب ، وانظر المستطرف ٢/٢٣ ، وفيات الأعيان ٣/٣٠٣ ، الأغانى ٣/٤٨ .
(٣) الفتك : المجون .
(٤) انظر فى ترجمته الأغانى ٣/٤٥ — ٥٠ .

ولما رَأَيتُـــــك أَوْلَيْتَنِى الْـ قَبِيحَ وَبَاعَـدْتَ عَنِّى الْجَمِيلاَ
تركتُ وِصَـالَكَ فى جانبٍ وَصَادَفْتُ فى النَّاسِ خِلاًّ بَدِيلاَ(١)

طُوَيْسٌ الذى تَضْرب به العربُ المثلَ فى الشُّؤم ، هو رجلٌ من أهـل المدينة مولى لبنى مخزوم ، واسمه عيسى بن عبد اللهِ ، وهو أول من أظهر الخنا والمجون بالمدينة ، وكان مغنيا يضرب الدف ، وسئل عن مولده ، فقال : ولدت يوم مات النبى صلى الله عليه وسلم ، وفطمت يوم مات أبو بكر ، وَخُتنت يوم قتل عمر ، وتَزَوَّجت يوم قتل عثمان ، وولد لى يوم قتـل على (٢ بن أبى طالب ٢) فيقولون فى أمثالهم السّائِرة . أشأم من طُوَيْس(٣) .

كان الشَّعبي يومًا جالساً فى مجلسه ، والناس يتناظرون فى الفقه عنده ، ومعـه شيخ يطيل السـكوت ، فقيل له يومًا(٤) : لو سألت عن مسألة تنتفعُ بها ، فقال : إنى لأجد فى قفاىَ حِـكَّةً ، أفترى لى أن أحتجم ؟ فقال الشعبي : الحمد لله الذى صرنا من الفقه إلى الحجامة .

مر بالشّعبي يومًا رجل يقود حماراً ، فقال له : ما اسْمُك ؟ قال : وَرْدَان . قال : وما اسم حمارك ؟ قال : عِمْران . قال الشعبي : واخلافاه(٥) ! !

مر رجـل معه كلب بابن أبى عتيق ، فقال له : ما اسْمُك ؟ قال : وثّاب .

---

(١) البيتان فى الأغانى٣/٤٥ . (٢) ساقط من ب .
(٣) انظر ترجمته فى الأغانى ٣/٢٧ وما بعدها .
(٤) ساقطة من ب .
(٥) يعنى أن ذلك خلاف الذى يجب [illegible] الأسماء [illegible] الرواية .

قال : وما اسم كَلْبك ؟ قال : عَمْرو . فقال ابنُ أُبى عتيق : واخلافاه ، وأنشد :

وَلو هَيَّـــا لَهُ اللهُ من التَّوْفِيقِ أَسْبَابَا
لسَمَّى نَفْسَهُ عَمْرًا وَسَمَّى الْكَلْبَ وَثَّابَا(١)

أنشد رجل زَبَّان(٢) السَّوَّاق ، قول إسماعيل بن يَسَار :

ما ضرَّ أَهْلَكِ لو تطوَّفَ عَاشِقٌ بِفناء بَيْتِكِ أَو أَلَمَّ فَسَلَّما(٣)

فبكى زَبَّان(٢) ، وقال : لاشيء واللهِ ، إلا الضَّجَر وسوء الخلق وضيق الصدر ، وجعل يبكي ويمسح عينيه .

قيل لمدنىّ : أما تتق اللهَ ، تؤذى جيرانك ؟! قال : فمن أوذى إذاً(٤) ؟ أوذى من لا أعرفه ؟!

كان الفرزدق جالسًا فى حلقة الحسنِ رحمه الله ، فقال رجل : يا أبا سعيد ! ما تقول فى الرجل يحكي عن غيره ، يقول : قال فلانٌ طلقتُ امرأتى ، وأعتقت عبدى ، وفعلت وفعلت ولا نيَّة له فى ذلك . فقال الفرزدق : يا أبا سَعيد : قد قلت

---

(١) محاضرات الأدباء ٢/٢٩٥ .
(٢) ا : ريان ، وانظر القصة والاختلاف فى هذا الاسم أيضاً فى الأغانى ٤/٤١٥ .
(٣) العقد الفريد ٣/٦٢ ، الأغانى ٤/٤١٤ .
(٤) ساقط من ا .

أنا فى ذلك . فقال : وما قلت يا أبافِراس ؟ فليس كلُّ قول يؤخذ به .
قال : قلتُ :

ولستَ بمأخوذٍ بِشَىْءٍ تَقُولُهُ إذا لم تُعَمِّد[1] عاقدَاتِ الْعَزَائِمِ[2]

قال الحسنُ : صدق أبو فراس ، القول ما قال .

اعترض الإسكندرُ جيشه يوماً ، فرأى فيهم رجلا أعرج ، فأمر بإسقاطه ، فضحك الأعرج . فقال له الإسكندر : مم ضحكك ؟ وقد أسقطتك . فقال : تعجبا منك لحبك آلة الهروب ، وكراهتك آلة الوقوف ، لأن معى آلة الوقوف فى الحرب وتسقطنى ، فأمر بإثباته فى خاصته ، [3] وأسنى رزقه [3] .

سمع ابن أبى عتيق يوما نُصيبًا الشاعر ، وكان أسود ، ينشد لنفسه :

وددتُ ولم أُخْلَقْ من الطَّيرِ أنَّني أُعَارُ جَنَاحَىْ طائرٍ فأَطِيرُ[4]

فقال له ابن أبى عتيق : ياابن أخى ! قل : غَاقِ تَطِرْ . شبهه بالغراب لشدة سواده .

هاج بأبى علقمة الأعرابىّ الدّمُ ، فأتوه بحجّام ، قال له : ياحجّامُ ! اشدد قصبَةَ

---

(١) ا : تحاضر .
(٢) شرح ديوان الفرزدق ٨٥١ ، وفيه : بلغو بدل بشىء ، محاضرات الأدباء ١/١١٢ ، ١٣٠ .
(٣) ساقط من ا .
(٤) انظر البيت والخبر فى الأغانى ١/٣٦٤ ، مع اختلاف فى الرواية .

المِلزَم[١] ، وأرْهف ظُبَة[٢] المشْرَط ، وأسرع الوَضْعَ ، وعجل النَّزع ، وليكن شَرْطُك وخزاً ، وَمَصّك نهزاً . فقام الحجام ناهضاً ، وقال : انتظر حتى يأتيك ابنُ القِرِّيَّة فيحجمك .

قال الهيثمُ بن عديّ : كنت يوماً بكُنَاسَة الكوفة[٣] إذ أنا برجل قد وقف على نخّاس الدّواب ، فقال له : اطلب لى حِماراً ليس بالصغير المحتَقَر ، ولا بالكبير المشْتَهر ، إن خلا الطريقُ تدفق ، وإن كثر الزحام ترفق ، لا يصادم فى السَّوارى ، ولا يدخل تحت البوارى ، إن أقللتُ عَلَفه صَبر ، وإن أكثرتُ له شكر ، وإن ركبته هام ، وإن ركبه غيرى نام . فقال له النخّاس : اصبر ياعبد الله ، فإذا مُسخ القاضى حماراً ، أصبتَ حاجتك إن شاء الله تعالى .

خطب أبو القطوف إلى قوم وَلِيَّةً لهم ، فأجابوه ، وقالوا : لهَا من الضّياع والمال كذا وكذا ، فما مَالُك أنت ؟ قال : إن كنتم صادقين فإنّ مالَها يكفينى وإياها ما عشنا ، فما سؤالكم عن مالى ؟ !

وقال عبدُ الملك بنُ عبد الحميد الحارثى :

يا أُخْتَ كِنْدَةَ مَافِى شِرْبَ عُثْمانِ ... وَأَزْمِعِى لِبَنِى عَوْفٍ[٤] بِهِجْرَانِ

---

(١) ب : اللدم ، والملزم كمنبر : خشبتان تشد أوساطهما بحديدة .
(٢) ب : طيه ، وظبة المشرط : حده .
(٣) الكناسة : محلة معروفة بالكوفة ، انظر معجم البلدان لياقوت ٢ /٧٢ .
(٤) ب : بنى أود .

يا أُختَ كِندَةَ سِيرِى سَيْرَ سَاخِطَةٍ ... كى تَلْتَوِى مُلْتَوَى[١] غضبَى وَغَضْبَانِ

يا أُختَ كِنْدَةَ ليس الرِّزْق فى يَدِه ... الرِّزْقُ فى يَدِ من لَوْ شَاءَ أغنَانِى

المـــــاء فى دَارِ عُثْمَانٍ لَه ثَمَنٌ ... والخبزُ فيهـا له شَانٌ من الشَّـانِ

عثمانُ يعـلمُ أنَّ الحمدَ ذُو ثَمَنٍ ... لـكنَّه يَشتَهِى حمدًا بِمَجَّانِ[٢]

والناسُ أكيسُ من أن يَمْدَحُوا أَحَدًا ... حـــتَّى يَرَوا عِنْدَه آثَارَ إِحْسَانِ

اغسـل يديك بأُشْنَانٍ وَأَنْقِـهِمَا ... غُسْلَ الجنابةِ من مَعْـرُوفِ عُثْمَانِ

وَاسلَحْ عَلَى كلِّ عُثْمَانٍ مَرَرتَ بِهِ ... إلاَّ الخليفـةَ عثمانَ بنَ عَفَّانِ[٣]

وقال اللّيث الحجام :

حلقتُ بِمُوسَى الْهَجْرِ نَاصِيَةَ الصَّـدِّ ... وَأجريتُ مُشْطَ الصَّدِّ فى طُرَّةِ الوُدِّ

قصصتُ بمقراضِ الْقِلاَ جُمَّةَ الوَفَا ... فَجَبْهَـةُ رَأْسِ الوُدِّ مَـكْشُوفَةَ الجلدِ

وشعر سِبَالِ الوَصْلِ صِرْتُ مُنَتِّفًا[٤] ... ظَلُوماً[٥] بمنقاش القطيعةِ وَالصَّـدِّ

وما زلتُ مَصَّاصًا بغـيرِ إساءةٍ ... بمحجمةِ الخُلْفِ القَبِيحِ دمَ الْوَعْدِ[٦]

---

(١) ا : يستوى سفرى .

(٢) ب : لمجان .

(٣) الأبيات الرابع والخامس والسادس فى وفيات الأعيان ٦٧/٦ ، والسادس والسابع فى نهاية الأرب ١٠٨/٣ ، محاضرات الأدباء ١٨٤/١ ، المستطرف ٩٨/١ ، عيون الأخبار ١٥٩/٣ .

(٤) ب : منقباً .

(٥) ا : طلوباً .

(٦) محاضرات الأدباء ٥٦/٢ .

وذكروا أن إبليس قال : ماذا ألقى من أصحاب البلغم ؟ ينسونى ويلعنونى .

قال حُسَيْن المعروف بالجمل الشاعر : كان أحمد بن المدبِّر بدمشق يقصده الشعراء فمن مدحه بشعر جيد أثابه ، ومن مدحه بشعر ردىء وكل به من يحمله إلى الجامع فلا يفارقه حتى يصلى مائة ركعة . قال فدخلتُ عليه ، فقلت :

أَرَدْنَا فى أَبى حَسَنٍ مديحاً　　كما بالْمَدْحِ تُنْتَجَعُ الوُلاَةُ
فقالوا يقبل المِدْحَاتِ لكنْ　　جوائزُه عليهنَّ الصَّلاَةُ
فقلتُ لهم : وما يُغْنِي عِيَالِي　　صَلاَتِى إنَّمَا الشأْنُ الزَّكاةُ
ليأمرْ لِي بكسْر الصَّادِ منها　　فتضحى لى الصَّلاَةُ هىَ الصِّلاَتُ[1]

قال ، فقال لى : أخذت هذا من قول أبى تمام :

هنَّ الْحَمَامُ فإن كَسَرْتَ عِيَافَةً　　من حَائِهِنَّ فإنَّهنَّ حِمَامُ[2]

قال الرِّياشى : خرج الناسُ بالبَصْرَة ينظرون هلالَ رمضان ، فرآه رجلٌ منهم ، ولم يزل يومئُ إليه حتَّى رآه غيرُه وعاينوه ، فلما كان هلال الفِطْر ، جاء الجارُ إلى ذلك الرجل ، فدقّ عليه البابَ ، وقال له : تعال أخرجنا مما أدخلتنا فيه .

---

(١) الأبيات للحسين بن عبد السلام المصرى المعروف بالجمل والمتوفى سنة ٢٥٨ هـ ، انظر معجم الأدباء ١٠/١٢١ ، ١٢٢ زهر الآداب ٢/١٨١ .
(٢) ديوانه ١٤٠ .

باب الْمُزَاح إباحةً وَكَرَاهة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنى لأَمْزَحُ ولا أقولُ إلا حقًّا » .

قال ابن عباس : المزاح بما يحسن مباح ، وقد مزح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يقل إلاّ حقا .

قال غالب القطان : أتيت محمّدَ بن سيرين ، وكان مزاحًا فسألته عن هشام ابن حسان ، فقال لى : توفى البارحة ، أما شعرت ؟ فقلت [١] إنا لله وإنا إليه راجعون ! فضحك [٢] وقال : ﴿ اللهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ، وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ، فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ ، وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمَّى ﴾ [٣] .

جاءت امرأة إلى الحَسَن ، فقالت : إنى نذرتُ أن أهدِىَ البَصْرة إلى مكة ، فقال : ويحك ! إن أهل البصرة لا يدعونك تُهْدِي بَصْرتهم ، ولو تركوك ماقدرت ، كفِّرى عن يمينك .

وفى الحديث المأثور : « أنّ عيسى عليه السلام كان يَبْكى ويَضْحَك ، وكان

(١، ٢) ساقط من ب.

(٣) سورة الزمر الآية ٤٢.

يَحْيي عليه السّلام يبكي ولا يضحك ، فكان خيرُهما المسيحَ عليه السلام » .

قال خليفةُ بن زيد : كان خليفةُ الأقْطَع مزاحاً ، وكان يقف عَلَى أيوب السِّخْتيانى فيمازحُه . قال حمّاد : وجاء خليفةُ الأقطع يوماً إلى أيُّوب ، وأنا غلام بين يديه ، فقال له : يا أبا بكر متى « استُحْدِثَ هذا » ؟ ! يعنى متى طلب هذا الحديث .

وروى هارون بن موسى الأعور عن سالم[٢] العلوىّ ، قال : قال لى الحسن : خلّ بينَ الناسِ و بينَ هِلاَلهم حتى يراه معك غيرُك .

وكان شعبة يقول : سالِم العَلوىّ يرَى الهلال قبل الناس بليلتين .

قال الخليلُ بن أحمد : النَّاس فى سجن مالم يُمَازِحوا .

مزح الشعبي يومًا ، فقيل له : يا أباعمرو أفتمزح ؟ ! قالَ : إن لم يكن هذا متنا من الغمّ ، فداء[٣] داخلٌ ، وهواء[٤] خارج .

كان محمد بن سيرين يداعب ويضحك حتى يسيل لعابه ، فإذا أردته عَلَى شيء من دينه كانت الثريّا أقرب إليك من ذلك .

أتت ابن سيرين امرأة الفرزدق شاكية ، فلما خرجت تمثل :

---

(١) ساقط من ب ، واستحدث هذا : إشارة إلى الغلام .
(٢) ا : سلم ، وكرر الاسم بعد ذلك صحيحا .
(٣) ب : فرا .
(٤) ب : فرا .

لقد أصبحتْ عِرْسُ الفَرَزْدَقِ نَاشِزًا ... ولو رَضِيَتْ زُبَّ اسْتِهِ لاستَقَرَّتِ[1]

قيل لابن سيرين : إن قوماً يقولون من الشعر ما يوجب الوضوء ، فعجب من جهلهم ، وكان في المسجد ، فتمثل :

نبئتُ أَنَّ فتاةً كُنْتُ أخطبُهَا ... عُرْقُوبُهَا مثلُ شَهْرِ الصَّوْمِ في الطُّولِ[2]

ثم قام فاستقبل القبلة وكبر مفتتحا لصلاته .

وقال شعبة : أقيمت الصلاة فأنشدنا عمرو بن مُرَّة بيت شعر غَزِل ، ثم افتتح الصلاة ، وكان إمامهم .

وقد كره جماعة من العلماء الخوض فى المُزاح لما فيه من ذميم العاقبة ، ومن التوصل إلى الأعراض ، واستجلاب الضغائن ، وإفساد الإخاء .

كان يقال : لكل شيء بدء ، وبدء العداوة المُزاح.

كان يقال : لو كان المُزاح فحلا ، ما ألقح[3] إلا الشر

قال سعيد بن العاص : لا تمازح الشريف فيحقد ، ولا الدنىء فيجترئ عليك .

قال ميمون بن مهران : إذا كان المزاح أمام الكلام فآخره الشتم واللطام .

---

(١) البيت لجرير ، ديوانه ٨٨ ، زهر الآداب ١/١٤٩ ، وفيهما : رشح استه ، عيون الأخبار ١/٣١٧ وفيه : رمح .
(٢) المستطرف ٢/٢٦٥ ، زهر الآداب ١/١٤٩ ، عيون الأخبار ١/٣١٧ .
(٣) ا : ما أنتج

قال جعفر بن محمد : إياكم والمُزاح، فإنه يذهب بماء الوجه .

كان خالد بن صفوان يكره المُزاح ، ويقول : يسمط أحدهم أخاه بأحرّ من الخَرْدل ويضحكُه بأصلب من الجندل[١] ، ويفرغ عليه أشد من غلى المرجل ، ويقول : مازحته .

قال إبراهيم النخعى : لا يكون المزاح إلا فى سخف أو بطر .

قال أبو هفان :

مَازِحْ صَدِيقَكَ[٢] ما أَحَبَّ مُزَاحاَ   وَتَوَقَّ مِنْه فى المزَاحِ جِمَاحاَ[٣]
فلرُبَّماَ مَزَحَ الصَّدِيقُ بِمِزْحَةٍ   كانَتْ لِبَابِ[٤] عَدَاوَةٍ مِفْتاحاَ[٥]

وقال ابن وكيع :

لا تمزحَنَّ فإنْ مَزَحْتَ فلا يَكُنْ   مَزْحاً تُضَافُ به إلى سُوءِ الْأَدَبْ
وَاحْذَرْ مُمَازَحَةً تَعُودُ عَدَاوَةً   إِنَّ المزَاحَ عَلَى مُقَدِّمَةِ الغَضَبْ[٦]

ولأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى :

لى صاحبٌ لَيْسَ يَخْلُو   لِسَانُهُ عَنْ جِرَاحِ

---

(١) ساقط من ب .   (٢) ا : أخاك .
(٣) ا : مزاحا .   (٤) ا : لبده .
(٥) نهاية الأرب ٤/٧٤ ، فصل المقال ١٠٠ .
(٦) نسب البيتان فى معجم الأدباء [illegible] /٣٠٢ إلى [illegible] الله البغدادى .

يجيد تمـــزيقَ عِرْضِي عَلَى ســـبيل المزَاحِ[1]

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم : « إياكم وكثرة الضحك ، فإنه يميت القلب ، ويذهب بنور الوجه » .

قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : من كثر ضحكه استُخِفَّ به وذهب بهاؤه .

وقال غيره من الحكماء : إياك والمشى فى غير أَرَب ، والضحك من غير سَبَب .

قال قتيبةُ بن مُسْلم لبنيه : لا تمازحوا فيَسْتَخفَّ بكم ، ولا تدخلوا الأسواق فترِقَّ أخلاقكم ، ولا تبخلوا فيزدريكم[2] أكفاؤكم .

قال أبو موسى بن الحسن بن عبد الصمد بن على بن المعتصم :

الْكِبرُ ذلٌّ والتَّواضُعُ رِفْعَةٌ وَالمَزْحُ وَالضَّحِكُ الكثيرُ سُقُوطُ
والحرصُ ذلٌّ وَالْقَنَاعَةُ عِزَّةٌ واليأسُ من صُنْعِ الإلٰهِ قُنُوطُ

وقال آخر :

فإياك إيَّاكَ المُـــزَاحَ فإنَّه يُجَرِّى عليك الطِّفْلَ وَالدَّنِسَ النَّذْلَا

---

(١) محاضرات الأدباء ١/١٣٧ .

(٢) ا : فيزحرى بكم .

(١) ويذهب ماء الوجه بعد بهائه ... وَيُورِثُهُ من بعد عِزّته ذُلاَّ (١)

وقال آخر :

ما أقبح الكَذِبَ المذمومَ صاحِبُهُ ... وَأَحْسَنَ الصِّدْقَ عند الله والنَّاسِ

وقال آخر :

للجِدِّ ما خُلِقَ الإِنْسَانُ فَالْتَمِسْ ... بالْجِدِّ حَظَّكَ لا بالْهَزْلِ واللَّعِبِ

لا يلبثُ الْهَزْلُ أَن يَجْنِي لِصَاحِبِهِ ... ذَمًّا ، وَيُذْهِبَ عَنْهُ بَهْجَةَ الأَدَبِ

لا خيرَ فى الهزْلِ فَاتْرُكْهُ لِقَائِلِهِ ... واهْرُبْ بِعِرْضِكَ مِنْهُمْ أَوْشَكَ الهَرَبِ

وقال محمود الوراق :

تَلْقَى الْفَتَى يَلْقَى أَخَاهُ وَخِدْنَهُ ... فى لَحْنِ مَنْطِقِهِ بِمَا لاَ يُغفَرُ

ويقولُ كنتُ مُمَازِحًا وَمُلاَعِبًا ... هيهَاتَ نَارُكَ فى الْحَشَا تَتَسَعَّرُ

أَلْهَيْتَنَا وَطَفِقْتَ تَضْحَكُ لاَهِيًا ... عَمَّا بِهِ وَفُؤَادُهُ يَتَفَطَّرُ

أو ما علمت ومثل جهلِك غالبٌ ... أن المزاح هو السِّباب الأكبر (٢)

فهؤلاء كرهوا المزاح وذموه ، ولم يستثنوا منه قليلا من كثير ، وأما منصور الفقيه فنهى عن الإكثار منه ، فقال :

لا تُكْثِرَنَّ مِنَ الْفُكَا ... هَةِ فى حَدِيثِكَ وَالدُّعَابَهْ

(١) ساقط من ب ، ويروي البيتان بروايات أخرى ، انظر حماسة البحترى ٤٠١ ، محاضرات الأدباء ١/١٣٦ ، المستطرف ٢/٢٩٣ ، نهاية الأرب ٤/٧٤ .

(٢) العقد الفريد ٦/٣٢ .

وَدَعِ الْغَرِيبَ مِنَ الْــكَلاَ ... مِ لِأَهْلِهِ عِنْــدَ الْخِطَابَهْ
وَإِذَا أَصَبْتَ فَــكُلُّ مَا ... أَغْفَلْتَهُ دُونَ الإِصَابَهْ

وقد أكثر أهل الأدب فى المُزاح من النظم ، واختلق ابن وكيع أكثر ذلك ، ورأيت الاقتصار فيه على الاختصار أولى من الإكثار .

كان المأمونُ يعجبه قول القائل :

أَخُو الْجِدِّ إِنْ لاَقَاكَ أَرْضَاكَ جِدُّهُ ... وَذُو بَاطِلٍ إِنْ شِئْتَ أَلْهَاكَ بَاطِلُهْ (١)

(١) البيت [illegible] أبى تمام [illegible] الكامل ١ [illegible] ٢٣٢ [illegible]

بابُ مدحِ الصِّدْقِ والأمانَة ، وذمِّ الكَذِبِ والخيانَة

قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم : « المؤمنُ إذا حدَّث صَدَق ، وإذا وعد أنجز ، وإذا اؤتُمِنَ وفى ، والمنافقُ إذا حَدَّثَ كَذَب ، وإذا وَعَدَ أخلف ، وإذا اؤتُمِنَ خان » .

وقال صلّى الله عليه وسلَّم : « لا تزالُ أُمّتى بخير ما اتّخذوا الأمانَةَ مغنماً ، والصدق مَغْرَما » .

قالت عائشة رضى الله عنها ، قلت : يا رسول الله ! بِمَ يعرف المؤمن ؟ قال : « بوقاره ولين كلامِه ، وصدقِ حديثه » .

وقال صلى الله عليه وسلّم : « أَدِّ الأمانَة إلى من ائتمنك ، ولا تَخُنْ من خانك » .

وقال سعدُ : كلٌّ الخصال يُطبع عليها المؤمن ، إلاّ الخيانة والكذب .

وقال علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه : من كانت له عند الناسِ ثلاثٌ وجبت له عليهم ثلاث : من إذا حدَّثهم صدقهم ، وإذا ائتمنوه لم يَخُنْهم ، وإذا وَعَدَهم وَفَى لهم ، وجب له عليهم أن تحبه قلوبُهم ، وتنطقَ بالثناء عليه ألسنتهم ، وتظهرَ له معونتهم .

قيل للقمان الحكيم : ألستَ عبدَ بنى فلان ؟ قال : بلى . قيل : فما بلغ بك

ما نُرى ؟ قال : تقوى الله ، وصـــدقُ الحديث ، وأداء الأمانة ، وتركُ مالا يعنيني .

قال نافعٌ : طاف ابنُ عُمَر سبعاً ، وصلى ركعتين ، فقال له رجل من قريش : ما أسرعَ ما طفتَ وصليتَ يا أبا عبد الرحمن وخرجتَ ! فقال ابن عمـر : أنتم أكثر منا طوافاً وصياماً ، ونحن خيرٌ منكم ، نحن نلتزمُ صدقَ الحديث ، وأداء الأمانة ، وإنجازَ الوعد .

قال محمود الوراق :

اصْدُقْ حَدِيثَكَ إنَّ فِي الصِّـــدْقِ الْخَلاَصَ مِنَ الدَّنَسْ
وَدَعِ الْـكَذُوبَ لِشَـأْنِهِ خَيْرٌ مِنَ الـكَذِبِ ، الخرَسْ][1]

وقال منصور الفقيه :

الصِّـــدْقُ أَوْلَى مَابِهِ دَانَ امْرُؤٌ فاجْعَـلْهُ دِيناَ
وَدَعِ النِّفَاقَ فَمَـا رَأَيْـ تُ منافقاً إلاَّ أُهِينَا

وله أيضاً :

الحمـدُ لِلهِ شُـكْراَ فالشُّـكْرُ أَيْسَرُ حَقِّهْ
أمسَى الصَّدُوقُ[2] كثيرَ العدوِّ من أجْـلِ صِدْقِهْ

---

(١) هذه الصفحة وما قبلها ساقطة من ب .

(٢) ب : الصدوق.

وقال أبو العتاهية :

الحمد للهِ كلٌّ ذو مُكَاذَبَةٍ أمْسَى التَّصادُقُ لا يُسْقَى به المَاءُ(١)

قال الحسن البصرى : لا تستقيم أمانة رجل حتى يستقيم لسانه ، ولا يستقيم لسانه حتى يستقيم قلبه .

كان يقال : كفى بالمرء خيانة أن يكون أمينا للخونة .

قال الشاعر :

إنّ الأميرَ إذا استَعانَ بخائنٍ كان الأميرُ شَرِيكَهُ فى المَأْثَمِ

قال الفِرْيَابى(٢) : كنت عند الأوزاعى إذ جاءه رجل فقال : يا أباعمرو ! هذا كتاب صديقك فلان من بلد كذا ، وهو يقرأ عليك السلام . فقال له : متى قدمت ؟ قال : أمس . قال : ضيعت أمانتك لا كثر الله فى المسلمين أمثالك .

قال الشاعر :

إذا أنت حَمَّلتَ الخَئُونَ أمانةً فإنَّكَ قد أَسْنَدْتَهَا شَرَّ مُسْنَدِ(٣)

---

(١) ديوانه ٩ .

(٢) ب : الفزباني ، وهو تحريف ، فهو أبو عبدالله محمد بن يوسف الفريابى ، صاحب النووى والأوزاعى ، انظر مشتبه النسبه للذهبي ٢/٥١٤ .

(٣) محاضرات الأدباء ١/١٤١ ، المستطرف ١/٢٧ .

وقال محمود الوراق :

تَصَنَّعَ كَىْ يُقَالَ له أمِينٌ ... وما معني التَّصَنُّعِ للأَمَانَهْ(١)

ولم يُرِدِ الإلٰهَ به ولٰكِنْ ... أرادَ به الطَّرِيقَ إلى الخِيَانَهْ(٢)

وقال آخر :

هو الذِّئْبُ أو لَلذِّئْبُ أوْفَى أمَانَةً ... وما مِنْهُمَا إلا أذَلُّ خَئُونُ

استراح رجل إلى جليسٍ له فى السلطان ، فرفع ذلك عليه ، فلما أُوقف السلطان ذلك القائل على قوله ، أنكر أن يكون أحد سمع ذلك منه ، فقال : بل فلان سمع ذلك منك ، فهل ترْضى به ؟ قال : نعم . فكشف الستر عن الرجل ، فقال : بلى . أنت قلت ذلك لى ، فسكت المرفوع عليه ساعة ، ثم أنشأ يقول :

أنت امرؤٌ إمّا ائتمنتكَ خَالِيًا ... لخنتَ وإمّا قلتَ قولاً بِلاَ عِلْمِ

فأنتَ من الأمْرِ الَّذِى قلتَ بيْنَنَا ... بمنْزلةٍ بينَ الخِيَانَةِ والإثْمِ(٣)

أنشدنى على بن إسماعيل لنفسه :

لاَ يُرَى إلا لِدُنيَا ... طالِبًا فيها دِيَانَهْ

---

(١) ب : والأمانة .

(٢) محاضرات الأدباء ١/١٦٩ ، العقد الفريد ٢/٢٢٦ ، وفيه . تصوف كى يقال ، وما يعنى التصوف الخ .

(٣) البيتان لعبد الله بن همام السلولى ، انظرهما والقصة فى حماسة أبى تمام ٢/٩ ، وانظر مجموعة المعانى ٧١ ، محاضرات الأدباء ١/١٩٠ .

وإذا قيــل أَمِينٌ قد تَحَـلّى بالأَمَانَهْ
وَقَعَ التَّحْصِيـلُ مِنْـهُ بين غدرٍ[١] وَخِيَـانَهْ

وقال آخر :

لا يخونُ الأَمِينُ شيئًا ولـكن رُبَّمَا تَحْسَبُ الْخَؤُون أَمِينَا

وقال آخر :

أَلاَ رُبَّ مَنْ تَغْتَدُّهُ لك ناصِحًا ومؤتمنًا بالْغَيبِ غَـيرُ أَمِـينِ[٢]

وقال أبو يعقوب الخُرَيمي :

يا لَلرِّجَالِ لقـومٍ قد بَلَوْتُهُمُ أرى جِوَارَهُمُ إحـدى البَلِيَّاتِ
ماذا تظنُّ بقومٍ خـيرُ كَسْبِهِمُ مُصَرَّحُ السُّحْتِ سَمَّوْهُ الأَمانات

وفي الحـديث المرفوع : « الصـدق يهدى إلى البِرّ ، والبرُّ يهدى إلى الْجَنّة ، والـكذبُ يهدى إلى الفُجُور ، والفُجُور يهـدى إلى النّار » .

يقال : صَدَق وبرّ ، وكذب وفجر .

قال بعض الحكماء : من عُرِف بالصـدق جاز كذبه ، ومن عُرِف بالـكذب لم يَجُـزْ صدقه .

---

(١) ا : عذر .
(٢) نسب البيت فى حماسة البحترى ٢٧٨ إلى عبد الله بن همام السلولى ، وانظره فى محاضرات الأدباء ٦١/١ ، وفيات الأعيان ١٩٦/٦ ، وفيه : ألارب من تغتشه لك ناصح ومؤتمن ... الخ

وقال محمود الوراق :

إذا عُرف الكَذابُ بالكِذْبِ لم يكن ... لدى النَّاسِ ذَا صِدْقٍ وإن كان صادِقَا
ومن آفةِ الكذّاب نسيانُ كِذْبِهِ ... وتلقاهُ ذا حفظٍ إذا كان حاذِقَا

وقال آخر :

لا يكذبُ المرء إلاَّ مِنْ مَهانَتِهِ ... أو عادَةِ السُّوءِ أو مِنْ قِلَّةِ الأَدَبِ[١]

قال بعضهم : ما أرانى أُوجَر فى ترك الكذب . قيل له : ولِمَ ؟ قال : لأنى أدعه اتقاء[٢] .

قالوا : الصدق عز ، والكذب خضوع[٣] .

قال الحسن : خرج عندنا رجل بالبصرة ، فقال : لأكذبن كذبة يتحدث بها الوليد ، قال الرجل : فما رجعت إلى منزلى حتى ظننت أنها حق لكثرة ما رأيت الناس يتحدثون بها .

وقال كعب بن زهير :

وَمَنْ دَعَا النَّاسَ إلى ذَمِّهِ ... ذَمُّوهُ بالحَقِّ وبِالْبَاطِلِ
مقالةُ السُّوءِ إلى أَهْلِهَا ... أَسْرَعُ من مُنْحَدَرٍ سائِلِ[٤]

(١) التمثيل والمحاضرة ٤٤٨ ، المستطرف ٢/١٠ ، المختار من شعر بشار ٢٢٨ ، من غير نسبة .
(٢) ا : إتقاء .
(٣) ا : الصدق عدو الكذب .
(٤) سبق البيتان فى ص ٤٠١ وبالإضافة إلى المراجع المذكورة فيها ، انظرهما مع أبيات أخرى فى لباب الآداب ٣٦٠ ، البيان ٢/٣٢٩ ، وقد نسب بعض هذا الشعر فى المنتخل ١٠٩ إلى الحكم بن قنبر .

قال لقمان لابنه : يا بنى ! احذر الكذب فإنه شهى كلحم العصفور ، من أكل شيئا منه لم يصبر عنه .

عوتب بعض الأعراب على الكذب ، فقال للذى عاتبه : والله لو غرغرت به لهاتك ما صبرت عنه .

وقال الأصمعى : قيل لكذّاب : ما يحملك على الكذب ؟ فقال : أما إنك لو تغرغرت به مرة ما نسيت حلاوته .

قيل لكذاب : هل صدقت قط ؟ قال : أكره أن أقول لا فأصدق .

قال جميل العُذْرِى :

لحا اللهُ من لا يَنفعُ الوُدُّ عِنْدَهُ ... وَمَنْ حَبْلُهُ إنْ مُدّ غَيْرُ مَتِينِ
وَمَنْ هُوَ ذُو لَوْنَيْنِ لَيْسَ بدائِمٍ ... عَلَى خُلُقٍ خوّانُ كلِّ أمينِ[1]

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أد الأمانة لمن ائتمنك ، ولا تخن من خانك».

---

(١) حماسة أبى تمام ١/١٢٥ ، ١٢٦ .

بابُ الحـــقِّ والباطل

قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم : « الحقُّ ثقيلٌ ، فمن قصر عنه عجز ، ومن جاوزه ظلم ، ومن انتهى إليه فقد اكتفى » . ويروى هذا لمجاشِـعِ بنِ نَهْشل .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يبطل حق امرىء وإن قَدُم » .

وقال عليه السّلام : « رحم الله عمرَ بن الخطّاب ، تركَه الحـــقُّ ليس له صَـديق » .

لمـا استَخلف أبو بكر عمرَ ، قال لمُعَيْقِيب الدَّوْسِي(١) : ما يقول النّـاس فى استخلافي عُمر ؟ قال : كَرِهَه قومٌ ، ورضيه آخرون . قال : فالذين كرهوه أكثر أم الذين رَضُوه ؟ قال : بل الذين كرهوه . قال : إن الحقّ يبدو كريهاً وله تـكونُ العاقبة ، والعاقبةُ للتقوى .

قالوا : من قَصَد إلى الحقّ اتسعت له المذاهبُ حُجة ، ومن تعداه ضاق به أمرُه ، وما هلك امرؤٌ عرف قدرَه .

قالوا : الحـكمةُ تدعو إلى الحق ، والجهلُ يدعو إلى السَّفَه ، كما أنّ الحجةَ تدعو إلى المذهب الصَّحيح ، والشُّبْهة تدعو إلى المذهب الفاسد .

---

(١) هو معيقيب بن أبى فاطمة الدوسى الأزدى ، كان على خاتم النبى صلى الله عليه وسلم ، واستعمله أبو بكر وعمر على بيت المال ، ومات فى خلافة عثمان سنة ٤٠ هـ . انظر ترجمته فى تهذيب التهذيب ١٠ ,٢٥٤ ، الإصابة الترجمة ٨١٦٦ .

قال بعضُ الحكماء : من جَهْلِك بالحق والباطل ، أن تريد إقامةَ الباطل بإبطال الحق .

قال أعرابيٌّ ، وقد ذُكِرَ عنده الإصلاحُ والإفساد ، فقال : لا تَمْنَعَنّ كثيرًا من حَقّ ، ولا تضعنّ قليلا فى باطل ، فما حُرّكَ حقٌّ وباطلٌ إلا كان لهما شهود .

قال بعضُ الحكماء : لا يُعَدُّ الرجل عاقلا ، حتى يَستكمل ثلاثًا : إعطاء الحق من نفسِهِ فى حال الرِّضا والغضب ، وأن يرضى للناس ما يرضى لنفسه ، وألاّ ترى له زلّة عند ضَجَرِه . وقد تقدَّم قولُ أبى العتاهية فى باب الرّجاء والخوف :

ومن ضاقَ عَنْهُ الحقُّ ضاقتْ مَذَاهِبُهْ(١)

ولأبى العتاهية أيضًا :

الباطلُ الدَّهرَ يُلْفَى لا ضِيَاءَ لَهُ والحقُّ أَبْلَجُ فيه النُّورُ يَأْتَلِقُ(٢)

لما احتُضِرَ أبو بكر الصِّدِّيق ، أرسل إلى عمرَ ، فقال . يا عمرُ ! إن وُلّيت على النّاس فاتق الله ، والزم الحق ، فإنما ثَقُلت موازينُ من ثقلتْ موازينُهم يوم القيامة باتّباعهم الحقّ فى الدنيا وَثِقْله(٣) عليهم ، وحقّ لميزان إذا وُضع فيه الحقّ غداً أن يكون ثقيلا ، وإنما خفتْ موازين من خفت يوم القيامة ، باتباعهم الباطل فى الدُّنيا

---

(١) عجز بيت صدره : ومن لم يثق بالله لم يصف عيشه . ديوانه ١٠ .

(٢) ديوانه ١٧٢ .

(٣) ب : وثقلت .

وَخِفَّتِه عليهم ، وحُقَّ لميزان وُضع فيه الباطلُ أن يكون خفيفًا ، واعلم أنّ لله عملاً بالليل لا يقبله بالنهار . وعملاً بالنهار لا يقبله بالّليل ، وأنه لا يقبلُ نافلةً حتى تؤدى الفريضة ، وأن الله — عزَّ وجل — ذكر أهلَ الجنّة بأحسن أعمالهم ، وتجاوز عن سيئاتهم ، فإذا ذكرتُهُم قلتُ : إنِّى لخائف ألاّ ألْحَقَ بهم ، وأنالله — عزّ وجل — ذكرَ أهلَ النار بأسوأ أعمالهم ، وردَّ عليهم أحسَنَها ، فإذا ذكرتُهم ، قلتُ : إنى لخائف أن أكونَ مع هؤلاء ، وأن اللهَ — عزّ وجل — ذكر آية الرَّحمةِ مع آية العذاب ، ليكونَ المؤمن راغباً راهباً لا يتمنى على الله ولا يقنَط من رحمة الله ، فإن أنتَ حفظتَ وَصِيَّتِى ، فلا يكونَنَّ غائبٌ أحبّ إليك من الموتِ وهو آتيك ، وإن ضيّعت وصيتى فلا يكونَنَّ غائبٌ أبغضَ إليك من الموت ولستَ بمُعْجِزِه .

كتب عمرُ بن الخطاب إلى معاوية : أن الْزَمِ الحقّ ، ينزِلْك الحقُّ فى منازل أهلِ الحقّ ، يوم لا يُقضى إلا بالحقّ .

أول كتاب كتبه علىٌّ بن أبى طالب فى خلافته : أمَّا بعدُ ، فإنّما هَلَكَ من كان قبلكم ، أنّهم منعوا الحق حتى اشْتُرِى ، وبَسَطوا الباطلَ حتى اقْتُدِى .

وقال علىٌّ بن أبى طالب لرجل من الخوارج : واللهِ ما عُرِفْتَ حتى ظهر الباَطل .

قال وَبَرَةُ المكىّ : سمعت عن ابن عباس كلماتٍ لهى أحبُّ إلىَّ من الدُّهْمِ الموقفَة ، قال : لا تتكلّمنّ فيما لا يعنيك حتى ترَى له موضعاً ، فربَّ متكلم بالحقّ فى غير

موضعه قد عِيب ، ولا تمارينّ سفيهاً ولا حليماً ، فإنّ السَّفيه يؤذيك ، والحليم يَقْليك ، ولا تذكرنَّ أخاك إذا غاب عنك إلاّ بمثل ما تُحبّ أن يذكرك به إذا غبت عنه ، واعمل عملَ رجلٍ يعلمُ أنه مَجزيٌّ بالإحسان ، ومأخوذٌ بالإجرام ، فقال رجل عنده : يا ابن عباس ! لهذه خير من عشرة آلاف . قال : كلمة منها خير من عشرة آلاف .

قال ابنُ مسعود : من كانَ على الحقّ ، فهو جماعةٌ وإن كان وحده .

قال غيره : الحقّ ثقيل ، وطُلاَّبه قليل .

وقال غيره : الحقُّ كثير ، والقائلون به يَسير .

وقال غيره : الأحمقُ يغضب من الحق ، والعاقلُ يغضب من الباطل .

وكان يقال : من هَلَك فى دولة الباطل ، أكثر ممن حَيِي بالباطل[١] .

قال أنو شروان : إذا اشتبهت الأمور فالحق بين التقصير والإفراط .

قال عبد الله بن مسعود : تكلّموا بالحق تعرفوا به ، واعملوا به تكونوا من أهله .

قال أبو العتاهية :

وَللحقِّ بُرْهَانٌ وَللمَوْتِ فِكْرَةٌ   وَمُعْتَبَرٌ لِلْعَالَمِينَ قَدِيمُ[٢]

---

(١) ب : بالحق .
(٢) ديوانه ٢١٨ .

قال مالكُ بن أنس : إذا ظهر الباطل على الحق ظهر الفساد فى الأرض .

وقال : إن[١] لزوم الحق نجاة ، وإن قليل الباطل وكثيره هَلَكة .

قال سعدُ بن أبى وقاص لسَلْمَان : أوْصِنى . قال : أخلص الحقّ يخلّصك . وأظنّ هذا من قول القائل : أعزّ الحق يذلّ لك الباطل .

كان يقال : من لم يعمل من الحق إلاّ بما وافق هواه ، ولم يترك من الباطل إلا ما خف عليه لم يؤجر فيما أصاب ، ولم يفلت من إثم الباطل .

قال العَتَّابى :

وما كُلُّ مَوْصُوفٍ لَهُ الْحَقُّ يَهْتَدِى ‏ وَلا كلُّ مَنْ أَمَّ الصُّوَى يَسْتَبِينُهَا

الصُّوَى : جمع صُوَّة ، وهى حجارة تجعل أعلاماً فى الطريق .

قال رجل لخصمه : لئن هملجت إلى الباطل إنك لقطوف على الحق[٢]

وقال بعض الحكماء : النعمة نَفُور[٣] ، ولقلما انقشعت نافرة فرجعت فى نصابها[٤] ، فاستدع شاردها بالتوبة ، واستدم الرّاهن[٥] منها بكرم الجوار ،

---

(١) ب : ابن .
(٢) الهملاج بالكسر : من البراذين السريع ، والقطوف : الدابة التى ضاق مشيها .
(٣) ب : نوار .
(٤) ب : بصائصها .
(٥) ب : الذاهب .

واستفتح باب المزيد بحسن التوكل ، فقد أعرب لك الحقُّ عن نفسه ،وصـدقك عن أمره[١] .

قال منصور الفقيه :

إنّ بينَ الحـقِّ وَالبَـا طِلِ فَرْقًا لا يُحيـلْ
وعَلَى نِيّـةِ ذِى الْقَوْ لِ من الْقَوْلِ دَلِيـلْ
فَقلُ الْحَقِّ وَإنْ قِيـ لَ لَكَ الحـقُّ ثَقيلْ
فاتّـقِ اللهَ إذا شُووِرْتَ وانظر ماتقولْ
لا يضرنَّكَ إن قَا لَ من النّاسِ جَهُولْ
إن قولَ المـرءِ فيما لم يُسَلْ عَنْه فُضُولْ

وقال الصَّلَتَانُ العَبْدى :

وللحـقِّ بينَ النّـاس راضٍ وَجَازِعُ وَلِلأُذْنَابُ فيـه للرُّءوسِ توَابِـعُ
وليس الذُّنَابَى كالْقُدَامَى وَرِيشُهُ وما تَسْتَوِى فى الرّاحَتَيْنِ الأَصَابِـعُ

روى عبد الملك بن عمير، عن أبى سلمة ، عن أبى هريرة ، قال : قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم : « أصدق كلمة قالها الشاعر ، قول لَبِيد :

---

(١) ا : وصدقك عن غيره .

أَلاَ كُلُّ شَيْءٍ ما خَلاَ اللهَ بَاطِلُ »(١)

قالوا : أصدق بيت قالته العرب ، قول القائل :

وما حملَتْ من ناقةٍ فَوْقَ ظَهْرِهاَ أبرَّ وَأَوْفَى ذِمَّةً مِن مُحَمَّدِ(٢)

قال الحاتمى : أشعر بيت قالته العرب ، قول امرئ القيسِ (٣) بن عانِس لا ابن حجر (٣) .

اللهُ أنجحُ ما طلبتَ بِهِ وَالبِرُّ خَيْرُ حَقِيبَةِ الرَّحْلِ(٤)

وأنشد ثعلب :

وإنّ أَشْعَرَ بيتٍ أنتَ قائلُهُ بيتٌ يقالُ إذا أَنْشَدْتَهُ صَدَقَا(٥)

قال جعفر بن محمد : ما ناصح اللهَ عبدٌ مسلم فى نفسه فأخذ الحق لها ، وأعطى الحق منها ، إلا أُعْطِي خصلتان : رزق من الله يقنع به ، ورضًى من الله عنه .

كان بعض الصالحين يقول : اللهم إنى أشكو إليك ظهور البغى والفساد فى الأرض ، وما يحول بين الحق وأهله من الطمع .

---

(١) صدر بيت وعجزه : وكل نعيم لا محالة زائل . ديوانه ٤٣ .

(٢) المستطرف ١/٢٧٠ .

(٣) ساقط من ا ، وامرؤ القيس هذا ، شاعر مخضرم من أهل حضرموت ، أسلم عند ظهور الإسلام ووفد على النبى صلى الله عليه وسلم ، مات نحو سنة ٢٥ هـ . ترجمته فى العينى ١/٣٠ ــ ٣٢ ، تاريخ الشعراء الحضرميين ١/٤٤ . (الأعلام) ١/٣٥٢ ، ٣٥٣ .

(٤) نهاية الأرب ٤/٣٠٣ من غير نسبة ونسب فى المنتخل ١٦٩ لامرئ القيس بن حجر .

(٥) البيت لزهير ، ديوانه ١٢٦ .

قال عبد الحميد بن يحيى الكاتب :

تَرَحَّلَ ما لَيْس بالقَافِلِ ... وَأَعْقبَ ما لَيْسَ بالآفِلِ
فلَهَفِي عَلَى السَّلَفِ الرَّاحِلِ ... وَلَهَفِي من الْخَلَفِ النَّازِلِ
أَبكِّى عَلَى ذَا وأبكى لِذَا ... بكَاءَ الْمُوَلَّهَةِ الثَّاكِلِ
تُبَكِّى عَلَى ابنٍ لها قَاطِعٍ ... وَتَبْكِي عَلَى ابنٍ لها وَاصِلِ
تَقَضَّتْ غِوَايَاتُ سُكرِ الصِّبَا[(١)] ... وردَّ التُّقَى عَنَتَ[(٢)] البَاطِلِ[(٣)]

انتهى القسم الأول

(الجزءان الأول والثانى)

بتجزئة المؤلف

(١) ب : تقصت غايات شكر ، ا : تقضت غيايات .

(٢) ب : عنق .

(٣) الأبيات فى : الوزراء والكتاب ٨١ ، البيان والتبيين ١/٢١٥ ، عيون الأخبار ٢/٣٢٢ ، الشعر والشعراء ٨٤٤ ، وفيها جميعاً روايات مختلفة ، يطول إيرادها ، ولكن الجدير بالذكر أن هذه المراجع تورد قبل البيت الأخير بيتا لابأس بإيراده ، وهو :

فليست تقتر عن عبرة ... لها فى الضمير وعن هامل

القسم الثانى

(الجزءان الثالث والرابع)

بتجـــــــزئة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم [1]

باب الحياء والوقار

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لكلِّ دين خُلُق ، وخُلُق الإسلام الحياء » .

وقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم « الحياء خَيْرٌ كلُّه » .

[2] وقال صلى الله عليه وسلم : « المؤمنُ حَيِيّ كريم ،والفاجِر خِبّ لئيم [2] » .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله يحب الحيِيَّ الحليم المتعفّف ، ويبغض الفاحش البذيء[3] السائل الملحف » .

قال سليمان عليه السلام : الحياء نظامُ الإيمان ، فإذا انحل النظام ذهب مافيه .

وفى التفسير : ﴿ وَ لِبَاسُ التَّقْوَى ﴾[4] . قالوا : الحياء .

وقالوا : الوقار من الله ، فمن رَزَقه الله الوقَارَ فقد وسمه بسيماء الخير .

---

(١) بعد البسملة ترد فى اعبارة : رب يسر ، وفى ج : وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم . وهذا على اعتبار أن الجزء الثالث يبدأ من هنا فى كلا النسختين ، وورد الكلام فى م متصلا .

(٢) ساقط من ا .

(٣) فى ا : البذىء .

(٤) سورة الأعراف ، الآية ٢٦ .

وقالوا : من تكلّم بالحكمة لاحظته العيون بالوقار .

قال الحسنُ : أربع من كنّ فيه كان كاملا ، ومن تعلّق[١] بواحدة منهن كان من صالحي قومه : دين يرشده ، وعقل يسدّده ، وحسب يصونه ، وحياء يقوده .

قالت عائشة رضى الله عنها : رحم الله نساءَ الأمصار ، لم يمنعهن الحياء أن يسألن عن أمر دينهن .

وقالت عائشة أيضا : رأسُ مكارمِ الأخلاقِ الحياء .

قال الشاعر[٢] :

ما إنْ دعاَنِي الْهَـوَى لِفَاحِشَةٍ   إلاّ نَهَـانِي الحياءُ والكرمُ[٣]

ولا إلى مَحْرَمٍ مَدَدْتُ يَدِي   ولا مشتْ بي لريبـةٍ قدمُ[٤]

وروى عن النبيِّ صلّى الله عليه وسلّم أنه قال : « إنّ مما أُدركَ الناسُ من كلام النبوّة الأولى[٥] ، إذا لم تستَحْيِ فاصنع ما شئت » .

وقال حبيب بن أوس[٦] :

إذا لم تخشَ عاقبـةَ اللّيالى   ولم تَستحْيِ فاصنعْ ما تشاءُ

(١) فى ج : تكلم .
(٢) البيتان فى المستطرف ٢/٣٩٦ .
(٣) فى ا : وما دعانى الهوى لمعصية .
(٤) فى ا : لزلة .
(٥) ساقطة من ا ، م .
(٦) وردت الأبيات فى ديوانه ٤٣٣ من قصيدة قالها فى التعريض بأحمد بن حميد ، ونسبت له أيضاً فى لباب الآداب ٢٨٤ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧ ، العقد الفريد ٢/٤١٤ . على أن أبا تمام نفسه أوردها فى الحماسة ٢/٣٠ من غير نسبة وقد ورد [illegible] أحمد بن [illegible] فى المؤتلف ٧٢ .

فلا واللهِ[1] مافى العيش خيرٌ ولا الدنيـا إذا ذهب الحياءُ
يعيش المرءُ ما استحيا بخـير ويبـقى العُودُ ما بـقى اللحاءُ

وقال أبو دُلَف العِجْلى :

إذا لم تَصـنْ عِرضًا ولم تخش خالقًا ولم تَرْعَ مخـلوقًا فما شئتَ فاصنعِ[2]

وقال صالح بن جَنَاح :

إذا قلّ ماءُ الوجه قلّ حياؤه ولا خيرَ فى وجهٍ إذا قل ماؤُهُ

وقال آخر :

إذا رُزِق الفـتى وَجْهًا وَقَاحا تقلب فى الأمور كما يشاءُ
ورب دنيّـةٍ ما حال بينى وبين ركوبها إلاّ الحياءُ[3]

وقال الحَزِينُ بن عبد الله اللّيثى[4] ، وتنسب إلى الفرزدق :

يُغضى حياءً وَيُغْضَى من مهابته فلا يُـكلَّمُ إلاّ حين يَبْتسمُ

وقال آخر :

كريمٌ يغضُّ الطَّرفَ فضلُ حيائه ويدنو وأطرافُ الرِّماحِ دوانِى

---

(١) فى الحماسة : فلا وأبيك .

(٢) يأتى هذا البيت فى جـ بعد البيت التالى ، وفى ا : تسمى خلقا بدل ترع مخلوقا .

(٣) ورد البيتان فى العقد الفريد ٢/٤١٤ ، محاضرات الأدباء ١/١٣٨ من غير نسبة .

(٤) فى الأصول : الحر بن عبيد الله ، وانظر التحقيق فى هامش ص ٥٩١ .

وكالسيف إن لاينته لان مَتْنُــــه ... وحـدّاه إن خاشنته خشنانِ(١)

وقالت ليلى الأخْيَلِيّه :

وَمخـرّقٍ عنه القميصُ تخاله ... وسْطَ البيوتِ من الحياء سَقِيما(٢)

وقال أمية بن أبي الصَّلْتِ في ابن جُدْعان التَّيْمى(٣) :

أأذكرُ حاجتى أم قد كفانى ... حياؤُك إن شيمتَك الحياء

كريمٌ لا يغـــيّره صباحٌ ... عن الفعل الجميلِ ولا مساء

إذا أثنى عليك المرء يومًا ... كفاهُ من تعرضهِ الثناء(٤)

قال الأصمعى : سمعت أعرابيا يقول : من كساه الحياء ثَوْبَه(٥) ، خفى عن(٦) الناس عيبه .

---

(١) وردت الشطرة الأولى فى ا : يضم عن الفحشاء فضل ثيابه . وفى ح : فهو لين بدل لان متنه ، وقد ورد البيتان فى أكثر كتب الأدب من غير نسبة ، انظر المراجع التى ذكرتها عند ورود البيتين فى ص ٥١٢ ، ولم أجد من نسبهما إلا الثعالبي ، حيث ذكر أنهما لأبى الشيص الأعرابى فى خاص الخاص ٨٩ .

(٢) البيت فى عيون الأخبـار ٣/٢٧٨ وفيه : ومقذر بدل مخرق ، وانظره فى الشعر والشعراء ٤٢٠ ، أمالى القالى ١/٢٤٨ ، حماسة أبى تمام ٢/٢٦٣ .

(٣) هو عبد الله بن جدعان التيمى القرشى ، أحـد الأجواد المشهورين فى الجاهلية ، أدرك النبى صلى الله عليه وسلم قبل البعثة ، وكانت له جفنة يأكل منها الطعام القائم والراكب ، انظر الأغانى (دار الكتب ٨/٤ ، ٩ ، ١٩) ، (الأعلام ٤/٢٠٤) .

(٤) الأبيات فى ديوان أمية ١٧ ، وفى ا : أأطلب بدل أأذكر ، وما أثبتناه موافق لرواية الديوان .

(٥) ساقطة من ا ، م .

(٦) ساقطة من ا .

أُخبرنا عبد الرحمن بن يحيى، حدثنا أَحمد بن سعيد، حدثنا ابن الأعرابى، حدثنا العباس بن محمد، حدثنا يحيى بن معين[١]، قال ابنُ كُناَسة[٢]:

فِىَّ انقباضٌ وَحشمةٌ فإِذا ... لاقَيْتُ أَهلَ الوفاءِ والكرمِ

أرسلتُ نفسي على سَجيتها ... وَقلتُ ما قلتُ غيرَ محتشِمِ[٣]

---

(١) فى ا : حدثنا العباس بن يحيى بن معين .

(٢) هو محمد بن عبد الله الملقب (بكناسة) بن عبد الأعلى المازنى الأسدي ، من أهل الكوفة ، أحد شعراء الدولة العباسية المجيدين، وكان يجتنب فى شعره المدح والهجاء . توفى سنة ٢٠٧ هـ . انظر تهذيب التهذيب ٩/٢٥٨ ، الأغانى ١٣/٣٣٧ (دار الكتب) ، (الأعلام ٧/٩٢) .

(٣) ورد البيتان فى البيان والتبيين ٣/٢٨٥ ، وفيه خليت بدل أرسلت ، ولباب الآداب ٢٨٥ ، نهاية الأرب ٥/٧١ ، وفى معجم الأدباء ١/١٤٣ تردد فى نسبتهما بين ابن كناسة وبين أبى نواس ، وقد وردا فعلا فى مقدمة الديوان فقط ، والأشهر أنهما لابن كناسة .

باب حُسْن الْخلُق وسوئه

قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « أَكملُ المؤمنين إيمانًا أَحْسَنهم خلقًا » .

قال مُعَاذ بن جَبَل : آخر ما أوصانى به رسول الله صلى الله عليه وسلم — حين وضعت رجلى فى الغرز[١] — أن قال : « حسِّنْ خُلقَك للناس يا مُعَاذ بن جبل » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أثقلُ شىء فى ميزان المؤمن يوم القيامة خُلُق حسن » .

[٢] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « حُسْن الخلق يُمن ، وسوء الخلق شؤم » . [٢]

قال كعب الأحبار : إن الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة القائم بالليل ، الصائم بالنهار ، الظامئ بالهواجر .

وفى الخبر المرفوع أيضًا : « من سعادة المرء حسن خلقه ، ومن شقائه سوء خلقه » .

مكتوب فى الحكمة ، الرفيق[٣] خير قائد ، وحسن الخلق خير رفيق[٤] ، والوحدة خير من جليس السوء ، [٥] والجليس الصالح خير من الوحدة [٥] .

---

(١) الغرز : ركاب الدابة ، والمعروف أن معاذا أرسله النبى صلى الله عليه وسلم الى اليمن معلما ومرشدا ، وكان هذا آخر ما أوصاه به النبى قبل انطلاقه لأداء مهمته .

(٢) ساقط من ا .

(٣) ح : الرفق .

(٤) ا : قرين .

(٥) ساقط من ح .

كان يقال : من ساء خلقُه قلّ صديقه .

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « يا بنى عبد المطلب ! إنكم لن تسَعُوا الناس بأموالكم ، فَلْيَسَعْهم منكم حسنُ الخلق ، والقوهم[١] بطلاقة الوجه وحسن البِشْر » .

قال أبو الدرداء : إنا لنَكْشِرُ فى وجوه أقوام ، وإن قلوبنا لتلعنهم[٢] .

روى فى قول الله تبارك وتعالى : ﴿ وثيابَكَ فَطَهِّرْ ﴾[٣] ، قالوا : وخلقك فحسِّن .

قال سفيان بن عيينة : من حُسن خلقه ساء خلق خادمه .

كان يقال : حسن الخلق[٤] يكسب حسن الذكر .

قال أبو العتاهية :

عامل الناسَ بوجهٍ طليقْ والقَ من تلقى ببِشرٍ رفيقْ
فإذا أنت جميلُ الثنا وإذا أنت كثيرُ الصَّديقْ[٥]

---

(١) ا : ولقاؤهم .

(٢) فى ا ، ح : لتقبلهم ، ولا تستقيم مع مفهوم الخبر ، إذ معنى المكاشرة الضحك فى الوجه وإظهار السرور ، مع إبطان غير ذلك ، وما أثبتناه موافق لما ورد فى عيون الأخبار ٣/٢٢ .

(٣) سورة المدثر الآية ٤ .

(٤) ا : البشر .

(٥) البيتان فى ديوانه ١٧١ ، وفيه ورد البيت الأول :

عاملِ الناس برأى رفيق والقَ من تلقى بوجه طليق

وقال محمد بن حازم :

وما اكتسب المحامدَ طالبوها بمثل البِشرِ والوجهِ الطليقِ (١)

وقال آخر:

خالق الناسَ بخُلقٍ حَسَنٍ لاتكُنْ كلباً على الناس يَهِرّْ

وقال (٢ آخر — هو ٢) المغيرة بن حَبْناء :

وما حَسَنٌ أن يمدحَ المرءُ نفسَه ولكن أخلاقاً تُذَمُّ وتُمدَحُ

وقال ابنُ وكيع (٣) :

لاقِ بالبِشر من لقيتَ من النّا س وَعاشِرْ بأحسنِ الإنْصافِ

لا تخالف وإن أتَوْا بخلافٍ تستَدِمْ وُدَّهمْ بتركِ الخلافِ

وإذا خفتَ فَرْطَ غيظِكَ فانهض مُسْرِعاً عنهمُ إلى الإنصرافِ

إنما الناسُ إن تأملتَ داءٌ مالَهُ غيرُ أن تداويه شافِ

وقال آخر :

قد يمكث الناسُ دهراً ليس بينهمُ وُدٌّ فيزرعه التسليمُ واللَّطَفُ

---

(١) البيت فى عيون الأخبار ١/٣٦ .

(٢) ساقط من حـ .

(٣) هو الحسن بن على الضبى التنيسى ، المعروف بابن وكيع ، شاعر مجيد ، أصله من بغداد ، ومولده ووفاته بتنيس بمصر ، انظر وفيات الأعيان ١/١٣٧، يتيمة الدهر ١/٢٨١ (الأعلام ٢/٢١٨) ، وانظر الأبيات فى اليتيمة ١/٢٨٢ .

وقال العتَّابىُّ يذم رجلا :

فكم نعمةٍ آتاكها اللهُ جَزْلَةً ... مُمرّأةً[١] من كل خُلْقٍ يُذيمُها
فسلطتَ أخلاقاً عليها ذميمةً ... تعاوَرْنَها حتى تفرَّى أديمُها
وكنتَ امرءًا لو شئتَ أن تبلغَ المدَى ... بلغتَ بأدنى نعمةٍ تستديمُها
ولكنْ فِطامُ النفس أثقلُ محملاً ... من الصَّخرةِ الصَّماء حين تَرُومُها[٢]

(١) ا : مزلة .
(٢) في ا : أعسر بدل أثقل ، وانظر بعض هذا الشعر في الحيوان ٣/٦٢ .

بابُ مَكارِمِ الأخلاق والسُّؤْدَد

قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم : « بُعثتُ لأتمم مكارمَ الأخلاق » . ويروى « محاسن الأخلاق » .

أخذه أبو العتاهية فقال

ليسَ دُنيا بغيرِ دينٍ وليس الدِّ ينُ إلاّ مكارمَ الأخلاقِ
إنّما المكرُ والخديعةُ فى النّا سِ هما من فُروع أهْلِ النِّفاقِ[(١)]

ولإبراهيم بن المهدىّ :

لاخيرَ فى الدُّنيا بلا دينٍ ولا فى المالِ إلاّ منْه فيما يُبْذَلُ
فأصِبْ وَأَتْلِفْ واستَفِدْ وأفد وَعِشْ فيما اشتهتْ ممّا يَحِلُّ ويجملُ[(٢)]

وقال آخر :

وما المرءُ إلاّ حيث يجعلُ نفسَه ففي صالِحِ الأخلاقِ نفسَكَ فاجْعَلِ[(٣)]

[(٤)] وقال آخر :

تَزِينُ الفتى أخلاقُه وَتَشِينُهُ وَتُذكَرُ أفعالُ الفتى حيثُ لا يدْرِى[(٤)]

---

(١) لم أعثر على البيتين فى ديوانه .
(٢) البيتان فى أشعار أولاد الخلفاء ٣٦ ، وفى ا : فاصبر بدل فأصب ، وعا بدل مما .
(٣) البيت فى محاضرات الأدباء ١/١٤٥ ، العقد الفريد ٢/٢٩٣ من غير نسبة ، ونسب فى البيان ٣/٢٠٣ لمنقر بن فروة المنقرى .
(٤) البيت ساقط من ا ، وهو لأبى البلاد الطهوى كما فى البيان والتبيين ٣/٨٣ .

خطب ثلاثةُ إخوة من العرب[١] إلى عمِّهم ثلاثَ بناتٍ له ، فقال : مرحباً بكم ، لاَ أذم[٢] عهدكم ،ولا أستطيع ردّكُم ، خبّروني عن مكارم الأخلاق . فقال الأكبر: الصَّون للعِرْض ، والجزاء بالقَرْض . وقال الأوسط : النهوضُ بالثُّقْل ، والأخذ بالفضل . وقال الأصغر : الوفاء بالعهد ، والإنجازُ للوعد . قال : أحسنتم في الجواب ، ووفقتم إلى الصواب .

وقال صلّى الله عليه وسلم : « إن الله يحبُّ معالى الأخلاق وأشرفها[٣] ، ويكره سَفْسافها »

قال الحسنُ : مكارم الأخلاق للمؤمن : قوةٌ في لين ، وحزمٌ في دين ، وإيمانٌ في يقين ، وحرصٌ على العلم ، واقتصاد في النفقة[٤] ، وبذلٌ في السّعة ، وقناعة في الفاقة ، ورحمةٌ للمجهود ، وإعطاء في حقّ ، وبرّ في استقامة .

قالت عائشةُ رضي الله عنها : خلالُ المكارم عَشْر ، تكون في الرّجل ولا تكون في أبيه ولا في ابنه ، وقد تكونُ في العبد ولا تكون في سيِّده ، يَقْسِمُها اللهُ لمن أحبَّ : صدق الحديث ، ومداراةُ النّاس ، وصلةُ الرحم ، وحفظ

(١) حـ : من الاخوة .
(٢) ا : دام .
(٣) ساقطة من جـ .
(٤) ا : الفقر .

الأمانة ، والتَّذَمُّم[١] للجار ، وإعطاء السَّائل ، والمكافأةُ بالصَّنائع ، وَقِرى الضَّيف، والوفاء بالعهد ، ورأسهنَّ كلهنَّ الحياء .

قيل لبُزُرْجمهر : أيّ شيء أنت به أسرّ ؟ قال : قدرتى على مكافأة من أحسن إلىّ[٢]

قال مَصْقَلَة بن هُبَيْرَة الشّيبانى : سمعتُ صَعْصَعَة بن صُوحَان ، وقد سأله ابن عباس ما السؤدد فيكم ؟ قال : إطعام الطعام ، ولين الكلام ، وبذل النّوال ، وكفُّ المرء نفسه عن السؤال ، والتودّد للصّغير والكبير ، وأن[٣] يكون النّاس عندك فى الحق شَرَعا[٤] .

سئل عبد الله بن عمر عن السُّؤدد ، فقال : الحلمُ والجُود .

كان يقال : خير أيام المرء ما أغاث فيه المضطر ، واكتسب فيه الأجر ، وارتهن فيه الشكر ، واسترقّ فيه الحرّ .

قال الأحنفُ بن قيس يوماً لقومه : إنّما أنا رجل منكم ليس لى فضل عليكم ،

---

(٧) التذمم للجار هو أن يحفظ ذمامه ، أو يطرح عن نفسه ذم الناس له إن لم يحفظه .

(٢) فى هامش ا وردت العبارة الآتية : «وفى محل آخر غير هذا الكتاب بعد قوله أحسن الى : وعفوى عند قدرتى على من أساء إلى » .

(٣) جـ : وقد .

(٤) شرعا : سواء .

ولكنى أبسط لكم وجهي ، وأبذل لكم مالى ، وأقضى حقوقكم ، وأحفظ حرمتكم[١] ، فمن فعل مثل فعلى فهو مثلى ، ومن زاد علىّ فهو خير منى ، ومن زدتُ عليه فأنا خير منه . قيل له : يا أبا محمد ! ما يدعوك إلى هذا الكلام ؟ قال : أحضُّهم على مكارم الأخلاق .

[٢]وقال عبد الله بن عمر : نحن معشرَ قريش نَعُدُّ الحلم والجود السؤدد ، ونَعُدُّ العفاف وإصلاح المال المروءة .

قال أسد بن عبد الله لرجل من بنى شيبان : إن السؤدَدَ فيكم لرخيص . فقال له : أمَّا نحن فما نسوّد إلا فتى يُوطِئُنا رَحْلَه، ويفرشنا عِرْضه ، ويبذل لنا ماله . قال : أشهد أن السؤدد فيكم لغالٍ .

قيل لبعض العرب : من السيدُ فيكم ؟ قال : الأحمقُ فى ماله ، الذليل فى عرضه ، المطَّرِح لحقده ، المعتنى بأمر عامته .

ورويت هذه القصة للأحنف ، أنه سئل : من أسود الناس فيكم ؟ فقال : الأخرق فى ماله .. .. ثم ذكر مثله .

قال أبو عمرو بن العلاء : كان أهلُ الجاهلية لا يسوّدون إلاّ من كانت فيه ست

---

(١) جـ : حريمكم .

(٢) يبدأ من هنا سقط قدره ورقة من نسخة ا .

خصال وتمامها فى الإسلام سابعة : السَّخاء والنجدة ، والصّبر والحلم ، والبيان والحسب . وفى الإسلام زيادة العفاف .

ذُكر لعبد الله بن عمر أبو بكر وعمرُ وعثمان وعلىّ ومعاوية . فقال : كان معاوية أَسْوَدَ منهم ، وَكانوا خيرًا منه .

روى عن النبىِّ صلّى الله عليه وسلّم أنه قال : « من رزقه اللهُ مالا فبذل معروفه وكفَّ أذاه ، فذلك السيِّد » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للأنصار يوماً : « من سيِّدكم ؟ » فقالوا : الجَدُّ بن قَيْس عَلَى بُخل فيه . فقال عليه السّلام : « أىّ داءٍ أَدْوَأُ من البخل ؟ ! بل سيِّدكم الجَعْدُ الأبيض عَمْرُو بن الجَمُوح » . فقال شاعرهم فى ذلك :

وقال رسولُ اللهِ والحقُّ قولُه ... لمن قال منا من تُسمون سَيِّدا
فقالوا له الجدُّ بن قيس عَلَى التى ... نبخّله فيها وإن كان أسودا
فتًى ما تخطّى خُطوةً لدنيَّةٍ ... ولا مدّ فى يوم إلى سَوْءَةٍ يدًا
فسوّدَ عمر بن الجَمُوح بجودِهِ ... وحُقّ لعمرو بالندى أن يسوّدا[1]

قال بكر بن وائل : ما كان فينا أسود من ثعلبة بن أوس ، كان يحلم عن جاهلنا ويعطى سائلنا .

---

(١) انظر هذا الخبر والأبيات فى ترجمة عمرو بن الجموح فى الإصابة ، القسم الرابع الترجمة ٥٧٩٢ ، وقد زاد بعد هذه الأبيات بيتا هو :

فلو كنت يا جد بن قيس على التى ... على مثلها عمرو لكنت المسودا

كان سالمُ بن نوفل سيد بنى كنانة فى زمانه ، فوثب رجل على ابنه وابن أخيه فجرحهما ، فأُتى به سالم ، فقال له : ما أمّنك[١] من انتقامى ؟ قال : فلم سوّدناك إذاً ؟ إلا لتكظم الغيظ وتحلم عن الجاهل ، وتحتمل المكروه . وفى سالم هذا يقول الشاعر :

نُسَوِّدُ أقواماً وليسُوا بسادة ... بل السيّد المعلومُ سَلْمُ بن نَوْفَلِ[٢]

أنشد ابن عائشة[٣] :

لا يبلغُ المجدَ أقوامٌ وإن كَرُموا ... حتى يَذلُّوا وإن عَزُّوا لأقوامِ
وَيُشْتَموا فترى الألوان مُسْفِرةً ... لا عفوَ ذلّ ولكنْ عفو أحلامِ
وإن دَعَا الجارُ لبَّوْا عند دعوته ... فى النّائباتِ بإسراجٍ وإلْجَامِ[٤]
مُسْتَلئِمين ، لهم عند الوغى زَجَلٌ ... كأنّ أسْيافهم أغرين بالهامِ[٥]

قال الأصمعى : كان يقال : لا يجتمع عشرة إلاّ وفيهم مقاتل أو أكثر ، ويجتمع ألف ليس فيهم حليم .

(١) فى الأصل : ما أمرك .
(٢) ورد البيت فى العقد الفريد ٢/٢٨٨ ، وفيه : يسود أقوام ، والصنديد بدل المعلوم .
(٣) عبد الرحمن بن عبيد الله بن محمد بن حفص التيمى ، المعروف بابن عائشة ، شاعر متأدب من أهل البصرة ، اشتهر بهجاء القاضى أحمد بن أبى دواد ، وكان قد قصده فى بغداد فدحه فلم يعره التفاتا فهجاه ، توفى ٢٢٧ هـ . انظر تاريخ بغداد ١٠/٢٥٩ (الأعلام ٤/٨٨) .
(٤) ساقط من ا .
(٥) الاستلئام : التدرع ، والزجل : الجلبة والضوضاء ، والهام : الرءوس . وانظر البيت الأول فى العقد الفريد ٢/٢٧٩ ، وفيه : لن يدرك بدل لا يبلغ ، وقد وردت كلها فى أمالى القالى ٣/٤١ ، عيون الأخبار ٣/٢٨٧ .

كان يقال : ثلاثة لا ينتصفون(١) من ثلاثة حليم من سفيه ، وبر من فاجر ، وشريف من دنىء .

قال الأحنف بن قيس : ما نازعنى أحد إلا أخذت فى أمره بإحدى ثلاث خصال؛ إن كان فوقى عرفت له قدره ، وإن كان دونى أكرمت نفسى عنه ، وإن كان مثلى تفضلت عليه . أخذ هذا المعنى محمود الوراق فقال :

سأُلزِم نفسِى الصفحَ عن كلّ مذنب ... وإن كَثُرَتْ منه علىَّ الْجَرَائمُ
وما الناسُ إلاّ واحد من ثلاثةٍ ... شريفٌ ومشروفٌ ومثلى مُقَاوِمُ(٢)
فأما الذى فوقى فأعرف فضلَه ... وَأَلْزَمُ فيه الحقَّ والحقُّ لازمُ
وأما الذى دونى فإن قال صنت عَنْ ... مقالتِه نفسِى وإن لامَ لائمُ
وأما الذى مثلى فإن زلّ أو هفا ... تفضّلتُ إن الفضلَ للحُرِّ حاكمُ(٣)

وقال آخر :

لقد أسمعُ القولَ الّذى كاد كُلَّما ... تذكّرنيه النفسُ قلبى يُصَدَّعُ
فأُبدِى لمن أبداه منّى بَشَاشَةً ... كأنّى مسرورٌ بما منه أسمعُ
وما ذاك من عُجبٍ به غير أنّنى ... أرى أن تَرْكَ الشرِّ للشرِّ أقطعُ

---

(١) فى ا : يستنقصون .
(٢) مقاوم : مساو لى فى القيمة .
(٣) الأبيات بدون نسبة فى العقد الفريد ٢/٢٨٣ ، مع اختلاف يسير فى ألفاظ الرواية .

قال الحسنُ البصرىّ : ما سمعت الله عزّ وجلّ نَحَل عبادَه شيئاً أقلّ من الحلم ، فقال عزّ وجلّ : ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾(١) ، وقال : ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾(٢) .

قال العتّابىّ :

إذا سرَّنِى دَهْرِى قبلتُ وَإِن أَبَى ... أَبَيْتُ عليه أن أضيقَ لَهُ صَدْرَا

فكمْ من مُسِىءٍ قد لقيتُ وَمحسنٍ ... فأوسعتُ ذا حِلمًا وَأَوْسعتُ ذا شُكْرَا(٣)

قال علىٌّ بن أبى طالب رضى الله : إنَّ السَّفيهَ إذا أعرضتَ عنه اغتمّ ، فزده إعراضًا .

(٤ كان يقال : بحسن السّيرة يُقهرُ المناوئ ، وبالحلم عن السَّفيه يكثُر أنصارك عليه ٤) .

قال الشاعر :

(٥ سكتُّ عن السَّفيهِ فظنَّ أنِّى ... عييتُ وما عييتَ عن الجوابِ ٥)

متاركةُ السَّفيه بلا جوابٍ ... أشدُّ عَلَى السَّفيه من العذاب

---

(١) سورة هود ، الآية ٧٥ .
(٢) سورة الصافات ، الآية ١٠١ .
(٣) البيتان فى زهر الآداب ٣/١١٢ .
(٤) ساقط من ج .
(٥) ساقط من ا .

ولا شيء أحبُّ إلى سـفيهٍ ... إذا وقع الكريمُ(١) من السُّبابِ

سبَّ الشعبيَّ رجلٌ، فقال له: إن كنتَ كاذباً يغفرِ اللهُ لك، وإن كنتَ صادقاً يغفرِ اللهُ لي.

قال الشَّعبيُّ: الغضبُ غولُ الحلم(٢).

قال خالدُ بن صفوان: شهدتُ عمرو بن عبيد ورجلٌ يشتمه، فقال: آجرك الله على ما ذكرتَ من(٣) صوابٍ، وغفر لك على ما ذكرتَ من(٣) خطأ، قال: فما حسدتُ أحداً حَسَدِي عمرَو بن عُبيدٍ على هاتين الكلمتين.

مرّ الشَّعبي بقوم ينتقصونه، فأنشد:

هنيئاً مريئاً غير داءٍ مُخَامِرٍ ... لعزّةَ من أعْرَاضِنَا ما اسْتَحَلَّتِ(٤)

قال النّابغة الجَعْديّ:

وَلا خيرَ في حلمٍ إذا لم تكُنْ لَهُ ... بوادر تَحمِي صفوَهُ أنْ يُكَدَّرَا

ولا خير في جهلٍ إذا لم يكنْ له ... حليمٌ إذا ما أوردَ الأمرَ أصْدَرَا(٥)

---

(١) في حـ: الكلام.

(٢) في ا: غلول الحليم.

(٣) ساقط من حـ.

(٤) البيت لكثير عزة، ديوانه ١/٥٧.

(٥) البيتان في الشعر والشعراء ١٥٩، معجم الشعراء ٣٢١، عيون الأخبار ١/٢٣٩، ٢٨٥، نهاية الأرب ٣/٢١٠ وفي ا: أريب بدل حليم.

وقال آخر :

وفى الحلم والإسْلاَم للمرء وازعٌ ... وفى تركِ أهْوَاء الفؤادِ المتيَّمِ

بصائرُ يُرشِدْنَ الفتى مستبينةٌ ... وأخلاقُ صِدْقٍ علمُها بالتعلُّمِ [١]

قيل للحُصَيْن بن المنذر : بم سُدْتَ قومك ؟ قال : بحسبٍ لا يُطعم فيه ، ورأى لا يُسْتَغْنَى عنه .

وذكر السُّؤددُ عند معاوية بن أبى سفيان ، فقال : إنَّه لينتقل فى الحىّ كما ينتقل الظلّ [٢] .

قال إياس بن قتادة :

وإن من السّاداتِ من لو أطعتَهُ ... دعاكَ إلى نارٍ يفورُ سعيرُها [٣]

قال : كان سفيان بن عُيَيْنَة يتمثل :

خلت الديارُ فسدتُ غيرَ مسوَّدِ ... ومن الشَّقاء تفرُّدِى بالسُّؤْدُدِ [٤]

---

(١) البيتان لكثير، ديوانه ١/٢١٨ ، وفى ا: بصائر رشد ظاهر ومشبه ، وانظرهما أيضاً فى البيان والتبيين ١/٢٠٥ ، وفيه : طاعات بدل أهواء ، وعيون الأخبار ٢/٦ وفيها : بصائر رشد للفتى .

(٢) يريد أن من يتمتع بأخلاق السيادة تنتقل شهرته فى الحى كما ينتقل الظل .

(٣) البيت فى البيان ٣/١٩٥ ، ٢٧٦ ، الحيوان ٣/٨٠ .

(٤) نسب البيت فى البيان ٣/١٩٦ ، ٢٧٦ . والحيوان ٣/٨٠ لحارثة بن بدر ، وفى هامش الحماسة ١/٣٤٠ قال إنه لرجل من خثعم ثم قال : ذكر ياقوت أنه عمرو بن النعمان البياضى يرثى سادات قومه ، وكانوا قد دخلوا حديقة فاختلفوا فقتل بعضهم بعضا ، وقد تمثل به سفيان بن عيينة حينما انفرد ومات نظراؤه من العلماء (انظر أيضاً فى هذا هامش البيان ٣/٢٧٦) ، وقد ورد البيت بدون نسبة فى وفيات الأعيان ٣/٣٥٧ ، عيون الأخبار ١/٢٦٨ ، العقد الفريد ٢/٢٩٠ .

قال : قال عمرُ بن عبد العزيز لرجل : من سَيِّدُ قومك ؟ قال : أُنا . قال : لو كنته لم تقله .

قال الشاعر :

وإنّ بقومٍ سوَّدُوكَ لفاقةً إلى سيِّد لو يظفرون بسيِّد[1]

قيل للمهلب : ما السؤدَد ؟ قال : أن يركب الرجلُ فى منزله وحده ، ويرجع إلى منزله فى جماعة .

قيل لبعض العرب : ما علامة السَّيِّد فيكم ؟ قال : هو الَّذى إذا أقبلَ هبناه ، وإذا أدبر عِبْناه ، ويُروى اغتبناه .

قال عبيد بن الأبرص :

إذا أنتَ لم تعملْ برأيٍ ولم تُطِعْ أُولى الرَّأيِ لم تركنْ إلى أمْرِ مُرْشِدِ
ولم تجتنب ذمّ العشيرةِ كلِّها وتدفعُ عنها باللِّسانِ وباليدِ
وتحلمُ عن جُهّالها وَتَحُوطها وتقمعُ عنها نَخْوَةَ المتهدِّدِ
فلستَ ولو علتَ نفسك بالْمُنَى بذِى سُؤدَدٍ بادٍ ولا قرب سُؤْدَدِ[2]

---

(١) نسب البيت لأبى نخيلة السعدى فى البيان ٣/١٩٥، ٢٧٦ ، والحيوان ٣/٨٠ ، وورد من غير نسبة فى حماسة البحترى ٣٣٥ ، عيون الأخبار ١/٢٦٨ وفيها : لحاجة بدل لفاقة .

(٢) الأبيات فى الشعر والشعراء ١٩٦ ، جمهرة أشعار العرب ٨٧ .

قال أُنس بن مدرك[١] :

عزمتُ عَلَى إقامةِ ذِى صَلَاحٍ لِأَمْرٍ ما يُسَوَّدُ من يَسُودُ[٢]

وقال أبو الحسن الموسوى[٣] :

ما السّؤدَدَ المكسوبُ إلاّ دُونَ ما يُومِى إليـــه السُّؤدَدُ المولودُ

فإذا هما اتفقا تـكسَّرَتِ القَنَا إن غُولِبا وتضعضعَ الْجُلْمُودُ[٤]

كان يقال : خصلتان لا يسود صاحبهما : الاستطالةُ فى الأقرباء ، والبَطرُ فى الأغنياء .

قال الْمَرّارُ بن سَعيد[٥] :

إذا شئْتَ يوماً أن تَسُودَ قبيلةً فبالحلم ِسُدْ لا بالسَّفَاهَةِ والشَّتْمِ[٦]

وقال بعضُ أهل العلم : لا سُؤدَدَ إلّا بالبخت والْجَدِّ والسَّعْد ، وذلك أنا قد

---

(١) أنس بن مدرك ، وسماه البغدادى فى الخزانة ٣/٣٦٦ (ابن مدركة) ، شاعر من المعمرين ، كان سيد خثعم فى الجاهلية وفارسها ، وأدرك الإسلام وأسلم ، ثم أقام بالكوفة حتى نشب الخلاف بن على ومعاوية، فانحاز إلى على ، وقتل فى إحدى المعارك سنة ٣٥ ، انظر الإصابة ١/٧٣ . (الأعلام ٦/٣٦٦) .

(٢) البيت فى البيان ٣/١٩٥ ، والحيوان ٣/٨١ ، وفيهما ذى صباح .

(٣) هو محمد بن الحسين بن موسى (الشريف الرضى) نقيب العلويين ، وأشعر الطالبيين ، مات سنة ٤٠٦ هـ ، انظر ترجماته الوافية فى تاريخ بغداد ٢/٢٤٦ ، وفيات الأعيان ٤/٤١ ، يتيمة الدهر ٣/١٣٦ .

(٤) البيتان فى ديوانه ١/٢٤٢ ، يتيمة الدهر ٣/١٣٧، التمثيل والمحاضرة ١٢٠ ، نهاية الأرب ٣/١٠٧ ، مع اختلاف يسير فى ألفاظ الرواية .

(٥) المرار بن سعيد بن حبيب الفقعسى ، شاعر إسلامى من شعراء الدولة الأموية ، كثير الشعر جيده . انظر فى ترجمته معجم الشعراء ٤٠٨ ، الشعر والشعراء ٦٨٠ — ٦٨٣ (الأعلام ٨/٨٣) .

(٦) البيت فى الشعر والشعراء ٦٨٢ ، حماسة أبى تمام ١/٤٧٤ وفيها بالقسرع بدل بالشفاعة .

رأيناهم يقولون : الأفعالُ المحمودة والأخلاق الجميلةُ توجب السؤدد والرياسة ، والأفعال المذمومة والأخلاق الدنيّة تمنعُ من السُّؤدد ، ثم رأينا قوماً سادُوا بأخلاق لا تُحمد ، وبأفعال لا تُرْضِي ، فمن ذلك : أن الحمق يمنع من السُّؤدد ، وقد ساد عُيَيْنَة ابن حِصْن[١] ، وكان محمّقاً ، وساد أبو سفيان وكان بخيلا ، والبخلُ يمنع من السُّؤدد ، وساد عامرُ بن الطُّفَيْل[٢] ، وكان عاهراً ، ولا سؤدد مع العُهْر ، وساد أبو جهلٍ وما طرَّ شاربه ، ودخل دار النّدْوَة وما استوت لحيته ، والحداثةُ تمنع من السُّؤدد ، وساد شِبْلُ بْنُ مَعْبِد البَجَلِيّ[٣] ، وما بالبصرة بَجَلىّ غيره ، وهم يقولون : لا سؤدد إلّا بالعدد ، ولما قال قومٌ للأحنف : لولا أنا سوَّدناك ما سُدْت . قال فمن سوَّد شِبْل بن مَعْبِد البَجَلى ، وليس بالبصرة بَجَليّان .

---

(١) ابن بدر الفزارى ، له صحبة ، وكان من المؤلفة قلوبهم ، سماه الرسول صلى الله عليه وسلم الأحمق المطاع ، وقد ارتد عيينة عن الإسلام فى عهد أبى بكر ، ثم مال إلى طليحة ، ورجع إلى الإسلام على يديه ، عاش حتى خلافة عثمان . انظر الإصابة ٥/٥٥ ، الترجمة ٦١٤٦ .

(٢) العامرى ، من بنى عامر بن صعصعة ، فارس قومه وأحد فتاك العرب وشعرائهم ، أدرك الإسلام ووفد على النبى صلى الله عليه وسلم مضمرا قتله ولكنه لم يستطع ، ولما عرض الرسول عليه الإسلام اشترط عامر لذلك أن يجعل النبى له الأمر من بعده ، ويعطيه نصف ثمار المدينة ، رفض النبى ذلك ، فذهب عامر مهدداً متوعدا ، ثم مات قبل أن يصل إلى محلة قومه . انظر الإصابة الترجمة ٦٥٥٠ ، والمراجع الأخرى فى هامش الأعلام ٤/٢٠ .

(٣) شبل بن معبد بن عبيد بن الحارث البجلى ، من التابعين ، وهو أخو أبى بكرة الثقفى لأمه ، من الذين اشتركوا فى الفتوح الإسلامية فى عهد عمر ، وقد نقم على أبى موسى الأشعرى بعض تصرفاته فعزله عثمان على يده . انظر : تهذيب التهذيب ٤/٣٠٥ .

وساد عتبة بن ربيعة[١] وكان فقيراً إلى أن مات ، حتى قيل : إنه لم يشبع قطّ ، ولم يفضل عن قوت أهله قوتُ ضيفٍ واحد ، وهم يقولون إنّ الفقر يمنع من السؤدد . هـذا كلّـه يدلّك على أن السّؤدد بالبخت

وقال غيره : أسباب السّؤدد سبعة : العقل والعلم والصيانة وأداء الأمانة والحِذق والحلم والسخاء .

أبو سلمى :

لا بدّ للسُّؤْدَدِ من أرْمَاحْ ومن سفيهٍ دائمِ النُّبَاحْ
ومن عديدٍ يَتَّقِي بالرّاحْ[٢]

أى لا يتقى بالدّعاء .

وقال غَيْلاَن بن سَلَمَة الثّقفى :

لابدّ للسُّؤْدَدِ من عَدِيد[٣]

---

(١) عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ، كبير قريش وأحد ساداتها فى الجاهلية ، كان موصوفا بالرأى والحلم والفضل ، أدرك الإسلام ولـكنه طغى وشهـد مع المشركين بدرا فقتل . انظر نسب قريش ١٥٢ (الأعلام ٣٥٩/٤) .

(٢) انظرها فى البيان ١٩٠/٣ ، ٢٧٥ ، الحيوان ٣٥١/١ ، وقد وردت فى العقد ٢٨٠/٢ برواية أخرى هى .

لابد للسؤدد من رماح ومن رجال مصلتى السلاح
يدافعون دونه بالراح ومن سفيه دائم النباح

(٣) انظر الشطرة فى البيان والحيوان فى نفس الصفحات التى وردت فى الهامش السابق ولم أعثر على تكملة البيت ، ولا التعريف بالشاعر فيما بين يدى من مراجع .

قال النابغة الذُّبيانىّ :

تعدُو الذئابُ على من لا كلابَ لَهُ   وتتّقِى صَوْلَةَ المستنْفِرِ الحَامِى[(١)]

قال الحسنُ بن سهل يوماً : الشَّرف فى السَّرَف ، فقيل له : لا خيرَ فى السَّرف ، فقال : لا سَرَفَ فى الخير ، فردّ اللَّفظة واستوفى المعنى .

قال إسماعيل بن جعفرُ بن سليمان الهاشمى : عجبتُ لمن لا يكتب العلم كيف تدعوه نفسه إلى مكْرُمة .

ابن بَشّار :

وإذا جَزَيْتَ أخًا بِذَنْـ   ـبٍ كان منه لم تَسُدْهْ
ولقلّماَ طَلب الفـــتى   لأخيه عيبا لم يجِــدْهُ[(٢)]

الهُذَلى :

وإنَّ سيادةَ الأقوام فاعلَمْ   لها صَعْدَاءُ مطلبها طَوِيلُ[(٣)]

---

(١) وردت الشطرة الثانية من البيت بروايات مختلفة :

وتحتمى مربض المستأسد الحامى   حماسة البحترى ٢٦٤
وتتق صولة المستأسد الضارى   الحيوان ٢/٨٧
وتتق مربض المستنفر الحامى   عيون الأخبار ٤/١٠٩

وقد نسب البيت للنابغة فى المراجع السابقة كما هنا ، ونسبه المرزبانى فى المعجم ٣٧٨ إلى الزبرقان بن بدر .

(٢) البيتان فى عيون الأخبار ١/٢٦٦ .

(٣) البيت للأعلم الهذلى كما فى ديوان الهذليين ٢/٨٧ ، وانظره فى البيان ١/١٩٥ ، ٢٧٠ ، والحيوان ٢/٩٥ وفيه : وإن سياسة ، وفى نسخة حـ : عسير بدل طويل . والصعداء : المرتفعة يقال : أكمة صعداء أى يشتد صعودها على الراق .

لما توفى عبد الله بن طاهر[(١)] ، صلّى عليه ابنه طاهر بن عبد الله ودفنه ، وأعتق عند كل زاوية من زوايا قبره رقبةً من غلمانه ، وفعل ذلك إخوته ، ودفع كل نَجْلٍ منهم إلى كلِّ غلام خمس مائة درهم ، وكان عبد الله بن طاهر قد خلف أربعين ولدًا ذكرًا ، فقال أبو العَمَيْثَل[(٢)] الشاعر لمصعب بن عبد الله وكان[(٣)] يختص بطاهر وينادمه : ألا أدلّك على شيء تفعله فتتقدم به سائر إخوتك عند الأمير طاهر ؟ قال : بلى . فأنشده هذه الأبيات وقال : اكتب بها إلى الأمير ، وهى :

يا من يحاول أن تكونَ خلالُه ... كخلالِ عبد الله أَنْصِت وَاسْمَعِ[(٤)]
فلأقصـــدنّك بالنصيحةِ وَالَّذى ... حجَّ الحجيجُ إليه فاقبلْ أو دعِ[(٥)]
إن كنتَ تطمعُ أن تحلَّ محلَّهُ ... فى المجد والشَّرفِ الأشمِّ الأرفعِ
فاصْدُق وَعِفَّ وَبرَّ وَارفقْ وَاتَّئِدْ ... وَاحلُم ودارِ وكافِ واصبرْ واشجعِ
وَالطُف وَلِنْ وَتأنَّ وَانصُر وَاحتملْ ... وَاحزمْ وَجِدَّ وَحَامِ وَاحملْ وَادفعِ
هذا الطريقُ إلى المكارمِ مَهْيَعًا ... فاسلُك فقد أبصرت قصدَ المهيعِ[(٦)]

---

(١) عبد الله بن طاهر بن الحسين الخزاعى بالولاء ، من أشهر الولاة فى العصر العباسى كان سيدا نبيلا عالى الهمة شهما ، ولاه المأمون خراسان فضم إليها كثيرا من بلادالمشرق ، توفى سنة ٢٣٠هـ . انظر فى ترجمته وفيات الأعيان ١/ ٢٦٠ ، تاريخ بغداد ٩/ ٨٣؛ (الأعلام ٤/ ٢٢٦ ، ٢٧) .

(٢) أبو العميثل : عبد الله بن خليد بن سعد ، مؤدب من الشعراء الفضلاء . كان مولى لبنى العباس واتصل بطاهر بن الحسين فعهد إليه بتأديب ولده عبد الله فأقام معه فى خراسان ثم كان كاتبه وشاعره إلى أن توفى سنة ٢٤ هـ . انظر وفيات الأعيان ١/ ٢٦٢ (الأعلام ٤/ ٢١٦) .

(٣) أى أبو العميثل .

(٤) فى الوفيات : صفاته كصفات عبد الله الخ .

(٥) فى الوفيات : فلأنصحنك بالمشورة .. فاسمع أودع .

(٦) فى ا : مقنعا بدل مهيعا ، والمهيع : البين ، وقد وردت هذه الأبيات ماعدا الثالث فى وفيات الأعيان ٢/ ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، الذخيرة ١/ ٣٢٠ ، ورواية البيت الأخير فيهما :

فلقد نصحتك إن قبلت نصيحتى ... وهديت للنهج الأسد المهيع

فاستحسن طاهرٌ الأبيات ، وقال : واللهِ لقد أفدتنى ما يجبُ به شكرك ، فقلده نيسابور وأعمالَها ثلاث سنين ، وأكسبه ألف ألف درهم .

وقال آخر :

إذا هلكتْ أسْدُ العرين ولم يكنْ ... لها خلفٌ فى الغِيلِ ساد الثعالبُ
كذا القمرُ السَّارى إذا غاب لم يكن ... له خلفٌ فى الجو إلاّ الكواكبُ

قال بعض الحكماء : من ابتغى المكارم فليجتنب المحارم .

باب حمدِ الحلم وذمّ السّفه

قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لأَشجِّ عبدالقيس[1]: « يا أشج [2] عبدالقيس [2] أو يا منذر ! فيك خصلتان يرضاهما الله ورســــوله : الحلم والأناة » ، فقال : يا رسول الله ! أشيء جبلني الله عليه أم شيء اخترعته من قبل[2] نفسي ؟ . فقال : « بل شيء جبلك الله عليه » ، فقال : الحمد لله الذى جبلني على خُلق[3] يرضاه الله ورسوله

قال الشّعْبي : زينُ العلم حلمُ أهله .

قال رجاء بن أبي سلمة : الحلمُ أرفع من العقل ، لأن الله تسمّى به .

قال معاوية : إنى لأرفع نفسى أن يكون ذنب أرجح من حلمى .

وقال معاوية لعمرو بن العاص : من أبلغ الناس ؟ قال: من ترك الفضول ، واقتصر على الإيجاز . قال : فمن أصبر الناس ؟ قال : من بذل دنياه فى صلاح دينه قال : فمن أشجع الناس ؟ قال : من ردّ جهله بحلمه .

---

(١) اسمه المنـذر بن ساوى بن الأخنس العبدى من عبد القيس أو من بنى عبد الله بن دارم من تميم ، كان صاحب البحرين قبل الإسلام ، ثم أرسل الرسول صلى الله عليه وسلم إليه رسالة يدعوه فيها الى الإسلام فأسلم فأقره على عمله ، وثمة خلاف فى أمر وفوده على النبي ، انظره فى الإصابة الترجمة ٨٢١٢ .

(٢) ساقطة من ا ، م .

(٣) في ح ، م : على شيء .

قال محمد بن أبى شِحاذ[١] :

إذا الحلمُ لم يغلبْ لك الجهلَ لم تزلْ   عليـــــك بروقٌ جمةٌ وَرَوَاعِدُ

سئل الأحنف عن الحلم ، فقال : هو الذُلّ والصَّبر .

كان الأحنف إذا عجبوا من حلمه ، قال : إنى لأجدُ ما تجدون ، ولكنِّى صبور .

وقال أيضاً : وجدت الحلمَ[٢] أنصرُ[٣] لى من الرجال[٣] .

قال عمر بن عبد العزيز : ما قُرِن شىء إلى شىء أحسنَ من حلم إلى علم ، ومن عفو إلى قُدْرَة .

وقد رُوينا هذا الكلام لمن هو أسنّ من عُمَر وأكبر .

وقال بَلْعاء بن قَيْس :

أبَيْتُ لنفسى الخَسْفَ لما رَضُوا به   وأوليتهم سمى وما كنت مُفْحَما

وقال شُرَيْح : الحلمُ كنز مُوفَر ، والحليم مطية الجَهُول .

---

(١) فى الأصول محمد بن صحار ، وفى حـ : بزيادة العبدي ، وقد وجدت البيت منسوبا فى حماسة أبى تمام ٤٦/٢ لمحمد بن أبى شحاذ الضبى ، وسماه فى معجم الشعراء ٤١٣ حميد بن أبى شحاذ ، ولقد جهدت فى البحث عن محمد بن صحار العبدى هذا فلم أجد إلا صحار بن عياش العبدى وهو خطيب مشهور كان فى أول العصر الأموى ، ويبدو أنه قد حدث تحريف من ناسخى النسختين أ ، م فى اسم شحاذ حولاه إلى صحار ثم زاد ناسخ النسخة حـ العبدي ، وقد أثبت الاسم كما فى الحماسة .

(٢) فى ا . الصبر .

(٣) ساقط من حـ .

قالوا : بالعقل استُخْرِج غورُ الحكمة ، و بالحلم استُخرِج غَوْرُ العقل .

قال أبو العتاهية :

فيارَبِّ هَبْ لى منك حِلمًا فإننى أرى الحِلْمَ لم يَندَمْ عليه حليمُ
ويارب هب لى منك عزماً على التقى أقيم به ما عشتُ حيث أقيمُ
ألا إنّ تقوى الله أكرمُ نسبةٍ تَسامَى بها عند الفخارِ كريمُ[1]

قال الخُرَيْمى :

أرى الحلمَ فى بعض المواطنِ ذِلّةً وفى بعضِها عِزًّا يُسَوَّد فاعلُه

قال عُمارة [2] بن عقيل [2] :

إذا أغضبتَ ذا كرمٍ تخطّى إليك ببعض أخلاق اللئيم
وإن الله ذو حلمٍ ولكنْ بقدر الحلم مُنْتَصَفُ الحليمِ[3]

وقال آخر :

بنى هلالٍ ألا تَنهَوْا سفيهَكمُ إنّ السّفيهَ إذا لم يُنْهَ مأمورُ[4]

(١) الأبيات فى ديوانه ٢٤١ ، ٢٤٢ ، على خلاف فى الترتيب .
(٢) ساقط من ا .
(٣) نسب البيتان فى عيون الأخبار ٣/٢٨٥ إلى عمارة كما هنا ، وقد وردا للبحترى فى ديوانه ٢/٢٦٦، نهاية الأرب ٣/٩٣ ، وفيهما : متى أحرجت .
(٤) البيت في البيان ٣/٢٦١ من غير نسبة ، وفيه : بني هدى بدل بني هلال .

وقال حسان بن ثابت :

ربّ حلمٍ أضاعَهُ عدمُ الما ... ل وجهلٍ غطّى عليه النعيم[١]

وقال أوس بن حجر :

إذا أنت لم تُعْرِضْ عن الجهل والخنا ... أصبت حليماً أو أصابك جاهلُ[٢]

وقال صالحُ بن جَنَاح ، ويروى لغيره :

لئن كنتُ محتاجاً إلى الحلم إنني ... إلى الجهلِ في بعضِ الأحايين أَحْوَجُ
وما كنتُ أرضى الجهلَ خِدْناً ولا أخاً[٣] ... ولكنني أرضى به حين أحرجُ
فإن قال بعضُ الناس فيَّ سماجةٌ ... فقد صدقُوا والذُّلُّ بالحُرِّ أسمجُ[٤]

وقال أبو يعقوب الخريمي :

وإنك تلقى صاحبَ الجهلِ نادماً ... عليه ولا يأسى على الحلمِ صاحبُه

وقال حبيبُ الطائي :

إذا جاريتَ في خلقٍ دَنيًّا[٥] ... فأنت ومن تُجاريه سواء

---

(١) ديوانه ٨٩ .

(٢) نسب البيت في عيون الأخبار ٣/٢٣١ إلى كعب بن زهير ، والصحيح أنه لأوس ، انظر ديوانه ٢٠ . ورواية العيون : إذا أنت لم تقصر .

(٣) في ا : وصاحبا .

(٤) نسبت هذه الأبيات في عيون الأخبار ٣/٢٨٩ إلى محمد بن وهيب ، ونسبت في معجم الشعراء ٤٢٩ إلى محمد بن حازم الباهلي ، ووردت بدون نسبة في العقد الفريد ٣/١٤ ، محاضرات الأدباء ١/١١٧ .

(٥) في ا : دني .

إذا ما رأسُ أهلِ البيتِ وَلّى ... بَدَا لَهُمُ من النـاسِ الجفاءُ[١]

ولآخـر :

أبا حسن ما أقبحَ الجهلَ بالفتى ... وَلَلحِلْمُ أحيانا من الجهل أقبحُ
إذا كان حلمُ المرء عَوْنُ عدوِّه ... عليه فإن الجهلَ أعْفَى وَأروَحُ
وفى العفوِ ضعفٌ والعقوبةِ قوةٌ ... إذا كنت تخشى كيدَ من عنه تصفحُ

وقال عمرو بن كلثوم :

ألا لا يجهلنْ أحـــدٌ علينا ... فنجهلَ فوق جهل الجاهلينا[٢]

قال آخر :

إذا نُهِيَ السفيهُ جرى إليه ... وخالف والسفيهُ إلى خلافِ

كان عبد الله بن عمر إذا سافر سافر معه بسفيه[٣] ، فقيل له فى ذلك ، فقال : إن جاءنا سفيهٌ ردّ عنا سفهه ؛ لأنا لا ندرى ما تقابل به السّفهاء .

وقال ابن المعتز :

ولـكلّ عقلٍ غَفْوَةٌ أو سَهْوَةٌ ... وَالحـــرُّ محتاجٌ إلى التّنْبيهِ

---

(١) ديوانه ٤٣٣ .
(٢) البيت فى الجمهرة ٨٢ ، نهاية الأرب ٣/٦٤ .
(٣) فى ا : سفيه .

والعاقلُ النِّحريرُ محتاجٌ إلى ... أن يستعينَ بجاهلٍ مَعْتوهِ[1]

وقال آخر :

وَلربما اعتضد الحليم بجاهلٍ ... لا خير فى اليمنى بغير يسارِ

وقال آخر :

وليس الحليمُ الذى كلَّ ساعةٍ ... بهِ غضبٌ فى أنفـــه يتوقَّدُ

إذا أَمِنَ[2] الجهَّالُ جهلَك لم تزل ... عليك بوادى جهلِهم تتورَّدُ

وإن عقاب[3] الجاهلين لذاهب ... بحلمك فانظر أى هاتين تَعمِدُ

كان يقال : ليس الحليم من قُذف فـكَظَم ، وَلـكن من صُدم فصبر .

قال البحترى :

أرى الحلم بُؤْساً فى المعيشة للفتى ... ولا عيش إلاّ ما حباك بهِ الجهلَ[4]

وقال آخر :

قل مَا بَدَالَكَ من زُورٍ وَمن كَذِبٍ ... حلْمى أصمٌ وأذنى غيرُ صَمَّاء

وقال آخر :

وَلا خيرَ فى عِرْضِ امرىءٍ لايَصُونُه ... وَلا خير فى حلم امرىء ذَلَّ جانبه[5]

---

(١) فى ا : سهوة أو غفلة ، وانظرها فى ديوانه ٢٥٤ .

(٢) ا : أمر . (٣) حـ : عفاف

(٤) البيت فى الديوان ١٦٤ .

(٥) البيت فى عيون الأخبار ٣/٣٢٩ .

وقال مروان بن الحكم :

إذا أمن الجهال جهلك مرّةً فِعرضك للجهّال غُنمٌ من الْغُنْمِ
وَإن أنت بَاَذَيتَ السفيه إذا بذا[١] فأنت سفيهٌ مثله غير ذى حلم
فلا تقرضَنْ عرض السفيه وَداره بحلم فإن أعيا عليك فبالصرم
وَمن عاتب الجهال لم يشف غيظه وَلـكنه يزداد سُقْماً إلى سُقم[٢]
فَدَعْ عنك فى كلّ الأمور عِتَابَهُ فإنَّك إنْ عاتبْتَهُ صار كالْخَصْمِ
وَغمٍّ عليه الحلمَ وَالجهلَ وَالْقَهُ بمنزلةٍ بين العـــداوةِ وَالسِّلْمِ
فيرجُوك أحيانًا وَيخشاك تارةً وَيأخذُ فيما بين ذلك بالْحَزْمِ
فإن لم تجد بُدًّا من الجهل فاستَعِن عليه بجهّالٍ فذاكَ من العَزْمِ

وقال أبو دَهْبَل الجُمحى[٣] :

وَكانوا أناساً كنتُ آمَنُ غيْبَهُمْ فلم يَنْههُمْ حلم وَلم يتحرَّجُوا[٤]

---

(١) فى ا : وإن أنت جاريت السفيه بجهله .

(٢) فى ا : عاقب بدل عاتب ، وعلى بدل إلى .

(٣) فى ا : أبو دعبل ، وفى ح : ابن ذيبا ، والصحيح ما أثبتناه كما فى م ، وأبو دهبـل هو : وهب ابن زمعة بن أسـد القرشى ، من أشراف جمح بن لؤى بن غالب ، أحد شعراء العشق المشهورين ، وله مدائح فى معاوية وابن الزبير . انظر المؤتلف ١١٧ ، الشعر والشعراء ٢٣٠ (الأعلام ٩/١٤٩) .

(٤) انظر البيت فى عيون الأخبار ٢٢/٢ ، الشعر والشعراء ٢٣٧ .

قال منصورُ الفقيه :

إذا رِشْوَةٌ من بابِ قومٍ تَقَحَّمَتْ   لتدخلَ فيه وَالأمانَةُ فيه
سَمَتْ هربًا منه وَوَلَّت كأنها   حليمٌ تنحّى عن جواب سفيه[1]

وقال آخر :

العفوُ عند لبيبِ القومِ مَكْرُمَةٌ   وبعضُه لسفيهِ الرّأىِ تدريبُ[2]

(١) فى حـ : عن جوار .

(٢) البيت فى الحيوان ١/١٦ ، وفيه موعظة بدل مكرمة.

بابُ مدح الجود والكرم ، وذم البخل واللؤم

قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم : « إياكم والشحّ ؛ فإنه أهلك من كان قبلكم ، أَمَرَهُم بالقطيعةِ فقَطَعُوا ، وَأَمَرَهُم بالبخلِ فبَخِلُوا ، وبالفجورِ فَفَجَرُوا » .

قال رسول الله صلّى الله وسلم : « لولا ثلاثٌ صَلُحَ النَّاس : شحٌّ مطاعٌ ، وهوى متّبع ، وإعجابُ المرء بنفسه » .

قال الزُّبَيْر بن العَوَّام فى خطبة خطبها بالبَصْرة : أيُّها النَّاسُ ! إنّ النبي صلى الله عليه وسلم أخذ يوماً بعمامتى من ورائى فقال : « يا زبيرُ ! إن الله يقول : أَنْفِقْ أُنفق عليك [(١)] ، ولا تُوكِ[(٢)] فيُوكأ عليك . أَوْسِع يُوَسَّعْ عليك ، ولا تُضيق فيضيَّقْ عليك . واعلم يا زبيرُ أن الله يحبّ الإنفاق ولا يحب الإقتار ، وَيحبّ السماحة ولو على فلق تمرة ، وَيحبّ الشجاعة ولو على قتل [(٣)] حية أو عقرب ، واعلم يا زبير أن لله كنوز[(٤)] أموال سوى الأرزاق التى قسمها بين العباد ،

(١) ساقطة من ا .

(٢) توكه : تبخل .

(٣) ساقطة من ا .

(٤) فى جـ : فضول .

محتبسة عنده لا يعطى أحـداً منها شيئاً إلا من سأله من فضله ، فاسألوا الله من فضله » .

قال علىُّ بنُ أبى طالب رضى الله عنه : البخـــل جلباب المسكنة ، وربما دخل السخىُّ بسخائه الجنة .

قال : ومن البخل تَرْكُ حقٍّ قد وَجب لخوف [1] شىء لم يقع .

روى عن النبىّ صلّى الله عليه وَسلّم أنه قال : « أقيلوا الـكرام عثراتهم » ويروى . « أقيلوا ذوى الهِيَات زلاتهم » .

وروى عنه عليه السلام أنه قال : « المؤمن كريم ، وَالفاجر لئيم » .

قال جعفر بن محمد : قال الله عزّ وَجل : أنا جواد كريمٌ ، لا يجاورنى فى جنتى لئيم .

قيل للأحنف : ما الجود ؟ قال : بذل القِرى[2] ، وَكفُّ الأذى . قيل : فما البخل ؟ قال . طلبُ اليسير وَمنع الحقير . وَقد روى هذا من كلام أكثم بن صيفى والله أعلم .

سئل الخليل بن أحمد عن الجود ، فقال . بذلُ الموجود .

---

(١) فى ح : ترك شىء قد وجب خوف .. الخ .

(٢) فى ا : الندى .

قال بعض الحكماء : من أيقن بالخلف جاد بالعطية .

قال أحمد بن أبى دُوَاد : من نال دنيا فلم يرفع وليًا ، ولا وضع عدوًا فليس بكريم .

قال شُعيبُ بن حَرْب : ليس السخىُّ من أخَذ المالَ من غير حلّه فبذّره ، وإنما السخىّ من عُرِض عليه ذلك المال فتركه ، أو جَمع من حق وَوَضَع فى حق[1] .

كان زيادُ بن أبيه يقول : من منع ماله سُبُل الحمد أورثه من لا يحمده .

قال إبراهيمُ بن أبى عَبْلة[2] : سمعت أمَّ البنين أخت عمر بن عبد العزيز ، تقول : أف للبخل ! والله لو كان طريقًا ما سلكته ، ولو كان[3] ثوبا طريفا[3] ما لبسته .

قال معاوية بن أبى سفيان لأبى مسلم الخَوْلانى[4] : إنكم معشر العُبّاد فيكم النكاح والحدة والسماح . قال : أما النكاح فإنا لا نعدل عن أهلينا ، وأما الحدة

---

(١) يأتى هذا الخبر فى ا بعد الحديث الأول مباشرة .

(٢) ساقط من ا .

(٣) إبراهيم بن (أبى عبلة) شمر بن يقظان بن عبد الله المرتحل الرملى وقيل الدمشقى ، من رجال الحديث الثقات ، ونقل ابن حجر عن ابن عبد البر فى التمهيد أن ابن أبى عبلة كان ثقة فاضلا ، له أدب ومعرفة ، وكان يقول الشعر الحسن . توفى إبراهيم سنة ١٥٢ هـ ، تهذيب التهذيب ١/١٤٢ ، ١٤٣ .

(٤) هو عبد الله بن ثوب الخولانى ، أبو مسلم ، تابعى فقيه زاهد عابد ، أسلم قبل وفاة الرسول ولم يره ، وكان يقال : أبو مسلم حكيم هذه الأمة ، توفى بدمشق سنة ٦٢ على الأصح ، انظر تهذيب التهذيب ١٢/٢٣٥ .

فإن قلوبنا ملئت خيرًا فلا موضع فيها للشر ، وأما السّماحُ فبحسن الظن منا بالخلف من الله تعالى .

قال سفيان بن عيينة : ما استقصى كريمٌ قط ، ألم تسمع إلى قول الله تعالى : ﴿عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ﴾[(١)] .

قال أسماء بن خارجة[(٢)] : لو لم يَدْخُل على البخلاء فى بُخلهم إلاَّ سوءِ ظنِّهم بربهم فى الخَلَف لكان ذلك عظيماً .

قال زهير :

ومَنْ يكُ ذا فضلٍ فيبخلْ بِفضـلِهِ　　عَلَى قومه يُستَغْنَ عنه وَيُذْمَمِ[(٣)]

وقال محمد بن يسير :

كم مانِعٍ نفسَه لذّاتِها حذرًا　　للفقرِ ليس لهُ من مالِهِ ذُخُرُ
إن كان إمساكُهُ للفقرِ يحذَرُهُ　　فقد تَعَجّلَ فقرًا قبل يفتقرُ

وقال آخر :

ما أعلم الناسَ أن الجودَ مدفعةٌ　　للبُخل لـكنه يأتى عَلَى النَّشَبِ

(١) سورة التحريم ، الآية ٣ .

(٢) ابن حصن بن حذيفة الفزارى ، تابعى من رجال الطبقة الأولى فى الحديث ، من أهل الكوفة ، وكان سيد قومه مقدما عند الخلفاء ، مات سنة ٦٦ هـ . انظر تاريخ الإسلام ٣٧٢/١ ، النجوم الزاهرة ١٧٩/١ (الأعلام ٢٩٩/١) .

(٣) شرح ديوان زهير ٣٠ .

وقال ابن مُطَير الأسدى[(١)] :

وما الجودُ عن فقرِ الرجال ولا الغنى ... ولكنّه خِيمُ الرّجال وخيرُها[(٢)]

وقال آخر :

إني امرؤٌ أَجْزِى الكريمَ بوُدِّهِ ... وأصدُّ عن وصل اللئيم وأقطعُ

وقال منصور الفقيه :

جهِلُوا القياسَ لِلُطْفِه فتوهَّمُوا ... أن البخيلَ وكلبَهُ مِثْلانِ

والكلبُ يحفظُ أهله ويقيهمُ ... ويكفُّ طارقَهم عن العُدْوَانِ

والنذلُ يُوحِش أهلَه ويُجيعُهُمْ ... ويحضُّ ناصرَهُم عَلَى الخذلانِ

فها ومن جعل الكلاب أعزة ... والباخلين أذلةً ضِدَّانِ[(٣)]

قال أردشير : احذروا صولةَ الكريم إذا جاع ، واللئيم إذا شبع ، واعلموا أن الكرام أصبرُ نفوساً ، واللئام أصبرُ أجساماً .

قال الشاعر :

إنّ ذا اللؤمِ إذا أكرمتَهُ ... حسبَ الإكرامَ حقًّا لَزِمَكْ

---

(١) ساقطة من ا ، وابن مطير هو الحسين بن مطير الأسدى ، مولاهم ، شاعر متقدم فى القصيد والرجز ، وفد على معن بن زائدة حين ولى اليمن فمدحه ثم رثاه حين مات ، توفى ابن مطير سنة ١٦٩ هـ . انظر معجم الأدباء ٩٧/٤ ، فوات الوفيات ٤٤/١ ، (الأعلام ٢/٤٨٥) .

(٢) الخيم : الطبيعة والسجية .

(٣) فى جـ : والباخلان أذلة صنوان .

وأخا الفضلِ إذا أكرمتَهُ لم يُصَغِّرْكَ ولكن عَظَّمَكْ

قال أبو الطيب المتنبي :

إذا أنت أكرمتَ الكريم ملكتَه وإن أنت أكرمتَ اللئيم تمرَّدا(١)

وقال آخر :

أراكَ تُوَمِّــــل حسن الثَّنَا ء ولم يرزُق اللهُ ذاكَ البَخِيلاَ

وقال آخر :

تريدين أن أَرْضَى وأنت بخيلةٌ ومن ذا الذى يُرْضِى الأخلاءَ بالبُخْلِ(٢)

وقال آخر :

نَدَبْتُكُمُ(٣) لِنَفْعِى أَنْ قَدَرْتُم فلم أر فيكم حُرًّا كريماَ
ومالِىَ عنـــدكم ذنبٌ أراهُ سوى أنى عرفتكُمُ قديماَ

وقال زيد بن عَمْرو النخعى :

لقد كذب المَعَاشِرُ حين قالوا علىٌّ والمُخَارِقُ سيِّـــدانِ
هما حجرانِ من جبل(٤) صَلُودٍ إذا قيل ارْشحا لا يَرْشَحَانِ

---

(١) ديوانه ٣٦١ .
(٢) البيت فى عيون الأخبار ٣/١٠٩ من غير نسبة .
(٣) فى حـ : فديتكم .
(٤) فى ا : من حجر .

فلولا البخلُ إن البخلَ عارٌ   أبا عمرٍو إذًا أعجبتمانى

وقال ابن أبى فَنَن[١] :

وإن أحقَّ الناس باللَّوْمِ شاعرٌ   يلومُ عَلَى البخل الرجالَ ويبخلُ

قال الحطيئة[٢] :

سُئلت فلم تبخلْ ولم تُعْطِ طائلا   فسيّانَ لاذمٌ عليك ولا حمدُ

وقال منصور الفقيه :

زادُ البخيلِ إذا مضى لسبيلِهِ   ذمُّ العِـــدَا وقطيعةُ الورّاثِ

وَأخو السماح لحظه من أهله   وَمن الغريب مدائحٌ وَمَراثِ

ولمنصور الفقيه أيضاً :

أما رغيف بنى السَّلِيْـ   ـلِ فمِنْ حَمَامَاتِ الْحَرَمْ

ما إن يُحَسُّ ولا يُمَسُّ (م) وَلا يُذَاقُ وَلا يُشَمّ

فإذا نزلتَ بـــــدارهم   فانزلْ بِشِـدْقٍ مُلْتَثِمْ

حتى تعيشَ مُسَلَّمًا   يا من يعيشُ بغيرِ فمْ

---

(١) هو أحمد بن صالح (أبو فنن) ، شاعر مجود نقى اللفظ ، أكثر من مدح الفتح بن خاقان ، انظر فى ترجمته تاريخ بغداد ٤/٢٠٢ ، زهر الآداب ٤/٦٢ ، وانظر البيت فى العقد ٢/٤٦ .

(٢) لم أعثر على البيت فى ديوانه ، وانظر فى محاضرات الأدباء ١/٤٨٠ بدون نسبة .

ولمنصور الفقيه أيضاً :

إذا تَغَدَّوْا رُبطوا قِطَّهُمْ … بخْلاً بما تطرحُهُ المائدهْ

ما عرضت قَطُّ لهم تخمةٌ … ولا تَشَكَّوْا مَعِدَةً فَاسِدَهْ[1]

قال الحسنُ بن هانىء[2] :

وباخلٍ جئتُهُ فقدّم لى … كِسْرَةَ خبز وعينُه عَبْرى

فقال ما تشتهى فقلت له … قطعةَ جُبْنٍ وكسرةً أُخْرَى

وله أيضاً[3] :

على خبزِ إسماعيلَ واقيةُ البُخْلِ … فقد حلّ فى دار الأمانِ من الأكلِ

وماخبزُه إلا كآوى يُرى ابنُهُ[4] … ولم يُرَ آوَى فى الحُزُونِ ولا السَّهْلِ

وما خبزُهُ إلاّ كعنقاءِ مُغْرِبٍ[5] … تُصَوَّرُ فى بُسْطِ الملوك وفى المُثْلِ

يُحَدِّثُ عنها الناسُ من غيرأن يروا[6] … سوى صُورَةٍ ما إنْ تَمِرُّ ولا تَحْلِي

---

(١) فى ح : المعدة الفاسدة .

(٢) ديوانه ١٧١ .

(٣) الأبيات قالها فى هجاء إسماعيل بن أبى سهل بن نوبخت ، انظر ديوانه ١٧١ ، وانظر هامش الحيوان ١٢٩/٣ ، ١٣٠ .

(٤) يطلق على الثعلب : ابن آوى ، ولكن آوى نفسه لاوجود له .

(٥) عنقاء مغرب طائر معروف الاسم لا الجسم .

(٦) فى ديوانه : من غير رؤية .

وما خبزُهُ إلاّ كليبُ بنُ وائلٍ ... ليالىَ يحمى[1] عزُّهُ مَنْبتَ البَقْلِ
وإذْ هو لا يَسْتَبُّ خَصْمانِ عِنْدَه ... ولا الصوتُ مَرْفوعٌ بجدٍّ ولاهزلِ
فإنْ خبزُ إسماعيلَ حلَّ به الذى ... أصاب كُلَيْبًا لم يكنْ ذاكَ عن بَذْلِ
ولـكن قضاءٌ ليس يُسْطاع دَفْعُه[2] ... بحيلةِ ذى ذهنٍ ولا فـكرِ ذى عَقْلِ

قلت[3] : أراد بقوله : وإذ هو لا يستبّ خَصمان عنده قول مُهَلْهِـل :

أَوْدَى الخيارُ من المعاشر كُلُّهُمْ ... واستَبَّ بعدَكَ يا كليبُ المجلسُ
وتنازعوا فى أمرِ كلِّ عظيمةٍ ... لو قد تـكونُ شَهِدْتَهُمْ لم يَنْبِسُوا[4]

وَكُلَيْب هذا هو الذى أراده النابغة الجعدى بقوله :

كليبٌ لعَمْرى كان أكثرَ ناصرًا ... وأيسرَ جُرْمًا منك ضُرِّجَ بالدَّمِ[5]

قال عُبيد الله بن عِكْرَاش ، ويروى لأبى يعقوب الخريمى :

وإنى لأرثِى للكريم إذا غَدَا ... على طمعٍ عند اللئيم يُطَالِبُه

---

(١) فى ديوانه : ومن كان يحمى .
(٢) فى ديوانه : رده .
(٣) فى ا ، د : قال أبو عمر .
(٤) ورد البيتان فى الكامل ١/١٨٦ ، أمالى القالى ١/٩٥ ، حماسة أبى تمام ١/٣٩١ ، الحيوان ٣/١٢٨ ، والعقد الفريد ٣/٢٩٨ . ورواية الحماسة والأمالى للبيت الأول : نبئت أن النار بعدك أوقدت ، وفى الكامل والعقد : ذهب الخيار . والرواية للبيت الثانى فى الكامل والعقد : وتقاولوا بدل تنازعوا ، و . . . لو كنت حاضر أمرهم . وفى الحماسة والأمالى تـكلموا بدل تنازعوا . و ... لو كنت شاهدهم بها . واتفقت رواية الحيوان مع الأصـل .
(٥) البيت فى معجم الشعراء ٣٢١ ، العقد الفريد ٥/٢١٥ ، الحيوان ١/٣٢٢ ، التمثيل والمحاضرة ٦٢ ؛ ويروى : ذنباً بدل جرماً .

وأرثِي له من وَقفةٍ عند بابه كَمَرْثِيَتِي للطِّرْفِ وَالعلجَ راكبُه(١)

وقال جرير :

إنّ الكريمةَ ينصرُ الكرمَ ابنُها وَابنُ اللئيمةِ لِلِّئامِ نَصُورُ(٢)

(٣) وقال آخر:

إن مَنْ عضّت الكلاب عَصاهُ ثم أثرَى فمُعْجِزٌ أن يَجُودَا (٣)

وقال منصور الفقيه :

قُلْ للكرامِ اعْرِفُوا حقّ للئامِ لكمُ إنّ اللئامَ لهمْ عند الكرامِ يَدُ

لولا اللئامُ لما عُدُّوا الكِرَامَ وَلا بانُوا بفضلٍ إذا ما حُصِّل العدَدُ

لكنهم جنحُوا للنَّقْصِ فانتقَصُوا وَزادَ غيرهُمُ فضلاً بما اعْتَقَدُوا

جادُوا فَسَادُوا وَضَنَّ الآخرُون فما يَغْدُو عَلَى وَالدٍ من لُؤْمِهِ وَلدُ

قد ساء ظنّي بما قد كنتُ أَحْمَدُه لمّا رأيتُ جميعَ الناسِ قد فَسَدُوا

تدارَسُوا البخلَ حتَّى دَقّ مذهَبُهُمْ فيه وَدَانوا بإخْلافِ الذى وَعَدُوا

فاستَثْقَلُوا كلَّ مَنْ أصغَى لبُخْلِهِمُ واستَجْهَلُوا كلَّ من وَاسى بما يَجِدُ

---

(١) البيتان فى عيون الأخبار ١/٨٩ ، البيان ٣/ ١٨٥ وفيه : على حاجة بدل طمع . والطرف : الجواد الكريم .

(٢) ديوان جرير ٣٠١ ، وفى ا : ابن الكريمة .

(٣) ساقط من ا .

فصارَ للبخلِ حَقُّ الجـودِ بينهمُ　　وَأَلْزَمُوا الجـودَ عارَ البخل لا رَشَدُوا

وقال آخر :

فإن سمعت بِهُـلْكٍ للبخيلِ فقُـلْ　　بُعْدًا وَسُحْقًا له من هالكٍ مُودِى[(١)]

قال محمود الوراق :

إذا أعطاكَ قتّر[(٢)] حين يُعطى　　وإن لم يُعْطِ قال أَبَى القضاءُ
يُبخّـل ربَّه سَفَهًا وظُلما　　ويعذِرُ نفسه فيما يشاء
تَنَقَّـلَ عن فعالِ الخيرِ جَهْلا　　مخافَةَ أن يضرَّ به العنـاء

وقال الحسنُ بن هانىء[(٣)] :

رأيتُ الفضلَ متـكئًا　　يُناغِي الخبزَ والسَّمَكا[(٤)]
فقطَّبَ حين أَبْصَرَنى　　ونـكّسَ رأسَهُ وَبـكى[(٥)]

---

(١) البيت فى الحيوان ٣/٥٠ من غير نسبة .
(٢) الأبيات فى محاضرات الأدباء ١/٢٩٠ ، وفيها : قصر بدل قتر .
(٣) وردت الأبيات فى ديوانه ١٨٦ ، وكذلك وردت فى ديوان أبى العتاهية ١٨١ ، والصحيح الأشهر أنها لأبى نواس .
(٤) فى ديوان أبى العتاهية : يناغى البحر .
(٥) رواية البيت فى ديوان أبى نواس :

فأسبل دمعه لما　　رآنى قادما وبكى

وفى ديوان أبى العتاهية :

فأرسـل عينه لما　　رآنى مقبلا وبكى

فلما أنْ حلفتُ لهُ بأنّى صائمٌ ضَحِكا

ولمنصور الفقيه أيضاً :

أتيتُ عَمْرًا سَحَرًا فقال : إنِّى صاَئِمُ
فقلت : إنى قاعِدٌ فقال : إنى قائِمُ
فقلت : آتيكَ غداً فقال : صَوْمِي دائمُ

قال جَحْظة[١] :

دخلتُ على باخلٍ بالطعام فماتَ من الْخَوْفِ لَمّا دخلتُ
فقلتُ له : لا يَرُعْك الدُّخولُ فما جئتُ بيتَكَ حتى أكلتُ

وقال أبو نواس :

أبو نُوحٍ دخلتُ عليه يوما[٢] فغدّانى برائحــــة الطعام
فكان كمن سَقى الظمآنَ آلاً وكنت كمن تغدّى فى المنام[٣]

وقال منصور الفقيه :

إن لم يُصِبْكَ من الكر يم الحرُّ وابلُه فطلُّهْ

(١) جحظة هو أحمد بن جعفر بن موسى بن يحيى بن خالد البرمكى ، من بقايا البرامكة ، كان فى عينيه نتوء فلقبه ابن المعتز بجحظة ، وكان جحظة مليح الشعر ، حاضر النادرة ، عارفا بالموسيقى ، توفى سنة ٣٢٤ هـ ، انظر معجم الأدباء ١/٣٨٣ ، تاريخ بغداد ٤/٦٥(الأعلام ١/١٠٣) .

(٢) فى ا : نزلت وسقطت منها كلمة يوما .

(٣) لم أعثر على البيتين فى الديوان ، وهما في عيون الأخبار ٣/٢٦٤ ؛ ووردا فى العقد الفريد ٦/١٨٧ من غير نسبة .

إن الكريم له على معروفه ... نفسٌ تدلّله
يُبْدِى مكارمه كما ... يُبْدِى فِرِنْدَ السّيف صَقْلُه

قال آخر :

وإن جُمِعَ الآفاتُ فالبُخل شَرُّها ... وشرٌّ من البُخلِ المواعيدُ وَالمَطْلُ[1]

وقال منصور الفقيه :

إذا كان فى بخله مُحْكَمًا ... وَحلّ من المجد أَعْلَى الدَّرجْ
وَجاءك يخطبُ زنجيّةً ... مُشَوَّهَةَ الخلْقِ فيها هَوَجْ
فلا تحفلنَّ به خاطبًا ... وَلا تفرَحَنَّ وَلا تَبْتَهِجْ
وإن كان سَمْحًا جميلَ الْفَعَالِ ... كَرِيمًا جَوَادًا فإنَّ الحَرَجْ
وإن القطيعةَ فى صَرْفِهِ ... وَلوجاء يخطبُ إِحدى الْمُهَجْ
بغيرِ صَدَاقٍ لإِعْسَارِه ... وَما عُسْرُ منتَظرٍ للفَرَجْ

قال حمّاد عَجْرَد ، وتروى للعَتّابى[2] :

إن الكريمَ لَيُخفى عنك عُسْرَتَهُ ... حتى تراه غنيًّا وهو مَجْهُودُ[3]

---

(١) البيت فى العقد ٢/٢٥٣

(٢) نسبت الأبيات لحماد فى عيون الأخبار ٣/١٧٨ ، العقد الفريد ١/٢٧٤ ، ٦/١٩٤ ، ونسبت للعتابى فى أمالى القالى ٢/١٣٥ ، وتعقبه البكرى فى التنبيه ١٠٧ فذكر أن الأبيات لبشار وليست للعتابى ، وقد وردت الأبيات فى ديوان بشار ٢/٢٣٦ كما وردت فى ترجمة بشار فى الأغانى ١/٣٠٢ .

(٣) رواية العقد فى الجزء الأول لهذا البيت موافقة لما هنا ، وفى الجزء السادس أورده بهذه الرواية :

إن الكريم ترى فى الناس عفته ... حتى يقال غنى وهو مجهود

وللبخيـــل على أمواله عِلَلٌ زُرْق العُيون عليها أوجهٌ سُود
إذا تكرهتَ أن تعطى القليل(١) ولم تَقْدِرْ عَلَى سَعَةٍ لم يظهر الجودُ
أَوْرِقْ بخيرٍ تُرَجَّى للنوالِ فما تُرْجَى الثمارُ إذا لم يُورِق العودُ
بُثَّ النوالَ وَلاَ تَمنَعْك قلتُه فكلُّ ما سدَّ فقرًا فهو محمودُ

وقال منصور الفقيه :

ما بالبخيل انتفاعٌ والكلب ينفع أَهْلَهْ
فنزِّه الكلب عن أن ترى أخا الكلب مثلَهْ

أخبرنا عبدالوارث ، قال : حدثنا قاسم ، قال : حدثنا أبو عيسى ، قال : أنشدنى ابن المعلم لعلى بن الجهم :

وإذا الكريمُ أتيتَه بخديعةٍ ألفيتَه فيما تَرُومُ يُسَارِعُ
ليس الكريمُ كما ظننتَ بجاهلٍ إن الكريمَ لفضلِه يتخادَعُ(٢)

قال آخر :

لا تطلبن إلى لئيم حاجـةً واقعُدْ فإنَّكَ قائمًا كالقاعدِ

---

(١) فى الأمالى : إذا تكرمت عن بذل .

(٢) ديوانه ١٣٢ .

يا خادعَ البُخَلاءِ عن أموالهم هَيْهَاتَ تضربُ فى حـديدٍ باردِ[١]

قال آخر :

طعامُهُ النَّجْمُ لمن رَامَهُ وخبزُهُ أبعدُ مِن أَمْسِهِ
كأنَّه فى جوفِ مِرْآتِهِ يُرَى ولا يُطْمَعُ فى لَمْسِهِ

قال آخر :

إن كنت تَطْمعُ فى كلامِهْ فارْفَعْ عينَك عن طَعامِهْ
سيَّـانَ كَسْرُ رَغيفِهِ أَو كَسْرُ عظمٍ من عِظَامِهْ[٢]

وقال دِعْبل بن على الْخزاعى :

لَئِنْ كُنْتَ لا تُولى يَدًا دون إِمْرَةٍ فلستَ بمولٍ نائلاً آخِرَ الدَّهْرِ
وأىُّ جوادٍ لم يَجُـدْ فى ملمةٍ وأى بخيل لم يُنِلْ ساعَةَ الْوَفْرِ[٣]

وقال منصور الفقيه :

راجى البخيلِ وضيعٌ كما البخيـلُ وَضيعُ

(١) البيتان فى عيون الأخبار ٣/١٣٥ .

(٢) ورد البيتان بنفس الرواية فى العقد الفريد ٦/١٩١ ، محاضرات الأدباء ١/٣١٦ ، ووردا على خلاف هذا الترتيب فى عيون الأخبار ٢/٣٧ ، وفيها : لاتكسرن رغيفه إن كنت الخ . وقد نسب البيتان فى المحاضرات لليزيدى النحوى وكذلك فى وفيات الأعيان ٥/٢٣٥ .

(٣) ديوانه ٧٤ .

وما يقول سِوَى ذَا   فى ذَيْنِ إلاّ رَقِيعَ

للعَرْزَمِى ويروى لأبى الأسود الدؤلى :

وإذا طلبتَ إلى كريمٍ حاجةً   فلقاؤه يكفيك والتسليمُ
وإذا طلبت إلى لئيم حاجة   فألحّ فى رفقٍ وأنت مديمُ(١)

وقال آخر :

إذا سُسْتَ قوماً فاجعل الوُدَّ بينهم   وَ بينَكَ تأمنْ كلّ ما تَتَخَوّفُ
فإن خفت من أهواء قومٍ تَشَتُّتًا   فالبالجود فاجمع بينهم يتألَّفُوا
فإنْ كشفتْ عنكَ الملماتُ عَوْرَةً   كفاك غِطاَء الجودِ ما يتكشفُ(٢)

قال ابن شهاب : الكريم لاتبخّلُه التجارب . ويروى عنه أنه قال : إن الكريم لا تحكِمُه التجارب .

وسئل الحسنُ بن على رضى الله عنهما عن البخل ، فقال : هو أنْ يرى الرجل ما ينفقه تلفاً ، وما أمسكه شرفا .

قال طاووس : البخلُ أن يبخلَ الإنسان بما فى يديه ، والشّح أن يشح بِماَ(٣)

---

(١) سبق البيتان فى ص ٣٢٢ .
(٢) الأبيات فى أمالى القالى ١/٢٣٩ ، منسوبة إلى أعرابى قالها للنعمان بمناسبة توليته الملك .
(٣) ـ : على ما فى .

فى أيدى الناس ، ويحب أن يكونَ له مافى أيديهم بالحلّ والحرام ولا يقنع

وقال أبو العتاهية(١) :

وإن امرءًا لم يربح الناسُ نفعَهُ ... وَلم يأمنوا منه الأذى للئيمُ
وإن امرءًا لم يجعل البِرَّ كنزَهُ ... وإن كانت الدنيا له لَعَدِيمُ

(١) ديوانه ٢٤٢ .

باب المروءة والفتوة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « حَسَبُ المؤمن دِينه ، وكَرَمُه تقْوَاه ، وَمُرُوءَتُه عَقْلُه » . ويروى نحو هذا من كلام عمر أيضاً .

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلّم ، أنه قال لرجل من ثقيف : « ما المروءة قال : الصلاح فى الدين ، وإصلاح المعيشة ، وَسخاء النفس ، وَصلة الرحم . فقال عليه السلام : « هكذا هى عندنا [1] فى حكمة آل داود » [1] .

تَذَاكَرُوا المروءةَ عند رسول الله صلى الله عليه وَسلّم ، فأكثروا فيها ، فقال : « أَمَّا مروءَتنَا فأن نعفوَ عمن ظَلَمنا ، ونُعطِيَ من حَرَمنا ، ونصل من قَطَعنا » .

قال منصور الفقيه :

أَعْلَنَ وَهبٌ كرمَهْ ... فى وَصْلِهِ من صَرَمَهْ

وَعفْوِهِ عَنْ كلّ مَنْ ... أَسْخَطَهُ أَو ظَلَمَهْ

وبِرِّهِ بنفسه ... وماله من حرمه[2]

فما يراهُ مُعظمٌ ... لِلْحَقّ إلاّ أعظمه

---

(١) ساقط من ح .

(٢) ا : حرمه .

أُبْقَى عليه الله — مَا أبقاه فينا — نِعَمَهْ
وزاد فيها عِنْدَهُ وَحَاطَهُ وَسَلَّمَهْ

(١ من حديث عطاء عن ابن عباس ، قال : رُفع إلى عمر بن الخطاب رجل فى جُرْم ، فأراد أن يعاقبه ، فأُخْبِر أن له مروءة ، فقال : استوهبوه من صاحبه ١) .

سئل عبد الله بن عمر، عن المروءة والكرم والنجدة . فقال : أما المروءة : فحفظ الرجل نفسه ، وإحرازه دينه ، وحسن قيامه بصنعته(٢) ، وحسن المنازعة ، وإفشاء السلام . وأما الكرم : فالتبرع بالمعروف ، والإعطاء قبل السؤال ، والإطعام فى المَحْل . وأما النجدة : فالذب عن الجار ، والصبر فى المواطن ، والإقدام على الكريهة .

[وفى رواية أخرى ، أن معاوية قال فى مجلسه يوماً لمن حضره : من يخبرنى عن المروءة والجود والنجدة ؟ فقال عبد الله بن هاشم بن عتبة(٣) ، وكان بعد عفوه عنه يحضر مجالسه : قال : يا أمير المؤمنين ! أما المروءة فالصلاح فى الدين ، والإصلاح

---

(١) ساقط من ا .

(٢) ا : وضيعته .

(٣) الصحيح أنه هاشم بن عتبة بن أبى وقاص أبى المرقال ، وليس عبد الله بن هاشم بن عتبة كما صحح ذلك ابن حجر فى الإصابة ، وهاشم هو ابن أخى سعد بن أبى وقاص ، أسلم يوم الفتح وشهد مع عمه حرب الفرس بالقادسية وله بها آثار مذكورة ، ثم كان على الرجالة فى صفين مع على ، والصحيح أنه قتل بها سنة ٣٧ ولم يجالس معاوية ، انظر الإصابة الترجمة ٨٩١٣ ، وقعة صفين ١٢٥ ، الأعلام ٩/٤٩ .

في المال ، والمحاماة عن الجار . وأما النجدة فالجرأة على الإقدام ، والصبر عند ازورار الأقدام][١] .

قال طلحة بن عبيد الله[٢] : جلوس الرجل ببابه من المروءة ، وليس من المروءة[١] حمل الكيس في الكم .

سئل الأحنف عن المروءة ، فقال : التفقُّه في الدِّين ، وبرُّ الوالدين ، والصبرُ على النوائب .

ويروى عن الأحنف أيضاً أنه قال : لا مروءةَ لكذوب ، ولا أخَ لملول ، ولا سُؤدَدَ لسيّء الخُلُق .

سئل ابن شهاب الزّهري عن المروءة ، فقال : اجتناب الرِّيَب ، وإصلاح المال ، والقيام بحوائج الأهل .

سئل إياس بن معاوية عن المروءة ، فقال : أما حيث تُعرف فالتقوى ، وأما حيث لا تعرف فاللِّباس .

وقال الزهري أيضاً : الفصَاحة من المروءة .

قال إبراهيم النخعي : ليس من المروءة كثرةُ الالتفات في الطريق .

---

(١) ساقط من ا .

(٢) طلحة بن عبيد الله بن عثمان التيمي القرشي ، أحد العشرة المبشرين بالجنة ، وأحد الستة أصحاب الشورى ، وكان يقال له طلحة الجود ، قتل يوم الجمل وهو بجانب عائشة سنة ٣٦ هـ ، ودفن بالبصرة ، انظر المراجع الكثيرة عنه في هامش الأعلام ٣/٣٣١ ، ٣٣٢ .

قال غيره : من كمالِ المروءةِ أن تصونَ عِرْضك ، وتكرم إخوانك ، وتقيل في منزلك .

قال منصور الفقيه :

من فَارَقَ الصَّبْرَ وَالْمُرُو ءَةَ أمْكن من نفسِه عَدُوَّهْ

قال ربيعة بن عبد الرحمن : للسفر مروءة ، وللحضر مروءة . فالمروءة فى السفر : بذل الزاد ، وَقلة الخلاف على الأصحاب ، وَكثرة المزاح فى غير مساخط الله . وَالمروءة فى الحضر : إدمان الاختلاف إلى المساجد ، وَتلاوة القرآن ، وَكثرة الإخوان فى الله عز وَجلّ .

وَفى روَاية أخرى عن ربيعة أنه قال : المروءة ست خصال : ثلاث فى الحضر ، وَثلاث فى السفر ، فأما التى فى السفر : فبذل الزاد ، وحسن الخلق ، وَمداعبة الرفيق . وَأما التى فى الحضر ، فتلاوة القرآن ، ولزوم المساجد ، وعفاف الفرج .

قيل لبعض الحكماء : متى يجب لذى المُرُوءة إخفاء نفسه وإظهارها ؟ قال : على قَدْرِ ما يرى من نَفاق المروءة وكَسَادِها .

كان يقال : صُن عقلك بالحلم ، ومروءتك بالعفاف ، ونجدَتك بترك الحياء ، وجَهْدَك بالإجمال فى الطلب .

أخبرنا عيسى بن سَعيد ، حدثنا مِقْسَم ، حدثنا أبو بكر محمد بن حمدَان ،

حدثنا أبو محمد أحمد بن مُحَمَّدُ بن عبد الله بن العبّاس بن عثمان بن شافع بن السّائب ، عن عبد يزيد بن هشام بن عبد[١] المطلب بن عبد مناف ، قال : حدثنى عمى عن إبراهيم بن محمّد بن العباس ، قال : سمعتُ سفيانَ بن عيينة ، وقد سُئِل عن المروءة ماهى ؟ فقال : الإنصافُ من نفسك ، والتفضلُ على غيرك ، ألم تسمعْ قول الله تعالى : ﴿إنَّ اللهَ يأمُرُ بالعَدْلِ والإحْسانِ﴾[٢] لا تتمُّ المروءة إلاّ بهما ، العدلُ هو الإنصاف، والإحسان التفضل .

[٣] روى عن الفُضَيل بن عياض رحمه الله ، أنه سئل عن الرجل الكامل التام المروءة فقال : الكامل من برّ والديه ، ووصل رحمه ، وأكرم إخوانه ، وحسّن خلقه ، وأحرز دينه ، وأصلح ماله ، وأنفق من فضله ، وحسن لسانه ، ولزم بيته .

قال الشاعر :

وإذا الفتى جَمعَ المروءةَ والتُّقى ... وَحَوَى مع الأدبِ الحياء فقد كَمُلْ[٣]

قال رجل من بنى قُرَيْع :

إذا المرءُ أعيَتْهُ المروءةُ ناشئًا ... فمطلبُها كَهْلاً عليه شَديدُ[٤]

قال جعفر بن محمد : لا دِينَ لمن لا مروءة له .

---

(١) ساقطة من ا .

(٢) سورة النحل ، الآية ٩٠ .

(٣) ساقط من ج .

(٤) البيت فى البيان ١/٢٧٠ ، العقد الفريد ٢/٤٣٥ .

قال أحمد بن المدّل : زعموا أن الأحنف بن قَبْس لم يُسْمع له شعرٌ غيرَ هذين البيتين ، وهما :

فلَوْ مُدَّ سَرْوِى[1] بمالٍ كثير لجُدْتُ وَكُنْتُ له باذِلاَ
فإنّ المــــروءَةَ لا تُسْتَطاعُ إذا لم يكن مالُهَا فاضِلاَ[2]

وَقال آخر :

رُزِقْتُ لُبًا ولم أُرْزقْ مُروءَتَهُ وما المروءةُ إلاّ كثرةُ المالِ
إذا أردتُ مُسَاماَة تقعَّدُنى عما يُنَوِّهُ باسمى رقةُ الحالِ[3]

[4] وقال منصور الفقيه :

كلُّ من فارق المروءة عاشا ونمـــا وفرُه وَزاد رياشاَ
وأخو الفضل والمروءة والدِّيـ نِ مُقِلٌّ أمورُه تتلاشى[4]

وَقال سفيان الثورى : من لم يَتَفَـتَّى لم يُحْسن يَتَقرَّا[5] .

ذكرت الفتوة عند سفيان رحمـــه الله ، فقال : ليست بالفسق ولا الفجُور ،

---

(١) السرو : المروءة والشرف .

(٢) البيتان فى البيان ١/١٨٤ ، وانظر الثانى فى التمثيل والمحاضرة ٤٢٢ .

(٣) البيتان فى عيون الأخبار ٣/٢٣٩ ، البيان ٣/١٨٣ وفيه تقاعدنى بدل تقعدني .

(٤) ساقط من حـ .

(٥) تفتى : فعل ما يفعله الفتيان من اللهو ، وتقرا : تنسك وتورع .

ولكنَّ الفتوة كما قال جعفرُ بن محمد : طعامٌ موضوع ، وحجابٌ مرفوع ، ونائل مبذول ، وبشر مقبول ، وعفاف معروف ، وأذى[١] مكفوف .

قال محمد بن داود : من كان ظريفاً فليكن عفيفا ، وأنشد لابن هَرْمَة[٢] :

ولربَّ ليلةِ لذةٍ قد نلتُها   وحرامُها بحلالِها مدْفوعُ

وقال صريعُ الغَوانِي[٣] :

وما ذَمّيَ الأيامَ أن لستُ حامِدًا   لعهدِ ليالِيّ التي سَلَفَتْ قبْلُ
ألا رب يومٍ صادقِ العَيْشِ نلتُهُ   بها ونداماىَ العفافةُ والبذلُ

وقال منصور الفقيه :

فَضْلُ التّقَى أفضلُ من   فَضْلِ اللّسانِ وَالْحَسَبْ
إذا هما لم يُجمعا   إلى العفاف والأَدَبْ

---

(١) فى ا : وإناه .

(٢) هو إبراهيم بن على بن سلمة بن عامر بن هرمة الكنانى القرشى ؛ شاعر غزل من سكان المدينة ، من مخضرمى الدولتين الأموية والعباسية ، رحل إلى دمشق ومدح الوليد بن يزيد فأجازه ، ثم وفد على المنصور من بعد فلقى منه جفاء فانقطع إلى الطالبيين ، وهو آخر الشعراء الذين يحتج بشعرهم ، توفى سنة ١٧٦ هـ . انظر تاريخ بغداد ٦/١٢٧ .

(٣) ساقطة من حـ وفى ا زاد الناسخ بعد كلمة صريع : « الدلاء » ، على أساس أن البيتان لصريع الدلاء (محمد بن عبد الواحد القصار) ، والواقع أن هذا خطأ ، فالبيت لصريع الغوانى مسلم بن الوليد ، وهو فى ديوانه ١٩١ .

وقال آخر :

وليس فَتَى الفِتيان من رَاح واغْتَدى　　لشُرْب صَبُوحٍ أو لشُرْبِ غَبُوقِ[١]
ولكنْ فتى الفتيان من راح واغتدى　　لضَرٍّ عَدُوٍّ أو لنفعِ صديقِ[٢]

وقال جحظة :

ألا يأهْلَ بغدادٍ جميعاً　　عصيتم فى المروءة من بَرَاكُمْ
تذمُّون الزمانَ بغيرِ جرمٍ　　وما بزمانكم عيبٌ سِوَاكُمْ

(١) الصبوح : ما يشرب من الخمر بالغداة فما دون القائلة ، والغبوق التي تشرب بالعشي .
(٢) البيتان فى عيون الأخبار ٣/١٧٨ ، العقد الفريد ٣/١٧ .

بابُ امتحانِ أخلاقِ الرِّجال

قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « الأرواح أجنادٌ مُجَنَّدة ، فما تعارف منها ائتلف : وما تناكرَ منها اختَلف » .

أخذه بعضُ الشعراء فقال :

إن القلوبَ لأجنادٌ مجنّدةٌ   لله في الأرض بالأهواء تعترفُ
فما تَعَارَفَ منها فهو مؤتلفٌ   وما تناكرَ منها فهو مُختَلِفُ(١)

قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم : « النـاس كإبل مائة لا تـكاد تجد فيها راحـلة » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الأمير إذا تجسس على الناس أفسدهم » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وَجدت الناس اخبُرْ تَقْلُهْ » . وَقد روى هذا مَرْفوعًا عن أَبى الدرداء .

وفى خبر آخر : « إن الناسَ سواسيةٌ كأسنان المُشْط » .

---

(١) البيتان فى العقد الفريد ٢/٣٢٩ ، وقد ورد البيت الأول هناك :

إن النفوس لأجنـاد مجندة   بالإذن من ربنا تجرى وتختلف

كان يقال : لا يزال الناس بخير ماتباينوا ، فإذا تساوَوْا هلكوا .

قال الشاعر :

سَوَاءٌ كأسنان الحمارِ فلا تَرَى ... لذى شيبةٍ منهم على ناشىءٍ فَضْلاَ[١]

قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : الناسُ بأزمانهم أشبه منهم بآبائهم .

قال على بن أبى طالب رضى الله عنه : خالطِ المؤمِنَ بقلبك ، وخالط الفاجر بُخلقك .

كان يقال : يُمتحن الرجلُ فى ثلاثة أشياء : عند هواه إذا هَوِىَ ، وَعند غضبه إذا غضب ، وَعند طمعه إذا طمع .

قال أبو عَمْرو بن العَلاَء : إذا أردتَ أن تعرف مالك عند صديقك فاعرف ما كان لصديقه قبلك عنده .

قال سفيان الثورى : إذا أردتَ أن تعرف مالك عند صديقك فأغضبه ، فإن أنصفك فى غضبه وإلا فاجتنبه .

قال الفضلُ بنُ عباس بن عُتْبة بن أبى لَهَب[٢] :

إذا أردتَ ودادَ امرىءٍ ... فَسَلْ كيف كان لإخْوَانِهِ

---

(١) البيت لكثير عزة ديوانه ١٦٩/١ ، وقد ورد فى الحيوان ١٠٧/٦ والرواية فيه سواس بدل سواء .

(٢) من فصحاء بنى هاشم ، كان شديد السمرة وعرف لذلك بالأخضر وباللهبى نسبة إلى أبى لهب ، فى شعره رقة ، مات فى خلافة الوليد بن عبد الملك نحو سنة ٩٥ هـ المؤتلف والمختلف ٣٥ (الأعلام ٣٥٦/٥) .

فإمّا رضيتَ فأحببتَهُ وإما ترغَّبتَ عن شأنهِ

قال الأحنف بن قيس : ما كشفتُ أحدًا قط إلاّ وجدته دون ما كنت أظن

قال تأبّط شرًّا :

لتقرعِنّ عليّ السِّنّ من ندمٍ إذا تذكرتِ يومًا بعضَ أخلاَقى(١)

وقال آخر :

إنَّ المودةَ بالتجاربْ قَضَّتْ من النّاسِ المآرِبْ
لم تَتْرُكْ لِي صَاحِبًا أصبُو إليه ولا أُعاتِبْ
متفردًا بتَوَحُّدِي دونَ الأباعِدِ والأقاربْ
ارغبْ إلى اللهِ الذى يُعطِي الجزيلَ من المواهبْ
باللهِ تَتّسِعُ الفجا جُ إذا تضايقت المذاهبْ

كان سفيان الثّورى يتمثل بهذه الأبيات :

ابْلُ الرجالَ إذا أردت إخاءهُمْ وتوسَّمَنَّ أمورَهم وتفقَّدِ
وإذا ظفرتَ بذى الأمانةِ والتّقى فبهِ اليَدَيْنِ قريرَ عينٍ فاشْدُدِ
ودعِ التذلّلَ والتخشّعَ تبتَغِي قربَ الّذى إنْ تدنُ منه يبعدِ(٢)

---

(١) البيت فى الشعر والشعراء ١٧٦ ، والحيوان ١/٦٣ ، التمثيل والمحاضرة ٥٩ .

(٢) نسبت الأبيات لعبد الله بن معاوية الجعفرى فى حماسة البحترى ٧٨ ، ونسبت فى أمالى القالى للمقنع الكندى ، والرواية فى حماسة البحترى : أخا العفافة والنهي بدل ذى الأمانة والتقي ، وفى الأمالي : توسمن فعلهم بدل أمورهم ، وذى اللبابة بدل الأمانة .

وقال آخر :

أَهْلَكَنِي بِزِيَادِ ثِقَتِي ... وَظُنُونٌ بِزِيَادٍ حَسَنَهْ
ليس يَسْتَوْجِبُ شكرا رجلٌ ... نلتُ خيرًا منه من قبلِ سَنَهْ(١)

وقال يزيدُ بن محمد المهلبيّ :

ومن ذا الذى تُرْضَى سجاياه كلُّها ... كفى المرء نُبْلاً أن تُعَدَّ معايِبُهْ(٢)

وقال آخر :

إنَّ الرجالَ إذا اختبرتَ طباعَهُمْ ... ألفيتَهُمْ شَتّى على الأَخْبارِ
لا تعجلَنَّ إلى شريعةِ مَوْرِدٍ ... حتى تبيَّنَ صَفْحَةَ الإصْدَارِ(٣)

وقال آخر :

اترك مكاشفةَ الصديق إذا ... غطّى على هَفَوَاته سِتْرُ
وتجافَ عنه بلا مُصَارَمَةٍ ... فلنعمَ صائنُ عِرضِكَ الصَّبْرُ

وقال آخر :

لا تحمدنّ امرءًا حتى تجربَهُ ... ولا تذمنه من غيرِ تجْرِيبِ(٤)

---

(١) البيتان فى عيون الأخبار ٣/١٦٥ ، محاضرات الأدباء ١/٢٧٠ .
(٢) البيت فى محاضرات الأدباء ١/١٤٥ .
(٣) البيتان فى عيون الأخبار ٣/١٧٠ وفيها خطة بدل صفحة .
(٤) نسب هذا البيت فى حماسة البحترى ٣٦٩ لأبى الأسود الدؤلى ، ونسب في المؤتلف ١٩٢ للنابغة الذبياني .

وقال محمود الوراق :

لا يغلبنَّكَ غالبُ الحِرْصِ ... واعلمْ بأنَّ النَّاسَ فى نَقْصِ
والبس أخاك على تَصَنُّعِهِ ... فلرُبَّ مُفْتَضِحٍ على النَّصِّ
ما كدتُ أفحص عن أخى ثقة ... إلا ذممتُ عواقب الفَحْصِ(١)

وقال آخر :

إذا أنكرتَ أخلاقَ الصّديق ... فلستَ من التَّحَيُّزِ فى مَضِيقِ
طريقاً كنتَ تسلكهُ سليماً ... فأَسْبَعَ فاجتنبْهُ إلى طريقِ

وقال آخر :

لا تحمدنّ امرءًا حتى تجربَهُ ... فرُبَّما لم يوافق خُبْرُه خَبَرَهْ

وقال آخر :

إذا أنت لم تَسْتَقْبِل الأمرَ لم تجِدْ ... لكفِّك فى إدْبَارِهِ مُتَعَلَّقا
إذا أنت لم تترك أخاك وَزَلَّةً ... إذا زلَّها أوشكتُما أن تفرَّقا

قال آخر :

قد كنتُ أحمدُ أمرى فيك مُبْتَدئًا ... فقد ذممتُ الذى أحمدْت فى صَدرى

---

(١) هذا البيت ساقط من ا . وانظر الأبيات فى نهاية الأرب ٣/٨٥ ، أمالي القالى ٢/١٣٨ ، والثالث فى لتمثيل والمحاضرة ٨٥.

فاذهبْ فأنتَ امرُؤٌ لا شكَّ أوّلُهُ ... حُـلوٌ وآخره مُرٌّ على الخَبَرِ

قال مُعاذُ بن جَبَل : إذا أحببتَ أخًا فى الله ، فلا تُمارِه ولاتشاره[1] ولاتسلْ عنه أحدًا ، فلربما أخبرك بما ليس فيه ، فحالَ بينك وبينَه .

قال الشاعر :

أردتُ لكيما لا تَرَى لِيَ زَلَّةً ... ومن ذا الذى يُعْطَى الكَمالَ فَيَكْمُلُ[2]

أجمعوا على القول بأن الله تعالى تفرّد بالكمال ، ولم يبرىء أحداً من النقصان .

قال أبو بكر بن دُرَيْد :

إذا تصفحتَ أمورَ النّاسِ لم ... تلْفِ امْرَءًا حازَ الكمالَ فاكتفى[1]

من لك بالمهذب النّدْب الذى ... لا يَجِدُ العيبُ إليه مُخْتَطَا

كم من أخٍ مسخوطةٍ أخلاقُهُ ... أصفيتُهُ الوُدَّ لخلق مُرْتَضَى[3]

وقال النابغة الذبيانى :

ولست بمستبْقٍ أخًا لا تَلُمُّهُ ... على شعثٍ أىُّ الرجالِ المُهَذَّبِ[4]

---

(١) الكلمة ساقطة من حـ ، ومعنى لاتشاره لاتجادله ولا تعيبه .

(٢) البيت لثروان العكلى كما فى أمالى القالى ٢/٤٣ .

(٣) انظر الأبيات فى مقصورة ابن دريد ٥ .

(٤) البيت فى ديوانه ١٤ .

وقال ابن وكيع :

من لم يكن مُؤاخياً إلاّ الّذِى　　لاعيبَ فيهِ عاشَ فَرْداً فى الوَرَى

وقال آخر :

ما بالمنازلِ من ضِيقٍ ومن ضَجَرِ　　بل الطّبائعُ منها الضِيق والضّجَرُ

وقال آخر :

كل خليلٍ كنتُ خاَلَلْتُه　　لا ترك اللهُ له واضِحَــهْ[(١)]

كلُّهُمْ أروغُ من ثعلبٍ　　ما أشبهَ الليلةَ بالبارحــهْ[(٢)]

وقال آخر :

كل امرئ صائرٌ يوماً لشيمته　　وإن تخلّق أخلاقاً إلى حِينِ[(٣)]

وقال عباس بن الأحنف :

وما مرّ يومٌ أرتجى فيه راحةً　　فأخبُرَه إلاّ بكَيْتُ على أَمْسِ[(٤)]

---

(١) الواضحة : الأسنان التى تبدو عند الضحك .

(٢) البيتان لطرفة بن العبد ، ديوانه ٤٣ ، وفى الحيوان ٣/٣٠٥ وردت الرواية : وصاحب قد كنت صاحبته .

(٣) البيت لذى الإصبع العدوانى ، وقد ورد فى الكامل ١/١١ ، حماسة البحترى ٣٥٨ ، عيون الأخبار ٦/٢ ، والمؤتلف ١١٨ ، والرواية فيها كلها : راجع بدل صائر .

(٤) ديوانه ٧٥ ، وقد نسب البيت للأحنف بن قيس فى عيون الأخبار ٢/٤ .

وقال آخر :

عليك بالقصدِ فيما أنت فاعلُهُ ... إن التخلُّقَ يأبَى دُونه الخلُقُ
ولا يواتيك فيما نابَ من حَدَثٍ ... إلاّ أخُو ثقةٍ فانظرْ بمن تثقُ[١]

وقال زهير بن أبى سلمى :

ومهما تكن عندامرئٍ من خليقةٍ ... وإن خالَهَا تَخفى على الناس تُعْلَم [٢]

وقال نُصَيْب الأصغر ، مولى المهدى[٣] :

إن البقاعَ إذا استسرّ بها الندى ... أَنِسَ النباتُ بها وطابَ المَرْبَعُ
وإذا جَهِلتَ من امرىءٍ أخلاقَهُ ... وقديمَهُ فانظرْ إلى ما يَصْنَعُ[٤]

وقال محمود الوراق :

ذممْتُكَ أولا حتّى إذا ما ... بلوتُ سواكَ عادَ اللوْمَ حَمدًا
ولم أَحْمَدْكَ من خيرٍ ولكن ... رأيتُ سِواكَ شرًّا منك جدًّا

---

(١) نسب البيتان لسالم بن وابصة الأسدى فى الكامل ١/١١ ، البيان ١/٢٣٧ ، الحماسة لأبى تمام ١/٣٠١ ، الحيوان ٣/١٢٨ . ونسب الأول للعرجى فى العقد ٣/٣ ، وإلى ذى الإصبع العدوانى فى حماسة البحترى ٢٥٩ ، عيون الأخبار ٢/٦ ، وقد اختلفت رواية البيت الأول فى كل مرجع عنها فى الآخر حتى ليصعب إثباتها هنا ، وإن كانت كلها تؤدى المعنى المقصود .

(٢) شرح ديوان زهير ٢٦ .

(٣) نصيب الأصغر : مولى المهدى ، وشاعر مجيد من الموالى السود ، من بادية اليمامة ، عرض على المهدى قبل أن يلى الخلافة فاستنشده فأنشده من شعره فأعجب به فاشتراه ثم أعتقه ، له مدائح كثيرة فى المهدى والهادى وغيرهما ، توفى نحو سنة ١٧٥ هـ انظر : فوات الوفيات ٢/٣٠٧ (الأعلام ٨/٣٥٦) .

(٤) انظرهما فى وفيات الأعيان ٣/٢٠٣ ، ٤ وفيها : أعراقه بدل أخلاقه .

فعدتُ إليك محتملا خليلا لأنى لم أجدْ من ذاك بُدًّا
كمجهودٍ تحامَى أكل مَيْتٍ فلما اضطُرّ عاد إليه شدّا[١]

وقال أيضاً :

لم أبكِ من خُبْثِ خلٍّ إلاّ بكيتُ عليهِ
ولم أمِلْ عن صديقٍ للزُّهْدِ فيما لَدَيْه
إلى سِواهُ فأَبْلُو إلاّ رجعتُ إليهِ
كلُّ امرِىءٍ مستبدٌّ بحفظِ ما فى يَدَيْهِ

ذكرا بن مِقسم ، حدثنا محمد بن يحيى النديم ، قال : حدثنا المبرد ، قال : كان بين عمارة بن حمزة وبين إسماعيل بن علىّ مودة ، ثم تنافرا . فكتب إليه عمارة :

سأتركُ ما بيني وبينك ساكناً فإن عدتَ عُدْنا والوصالُ سليمُ
ولو قد خبرتَ الناسَ حقّ اختبارهم رجعتَ إلى وصلى وأنت ذميمُ[٢]

أَخبرنا عبد الوارث ، قال : حدثنا قاسم بن أصبغ ، قال : أنشدنا عيسى الأعمى ، قال أنشدنا ابن المعلم لعلى بن الجهم :

الناسُ إخوانُك حتى إذا عَرَضْتَ للإخوانِ بالدِّرْهَمِ

---

(١) الأبيات فى محاضرات الأدباء ١/١٥٠ ، وفيها : مختملا ذليلا بدل محتملا خليلا ، وتعاطم تحامى .
(٢) انظرهما فى محاضرات الأدباء ٢/٥ .

سَاءَكَ ما سرَّكَ من خُلْقِهِم   وصرتَ وسطَ الحلقِ كالمَلْقَمِ[١]

وقال آخر :

عتبتُ على سَـلْمٍ فلمـا فقدتُهُ   وجرّبْتُ أقواماً بكيتُ على سَلْمِ[٢]

وقال آخر :

لم أَبْك من زمنٍ لم أَرضَ خَلّتَهُ   إلا بكيت عليـه حين ينصرمُ

وقال آخر :

متى تحسَبْ صديقَكَ لَمْ يَقِلُّوا   وإن تخْـــبُرْ يقلُّوا فى الحسابِ

وقال آخر :

ونعتبُ أحيانًا عليه ولو مَضَى   لـكنّا على الباقى من النّاسِ أَعْتَبَا[٣]

وقال آخر :

سبكناهُ ونحسَبُهُ لُجَيْنًـا   فأبْدَى الـكِيرُ عن خَبَثِ الْحَدِيدِ[٤]

---

(١) ديوانه ٢٠٦ .

(٢) ورد البيت منسوباً لنهار بن توسعة فى عيون الأخبار ٢/٤ ، وورد فى إعتاب الـكتاب ١٧١ من غير نسبة ، وفيه : عتبت على عمرو الخ . ونسب فى المستطرف ١/٢٣٣ لابن عرارة السعدى فى سلم بن زياد .

(٣) عيون الأخبار ٢/٤ .

(٤) عيون الأخبار ٢/٤ ، العقد الفريد ٣/٥٥ .

وقال آخر :

ومن يبتدعْ ما ليس من خِيمِ نَفْسِه ... يَدَعْهُ ويغلِبْه إلى النفس خِيمُهَا[١]

وقال أَبو دُؤَاد الإيادى :

إذا كنتَ مرتادَ الرجال لنفعِهِم ... فرِشْ والتمس نَفْعَ الَّذى بهمُ تَرْمِي

وقال محمود الوراق :

أَتمُّ الناس أعرَفُهُم بنقصِهْ ... وأقمعُهم لشهوته وَحِرْصِهْ

فدانِ على السّلامة من تُدانى ... ومن لم ترض صُحبته فأقصِهْ

وخلّ الفحصَ ما استغنيتَ عنه ... فكم من جالبٍ غيظا بفَحْصِهْ

ولا تستغلِ عافيةً بشيء ... ولا تسترخصَنَّ أذًى لرُخصِهْ

وقال آخر :

ارضَ من المرء فى مودّتِهِ ... بما يُؤَدِّى إليك ظَاهِرُهُ

من يكشف الناس لم يجد أَحدًا ... تصحُّ منهم له سَرَائِرُهُ[٢]

---

(١) نسب هذا البيت فى الكامل ١/١١ إلى أم الهيثم الكلابية ، وفيه : ومن يتخذ خيما سوى خيم نفسه ، ونسب إلى سليمان بن المهاجر فى حماسة البحترى ٧٢ وفيه : ومن يبتدع ما ليس فيه سجية ، ونسب إلى حاتم فى حماسة أبى تمام ٢/١١٢ ، كما نسب إلى كثير فى عيون الأخبار ٢/٥ ، وفيها : سوس نفسه بدلى خيم نفسه ، والسوس والخيم معناهما واحد وهو الطبيعة والأصل ، وانظره بالرواية التى هنا وبدون نسبة فى العقد الفريد ٣/٣ .

(٢) نسب البيتان لابن حازم فى العقد الفريد ٢/٣١٢ .

وقال آخر :

يكفيك من قومٍ شَوَاهِدُ أَمْرِهِمْ ... فخُذْ عفوَهُمْ قبل امْتِحَانِ السَّرائرِ

فإنَّ امتحانَ القومِ يُوحِشُ بَيْنهم ... ومالك إلا ما ترى فى الظواهرِ

وإنك إن كَشَّفْتَ لم ترَ طائلا ... وأبدى لك التكشيفُ خُبْثَ الضمائرِ

وقال آخر :

ولا خيرَ فى وُدٍّ إذا لم يكنْ له ... على طولِ مَرِّ الحادثاتِ بَقَاءُ (١)

وقال منصور الفقيه :

إذا جَمَعَ الفتى حسبا ودينًا ... فلا تَعْدِلْ به أبدًا قرينَا

ولا تسمَحْ بحظك منه بل كُنْ ... بحظك من مودّته ضنينا

وقال آخر :

لَعَمْرُكَ ما مال الفَتَى بذخيرةٍ ... ولكنّ إخوانَ الثّقاتِ الذّخائِرُ (٢)

وقال ابن الرومى :

إذا شئتَ تعرف أصلَ الفَتى ... أجِلْ لحظَ طَرْفِكَ فِى منظرهْ

فإن لم يَبنْ لك فانظرْ إلى ... أفاعيلِه فهى من جَوْهَرِهْ

---

(١) البيت فى البيان ٣/١٨٤ ، وفيه : ولا خير فى فضل .

(٢) عيون الأخبار ٣/١ ، وقال أنشده ابن الأعرابى ، وانظره فى العقد الفريد ٢/٣٠٤ ، وفيه : إخوان الصفاء بدل إخوان الثقات .

فإن غابَ عنكَ بهـذا وذَا … فلا تطلُبَنّ سـوى مَخْضَرِهْ

فإن المحاضرَ سرّ الرجال … بها يُعْرَف النَّذْلِ من خَيِّرِهْ

بلوتُ الرجالَ وأفعـالَهُمْ … فـكلٌّ يعـودُ إلى عُنْصُرِهْ(١)

وقال ربيعةُ الرَّقى :

إن اللئيمَ وإن خلتَهُ … كريمًا يذودك عن عُرْفِهِ

ويرجِـعُ محصولُ أخلاقِهِ … إلى أَصْلِهِ وإلى صِنْفِهِ(٢)

(١) الأبيات فى ديوانه ٧٢ ·

(٢) البيتان فىمعجم الأدباء ١٩٢/٥ .

باب التودُّد إلى النّـاس

قال رسولُ الله صل الله عليه وسلم : « مداراةُ الناسِ صَدَقة » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « أمرنى ربى بمـداراة الناس ونهانى عن ملاحاتهم »[1] .

روى عن النبي صلّى الله عليه وسلم أنه قال : « رأس العقل بعـد الإيمان بالله التودد إلى الناس » .

وقد روى فى خبرٍ مرفوع : « التودّدُ إلى الناس نصفُ العقْل ، وحُسن التّدبير نصفُ المعيشة ، وما عَالَ من اقتصد » .

قال عمرُ بن الخطاب رضى الله عنه : إنَّ مما يصفى لك وُدّ أخيك أن تبدأه بالسلام إذا لقيتَه ، وأن تَدْعُوَه بأحبّ الأسماء إليه ، وأن توسّع له فى المجلس .

قال بعضُ الحكماء : رأس المداراة تَرك المماراة[2] .

وفى الحديث المرفوع : « إذا أَحبّ اللهُ عبدًا أَحبَّه الناسُ » .

---

(١) الملاحاة : المشاتمة والسباب .

(٢) المماراة : الشك وسوء الظن . وفى ا : المودات بدل المداراة .

أخذه الشاعر فقال :

وإذا أَحبّ الله يوماً عبدَهُ ... أَلقى عليـه محبةً فى النـاسِ[(١)]

قال رسول الله صلى الله عليه وسـلم : « أَلا أنبئكم بشراركم » ؟ قالوا : بلى يا رسول الله . قال : « من لا يقيل عَثرة ولا يقبل معـذرة . ألا أنبئكم بشر من ذلكم[(٢)] » قالوا : بلى . قال : «من يبغض الناس ويبغضونه ».

روينا أن داود عليه السلام ، جلس كئيبًا خاليا ، فأوحى الله إليه : مالى أراك خاليا ؟ قال : هجرتُ الناس فيك . قال : أفلا أَدُلّك على شيء تبلغ به رضاى ؟ خالِق الناسَ بأخلاقهم ، واحتجز الإيمان فيما بينى وبينك .

كان يقال : من رضى من الناس بالمسامحة طال استمتاعه بهم .

قال أكثم بن صيفى : من تشدّد فرّق ،ومن تراخى تألف ، والسرورُ فى التغـافل .

قال علي رضى الله عنه : شرط الصحبة إقالة العَثرة ، ومسامحة العِشْرة ، والمواساةُ فى العُسْرة .

---

(١) فى ا : عبدا واصطفى بدل يوما عبده ، والبيت لابن عبد ربه صاحب العقد ، انظره فى العقـد الفريد ٣١٢/١ .

(٢) ا : ذلك .

قيل للعتّابى : إنك تلقى الناسَ كلَّهم بالبِشْر ! قال : دفعُ ضغينةٍ بأيسر مؤونة ، واكتساب[١] إخوان بأيسر مبذول .

قال محمود الوراق :

أخُو البِشر محمودٌ على كلّ حالةٍ ولن يعدم البغضاء من كانَ عابساً

ويُسْرع بخلُ المرء فى هَتْك عِرْضه ولم أرَ مثل الجود للعِرْض حارساً

قال أعرابىّ يمدح رجلا بساماً هو زياد الأعجم[٢] يمدح عبد الله بن عامر ابن كريز[٣].

أخٌ لك ما تراه الدّهرَ إلاّ عَلَى العِلاّتِ[٤] بسّامًا جوادًا

سألناه الجزيلَ فما تلَكّا[٥] وأعطى فوق مُنْيَتِنا وَزادًا

وأحسنَ ثم أحسنَ ثم عُدْنا فأحسَنَ ثم عـدتُ له فعادًا

---

(١) فى ا : ولإكرام .

(٢) هو زياد بن سليمان أو سليم الأعجم مولى عبد القيس ، من شعراء الدولة الأموية ، جزل الشعر ، فصيح الألفاظ ، كانت فى لسانه عجمة سمى بسببها الأعجم ، وأكثر شعره فى مدح أمراء عصره وذم بخلائهم (الأعلام وهامشه ٣/٩١) .

(٣) ابن ربيعة الأموى ، أمير فاتح ، فتح كثيراً من بلاد فارس وما وراء النهر ، وكان سخيا وصولا لقومه رحيما ، قال عنه الإمام على : ابن عامر سيد فتيان قريش . انظر الإصابة الترجمة ٦١٧٥ (الأعلام ٤/٢٢٨) .

(٤) على العلات : أى على كل حال .

(٥) فى حماسة أبى تمام ، والأغانى : تأبى .

مرارًا ما أعودُ إليــــه إلاّ ... تبسمَ ضاحكاً وَثَنَى الْوِسادَا[1]

وقال آخر :

ولى صاحبٌ كالموت يومُ فراقِهِ ... تَغَـــيَّرَ والأيامُ جَمٌّ عجيبُها

أُريدُ له هَجْرًا لبعض خلاله ... فَتَعْطِفُنى أخـرى له فأجيبها[2]

وقال آخر :

أخ لى كأيام الحيـــاة إخاؤه ... تَلوّنُ ألوانًا كثيرًا خطوبُها

إذا عِبْتُ منه خَـلّةً فهجرتُه ... دَعَتْنِى إليـه خَلَّةٌ لا أعيبُها[3]

[4] وقال ابن وكيع :

من لم يدار الناسَ عن علمٍ بهم ... انصرفُوا وَكلُّهُمُ له عِـدَا[4]

وقال كُثَيِّر[5] :

ومن لا يغمِّضْ عينَهُ عن صديقِهِ ... وعن بعضِ مافيه يَمُتْ وهوعاتِبُ

---

(١) وردت الأبيات فى عيون الأخبار ٣/٦، ٧ ، والبيتان الثالث والرابع فى ٣/١٥٢ ، ووردت فى الحماسة لأبى تمام ٢/٣٤٩ ، والأغانى ١٤/١٠٢ (بولاق) ، وورد بعضها فى المصون ٦٧ ، وفيات الأعيان ٥/٣٢٨ ، وقد نسبت فيها كلها لزياد ماعدا الوفيات فقد نسبت فيها للكميت ، وقال فى العيون إنها فى مدح عمر بن عبدالله ابن معمر .

(٢) محاضرات الأدباء ٢/٣٢ .

(٣) عيون الأخبار ٣/١٧ .

(٤) ساقط من ١ .

(٥) ديوانه ١/٢١٠ .

ومن يَتَبَّعْ جاهِـدًا كل عثرةٍ ... يَجِدْها ولايَسْلَمْ له الدَّهرَ صاحِبُ

وقال آخر :

وكم من أَخٍ لَمْ تحتملْ منه خـَلّةً ... قطعتَ ولم يُمْـكِنْكَ منه بديلُ

ومن لم يُرِدْ إلا خليلاً مُهَذّبا ... فليسَ له فى العـالمين خَليـلُ

قال آخر :

وأحبب إذا أحببتَ حُبًّا مُقاربًا ... فإنك لاتدرى متى أنت نازِعُ[1]

[2] وأبغض إذا أبغضتَ بُغضًا مُقَارِبًا ... فإنّك لاتَدْرِى متى أَنت راجعُ [2]

هذا مأخوذ من الحـديث المرفوع : « أحبب حبيبك هونًا ما فعسى أن يكون بغيضك يومًا ما ، وابغض بغيضك هونًا[3] ما فعسى أَن يكون حبيبك يومًا ما » .

وأَحسن ما نظم فى هذا المعنى قول أبى العتاهية[4] :

قل لمن يعجبُ مِنْ ... حُسْنِ رُجُوعِي وَمَقالِي

رَبَّ صَـدٍّ بعـد وُدٍّ ... وَهَوًى بعـد تقَالِى

قد رأَينـا ذا كثيرًا ... جاريًا بَيْنَ الرجالِ

---

(١) فى حـ : راجع .

(٢) ساقط من حـ ، وقد نسب البيتان فى أمالى القالى ٢/٢٠٤ لهدبة بن الخشرم العذرى ، ووردا فى العقد ٢/٢٨٦ من غير نسبة ، وفيه : وأبغض إذا أبغضت غير مباين .

(٣) فى حـ : يوما .

(٤) ديوانه ٢٠٥ .

أَنشد حبيبٌ للفِنْدِ الزِّمَّانِى — وقال الجاحظ لا أَظنها له (١) :

صفحنا عن بنى ذُهَــل　　وقلنا : القوم إخــوانُ
عسى الأيام أَنْ يُرْجِعْـ　　ـنَ قوما كالذى كانوا (٢)

قال آخر :

وكنتُ إذا صحبْتُ رجالَ قوم　　صَحِبْتُهُم وشيمَــتِىَ الْوَفاءُ
فأُحْسِنُ حِينَ يحسنُ محسنُوهم　　وأجتنب الإساءَةَ إن أساءوا
وأبْصِرُ ما يُنَقِّصُــنِى بعَيْنٍ　　عليها من عيوبِهِــمُ غِطاءُ (٣)

قال آخر :

ما نالت النَّفْسُ على شهوةٍ　　أَلذَّ من وُدّ صــديقٍ أَمينْ
من فَاتَهُ ودُّ أَخٍ صالحٍ　　فذلك المغبون حـقَّ اليقينْ (٤)

[وقال آخر :

استوحشَ الناسُ علىَّ جــدًّا　　ولا أرى لى من أُناسٍ بُدًّا

---

(١) انظر الحيوان ٦/٤١٥ ، ٤١٦ .

(٢) ورد البيتان فى حماسة أبى تمام ١/١٥ ، حماسة البحترى ٧٤ ، أمالى القالى ١/٢٦٠ منسوبين للفند الزمانى ، وكذلك فى الحيوان وردت هذه النسبة مشفوعة بالعبارة التى نقلها عنه المصنف ، ولكن الجاحظ اكتفى بهذا الشك ولم يذكر شيئا عن بواعثه . هذا وقد وردت الرواية مختلفة فى هــذه المراجع ففى حماسة البحترى والحيوان : بنى هند بدل ذهل ، وفى الأمالى وحماسة أبى تمام كما هنا ، كما ورد فى حماسة البحترى : أن ترجم قوما ، وفى الحيوان : ترجعهم جميعا . . الخ .

(٣) أى أبصر عيوبى فأعالجها ، ولا أبصر عيوبهم فأتتبعها وأغفل عن معايبى

(٤) فى ح : المحروم بدل المغبون ، وانظر البيتين فى عيون الأخبار ٣/١٦ .

إن لم أعاشرْهم بقيتُ فردًا][(١)]

وقال آخر :

أغمّض للصديق عن المَساوى ... مخافة أن أعيشَ بلا صـــديقِ[(٢)]

قال آخر :

أغمّضُ عينى عن صديقى تَغافُلاً ... كأنّى بما يأتى[(٣)] من الأمر جاهِلُ

وما بىَ جهلٌ غير أنَّ خليقتى ... تُطيقُ احتمالَ الكُرْهِ فيما يحاولُ[(٤)]

[(٥)] متى ما يُربْنى مِفْصَلٌ فقطعتُه ... بقيتُ ومالى فى النهوض مفاصلُ [(٥)]

وقال آخر :

وكنت إذا الصديقُ أرادَ غيظى ... فأشْرَقَنِي على حنقٍ بِرِيقِي

غفرتُ ذنوبَه وصفحتُ عَنْهُ ... مخافَةَ أن أعيشَ بلا صديقِ[(٦)]

وقال آخر :

إذا ما خَليلى رابنى بعضُ خُلْقِه ... ولم يَكُ عمـا ساءنى بمُفِيقِ

---

(١) ساقط من ح .

(٢) عيون الأخبار ١٦/٣ .

(٣) فى ا : آتى .

(٤) فى ا : رمانى ... أحاول .

(٥) ساقط من ا .

(٦) البيتان فى أمالى القالى ١١١/٣ .

صَبَرْتُ على أشياء منه تريبُنى ... مخافةَ أن أبقى بغيرِ صديقِ[(١)]

وأنشد ابن الأنبارى عن أبيه :

إذا ما صديق ساءنى بفعَالِهِ ... ولم يكُ عما ساءنى بمُفيق

صَبَرْتُ عَلَى الضَّرَّاء من سوء فعلِهِ ... مخافةَ أن أبقى بغير صديقِ[(٢)]

[(٣)] قالوا : لا خيرَ فى الناس ، ولا بدّ من الناس.[(٣)]

---

(١) انظرها فى عيون الأخبار ٣/١٦ ، وفيها : سوء فعله بدل بعض خلقه .
(٢) أمالى القالى ٣/١١٨ .
(٣) ساقط من ا .

باب الاستيحاشُ من الناس والفرار منهم[1]

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خيرُ الناس منزلةً يوم القيامة ، رجل آخذ بعِنَان فرسه فى سبيل الله يُخيف العدو ويخيفونه » . وفى رواية أخرى : « حتى يموت أو يقتل ، والذى يليه رجل معتزل فى شِعْبٍ من الشِّعاب يقيم الصلاة ويؤتى الزكاة ، ويعتزلُ شرور النَّاس » .

قال عمر بن الخطاب[2] رضى الله عنه[2] الطمع فقرٌ واليأسُ غنى ، والعُزلة راحةٌ من جليس السوء ، وقرين الصدق خير من الوحدة .

قال أبو الدَّرْدَاء : نعم صومعة الرجل[3] المؤمن بيته ، يصون دينه وعرضه ، وإياكم والأسواق ؛ فإنها تلغى وتلهى .

قال مكحول : إن كان فى الجماعة فضل ، فإن فى العُزلة سلامة .

قال عمر بن الخطاب : خالطوا الناس فى معايشكم ، وزايلوهم بأعمالكم .

قال أبو الدرداء : كان الناس ورقًا لا شوك فيه ، وهم اليوم شوك لا ورق فيه .

يقال : إن فيما أنزل الله فى الإنجيل على عيسى عليه السلام : كن وسطًا وامش جانبًا .

---

(١) فى ا : عنهم .
(٢) ساقط من ح . (٣) ساقطة من ا .

قال ابن المقفع[١] : وحشةُ الانفرادِ أبقَى على المرء من أُنْس التلاقي .

قال بعضُ العلماء : العُزْلة عن الناس توقى[٢] العِرْض ، وتبقى الجلالة ، وتَرْفع مؤونة المكافأة فى الحقوق اللازمة ، وتستر الفاقة .

قال أوس بن حجر :

وإنّى رأيتُ النّاسَ إلاّ أقلّهم ... خفافَ العُهود يُكثِرُون التَّنَقُّلاَ

بنى أُمٍّ ذى المال الكثيرِ يَرَوْنَه ... وإن كان عَبْدًا سيِّدَ القومِ جَحْفَلاَ

وهم لمُقلِّ المــالِ أولادُ عَلّةٍ ... وإن كان مَحْضًا فى العمومة مُخْوِلاَ[٣]

وليس أخوك الدائمُ العهدِ بالذى ... يَسُوءُكَ إن ولّى ويُرضيك مقبلاَ

ولكنّ الأخَ النّائى إذا كُنْتَ آمِنًا ... وصاحبُكَ الأدْنَى إذا الأمر أَعْضَلاَ[٤]

وقال الحسَنُ بن عبد الرّحمن[٥] .

توحشتُ ولكنّى ... أُسَرّ بالوَحْشة أحيانا

---

(١) فى ح : أبو الفتح .

(٢) فى ا : توفر .

(٣) العلة : الضرة ، وأولاد العلات هم أبناء أمهات شتى ورجل واحد ، ومحضا : خالصا .

(٤) انظر الأبيات فى ديوانه ٢٢ .

(٥) ابن خلاد الرامهرمزى ، محدث العجم فى زمانه ، ومن أدباء القضاة ، له شعر حسن أورد بعضه الثعالبى فى اليتيمة ، وكان الحسن مختصا بابن العميد ، وله اتصال بالوزير المهلبى . انظر فى ترجمته يتيمة الدهر ٣/٣٨٦ (الأعلام ٢/٢٠٩) .

وفى الوَحْشة ما يُؤْ نِسُ من صحبة منْ خانا

وقال أيضاً :

يا حبّــذَا الوَحْشة من أنيسِ إذاخَشِيتَ منأذَىالجليس

وقال أبو العتاهية(١) :

برمتُ بالنـاسِ وأخلاقِهِمْ فصِرتُ أستأنسُ بالوَحْدَهْ

ما أكثرَ النَّاسَ لعَمْرِى وما أقلّهُمُ فى حاصِلِ العِــدَّهْ

كتب شيخ من أهل الرَّى عَلَى باب داره : جزى اللهُ عنا من لا نعـرفه (٢ ولا يعرفنا ٢) خيرًا ، وأما أصـدقاؤنا الخاصة فلا جزاهم الله خيرًا ، فإنا لم نُؤْتَ إلا منهم .

قال سفيانُ : ما وجـدتُ من يغفر لى ذنباً ، ولا يستر لى عيباً(٣) ، فرأيت فى الهرب من الناسِ السَّلامة .

قال الفُضَيْل بن عيَاض لسُفيان الثورى : دُلَّنِى عَلَى رَجُل أَجلسُ إليه ، قال : تلك ضالّة لا توجد .

---

(١) ديوانه ٩٠ .

(٢) ساقط من ح ، م .

(٣) ا : على زلة .

(١) قال أكثم بن صيفي : الانقباض عن الناس مكسبة للعداوة ، وإفراط الأنس مكسبة لقرناء السوء (١) .

وقال سهلُ الوراق :

ألا ما لِذا الناسِ قد بُدِّلوا … فهم كذئاب عليها(٢) ثيابْ
تواطئوا عَلَى كلِّ مستقبَحٍ … فما لقبيح لديهم مُعَابْ
وخانوا الأمانة ما بَيْنهم … وهل بالأمانة تُوفى الذئابْ

قال الأضْبَط بن قُرَيْع :

أذودُ عن حوضِهِ ويدفعُني … ياقومِ من عاذِرى من الخُدَعَهْ (٣)

أنشد الخريرى(٤) لنفسه :

مخالطُ الناسِ في الدُّنْيا عَلَى خَطَر … وفي بلاء وَصَفْو شِيبَ بالكَدَرِ
كراكبِ البحر إن تسلم حُشَاشَتُه … فليس يسلم من خوف ومن حذرِ

وقال قُدَامة بن إبراهيم الْجُمَحى (٥) :

---

(١) ساقط من ح .
(٢) في ح : عليهم .
(٣) البيت في أمالى القالى ١/١٠٧ ، ١٠٨ .
(٤) لم أعثر على من تصدق عليه هذه النسبة في كتب التراجم وأطمئن إلى أنه هو المقصود وليس هو بالطبع الحريرى صاحب المقامات فقد ولد هذا في سنة ٤٤٦ وتوفى ٥١٦ هـ ، أى أنه ولد بعد وفاة المصنف ، فلعله الحريرى (عبد الملك بن إدريس) انظر اليتيمة ٢/٨٨ .
(٥) المدنى ، لم يذكر عنه ابن حجر في تهذيب التهذيب ٧/٢٦٣ ، إلا أنه من الثقات ، ثم أورد أسماء الرجال الذين روى عنهم ، وأسماء من رووا عنه .

العجزُ ضعف وما بالحزم من ضررٍ وأحزمُ الحزم سوءُ الظنِّ بالناسِ
لا تترك الحزم فى أمرٍ تحاذرُهُ فإنْ أصبت فما بالحزمِ من باسٍ*

أنشدنى عبد الرحمن بن أبان ، عن عثمان ، قال : أنشدنى أبو بكر محمد بن الحسن الزُّبيدى(١) لنفسه :

أشعرنْ قلبكَ يأسَاَ ليسَ هـذا النـاسُ نَاساَ
قد مضى الإبريزُ منهمْ وبقوا بعـــدُ نُحاَساَ
سامِريِّينَ يَقُـــولو نَ جميعاً لا مِساَساَ

لهلال بن العَلاَء(٢) :

لما عفوتُ ولم أَحْقِدْ على أحـدِ أرحتُ نفسىَ من همِّ الْعَدَاوَاتِ
إنى أحـيِّي عدوِّى عند رؤيتِهِ لأدفعَ الشرَّ عـنِّى بالتحيـاتِ
وأحْسِنُ البِشْرَ للإنسان أُبْغِضُهُ كأنَّه قد مَلاَ قلبي مَحبّاتِ
ولستُ أسلمُ ممن لست أعرِفُهُ فـكيف أسلمُ من أهل المودّاتِ

---

(١) الأندلسى الإشبيلى ، أعرف أهل زمانه باللغة والأدب ولد ونشأ واشتهر بإشبيلية ، وعاش فى قرطبة مدة ، ثم رجع إلى إشبيلية وتولى بها القضاء ، له تصانيف كثيرة فى النحو واللغة ، توفى سنة ٣٧٩ هـ . انظر بغية الملتمس ٥٦ ، معجم الأدباء ٦/٥١٨ (الأعلام ٦/٣١٢) .

(٢) أبو عمرو الرقى ، قال عنه ياقوت فى المعجم ١٩/٢٩٤ : « كان من أهل العلم واللغة بالرقة ، مات سنة ٢٨٠ هـ ، ولا أعلم من أمره غير هذا » .

وقال ابن الرومى(١) :

يا ذا الذى منه التّغيْـ ـرُ والتّنَكُّر والنُّبُوْ
إن كان أدركك الملا ل فقد تداخلنى السُّلُوْ

آخر :

قد كنت عبدًا والهوى مالكى فصرتُ حرًّا والهوَى خادمى
وصرتُ بالوَحْدةِ مستأنسًا من شرّ أَوْلادِ بنى آدمِ
ما فى اختلاط الناس خير ولا ذو الجهل بالأشياء كالعالمِ
يا عاذِلى فى تركهم(٢) جاهلا عُذرِىَ منقوش على خاتمى

وكان فى خاتمه منقوشًا : ﴿وما وَجَدْنَا لأكثرِهِم من عَهْدٍ﴾(٣)

وقال منصور الفقيه :

نفرتُ من كلّ من وثقتُ به إذ كلُّهم خانَنى ولم أخُنِ
من لانَ لى جانباه لِنْتُ له ومن أَبَى أن يلين لم أَلِنِ

وقال آخر :

هذا زمانٌ ليس إخوانُه(٤) يا معشرَ الناسِ بإخوانِ

---

(١) ديوانه ٣٠١ .
(٢) فى ا : لومهم .
(٣) سورة الأعراف ، الآية ١٠٢ .
(٤) فى حـ : لى هله .

إخوانُ سَوْءٍ كلُّهم فَاسِقٌ   له لسانان ووجهانِ
يلقاك بالبشرِ وفى قلبِهِ   داءٌ يواريه بكتمان
حتّى إذا ما غبتَ عن وجههِ   رماك فى الغيب ببهتانِ
يأيها المرء فكُنْ واحدًا   فردًا ولا تأنسْ بإنسانِ

منصور الفقيه :

الناسُ بحرٌ عميقٌ   والبُعْد منهم سفينهْ
وقد نصحتُك فانظرْ   لنفسِك المسكينهْ[1]

طرفة بن العبد :

كلّ خليل كنت خاللتُه   لا ترّك الله له واضِحَه
كلهم أروغُ من ثعلبٍ   ما أشبهَ الليلةَ بالبارحهْ[2]

وقال منصور الفقيه :

يا أخا الدّهر إن وفا   وأخا الدهر إن غَدَرْ
كن من الناس كيف شئـ   ـت على غايةِ الحَذَرْ

كان يقال : صحبةُ الأشرارِ تورث سوء الظن بالأخيار .

---

(١) البيتان فى معجم الأدباء ١٩/١٨٦ ، التمثيل والمحاضرة ١٠٥ .

(٢) سبق البيتان فى ص ٦٥٤ .

وقال ابنُ وكيع :

فسد الناس كلّهم وانقضى الودُّ (ـ) فما فى الورى أخٌ ذو صَفاء
وأرى طالبَ الفرارِ من النا س ومُرتادَ قربهم فى بلاء
ذاك بالانقباضِ[1] يكسب المقـ ت ويُعزى به إلى الكبرياء
وأخو الانبساط يخشى انقلابًا من صديق يُضيعُ حق الإخاء
وإذا ما الصديقُ عاد عدوًّا فهو مستفرَهٌ[2] من الأعداء

وقال منصور الفقيه :

فى الناسِ خيرٌ كثيرٌ والشر فى الناسِ أكثرْ
وقد نصحتك جَهْدى فانظر لنفسك واحذرْ
فإن وثقتَ بقولى فيهم وإلا فغرِّرْ

وله أيضًا :

إنما الناس فَزْعَةٌ ليس فى الناس مَفْزَعْ
ذم من شئت منهمْ فهو للذمِّ موضعْ

ولما حضرته الوفاة ، قال[3] : أستغفر اللهَ من هذين البيتين .

---

(١) فى ح : لانقباض .
(٢) ا : مستكره .
(٣) ساقطة من ا .

قال سُوَيْدُ بن مَنْجُوف :

فبلّغ مُصْعَبًا عَنّى رَسُولا ... وهل تجد النصيحَ بكل وادِ
تَعلّم أن أكثَرَ من تُنَاجِي ... وإن ضحكوا إليك هم الأعادِى[١]

أنشد الزبير لأبى هَمْهَمة :

إخوة ما حضرت سَرُّونَ بَرُّو ... نَ[٢] فإن غبتُ فالسِّباعُ الجياعُ
باينونى حتى إذا عاينونى ... بَانَ منهم تضاؤلٌ واختشاعُ
[٣] فهم يَغْمِزُونَ منى قنـاةً ... ليس يألون غَمْزَها ما استطاعُوا [٣]
ما كذا يفعلُ الكرامُ ولكن ... هكذا يفعل اللئام الوِضاعُ

قال أبو غسان مالك بن عبدالله غلام أبى العتاهية : [٤] كنت عند أبى العتاهية [٤] قبل موته بثلاثة أيام ، وإنه لشديد العلّة لما به ، فرفع رأسه إلى وقال : يا أبا غسان !

لله دَرُّ أبيك أىّ زَمَانِ ... أَصبحتُ فيه وأَىّ أَهلِ زمانِ
كلٌّ يُوازِنُكَ المودة دَائبًا[٥] ... يُعْطِى ويأخذ منك بالميزانِ

---

(١) البيتان فى الحيوان ٥/٤٩٤ ، وفيه : فأبلغ مصعبا ، أكثر من تؤاخى .
(٢) فى ا : سروا وبروا فإذا .. الخ .
(٣) ساقط من ج .
(٤) ساقط من ا .
(٥) فى ا : جاهدا .

فإذا رأى رُجْحانَ حبةِ خردلٍ   مالتْ مودتُهُ مع الرُّجْحَانِ
فى كلِّ يومٍ منهُ تبدو قِصَّةٌ   تَنْعى إليك مودَّةَ الإخوانِ(١)

وقال منصور الفقيه :

أىّ زمان نشأت فيـه   كذِى ضلالٍ بأرضِ تيهِ
ما شئتَ من عالم خبيثٍ   فيه ومن جاهلٍ سفيهِ

وقال أبو العتاهية(٢) :

إن الزمانَ يغرُّنى بأمانه   ويُذيقُنى المكروهَ من حِدْثَانِهِ
فأنا النذيرُ من الزمان لكلّ من   أمسَى وَأصْبَح واثقاً بزمانهِ
ما الناسُ إلا للكثير المال أو   لِمُسَلَّطٍ ما دام فى سُلْطانِهِ
فإذا الزمانُ رماهما(٣) بِملمّةٍ   كان الثِّقاتُ هناك من أعوانِهِ

قال إبراهيم بن العباس الصولى(٤) :

بلوتُ الزمانَ وأهلَ الزمانِ   فكلٌّ بذم ولومٍ حقيق
وأوحشنى من صديقِ الزمان   وآنسَنِى بالعدوِّ الصديق(٥)

---

(١) الأبيات الثلاثة الأولى فقط فى ديوانه ٢٦١ .
(٢) الأبيات فى ديوانه ٢٨٠ .
(٣) فى الديوان : رمى الفتى .
(٤) ساقطة من ج .
(٥) ديوانه ٤٤ .

وله أيضاً

ورُبَّ أخٍ ناديتُه فى ملمـةٍ   فألفيتُه منها أجلَّ وأعظَمَا[١]

أنشدنى محمد بن نصير الكاتب لنفسه :

تطلَّبْ سبيلَ الهُدَى جاهِدًا   وَدَعْ عَنْكَ مُشْتَبِهَاتِ السُّبُلْ
وَأَصْبِحْ من الناس مستوفزًا   فأكثرُهم راصـدٌ للزَّلَلْ
وأجبن من قد ترى منهمُ   لَعَمْرُكَ يُرْدى الشجاعَ البطلْ
وتُصمى الْمَقَاتِلَ أقوالُهُمْ   بألسنةٍ وقعها كالأسـلْ
ومن حكَّمَ الناسَ فى عِرْضِه   فمن جَارَ أكثرُ ممن عَدَلْ[٢]

وقال آخر :

وإذا دعـوتَ أخاَ إخا   ئِكَ عِنْدَ نائبـةٍ تنوبْ
ألفيتَه أَحَـدَ الخُطُو   بِ إذا تتابعت الخطوبْ

وهذا كله عندى — والله أعلم — مأخوذ من قول القائل :

كنت من كربتى أفر إليهم   فهم كربتى فأين الفرار[٣]

---

(١) ديوانه ٥٧ .

(٢) الأبيات فى نفح الطيب ٥/٢١٧ وفيه : وأخير بدل أجبن ، وتبرى بدل تصمى .

(٣) البيت فى عيون الأخبار ١/٧٨ ، العقد الفريد ٤/٢٢٨ .

منصور الفقيه :

تبارك من لو شاء ملكني نفسي ... وَصَيَّر فى الإيحاش من خلقه أُنْسِي
وباعـدَ دارى عاجلاً عن ديارهمْ ... كَبُعْدِ مغيبِ الشمس عن مطلع الشمسِ
لعلّىَ أن أُمْسَى من الشر آمنــا ... وَأُصْبِح مسروراً بذاك كما أمسِى
فما نكّدَ الدنيا على طيب ظلها ... وقرب جناها العذب شيء سوى الإنسِ

قال أعرابى ، وهو جابر بن ثابت ، ويعرف بتأبط شرا :

عوى الذئب فاستأنستُ بالذئب إذ عوى ... وصــوّت إنسان فـكدتُ أطيرُ
دَرَى الله أنى للأُنَيْسِ لَشَانِئٌ ... وتبغضهم لِى مُقْلَةٌ وَضَمِيرُ(١)

وقال آخر :

قد بلوتُ النَّاسَ طُرًّا ... لم أجد فى الأرض حُرًّا
صارَ أَحْلَى الناسِ فى عَيْـ ... ـنِى إذا ما ذِيق مُرًّا
ووجدت الحلوَ منهمْ ... عندما جرّبتُ صَبِرًا(٢)

وقال منصور الفقيه :

إنّ بنى دهرِنا أفاعٍ ... ليس لمن ساوَرَتْ طبيبُ

---

(١) البيتان فى الحيوان ١/٣٧٩ ، المؤتلف ٣٦ ، ٣٧ ونسبهما فيه للأحيمر السعدى ، وفيه : لوح بدل صوت ، ويرى بدل درى .
(٢) نسبت الأبيات لابن أبى حازم فى العيون ٢/٣٨٤ ، ووردت فى العقد الفريد ٣/٢١٤ بدون نسبة .

فلا يكنْ فيك بعدَ هذا لواحـدٍ منهمُ نصيبُ

وقال آخر :

قد لزمتُ السّكوتَ من غير عِيٍّ ولزمتُ الفراش من غـير علّهْ
وهجـرتُ الإخوان لمـا أتتنى عنهمُ كلُّ خَصْـلَة مضمحلّهْ
فعلى أهـلِ ذا الزمان جميعًا ضِعْفُ قطر السّماء من لعنة اللّهْ

وقال آخر :

لا تعرفَنْ أحدًا فلستَ بواجدٍ أحدًا أضرَّ عليك ممن تعرفُ
أما نظيرُك فهو حاسـدُ نعمةٍ أو دون ذاك فذو سؤال ملحفُ
أو فوق ذلك حال دون لقائه بوابُ سوءٍ واليَفاعُ المشرفُ

وللشافعى الفقيه رحمه الله ، وقيل إنه تمثل بها ، وهى :

ليت السباعَ لنا كانت مجاورةً وليتنا لا نرى مما نرى أحـدَا
إن السباعَ لتهدَا فى مرابضها والناس ليس بهادٍ شرُّهم أبدَا
فاهرُبْ بنفسك واستأنس بوَحْدتها تعِشْ سَلِيماً إذا ما كنت منفردَا

وقال منصور الفقيه :

أحـذِّرُك النـاسَ إلاّ قليلا فلا تبغيَنَّ إليهـم سَبيلا

وفارِقْهُمُ عن قِلًى واتخذ ... إذا ما خشيتَ انفرادًا خليلاَ
من الجنِّ والجنُّ إن تلقَهُمْ ... تجدْهُمْ أَبرَّ فعالا وقيلاَ
من الإنسِ، لا كان مستأنسًا ... بهم طالبٌ من سواهم بديلاَ

وقال أبو العتاهية :

أيا ربِّ إنّ الناسَ لا ينصفوننى ... وإن أنا لم أنصفهمُ ظلمونى
وإن كان لى شيءٌ تَصَدَّوْا لأخذه ... وإن جئتُ أبغى شيئَهم منعونى
وإن نالهم بذلى فلا شكرَ عندهم ... وإن أنا لم أَبْذُل لهم شتمونى
وإن طرقتنى نكبةٌ فرحوا بها ... وإن صحبتنى نعمةٌ حسدونى
سأمنعُ قلبى أن يحنَّ إليهمُ ... وأحجبُ عنهم ناظرى وجُفُونى (١)

أنشدنى حكم بن المنذر لنفسه :

وكنتُم أخلاّئى الذين أعدّهُمْ ... لصَرْف زمان إن ألَمّ بداهِيَهْ
فأخلفتمُ ظنى بكم فقَلَيتكمْ ... فنفسي عنكمُ آخرَ الدهر سَالِيَهْ

وقال آخر :

ولما رأيتُ الناسَ لا عهدَ عندَهمْ ... صَدَفْتُ — وبيتِ اللهِ — عن صحبة الناسِ
وصرتُ جليسَ الكُتْبِ ماعِشْتُ فيهمُ ... وأعملتُ حسن الصَّبر عنهم مع الياس

---

(١) ديوانه ٢٥٥ ، وفيه : رفدى بدل بذلى فى البيت الثالث ، وفكهوا بدل فرحوا فى البيت الرابع .

رأيت لهم كاسًا من الغَـدْرِ بينهـم تُدَارُ وما بالقومِ صـبرٌ عن الـكاسِ

وهذا الباب وما جانسه من معانى صحبة الناس والفرار منهم ، واتخاذ الإخوان والزهد فيهم ، قد أكثر الناسُ فيه جدا ، وقد جمع فيه ابنُ وكيع فتقصّى وكثّر وجوّد وغزر ، وغرضنا فى الـكتاب أن نورد فيه ما تصلح المذاكرة به من غير تطويل ، لأن الحفظ أكثر ما يكون مع التقليل ، وبالله العون والتأييد والحول والقوة[1] .

---

(١) فى ا : وبالله العون لا شريك له.

بابُ الصَّديق والعدو

قال جعفرُ بن محمد : لقد عَظمتْ منزلةُ الصَّديق حتى عند أهل النار ، ألم تسمع إلى قول الله تعالى حاكيا عنهم : ﴿ فَمَا لَنَا من شَافِعِين ، ولا صَدِيق حَمِيم ﴾ (١) .

قال عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه : لا يكون الصديق صديقا حتى يحفظ صديقه في غيبته و بعد وفاته .

قال سويدُ بن الصَّامت(٢) :

ألا رُبَّ من تدعو صديقًا ولو ترى … مقالتَهُ بالغيب ساءك ما يَفْرِى
مقالتُه كالشَّهْدِ ما كان شاهدًا … وبالغيب مَأْثورٌ عَلَى ثُغْرَةِ النَّحْرِ
تُبِينُ لك العَيْنَان ما هو كاتمٌ … من الشرِّ بالبغضاء والنظرِ الشَّزْرِ
يَسُرُّك باديهِ وتحتَ أديمهِ … نميمةُ غشٍّ تبترِى عَقِبَ الظهرِ
فَرِشْنِي بخير طالما قد بريتَنِي … وخيرُ الموالى من يَرِيشُ ولا يَبْرِى(٣)

---

(١) سورة الشعراء آية ١٠١ .

(٢) ابن حارثة بن عدى، الخزرجي الأنصاري، شاعر من أهل المدينة في سوق، كان يسميه قومه الكامل، اشتهر في الجاهلية ، وأدرك الإسلام وهو شيخ كبير ، ولقيه النبي صلى الله عليه وسلم في سوق ذي المجاز ، فدعاه إلى الإسلام، وقرأ عليه : يئا من القرآن فاستحسنه، ثم انصرف عائدا إلى المدينة ولم يلبث أن قتل، وإن كان ابن سعد والطبرى يقولان إنه شهد أحداً . انظر الإصابة الترجمة ٣٥٩٢ .

(٣) وردت الأبيات كلها في البيان ٣/٣٥٦، الأمالى ٢/١٩٨ ، وماعدا الرابع في عيون الأخبار ٣/٨١،=

كان أبو العباس السّفاح إذا تعادى اثنان من أهل بطانته لا يسمع من أحد منهما في صاحبه شيئاً ، وإن كان عَدْلا ، ويقول : (١) العداوة تزيل العدالة .

كان يقال (١) : لا تجالس عـدوّك فإنه يحفظ عليك عيوبك ، ويماريك في صوابك .

قال على بن أبي طالب رضى الله عنه : ابذُلْ لصديقك كلَّ المودة ، ولا تبذل له كلَّ الطمأنينة ، وأعطه من نفسك كلَّ المواساة ، ولا تُفْضِ إليه بـكلّ الأسرار .

رُوى عن علىِّ بن الحسين رحمه الله ، أنه قال : لا يكونُ الصديق صديقاً حتى يقطع لأخيه المؤمن قطعةً من دينه يرقّعها بالاستغفار .

قال غيره : من علامة الصديق أن يكون لصديق صديقه صديقاً ، ولعـدوّ صديقه عدوا .

= منسوبة لسويد ، ووردت مع أبيات أخرى في اللسان مادة نشر منسوبة لزهير بن جناب ، وهى في الإصابة لسويد ، انظر الترجمة ٣٥٩٢ .

المعنى والروايات : يفرى : يختلق ويكذب ، والرواية في الأمالى : لسانه بدل مقالته .

المأثور : السيف في متنه أثر ، وقد فسره في العيون بأنه الذى يؤثر عنه شر وتهمة ، وأحسبه ليس دقيقا ، نغرة النحر : نقرته . والرواية في العيون : كالشحم بدل الشهد ، وفى البيان : مادام بدل ما كان ، وفى الأمالى : حاضرا بدل شاهدا ، ومطرور بدل مأثور .

النظر الشزر : النظر فيه إعراض ، أو هو نظر الغضبان أو الحاقد بمؤخرة العين ، والرواية في العيون : من الضغن والشحناء بالنظر الشزر ، وفى البيان من الغل والبغضاء .

تبترى : تقطع .

راش الصديق : أصلح حاله وضده براه .

(١) ساقط من ا .

قال يزيدُ بن الحَكَم الثّقفى :

تصافحُ من لاقيْتَ لِى ذا عَدَاوَةٍ ... وأنت صديق ليسَ ذَاكَ بمُسْتَوِى

فى أبيات قد ذكرتها فى باب البغى والحسد وغيره ، وفى رواية أخرى :

عـدوُّك يَخشى صولتى إن لقيتُه ... وأنت صديقِى ليس ذاكَ بمُستوِى

وقال آخر :

عدوُّ صديقى داخلٌ فى عداوتى ... وإنّى لمن وَدَّ الصـديقُ ودُودُ

فلا تقترِبْ منى وأنت عدوُّ مَنْ ... أصادقُه فالخـيرُ منك بعيـدُ[1]

[2] وقد أنشد المبرد هذين البيتين على قافية القاف على ما رواه شيخنا [2] عيسى عن ابن مِقْسَم ، قال : أنشدنى أبو على إسماعيلُ بن محمد الصَّفّار ، قال : أنشدنى أبو العباس المبرّد :

صديقُ عدوى داخـل فى عداوتى ... وإنّى على ودّ الصـديقِ صديقُ

أُعَادِى الذى عادَى وأهوى له الهوى ... كأنِّى منه فى هَـوَاهُ شَقِيقُ[3]

---

(١) البيتان فى العقد الفريد ٢/٣٠٧ ، ورواية البيت الثانى فيه :

فلا تقربن منى وأنت صديقه ... فإن الذى بين القلوب بعيد

(٢) فى ا : بدل هذه العبارة : وفيما رواه .

(٣) فى ا : وأهوى الهوى له ، وانظر البيتين بهذه الرواية فى أمالى القالى ١/٨٣ .

وقال العتّابى :

تودّ عـدوّى ثم تزعمُ أنّنى صديقُك إنَّ الرأىَ عنك لعازبُ
وليس أخى من ودَّنى رأىَ عينِهِ ولـكنْ أخِى من ودّنى وهو غائبُ(١)

قال آخر :

إذا وَالَى صديقُك من تُعَادِى فقد عَادَاكَ وانقطعَ الكلامُ

قال معاوية : النبل مؤاخاة الأكفاء ، ومداجاة(٢) الأعداء .

قيل لعبد الحميد الكاتب : أيّما أحب إليك أخوك أو صديقك ؟ قال : إنما أحب أخى إذا كان صديقى .

قال بعضُ علماء أهل المدينة : من ثقُل على صديقه خفّ على عـدوه ، ومن أسرع إلى الناس بما يكرهون قالوا فيه مالا يعلمون .

عذل رجل رجلا ، فقال : أراك رطب اللسان من عيوب أَصدقائك ، فلا تزدهم فى أعدائك(٣) ، فإن الصديق يحوَّل بالجفاء(٤) عدوا ، وكذلك العدو يحول بالصلة صديقا(٥) .

---

(١) نسب البيتان فى حماسة البحترى لصالح بن عبد القدوس وفيها : وهو حاضر بدل رأى عينه ، وقد وردا فى أمالى القالى ١/٨٣ ، العقد الفريد ٢/٣٠٧ كما هنا ، وانظر عيون الأخبار ٣/٦ وفيها : ولـكن أخى من صدقته المغايب .

(٢) المداجاة : المدارة ، والمنع بين الشدة والرخاء .

(٣) فى ا : إغرائك .

(٤) ساقط من ح .

(٥) فى ا : صدقا بالصلة .

كان يقال : لا تجترئ على عداوةِ رجل بصداقة أُلُف .

قال الشاعر :

تكثّرْ من الإخوان ما اسْطَعْتَ إنَّهم … بطونٌ إذا استَنْجَدتَهم وظهُورُ
وليس كثيرًا ألفُ خلٍّ وصاحبٍ … وإن عدوًّا واحدًا لكثيرُ(١)

ومما أنشده المبرد :

ترفّعْ عن مخاشنةِ الصَّديق … ولا تُلْجِ العدوَّ إلى مَضِيقِ
وإن يَسْنحِ من المعروف شيءٌ … فبادرْ خوفَ إمكان الطريقِ
وأحسنُ من مجاهدةِ الأعادى … مجاهدةُ النفوسِ على الحقوقِ

كان المغيرة بن شعبة يقول : إن أنكأ لعدوك ألّا تعلمه أنك اتخذته عدوّا .

سُئِل أعرابى عن ابن العمّ ، فقال : عدوُّك وعدوّ عدوِّك .

كان يقال : من سعادة المرء أن يرى عدوّه خلفه فى حياته ، ويقدمه أمامه فى وفاته .

كان يقال : لا تلتمس معاونة ذى عداوة بإعطائه فضل قوة يستكثر بها عليك فى مخالفتك .

جمع كسرى يوما مرازبَتَه وعيونَ أصحابه ، فقال لهم : من أىّ شىء أنتم أشد حذرًا ؟ قالوا : من العدوّ الفاجر ، والصديق الغادر .

(١) نسب البيتان فى محاضرات الأدباء ٢/٢ إلى محمود الوراق .

قال موسى بن جعفر : اتَّقِ العدوَّ ، وكُن من الصديقِ على حذر ، فإن القلوب إنما سميت قلوباً لتَقَلُّبِها .

منصور الفقيه :

احـــذر مودةَ ماذقٍ[١] مَزَجَ المـرارةَ بالحلاوهْ
يُحْصِي الذنوبَ عليك أيّـــامَ الصداقةِ للعَـــدَاوهْ[٢]

وقال جحظة البرامكى :

لا تُعِدَّنَّ للزمانِ صـديقاً وأعدَّ الزمان للأصـدقاء[٣]

قال آخر :

دار الصديق إذا استشاطَ تَغَضُّبًا[٤] فالغيْظُ يُخرِجُ كامنَ الأحقـادِ
ولرُبما كان التغيظُ باحثاً[٥] لمعـــايب الآباء والأجــدادِ

استعدى أعرابى على بلال بن جرير بن الخَطَفى إلى قُثَم بن العبّاس فقال :

أعـوذُ بعبّاس وَحَقْـوَىْ محمّدٍ وَحَقْوَيْـك[٦] من طولِ الأذى والغَوائلِ

(١) الماذق : غير خالص الود .
(٢) البيتان فى عيون الأخبار ٣/١٠٧ من غير نسبة وفيه : والعداوة ، وانظرهما فى الصداقة والصديق ٤١ .
(٣) البيت فى التمثيل والمحاضرة ١٠٧ ، نهاية الأرب ٣/٩٩ .
(٤) فى ا تغيظا .
(٥) فى ا : باديا .
(٦) ساقط من ج ، والحقو : الـكشح ، وهو مابين الخاصرة إلى الضلع الخلف .

فإنّ بلالاً يابن عمّ محمدٍ عـدوٌّ إذا جاملتَه لم يُجَـاملِ
إذا نال يوماً رِشْـوَةً من مخاصِمٍ رمى كل حقٍّ أدعيـه بباطلِ

قال ابنُ وكيع :

ليس بالْمُنْـكَرِ انقلابُ صديقٍ ربمـا غُصّ شاربٌ بالشّرابِ
وتلاقى الإخـوانِ بعـد فسادٍ كتلاقى[1] الأرواحِ بعد الذهابِ
لا تضيِّـعْ مودةً من صـديقٍ فانقلابُ الصديقِ شرُّ انقلابِ

قال آخر:

وَرُوِّعْتُ حتّى ماأُرَاعَ من النَّـوى وإن بَانَ جِـيرانٌ علىّ كـرامُ
فقـد جعلَتْ نفسى على النأيِ تَنطَوِى وَعَيْنِي عَلَى هَجْـرِ الصديقِ تنامُ[2]

وقال صالح بن عبد القدوس :

إذا وَتَرْتَ امرءًا فاحـذرْ عداوَتَه من يزرع الشوكَ لا يحصد به عِنَباَ
إن العـدوّ وإنـ أبدَى بشاشته إذا رأى منك يوماً فرصـة وثبا[3]

---

(١) فى ا : وتلاف ... كتلاف .

(٢) نسب البيتان فى وفيات الأعيان ٤/٣٩٠ ، وهامش الحماسة ١/١٠٣ إلى عبدالصمد بن المعذل والرواية فى الأعيان : وفارقت بدل روعت ، وغاب بدل بان ، وعلى فقد الحبيب بدل هجر الصديق .

(٣) البيتان فى نهاية الأرب ٣/٧٩ ، التمثيل والمحاضرة ٧٨ .

قال الصاحبُ بن عبّاد :

لقد صدقُوا — والرّاقصاتِ إلى منى — بأنّ مُدَاراةَ العِـدى ليس تَنْفَعُ
ولو أننى دارأتُ عمرِىَ حيـةً إذا استمكنت يوما من اللَّسع تلسعُ(١)

وقال آخر :

ليس الصـديقُ الذى إن زلَّ صاحبُهُ يوماً رأى ذاكـ ذنباً غيرَ مغفـورِ
إن الصديقَ الذى تلقاه يَعْذِرُ فى ما ليس صاحبُه فيه بِمعـــذورِ (٢)

وقال آخر :

كان صديقى وكان خَالِصَتى أيامَ نَجْرِى مَجَارِىَ السُّوَقِ (٣)

قال أبو تمام الطائى :

وحسبُكَ حسرةً لكَ من صديقٍ رأيتَ زمامَهُ بيدىْ عَدُوٍّ(٤)

قال العَطَوى :

إذا أنـكرتَ أخلاقَ الصديق فلستَ من التحيُّرِ فى مضيقِ

---

(١) البيتان فى التمثيـل والمحاضرة ١٢٣ ، نهاية الأرب ٣/١٠٩ ، يتيمة الدهر ٣/٢٧٨ ، وفيها : إذا مكنت بدل استمكنت ، وفى ا : من السم بدلَ اللسع .
(٢) ساقطان من ا ، وانظرهما فى العقد الفريد ٢/٣٠٧ .
(٣) السـوق : عامة أفراد الناس ، ومعنى البيت : أنه كان صديق أيام كنا فردين من عامة الناس ، وقد ورد البيت ضمن أربعة أبيات فى عيون الأخبار ٣/٧٤ منسوبة لمحمد بن مهدى ، وبعد البيت الوارد هنا فى العيون :

حتى إذا راح والملوك معاً عد اطراحى من صالح الخلق

(٤) البيت ساقط من ا ، وانظره فى ديوانه ٢٦٧ ، والرواية فيه : يكون زمامه .

طريقًا كنتَ تسلكه سليماً ... فأسبع فاجْتَنِبْه إلى طريقِ
فإن قابلتْ يُسْرَى منه عُسْرَى ... فراجعْ من قطَعْتَ من الصَّدِيقِ

وقال عبدُ بنى الحَسْحَاس[1] :

رأيتُ الحبيبَ لا يُملُّ حديثُه ... ولا ينفعُ المشنوءَ أن يتودّدَا

وقال زياد الأعجم :

عدوُّك مسرورٌ وذو الودّ بالذى ... أتى منك من غيظٍ علىَّ كظيظ
تلينُ لأهل الغِلِّ والغَمْزِ منهمُ ... وأنتَ على أهلِ الصفاء غليظُ
نَسِيٌّ لما أَوْلَيْتُ من صالحٍ مَضَى ... وأنت لتأنيبٍ عَلَىَّ حفيظُ
وسُميتَ غَيّاظًا ولستَ بغائظٍ ... عدوًّا ولـكنَّ الصديقَ يَغيظُ[2]

وقال أبو الطيب :

وأرحمُ أقوامًا من العِيِّ والغَبَا ... وَأَعْذِرُ فى بُغضى لأنهمُ ضِـدُّ
ومن نَـكَدِ الدُّنياعَلَى الحرِّ أن يرى ... عدوًّا له ما من صـــداقته بدُّ[3]

---

(١) اسمه سحيم ، كان شاعراً رقيق الشعر ، أصله عبد نوبى ، أعجمى اللسان ، اشتراه بنو الحسحاس ، وهم بطن من أسد ، فنشأ فيهم ، مولده فى أوائل عصر النبوة ، ورآه النبى صلى الله عليه وسلم وكان يعجب بشعره ، قيل : قتله بنو الحسحاس فى آخر خلافة عثمان حوالى سنة ٤٠ هـ ، وأحرقوا جثته لتشبيبه بنسائهم . انظر فوات الوفيات ١٦٦/١ ، الشعر والشعراء ١٥٢ (الأعلام ١٢٤/٣) .

(٢) نسبت الأبيات فى أمالى القالى ١٩٨/٢ ، المؤتلف ٨٨ للحضين بن المنذر يقولها فى ابنه « غياظ » .

(٣) البيت الأول فى الديوان ١٦٩ ، والثانى فى ص ١٦٨ ، أى أن الثانى يرد فى الترتيب قبل الأول فى القصيدة .

(١) وقال آخر :

شر البلادِ مكانٌ لا صديقَ به ... وشرُّ ما يكسَبُ الإنسانُ ما يَصِمُ(٢)

وقال منصور الفقيه :

إذا تَخَلَّفْتَ عن صديقٍ ... فلم يعاتِبْك فى التخلفْ

فلا تعد بعدَها إليه ... فإنما وده تكلفْ

وإن تعد بعدها إليه ... فلا تلمه على التصلفْ(٣)

وقال آخر :

إذا كتم الصديقُ أخاه سِرًّا ... فما فضلُ الصَّدِيق عَلَى العَدُوِّ (١)

وقال ابن الرُّومى :

عَدُوُّكَ من صديقِكَ مستفادٌ ... فأَقْلِلْ ما استطعتَ مَن الصِّحَابِ

فإن الداءَ أكثرَ ما تراهُ ... يكونُ من الطّعام أو الشرابِ

وإنَّكَ قَلَّما استكثرتَ إلّا ... وقعتَ على ذِئابٍ فى ثيابِ

فدعْ عنك الكثيرَ فكم كثيرٍ ... يُعَابُ وكم قليلٍ مستطابِ

وما اللُّجَجُ المِلَاحُ بِمُرْوِيَاتٍ ... وتلقى الرِّىَّ فى النطف العذابِ

---

(١) ساقط من ج .

(٢) البيت للمتنبى أيضاً ، انظر ديوانه ٢٧٧ .

(٣) البيتان الأول والثانى فى خاص الخاص ١٠٢ ، التمثيل والمحاضرة ... ، معجم الأدباء ١٨٩/١٩ .

إذا انقلبَ الصديق غدا عدوًّا ... مُبِينًا والأمورُ إلى انقلابِ (١)

وقال منصور الفقيه :

احذَرْ عدوَّك مرةً ... واحذر صديقك ألْفَ مَرَّهْ

فلرُبّما انقلب الصديـ ... ـقُ فكانَ أعلمَ بالمضَرَّهْ (٢)

قال آخر :

كُنْ من صديقك خائفاً ... فلرُبَّمَا حال الصديق (٣)

وقال آخر :

احذر صديقَك لا عدوَّك إنما ... مَسْتُورُ سرِّك عند كلِّ صديقِ (٤)

قال أبو بكر الخالدىّ (٥) :

مافى زمانِك ما يعِزُّ وجودُهُ ... إن رمتَه إلاّ صديقٌ مخلصُ (٦)

---

(١) ديوانه ٤٦ .

(٢) ورد البيتان فى محاضرات الأدباء ١٩/٢ منسوبين إلى على بن عيسى .

(٣) فى ا وردت الشطرة الثانية من البيت : فلربما حال الصديق فكان غير صدوق .

(٤) فى ا : كل صدوق .

(٥) هو محمد بن هاشم بن وعلة ، شاعر أديب من أهل البصرة ، اشتهر هو وأخوه سعيد باسم الخالديين ، وكانا من خواص سيف الدولة ولاهما خزانة كتبه ، ولهما عدة مؤلفات فى الأدب ، انظر فوات الوفيات ٢٧١/٢ الأعلام ٣٥٣/٧) .

٦) بيت فى نهاية الأرب /١٠٣ ، لتمثيل والمحاضرة ١٠٣ ، يتيمة الدهر ١٩٨/٢ .

وقال الكُمَيْت يخاطب بنى العباس[١] :

إذا نحن خِفْنَا فى زمان عدوٍّ كُمْ   وخفنا كُمُ إنّ البلاءَ لرَاكِدُ[٢]

وقال آخر :

وبغضُك للتَقِيِّ أقلُّ ضُرًّا   وأسلمُ من مودة ذى الفُسُوقِ
ولن تَنْفَكَّ تُحسدُ أو تُعادَى   فأكْثِرْ ما استطعتَ من الصديقِ[٣]

خالفه ابن الرومى فقال :

عدوُّك من صديقك مستفادٌ   فأقلِلْ ما استطعتَ من الصديقِ
فإن الداءَ أكثرَ ما تراهُ   من الأشياء تَحْلُو فى الْحُلُوقِ[٤]

أكثر رجل على رجل بالسّلام وقال له : أناصديقُك . قال : وكيف ؟ قال : لأنى أسلِّمُ عليك . فأنشأ يقول :

لئن كانَ من قالَ السّلامُ عليكُمُ   يُعَدُّ صديقًا فالصديقُ كثيرُ

---

(١) الصحيح أنه المستهل بن الكميت بن زيد الأسدى ، كما فى عيون الأخبار ومعجم الشعراء ، لأن الكميت مات سنة ١٢٦ هـ ، أى قبل قيام الدولة العباسية ، والمعروف أن المستهل هو الذي وفد على أبى العباس السفاح بالأنبار ، فأخذه الحرس لخبره ، فكتب إلى أبى العباس شعرا منه هذا البيت فأطلقه وأحسن جائزته . انظر الأغانى ١٥/١١٧ ، ١١٨ ، ١٢٢ ، وانظر الأعلام ٨/١٠٧ .

(٢) فى جـ : لواحد   وانظر البيت فى عيون الأخبار ٣/٢٠ ، معجم الشعراء ٤٧٩ .

(٣) البيتان فى عيون الأخبار ٣/٢ ، وفيها : وبغضاء التقى أقل ضيرا .

(٤) ديوانه ١١٠ ، المصون ١٥٢ .

وقال عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر :

لا تُهِنْ للصّديقِ تكرِمُهُ نفْسَكَ حتى تعدَّ من خوَلِهْ
يحمل أثقالَه عليك كما يحملُ أثْقالَه على جَمَلِهْ
ليس الفتى بالذى يَحُول عنِ الْـ عَهْدِ وَيُؤْتَى الصّديقُ من قِبَلِهْ
ولست مستبقياً أخاً لك لا تصفح عن جهله وعن زَلَلِهْ(١)

وقال آخر :

إن الصَّديقَ فلا تَأْمَنْ بوائقَهُ أسْوَا العدوِّ إذا ما سُؤْتَه أَثَرَا

وقال رجل من بنى سَليم :

لَعَمْرك إننى وأبَا رَباحٍ على حال التّكاشُرِ منذ حينِ
فأبغضه ويبغضني وأيضاً يرانى دونه وأراه دُونى
فلو أنّا على حجرٍ ذُبِحنَا جرى الدَّمَيان بالخبرِ اليقينِ

وقال المُتَلَمّس :

أحارثُ إنا لو تُشَاطُ دماؤُنَا تَزَايَلْنَ حتى لا يَمَسَّ دمٌ دَمَا(٢)

---

(١) الأبيات فى عيون الأخبار٣/١٧ ، حماسة البحترى ٣/١٧ ، والبيت الأول فيها : لاتهن لئيم ، وتصفح عما يكون من زلله .

(٢) تشاط : تسفك وتختلط ، وروى : تساط وهما بمعنى ، تزايلن : افترقن ، والبيت فى العقد الفريد ٥/٣٥٩ ، البيان والتبيين ٣/٥٧ ، الحيوان ٣/١٣٦ ، فصل المقال ١٣٢ .

وقال آخر :

إذا كنتَ ممن لا تُرَى نافعاً صديقاً ولا بعـدوٍّ تضرُّ
فسيانَ إنْ متَّ أو إن حييتَ فلا ذا يَسُـوء ولا ذا يَسُرُّ

لأبى عيينة المهلبى، [١] أو على بن جبلة [١] :

ولما رأيتُـك لا فاجـرًا قويًّا ولا أنتَ بالزَّاهِـدِ
وليسَ عـدوُّك بالمتقِى وليسَ صديقُكَ بالحـامدِ [٢]
دخلتُ بك السُّوق سوقَ الرقيقِ وناديتُ هل فيك من زائدِ؟ [٣]
فما جاءنى رجـلٌ واحدٌ يزيدُ على درهمٍ واحـدِ
سوى رجل حانَ منه الشقا ءُ وحلت به دعوة الوالدِ [٤]
مُحَـاطٍ بِهِ [٥] معه درهمٌ ردىءٌ فأقبـل كالراصدِ
فبعتُك منـه بلا شـاهدٍ مخـافةَ ردِّك بالشَّاهـدِ

---

(١) زيادة فى ح .

(٢) يرد بدل هذا البيت فى العقد بيت آخر هو :

ولا أنت بالرجل المتقى ولا أنت بالرجل العابد

(٣) بعد هذا البيت فى العقد :

على رجل خائن للصديق كفور بأنعمه جاحد

(٤) ساقط من ح ، هذا ولم يرد هذا البيت ولا الذى بعده فى العقد بل ورد مكانهما بيت آخر هو :

سوى رجل رادني دانقا ولم يك في ذاك بالجاهد

(٥) فى ح : سوي رجلٍ .

وأُبْتُ إلى منزلى غانماً   وَحَـلَّ البـلاءُ عَلَى الناقدِ[١]

وقال آخر[٢]:

سأصبرُ من صديقٍ إن جفانى   على كلِّ الأذى إلاّ الهوانَا
فإنَّ المرء يجزعُ فى خَلاَءٍ[٣]   وإن حضر الجمـاعةَ أن يُهانَا

قال العَطَوى :

إذا ما الحرُّ فازَ[٤] بحُسْنِ حالٍ   أجازَ صديقَه من سُوءِ حَالِ
إذا أَثْرَى رأى حقًّا عليه   له الإفْضَالَ من قبل السؤالِ
لعَمْرُكَ ما رأيتُ فتى كريمًا   يحب المـالَ إلا للنوالِ
أبا حسنٍ تـكلتُ الحزمَ فيما   أحاولُ من مقالى أو فعالِى
[٥]لقدْ كذبت ظنونى فيك أن لم   أتُبْ من حُسْنِ ظنِّى بالرجالِ[٥]

وقال آخر:

إذا ما المرءُ كانَ له صديقٌ   فبرُّ صديقِهِ فَرْضٌ عَلَيْهِ

(١) انظر الأبيات كما هنا فى الصداقة والصديق ٨٦ ، وانظرها مع الخلاف الذى أوضحت فى العقد الفريد ٣/٤٥٢ ، ولم تنسب فى كليهما .

(٢) هو عمير بن جعيل التغلبى كما فى معجم الشعراء ٢٤٥ ، وسماه فى العقد الفريد ٢/٣١١ عمر بن جميل التغلبى وهو تحريف ، انظر البيتين فيهما ، وفى الـكامل ١/١٩٩ ، عيون الأخبار ٣/١٥ .

(٣) فى حـ : فى هوان .

(٤) ا : إذا ما المرء جاز بحسن حال .

(٥) ساقط من ا .

فَإِنْ عَنْهُ الصَّدِيقُ أقامَ يوماً فوَجْهُ الْبِرِّ أَن يَسْعَى إليهِ
وإنْ كانَ الصديقُ قليلَ مالٍ يضيقُ بذرعِهِ ما فى يديهِ
فمِنْ أسْنَى فعالِ المرءِ ألا يضنَّ على الصديق بما لديهِ

وقال آخر :

ما ضاقَتِ النَّفسُ عَلَى شَهْوَةٍ ألذَّ من ودٍّ صديقٍ أَمينْ
من فاته ودّ أخ صالح فذلك المغبون حق اليقينْ

(١ عبد الله بن طاهر ، ويروى لعلى بن الجهم ، وهى له لا غيره ١) ، حدثنا عبد الوارث ، حدثنا قاسم بن أصبغ ، حدثنا أبو عيسى الأعمى الخباز ببغداد ، قال : أخبرنى يحيي بن المعلم ،قال : مررت بعلىّ بن الجهم، وقد أُذّن لصلاة الظهر ، وقد دخل المسجد يريد أن يركع(٢) ، فسلمتُ عليه وقلت له : لا يمكننى أن أقيم حتى تصلى لأنى مبادر ، قال : فيم ذا ؟ فقلت : أبيع قميصى هذا وأُكافئ به صديقا له قِبَلِي يدٌ. قال : فلم أمش إلاّ قليلا حتى ردنى ، فقال لى : اكتب وأَنْشِدْنى(٣) :

أميلُ معَ الصديقِ على ابنِ أُمِّي وَأَحْمِلُ للصّديق على الشقيقِ(٤)

(١) ساقط من ا ، م .
(٢) فى ا : ابن وكيم وهو تحريف .
(٣) هذه الرواية ساقها المؤلف لتصحيح نسبة الأبيات إلى على بن الجهم ، والواقع أنها تذهب أيضا إلى أحد اثنين ، إلى عبد الله بن طاهر وقد ورد ذلك فى عيون الأخبار ٢٦٦/١ ، أمالى القالى ٣١٤/٢ ، أو إلى إبراهيم بن العباس الصولى كما ورد فى الأغانى ٢٣/٩ (بولاق) ، زهر الآداب ١٥٦/٤ ، ٥٧ ، معجم الأدباء ١٧٤/١ .
(٤) فى الأمالى والعيون : أميل مع الذمام ، وفى العيون : وأحتمل الصديق .

وإن ألفيتَنِي مَلْـكًا مُطَاعًا ... فإنّك واجدِى عبدَ الصديقِ [١]
أفرّقُ بينَ معروفى ومَنِّى ... وأجمعُ بين مالى والحقوقِ

قالوا : احذر من وتَرْتَه وإن أحسنت إليه ، ومن أوحشته فلا تثقْ به .

قال الشاعر[٢] :

إذا وتَرْتَ امرءًا فاحذر عداوتَهُ ... مَنْ يزرع الشَّوكَ لا يحصدْ به عنبَاً
إن العــدوَّ وإن أبدى بشاشتَهُ ... إذا رأى منك يومًا فرصةً وثبَاً

وقد تقدم فى باب التودد إلى الناس أبياتٌ تصلح فى هذا الباب ، فلم أر وجهًا لتـكرارها .

(١) فى معجم الأدباء وزهر الآداب : حرا بدل ملـكا .
(٢) هو صالح بن عبد القدوس كما سبق فى ص ٩٦٠ .

بابٌ جامعٌ متخيَّرٌ فى الإخوانِ

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « المرء على دين خليله ، فلينظر امرؤٌ من يخالِلْ » .

(١) قال الأوزاعىّ : الصاحبُ للصاحب كالرقعةِ للثوب ؛ إن لم تكن مثله شانَتْه (١) .

قال الشاعر :

وماصاحبُ الإنسان إلا كرُقْعةٍ على ثوبه فلينخذْهُ مُشَاكلا

وقال صلى الله عليه وسلم : « لا خيرَ فى صحبةٍ من لا يرَى لك كالذى يرى لنفسه » .

وفى الخبر المرفوع أيضا « شيئانَ لا يزدادانِ إلاّ قلة : درهمٌ حلال ، وأخٌ فى الله (٢) تسكن إليه » .

وقد رُوى مرفوعًا : « المرء كثيرٌ بأخيه » .

قال علىٌّ بن أبى طالب ، رضى الله عنه : لا خير فى صحبة من تجتمع فيه هذه

---

(١) ساقط من ج .

(٢) ساقط من ا .

الخلال : من إذا حـدَّثك كذَبَك ، وإذا ائتمنته خانك ، وإذا ائتمنك اتهمك ، [1] وإذا أنعمت عليه كفَرك [1] ، وإذا أنعم عليك منّ عليك .

ومن كلام أبى الدرداء : معاتبةُ الأخ أهونُ من فقده ، ومن لك بأخيك كله ، فأعط أخاك ، وهب له ، ولا تطع فيه كاشحاً فتكون مثله .

وعن ابن عباس أنه قال : أحْبِبْ فى الله ، وأبْغِض فى الله ، وعادِ فى الله ، فإنه لا تُنال موالاةُ الله إلا بذلك ، ولن يجد عبدٌ طعمَ الإيمان — ولو كثرت صلاته وصومُه — حتى يكون كذلك . قال : ولقد صارت عامة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا ، وذلك لا يجدى على أهله[2] ، ثم قرأ ابن عباس : ﴿الأخلاَّء يومئذٍ بعضُهُم لبعضٍ عدوٌّ إلا المتقين﴾[3] ، وقرأ : ﴿لا تجدُ قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حادّ الله ورسوله﴾[4] الآية .

قال المغيرةُ بن شعبة : النّازلُ للإخوانِ مَنْزول .

قال المنصور لإسحق بن مُسلم العقيلى : ما بقىَ من لذَّتِك ؟ قال : أخٌ أشتهى معه طولَ السهر ، ودابةٌ أشتهى معها طولَ السَّفَر .

قال جعفرُ بن محمد : حِفظُ الرجل أخاه بعد وفاته فى تركته كَرَم .

---

(١) ساقط من ا .
(٢) فى ا : وذلك لا يجرى على أهلها .
(٣) سورة الزخرف ، الآية ٦٧ .
(٤) سورة المجادلة ، الآية ٢٢ .

كان يقال : أنصحُ الناس لَكَ[١] من خاف الله فيك .

قال موسى بن جعفر : من لك بأخيك كلّه ، لا تَسْتقص[٢] عليه فتبقى بلا أخ .

كان يقال : الأُخُوّة قرابةٌ مستفادة .

كان يقال : ما شيءٌ أسرع فى فساد رجل وصلاحه من صاحبه .

ذكر الرياشى ، عن الأصمعى ، قال : ما رأيت شعرًا أشبه بالسنة من قول عَدِيّ بن زيد :

عن المرء لا تسأل وسَلْ عن قرينِهِ ... فكلُّ قرينٍ بالمُقَارنِ مُقْتَدِى
وصاحبْ أُولِى التَّقوى تنلْ من تُقاهُمُ ... ولا تصحب الأرْدَى فتردَى مع الرّدِى[٣]

وقال أبو العتاهية :

من ذا الذى يَخْفى عليـ ... ـكَ إذا نظرتَ إلى قَرِينه[٤]

قال الخُوَارزمى :

لا تصْحبِ الكسلانَ فى حاجاته ... كم صالحٍ بفسادِ آخــر يَفْسُدُ

---

(١) فى حـ : فيك .

(٢) فى ا : لا تستنقص .

(٣) ورد البيتان معاً فى : شعراء النصرانية ٤٦٦ ، جمهرة أشعار العرب ١٠٢ ، وورد الأول فى : معجم الشعراء ٢٥ ، عيون الأخبار ٣/٧٩ ، حماسة البحترى ٣٢٦ ، التمثيل والمحاضرة ٥٢ ، وقد نسب البيت لطرفة وورد فى ديوانه ، ولكن الراجح أنهما لعدى .

(٤) ديوانه ٢٨٢ ، وفيه : خدينه بدل قرينه .

عدوَى البليدِ إلى الجليدِ سريعةٌ ... والجمرُ يُوضعُ فى الرمادِ فيخمُد(١)

كان سفيان بن عيينة يتمثل :

لكلِّ امرئٍ شكلٌ يقرُّ بعينِهِ ... وقرة عينِ الفَسْل أن يصحب الفَسْلا(٢)

وقال صالح بن جَنَاح :

وصاحبْ إذا صاحبتَ حُرًّا مُبرِّزاً ... يَزِينُ وَيُزْرِى بالفتى قرناؤه(٣)

وقال سهل الوراق :

تخيَّرْ قريناً لا يَعيبُ(٤) فإنّه ... يقاسُ لَعَمْرى بالقرين قرينُه

وشرُّ خدينٍ قاطعٌ لخدينه ... إذا حادَ يوماً عن هواه خدينُه

وقال آخر :

إن النَّديمَ وإن الكأسَ صيَّرنى ... كما ترانى سليبَ العقلِ والدينِ(٥)

(٦) قالوا : من أراد أن يدوم له ودُّ أخيه ، فلا يمازحه ، ولا يعده موعداً فيخلفه (٦) .

---

(١) البيتان فى التمثيل والمحاضرة ١٢٥ .

(٢) البيت فى البيان والتبيين ٣/١٧٥ ، الحيوان ٧/١٥٨ . والفسل : النذل الذى لا مروءة له .

(٣) فى ا : وزراؤه .

(٤) فى حـ : لا يعاب .

(٥) فى محاضرات الأدباء ١/٣٢٠ ، ورد الشطر الأول من البيت : إنى غفلت عن الساق فصرنى .

(٦) ساقط من ا .

أوصى رجلٌ ابنه فقال : يا بنىّ ! اصحب من إذا غبتَ عنه خَلَفَك ، وإن حضرتَ كنَفَك ، وإن لقى صديقَك استزادَهُ لك ، وإن لقى عدوَّك كفَّهُ عنك .

وقال بعضُهم : لا تؤاخِ شاعرًا ؛ فإنه يمدحك بثمن ، ويهجوك مجانًا .

لابن أخى زِرّ بن حُبَيْش[1] :

وما استخبأتَ فى رجل خبيئًا ... كَدينِ الصّدقِ أو حَسَبٍ عتيقِ

كان من كلام خالد بن صفوان : اصحب من إن صحبته زانك ، وإن خدمته صانك ، وإن أصابتك فاقة مانك[2] ، وإن رأى حسنة عدها ، وإن رأى سيئة كتمها وسترها ، لا تخاف بوائقه ، ولا تختلفُ طرائقه .

قال أبو العتاهية :

لَكَ الخَيرُ إنّى ناصحٌ لك فاسْمَعِ ... طمعتَ من الإنسانِ فى غير مَطْمعِ
طمعتَ من الإنسان فى صَفْوِ وُدِّهِ ... ألا ليس يَصْفُو ذو طبائعَ أربعِ

---

(١) زر بن حبيش بن حباشة بن أوس الأسدى ، من جلة التابعين ، وقد عاش فى الجاهلية وأدرك الإسلام ولكنه لم ير النبى صلى الله عليه وسلم ، وكان زر عالما بالقرآن فاضلا ، سكن الكوفة وعاش فيها حتى مات فى وقعة بدير الجماجم سنة ٨٣ هـ . انظر الإصابة ١/٥٧٧ (الأعلام ٣/٧٥) هذا ولم أستطع معرفة ابن أخيه هذا الذى نسب المصنف إليه البيت ، وقد نسب فى حماسة البحترى ٢٥٦ ليزيد بن الحكم الثقفى ومن المؤكد أن يزيد ليس ابن أخى زر ، فيزيد ثقفى من الطائف ، وزر أسدى كوفى .

(٢) مانك : احتمل مؤونتك .

خذالعفوَ من كلِّ امرىءٍ سُمْتَ وُدَّهُ ... وإن ضاق عمـــا شُمْتَهُ فتوسعِ[1]

ولأبى العتاهية أيضا :

يارُبَّ خدنٍ كنت آمن غَيْبَهُ ... أُصبحْتْ تنطفُ فى يديه جِراحِى

سلَّحتُه ليردَّ بأسَ عـــدوِّهِ ... فـعدَا علىَّ فبزَّنِى بِسِلاَحِى[1]

وقال الماقُولى[2] :

من يُـكرمِ الناسَ يُـكْرِمُوهُ ... ومن يُهِنْهُمْ يجـدْ هَوَانَا

ومن يُقِـــلْ عثرة يُقِلْها ... ومن يُعِنْ لَمْ يزَلْ مُعَانَا

كان أخاَ صاحباً زمانا ... فـــــالَ عن وَصْلِناَ وَخاَناَ

تاه علينا ، وصـدّ عَنّـا ... فـــا نراهُ ولا يَرَانَا

وقيل لخالد بن صفوان : أىُّ إخوانك أحب إليـك ؟ قال : الّذى يغفر زَلَلى ، ويقبلُ عِللى ، ويسدّ خَلَلِى .

قال المأمون : الإخوانُ على ثلاث طبقاتٍ : فإخوان كالغذاء لا يُسْتَغنى عنهم أبدا ، وهم إخوان الصَّفاَء ، وإخوان كالدواء يُحتاج إليهم فى بعض الأوقات ، وهم

---

(١) لا توجد هذه الأبيات فى ديوانه المطبوع .

(٢) هذه النسبة إلى دير العاقول وهى بليدة بالقرب من بغداد ، ذكر ابن الأثير فى اللباب ٢/١٠٥ ، ٦ بعض من ينسب إليها من العلماء ، ولا يمكن القطع بنسبة الأبيات إلى أحدهم لمجرد أنه عاقولى ، هذا وقد ورد فى ديوان ابن المعتز ٢/٢٣ البيتان الأخيران مع اختلاف يسير فى ألفاظ الرواية .

الفقهاء ، وإخوان كالدّاء لا يُحتاج إليهم أبدا ، وهم أهل الملق والنفاق لا خير فيهم .

قال على بن أبى طالب رضى الله عنه : اصْحبْ من ينسى معروفه عندك ، ويذكر حقوقَك عليه .

كان[١] ابن عُيَيْنة ماشيا بمكة مع بعض إخوانه ، فنظر فإذا أحداثٌ يتبعونه ، فقال له : انظر من صار جلاّسى اليوم بعد ثمانين سنة ... لقد كنتُ ابنَ عشرين سنة وما كنتُ أجالس أبناء العشرين ، وإنما كنت أجالس الشيوخ والكهول ، ألم تسمعْ إلى قول عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ؟ قلت : لا . قال : قال عبيدُ الله :

ألا أبْلِغَا عنى عِرَاكَ بن مَالِكٍ ... فإن أنتما لم تَفعلا فأبَا بَكْرِ[٢]

ويروى : ... ولا تَدَعَا أن تُثْنِيَا بأبى بكرِ

---

(١) من هنا حتى آخر أبيات أبى الأسود الدؤلى فى الصفحة التالية زيادة فى ا .

(٢) أما عراك فهو عراك بن مالك الغفارى الكنانى المدنى ، تابعى جليل ومحدث ثقة ، كان من أشد أصحاب عمر بن عبد العزيز على بنى مروان فى انتزاع ما حازوا من الفىء والمظالم من أيديهم ، فلما ولى يزيد ابن عبد الملك نفاه إلى دهلك على حدود اليمن ، ومات بها فى خلافته على الأصح . انظر تهذيب التهذيب ٧/١٧٢ ، ١٧٣ ، وأما أبو بكر فهو أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصارى الخزرجى . قاضى المدينة وأميرها لعمر بن عبد العزيز ، كان عابداً ثقة كثير الحديث ، ويقال : إنه كان أعلم أهل المدينة بالقضاء ، توفى عن سن عالية نحو سنة ١٢٠ هـ . انظر : شذرات الذهب ٢/١٥٧ ، تهذيب التهذيب ١٢/٣٨ . هذا وقد ورد البيتان ضمن أربعة أبيات لعبيد الله بن عبد الله بن عتبة الفقيه فى أمالى المرتضى ١٢/٣٩٨ ، ٣٩٩ ، وذكر هناك القصة الأصلية لها ، كما وردت القصة أيضاً برواية مختلفة فى الأغانى ٨/٩١ ، ٩٢ . وملخصها أن عراك بن مالك وأبا بكر بن حزم وعبيد الله كانوا يتجالسون بالمدينة زمانا ، ثم ان ابن حزم ولى إمرتها ، وولى عراك القضاء ، وكانا يمران بعبيد الله فلا يسلمان ولا يقفان ، وكان ضريرا فأخبر بذلك فأنشأ يقول : وأورد الأبيات انظر البيتين أيضا فى عيون الأخبار ٣/٢ ، ٨ ، الحيوان ٧/١٥٨ .

فكيف تَلُومانِ ابنَ سبعينَ حِجةً ... على ما أَتى وهو ابنُ عشرين أو عشرِ

وقال آخر :

أبن لى فكنْ مثلى ، أو ابتغِ صاحبًا ... كمثلِك إنّى مبتغٍ صاحبًا مثلى

ولا يلبث الإخوان أن يتفرقوا ... إذا لم يؤلّفَ روح شكل إلى شكلِ

قيل لبعض المدنيين : أى الهوى أغلب ؟ قال : هوى مُتَشَاكِلَيْن .

ولعبد الصمّد بن المعذّل :

الناس أشكالٌ فكلُّ امرىءٍ ... يعــرفُه الناس بمنتابِهِ

لا تسألنّ المــرءَ عن حالِهِ ... ما أشبهَ المرءَ بأصحابِهِ

وقال أبو الأسود الدؤلى :

لكلِّ امرىءٍ شكل من الناس مثلُهُ ... وكل امرىءٍ يَهْوَى إلى من يُشَاكلُهْ

ومالك بُدٌّ من نزيل فلا تكن ... نزيلاً لمن يسعى به من يُنَازِلُهْ

وإن أنت نازلتَ الكريمَ فلاقِهِ ... بما أنت من أهــل المروءة قائلُهْ

وإن أنت نازلتَ اللئيم فكن فتًى ... تزايلُه فى فعـله وتحامِلُهْ

إذا لم تُدَاخلْ حزْمَ من كان ذا حجًا ... وعزمٍ وحزمٍ لم تجدْ من تُدَاخِلُهْ

وما الناسُ إلاَّ بالأصــولِ فإنّما ... يُثَبِّتُ أعلى كلِّ بيتٍ أسافلُهْ (١)

---

(١) الأبيات فى ديوانه ١٦٢ .

وقال جرير[١] :

وإنى لأستحيي أخي أن أرى لَهُ ... عليَّ من الحقِّ الذى لايَرى لِيَا

وفى هذا الشعر يقول جرير :

ألاَ تخافاَ نبـوتى فى مُلِمّـة ... وخافا المنايا أن تفوتـكُماَ بِيَا

تَعَرَّضْتُ فاستمرَرْتَ من دُونِ حاجتى ... فحالَكَ إنِّى مستمرٌّ لحاليَا

وإنّى لمغـرور أعلَّلُ بالمُنى ... لَيَـالِىَ أرجو أنَّ مالكَ ماليَا

فأنتَ أخى مالم تـكن لىَ حاجةٌ ... فإن عَرَضتْ أيقنتُ ألاّ أخاليَا

وهذا البيت من شعر جرير هذا قد أدخله عبد الله بن معاوية [٢]بن عبد الله بن جعفر[٢] فى أبياته التى يقول فيها ، فلا أدرى من تقدم صاحبه إليه :

رأيت فُضَيْلاً كان شيئا ملفَّفًا ... فـكشَّفَهُ التمحيصُ حتَّى بدا لِيَا

فأنتَ أخى مالم تـكن لِىَ حاجةٌ ... فإن عَرَضَتْ أيقنتُ ألاّ أخَالِيَا

فلا زادَ ما بيني وبينك بَعْـدَمَا ... بـلوتُك فى الحاجات إلا تَنَائيا

ولستَ براءٍ عيبَ ذى الود كلَّه ... ولا بعضَ ما فيه إذا كنتَ راضيا

فعينُ الرضا عن كل عيبٍ كليلةٌ ... ولـكنَّ عين السُّخْط تُبْدِى المساويا

---

(١) الأبيات الآتية فى ديوان جرير ٥٠٦ ، وانظرها من قصيدة طويلة فى النقائض ١٧٧ ط أوربا ، وفيها : فأنت أبى ... لا أباليا .

(٢) ساقط من ا .

كلانا غنيٌّ عن أخيه حياتَه ... ونحن إذا متنا أشـد تغانيا (١)

وقد أدخل بعضهم فى هذه الأبيات بيتين ، وهُما :

ولستُ بهيَّابٍ لمن لا يَهَابُني ... ولستُ أرى للمرء مالا يَرَى لِيَا
متى تَدْنُ مِنِّي تدنُ منك مَوَدَّتِي ... وإن تَنْأَ عنِّي تُلْفنى عنك نَائِيَا (٢)

(٣) وقال روح أبو همام :

فعينُ السّخط تُظْهِرُ كلَّ عَيْبٍ ... وعين أخى الرِّضا عن ذاك تَعْمَى (٣)

وقال معنُ بن أوس :

إذا أنت لم تُنصفْ أخاكَ وجدتَهُ ... على طرف الهِجْرَان إن كان يعقلُ
ستقطعُ فى الدنيا إذا ما قطعتَنِي ... يمينك فانظرْ أى كفٍّ تبدَّلُ (٤)

---

(١) هذا البيت وارد فى ا فقط ، وانظر الأبيات لعبد الله بن معاوية فى عيون الأخبار ٣/٧٥ ، الكامل ١٢٥/١ ، زهر الآداب ١/١٢٥ .

(٢) نسب هذان البيتان فى حماسة أبى تمام ١٦٤/٠ لأبى بن حمام العبدى ، ووردا مع بيت جرير الأول: وإنى لأستحيى . والبيت الأخير من أبيات عبد الله : كلانا غنى ... فى قصيدة طويلة فى أمالى القالى ٣/٧٣ ، ٧٤ لسيار بن هبيرة أحـد بنى ربيعة الجوع بن مالك بن زيد مناة فى عتاب أخويه خالد وزياد ، كما نسب البيتان المذكوران فى التمثيل والمحاضرة ٣١٠ للمتنبى ولا يوجدان فى ديوانه .

(٣) ساقط من جـ ، وفى ا : قال أبو العتاهية وهو خطأ فالبيت ليس له ولم يرد فى ديوانه ، وسيأتى بالنسبة الصحيحة فيما بعد ، وانظره فى الصداقة والصديق ٩٠ .

(٤) وردّ البيتان منسوبين لمن فى حماسة أبى تمام ٣/٢ ، ٤ ، الكامل ١/٣٦٤ النوادر ٢١٨ ، حماسة البحترى ٢٨ ، ٩ ، العقد الفريد ٤/٤٤ ، ونسبا فى العيون ٣/١٨ لجرير وليسا فى ديوانه .

كتب ابن عمار[١] إلى برجوان كتابا فيه قول الشاعر :

ستقطع فى الدنيا إذا ما قطعتنى … يمينك فانظر أى كف تبدل

فدعا برجوان شاعرا كان قد استخصه يعرف بابن أعين ، وقال له : أجب عن هذا البيت ، فقال :

ومازلتُ أُهْدى النصحَ حتّى اطَّرَحْتَهُ … وأقبلتَ عن سبلِ الهِدَايةِ تَعْدِلُ
فهبك يمينى اسْتَخبثتْ فقطعتُها … لتسلمَ لى نفسى أم الهُلْكُ أجملُ

وهذا المعنى مأخوذ من قول عبيد الله بن عبد الله بن طاهر :

ألم تر أن المـــــرء تَدْوَى يمينُه … فيقطعُها عمدًا ليسلمَ سائرُهْ
فكيف تراهُ بعد يمناه فاعِلاً … بما ليس منه حين تَدْوَى سَرَائِرُهْ[٢]

أنشدنى أبو القاسم عبد الوارث بن سفيان ، قال : أنشدنا أبو محمد[٣] قاسم ابن أصبغ ، قال : أنشدنا أبو بكر بن أبى خيثمة لأبى الشيص محمد[٣] بن عبد الله ابن رزين[٤] :

---

(١) لعله إسماعيل بن عمار بن عيينة بن الطفيل الأسدى ، وهو شاعر من مخضرمى الدولتين الأموية والعباسية ، كان هجاء مرا ، وقد اتهمه والى الكوفة بأنه من الشراة ، وأنه من دعاة المختار بن أبى عبيد الثقفى ، فسجنه ولم يطلق سراحه طيلة ولايته ، فلما تولى الكوفة الحكم بن الصلت أطلقه وأحسن إليه فأكثر من مدحه ، وقد توفى ابن عمار حوالى سنة ١٥٧ هـ . انظر الأغانى ١١/٣٦٤ وما بعدها (طبعة دار الكتب) . هذا ولم أعثر على ترجمة لبرجوان أو شاعره ابن أعين فيما تحت يدى من مراجع .

(٢) تدوى : تمرض ، وانظر البيتين فى المثيل والمحاضرة ١٠٣ ، نهاية الأرب ٣/٩٦ .

(٣) ساقط من ا .

(٤) انظر الأبيات فى الصفحة التالية فى الصداقة والصديق ٥٣ ، ومع اختلاف فى الترتيب فى عيون الأخبار ٣/٨١ ، ووردت الأبيات ١ ، ٢ ، ٥ فى العقد الفريد ٢/٣٤٧ منسوبة لابن أبى حازم ، وانظر المحاسن والأضداد ٤١ .

صاحبٍ كان لى وكنتُ لَهُ أشفقَ من والدٍ على ولدِ
كنا كساق تَسْعى بها قدمٌ أو كذراعٍ نيطتْ إلى عَضُدِ
وكان لى مُؤْنِسًا وكنتُ له ليستْ بنا حاجةٌ إلى أحدِ
حتى إذا حلت الحوادثُ مِن ساَحَتى وحلّ الزمانُ من عُقَدِى
احْوَلَّ عنى وكان ينظرُ مِنْ عَيْنِي ويرمِى بساعدِى ويَدِى
(حتى إذا استرفدَتْ يدى يدَه كنت كمسترفدٍ يد الأَسَدِ)[1]

وقال آخر :

وإنى لأستحيي أخى أن أبرَّهُ قريبًا وأن أجفُوهُ وهو بعيدُ

وقال آخر :

قلت للفرْقدَيْن إذ طال لَيْلِي وهما فى السماء مُقْترنانِ
[ابقيا كيفَ شِئْتُما عن قليلِ سوف تُطْوَى السّماو تفترقانِ][1]

قيل لأعرابى : لم قطعت أخاك من أبيك ؟ فقال : إنى لأقطع الفاسد من جسدى الذى هو أقرب إلىّ من أبى وأمى وأعز فقدا .

قال ابن ميّادة :

ألم تكُ فى يُمْنَى يديك جعلتَنِي فلا تجعلنِّي بعدها فى شِمَالِكا

---

(١) ساقط من م .

وقال آخر :

لا تُهنّى بعد أن أكرمْتَنِي　　فشَـديدٌ عادةٌ منتزَعَه[١]

وقال آخر:

وكلُّ أخٍ مفارِقُهُ أخوه　　لَعَمْرُ أبيك إلاّ الفَرْقَدانِ[٢]

وقال آخر[٣] :

لن يلبث القرناء أن يتفرقوا　　ليلٌ يكرُّ عليهم ونَهارُ

وقال محمد بن أبي حازم الباهلي :

لم يك مِنْ شَـكلِي ففارقتُه　　والناسُ أَشْـكالٌ وَأُلاَّفُ[٤]

وقال ابن الرومى[٥] :

* وبعض السجايا ينتمين إلى بعض *

---

(١) نسب البيت فى عيون الأخبار ٣/١٩٥ لأبى العيناء ، ونسب فى حماسة البحترى ٢٠٩ ، إلى أنس بن أبى أنس الليثى ، وفيهما : بعد إكرامك لى ، ونسب فى زهر الآداب ١/٣٢٦ إلى أبى الأسود ، وورد فى إعتاب الكتاب ٢٥٥ بدون نسبة .

(٢) ورد البيت فى المؤتلف ٨٥ ، حماسة البحترى ٢٢٤ منسوبا إلى حضرمى بن عامر ، ونسب إلى عمرو ابن معد يكرب فى الكامل ٢/٢٩٨ ، البيان والتبيين ١/٢٢٣ ، وورد فى التمثيل والمحاضرة ٢٣٥ بدون نسبة .

(٣) هو جرير ، انظر ديوانه ٢٠١ .

(٤) فى ح : لم يك لى شكلا ، وانظر البيت فى المؤتلف والمختلف ٨٥ ، المحاسن والمساوى ٢/٢٠٦ ,

(٥) لم ترد هذه الشطرة فيما طبع من ديوانه .

قال حبيب :

ولن تنظِمَ العِقْدَ الكِعَابُ لزينةٍ ... كما ينظمُ الشَّملَ الشَّتيتَ الشمائلُ[١]

وقال المُسَاحِقى :

تُزَهِّدنى فى وُدّك ابنَ مُسَافِعٍ ... مودّتك الأرْذَالَ دون ذوِى الفَضْل

وأن شِرَار النـاسِ سادُوا خيارهم ... زَمانَكَ إن الرَّذْل للزمنِ الرَّذْلِ[٢]

قال أكثم بن صيفى : أحقُّ من يَشْرَكُك فى النعمة شركاؤك فى المكاره .

أخذه دعبل فقال ، ويروى لحبيب :

وإن أولَى البرايا أن تواسِيَهُ ... عندالسُّرور لمن واساك فى الحَزَنِ

إنّ الكرامَ إذا ماأسهلوا ذكروا ... من كان يألفُهُمْ فى المنزل الخشِنِ[٣]

وقال آخر :

إذا ما خليلى أسا مَرَّةً ... وقد كان من قبلها مُجْملا

شكرتُ المقدَّمَ من فعلِهِ ... ولم يُفسِدِ الآخرُ الأوّلا[٤]

---

(١) ديوانه ٣٠٥ .

(٢) البيتان فى عيون الأخبار ٣/٨ .

(٣) نسب البيتان لأبى تمام فى خاص الخاص ٩٥ ،عيون الأخبار ٣/٢٠ ، وانظرهما فى ديوانه ٣١٤ ،ونسبا للصولى ووردا فى ديوانه ١٧٧ ، وانظر وفيات الأعيان ١/٢٩ ، معجم الأدباء ١/١٩٢ ، ويروى لمن والاك بدل واساك ، وانظر التحقيق فى ديوان دعبل ٣٥٧ .

(٤) ورد البيتان فى العقد الفريد ٣/٢٧٧ منسوبين لطاهر بن عبد العزيز ، ونسبا فى محاضرات الأدباء ٢/٥ لأبى منصور الفقيه .

وقال امرؤ القيس بن عانس الكندى[١] :

إنّى بحَبْلِكَ واصلٌ حَبْلِي وبريشِ نَبْلِك رائشٌ نَبْلِي

وشمائِلِي ما قد علمتَ وَمَا نبحَتْ كلابُك طارقاً مثلِي

قال عَبِيد[٢] :

لا أُلْفِيَنَّك بَعْدَ الموت تندُبُنِي وفى حياتِي مازوَّدْتَنى زادِي

الخيرُ أبقَى وإنْ طال الزمانُ بهِ والشرُّ أخبثُ ما أوعيتَ من زادِ

قال آخر :

وإذا تـكونُ عظيمةٌ أُدْعَى لهَا وإذا يحَاسُ الحيْسُ يدعى جنْدَبُ[٣]

وقال آخر :

إذا كنت تأتِى المرء تَعْرِفُ حقَّهُ ويجْهَلُ منك الحقَّ فالتّرْكُ[٤] أجملُ

---

(١) مضت ترجمته فيما سبق ، وانظر البيتين فى الأغانى ١/٣١٣

(٢) انظر البيتين لعبيد بن الأبرص فى التمثيل والمحاضرة ٥٠ ، الشعر والشعراء ١٤٥ ، اللسان ١٥/٣٩٧ . والأول فى البيان والتبيين ٣/١٠٥ فصل المقال ٢٠٥ ، الصداقة والصديق ٨١ ، وورد الثانى فى العقد الفريد ٤/٣٠ إلى النابغة ، هذا وقد فصل ناسخ النسخة ج بين البيتين بكلمتى : قال آخر ، وهو خطأ .

(٣) الحيس : تمر يخلط بسمن فيعجن شديدا ثم يندر منه نواه ، وربما جعل فيه سويق ، هذا وقد ورد البيت وحده ومع أبيات فى كثير من كتب الأدب ، واختلفت نسبته فيها . ففى حماسة البحتري ١٠٩ قال : إنه لعامر بن جوين الطائى أو منقذ بن مرة الكنانى ، وفى المؤتلف ٣٨ ، أمالى القالى ٣/٨٥ نسب لابن أحمر الكنانى أو زرافة الباهلى ، ونقلت هذه النسبة بنصها فى اللسان مادة حيس ، وانظر البيت ضمن سبعة أبيات فى عيون الأخبار ٣/١٨ ، ١٩ ، وانظر التحقيق فى هامشه ، فقد أورد للأبيات نسبة أخرى .

(٤) فى م : فالصبر .

وفى البُعْد منجاةٌ وفى الصرم راحةٌ ... وفى الأرضِ عمن لا يواتيك مَرْحَل[١]

وقال آخـر :

لهُ حقٌ وليس عليه حَـقٌ ... وَمَهْمَا قال فالحسنُ الجميلُ

وقد كان الرسولُ يرى حقوقًا ... عليه لأَهْلِها وهو الرسول[٢]

قال آخر :

وددُتك لما كان وُدُّكَ خالصاً ... وأعرضتُ لما صار نهباً مُقَسَّماَ

ولن يلبث الحوضُ الجديدُ بناؤُهُ ... على كُرُهِ الوُرَّادِ أن يتهـدَّماَ[٣]

وقال إبراهيم بن العباس الصولى :

[٤]نعـم الزمانُ زمانِى ... والشّانُ فى إخوانِى

ممن رمانِى لمّـــا ... رأى الزمانَ رمانِى[٤]

لو قيل لى خـذ أمانًا ... من أعظم الحـدثانِ

(١) ويروى : مزحل وما بعني ، وانظر البيتين فى عيون الأخبار ٣/١٩ ، وفيها : وفى العيش منجاة وفى الهجر راحة .

(٢) نُسب البيتان فى الـكامل ١/٣٢٢ إلى عبد الله بن حسن بن حسن ، ووردا فى عيون الأخبار ٣/ ٢٠ بدون نسبة ، وفيهما : عليه لغيره بدل أهلها ، وفى زهر الآداب ١/١٢٦ أنهما لأبى عاصم محمد بن حمزة الأسلمى فى الحسن بن زيد بن الحسن بن على بن أبى طالب .

(٣) البيتان فى زهر الآداب ٤/٢٦ ، محاضرات الأدباء ٢/١٠٥ وفيها : تبعتك لما كنت عندي ممتعا بدل الشطرة الأولى .

(٤) ساقط من ا .

لما أخـــــــذت أمانًا إلا من الإخـوانِ[١]

وقال أيضاً :

وكنتَ أخِي بإخاءِ الزمانِ فلما نَبَا صرتَ حربًا عوانَا

وكنت أذمُّ إليك الزمانَ [٢]فأصبحت فيك أذم الزمانَا

وكنت أعدك للنائبات [٢] فها أنا أطلب منك الأمانَا[٣]

وقال آخر — وهو كُثَيِّر عَزّة[٤] :

خير إخوانك المشارك فى المرّ (م) وأين الشريك فى المرّ أينا

الذى إن حضرتَ زانك فى الحىّ (م) وإنْ غبت كان أُذْنًا وَعَيْنَا

أنت فى معشرٍ إذا غبتَ عنهم بدَّلُوا كل ما يَزِينُك شَيْنَا

وإذا ما حضرتَ قالوا جميعاً : أنتَ من أكرمِ العِبادِ علينَا

وقال آخر :

لحا اللهُ وصلا إن تغيبتَ ساعةً فأنتَ وأقصى الناس فيه سواء

وخِلاًّ إذا لم تأته بهديةٍ[٥] بدَتْ لك منـــه غَفْلَةٌ وجفاء

---

(١) الأبيات فى ديوانه ١٦٨ .

(٢) ساقط من ا .

(٣) الأبيات فى ديوانه ١٦٦ ، ١٦٧ .

(٤) وردت الأبيات غير منسوبة فى العقد الفريد ٢/٣٠٨ ، وانظرها فى ديوان كثير ٢/١٩٤ .

(٥) ساقطة من ا .

وقال المُثَقّبُ العَبْدى[١] :

تُواعِدُنى مواعـدَ كاذباتٍ ... تمرُّ بها رياحُ الصيفِ دُونى
فإما أن تـكونَ أخى بحقٍّ ... فيَعْرَفَ منك غَثّى من سمينى[٢]
وإلا فاطّرِحْنى[٣] واتخذنى ... عدوًّا أتقيـــكَ وَتَتّقِينِى
فإنى لَوْ تُعَانِدُنِى شِمَـــالِى ... عنادَكَ ما وصلتُ بها يمينِى
إذاً لَقَطعتُها ولقلتُ بِينِى ... كذلك أَجْتَوِى من يَجْتَوِينِى

وقال آخر :

أُفًّا وَتُفًّا لِمنْ مودَّتُه ... إنْ زُلْتَ عنه سُوَيعَةً زالَتْ
إن مالت الريحُ هكذا وكذا ... مالَ مع الريح حيثما مالَتْ[٤]

وقال صالحُ بن عبد القدّوس[٥] :

قل للذى لستُ أدرِى من تَلَوُّنِهِ ... أناصـــحٌ أم على غشٍّ يُداجِينِى

---

(١) ديوانه ٢٩ .
(٢) فى عيون الأخبار ٣/٧٧ حماسة البحترى ٧٩ : فأعرف منك غثى من سمينى .
(٣) فى ديوانه وفى الشعر والشعراء ٢٣٤ فاتركنى ، وفى عيون الأخبار : فاجتذبنى .
(٤) انظر البيتين فى التمثيل والمحاضرة ٢٤٢ .
(٥) وردت أبيات صالح فى حماسة البحترى ٧٩ ، ٨٠ما عدا الأبيات٦ ، ٨ ، ٩، ١٠، ١١ ، ١٢ ، ١٦ ووردت كلها فى تهذيب ابن عساكر ٣/٤٥ منسوبة إلى أسماء بن خارجة ، ووردت مفرقة فى محاضرات الأدباء ١/١٤١ (٣ أبيات) ، الصداقة والصديق ١٢١ (٤ أبيات) . فصل المقال ٤٣ (٦ أبيات) مع اختلاف يسير فى ألفاظ الرواية من كتاب إلى آخر .

إني لأكثرُ مما سُمتَني عَجَباً ... يد تشجُّ وأخرى منك تأسوني

تغتابُني عند أقوامٍ وتمدحني ... في آخرين، وكلٌّ عنك يأتيني

هذان أمران شتّى البَوْنُ بينهما ... فاكففْ لسانَك عن ذمي وتزييني

لو كنتُ أعلم منك الودَّ هان إذاً ... عليَّ بعضُ الذي أصبحتَ توليني

لا أسألُ الناسَ عما في ضمائرهمْ ... ما في ضميرِي لهم من ذاك يكفيني

أرضَى عن المرء ما أصْفَى مودَّتَهُ ... وليس شيء من البغضاء يُرْضيني

واللهِ لو كرِهتْ كفِّي مصاحبَتِي ... لقلتُ إذ كرهت قُرْبى لها بِيني

ثم انثنيتُ على الأخْرَى فقلتُ لها : ... إن تسْنديني وإلا مثلَها كوني

لا أبتغِي وُدَّ من يبغِي مقاطعتِي ... ولا أَلِينُ لمن لا يبتغِي لِيني

إنّى كذاك إذَا أمر تعرَّضَ لِي ... خشيتُ منه على دنياى أو دِيني

خرجتُ منه وَعِرْضِي ما أُدَنِّسُهُ ... ولم أقم غَرَضًا للنَّذْلِ يرمينِي

رُبَّ امرئ أجنبيٍّ عن مُلاطَفتِي ... مَحْضِ المودّةِ في البلوى يواسيني

ومُلْطفٍ بي مدارٍ ذي مكاشرة ... مُغْضٍ على وَغَرٍ في الصدرِ مكنونِ

ليس الصَّديقُ الذي تُخشَى بوادره ... ولا العدو على حال بمأمونِ

يَلُومُني الناسُ فيما لو أخبِّرُهُم ... بالعُذْرِ منّي فيه لم يلُوموني

وقال آخر :

لسانُك معسولٌ ونفسُك شحَّةٌ ودون الثريا من صديقك ما لَكَا

وقال آخر :

بنو عَبْسٍ أشدُّ الناس بغضاً لنا وأشدُّهم بغضا إليْنَا
فلا تقبلْ شهادتَنَا عليهم ولا تقبلْ شهادتَهُم علينَا

قال لقمان لابنه : ثلاثةٌ لا يُعرفون إلاّ فى ثلاثة مواطن : لا يُعرَفُ الحليمُ إلا عند الغضب ، ولا الشجاع إلاّ عند الحرب ، ولا الأخ إلا عند الحاجة .

قال بعض الحكماء : الإخوان بمنزلة النار ؛ قليلُها متاع ، وكثيرها بَوَار ، فلا تُسَرّنّ بكثرة الإخوان إذا لم يكونوا أخيارًا .

قال أسماء بن خارجة : إذا قَدُمَت المودةُ سَمُج الثناء .

قال أبو العتاهية :

انت ما استغنيت عَنْ صَا حِبِكَ الدهرَ أخُوهْ
فإذا احتجتَ إليه ساعةً مجَّك فُوهْ
لو رأى الناس نبيًّا سائلاً ما رحموهْ[1]

---

(١) الأبيات فى ديوانه ٢٩٥ ، وفيه : ما وصلوه بدل ما رحموه .

وقال سويدُ بن مَنْجُوف :

فأبلغْ مُصْعبا عنى رسولا ... وهل تجدُ النصيح بكل وادِ
تعلَّمْ أن أكثرَ من تناجى ... وإن ضحِكُوا إليك هم الأعادِى

وقال آخر :

لعَمْرك ما وُدّ اللّسانِ بنافعٍ ... إذا لم يكن أصْلُ المودّة فى القلبِ(١)

كان يقال : تناس مساوئ الإخوان ، يَدُمْ لك ودّهم .

وقال آخر :

يا غارساً شجر الكرو ... م بجهله وسط السّباخْ
ومحضِّنًا بيضَ القطاَ ... تحت الحِدَا الرجا الفِرَاخْ
إن الذين تودُّهُمْ ... هم ناصبُو شبك الفخاخْ
ذهب الزّمانُ بأهله ... فانظر لنفسك من تُؤَاخْ(٢)

وقال عَبْدَةُ بن الطَّبيب :

إن الذين تَرَوْنَهُم إخْوانَكم ... يشفي صُدَاعَ رُءوسهم أن تُصْرَعُوا

(١) البيت فى عيون الأخبار ٣/٧٨ ، البيان والتبيين ١/٢٢٢ ، وفيه : فى الصدر بدل القلب .
(٢) وردت أبيات قريبة من هذه فى ديوان أبى نواس ١٥٤ هى :

يا واضعا بيض القطا ... تحت الزمامج للفراخ
لو أيقنت ما تحتها ... لم تخل من فقر الصماخ
فسد الخلائق كلهم ... فانظر لنفسك من تؤاخ

فَضَلَتْ عداوتُهم على أحْلامِهم ... وأَبَتْ ضِباب صدورهم ما تُنزَعُ

لا تأمَنُوا قومًا يَشِبُّ صبيهم ... بين القَوابِلِ بالعداوةِ يرضَعُ[١]

قال لقمان لابنه : يابنى ! إياك وصاحبَ السوء ، فإنه كالسيف المسلول ، يعجبك منظره ، ويقبح أثره .

قال المثقّب العَبْدى[٢] :

وصاحب السَّوْء كالدَّاء العَيَاء إذا ... ما ارفضّ فى الجوفِ يجْرِى هاهُنا وَهُنا[٣]

يُنبى ويُخبرُ عن عَوْرَاتِ صَاحِبِهِ ... وما رأى عنده من صالحٍ دَفَنا[٤]

كمهر سَوْء إذا رَفّعتَ سيرَتَهُ ... رام الجِمَاحَ وان أخفضته حَرَنَا[٥]

إن يَحْىَ ذاك فكن منه بمعزلةٍ ... أو مات ذاك فلا تقرب له جَنَنَا[٦]

ولقعنب بن أم صاحبٍ ، وهو قعنب بن حمزة ، أحد بنى عبد الله بن غطفان ، يهجو بنى ضبة — حىّ من غطفان —[٧] :

صُمٌّ إذا سمعوا خيراً ذُكِرْتُ به ... وإن ذُكرت بسُوء عندهم أَذِنُوا

---

(١) انظر الأبيات فى عيون الأخبار ٢/٢١ ، حماسة البحترى ٢٤١ .

(٢) الأبيات فى ديوانه ٣٣ ، وقد نسبت فى أمالى القالى ٢/١٨٢ إلى رافع بن إبراهيم اليربوعى ، ونسبت فى البيان والتبيين ٣/١٣٩ إلى المقنع الكندى .

(٣) ورد هذا البيت فى نسخة ح على هيئة كلام نثرى . والرواية فى الأمالى الغميض بدل العياء .

(٤) فى ا : يفتى بدل ينبى ، وفى الأمالى : يبدى ويظهر .. وما رأى من فعال صالح ... الخ .

(٥) فى ا : راحت مسرته بدل رفعت سيرته ، وفى الأمالى : سكنت بدل رفعت ، ورفعته بدل أخفضته .

(٦) الجنن : القبر ، والرواية فى الأمالى : إن عاش ذاك فأبعد عنك منزله ... الخ .

(٧) ساقط من ا وانظر الأبيات التالية فى حماسة أبى تمام ٢/١٧٩ ، عيون الأخبار ٣/٨٤ .

فُطَأْنة فطنـوها لو تـكونُ لَهُمْ مروءةٌ أو تُقَى للهِ ما فَطَنُوا
إن يسمعوا سَيِّئًا طارُوا به فَرَحًا مِنِّى ، وما سَمِعُوا من صالحٍ دَفَنُوا
جَهلا عَلَيْنا وَجُبْنًا عن عدوهمُ لبئست الخَلَّتَانِ الجهـلُ والجبُنُ
فلن يراجعَ وُدّى ودهم أبدا وكنت من بغضهم مثل الذى زكنوا(١)

روى عن معاذ بن جبل ، وقد رفعه بعضهم ، قال : إذا أحببت أخًا فى الله فلا تماره ولا تشاره ولا تسل عنه أحدًا ، فربما صادفتَ له عدوًّا فأخبرك بما ليس فيه ، فحال بينك وبينه .

قال أبو الأسود الدؤلى :

وصِلْهُ ما استقامَ الوصلُ منه ولا تسمعْ به قِيلاً وقالاً(٢)

قال محمود الوراق :

لستُ ممن يُذاقُ الصاحب الـ ود إذا أظهر الجفاء الصريحاَ
أنا أنهاه ما استطعتُ فإنْ لَـ جّ أعرتُ الفؤاد يأسا مُريحاَ
غير أنى على القطيعة لا أظـ هر هُجْرًا ولا أقول قبيحاَ

---

(١) زكنوا : ظنوا عن يقين ، ويروى : قلبى بدل ودى ، وأمرهم بدل بغضهم .
(٢) البيت فى ديوانه ٢٠٦ .

بابُ العِتـــاب

قال عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — : أعقلُ الناس أعذرُهم لهم .

قال الأحنف : العتابُ مفتاح التّقالى ، والعتاب قرينُ الحقد .

وعن الأصمعىّ قال : قال أعرابى : عاتبْ من ترجو رجوعَه .

قال بعض الحكماء : العتاب علامة الوفاء ، وسلاح الأكفاء ، وحاصد الجفاء[1] .

قال العتابى : ظاهر العتاب خير من مكنون الحقد ، وضربةُ الناصح خير من محبة الشّانى .

قال بعض الحكماء : من كثر حقده قلّ عتابه .

قال محمدُ بن داود : من لم يعاتب على الزَّلة ، فليس بحافظٍ للخَلَّة .

قال أسماء بن خارجة : الإكثار من العتاب ، داعية إلى الملال .

قيل لبعض الأعراب : من الأديب العاقل ؟ قال : الفَطِنُ المتغافل .

قال بعض الأدباء : من أحب أن يسلمَ له صديقه ، فليقبلْ عُذره ، وليقلّ عتابه ؛ فإن العتاب يجرُّ الملال[2] .

---

(١) فى ا : صلاح الأكفاء ، وعاضد الجفاء .

(٢) فى حـ : يجر العتاب .

قال غيره : العتاب مفتاح القطيعة .

قال عمرُو بن بحر : العتابُ رائد الإنصاف ، وشفيع المودة ، ويد للمحافظة .

أنشدنا الرِّياشي ، وهى لهشام الرقاشى(١) :

أبلغ أبا مِسْمَعٍ عنى مُغَلْغَلَةً وفى العتاب حياةٌ بين أقوامِ(٢)
قدَّمت قبلى رجالا لم يكن لهمُ فى الحق أن يلجوا الأبواب قُدّامِى(٣)
لو عُدّ قبرٌ وقبرٌ كنتُ أكرمَهم قبرًا ، وأبعدَهم من منزل الذّامِ(٤)

وقال عبيد الله بن عبد الله بن طاهر :

أعاتبُ من يحلو بقلبى عتابُه وأتركُ من لا أشتهى ، لا أعاتِبُهْ

وقال آخر :

وليس عتابُ المرء للمرءِ نافعًا إذا لم يكنْ للمرء لُبٌّ يعاتبُه(٥)

---

(١) وردت الأبيات منسوبة لهشام الرقاشى فى البيان والتبيين ٣/٣٧٤ ، العقد الفريد١/٨٠ ، ونسبت إلى عصام بن عبيد الزمانى فى معجم الشعراء ٢٧٠ ، تاج العروس مادة غل ، حماسة أبى تمام ١/٤٧٥ ، ونسبت إلى أبى القمقام الأسدى فى عيون الأخبار ١/٩١ ، ٩٢ ، وانظر التمثيل والمحاضرة ٤٦٥ .

(٢) المغلغلة : الرسالة المحمولة من بلد إلى بلد . والرواية فى العيون : أبا مالك بدل أبا مسمع .

(٣) رواية الحماسة : قوماً بدل رجالا . وأن يدخلوا بدل يلجوا .

(٤) اختلفت رواية هذا البيت فى المراجع ، فقد وردت كما هنا فى البيان ، ثم اختلفت بعد ذلك ، ففى العقد : لو عد قوم وقوم كنت أقربهم قربى • وفى العيون : ... بيت وبيت كنت أقربهم بيتا ، وفى الحماسة ومعجم الشعراء وتاج العروس : أكرمهم ميتا ... الخ •

(٥) البيت لبشار ، من قصيدته المعروفة : إذا كنت فى كل الأمور معاتبا ، انظره فى ديوانه ١/٣٠٩ .

وقال آخر :

أعاتبُ من أحببتُ فى كلّ زلّةٍ ... ليحتمىَ الأمْرَ الذى معه العَتَبْ

فإنى أرى التأديب عند وجوبه ... بمنزلة الغَيْث الذى قبله الْجَدَبْ(١)

وقال على بن الجهم :

أعاتبُ ذَا المودَّة من صديقٍ ... إذا ما رَابنى منه اجتنابُ

إذا ذهبَ العتابُ فليس وُدٌّ ... ويبقى الوُدُّ ما بقى العتابُ(٢)

وقال آخر :

لولا محبتكمْ لما عاتبتكمْ ... ولكنتم عندى كبعضِ الناسِ(٣)

وقال نصرُ بن أحمد :

وتعاتُبُ الإخوان فيما بينهم ... بعثٌ على الإجلالِ والإكرامِ

لولاَ اعترافى باعترافكِ فى الّذى ... تأتى وَتتْرُكُ ما أتاك مَلاَمِى

وهذا يشبه قول البحترى(٤) :

أباحَسَنٍ ما كان عَتْبِيكَ دُونَهُم ... لواحــدةٍ إلاّ لأنك تَفْهَمُ

---

(١) فى ا : فإنى رأيت العتب ، وانظر البيتين فى التمثيل والمحاضرة ٢٣٩ .

(٢) انظر البيتين فى ديوانه ٧ .

(٣) نسب البيت فى وفيات الأعيان ٢/٢٣٠ إلى العباس بن الأحنف ولم أعثر عليه فى ديوانه .

(٤) ديوانه ٢/١٤٦ .

وقال نصر بن أحمد :

إنْ كان لفظى كريها فاصْطَبِرْ فَمَـلَى ... كُرهِ الملاج يُصحُّ الله أبدانَا

لولا العوارضُ ما طاب العتابُ لنا ... لولا قِصارتُنا للثـوب ما زانَا[1]

إنى أعاتب إخـوانى وهم ثقتى ... طورًا وقد تُصْقَل[2] الأسياف أحيَانَا

هى الذنوب إذا ما كُشِّفَتْ دَرَسَتْ ... من القلوب وإلا صِرْنَ أضغانَا

وقال ابنُ وكيع :

عتابى أخى فى كل ذنب أتى به ... مخوفٌ على حَالِ الأُخوة فى الودِّ

ولستُ أرى وجهًا لترك عتابِهِ ... على ما جنى إذْ كان خيرًا من الحقد

وقال ابن بَسّام :

عاتِبْ أخاكَ إذا هَفَا ... واعطِفْ بودِّك واستمِدْهُ

وإذا أتاك بغَيْبِـــهِ ... واشٍ فقـلْ لم يعتمِدْهُ

من ناقَشَ الإخـوانَ لم ... يُبْدِ العتابَ ولم يُعِدْهُ

وقال محمد بن أبى حازم :

خـلِّ عنك العتابَ إن ... خانَ ذو الوُدّ أَوْ هَفَـا

---

(١) قصارة الثوب : غسله وتبييضه ،

(٢) فى ا : تقتل.

عينُ من لا يُحِبُّ وَصْ لَك تُبْدى لك الجَفَا[١]

وقال بشار العقيلي :

إذا كُنتَ في كلّ الأمور معاتباً صديقَك لم تلق الذى لا تُعاتبُه
فعش واحدًا أو صل أخاك فإنه مُقارِف ذنب مرة ومجانبُه
إذا أنت لم تشربْ مرارًا على القَذَى ظَمِئْتَ وأى الناس تصفو مشاربُه[٢]

وقال آخر :

البس الناس ما استطعت على النَّقْـصِ وإلاّ لم تستقم لك خُـلَّهْ
عش وحيدًا إن كنت لا تقبل العُذْرَ وإنْ كنتَ لا تجاوزُ زَلَّه[٣]

وقال آخر :

خذ من صديقك ما صَفَا لَكَ لا تكن جَمّ المعايبْ
إن الكثير عتابُهُ الإخوانَ ليس لهم بصاحبْ

وقال أحمدُ بن يوسف[٤] :

رأيتُك لا تميلُ إلى صوابِ ولا تَرضَى الصوابَ من الجوابِ

---

(١) عيون الأخبار ٣/١١٠ ، العقد الفريد ٣/١٣٤ ، والثانى فى فصل المقال ٣٨٤ .
(٢) الأبيات فى الديوان ١/٢٠٩ .
(٣) البيتان لأبى العتاهية ، انظر الديوان ٢٣٦ .
(٤) ابن القاسم بن صبيح المعروف بالكاتب ، وزير من كبار الكتاب ، ولى ديوان الرسائل للمأمون ثم استوزره بعد خالد الأحول ، وكان فصيحا قوى البديهة ، يقول الشعر الجيد . انظر : تاريخ بغداد ٥/٢١٦ ، الوزراء والكتاب ٣٠٤ (الأعلام ١/٢٥٨) .

وتركُك ما يَريبُكَ فى كثيرٍ أحفُّ عليك من طولِ العتابِ

ولعبيد الله بن عبد الله بن طاهر :

خليليّ لو كان الزمانُ مساعدِى وعاَتبْتُمانِى لم يضقْ عنكماصَدْرِى
فأمّا إذا كان الزمانُ معانِدِى فما لـكما أن تؤذيانى مع الدهرِ

وقال آخر :

إن الظَّـنِينَ من الإخوان يُبْرِمُه طولُ العتاب وتُغْنيه المعاذيرُ
وذو الصفاء إذا مسّته معتبةٌ كانت له عظةٌ منها وتذكيرُ

وهذا قول مميّز منصف ، حكم فعدل ، وشرح فأوضح .

أنشد نِفطَوَيْهِ :

وكم من مُليم لم يُصِب بمَلامةٍ ومُتَّبع بالذَّنْب ليس له ذنبُ
وكم من محبّ صد من غير بِغضةٍ وان لم يكن فى وُدّ خُلّته عَتْبُ(١)

وقال أبو العباس الناشئ :

ولست معاتِبًا خِـــلاًّ لِأَنِّى رأيتُ العتبَ يُغرى بالعُقُوقِ
ولو أنى أُوَقِّفُ لى صـــديقًا على ذنبٍ بقِيتُ بلا صديق

---

(١) انظر البيتين فى أمالى القالى ١/١٦ .

وله :

إنى ليهجُرنِى الصديقُ تجنّيًا   فأريه أن لهجره أسْباباَ
وأخاف إن عاتبتُه أغريته   فأرى له تركَ العتاب عتاباَ[١]

وقال آخر :

عتبت علىَّ ولا ذنبَ لِى   بما الذنبُ فيه بلا شكَّ لَكْ
وحاذرتَ لومى فبادرتنى   إلى اللَّوْم من قبلِ أن أدّرِكْ[٢]
فكنّا كما قيل فيما مَضَى   خُذِ اللّصِ من قبل أن يأخذَكْ[٣]

---

(١) البيتان فى وفيات الأعيان ٣/٥٣ .

(٢) فى ا : وبادرت بدل حاذرت ، وفى العيون : قبل أن أبدرك .

(٣) انظر الأبيات فى عيون الأخبار ٣/١٠٨ .

بابُ الثُّقلاءِ والطُّفَيْلِيِّين

سئل جعفرُ بن محمد عن المؤمن ، هل يكون بغيضاً ؟ قال : لا يكون بغيضاً ، ولـكن يكون ثقيلا .

قال سفيان بن عيينة : قلت لأيوب السَّختياني[١] : لِمَ[٢] لَمْ تـكتبْ عن طاووس[٣] ؟ قال : أتيتُه فوجدته بين ثقيلين ؛ عبد الـكريم بن أبي المخارق[٤] ، وليث بن أبي سليم[٥] .

---

(١) هو أيوب بن (أبي تميمة) كيسان السختياني البصري ، سيد فقهاء عصره ، من النساك الزهاد ، ومن أجل حفاظ الحديث الثقات . توفى سـنة ١٣١ هـ . انظر في ترجمته تهذيب التهذيب ١/٢٩٧ ، اللباب ١/٥٣٦ .

(٢) في ا : مالك لم تـكتب الخ .

(٣) هو طاووس بن كيسان الخولاني ، من أكابر التابعين تفقها في الدين ورواية للحديث وتقشفا في العيش ، وجرأة على وعظ الخلفاء والملوك ، أصله من الفرس ، ومولده ونشأته باليمن ثم سكن البصرة ، وتوفى حاجا بالمزدلفة أومنى سنة ١٠٦ هـ . انظر في ترجمته : تهذيب التهذيب ٥/٨ وما بعـدها ، وفيات الأعيان ١/٢٣٣ (الأعلام ٢/٣٢٢) وانظر هامشه .

(٤) عبد الـكريم بن أبي المخارق أو ابن أبي أمية واسم أبيه (صاحب هاتين الـكنيتين) قيس ويقال طارق، وعبدالـكريم معلم بصري ، نزل مكة وعاش فيها ، قال عنه معمر : مارأيت أيوب اغتاب أحدا قط إلا عبدالـكريم أبا أمية فإنه ذكره فقال : رحمه الله كان غير ثقة ، لقد سألنا عن حديث لعكرمة ثم قال سمعت عكرمة .

وكان ابن عيينة يستضعفه ، وقال ابن عبد البر : مجمع على ضعفه . انظر لتفصيل أكثر تهذيب التهـذيب ٦/٣٧٦ وما بعدها .

(٥) ابن زنيم القرشي ، مولاهم ، روى عن طاووس ومجاهد وعطاء وغيرهم ، قال عنه عبد الله بن أحمد ابن حنبل عن أبيه إنه مضطرب الحديث ، وقال أيضا : ما رأيت يحيى بن سعيد أسوأ رأيا منه في أحد مثل ليث ابن أبي سليم . والأقوال كثيرة في ضعفه . انظر تهذيب التهذيب ٨/٤٦٥ وما بعدها .

قال الحسن البصرى ، فى قوله عز وجل : ﴿ فَإِذَا طَعِمْتُم فانْتَشِرُوا ﴾[١] ، قال : نزلت فى الثقلاء .

وقال السّرىّ[٢] : ذكر الله تعالى الثقلاء فى القرآن ، فى قوله : ﴿ فإذا طعمتم فانتشروا ﴾ .

وقال أبو أسامة[٣] : كنا عند الأعمش[٤] ، فجاء زائدة بن قدامة[٥] ، فقال الأعمش حين رآه :

وما الفيلُ تحملُه مَيّتًا بأثقلَ من بعض جُلّاسِنا[٦]

كان أبو هريرة إذا استثقل رجلا ، قال : اللّهم اغفر لنا وله ، وَأَرِحْنا منه .

رواه سهيل بن أبى صالح عن أبيه ، عن أبى هريرة .

---

(١) سورة الأحزاب ، الآية ٥٣ .

(٢) ابن يحيى بن إياس الشيبانى ، أحد رجال الحديث الثقات ، توفى حاجا بمكة سنة ١٦٧ هـ . تهذيب التهذيب ٣/٤٦١ .

(٣) الكوفى ، حماد بن سلمة بن زيد القرشي ولاء ، محدث ثقة ، كان أعلم الناس بأمور الناس وأخبار أهل الكوفة ، توفى سنة ٢٠١ هـ . تهذيب التهذيب ٣/٢ وما بعدها .

(٤) هو سليمان بن مهران الأسدي بالولاء ، أبو محمد الملقب بالأعمش ، تابعى مشهور ، كان عالما بالقرآن والحديث والفرائض ، توفى ١٤٨ هـ . انظر ابن سعد ٦/٢٣٨ .

(٥) الثقفى ، أبو الصلت الكوفى ، محدث ثقة ، صدوق من أهل العلم ، مات غازيا فى أرض الروم سنة ١٦١ هـ . تهذيب التهذيب ٣/٣٠٠ .

(٦) البيت فى العقد الفريد ٢/٢٩٦ ، عيون الأخبار ١/٣٠٩ .

[كان حمّادُ بن سَلمة[١] إذا رأى من يستثقله ، قال : ﴿ رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴾[٢] .

وعن حمّاد بن سلمة أيضاً ، أنه قال : الصوم فى البستان من الثقل][٣] .

كان يقال . مجالسة الثقيل حُمّى الروح .

قيل لأبى عمرو الشيبانى : لأىّ شىء يكون الثقيل أثقلَ على الإنسان من الحمل الثقيل ؟ فقال : لأن الثقيل يقعد على القلب ، والقلب لا يحتمل ما يحتمل الرأس والبدن من الثقل .

كان فلاسفةُ الهند يقولون : النظرُ إلى الثقيل يورث موت الفجأة .

قال ثقيل لمريض : ما تشتهى ؟ قال : أشتهى ألا أراك .

مرض الأعمش فعاده أبو حنيفة ، فقال : يا أبا محمد ! لولا أنه يثقل عليك ، لعدتك كل يوم . فقال الأعمش : والله إنك علىّ لثقيل وأنت فى بيتك ، فكيف إذا عُدتنى ؟

قال مَعْمَر[٤] : ما بقى من لذّاتِ الدنيا إلاّ ثلاثة : محادثةَ الإخوان ، وحكّ الجرب ،

---

(١) ابن دينار البصرى ، محدث صحيح السماع ، لم يكن بالبصرة من أقرانه من هو مثله فى الفضل والعلم والصلابة فى السنة والقمع لأهل البدع ، توفى سنة ١٦٧ هـ . تهذيب التهذيب ٣/١٣ .

(٢) سورة الدخان ، الآية ١٢ .

(٣) ساقط من ا .

(٤) ابن راشد بن أبى عمرو الأزدى ، أبو عروة ، فقيه حافظ للحديث ثقة ، من أهل البصرة سكن =

والوقعةَ فى الثقلاء ، وهى أفضل الثلاث .

وقال عبد الرزّاق عن مَعْمر ، قال : ما بقىَ من لذّات الدنيا إلاّ ثلاثة : محادثة الإخوان ، وأكلَ القديد ، وحكّ الجرب . وأزيدكم واحدة : الوقيعة فى الثقلاء ، وأنشد :

ليتنى كنتُ ساعةً مَلَكَ المو ... تِ فأفنى الثّقال حتى يَبيدوا

قال : وسمعت مَعْمرا يقول : رحم الله عبدَ الكريم أبا أمية ، إن كان لثقيلا غير ثقة .

قيل لأبى النضر[1] : لم تكثر عن شُعبة[2] ؟ قال : كان يستثقلُنى ، وكنت أهلا لذلك .

قال أبو هفان :

مشتملٌ بالبغضِ لا تَنْثَنِى ... إليه طوعاً مُقْلَةُ الرّامِقِ

= اليمن ولما أراد العودة كره أهل صنعاء أن يفارقوه ، فزوجوه فأقام ، وهو عند مؤرخى الحديث أول من صنف باليمن ، توفى سنة ١٥٣ هـ . انظر تهذيب التهذيب ٢٤٣/١٠ (الأعلام ١٩٠/٨) .

(١) البغدادى ، هاشم بن القاسم بن مسلم الليثى الحافظ ، سمع من شعبة جميع ماأملى ببغداد ، وهو أربعة آلاف حديث ، وكان ابن حنبل يقول : أبو النضر شيخنا من الآمرين بالمعروف ، الناهين عن المنكر ، مات سنة ٢٠٧ هـ . انظر : تهذيب التهذيب ١٩/١٨/١١ .

(٢) ابن الحجاج بن الورد العتكى ، من أئمة رجال الحديث حفظا ودراية وتثبتا ، ولد ونشأ بواسط ، وسكن البصرة إلى أن توفى ، قال الشافعى : لولا شعبة ما عرف الحديث بالعراق ، وكان إلى جانب هذا عالما بالأدب والشعر ، مات سنة ١٦٠ ، انظر تهذيب التهذيب ٣٣٨/٤ (الأعلام ٢٤٢/٣) .

يظلُّ في مجلسنا قاعـــدًا　　أثقلَ من واشٍ على عاشقِ(١)

كان الأعمشُ إذا قام من مجلسه ثقيلٌ يتمثل :

إن غاب عنك ثقيلُ كلِّ قبيلةٍ　　ممن يَشُوبُ حديثه بِمِراء

فهناك طابَ لكَ الحديثُ وإنما　　طيبُ الحديثِ بخفةِ الجُلَساء(٢)

وقال آخر :

إنى أجالسُ مَعْشرًا　　نوكَى أخفُّهمُ ثقيلُ

قوم إذا جالستَهـــمُ　　صَدِئتْ بقربهمُ العقولُ

لا يفقهون مقــــالتى　　ويَدِقُّ عنهم ما أقولُ(٣)

وقال آخر :

إذا جلس الثقيلُ إليك يوْمًا　　أتتك عُقوبةٌ من كل بابِ

فهل لك يا ثقيل إلى خِصالٍ　　تنالُ ببعضها كرمَ المآبِ

إلى مالى فتأخـذه جميعًا　　أحلَّ لديك من ماء السَّحابِ

وتنتف لحيتى وتدقّ أنفى　　وما فى فىّ من ضِرْس ونابِ

---

(١) البيتان فى زهر الآداب ٢/١٣٦ ، وفيه : لحظا بدل طوعا .

(٢) فى ا : لخفة الثقلاء .

(٣) نسبت الأبيات فى العقد الفريد ٢/٢٩٩ للشعبي ، وانظرها فى عيون الأخبار ١/٣٠٩ .

على ألاّ أراك ولا تراني مقاطعةً إلى يومِ الحسابِ[١]

كان يقال : مجالسة الثقيل عذابٌ وبيل .

قال عبدِ الأعلى بن مُسْهِر[٢] : كان نقش خاتم أبي : « أبرمتَ فقُم » فكان إذا استثقل جليسه ناوله خاتمه ليقرأ نقشه .

وهذا الخبر رواه أبو مُسْهِر عبد الأعلى بن مسهر ، قال : قال لي هشام بن يحيي : كان نقش خاتم أبيك . . . فذكر الخبر[٣] .

سلّم ثقيل على إبراهيم بن عبد الله القارئ[٤] صاحبِ هرون ، فقال له : يا هذا ! قد — والله — بلغتَ مني غاية الأذى ، أَسْلِفْني سلامَ شهر وأرحني منك .

قال معْمر : كنت جالسًا مع سماك بن الفضل[٥] في مجلس بصنعاء ، فدخل

---

(١) في ا : بدل الشطرة الأخيرة ورد : على حال إلى شيب الغراب .

(٢) الغساني الدمشقي ، من حفاظ الحديث ويعد شيخ الشام وعالمها بالحديث والمغازي وأيام الناس ، امتحنه المأمون العباسي وهو في الرقة وأكرهه على القول بخلق القرآن ، فامتنع ، فوضعه في النطع وجرد السيف ولكنه لم يأبه بهذا وأبى أن يجيب ، فسجنه فمكث في السجن نحو مائة يوم ثم مات سنة ٢١٨ ، انظر تهذيب التهذيب ٦/٨ ، تاريخ بغداد ١١/٧٢ (الأعلام ٤/٤٢) .

(٣) يختلف هذا الخبر في محاضرات الأدباء ١/٣٣٤ عنه هنا ، فهناك قال : قال ثعلب لرجل استثقله : خاتم طاووس . فلم يعلم الرجل ماعناه . فقال له ثعلب : إن طاووسا نقش على خاتمه : « أبرمت فقم » ، فإذا استثقل رجلا دفعه إليه وقال اقرأه .

(٤) إبراهيم بن عبد الله بن عبد ، القارى المدني ، عده ابن حبان في الثقات ، وأورد ابن حجر له ترجمة موجزة في تهذيب التهذيب ١/١٣٤ .

(٥) سماك بن الفضل الخولاني اليماني الصنعاني ، محدث جليل القدر ، ذكره ابن حبان في الثقات ، وقال الثوري : لا يكاد يسقط له حديث لصحته . انظر تهذيب التهذيب ٤/٢٣٥ .

علينا صاحبٌ له ثقيل فلمّا جلس قال لى سماك : يا مَعْمر ! تعال حتى ندعوَ على كل ثقيل بصنعاء .

قال الشاعر :

أنت يا هـذا ثقيـل ... وثقيـــــلٌ وثقيلْ
أنت فى المنظر إنسا ... نٌ وفى الميزان فيلْ[(١)]

وقال ابن أبى أمية[(٢)] :

شهـدت الرقاشى فى مجلس ... وكان إلى بغيضاً مقيتـــا
قال : اقترحْ بعضَ ما تشتهى ... فقلت:اقترحتُ عليك السكوتاَ

فقال أبو حازم : عود نفسك الصبر على الجليس السوء ؛ فإنه لا يكاد يخطئك .

قال الهيثم بن عدىّ : كنت يوماً عند مِسْعَر بن كِدام ، فأتاه رَقَبَةُ بنُ مَصْقَلة العبدى ، فقال له مِسْعر : مالك يا ابن مصقلة ؟ قال : صريع فالوذج . قال : وأين ؟ قال : عند من قضى أبوه فى الجماعة[(٣)] ، وحكّم فى الفرقة .

---

(١) البيتان فى العقد الفريد ٢/٢٩٦ .

(٢) لم أعثر له على ترجمة فيما بين يدى من مراجع .

وقد ورد البيتان بهذه النسبة فى البيان والتبيين ١/٣٧٩ ، ونسبا إلى أبى نواس فى العقد الفريد ٢/٢٩٩ ، وقد وردا فى ديوانه ٣١٢ .

(٣) ا : فى الحماقة ، وهو يقصد بهذه العبارة أبا موسى الأشعرى ، فقد كان قاضى الكوفة فى عهد على ، وأنابه فى قضية التحكيم المشهورة بينه وبين معاوية .

دعانا الوليد بن الحارث بن أُبى بردة بن أُبى موسى الأشعرى[١] ، فأُتينا بخوانٍ كجوبة من الأرض ، وأتينا برُقاق كآذانِ الفِيَلَة ، وجَرْجِيرٍ كآذان المعزى ، ثم أتينا بساكبة الماء كأن ظهرَها ظهرُ طائرٍ قيراطىّ ، ثم أتينا بفالوذج عديد ، كأنّ الزئبق والجادى[٢] ينبعان من خلاله ، يُرى نقش الدرهم من تحته ، فوُضع على رأس حُبّ[٣] فنحن على لذة من هذا وعلى يقين من ذلك . فقال له مسعر : أراك طفيليًّا . فقال : يا أبا محمد ! كل من ترى طفيلىّ إلا أنهم يتكاتمون ، فوالله ما برحنا حتى طلع علينا الحارث من بعض أبواب المسجد يخطر بيديه ، فقال رقبة : انظروا إلى هذا وكيف يمشى ؟! لو كان أبوه جدع أنف[٤] عمرو بن العاص مازاد على هذا .

---

(١) الراجح أنه بلال بن عامر بن أبى بردة بن أبى موسى الأشعرى ، أما الاسم الذى أورده له المؤلف : الوليد بن الحارث ، فقد ذكر ابن حجر أن عامراً يسمى الحارث فى بعض الأقوال ، أما بلال فلم أعثر على من سماه الوليد ، وعلى هذا فهناك عدة احتمالات للتحقيق : فإما أن يكون زيادة من الناسخ ، لأن الاسم ورد بعد ذلك فى نفس الخبر : الحارث ، وإما أن يكون المؤلف يحفظ لبلال اسما آخر هو الوليد ، وإما أن يكون هناك ابن آخر للحارث أو عامر بن أبى بردة اسمه الوليد . وأنا أرجح أن المقصود هو بلال بن عامر بن أبى بردة ، وذلك لسببين ، الأول : أن الثلاثة رقبة ومسعر وبلال كانوا متعاصرين فقد توفى الأول نحو سنة ١٢٩ هـ ، وتوفى الثانى سنة ١٥٢ ، وتوفى الثالث أو قتل سنة ١٢٦ هـ ، على حين أن أباه توفى سنة ١٠٣ وهو زمن بعيد لحدوث هذه القصة نوعا ، السبب الثانى أن بلال هو الذى تنطبق عليه ملامح القصة ، فقد كان من أبرز صفاته صفتان : الكرم وخفة العقل أو النزق ، أما الأولى فهو ممدوح ذى الرمة وأبيات هذا الشاعر بوصف بلال بالكرم سائرة مشهورة وأما خفة العقل فالمعروف عنه أنه حين ولى قضاء الكوفة لم تحمد سيرته ، وكان يقول : إنى ليأتينى الخصمان فأجد أحدهما أخف من الآخر على قلبى فأحكم له ، ولم يعرف ذلك عن أبيه ، وقد كان هو الآخر قاضيا . وعلى ذلك لم يبق أمامنا إلا أن نقول : إن المؤلف يحفظ اسما آخر لبلال هو الوليد ، وأن الاسم سقط بعد ذلك من الخبر سهواً إما من المؤلف أو من الناسخ .

(٢) الجادى : الزعفران .

(٣) الحب : الجرة الضخمة ولعل المعنى أنهم فى لذة من أكل الفالوذج وعلى يقين من أنهم سيشربون ما فى الحب من شراب .

(٤) فى ا : جد عمرو بن العاص .

قال له مِسْعر : أُجل ، قد مضى إلى لعنة الله وسقره[١] .

وقال حبيب بن أوس[٢] :

يا مَنْ تبرّمَتِ الدُّنْيا بطلعتِهِ   كما تبرَّمتِ الأجفانُ بالسَّهَدِ
يمشى على الأرض مختالاً فأحسبُه   لبُغْض طلعته يمشى على كبدى

وقال آخر :

لخَرْطُ قتادةٍ وحملُ فيلِ   وماءِ البحرِ يغرفُ فى زَبيلِ[٣]
وفكُّ الماضِغَيْنِ وقلعُ ضرسٍ   لأهونُ من مجالسةِ الثقيلِ

ولأبى الحسن علىّ بن العَبّاس الرُّومى :

ولى أصدقاءُ كَثِيرو السَّلَامِ   عَلَىَّ وما فيهمُ نافعُ
إذا أنا أَدْلَجْتُ فى حاجةٍ   لها مطلبٌ نازحٌ شاسِعُ
فَلِى أبدًا معهمُ وقفةٌ   وتسليمةٌ وَقْتُهَا ضائعُ
وفى موقفِ المرء عن حاجةٍ   يُتَمِّمُهَا شاغلٌ قاطعُ
ترى كلَّ غثٍّ كثيرِ الفُضولِ   وَمُصْحَفُهُ مصحفٌ جامعُ

---

(١) فى ا : فقم إلى لعنة الله وحر سقره .
(٢) ديوانه ٥٢ ، معجم الأدباء٦/٢٦٦ وفيه : بالرمد بدل السهد ، وفيه وفىالديوان مختازا بدل مختالا .
(٣) الزبيل : القفة أو الوعاء .

يقول الضميرُ إذا ما بدا : ألا قُبِّح الرجلُ الطُّالِعُ
يحدِّثنى من أحاديثه بما لا يلذُّ به السَّامِعُ
أحاديث هنَّ مثال الضَّريع فآكِلُهُ أبدًا جائعُ
غدوتُ وفى الوقت لى فسحةٌ فضَاقَ بِىَ المنهلُ الواسعُ
تقدّمتُ فاعتاقنى أسْرُهُ إلى أن تقدَّمَنِى التابعُ
وقالت بلُقْيَانِهِ حاجتِى : ألاَ هكذا النكدُ البارعُ
أولئك لاحيُّهم مؤنِسٌ صديقًا ولا ميتُهُمْ فاجعُ

دق طفيلىٌّ باب دار قوم فيها طعامٌ ، فقيل : مَنْ هذا ؟ فقال : أنا الذى كفاكم مؤونة الرّسُول .

لطفيلىّ :

نحنُ قومٌ إذا دُعينا أجَبْنَا ومتى نُنْسَ يَدْعُنَا التّطفيلُ
فنَقُلْ : عَلَّنا دُعِينَا فغِبْنَا أو أتانا فلم يجدْنا الرَّسُولُ[1]

دخل طفيلىٌّ دارَ قوم بغير إذن ، فاشتد عليه صاحب الدار فى القول ، فأغلظ له الطفيلىُّ فى الجواب ، وقال : والله لئن قمتُ لأدخِلَنّك من حيث خرجت .

---

(١) البيتان فى عيون الأخبار ٣/٢٣٢ ، العقد الفريد ٦/٢١٢ ، وفيهما . متى دعينا .

فقال له صاحب المنزل : أما أنا فأخرجُك من حيث دخلت . وأخذ بيده فأخرجه .

قيل لبعض الطفيليين : كم اثنين فى اثنين ؟ قال : أربعة أرغفة .

قال مُطَرِّفُ بن مازِن ، قاضى اليمن : قال لى الرشيد يوما : من عبد الرَزّاقِ ابن هَمّام الصنعانى[1] ؟ فقلت : رجل من أهل الحديث ، سليم الحديث ثقة . فقال : إن صاحب خبرنا باليمن كتب يذكر أنه كتب ثقلاء اليمن . فقلت : صدق يا أمير المؤمنين فكتبنى فيهم . قال : ولم كتبك فيهم ؟ إنك لحسن الحديث خفيف المجلس ، فما أستثقل منك ؟ قلت : عظم قلنسوتى ، وطول عنق بغلتى . فضحك هرون ، فما خرجتُ من عنده حتى أمر لى بكسوة وحملان .

ولطفيلىّ[2] :

كل يوم أدُور فى عَرْصَةِ الْحَـــىّ أشم القُتَار شمَّ الذُّبابِ[3]
فإذا ما رأيت نار عَرُوسٍ أو ختِانًا أو دعوةً لصحابِ[4]

---

(١) عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميرى ، مولاهم ، أبو بكر الصنعانى ، من حفاظ الحديث الثقات ، كان يحفظ نحواً من سبعة عشر ألف حديث ، وقال عنه الذهبى : إنه خزانة علم ، انظر : تهذيب التهذيب ٦/٣١٠ ، وفيات الأعيان ١/٣٠٣ (الأعلام ٤/١٢٦) .

(٢) الأبيات التالية فى العقد الفريد ٦/٢٠٥ ما عدا الأخير ، وانظرها كلها فى كتاب التطفيل ٣٥، ٤٠ .

(٣) فى العقد والتطفيل ٣٥ : فى عرصة الدار ، والقتار : رائحة القدر والشواء .

(٤) فى العقد : آثار عرس أو دخانا .

لم أعرّج دون التقحّمِ لاَ أَرْهبُ شتماً ووكزةِ البوابِ (١)
مستخفّا بمن دخلتُ عليهم غير مُستأذِنٍ ولا هيّابِ
فتراني ألفٌ بالرغم منهم كلّ ماقدَّمُوا كَلفٌ العُقابِ
(٢ ذاك أهنا من الغرمِ وغيظِ البقالِ والقصابِ ٢)

كان يقال : ثمانية إن أهينوا فلا يلوموا إلا أنفسَهم : الذاهب إلى مائدة لم يدع إليها ، والمتآمر على ربّ البيت . . . وقد ذكرنا الحكاية بتمامها فى جامع النوادر من هذا الكتاب .

---

(١) فى العقد : لا أرهب طعنا ولكزة البواب .
(٢) ساقط من ح .

بابُ الشَّماتة

قال الله عزّ وجل حاكيا عن موسى عليه السلام : ﴿ فلا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ ، ولا تَجْعَلْنِي مع القومِ الظَّالمين ﴾[1] .

وقيل لأيُّوب عليه السّلام : أيّ شيء من بلائك كان أشدّ عليك ؟ قال : شماتةُ الأعداء .

قال ابن الكلبي : لما مات رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، شمتت به نساءُ كندة وحضرموت ، وخَضَبْن أيديَهن ، وأظهرن السرور لموته ، وضربن بالدفوف ، فقال شاعر منهم :

أَبْلغ أبَا بكر إذا ما جئتَهُ ... أن البَغَايَا رُمْن شرَّ مرام

أظهرْنَ من موت النبيّ شماتةً ... وخَضَبْن أيديهن بالعَنَّام[2]

فاقطعْ هُدِيتَ أكفَّهن بصارمٍ ... كالبرقِ أومض فى متون غمام[3]

قال النبي عليه السلام : « لا تظهر الشماتة لأخيك ، فيعافيَه الله ويبتليك » .

(١) سورة الأعراف الآية ١٥٠ .

(٢) العنم : شجرة حجازية لها ثمرة حمراء يشبه بها البنان المخضوب فيقال : بنان معنم أى مخضوب ، والرواية فى عيون الأخبار : بالعلام أى الحناء .

(٣) هذا الخبر والأبيات فى عيون الأخبار ٣/١١٦ ، وبقيته فيها : أن أبا بكر كتب إلى المهاجر عامله ، فأخذهن وقطع أيديهن .

من مُنْتقى الدعاء : اللّهم اجعل رزقي رَغَدا ، ولا تشمتْ بِيَ أحدا .

ومن دعائه صلى الله عليه وسلم : « اللهم إنى أعوذ بك من دَرَكِ الشقاء ، ومن جَهْدِ البلاء ، ومن شماتةِ الأعداء» .

قال عدىٌّ بن زيد العبادى(١) :

أيها الشامتُ المعيِّرُ بالدهْـ ... ـرِ أأنت المبرأُ الموفورُ

أم لديكَ العهدَ الوثيق من الأيّـ ... ـامِ بل أنت جاهلٌ مغرورُ

من رأيتَ المنون خَلّدْنَ أمْ مَنْ ... ذا عليه من أَلاَّ يُضامَ خفيرُ(٢)

وقال أبو ذؤيب :

وتجلُّدِي للشَّامِتِين أُرِيهم ... أنّى لريب الدَّهْر لا أتضعْضعُ(٣)

قال محمد بن عبد الله بن عبد الحكم : سمعت أشهبَ بن عبد العزيز يدعو على محمد ابن إدريس الشافعى (٤ بالموت ، أظنّه قال فى سجوده ، فذكرتُ ذلك للشافعى رحمه الله ٤) ، فتمثل :

تمنّى رجالٌ أن أموتَ وإن أَمُتْ ... فتلك سبيلٌ لستُ فيها بأوحدِ

(١) انظر أبيات عدى من قصيدة طويلة فى معجم الشعراء ٢٤٩ ، ٢٥٠ حماسة البحترى ١٢٢ ، عيون الأخبار ٣/١١٥ ، وانظر محاضرات الأدباء ٢/٢٢٤ .

(٢) فى العيون : أم بدل بل فى البيت الثانى ، ومن أن يضام بدل من ألا يضام .

(٣) البيت فى ديوان الهذليين ١/٣ .

(٤) ساقط من ا .

فقُل للذى يبغى خلافَ الذى مضى　　تهيّأْ لأخرى مثلِها فكأنْ قدِ[١]

قال محمدُ : فمات الشافعى رحمه الله ، واشترى أشهب من تركته مملوكا ، ثم مات أشهب بعده بنحو من شهر ، أو قال : خمسة عشر يوماً أو ثمانية عشر يوماً ، واشتريت أنا ذلك المملوك من تركة أشهب[٢] ، والبيتان الذى تمثل بهما الشافعى لطرفة .

قال مهلهل :

كأن الشامتين بقبر جَدّى　　على مُلْكِ الخورنق والسّديرِ
كأن رماحنا فينا وفيهم　　إذا ما أَشرعت أَشطان بيرِ

وقال العَلاء بن قَرَظَة ، خال الفرزدق :

إذا ما الدَّهْرُ جرَّ على أناسٍ　　حوادثَهُ أناخَ بآخرينا
فقل للشَّامتين بنا أفيقوا　　سيلقى الشامتون كما لقينا[٣]

وقال نصيب :

أتصرِمُنى عند الألى هُمْ لَنا العِدَا　　فتُشْمِتَهُمْ بى أم تَدومُ على العَهدِ[٤]

---

(١) البيتان كما قال المؤلف لطرفة ، انظر ديوانه ٤٥ .

(٢) انظر هذا الخبر والبيتين معه فى وفيات الأعيان ١/٢١٦ .

(٣) نسب البيتان للفرزدق فى عيون الأخبار ٣/١١٤ ، ولم أعثر عليهما فى ديوانه ، ونسبا فى حماسة البحترى ١٤٩ ، ١٥٠ لمالك بن عمر الأسدى ، وانظرهما بالنسبة التى هنا فى العقد الفريد ٢/٣٢٢ .

(٤) انظره فى الشعر والشعراء ١١٤ ، معجم الشعراء ٢٥٠ ، التمثيل والمحاضرة ٥٣ .

وقال عديّ بن زيد ، وتمثّل به معاوية عند موته :

فهل من خالدٍ إمّا هلكْنا ... وهل بالموت يا للنّاسِ عارُ

عبد الله بن أبي عيينة :

كلُّ المصائب قد تمرُّ عَلَى الفتى ... فتهونُ غيرَ شماتةِ الحُسّادِ [١]

وقال منصور الفقيه :

يا مَنْ يُسَرّ بموتي ... إذا أتاه البشيرُ
إن البشيرَ بموْتي ... — فلا تُسَرَّ — نذيرُ
واسمعْ فما أنت ممن ... تَخْفى عليه الأمورُ
أَلَيْسَ من كانَ مِثلي ... إلى مصيرى يصيرُ

وله :

أيها المُظهر الشّمَا ... تَة إِن متُّ قبلَهْ
عَنْ قليلٍ يصيرُ مثْـ ... ـلِيَ مَنْ كنتُ مثلَه

وله :

يا شامتينَ بصرْعِي ... اليومُ لى ولكم غَدُ

---

(١) البيت فى محاضرات الأدباء ١/١٢٤ .

وله :

يا شامتًا بى إنْ هلكت ... لكلّ حىٍّ مدًى ووقتُ
وللمنـــــايا وإن تراخت ... فى السير - ياذا الشمات - بَغْتُ[(١)]
وأنتَ فى قبضةِ الليالى ... تخافُ منها الذى أمنتُ
والكأسُ مَلأى فعن قريبٍ ... تشربُ منها كما شربتُ

وقال أيضاً :

ما بينَ يومِ المهنِّياتِ ... وبين يوم المُعَزِّياتِ
وإن توهمتَه طويلا ... إلاّ كما بين هاَ وهاتِ

ومما يُنسب لابن المبارك — وليست له — وإنما هى للمبارك الطبرى :

لولا شماتةُ أعداء ذوى حسدٍ ... أو اغتمام صديق كان يرجونى
لما طلبت من الدنيا مراتبها ... ولا بذلت لها عرضى ولا دينى[(٢)]

وقال آخر :

فمن يكُ عنى سائلا لشَماتةٍ ... بما نالنى أو شامتاً غيرَ سائلِ

---

(١) فى ا : الدهر بدل السير .

(٢) وردت الأبيات فى العقد الفريد ١٩/٣ بدون نسبة .

فقد أبرزتْ منى الخطوبُ ابنَ حُرّةٍ ... صبورًا على ضراء تلك الزلازلِ
إذا سُرّ لم يفرحْ وليس لِنكبةٍ ... إذا نزلت بالخاشِعِ المتضائِلِ

لأعرابىّ وقد أُغيرَ على إبله :

لاَ — والذى أنا عبدٌ فى عبادته — ... لولا شماتةُ أعداءِ ذوى إحَنِ
ما سرنى أن إبلى فى مَبَارِكِهاَ ... وأن شيئًا قضاهُ اللهُ لم يكنِ[1]

(١) البيتان فى عيون الأخبار ٣/١١٤ ، العقد الفريد ٣/٤٢٩ ، الصداقة والصديق ٩٤ ، البيان والتبيين ٣/٢١٤ ، وقد ورد البيت الأول فيه :

لولا مسرة أقوام تصعدنى ... أو الشماتة فى قوم ذوى إحن

باب مؤاخاةِ من ليس على دينك

قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم : « المرء على دين خليله ، فلينظر امرؤ من يخالل » . وهذا معناه — والله أعلم — [١] أن المرء [١] يعتاد ما يراه من أفعال من صحبه ، والدين العادة ، فلهذا أمر ألا يصْحبَ إلاّ من يرى منه ما يحلّ ويجمُل ، فإن الخير عادة . وفى معنى[١] هذا الحديث قولُ عدىّ بن زيد :

عن المرء لا تسألْ وسل عن قرينهِ فكلُّ قرين بالمقارنِ مُقْتدِى

وقول أبى العتاهية :

من ذا الذى يَخْفَى عَليْـ ـكَ إذا نظرتَ إلى خَدِينِه

وهذا كثيرٌ جدا ، والمعنى فى ذلك : ألا يخالط[٢] الإنسانُ من يحمله على غير ما يُحمد من الأفعال والمذاهب ، وأما من يُؤمَنُ منه ذلك فلا حرج فى صحبته .

قال ابن عباس : لو قال لى فرعونُ خيرًا لرددت عليه مقاله .

قال الله عزّ وجل : ﴿ وإذا حُيِّيتُمْ بتحيةٍ فحيُّوا بأحسنَ منها أَوْ رُدُّوها ﴾[٣]

---

(١) ساقط من ح .

(٢) فى ا : أن يخالط .

(٣) سورة النساء ، الآية ٨٦ .

(١ وجاء فى التفسير : أحسن منها لأهل الإسلام ، أو ردوها لأهل الذمة ١) .

وقيل لسعيد بن جبير : المجوسى يولينى خيرًا فأشكره ؟ قال : نعم . قيل : فإن سلّم علىّ أفأردّ عليه ؟ قال : نعم .

وأما مارُوى عن النبى صلّى الله عليه وسلم ، أنه قال فى أهل الذّمة : « لا تبدءوهم بالسّلام ، وإذا لقيتموهم فى طريق فاضطرّوهم إلى أَضْيَقه » فقد قال بذلك طائفة من أهل العلم منهم مالك بن أنس رحمه الله . روى بشير بن عمر الزهرانى ، عن مالك ، أنه كان يكره السلام على أهل الذمة كلّهم . قال بشير : فقلت : أترى أن يُبدَءوا بالسلام ؟ قال : معاذ الله ! أما سمعت قوله تعالى : ﴿ يا أَيُّها الذين آمنوا لا تتخذُوا عَدوِّى وَعَدُوَّكُم أَوْلِيَاءَ ﴾[٢] .

وقال مالك : أكرهُ مُؤاكلةَ أهل الذمة ، لأن المؤاكلة تُوجب المودة .

وقد رُوى عن جماعة من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم ، أنهم كانوا يبدءون بالسلام كل من لقوهُ[٣] من مسلم أو ذمىّ . فالمعنى فى ذلك ، والله أعلم ، أنه ليس بواجب أن يَبدأ المسلمُ المارُّ القاعدَ الذمىَّ ، والراكبُ المسلمُ الذمىَّ الماشِى ، كما يجب ذلك بالسُّنَّة على من كان على دينه ، فإن فعل فلا حرج عليه . فكأنه قال

---

(١) ساقط من ح .
(٢) سورة الممتحنة ، الآية ١ .
(٣) فى ح : يلقوه .

صلى الله عليه وسلم : «ليس عليكم أن تبدءوهم بالسلام» بدليل ما رَوى الوليد بن مسلم عن عروة بن رُويم ، قال : رأيت أبا أمامة الباهلي[(١)] يسلم على كل من لقى من مسلم وذمىّ ، ويقول : هى تحيةٌ لأهل ملّتنا ، وأمانٌ لأهل ذمّتنا ، واسم من أسماء الله نفشيه بيننا . ومحال أن يخالف أبو أمامة السُّنَّة ، لو صحت فى ذلك . بل المعنى على تأويلنا[(٢)] — والله أعلم ، وعلى هذا يصحّ تخريج هذه الأخبار ووجوهها .

ذكر ابن أبى شيبة ، عن إسماعيل بن عياش ، عن محمد بن زياد الألهانى ، وشرحبيل بن مسلم ، عن أبى أمامة ، أنه كان لا يمرُّ بمسلمٍ ولا بيهودىّ ولا بنصرانى إلاّ بدأه بالسلام .

ورُوى عن ابن مسعود وأبى الدَّرداء ، وفُضَالة بن عُبَيد[(٣)] ، أنهم[(٤)] كانوا يبدءون أهل الذمّة بالسّلام .

وقال ابن مسعود : إنّ من التواضُع أن تبدأ بالسَّلام كلَّ من لَقِيت .

وعن ابن عباس ، أنه كتب إلى رجل من أهل الكتاب : السّلام عليك .

---

(١) هو صدى بن عجلان بن وهب الباهلى ، أبو أمامة ، صحابى جليل ، كان مع على رضى الله عنه فى صفين ثم سكن الشام فتوفى بأرض حمص ، وهو آخر من مات من الصحابة بالشام . انظر الإصابة الترجمة ٤٠٥٤ ، تهذيب التهذيب ٤/٤٤٠ ، (الأعلام ٣/٢٩١)

(٢) فى ا : على ما قد تأولنا .

(٣) ابن نافذ بن قيس الأنصارى الأوسى ، صحابى من الذين بايعوا تحت الشجرة ، شهد أحدا وما بعدها ، وشارك فى فتح الشام ومصر ، ثم ولاه معاوية قضاء الشام ، وتوفى بها سنة ٥٣ هـ . انظر : الإصابة الترجمة ٦٩٩٤ ، تهذيب التهذيب ٨/٢٦٧ .

(٤) ساقط من جـ .

وسُئل عبد الله بن وهب ، صاحب مالك ، عن غيبة النصرانى ، فقال : أو ليس من الناس ؟ قالوا : بلى . قال : فإن الله عز وجل يقول : ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾[١] .

وقيل لمحمد بن كعب القُرَظى : إن عمر بن عبد العزيز سُئل عن ابتداء أهل الذمة بالسلام فقال ترد عليهم ولا تبدؤهم . فقال محمّد بن كعب : أمّا أنا فلا أرى بأساً أن تبدأهم بالسلام ، قيل له : لِمَ ؟ فقال : لقوله عز وجل : ﴿ فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ ﴾[٢] .

ومن حُجّةِ من ذهب إلى هذا قولُه عزَّ وجلَّ : ﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِى الدِّينِ ﴾[٣] الآية . وذهب جماعة من العلماء إلى مثل ما ذهب إليه عمر بن عبد العزيز فى ذلك .

وَرَوَى ابن المبارك عن شريك عن أبى إسحاق ، قال : كان يقال : من الحمق[٤] أن تؤا كل غيرَ أهلِ دينك .

---

(١) سورة البقرة الآية ٨٣ .

(٢) سورة الزخرف ، الآية ٨٩ .

(٣) سورة الممتحنة ، الآية ٨ .

(٤) فى ا : الجفاء .

قال أبو الطمحان الأَسَدِىّ(١) :

كأن لم يكن بالقَصْرِ قَصْرِ مُقاَتِل ... وزورةَ ظلٌّ ناعمٌ وصـديقُ

وإنّى وإن كانوا نصارى أُحِبُّهُمْ ... ويرتاحُ قلبى نحوهم وَيَتُوقُ

ولبعضهم فى مجوسى ساق عنه صداق امرأته ، وهو الأقيشر الأسدى :

شهدتُ عليك بطيبِ المُشَاشِ(٢) ... وأنّك حُـــرٌّ جَوَادٌ خِضَمْ

وأنّكَ سـيِّد أهْـلِ الجحيمِ ... إذا ما تردَّيْت فيمن ظَـــلَمْ

كفانى المجـوسِىُّ مهرَ الرَّبَابِ ... فدًى للمجوسى خالٌ وَعَمْ(٣)

روى إسماعيلُ بن إسحاق ، قال : سمعت ابن أبى أُوَيْس(٤) ، يقول : سُئِل مالك ، أترى بأساً إذا أهدَى اليهودىُّ أو النصرانى للمسلم أن يكافئَه ، فقال : معاذَ الله ! وما للمسلم أن يقبلَ هديته حتى يكافئه .

وقال آخر :

وجدنا فى اليهودِ رجالَ صِدْقٍ ... على ما كان من دِينٍ يريبُ

---

(١) ورد البيتان بهذه النسبة فى الحيوان ١٥٧/٥ ، ١٥٨ ، ووردا فى الكامل ٢٦/١ ضمن خمسة أبيات منسوبة لطخيم بن أبى الطمخاء الأسدى ، يمدح قوما من أهل الحيرة من بنى امرىء القيس بن زيد بن مناة ابن تميم ، ثم من رهط عدى بن زيد العبادى ، وكذلك وردت بهـذه النسبة فى المؤتلف ١٥٠ ، وقد وفق الأستاذ عبد السلام هرون بين النسبتين بأن ذكر أن أبا الطمحان هى كنية طخيم ، انظر هامش الحيوان ١٥٧/٥ ، ١٥٨ .

(٢) المشاش : النفس والطبيعة والأصل .

(٣) الأبيات فى عيون الأخبار ٢٩٦/٢ ، الحيوان ١٥٩/٥ .

(٤) ابن أبى أويس : إسماعيل بن عبد الله بن عبد الله بن أويس بن مالك الأصبحى ، أبو عبد الله =

خليلان اكتسبتهما وإنّى ... لخُلّةِ ماجدٍ أبدًا كسوبُ[(١)]

للمريمى الشاعر، وهو القاسم بن يحيى، من ولد أبى مريم السلمى صاحب النبى عليه السلام، يخاطب أبا يعقوب إسحاق بن نصر الكاتب العِبادى عند إسلام الوليد ابن أخيه، وكان إسحاق هذا كاتب أبى الجيش بن طولون صاحب مصر[(٢)]:

تَعزَّ فإنَّ الحرَّ لا بدَّ يَخْلَقُ ... وكلُّ امرئٍ للخيرِ والشرِّ يُخْلَقُ

وما فُرَجُ الأيامِ إلاّ مَواهبٌ ... فمن بين محرومٍ وآخرَ يرزقُ

وما الحزمُ إلاّ أن يُنَزِّهَ نفسَه ... فتًى كادَ فى بحرٍ من الهمِّ يغرَقُ

إذا لم يكنْ فى ردِّ ما فاتَ حيلةٌ ... فإن الفتى بالصبر أحْرى وأخلقُ

أتانِىَ غمٌّ من سرورٍ سمعتُه ... فلا أنا مَأْسورٌ ولا أنا مُطْلَقُ

سررتُ بإسلامِ الوليدِ ديانةً ... وأقْلقنى علمى بأنك مُقْلَقُ

فقلبى به شطرانِ جذلانُ واحدٌ ... وآخرُ محزونٌ من أجْلِكَ محرَقُ

أنارَ لكم فينا وأشرق كوكبٌ ... لنا مثلُه فيكم ينير ويشرقُ

فكم راعنا من مُسْلِمٍ متنصرٍ ... فهذا بهذا والسَّعيدُ[(٣)] الموفَّقُ

= ابن أبى أويس، ابن أخت الإمام مالك ونسيبه، محدث روى عنه الشيخان، توفى سنة ست أو سبع وعشرين ومائتين للهجرة، انظر ترجمته فى تهذيب التهذيب ٣١١/١ وما بعدها.

(١) البيتان ضمن ثلاثة أبيات فى الحيوان ١٥٧/٥ منسوبة لأبى صالح مسعود بن قند الفزارى وبعد البيت الأول:

لعمرك إننى وابنى غريض ... لمثل الماء خالطه الحليب

(٢) ساقط من حـ.

(٣) فى ا: والمعيد.

(١) لزيبا النصرانى - وكان يتشيع -:

عدىٌّ وتيم لا أحاول ذكركم ... بسُوءٍ ولكنّى محبٌّ لهاشمِ
وما تعترينى فى علىٍّ ورهطِهِ ... إذا ذكروا فى الله لومة لائمِ
يقولون ما بال النصارى تحبهم ... وأهلُ النهى من أعربٍ وأعاجمِ
فقلت لهم : إنى لأحسب حُبّهَم ... سرى فى قلوب الخلق حتى البهائمِ (٢)

وله أيضاً :

علىٌّ أميرُ المؤمنين خليفةٌ ... وما لسواه فى الخلافة مطمعُ
فلو كنت أبغى ملة غير ملتى ... لما كنتُ إلا مسلما أتشيعُ (١)

---

(١) ساقط من ج .
(٢) وردت الأبيات فى المحاسن والمساوىء ١/٥٠ منسوبة الموصلى النصرانى ، وفيها : عدى وتيم ، هذا وقد ذكر أحمد تيمور باشا فى كتابه الحب عند العرب ١٥٨ أن هذه الأبيات وردت فى نفح الطيب منسوبة الى زينب بنت إسحق النصرانى .

باب الولد والوالد

قال رجل لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم : من أبَرُّ يا رسولَ الله ؟ قال : « أمَّك قال : ثم من يا رسول الله ؟ قال : أمَّك . قال : ثم من ؟ قال : أباك ثم أدناك » ومنهم من يرويه : أمك ثلاث مرات ، والأول أثبت .

وسئل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : أيُّ الأعمال أفضل ؟ فقال : « الصلاة لوقتها ، وبرُّ الوالدين » .

وقال صلى اللهُ عليه وسلم : « البرُّ والصلة وحُسْن الجوار ، عمارةُ الديار وزيادة في الأعمار » .

وقال الحسن : البرّ أن تطيعَهما في كلّ ما أمراك به ، ما لم تكن معصية الله ، والعقوق هجرانُهما ، وأن تحرِمَهما خيرَك .

قال عروةُ في قوله تعالى : ﴿ واخفِضْ لهما جناحَ الذُّلّ من الرَّحْمَة ﴾[1] . هو ألاّ يمنَعَهما من شيء أراداه .

قال يزيد بن أبي حُبَيْب : كان العلماء يقولون : حقُّ الأم أعظم من حق الأب ، ولكلٍّ حق .

---

(١) سورة الإسراء الآية ٢٤

رأى ابنُ عمر رجلا يطوف بالبيت حاملا أمَّه ، وهو يقول لها : أترينى جزيتُك يا أمّه ؟ فقال ابنُ عمر : ولا طَلْقة واحدة ، أو قال : ولا زَفْرة واحدة .

وروى في الخبر المرفوع : « ما برّ أباه من سدّد النظرَ إليه » .

قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم : « من أراد أن يصل أباه بعد موته ، فليصلْ إخوانَ أبيه » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « الوُدُّ يتَوَارث ، والبُغْضُ يتَوَارَث » .

وقال عليه السلام : « ثلاثٌ يطفئن نورَ العبد : أن يقطع ودّ أهلِ بيتهِ ، ويبدّلَ سُنّة صالحة ، ويرمي بصرَه في الحجرات » .

قال رسولُ الله صلى الله عليه وسم : « لا يدخلُ الجنة عاقّ ، ولا منّان ، ولا مُدْمن خمر ، ولا مدمن سِحْر ، ولا قتّات[1] » .

للرَّبيع بن ضَبُع[2] :

أَلاَ أَبْلغْ بَنِيَّ بَنِي رُبَيْعٍ ... فأشرارُ البنينِ لكمْ فداءُ

---

(١) القتات : النمام ، أو هو الذى يسمع أحاديث الناس من حيث لا يعلمون ، سواء نمها أم لم ينمها .

(٢) ابن وهب بن بغيض الفزارى الذبيانى ، شاعر جاهلى معمر من الفرسان ، كان أحكم العرب فى زمانه ، ومن أشعرهم وأخطبهم ، وأدرك الإسلام وقد كبر وخرف ، فقيل : أسلم ، وقيل : منعه قومه من الإسلام ، انظر خزانة البغدادى ٣/٣٠٨ (الأعلام ٣/٣٩) . وانظر أبياته فى : حماسة البحتري ٣٢٢ ، العقد الفريد ٣/٥٥ ، النوادر ٢١٥ .

بأنى قد كَبُرْتُ وَرَقَّ جِلْدِى[١] فلا تَشْغَلكُمُ عنِّى النِّسَاءْ
إذا كان الشتاء فأدفئونى فإن الشيخَ يُهرِمُه الشتاء[٢]
وأما حين يذهب كلُّ قُرٍّ[٣] فسِربالٌ خفيف أو رداء
إذا بلغ الفتى مائتين عاماً[٤] فقد ذهب البشاشة والفتاء

وسئل ابن عباس ، عن رجل قَتَل امرأتَه[٥] ما توبتُه ؟ قال : إن كان له أبوان فليبرهما ماداما حَيّين، فلعل الله أن يتجاوزَ عنه .[٦] وقد جاء عنه مثل ذلك فى المرأة التى تعلمت السحر ثم جاءته تطلب التوبة [٦]

قال مكحول[٧] : برُّ الوالدين كفارةُ للكبائر .

قال محمدُ بن المنكدر : بتُّ أَغمزُ رجل أمّى ، وبات عمى يصلّى ليلته ، فماتسرنى[٨] ليلتُه بليلتى .

---

(١) فى حماسة البحترى : ودَق عظمى .
(٢) وفيها أيضا : يهدمه .
(٣) فى ا : إذا ما تذهبوا فى كل فن .
(٤) فى العقد الفريد : سبعين عاما ، وفى جـ : ستين .
(٥) لعل القتل المقصود هنا هو القتل الخطأ وهو ما تجب فيه الدية لا القصاص .
(٦) ساقط من جـ .
(٧) هو مكحول بن أبى مسلم شهراب بن شاذل الهذلى ولاء ، فقيه الشام فى عصره ، أصله من فارس ، وصار مولى لامرأة فى مصر من هذيل فنسب إليها ، ثم أعتق وتفقه ورحل فى طلب الحديث إلى العراق فالمدينة واستقر فى دمشق ، قال الزهرى : لم يكن فى زمنه أبصر منه بالفتيا . انظر تهذيب التهذيب ١٠/٢٨٩ .
(٨) فى جـ : فما سرتنى .

قال الشاعر فى ابنه :

يودُّ الرَّدَى لى من سفاهة رأيهِ ... ولو مِتّ بانتْ للعدوّ مقاتلُهْ
إذا ما رآنى مقبلاً غضّ طَرْفَهُ ... كأن شعاعَ الشمس دونى يقابلُهْ(١)

ومثله :

إذا أَبصرتَنِي أَعرضْتَ عنّى ... كأنّ الشّمسَ من قِبَلى تَدُورُ(٢)

ولعبد الله بن بكر السّهمى(٣) :

خاللْ خليلَ أَخيك وارع إخاءهُ ... واعلمْ بأن أَخا أَخيك أَخُوكا
وبَنِيكَ ثم بَنِي بنيكَ فكنْ لهم ... بَرًّا فإنّ بنى بنيك بَنُوكا
والطفْ بجدِّكَ رحمةً وتعطُّفًا ... واعلم بأن أبا أَبيك أَبُوكا

رُوى عن ابن عباس أنه قال : إنما ردَّ الله عقوبةَ سليمان بن داود عن الهدهد لبرّه كان بأمّه .

---

(١) الصداقة والصديق ٧٩ .

(٢) البيت لشاعر من طيىء اختلف فى اسمه ، ففى المؤتلف ١٥٢ أنه عنتره بن كبرة الطائى ، وفى حماسة أبى تمام ١/٨٠ أنه عنترة بن الأحرش المعنى الطائى ، وفى حماسة البحترى ٣٩٥ أنه ضمرة بن عكبرة الطائى ، وانظر البيت فى الحيوان ٣/١١٣ ، عيون الأخبار ٣/١١٠ ، الصداقة والصديق ٧٩ من غير نسبة .

(٣) عبد الله بن بكر بن حبيب السهمى الباهلى ، من رجال الحديث الثقات ، نزل بغداد على سعيد بن سلم الباهلى ، وعرض عليه سوار قضاء الأبلة فأبي ، ولم يزل فى بغداد حتى توفى سنة ٢٠٨ هـ . انظر تهذيب التهذيب ٥/١٦٢ .

رأى أبو هريرة رجلا يمشي خلف رجل ، فقال : من هذا ؟ فقال : أبي . قال : لا تَدْعُه باسمه ولا تجلسْ قَبْلَه ، ولا تمش أمامه .

مكتوب في كتب الله عزّ وجل : لا تقطعْ ما كان أبوك يصلُه فيطفَأ نورُك

قال كعب : مكتوبٌ في التوراة، اتق ربك ، وبرّ والديك ، وصِلْ رَحِمَك ، يُمَدّ لك في عمرك ، ويُيسِّرْ لك يُسرَك ، ويُصرفْ عنك عُسْرك .

والآثار في بر الوالدين كثيرة جـدا ، وقد نص[١] الله في كتابه من خفض الجناح لهما ، والحضّ على برهما ما يكفي .

قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « الوَلَدُ الصَّالح من رَيحْانِ الجنة » .

و نظر يوماً إلى الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر ، فقال : « إنكم لتجبِّنُون وَتُبَخِّلُون ، وإنكم لمن رَيحْانِ الجنة » .

دخل عمرُو بن العاص على معاوية ، وعنده بنت له[٢] ، فقال : ابعـدها عنك يا أمير المؤمنين ، فوالله ما علمت إلا أنهن يلِدْنَ الأعـداء ، ويقربن البُعَداء ، ويورثن الضغائن . قال معاوية : لا تقل هذا يا عمرو ، فوالله ما مرض المرضى ،

---

(١) في ا : ذكر .

(٢) في عيون الأخبار ٣/٩٩ : وعنده ابنته عائشة ، فقال : من هذه يا أمير المؤمنين ؟ فقال : هـذه تفاحة القلب . فقال : ابعدها ... الخ .

ولا نَدَبَ الموتى ، ولا اعولّ على الأحـزان[١] مثلهن ، ولرُبّ ابنِ أخت قد نفع خاله .

قال محمدُ بن سليمان : البنون نِعَمٌ ، والبناتُ حسنات ، والله عز وجل يحاسبُ على النعم ، ويجازى على الحسنات .

قال منصور الفقيه :

لولا بنـاتِى وسَيّآتِى ‏ ‏ ‏ لذبتُ شوقاً إلى المماتِ
لأننى فى جـوارِ قومٍ ‏ ‏ ‏ نَغَّصنى قربُهمُ حَيَـاتِى[٢]

وله أيضاً :

أحبُّ البنـاتِ ، فَحُبّ البنا ‏ ‏ ‏ تِ فرضٌ عَلَى كلّ نفسٍ كريمَهْ
لأن شُعَيْبًا لأجـلِ البنا ‏ ‏ ‏ تِ أَخْدَمَهُ اللهُ موسى كليمَهْ

وقال آخر[٣] :

لقـد زاد الحياة إلىّ حُبًّا ‏ ‏ ‏ بناتى إنَّهُن من الضعافِ

---

(١) فى ا : أعان على الإخوان .

(٢) البيتان فى معجم الأدباء ١٨٧/١٩ ، وفيه : يغضى بدل نغصنى ، وفى ا : لطرت بدل لذبت .

(٣) نسب البيتان فى معجم الشعراء ٢٠٨ إلى عيسى بن فاتك أو عانك الحطمى ، وفى الكامل أوردها ضمن خمسة أبيات ، وقال : إنها لأبى خالد القنانى الخارجى ، وقد أرسل إليه قطرى بن الفجاءة يعتب عليه قعوده عن الخروج معهم فكتب إليه بها [illegible] الكامل ٢/٧ [illegible] وانظر عيون الأخبار ٣/٩٤

مخافة أن ـ ين البؤس بعدى　　وأن يشربن رَنَقًا بعد صافِ[(١)]

ولأبى محمد الحسن بن عبيدة الريحانى :

حبذا من نعمة الله البنات الصالحاتُ
هن للنسل وللأُنس وهن الشجراتُ
وبإِحْسَانِ إليهــنّ تـكون البركاتُ
إنّما الأهلون أرضو　ن لنا محترثاتُ
فعلينا الزرعُ فيها　وعلى الله النَّباتُ

كان لأبى حمزة الأعرابىّ[(٢)] زوجتان فولدت إحداهما ابنة ، فعزّ عليه ، واجتنبها وصار فى بيت ضرتها إلى جنبها فأحست به يوماً فى بيت صاحبتها[(٣)] ، فجعلت ترَقِّصُ ابنتها الطفلة[(٣)] وتقول :

ما لِأَبِى حَمْـزَةَ لا يَأْتِينا　　يظلُّ فى البيت الذى يلينا
غضبانَ أَلَّا نـــلدَ البنينا[(٣)]　　تا للهِ ماذلك فى أيدِينَا
بل نحن كالأرض لزارعينا　　ينبت ما قد زرعوه فينا
وإنما نأخذ ما أعطينا[(٣)]

(١) فى الكامل : أحاذر أن يرين الفقر بعدى . وفى ج : مخافة أن ترى البؤسى عليهم ، والرنق : الـكدر .

(٢) سماه فى البيان أبا حمزة الضبي ، وانظر الرجز في البيان والتبيين ١/١٩٥ ، العقد الفريد ٣/٣٤٢ ، ٤٨٢ ، مع اختلاف يسير فى الألفاظ .

(٣) ساقط من ا .

فعرف أبو حمزة قبح ما فعل ، وراجع امرأته .

قال منصور الفقيه :

لولا البناتُ والذنوب لم أكن   يَرُوعنى ذكرُ الحنوطِ والـكَفَنِ [١]

وقال آخر [٢] :

لولا أميمةُ لم أجزع من العَـدَمِ   ولم أَجُبْ فى الليالى حِندِسَ الظُّلَمِ [٣]
وزادنى رغبةً فى العيش معرفتى   ذِل اليتيمةِ يَجْفُوها ذَوُو الرَّحِمِ
أحاذرُ الفقرَ أن يُلْمِمْ بسَاحتِهاَ   فَيهَتِكَ السترَ من لحِمٍ على وضمِ [٤]
أَخشى إضاعة عِمٍ أو جفاءَ أَخٍ   وكنت أَحْنُو عليها من أذى الـكلِمِ [٥]
ما أَنْسَ لا أَنسَ منها إذْ تودِّعُنى   والدمعُ يجرى على الخدّين ذَا سَجَمِ
لا تبرحن فإنْ مِتنا فإنّ لنا   رَبًّا تـكفل بالأرزاق والقِسَمِ
تهوى حيَاَتى وأهوى موتها شَفَقًا   والموتُ أكرم نزال على الحُرَمِ

---

(١) فى ا : لما رعت لذكر .

(٢) الأبيات لإسحاق بن خلف البهرانى ، الحماسة لأبى تمام ١/١٠٧ ، عيون الأخبار ٣/٩٣ ، زهر الآداب ٢/١٧٤ ، محاضرات الأدباء ١/١٥٧ ، وانظر معجم الأدباء ٥/١٢٣ .

(٣) فى الحماسة : ولم أقاس ، وحندس الظلمة شدتها .

(٤) الوضم : ما وقيت به اللحم من الأرض من خشب أو حصير ، والمراد هنا من هتك الستر عن اللحم : الذل والضياع .

(٥) في ا : فظلت [illegible] وفي الحماسة [illegible]

وقال آخر (١) :

أحب بنيّتي وَوَدِدْتُ أنّي   سترتُ(٢) بنيّتي فى قَعْرِ لَحْـدِ
وما إنْ ذاكَ من بُغضٍ ولكن(٣)   مخافة أن تذوق البُؤس بعـدى

رأى ابنُ عباس رجلا ومعه ابنٌ له ، فقال : أما إنّه لو عاش فتنك ، ولو مات أحزنك .

قال محمد بن عليّ بن حسن لابنه جعفر : يابنيّ ! إن اللهَ رضيَني لك وحذّرني منك ، ولم يرضك لى فأوصاك بى ، يا بنيّ ! إن خيرَ الأبناء من لم يدعُهُ البر إلى الإفراط ، ولم يدعُهُ التقصير إلى العقوق .

كان يقال : الولدُ ريحانتك سبعاً ، وخادمك سبعاً ، وهو بعد ذلك صديقك أو عدوُّك أو شريكك .

سأل معاوية بن أبى سفيان الأحنف بن قيس عن الولد ، فقال : يا أمير المؤمنين! أولادنا ثمار قلوبنا ، وعماد ظهورنا ، نحن لهم أرض ذليلة ، وسماء ظليلة ، وبهم نصولُ عند كل جليلة ، فإن طلبوا فأعطهم ، وإن غضبوا فأرْضِهم ، يمنحوك ودهم ،

---

(١) انظر البيتين فى عيون الأخبار ٣/٩٣ ، وقال : أنشدهما ابن الأعرابى .

(٢) فى العيون : دفنت .

(٣) في ا ، وفى العيون : وما بى أن تهون على لكني .

ويحبوك جَهدهم ، ولا تكن عليهم قفلا[١] فيتمنَّوْا موتَك ويكرهوا قربك ويملوا حياتك . فقال له معاوية : لله أنت ! لقد دخلت علىّ وإنى لمملوء غيظا على يزيد ولقد أصلحتَ من قلبي له [٢] ما كان فسد [٢] . فلما خرج الأحنف من عند معاوية بعث معاوية [٣] إلى يزيد بمائتى ألف درهم ، فبعث يزيد إلى الأحنف بنصفها .

قال علىُّ بن أبى طالب : ينبغى لأحدكم أن يتخيّر لولده إذا وُلد الاسمَ الحسَن .

وفى الخبر المرفوع : من نعمة الله عز وجل على الرجل أن يُشْبِهه[٤] ولده .

قال عمر بن الخطاب : عَجِّلوا بكُنَى أولادكم لا تُسْرِع إليهم الألقاب السُّوء .

قال أبو جعفر محمد بن على : بادروا بالكنى قبل الألقاب . قال : وإنا لنكنى أولادنا فى الصغر مخافة اللقب أن يلحق بهم .

قال قتادة : رب جاريةٍ خير من غلام ، [٢] ورُب غلام [٢] قد هلك أهله على يديه .

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « ما نَحَل والدٌ ولده خيرًا من أدب حسن » .

---

(١) فى ا : ثقلا .

(٢) ساقط من حـ .

(٣) ساقطة من حـ .

(٤) حـ : يشهد .

وروى عنه صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « من عال ثلاثَ بناتٍ ، أو ثلاثَ أَخَوات أو ابْنتين أو أختين كُنَّ له حجاباً من النار ، فإن صبر عليهن حتى يزوِّجهن دخل الجنة .

كان يقال : من بلغت ابنته النكاح فلم يزوجها فزنت فعليه مثل إثمها ، وإثمها عليه

(١ وكما لا يصبح الجسد بلا رأس لا تصلح المرأة بغير زوج ١) .

كان عقيل بن عُلَّفة[٢] غيورًا ، فحمل يوماً ابنةً له وأنشأ يقول :

إنّي وإن سيقَ إلىَّ المهرُ ألفٌ وعُبْدان وَذَوْدٌ عَشْرُ

أحبُّ أَصْهارى إلىَّ القبرُ

قال عبد العزيز بن مروان لسعيد بن العاص : كيف حبُّك لبَناتِك ؟ قال : إنى لأحبهن ، على أنهن يلدن الأعداء ويقربن البعداء ، وهن عَدَدٌ ولسن بولد .

كتب عمر بن الخطاب إلى أهل الأمصار : علّموا أولادكم العَوْم والفروسيّة ،

---

(١) ساقط من ا .

(٢) ابن الحارث بن معاوية اليربوعى ، شاعر مجيد مقل من شعراء الدولة الأموية ، كان من بيت شرف فى قومه ، ترغب قريش فى مصاهرته ، ولكنه كان ذا خيلاء وغطرسة ، قال المبرد : كان عقيل بن علفة من الغيرة والأنفة على ما ليس عليه أحد ، توفى نحو سنة ١٠٠ هـ . انظر الأغانى ١١/٨١ـ٨٩ (الأعلام ٥/٤٠) وانظر الأبيات فى زهر الآداب ٢/١٧٤ .

وروّوهم ما سار[١] من المثل ، وما حَسُنَ من الشعر .

كان يقال : من تمام ما يجب للأبناء على الآباء ، تعليمُ الكتابة والسباحة .

قال الحجّاج لمعلّم ولده : علّم وَلَدى السباحةِ قبل أن تعلمهم الكتابة ، فإنهم يجدون من يكتب عنهم ، ولا يجدون من يسبح عنهم .

كان يقال : الدُّعاء على الولد والأهل بالموت يورث الفقر .

قال الشاعر :

خيرُ ما وَرَّث الرجالُ بنيهم ... أدبٌ صالحٌ وحسن الثناء
ذاك خيرٌ من الدنانير والأو ... راق فى يوم شدةٍ أَو رخاء

وهى أبيات كثيرة قد ذكرناها وذكرنا الاختلاف فى قائلها فى باب التعليم فى الصغر ، من كتاب العلم . وفى ذلك الباب كثير من معانى هذا الباب ، والله الموفق للصواب .

قال أعرابى ، وهو حِطَّانُ بن المُعلى[٣] :

أبكانِىَ الدهرُ ويا رُبّما ... أضحكنِي الدُّهر بما يُرْضِى

(١) فى ا : وزودوهم ما صار من المثل .
(٢) هو كتاب جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر .
(٣) شاعر إسلامى ، قامت شهرته على هذه القصيدة التى نوردها ، انظرها فى الحماسة ١/١٨٩، ووردت ببعض مخالفة فى أمالى القالى ٢/١٨٩ ، العقد الفريد ٢/٤٣٨ .

أنزلني الدَّهرُ عَلَى حـــكمه من شاهق عالٍ إلى خفضِ (١)

وابتزّني الدهرُ ثياب الغنى فليس لى ثوبٌ سوى عرضِي (٢)

لولا بُنَيَّاتٌ كَزُغْبِ الْقَطَا يَنْهَضْنَ (٣) من بعضٍ إلى بعضِ

إن هبَّت الريحُ على بعضهم لم تطعَمُ العـيْنُ من الغَمْضِ (٤)

لكانَ لى مضطربٌ واسعٌ في الأرض ذاتِ الطولِ والعرضِ

وإنمـــــا أولادُنا بيْننَا أكبادُنا تمشى على الأرضِ

كان الزبير بن العوام يرقص ابنه عروة ويقول :

أبيضُ من آل أبى عتيقِ مباركٌ من ولد الصِّدِّيقِ

أَلَذُّهُ كما أَلَذُّ ريقِي (٥)

قالوا : من كان له صبيٌّ فليستَصْبِ له .

كانت أعرابية ترقّص ابنها ، أو بعض الأعراب يرقص ابنه ويقول :

أحبُّه حبَّ شحيحٍ مالَهْ قد ذاق طعم الفقر ثم ناله

---

(١) فى العيون : من مرقب عال ، وفى الحماسة : من شامخ .

(٢) رواية الحماسة : غالى الدهر بوفر الغنى ، وفيها وفى العيون : فليس لى مال بدل ثوب .

(٣) فى الأمالى : أجمن بدل ينهضن ، وفى العيون والحماسة : حططن .

(٤) فى العيون : لامتنعت عيني . الخ .

(٥) انظره فى عيون الأخبار ٢/٣٩، ٤٣/٣، ٩٥ ، العقد الفريد ٣/٤٩ .

إذا أُراد بَذْلَه بَدَالَهْ[1]

قال محمد بن يحيي النديم[2] : أول شعر قاله علىّ بن الجهم وهو غلام فى المكتب، وذلك أن أباه أمر المؤدِّب أن يُجْلِسه يوم الخيس عنده فى المكتب حتى يحفظ حزبه ، فحبسه فكتب إلى أمه :

أُمِّى جُعِلْتُ فِدَاكِ من أمّ   أشكو إليك فظاظة الجُهْمِ
قد سرَّحَ الصبيانُ كلُّهمُ   وحُبِسْتُ بالعُدوَان والظُّلْمِ

قال الزيادى : كنت رجلا مِئْنَاثًا ، فقيل لى : أكثر من الاستغفار وقت الجماع ، واستغفر الله عند الجماع ، ففعلتُ فوُلد لى بضعة عشر ولدًا ذكرًا .

قال الشاعر :

وما كل مِئْنَاثٍ سَيَشْقَى ببِنْتِه[3]   وما كلُّ مِذْكَارٍ بَنُوه سُرُورُ

ومن هذا المعنى ذكرٌ فى باب النساء .

---

(١) الرجز فى أمالى القالى ٢/٢٩٣ ، عيون الأخبار ٢/٤٣٩ ، العقد الفريد ٣/٤٧٢ .

(٢) هو محمد بن يحيى بن عبد الله ، أبو بكر الصولى ، كان يلقب بالنديم لأنه نادم ثلاثة خلفاء من بنى العباس هم : الراضى والمكتفى والقادر ، وكان يلقب أيضا بالشطرنجى إذ كان من أحسن الناس إتقانا له وبراعة ، توفى بالبصرة سنة ٣٣٥ هـ . انظر وفيات الأعيان ١/٥٠٨ ، تاريخ بغداد ٣/٤٢٧ . وانظر هذا الخبر و البيتين فى الأغانى فى ترجمة على بن الجهم ، وقد كذبه أبو الفرج جملة وتفصيلا .

(٣) فى ا : استشقى ببنته .

قال أبو العلاء محمد بن أحمد بن جعفر الوَكيعِي[١] : ماسمعت بكار بن قتيبة القاضى[٢] قط ينشد بيت شعر إلاّ مرة ، كنت عنده واختصم إليه رجل وابنه[٣]، فكان من كل واحد منهما إلى صاحبه مالم يحمد بكار ، فالتفت إليهما وأنا أسمع ، فقال :

تَعاطيتُما ثوبَ العُقوقِ كلاكما أَبٌ غَيْر برٍ وابنه غيرُ واصِلِ[٤]

كان لعبد الملك بن مروان بيتُ مالٍ كان قد حجزه من خالص غَلاّته وضياعه، لا يدخله شيء من الغلول ، يعدّه للتزويج وشراء الجوارى اللواتى يطلبُ أولادَهن، وكان يقول : إنّ الغلولَ يبقى فى الولد .

قال أعرابى لأبيه ، [٥] وهو عمر بن ذرّ الهمدانى [٥] يعاتبه : يا أبت ! إن عظيم حقك علىّ لا يذهب صغير حقّ عليك ، والذى تَمُتُّ به إلىّ أمت بمثله إليك ، ولستُ أزعم أنا سواء ولكنى أقول لا يحل الاعتداء .

---

(١) ساقط من ج ، وأبو العلاء محدث ثقة ثبت ، ولد بالكوفة سنة ٢٠٤ ، ثم قدم إلى مصر تاجرا فظل بها إلى أن توفى سنة ٣٠٠ هـ انظر : تهذيب التهذيب ٩/٢١ .

(٢) ابن أسد الكوفى ، قاض فقيه محدث ، ولى قضاء مصر للمتوكل العباسى سنة ٢٤٦ هـ ، ولما صار الأمر إلى أحمد بن طولون أمره بخلع الموفق من ولاية العهد فأبى ، فسجنه ، فأقام فى السجن يقصده الناس ويروون عنه الحديث ويتقاضون إليه حتى مات ، انظر وفيات الأعيان ١/٦١ ، (الأعلام وهامشه ٢/٣٤) .

(٣) فى ج : وأمه .

(٤) فى ج : فاضل .

(٥) ساقط من ا ، وعمر هذا هو عمر بن ذر بن عبد الله بن زرارة الهمدانى ، من رجال الحديث ، ومن أهل الكوفة ، كان رأسا فى القول بالإرجاء ، فاختلفوا فى صحة حديثه . انظر : تهذيب التهذيب ٧/٤٤٤ .

قيل لأعرابى ، وكان له ابن عاقّ : كيف ابنُك ؟ قال : عذابٌ أزعف[1] علىّ به الدهر ، فليتنى قد أودعته القبر ، فإنه بلاء لا يقاومه الصبر ، وفائدة لا يلزم عليها الشكر .

دخل إلى جعفر بن القاسم بن جعفر بن سليمان الهاشمى أعرابى ، فسأله جعفر عن بنيه ، فقال[2] :

إن بَنِىَّ خيْرُهُمْ كالكَلْبِ ۞ أبرُّهم أولعُهم بسبّى[3]

لم يغنِ عنهم أدَبى وَضَرْبِى ۞ فليتنى كنتُ عقيمَ الصُّلْبِ[4]

ولبعض العقلاء البررة الأدباء :

بنفسِى أنتِ لا بأبى فإنى ۞ رأيتُ الجودَ بالآباء لُؤْمَا[5]

كان يقال : من فوائد الدهر موتُ الابن العاقّ .

---

(١) أزعف عليه : أجهز .

(٢) انظر الرجز فى أمالى القالى ١٩٨/٢ ، الأدباء ١٥٨/١ ، المحاسن والمساوىء ١٩٠/٢ .

(٣) فى ا : كلهم بدل خيرهم، وفى الأمالى : أولاهم ، بدل أولعهم ، وفى المحاسن : أأمهم بدل أبرهم .

(٤) فى الأمالى : ورد بدل الشطرة الثانية من هذا البيت شطرة أخرى هى : ولا انساعى لهم ورحبى ، ورد بعد ذلك هو :

فليتنى مت بغير عقب ۞ أو ليتنى كنت عقيم الصلب

ويروى : الزب بدل الصلب .

(٥) انظر البيت فى محاضرات الأدباء ١٩٣/١ .

قال أمية بن أبى الصلت ، وهو قد عتب على ابنه[١] :

غَـذَوْتُك مولودًا وَعُلْتُك يافعا ... تُعَلُّ بما أَسعى عليـك وتُنْهَـلُ[٢]

إذا ليلةٌ جاءتك بالشـكوِ لم أكن ... بشـكواك إلّا ساهـــرًا أَتململُ[٣]

كأنى أنا المطرُوق دونك بالذى ... طُرِقْتَ به دونى فعينىَ تَهْمُلُ[٤]

تخافُ الردّى نفسى عليـك وإنها ... لتعلمُ أن الموت وقتٌ مؤجـــلُ[٥]

فلمـــا بلغت السنَّ والغايةَ التى ... إليها مدى ما كنت قبلُ أؤملُ[٦]

جعلت جزائى غلظةً وفظاظةً[٧] ... كأنك أنتَ المنعمُ المتفضـــلُ

فليتك إذ لم ترْعَ حـــقَّ أُبُوَّتِى ... كما يفعلُ الجارُ المجاورُ تفعـــلُ[٨]

ورضى أبو الشَّغْب العَبْسى عن ابنه فقال[٩] :

---

(١) وردت الأبيات فى عيون الأخبار ٣/٨٧ منسوبة إلى يحيى بن سعيد ، والصحيح أنها لأمية ، انظر ديوانه ١٠٢ ، وانظر حماسة أبى تمام ١/٣١٩ ، ٣٢٠ .

(٢) فى العيون : منتك بدل علتك ، وأجنى بدل أسعى ، وفى الحماسة : أدنى إليك .

(٣) رواية الحماسة : إذا ليلة نابتك ... لم أبت ، وفى العيون : نالتك .

(٤) فى العيون والحماسة : وعينى بدل فعيناى .

(٥) لم يرد هذا البيت فى العيون ، ورواية الحماسة : حتم بدل وقت .

(٦) فى العيون : فلما بلغت الوقت فى العدة التى .

(٧) العيون والحماسة : جعلت جزائى منك جبها وغلظة .

(٨) فى العيون والحماسة : فعلت كما الجار ... الخ .

(٩) الأبيات التى تلى فى حماسة أبى تمام ١/١٠١ ، ١٠٢ ، أمالى القالى ٢/٣ ، الكامل للمبرد ١/١٠١ ، والبيتان ٢ ، ٣ فى عيون الأخبار ٣/٥ ، وذكر فيه : أنها فى مدح الإخوان وليس الأبناء ، وقد وردت الرواية على هذا : إذا كان إخوان الرجال ...الخ ، ولا يتفق هذا مع أى من المراجع الأخرى ، وقد نص فى الكامل على أنها من أب فى ابنه ، قال : قال أبو العباس : أنشدنى التوزى لأبى رياط يقول لابنه ... الخ .

رأيتُ رباطا حين تمَّ شبابُه ... وولىّ شبابى ليس فى برِّه عَتْبُ
إذا كان أولادُ الرجال حزَازَةً[١] ... فأنت الحلال الحلو والبارد العذبُ
لنــــا جانبٌ منه دميثٌ وجانب ... إذا رامه الأعداء ممتنعٌ صعبُ[٢]
يخـــــبّرنى عما سألتُ بهيّنٍ ... من القول لا جافى الكلام ولا لُغْبُ[٣]

وقال آخر :

فلو كنتم لكيِّسَةٍ أَكَاسَتْ ... وكيسُ الأمّ أكْيَسُ للبنينا[٤]

(١) فى الكامل : مرارة . والحزازة : وجع القلب من الغيظ .
(٢) فى الكامل : أنيق بدل دميث ، وفيه وفى العيون : مزكيه بدل ممتنع .
(٣) اللغب : الفاسد من الكلام .
(٤) فى ا : لكنتم بدل أكاست . وانظر البيت فى البيان والتبيين ١٩٥/١ ، ٣٤٨/٣ ، محاضرات الأدباء ١٥٩/١ .

بابُ الأقارب والموالى

قال رجلٌ لرسول الله صلى الله عليه وسلم : (يارسول الله)[1] إن لى قرابةً أَصِلُهم ويقطعوننى ، وأحسن إليهم ويُسيئون إلىّ . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يَزال معك من الله ظهيرٌ ما كنتَ على ذلك » .

قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم : « ما مِن ذنبٍ أجدر بأن تعجّل لصاحبه العقوبة فى الدنيا مع ما يدخرله فى الآخرة، من البَغْى وقطيعةِ الرَّحِم » .

ويروى عنه صلى الله عليه وسلم : « حقُّ كبير الإخوة على صغيرهم ، كحقّ الوالد على ولده » .

وقال أبو الدرداء : مكتوبٌ فى التوراة : إن أحسد الناس لِعالِمٍ وأبغاهم عليه ، قرابته وجيرانُه » .

قال رسولُ الله صلى الله عَليه وسلم : « مَوْلَى القوم منهم » .

قال ابن عباس : قد تُقْطَعُ الرَّحِم ، وقد تُكفر النُّعمى ، ولا شىء كتقارب القلوب . وفى رواية أخرى عنه ، تُكْفَر النعمة ، والرَّحم تُقْطَع ، والله يؤلّف بين القلوب ، وإذا قارب بين القلوب لم يُزَحْزِحها شىء أبدًا ، ثم تلا : ﴿لو أنفقتَ

---

(١) زيادة من م.

ما فى الأرضِ جميعاً ما أَلَّفتَ بين قلوبِهِمْ ، ولـكنّ اللهَ أَلَّفَ بينهم ﴾[١] .

كان يقال : لا تُؤَدِّى حَقَّ[٢] الرحم إلا بأن تصـل من أدلى بها إذا قطعك ، وتعطيه إذا حرمك .

قال الشاعر :

وجدتُ قريبَ الوُدِّ خيرًا وإن نَأَى   من الأبعد الودِّ القريبِ المناسبِ
ورب أخ لم يُدْنِهِ منـك والدٌ   أبرُّ من ابنِ الأم عنـد النوائبِ
ورب بعيـــد حاضرٍ لك نفعُهُ   ورُبَّ قريبٍ شاهدٍ مثلُ غائبِ

ولمنصور الفقيه :

[٣] مناسبُك الأدْنى أشـدُّ عداوةً   وكفرًا لمـا أوليتَه من عداتـكا
يقول الذى بينى وبينك مُوجِبٌ   عليك لعمـــرى أُثْرَتى بحياتـكا
وما خيرُ من يُمسى ويصبح ساخطا   على الله فى تأخـــيره لماتـكا

وقال آخر[٣] :

أشدُّ عداوةً وأقلُّ نفعًا   من الرجلِ البعيدِ الأقربُونا

---

(١) سورة الأنفال الآية ٦٣
(٢) فى حـ : صلة .
(٣) ساقط من ا .

وقال آخر(١) :

ولا خيرَ فى قُرْبَى لغيرِكَ نفعُها ... ولا فى صديقٍ لا تَزَالُ تعاَتبُه
يخو ُنك ذو القربى مرارًا ورُبَّما ... وَفَى لك عند الجُهْد من لا تُناَسِبُه

قالت الأعراب : ابن عمك عدوك وعدو عدوك .

قال الفضل بن العباس اللهبي(٢) فى بنى أمية(٣) :

مهلا بنى عمنا عن نحت أَثْلَتِنَا ... سيرُوا قليلاً كما كنتم تسيرونَا(٤)
لاتطمعُوا أن تهينونَا ونكرمكمُ ... وأن نكفَّ الأذى عنكم وتؤذُونَا
مهلا بنى عمنا مهلاً مَوالينا ... لاتنشرُوا(٥) بيننا ما كان مدفونا
الله يعلمُ أنّا لا نحبكمُ ... ولا نلومكُمُ ألا تحبونَا
كل يُداجى(٦) على البغضاء صاحبَه ... بنِعْمةِ الله نقليكم وتقلُونَا

---

(١) هو بشار ، انظر ديوانه ١/٣٠٩ ، محاضرات الأدباء ١/٢٢ ، الصداقة والصديق ١١١ وفيهما : تقاربه بدل تناسبه .

(٢) سبقت ترجمته فى هذا الجزء .

(٣) وردت الأبيات فى الحماسة لأبى تمام ١/٨٢ ، مع اختلاف فى الترتيب ، وانظر البيت الثالث فى الكامل ٢/٢٧٩ ، وبعضها فى المؤتلف ٣٥ ، معجم الشعراء ٣١٠ ، العقد الفريد ٢/٣٢٨ ، عيون الأخبار ١/٢١٣ .

(٤) الأثلة : الشجرة العظيمة ، وتستعار للعرض ، والمقصود كفوا عن ذمنا وشتم أعراضنا ، ورواية الحماسة : رويدا بدل قليلا .

(٥) فى الحماسة : لاتنبشوا .

(٦) فيهما أيضا مداج.

قال مضرِّس بن لقيط الفقعسى :

فقـدتُ موالىَّ الذين كأنّهم دماميلُ فى وجهى على تُنَخِّسُ

ولما قتل الحسين بن علىّ ، قالت بنت عقيل بن أبى طالب :

ماذا تقولون إنْ قال النبىُّ لـكم ماذا فعلتم وأنتم آخــرُ الأممِ
بعِتْرَتى وبأهلى عنـد منطلق منهم أسَارَى وَقَتْلَى ضُرِّجُوا بدمِ
ما كان هذا جزائى إذ نصحتُ لـكم أنْ تخلفونى بسُوءٍ فى ذوى رَحِمى (١)

لسُوَيْد الحارثى أو غيره (٢) :

بنى عمنا لا تذكروا الشِّعْر بعدما دفنتُمْ بصحراء الْغُمَيْمِ القوافيَا (٣)
فلسنا كما كنتُم تصيبُون مثلَهَ فيقبلَ عَقْلاً أو يحكِّمَ قاضيًا (٤)
ولـكنَّ حكم السيف فيكم مُسَلَّطٌ فنرضى إذا ما السيفُ أصبح راضيا
فإن قلتُمُ إنا ظلمنا فإنـكم (٥) بدأتُم ولـكنا أَسَأْنَا التّقاضيا

---

(١) انظر الأبيات فى : الـكامل ١/٩١ ، عيون الأخبار ١/٢١٢.

(٢) وردت الأبيات فى الحماسة لأبى تمام ١/٤١ ، وقال : أنها للشميذر الحارثى أو سويد بن صميع الرندى الحارثى ، وانظر عيون الأخبار ١/٧٧ .

(٣) فى الحماسة : الغمير بدل الغميم ، والغمير موضع بين ذات عرق والبستان ، قبله بميلين يوجد قبر أبى رغال .

(٤) فى الحماسة : سلة بدل مثله ، وصيفا بدل عقلا .

(٥) فيها أيضا : فلم نـكن بدل فإنـكم .

وقال الأضبطُ بن قُرَيْع :

فَصِلْ حبالَ البعيدِ إنْ وصل الْ حَبْلَ وأقصِ القريبَ إن قَطَعَهْ[١]

قال قيس بن زهير[٢] :

شفيت النفس من حَمَل بن بَدْرٍ وسيفى من حُذَيفة قد شفانى

[٣] قتلت إخوتى سادات قومى وقد كانوا لنا حلى الزمان [٣]

فإن أك قد شفيت[٤] بهم غليلى فلم أقطع بهم إلا بنانى

قال ذو الإصبع العدوانى[٥] :

ولِى ابنُ عمٍّ على ما كان من خُلُقٍ مخالفٍ لِىَ أَقْليه وَيَقْلِينِى[٦]

أزرى بنا أننا شالت نعامتُنا[٧] فخالنى دونه بل خلتُه دونى

اللهُ يعلمنى واللهُ يعلمكُمْ والله يجزيكمُ عنى ويجزينى

---

(١) البيت فى البيان والتبيين ٣/٢٨٠ ، العقد الفريد ٢/٣١٥ ، زهر الآداب ٢/٢٠٤ .

(٢) الأبيات التالية فى : حماسة أبى تمام ١/٧١ ، عيون الأخبار ٣/٨٨ ، محاضرات الأدباء ٢/٢٥ ونسبت فيها لقيس بن زياد ، وانظر معجم الشعراء ٣/٣٣٢ ، أمالى القالى ١/٢٦٢ .

(٣) ساقط من ج .

(٤) فى ا : بردت وكذلك فى العيون ، وفى المعجم : فإن أك قد شفيت بذاك قلبى .

(٥) الأبيات فى الحيوان ٤/٣٦٤ ، عيون الأخبار ٢/٣٢٨ ، أمالى القالى ١/٢٥٥ ، ٥٦ .

(٦) فى الأمالى : مختلفان فأقليه .

(٧) شالت نعامتهم إذا انتقلوا من الموضع فلم يبق منهم فيه أحد ، والمقصود تغير حالهم من يسر إلى عسر

ماذا عَلَيَّ وإن كنتم ذوى رحمٍ ... ألا أحبكمُ إذ لم تُحِبُّونِى

قال الأعشى(١) :

وإنّ القريبَ من يقرِّبُ نفسَهُ ... لعمْرُ أبيك الخيرِ لا مَنْ تَنَسَّبَا

وقال آخر :

وإنِّى للبَّاسُ عَلَى الْمَقْتِ والقِلَى ... بنى العمِّ منهم كاشحٌ وَحَسُودُ

أذبُّ وأرمِى بالْحَصَى من ورائهمُ ... وأبدأُ بالنُّعْمى لهم وأعودُ(٢)

قال ابنُ العميد :

آخِ الرجالَ من الأَبَا ... عِدِ والأقاربَ لا تُقارِبْ

إن الأقاربَ كالعقا ... ربِ أو أشدُّ من العقاربْ(٣)

كان عبد الله بن العباس صديقاً لعمر بن عبد الرحمن بن عوف فلقيه يوماً مغتاظاً . فقال له : مالك ؟ قال : لقينى فلانٌ — لرجل من أهله — فشتمنى وآذانى. فقال له : هوِّنْ عليك فما من ضارٍ على طريدةٍ بأسرعَ إليها من ابن عم دَنِيٍّ إلى ابن عم سَرِىّ ، فهوِّنْ عليك .

---

(١) ديوانه ١١٣ .

(٢) البيتان فى محاضرات الأدباء ١/١٧٥ ، وفيه : بالعصا بدل الحصى ، والحسنى بدل النعمى .

(٣) البيتان فى يتيمة الدهر ٣/١٦٣ ، ١٨٤ ، خاص الخاص ١٢٦ ، التمثيل والمحاضرة ١٢٢ .

من شعر طرفة ، ويروى فى شعر عدى بن زيد[١] :

وظلمُ ذوى القُربى أشدُّ مضاضةً على المرء من وقع الحسام المهنَّدِ

وقال أبو فراس الحمدانى[٢] :

وهل أنا مسرورٌ بقرب أقاربى إذا كان لى منهم قلوبُ الأباعدِ

قال العتّابى : عشيرتُك مَنْ أَحْسَنَ عِشْرَتَك ، وابن عمّك من عَمَّك خيرُه ، وَقَرَابتك من قَرُب منك نفعُه ، وأحبّ الناس إليك أخفّهم ثقلا عليك .

وقال[٣] :

إنى بلوتُ الناسَ فى أحوالهم وَخَبَرْتُ ماوصفُوا من الأسبابِ[٤]

فإذا القرابة لا تُقرّبُ قاطعاً وإذا المودةُ أقربُ الأنسابِ

---

(١) ورد البيت فى معلقة طرفة ، وعلق على ذلك التبريزى فى شرحه لها أنه لعدى ، انظر هامش الحيوان ١٥٠/٧ ، وقد نسب البيت لعدى فى حماسة البحترى ٣٩٣ ، عيون الأخبار ٨٨/٣ ، نهاية الأرب ٦٣/٣ . والرواية فيها كلها : أشد عداوة بدل مضاضة .

(٢) ديوانه ٣٦ .

(٣) ورد البيتان فى حماسة البحترى ٢٧٨ ونسب فيها إلى يحيى بن زياد ، ونسبهما فى العقد الفريد ٣١٤/٢ الى أبى تمام وليسا فى ديوانه .

(٤) رواية حماسة البحترى لهذا البيت :

ولقد عرفت القائلين وقولهم وفهمت ما ذكروا من الأسباب

ورواية العقد :

ولقد سبرت الناس ثم خبرتهم ووصفت ما وصفوا من الأسباب

وانظر عيون الأخبار ٩٠/٣ .

وقال آخر :

كم من أخٍ لك لم يــلده أبوكا وأخٍ أبوه أبوك قد يجفـوكا[١]

وهـذا مأخوذ — والله أعلم — من قول أكثم بن صيفي : رب أخ لم تجمعه معك ولادة .

قال آخر[٢] :

قومي هُمُ قتلوا ـ أُميمَ ـ أخي فإذا رَمَيْت أصابني سهمي

فلئن عفوتُ لأعفوَنْ جَلَلاً ولئن سطوتُ لأوهِنَنْ عظمي

وقال أبو الأسود الدؤلي :

إذا المرء ذو القربى وذو الود أجْحفَتْ به سَـنَةٌ حَلَّتْ مصيبتُه حِقْـدِي[٤]

قال آخر[٥] :

سآخذ منـكم آلَ حَزْنٍ لِحَوْشَبٍ وإن كان مولائى وكنتم بنى أَبِى[٦]

---

(١) البيت ضمن ثلاثة أبيات فى العقد الفريد ٢/٣٠٧ ، غير منسوبة لقائل .
(٢) هو الحارث بن وعلة الجرمى كما فى حماسة أبى تمام ١/٧١ ، وانظر عيون الأخبار ٣/٨٨ .
(٣) فى العيون : يصيبى بدل أصابنى ، وقرعت بدل سطوت .
(٤) البيت فى ديوانه ٣٦ ، ورواية ا : جلت مصيبته عندى ، وفى عيون الأخبار ٣/١٠٧ : ذو الضعف بدل الود ، وفى فصل المقال ١٨٠ ، ذو الذنب وفيه : نـكبته بدل مصيبته .
(٥) قال فى حماسة أبى تمام١/١٢٠ : يقال إنه جندل بن عمرو ، وقد ورد البيتان بدون نسبة فى عيون الأخبار ٣/٨٩ .
(٦) يروى ، وإن كان لى مولى ، وفى الحماسة والعيون : مولاى وقال الشارح وفيه الـكف ، وهو حذف النون من مفاعيلن ، ولم يرد فى الحماسة بيت مـكفوف غيره .

فإنْ كنت لا أرْمَى وَترْمَى عشيرتى ... تُصِبْ جائحاتُ النبل كشجى وَمِنْكبى[١]

وقال آخر :

فلم أر عز المرء إلا عشـــيرة ... ولم أر ذلاًّ مثل نأيٍ عن الأهل

قال آخر[٢] :

أخافُ كلابَ الأبعدين وَنَبْحَهَا ... إذا لم تجاوبها كلابُ الأقاربِ[٣]

وقال المقنع الكندى ، واسمه محمد بن عُمير بن أبى شَمِر الكِنْدى ، وكان من أجمل أهل زمانه وأحسنهم وجها ، وأتمهم قامة ، فكان إذا كشف وجهه يُؤذى ، فكان يتقنّع دهرَه ، فسُمى لذلك : المقنع . وشعرُه هذا من أحسن ما قيل فى معناه جزالة ونقاوة وسَبَاطة وحلاوة[٤] :

يُعَاتِبُنى فى الدَّيْن قومى وإنّما ... دُيُونىَ[٥] فى أشياء تكسبهم حَمْدَا

(١) فى الحماسة : كنانتى بدل عشيرتى ، وجانحات بدل جائحات .

(٢) نسب البيت فى محاضرات الأدباء ١/١٧٣ إلى النعمان بن حنظلة ، ونسبت فى عيون الأخبار ٣/٩١ الى رجل من غطفان ولم يعينه ، وورد فى التمثيل والمحاضرة ٣٥٦ بدون نسبة .

(٣) فى المحاضرات : وهرشها بدل نبحها ، وتهارشها بدل تجاوبها .

(٤) انظر الأبيات التالية فى حماسة البحترى ٣٨٠ ، ٣٨١ ، أمالى القالى ١/٢٨٠ ، ٢٨١ ، وما عدا السابع فى حماسة أبى تمام ٢/٣٢ ـ ٣٤ .

(٥) يروى : تداينت .

أَسُدّ به ما قد أخلُّوا وضيّعوا حقوقَ ثُغورٍ ما أطاقوا لها سَدّا
ولى جفنةٌ لا يُغلَقُ البابُ (١) دونَها مكلَّلةٌ لحماً مدفقةٌ ثَردَا
ولى فرسٌ نهدٌ عتيقٌ جعلتُه حجاباً لبيتى ثم أخدمته عَبْدَا
وإنّ الذى بينى وبين بنى أبى وبين بنى عَمّى لمختلفٌ جِدًّا
(٢ إذا أكلُوا لحمى وفرتُ لحومَهم وإن هَدَمُوا مجدى بنيتُ لهم مجدَا ٢)
وإن ضيَّعُوا غيبى حفظتُ غيوبَهم وإن هُمْ هَوُوا غَيِّى هَوِيت لهم رُشْدَا
وليسُوا إلى نَصْرِى سراعاً وإن هُمُ دَعَوْنِى إلى نصرٍ أتيتُهُمُ شدًّا
وإن زَجروا طيرى (٣) بنحسٍ يمرُّ بى زجرتُ لهم طيرًا يمر بهم سَعْدا
ولا أحملُ الحقدَ القديمَ عليهمُ وليس رئيسُ القوم (٤) من يحمل الحِقْدا
(٢ لهم جلُّ مالى أن تتابع لى غنىً وإن قل مالى لم أكلفهم رفدًا ٢)
وإنى لعبدُ الضيفِ مادام نازلا وما شيمةٌ لى غيرها تشبهُ العَبْدا

وقال طرفة :

وأعلم علماً ليس بالظنِّ أنهُ إذا ذلَّ مولى المرءِ فهو ذليلُ (٥)

---

(١) فى الحماسة : وفى جفنتة ما يغلق الخ ، وكذلك فى البيت التالى : وفى فرس الخ .

(٢) ساقط من ا . وفى الحماسة : فإن أكلو بدل فإذا .

(٣) فى الحماسة : طيرا .

(٤) فى حماسة البحترى : وليس كريم القوم .

(٥) ديوانه ١٢٦ .

وقال عوف التميمى[١] :

ولستُ لقومى بعَيَّابَةٍ وشرُّ العشيرةِ من عابَها
أَعِفُّ وابذُلُ مالى لها ولا أتعلَّم ألقابَها[٢]

وقال أبو الطمحان القينى[٣] :

إذا كان فى صَدْرِ ابن عمك إحْنَةٌ فلا تستثرْها سوف يبدُو دفينُها[٤]

قال آخر :

أخاكَ أخاكَ إنَّ من لا أخا له كساعٍ إلى الهَيْجا بغير سلاحِ
وان ابن عمِّ المرءِ فاعلم جناحُهُ وهَلْ ينهض البازى بغير جَنَاحِ

قال الثَّقفى[٥] :

---

(١) انظر ترجمته و البيتين فى معجم الشعراء ٢٧٦ .

(٢) ساقط من ا .

(٣) نسب البيت فى المؤتلف ٢٣ إلى الأقيبل القينى ، وفى حماسة البحترى ١٨ إلى معروف بن عمرو الطائى .

(٤) فى المؤتلف : متى ما يكن ، وفى حماسة البحترى نفس ابن عمك بدل صدر .

(٥) نسب البيتان فى عيون الأخبار ٢/٣٠٤ ، ٣/٢ ، فصل المقال ٢٢٠ ، الأغانى ١٨/٧٠ (بولاق) إلى مسكين الدارمى ، ونسبا فى حماسة البحترى ، ٣٨٨ إلى قيس بن عاصم .

(٦) ذكر فى هامش البيان ١/٨٢ أنه يزيد بن الحكم الثقفى على الاحتمال ، وقد نص فى الشعر والشعراء =

مَن كان ذا عَضُدٍ يدرِكْ ظُلامَتَهُ ... إن الذليلَ الذى ليست له عَضُدُ
تنبوُ يداه إذا ما قَلَّ ناصرُهُ ... ويأنفُ الضَّيْمَ إن أثْرى له عددُ

وقال أشجع السلمى :

نسيبُك من أمْسَى يناجيك طَرْفُهُ ... وليس لمن تحْتَ الترابِ نسيبُ[1]

وقال محمد بن أبى حازم الباهلى :

رُبَّ غريبٍ ناصحُ الجيبِ ... وابنُ أبٍ متَّهَمُ الغيبِ[2]
ورب عيّابٍ له منظَرٌ ... مشتملُ الثوب على العيبِ

قال محمد بن أَبَان اللَّاحقى يخاطب أخاه إسماعيل :

تلوم على القطيعة من أتاها ... وأنت سننتها للناس قبلى[3]

واللاحقى هو القائل :

= على أنه الأجرد الثقفى ، وانظر البيتين فى عيون الأخبار ٣/٢ ، المصون ٧ ، العقد الفريد ٢/٤٤٠ ، ٤١ ، الحيوان ٣/٤٥ .

(١) البيت فى التمثيل والمحاضرة ٨٤ .

(٢) انظر البيتين فى البيان والتبيين ١/٧٥ ، التمثيل والمحاضرة ٨٥ ، عيون الأخبار ٢/١٥ وفيه : وكل غريب ، العقد الفريد ٢/٣١٤ وفيه : رب بعيد .

(٣) عيون الأخبار ٣/١٠٨ وفيه : وأنت سننتها فى الناس ، وقد تقدمت ترجمة اللاحقى .

اخفض الصَّوت إن نطقتَ بليلٍ والتفتْ بالنَّهار قبلَ الـكلامِ (١)

وفى معنى قول اللاحق فى البيت الأول قول الهذلى :

فلا تفزعَنْ من سيرة أنت سرتَها فأولُ راضٍ سنَّةً من يَسيرُها (٢)

(١) البيان والتبيين ١/٢٦٦ ، عيون الأخبار ١/٤٤ .

(٢) ديوان الهذليين ١/١٢ . والرواية فى عيون الأخبار ٤/١٠٩ : فلا تعجبن ، وفى الشعر والشعراء : لاتجزعن .

باب المملوك والمالك

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا يدخل الجنة سَيّئُ الملكة » .

كان يقال : التسلُّط على المملوك دناءة .

وقال بعضُ الحكماء : اذكر عند قدرتك وغضبك قدرة الله عليك ، وعند حكمك حكم الله فيك .

كان يقال : أنعم الناس عيشاً من حَسُن عيشُ غيره فى عيشه .

كان يقال : الإحسان إلى الخادم يُشْجى العدو ، ويُذهب البؤس ، والكسوة تُظهر الغنى .

قال عمر بن الخطاب : أكثروا شراء[1] الرقيق ، فرب عبد يكون أكثر رزقا[2] من سيده .

اشترى عبدُ الله بن أبى ربيعة المخزومى عبدَ بنى الحَسْحَاس واسمه سُحَيم ، وكان حبشيا سمحاً شاعرًا ، وكتب إلى عثمان بن عفان : إنى قد اشتريتُ لك غلاماً حبشيا شاعرًا فكتب إليه عثمان : لاحاجة لى به ، فإنما حظُّ أهل العبد الشاعر إذا شبع أن يشبِّب بنسائهم ، وإذا جاع أن يهجُوَهم .

---

(١) فى ح : شرى .

(٢) ا : وفاء .

قال لقمان لابنه : يابنيّ ! إياك وخدمة العين[١] . قال : وما خدمة العين[١] ؟ قال : ألا يكون لك عبد لا يخدمك إلا حيث يراك[٢]

باع أعرابى غلاماً له من قوم من أهـــل البصرة ، فجعلوه سقّاءً على ظهر بعير لهم[٣]، فلبث الأعرابى حيناً ثم لقيه فسأله عن حاله؟ فقال : أنا فى سفر لا ينقضى ، وغديرٍ لا يُنزح ، وقوم لا يُرْوَوْن

قال بعضُ الحكماء : أفضل المماليك الصغار ، لأنهم أحسن طاعة ، وأقل خلافاً ، وأسرع قبولا .

كان يقال : استخدم الصغير حتى يكبَر ، والأعجمى حتى يَفْصُح .

روى سفيان بن عيينة ، عن سليمان الأحول ، عن ابن معبد ، عن ابن عباس ، قال : من حلف على ملك يمينه أن يضربه فـكفارته تركُه ، ومع الـكفارة حسنة .

قال أبو الفتح[٤] :

بَطَرْتُم فطرتُم والعصا زَجْرُ من عَصَى ... وتقويمُ عبـدِ الهُون بالهُون رادعُ

---

(١) فى ا : الغير .

(٢) فى ا : حيث يراك الناس .

(٣) ساقطة من ا .

(٤) فى حـ : ابنة الفتح ، وأبو الفتح هذا هو على بن محمد بن الحسين العميد ، وزير شاعر ، كان يلقب بذى الكفايتين ، تولى الوزارة بعد أبيه (ابن العميد) لركن الدولة البويهى بالرى ونواحيها سنة ٣٦٠ هـ ، واستمر الى أيام مؤيد الدولة حتى قبض عليه وقتله سنة ٣٦٦ هـ . انظر الأعلام وهامشه ٥/١٤٣ ، وانظر البيت فى التمثيل والمحاضرة ١٢٢ ، يتيمة الدهر ٣/١٩٠ وفيها نافع بدل رادع ، خاص الخاص ١٢٧ .

وقال آخر :

إذا لم يكنْ فى منزلِ المرءِ حُرّةٌ   رأى خللاً فيما تدير الولائدُ
فلا يتخذ منهن حرٌّ قعيدةً   فهن لعمر الله بئسَ القعائدُ(١)

قال آخر :

العبدُ يُزْجَرُ بالعصا   والحرُّ تكفيه الملامَه(٢)

وقال آخر :

العبدُ يقرعُ بالعصا   والحرُّ تكفيه الإشارهْ(٣)

أخذه من قول مالك بن الرَّيْب :

العبدُ يُقرع بالعصا   والْحرُّ يكفيه الوعيدُ(٤)

وقال بشار(٥)

الْحرُّ يُلْحَى والعصا للعَبْدِ   (٦ وليس للملحف مثلُ الردِّ ٦)

---

(١) البيتان فى التمثيل والمحاضرة ٢١٨ ، محاضرات الأبناء ٨٧/٢ ، المحاسن والأضداد ٢٠٤ ، وفيهما : ضيعة بدل خللا .

(٢) نسب هذا البيت فى الحيوان ٤٨٣/٦ إلى خليفة الأقطم ، ونسب فى البيان والتبيين ٣٢/٣ ، وفيات الأعيان ٣٨٩/٥ إلى يزيد بن مفرغ ، وورد فى التمثيل و المحاضرة ٢٩٦ بدون نسبة .

(٣) البيت للصلتان الفهمى انظر البيان ٣٣/٣ ، المؤتلف ١٤٥ .

(٤) البيان والتبيين ٣٢/٣ .

(٥) ديوانه ٢٢٤/٢ ، وفيه : يوصى بدل يلحي .

(٦) ساقطة من ح .

كان يقال : الحرُّ حرٌّ وإن مسه الضُّر ، والعبد عبد ولو مشى على الدُّر .

أخذه الشاعر فقال :

وان الحرَّ فى الحالات حرٌّ وإن الذُّلّ يُقْرن بالعبيـدِ[١]

وقال يزيد المهلبي :

إن العبيد إذا أذلَّلْتَهُم صَلُحُوا على الهوان وإن أكرمتَهم فَسَدُوا[٢]

قال المتنبي[٣] :

لا تشترِ العبدَ إلا والعصا مَعَهُ إنَّ العبيدَ لأنجاسٌ مناكيدُ

وقال آخر :

إذا برم المولى بخدمةِ عَبْـدِه تجنَّى له ذنباً[٤] وإن لم يكنْ ذنبُ

---

(١) التمثيل والمحاضرة ٢٢٤ .

(٢) التمثيل والمحاضرة ٢٢٢ ، فصل المقال ٣٨٦ وفيه : إن اللئام بدل العبيد .

(٣) ديوانه ٤٣٤ .

(٤) فى ا : قدم له ذنبا .

باب الذكر والثّناء

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يوشك أن تعلموا خياركم من شراركم » ؟ قالوا : بم ذا يا رسول الله ؟ قال : « بالثناء الحسنِ والثناء السيِّئ ، أنتم شهداء الله فى الأرض ، بعضُكم على بعض » .

قال عبد الله بن مسعود : عنوان صحيفة الميت ثناء الناس عليه .

وروى ذلك عن ابن عمر أيضاً .

قال كعب الأحبار : إذا أحببتم أن تعلموا ما للعبدِ عند ربّه[1] فانظروا ما يتبعه من حُسْنِ ثناء .

قال مطرِّف بن الشِّخِّير : عنوانُ كرامة الله لعبده حسنُ الثناء عليه ، وعنوان هوانه سوء الثناء عليه .

قال بعض الحكماء : الناس أحاديث ، فإن استطعت أن تكون أحسنَهم حديثاً فافعل .

ومن ها هنا — والله أعلم — أخذ ابن دريد قوله :

---

(١) في ا : عند الله .

وإنما المرء حديثٌ بعدَهُ فكن حديثاً حسنا لمن وَعَى[1]

قال آخر :

أرى الناسَ أحدوثةً فكونِي حَديثًا حَسَن[2]

قال آخر :

وكلُّ جديد — يا أميمَ — إلى البِلى وكلّ امرئٍ يوماً يصير إلى كانَا[3]

وقد مضى قول حاتم الطائى :

أخافُ مَذَمّاتِ الأحاديثِ من بَعْدِى[4]

مات ابنٌ لحبيب بن المهلب[5] ، فقدم أخاه يزيد ليصلى عليه ، فقيل له : أتقدمه وأنت أسنُّ منه ؟ قال : إن أخى قد شرّفه الناسُ وشاع له فيهم الصيت ، وَرَمَتْه العربُ بأبصارها ، فكرهت أن أضعَ منه ما رفع الله .

---

(١) فى ا : وإنما الناس حديث حسن .

(٢) ورد البيت فى ا هكذا :

أرى الناس أحدوثة للزمان فكن فيهم حديثا حسن

وقد زاد الناسخ فيه كلمتين ، وهو مالم ترد به رواية البيت فى المراجع ، انظره فى التمثيل والمحاضرة ٨٧ ، منسوبا لعبد الصمد بن المعذل . وانظره فى الكامل ١/٢٣٧ ، محاضرات الأدباء ١/١٨٠ بدون نسبة .

(٣) البيت فى حماسة البحترى ٣٣٢ ، البيان والتبيين ٣/١٦٠ .

(٤) سبق هذا مع أبيات أخرى .

(٥) ابن أبى صفرة ، أحد شجعان العرب وأشرافهم ، كانت له ولاية كرمان من قبل عبد الملك بن مروان ، وعزل عنها سنة ٨٧ ، ثم صحب أخاه يزيد فى أعماله وغزواته حين خرج بالبصرة على يزيد بن عبد الملك وقتل =

قال رجل من غنيّ[١] :

فإذا بلغتم أهلكمْ فتحدّثوا ... ومن الحديث مهالكٌ وخلودُ

قال آخر :

فأثنوا علينا لا أبا لأبيكمُ ... بإحسانِنا إن الثناءَ هو الخُلْدُ[٢]

قال الأسدى :

فإنى أحبُّ الخلدَ لو أستطيعُهُ ... وكالْخُلْدِ عندى أنْ أموتَ ولم أُلَمْ[٣]

كان أبو عمرو بن العلاء يتمثل :

وسيَبْقى الحديث بعدك فانظرْ ... خيرَ أُحدوثة تكونُ فكُنْها[٤]

= معه سنة ١٠٢ هـ (الأعلام ٢/١٧٣ وهامشه) ، أما أخوه يزيد فقد كان أحد رجالات العرب الأجواد الشجعان ، تولى خراسان بعد أبيه سنة ٨٣ فمكث نحوا من ست سنين ، ثم عزله عبد الملك برأى الحجاج الذى كان يخشى بأسه ، ولما تم عزله حبسه الحجاج فهرب منه إلى الشام وظل فيها حتى ولاه سليمان بن عبد الملك العراق وخراسان ، فبقى عليها حتى تولى عمر بن عبد العزيز فعزله وحبسه ، ثم استطاع غلمانه أن يخرجوه بعد وفاة عمر فسار إلى البصرة وغلب عليها سنة ١٠١ ، إلى أن استطاع مسلمة بن عبد الملك هزيمته وقتله سنة ١٠٢ هـ . انظر : الأعلام ٩/٢٤٦ والمرجع الكثيرة التى أوردها عنه فى هامشه .

(١) فى حـ : الغنوى ، والبيت أنشده الجاحظ كما فى الكامل ١/٢٢٣ ، وانظره فى الحيوان ٣/٤٧٥ ، وفيه أرضكم بدل أهلكم ، ومتالف بدل مهالك ، ورواية عيون الأخبار ٣/١٦١ كما هنا .

(٢) البيت للحارثى كما فى الأغانى ٣/٢٧٥ ، وانظر الكامل ١/٢٢٣ . وقال أنشده الجاحظ ، وفيه بأفعالنا بدل إحسانِنا ، وانظر عيون الأخبار ٣/١٦١ .

(٣) نسب هذا البيت فى معجم الشعراء ٣٩٠ إلى مضرس بن ربعى بن لقيط . وانظره بالنسبة التى هنا فى البيان والتبيين ١/٢٢٣ ، ٣/٢٦٤ . الحيوان ٣/٤٧٥ . محاضرات الأدباء ١/١٨٠ .

(٤) نسب البيت فى البيان والتبيين ٣/٢٦٤ ، الحيوان ٣/٤٧٥ إلى الحادرة (قطبة بن أوس) .

قال داود بن جَهْوَر ، (١ وتنسب إلى منصور ، وليست له وقد رويناها لداود ، والله أعلم ١) :

إذا أعجبتك طباعُ امرئٍ ... فكنْهُ يكن منك مايعجبُكْ
فليس على الجودِ والمكرُماتِ ... حجابٌ إذا جئتَه يحجُبُكْ

قال آخر :

ذِكْرُ الفتى عمرُه الباقي وحاجتُه ... ما فاتَهُ وفضولُ العيشِ أشْغالُ(٢)

قال التِّهامى(٣) :

بيْنَا يُرَى الإنسانُ فيها مُخْبِرًا ... حتّى يُرَى خَبَرًا من الأخْبارِ

(١) زيادة من ا ، وقد ورد البيتان فى محاضرات الأدباء ١/١٤٩ ، ١٥٠ منسوبين إلى أبى العيناء

(٢) البيت فى محاضرات الأدباء ٢/٣٢٠ ، وفيها عمره الآتى ، مافاته من فضول الخ .

(٣) هو على بن محمد بن نهد التهامى ، أبو الحسن ، شاعر مشهور من تهامة ، زار الشام والعراق وولى خطابة الرملة ، ثم رحل إلى مصر متخفيا ، ومعه كتاب من حسان بن مفرج الطائى أيام استقلاله ببادية فلسطين إلى بنى قرة قبيل عصيانهم بمصر ، فعلمت به حكومة مصر فاعتقل وحبس ، ثم قتل فى محبسه سنة ٤١٦ هـ . انظر : وفيات الأعيان ١/٥٧ ؛ (الأعلام وهامشه ٥/١٤٥ ، ١٤٦) .

بابُ البكاء على مامضى من الأزمان والتلهُّف على صالح الإخوان، والحنين إلى الأوطان

قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمر: «فكيف بك يا عبد الله إذا بقيت فى حُثالة من الناس قد مَرَجَتْ عهودهم[1] وخفّت أماناتهم»؟

قيل لبعض الحكماء: بأىّ شيء يُعرف وفاء الرجل دون تجربة واختبار؟ قال: بحنينه إلى أوطانه، [2] وتلهُّفِه على ما مضى من زمانه.

روى أبو العلاء زكريا بن يحيي بن خلاّد، عن الأصمعي، قال: قال أعرابى: إذا أردت أن تعرفَ وفاء الرجل ودوامَ عهده فانظر إلى حنينه إلى أوطانه [2] وتشوّقه إلى إخوانه، وبكائه على ما مضى من أزمانه.

روى عروة عن عائشة: أنها تمثلت بقول لبيد[3]:

ذهب الذين يُعاش فى أكنافِهم ... وبقيتُ فى خَلَفٍ كجِلْدِ الأَجْرَبِ
يتحدثون ملالة وخيانةً ... ويُعاب قائلهم وإن لم يَشْغَبِ[4]

---

(١) مرج العهد: لم يف به.

(٢) ساقط من ا.

(٣) ديوانه ٧.

(٤) يشغب: يهيج الشر، ورواية الكامل ٢/٧٠: يتحدثون مجانة وملاذة، وفى البيان ٢/٢٧٠: مغالة وخيانة، وفى ا ملامة بدل ملالة، وانظر الحيوان ٥/٢٧٦.

ثم قالت : كيف لو أدرك لبيد زماننا هـذا ؟ ! قال عروة : كيف لو أدركت عائشة زماننا هذا ؟ .

بلغ ابن عباس قول عائشة : رحم الله لبيدًا ، كيف لو أدرك زماننا هذا ؟ فقال ابن عباس : رحم الله لبيدًا ورحم عائشة ، لقـد أصبت باليمن سهما فى خزائن عاد ، كأطول ما يكون من رماحكم هذه ، مريشٌ مفوق مكتوب عليه :

فهل لى إلى أجْبال هندٍ بذى اللِّوى لِوَى الرَّمْل من قبل الممات معاد
بلادٌ بها كنّا ونحن نُحِبُّها إذ الناس ناسٌ والبلادُ بلادُ(١)

(٢) قال أبو العتاهية(٣) :

لله أزمنةٌ عَهِدتُ رِجالَها فى النائبات وإنَّهم لكرامُ
ماذا أقول لوافدِ الزمن الذى(٤) هلك الأرامل فيه والأيتامُ
زمنٌ هوت أعلامه وتقطّعت فِرَقًا فليس لأهله أعلامُ
زمن مكاسبُ أهله مَدخُولَةٌ جدًّا(٥) فُرُوعُ أصوله الآثامُ

---

(١) انظر هذا الخبر فى العقد الفريد ٢/٣٤٠ ، محاضرات الأدباء ٢/١٦٩ مع اختلاف قليل فى الرواية .
(٢) من هنا ساقط من حـ نحو صفحة .
(٣) الأبيات التالية فى ديوانه ٢٤٤ .
(٤) رواية الديوان : فلعبرة أخرت للزمن الذي ... الخ
(٥) فى الديوان : دخلا .

زمن تحامى المكرُمَاتِ سَرَاتُهُ حتى كأن المكرُمَات حرامُ

روينا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، دخلت عليه عجوزٌ وهو في بيت عائشة ، فأكرمها وقرّبها ووصلها ، فقالت له عائشة : من هـذه العجوز ؟ فقال : « كانت تأتينا وتزورنا أيامَ خديجة ، وحِفظُ العهد من الإيمان » .

وقال آخر :

ذهبَ الزّمان برهط حسانَ الأُلى كانت مناقبُهم حديثَ الغـابرِ
وبقِيتُ فى خَلَفٍ تحلّ ضيوفُهُم منهم بمـنزلةِ اللئيمِ الغادرِ
سودُ الوجـوه لئيمـةٌ أحسابهم فُطْسُ الأنوف من الطرازِ الآخِرِ (١)

وقال آخر :

مضى الذين إذا ما جئتُ أسـألهم قالوا برحبٍ : على العينين والرّاسِ
وقد بقيتُ بأوغادٍ أكابرهم ليسوا بناسٍ بَلَى أَشبَاهُ نسناسِ (٢)

وقال عتبة الأعور (٣) :

ذهب الذين أحـبُّهُم وبقيتُ فيمن لا أحبُّهْ

(١) انظر الصداقة والصديق ١١٤ .
(٢) إلى هنا ينتهى النقص من حـ . وانظر البيتين فى الصداقة والصديق ١١٥ .
(٣) هو : عتبة بن أبى سفيان بن حرب ، ويسمى الأعور لأن عينه فقئت يوم الجمل الذى شهده مع عائشة وكان عتبة عاقلا فصيحا مهيبا من فحول بنى أمية ، تولى مصر من قبل أخيه معاوية ، فقدمها سنة ٤٣ هـ ، ثم خرج إلى الإسكندرية مرابطا وتوفى بها سنة ٤٤ هـ . انظر : نسب قريش ١٢٥ ، السيرة الحلبية ٢/١٣٨ (الأعلام ٤/٣٦٠) .

إذ لا يزال كريمَ قو ... مِ فيهمُ كلبٌ يسبُّهْ[١]

وقال الحارثِ بنُ[٢] الوليد :

ذهبَ الذين إذا رأونى مقبلا ... هشُّوا وقالوا مرحباً بالمقبل

وبقيتُ فى خَلفٍ كأنَّ حديثَهم ... وَلْغُ الكلابِ تهارَشَتْ فى منهل[٣]

وقال الأحوص :

ذهب الذين أحبُّهم سلفا ... وبقيت كالمفقود فى خَلَفِ

من كلِّ مطوِىٍّ على حَنَقٍ ... مُتَصَنِّعٍ يُكْفَى ولا يَكْفِى[٤]

وقال بشار :

فسد الزمان وساد فيه المُقْرِفُ ... وجرى مع الطِّرْفِ الحمارُ المُوكَف[٥]

كان سفيان الثورى يقول : ذهب الناس فلا مَرْتَعَ ولا مفزع[٦] .

---

(١) البيتان فى الحيوان ٢/٣٠٩ ، وفيه : كريم قومى ... الخ :

(٢) فى حـ : دعى الوليد ، ولم أستطع العثور له على ترجمة .

(٣) البيتان فى الحيوان ٢/٣٠٧ . والولغ : حركة لسان الكلب فى الإناء حين يشرب .

(٤) البيتان فى البيان والتبيين ٣/٢٧٦ ، الحيوان ٣/٨٥ ، وفيها : كالمغمور بدل المفقود ، وفى البيان : متصنع بدل متضجع .

(٥) المقرف : الفرس الذى أمه عربية لا أبوه وهو لايدانى الطرف أى الجواد الأصيل ، والموكف : الضعيف . ورواية حـ : الفرس بدل الطرف .

(٦) المرتع : الخصب والسعة ، والمفزع : الذى يلجأ إليه عند الفزع والحاجة .

ولعبد الله بن المبارك الفقيه ، (١ وتروى لغيره ١) :

دهب الرجالُ الْمُقْتَـدى بِفَعَالِهِم ... والمنـكرون لـكلِّ أمرٍ مُنْـكَرِ
وبقيتُ فى خلف يُزَيِّن بعضُهم ... بعضاً ليأخـذ مُعْورٌ من مُعْوِرٍ (٢)
(٣ ركبوا ثَنِيَّـاتِ الطريقِ فأصبحوا ... متنـكِّبين عن الطَّرِيقِ الأَكْبَرِ
ما أقربَ الأشياءَ حين يَسُوقها ... قدرٌ وأبعـــــدها إذا لم تُقْدَرِ
العــــلمُ زينٌ للرجال مروءةٌ ... والعلمُ أنفعُ من كنوز الجوهرِ
أأُخَيَّ إنّ من الرجالِ بهيمةً ... فى صورة الرجل السميعِ المبصرِ
فَطِنٌ لـكلِّ مصيبـة فى مالهِ ... وإذا يُصـاب بدينه لم يشعر ٣)

ولأبى حفص عمرو بن علىّ بن بَحْر الفَلّاس (٤) ، (٥ وكان أحد أئمة أهل الحديث الحفاظ الجلة ٥) :

---

(١) ساقط من ا .

(٢) نسب البيتان فى معجم الشعراء ٣٨٣ إلى دعبل الخزاعى ، ونسبا فى المؤتلف ١٦١ إلى الحكم بن عبدل الأسدى ، والرواية هناك : ذهب الرجال الأكرمون ذوو الحجا . وفى عيون الأخبار ١٢٣/٢ قال أنشدهما ابن الأعرابى ، وانظرهما فى محاضرات الأدباء ١٢/٢ ، الصداقة والصديق ١١٥ بدون نسبة ، وورد بعضها فى معجم الأدباء ١٤٣/٨ منسوبا إلى الحسن بن عبد الله الأصبهاني المعروف بلكذة ، ثم وردت مرة ثانية فى ح ٣٨/١٢ منسوبة إلى أبى الأسود الدؤلى .

(٣) الأبيات الخمسة ساقطة من ج ، وانظر الأول والثانى منهما فى المحاضرات والصداقة بالأرقام السابقة .

(٤) ورد هذا الاسم فى ا : أبو حفص عمر بن على بن حفص القلاس ، وفى ح ، م : عمر بن على القلاس ، والصحيح ما أثبتناه ، وأبو حفص : باحث من أهل البصرة سكن بغداد ، ومات بسر من رأى ، وكان من حفاظ الحديث الثقات ، وله مؤلفات فيه وفى التفسير . انظر : تهذيب التهذيب ٨٠/٨ وما بعدها ، اللباب ٢٣٠/٢ (الأعلام ٢٥٤/٥) .

(٥) ساقط من ج .

أَلا ذهب التَّـكرُّمُ والوَفاءُ   وباد رجالُه وَبَـقِي الغُثاءُ
وَأَسْلَمنى الزمانُ إلى رجالٍ   كأمثال الذئابِ لهم عواءُ
صديقٌ كلما استغنيت عنهم   وأعـداءٌ إذا نَزل البـلاءُ (١)

وقال منصور الفقيه :

يا زمانًا أَوْرَث الأَحْـ   رَارَ ذلاًّ وَمَهَـانَهْ
لستَ عنـدى بزمانٍ   إنمـا أنت زَمَانَهْ
كيف نرجُو منك خيرًا   والعُلا فيـك مُهَانَهْ
أجنـــــونًا ما نراهُ   مِنْكَ يبدو أم مَجَانَهْ (٢)

وقال آخر :

كنا نُعَـيِّر من يأتى بفاحشـةٍ   والناسُ يَرْعَوْنَ حقَّ الدين والحسبِ
فالنـاسُ قد تركُوا التعيير كلهم   لما استوى النَّاسُ فى الفحشاء والـكذبِ

وقال آخر :

ذهب الوفاءُ ذهاب أمس الذَّاهِبِ   فالنـاسُ بين مُخَاملٍ وَمُوَارِبِ

---

(١) انظر الأبيات مع أخرى فى عيون الأخبار ٢/٣٤٥ ، وفيه : إذاذهب بدل ألا، وجهد بدل نزل .

(٢) نسبت الأبيات التالية فى معجم الأدباء ١٩/٩ ، خاص الخاص ١١١ إلى أبى الحسن بن لنـكك البصرى ، والزمانة : العاهة ، والمجانه : عدم المبالاة بقول أو فعل .

وقال آخر :

ذهب التكرمُ والوفاء من الورى وتقرَّضا إلاّ من الأشعارِ
وفشت خياناتُ الثقات وغيرهم حتى اتَّهمْنا رؤيةَ الأبصارِ

ولعبد الله بن عبد العزيز بن ثعلبة اليعقوبى الشَّذُونى :

مضى دهر السّماحِ فلا سَمَاحُ ولا يُرْجى لدى أحدٍ فلاحُ
رأيتُ الناسَ قد مُسِخُوا كلابا فليس لديهمُ إلاّ النُّباحُ
وأضحى الظّرف عِنْدَهُمُ قَبيحا ولاَ واللهِ إنَّهُمُ القِبَاحُ
سلامٌ أهلَ إبليسٍ عليكُمْ فإن البَيْنَ أوشكه الرَّواحُ
نروح فنستريحُ اليومَ منكم ومن أمثالكم قد يُسْتَرَاحُ
إذا ما الحرُّ هانَ بأرضِ قومٍ فليس عليه فى هربٍ جُنَاحُ

وقال آخر :

مضى الجودُ والإحسانُ وَاجْتُثَّ أَصْلُهُ وأُخْمد نيرانُ النَّدى والمكارمِ
وصرتُ إلى ضربٍ من الناسِ آخرٍ يَرَوْنَ العُلا والمجدَ جمعَ[1] الدّراهمِ
كأنهمُ كانوا جميعاً تعاقدُوا على اللُّؤمِ والإمساكِ فى صُلبِ آدمِ

---

(١) فى ا : كسب .

كان بلال لما قدم المدينة ينشد تشوُّقا إلى مكة ، ويرفع عقيرته[١] :

[٣]ألا ليت شِعْرى هل أبيتنَّ ليلةً   بوادٍ وحولى إذْخر وجَليلُ
وهل أرِدَنْ يوماً مياه مَجَنَّةٍ   وهل يَبْدُوَنْ لِى شامَةٌ وَطِفيلُ[٢]

ولابن ميّادة واسمه الرَّمَّاح[٣] :

ألا ليت شِعْرى هل أبيتن ليلةً   بِحَرَّةِ لَيْلى حَيْث رَبَّتْنِى أَهْلِى
بلادٌ بهـا نِيطتْ عَلَىّ تمائمى   وَقُطِّعْنَ عنّى حين أدرَكَنِى عَقْلِى[٤]

وقال آخر :

أَحَبُّ بلادِ اللهِ ما بين مَنْعِجٍ   إلىّ وَسَلْمى أن يَصُوبَ سَحابُها
بلادٌ بها عَقّ الشبابُ تمائمى   وأول أرض مَسّ جلدى ترابُها[٥]

وقال آخر :

أحنُّ إلى دهرٍ مَضَى بغضَارَةٍ   إذا العيشُ رَطْبٌ والزمان مُوَاتِى

---

(١) انظر البيتين فى أمالى القالى ١/٢٤٦ ، العقد الفريد ٥/٢٨٢ ، معجم البلدان مادة مكة .

(٢) فى معجم البلدان بفخ ، والإذخر حشيش طيب الرائحة ، والجليل ويسمى أيضا الثمام نبت يستعمل فى بعض علاجات العين . ومجنة جبل لبنى رئل بتهامة ، وشامة وطفيل جبلان قرب مكة .

(٣) ساقط من ا .

(٤) البيتان فى الأغانى ٢/١٠٤ ، زهر الآداب ٣/١٠٣ ، المصون ٢٧ . وفى ا : بوادى الخزامى بدل حرة ليلى ، ونيطت : شدت ، والتمائم : ما يعلق على الصبيان من الأحجبة لحفظهم من العين ونحوها .

(٥) نسب البيتان فى عيون الأخبار ٢/٢٧٦ إلى امرأة من طيىء ، وانظر زهر الآداب ٣/١٠٠ ، أمالى القالى ١/٨٣ ، الكامل ١/٤٠٦ ، فهناك اختلاف يسير فى الرواية ، ومنعج واد يصب فى الدهناء وهى أرض =

وأُبكِّى زمانًا صالحًا قد فقدتُه ... يقطِّع قلبي ذِكْرُه حَسَراتِ
تَمَطَّى علينا الدَّهرُ فى متن قوسِهِ ... ففرَّقنا منـــه بنَبْلِ شَتَاتِ

وقال مُتَمِّم بن نُوَيْرَة(١) :

وكُنا كَنَدْمَانى جُذَيْمَةَ حِقْبَةً ... من الدَّهْر حتى قيل لن يَتَصَدَّعاَ
فلمــا تفرّقنا كأنى ومالــكًا ... لطولِ اجتماعٍ لم نبت ليلة معاَ

وقال آخر :

خمسون عاماً تولّت فى تَصَرُّفها ... عُسْرٌ ويسرٌ على الحالين أشهدُه
لم أبكِ من زمنٍ صعبٍ لشدَّته ... إلا بكيتُ عليه حين أفقـدهُ
وما جزعت على ميتٍ فجعتُ به ... إلاّ ظَلِلْتُ لِسِتْرِ القبر أحسدُهُ
وما ذممـــتُ زمانا فى تقلُّبِه ... إلّا وفى زمني قد صرتُ أحمدُهُ

ولأبى عبد الرحمن المطوى ، واسمه محمد بن عطية :

سألتُ عن سبب الإقتَار وَالْعَدَمِ ... وعن زوال النَّدى فى العُرْب وَالْعَجَمِ

=لتميم بنجد ، ويروى بدل منعج مشرف ، ويصوب : ينزل ويراق . عق الشباب تمائمى أى شقها والمعنى أننى بلغت سن الشباب بها بعد الصبا .

(١) متمم بن نويرة بن حجرة اليربوعى التميمى ، شاعر كبير من أشراف قومه ، اشتهر فى الجاهلية والإسلام ، وأشهر شعره هو ما قاله فى أخيه مالك الذى قتل فى حروب الردة ، وسكن متمم المدينة فى أيام عمر وتوفى بها نحو سنة ٣٠ هـ . انظر فى ترجمته الأعلام ٦/١٥٥ والمراجع الكثيرة فى هامشه ، وانظر البيتين فى الكامل ٢/٢٩٦ ، الشعر والشعراء ١٩٣ ، معجم الشعراء ٤٦٦ .

نُودِى[١]: دَوتْ أنجمُ الإفضال واشتملت ... أُمُّ التواصل[٢] فى الدنيا على عُقُمِ
أَنعِى إليك مواساةَ الصديق وما ... قد كَانَ يَرْعَى من الأخلاقِ والذمَمِ
أَنعِى إليك خِلاَلَ الفضل قَاطِبَةً ... لم يبقَ منهنَّ إلاّ دارسُ العَلَمِ
أين الوفاء الذى قد كان يعرفه ... قومٌ لقومٍ وأين الحفظ للحُرَمِ[٣]
أين الجميلُ الذى قد كان مُلْتبسا[٤] ... أهلَ الوفاءِ وأهلَ الفضلِ والكرمِ
أَيْسِرْ وأنت صديقُ الناسِ كلِّهمُ ... ثم ابْلُ سِرَّهُمُ فى حالة العَدَمِ
فإن وجدتَ صديقا عند نائبةٍ ... فلستَ من طرقاتِ الخير[٥] فى أَمَمِ
لما أناخ عَلَىَّ الدهرُ كلكَلَهُ ... وخانَنى كلُّ ذى وُدٍّ وذى رَحِمِ
ناديتُ ما فعل الأحرارُ كلُّهُمُ ... أهلُ الندى والهدى والبُعْدِ فى الهِمَمِ
قالوا : حَدَا بهم رَيْبُ الزَّمان فَسَلْ ... أحداثَه عنهمُ تخبرْك عن رِمَمِ[٦]

روينا عن عبد اللهِ بن مُصْعب الزبَيْرى[٧] أنه قال : خرجنا إلى الغزو زمن

---

(١) فى حـ : نادى .
(٢) فى ا : أم الفواضل .
(٣) ا : للخدم .
(٤) ا : يلبسه .
(٥) ا : الحزم .
(٦) ا : أمم .
(٧) عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير القرشى الأسدى ، أمير من أهل العدل والورع والشعر والفصاحة ، ولى اليمامة أيام الخليفة المهدى ، ثم ولاه الرشيد المدينة وأضاف إليها اليمن توفى بالرقة سنة ١٨٤ .

مروان بن محمد حتى إذا كنّا ببعض الطّريق أصابنا مطرٌ وابل ، فملنا إلى قصر رفع[(١)] لنا فصرنا إلى فنائه ، إذ خرجت وليدة فقالت : بأبى وأمى ! من أين أنتم ؟ فقلنا : من مكة . فتنفست الصُّعَداء ، وأنشأت تقول :

من كان ذَا سَكَنٍ بالشَّامِ يألَفُهُ ... فإنّ فى غيره أمسى لى السَّكَنُ
وإنّ ذا القصر حَىٌّ مابه وطنى ... لكنْ بمكة أمسى الأهلُ والوطنُ
من ذَا يسائل عنّا أين منزلُنا ... فالأُقْحُوَانَةُ منّا منزلٌ قَمِنُ
إذ نَلْبَسُ العيشَ صفوًا ما يكدِّرُه ... ضِغْنُ الوُشاة ولا يَنْبُو بنا الزَّمنُ[(٢)]

قال : فمضينا فى غزونا حتى إذا قضينا شأننا وقفلنا راجعين ، أخذَنَا المساءُ عند ذلك القصر ، فأضافنا صاحبُه وأحسن ضيافتنا ، فقلت له : ثَمَّ حاجة . فقال : وماهي ؟ قلت : وليدة صفتها كذا ، إما أن تبيع وإما أن تهب ، فقال : ما شاء الله كان ، واللهِ لو كانت حية ما مضيتَ إلّا بها ، ولكنها ماتت منذ أيام تلهفاً على مفارقة من نشأت معه .

روينا من وجوه أن أبا خالد عبد الملك بن عبد العزيز بن جُرَيْج فقيه مكة[(٣)]

---

(١) فى ا : وضع .

(٢) الأبيات للحارث بن خالد المخزومى ، انظرها فى الأغانى ٣/٣٢٥ ، وانظر البيت الثالث فى الكامل ٢/١٧ ، والرواية فيه وفى ا : من كان يسأل عنا أين منزلنا ، والأقحوانة : موضع قرب مكة .

(٣) كان إمام أهل الحجاز فى عصره ، ويعد أول من صنف التصانيف فى العلم بمكة ، وهو رومى الأصل من موالى قريش ، مكى المولد والوفاة ، مات سنة ١٥٠ . انظر تاريخ بغداد ١٠/٤٠٠ (الأعلام ٤/٣٠٥) .

رضى الله عنه ، خرج إلى اليمن إلى معن بن زائدة فى دين ركبه ، قال : فلما نزلت عليه رحّب بى وسهّل ، وقال : ما أقدمك هذه المَدَرَة ؟ فقلت : دينٌ ركبنى لم تف به جائزة أمير المؤمنين ؛ فضاق ذرعى فلم أر له سواك ، فخرجت إليك . فقال : قدمتَ خير مَقْدم ، يُقْضى دينك وتنصرف محبورًا إلى وطنك . قال : فأقمت عنده شهورًا فى أحسن مثوًى وأكرم ضيافة ، فإنى لخارج من عنده يومًا إذ رأيت الناس يتأهبون إلى الحج ، فأدركتنى وحشة ، ولم أملك العَبْرة ، وحنَّت نفسى إلى الوطن ، فرجعتُ إليه وقد اغرورقت عيناى بالدّموع ، فقال لى : مالك ؟ قلت : رأيت الناس فى أهبة الحج[١] [٢]والخروج إلى مكة[٢] فذكرتُ أبياتًا لعمر بن أبى ربيعة حملتنى على ماترى. قال : وأىُّ أبياتِ عمر هى ؟ فقلت : قوله[٣] :

[٤]هيهات من أمةِ الوهّابِ منزُلنا ... إذا نزلنا بسيفِ البحر من عَدَنِ

واحتلّ أهلُك أجيادا فليس لنا ... إلا التذكُّرُ أو حظٌّ من الحَزَنِ[٤]

بل مانسيتُ غَدَاةَ الخَيْفِ[٥] موقِفَها ... وموقِفِي ، وكلانا ثَمَّ ذو شَجَنِ

وقولَهَا للثُّريَّا وهى باكِيَةٌ ... والدمعُ منها على الخَدَّيْنِ ذو سُنَنِ[٦]

---

(١) فى : ا يتأهبون للحج .

(٢) ساقط من ا .

(٣) الأبيات فى ديوانه ٢/١٢٦ . وانظرها مع القصة فى الأغانى ١/١١١ .

(٤) ساقط من حـ . وسيف البحر : ساحله . وأجياد : موضع بمكة سمي بذلك لأن تبعا حين نزل مكة ربط فيه جياده ، وقيل غير ذلك ، انظر معجم البلدان ٢/٢١٣

(٥) الخيف : موضع بمنى .

(٦) ذو سنن : ذو طرائق .

بالله قولى له فى غـير مَعْتبةٍ : ماذا أردتَ بطول المكث فى اليمنِ
إن كنتَ حاولتَ دُنياً أو رضيتَ بها فما أَخَذْتَ بتَرْكِ الحجِّ من ثمنِ

فقال : أتعزم على الرحيل والرجوع إلى وطنك ؟ قلت : نعم . قال : صحبتك السلامة ، ورُزقت العافية . وخرجت من عنده فما وصلتُ إلى موضعى ، حتى سبقني خمسةَ عشرَ بغلاً عليها عَصْبُ اليمن[1] ، ودراهم ، وضروب من الخير ، فقضيت دينى وتأثَّلْتُ منه كنزًا[2] مما بيدى اليوم .

---

(١) نوع من الغزل اليمنى مشهور .
(٢) فى ا : كثيراً .

باب مدح مغالبة[1] الهـوى وذم اتباعه

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « حُبّك الشيء يُعْمى ويُصم » .

قال وهب بنُ منبِّه : العقلُ والهوى يصطرعان ، فإيّهما غلب مال بصاحبه .

قال ابن دُرَيْد :

وآفةُ العَقْلِ الهوى فمن عَلاَ على هَوَاهُ عقلُه فقـد نَجَا

قال عمر بن عبد العزيز : أفضل الجهاد جهاد الهوى .

قال بعض الحكماء : من نظر بعين الهوى خاف ، ومن حكم بالهوى جار .

قال سفيانُ الثورى : أشجع الناس أشدهم من الهوى امتناعاً .

وقال : من المحقّرات تنتج الموبقات .

ويقولون : إن هشام بن عبد الملك لم يقل بيت شعرٍ قَطُّ إلاّ هذا :

إذا أنتَ لم تَعْصِ الهوى قَادَكَ الهوى إلى بعضِ ما فيـه عَلَيْـكَ مَقالُ[2]

---

(١) فى ا : باب ذم معالنة ... الخ .

(٢) انظر البيت فى الكامل ١/٢٣٦ ، محاضرات الأدباء ١/٢٥٤ ، وورد فى البيان ٣/١٦٩ برواية مختلفة هى :

إذا ما أطعت النفس من باطل الهوى إلى كل ما فيـه عليـك مقال

(قلتُ[١] : لو قال :

إلى كلٍّ ما فيه عليك مَقَالُ)[٢]

كان أبلغ وأحسن .

قال بعضُ الحكماء : إنما يحتاج اللبيبُ ذو الرأى والتّجربة إلى المشاورة ليتجرّد له رأيه من هواه .

قال بعضهم : اعص النساء وهواك ، واصنعْ ما شئت .

قلتُ[٣] : لو قال اعص الهوى لاكتفى .

قيل للمهلّب : بم ظفرت ؟ قال : بطاعة الحزم وعصيان الهوى .

قالوا : ما ذكر اللهُ تعالى الهوى فى شيء من القرآن[٤] إلا ذمه .

قيل لشُرَيْح : أحمد الله لما سلمك من الفتن . قال : كيف أصنع بقلبي وهواى ؟

قال بزرجمهر : الهوى غالب ، والقلوب مغلوبة .

قال امتدح بترك الهوى جماعة من الحكماء ، قال الزبير بن عبد المطلب :

---

(١) فى حـ : قال أبو عمر .

(٢) ساقط من ا .

(٣) فى ا ، حـ : قال أبو عمر .

(٤) ا : فى كتابه .

وأجتنبُ البوائقَ حيث كانت　　　وأتْرُكُ ما هويتُ لما خشيتَ[١]

أخبرنا عبد الوارث ، حدثنا قاسم ، حدثنا نصرُ بن محمّد الأسدىّ الكوفىّ ، حدثنا إبراهيم بن عثمان المَصِّيصى ، حدثنا مُخَلَّد بن حسين ، حدثنا هَشّام ابن حسان ، عن محمد بن سيرين قال : بينا عمر بن الخطاب يجوس ذات ليلة إذ سمع امرأة وهى تقول :

هل مِنْ سبيلٍ إلى خَمْرٍ فأَشْرَبَها　　　أم من سبيلٍ إلى نصرِ بن حجَّاجِ

فلما أصبح قال : علىّ بنصر . فجىء به ، فإذا هو أجمل الناس ، فقال : إنها المدينة فلا تساكِنىِّ فيها . فخرج إلى البصرة فنزل على ابن عمٍّ له ، هو أمير البصرة ، فبينما هو جالس مع ابن عمه وامرأته ، إذ كتب فى الأرض : إنّى لأحبُّك حبًّا لو كان فوقك لأظلك ، ولو كان تحتك لأقلّكِ . فقرأته وكتبت تحته : وأنا . وكان الأميرُ لا يقرأ ، فعلم أنه جوابُ كلام ، فأكفأ عليه إناءً وقام وبعث إلى من يقرأه ، فبلغ ذلك نصرًا ، فلم يجىء إليه ، ومرض حتى سلّ وصار شبه الفرخ ، فأخبر الأميرُ بذلك ، فقال : اذهبى إليه ، فأبت ، فقال : عزمتُ عليكِ إلاّ ذهبتِ إليه وأسنَدْتِهِ إلى صدرك وأطعمته .

قال : فلما أتت الباب قيل له : هذه فلانة . فكأنه انتعش شيئًا ، فصعدت

---

(١) انظره فى عيون الأخبار ٢/٦٦ .

إليه وأَسندتْه إلى صدرها وأطعمتْه ، فأَفاق ، فخرج من البصرة واستحيا من ابن عمه فلم يلقه بعدها .

قال إبراهيم بن عثمان :⁽¹ الأمير مُجَاشع بن مسعود السُّلَمى ، وامرأته الخضراء ¹⁾

⁽¹ قال إبراهيم بن عثمان ¹⁾ : وأخبرنى محمد بن كثير ، أن نصر بن حَجّاج كتب إلى عمر رضى الله عنه :

لَعَمْرى لَئن سَيَّرْتنى وَحَرَمْتَنى ... وما جئتُ ذَنباً إنّ ذَا لحرامُ (٢)

ومالى ذنبٌ غيرَ ظنّ ظننتَهُ ... وفى بعضِ تصديقِ الظنونِ أَثامُ

أَأَنْ غنّت الذَّلْفاءُ يوماً بِمُنْيَةٍ ... وبعضُ أمانِىّ النساءِ غَرَامُ

ظننتَ بِى الأمرَ الذى لو أتيتُه ... لما كان لى فى الصَّالحين مقامُ (٣)

---

(١) ساقط من ا ، هذا وقد ذكر فى الأغانى ١٩/ ١٤٣ أن اسم امرأة الأمير هو شميلة بنت جنادة بن أبى أزهر الزهرانية ، وفى هامش عيون الأخبار ٤/٢٤ أورد ماجاء فى تاج العروس مادة شمل من أن اسمها هو شميلة بنت أبى أزيهر الدوسى زوج مجاشع بن مسعود السلمى أمير البصرة ، وقال وفى تزيين الأسواق لداود الأنطاكى أنها شميلة بنت أبى حياء بن أبى بهر ، وكانت من أجمل النساء وعلى أى حال فقد اتفقت الروايات على أن اسمها شميلة فلعل ما ذكره المؤلف من أنها الخضراء هو لقب لها . وبهذه المناسبة فقد وردت هذه القصة فى المراجع السابقة وفى المحاسن والأضداد ١٨٩ بما لايخرج فى مضمونه عن هنا ، وأوردها ابن أبى الحديد فى نهج البلاغة ٣/١٥٢ بفضل تفصيل إلى حد أنه تتبع حياة نصر ، وذكر له قصصا غرامية أخرى ، ويبدو أن الجزء الأول من القصة هو ما قد حدث فعلا ، أى حادث النفى وما سبقه ، أما الجزء الثانى وأبيات نصر التى كتبها إلى عمر فمشكوك فيها وقد قال ابن قتيبة عن الأبيات فى العيون : أحسب هذا الشعر مصنوعا .

(٢) فى العيون : لعمرى إن . وفى ا صيرتنى .

(٣) فى العيون : ظننت بى الظن الذى ليس بعده ... بقاء ومالى فى الندى كلام

ويمنعُنى ممـــا تمنَّتْ حفيظَتى ... وآباءُ صِـدْقٍ صالحون كرامُ(١)

ويمنعُها مما تمنّتْ صـــلاتُها ... وبيتٌ لهـا فى قومها وصيامُ(٢)

فهاتان حالانا فهل أَنت راجِعِى ... فقـد جُبَّ مِنّى غاربٌ وَسَنَامُ(٣)

قال بعضُ الحكماء : الهوى عدوّ العقل ، فإذا عرض لك أمران ولم يحضرك من تشاوره فاجتَنب أقربهما إلى هواك .

ومما ينسب إلى الشافعى ، وأظنه لسهل الوراق :

إذا حارَ ذهنُـــك فى معنيينِ ... وأَعْيَاكَ حيث الهوى(٤) والصَّوابْ

فدع ما هويتَ فإنّ الهـوى ... يقود النفوسَ إلى ما يعـابْ

قال غيره : اغتنم من الخير ما عجّلتَ ، ومن الهوى ما سوّفت .

كان يقال : إذا غلب عليـك عقلُك فهو لك ، وإن غلب عليـك هواك فهو لعدوّك .

قال عمر لمعاوية : من أَصبرُ الناس ؟ قال : من كان رأيه رادًّا لهواه .

(١) فى العيون : تـكرمى بدل حفيظتى ، وسالفون بدل صالحون .

(٢) رواية العيون : خباؤها وحال لها مع عفة .

(٣) رواية العيون : وقد خف منى كاهل وسنام .

(٤) فى ا : الهدي .

قال أعرابى : ما أشدَّ جولة الرأى عند الهوى ، وأشد فطام النفس عند الصبر .

قال نِفْطَوَيْه :

إنّ المَـــرائِىَ لا تريـ ــك خدوشَ وجهكَ فى صَدَاهَا
وكذاك نفسُك لا تُريـ ــك عيوبَ نفسك فى هَوَاهَا[(١)]

وعن نفطويه ، قال : تضيّف صديقٌ لى من أهل الأدب إلى امرأة من أهل البصرة ، فتعرض لها ، فقالت : أيها الرجل ! مالك حظ فى غيرة الرجال على الحرم ، فيكون ذلك زاجرًا لك عن التعرض لحرم غيرك ، إن لم يكن لك ناهٍ من دين ؟ أما علمتَ أن الأمور إلى أواخرها تؤول إلى أوائلها ، وإن من عوّد نفسه الرّفث والخَنَا كان كمن اتخذ المزابل مجلساً ، وقلّما مجن[(٢)] رجل إلّا هلك .

قال الشاعر :

الحُبُّ زُورٌ والهَوَى بَاطِلُ والقلبُ ما أجريتَه يجرى
وَتَرْكُ ما تَهْوَى يسيرٌ إذَا أَعْمَلتَ فيه سَعَةَ الصَّدْرِ

وقال منصورُ النّمرى :

---

(١) نسب البيتان إلى منصور الفقيه فى : محاضرات الأدباء ١/٧ ، فصل المقال ٢٤٤ ، التمثيل والمحاضرة ٣٠١ .

(٢) فى ا : سخف .

وإنّ امْرءًا أَوْدَى الغَرَامُ[١] بلُبِّه   لعريانٌ من ثوبِ الفلاحِ سَلِيبُ

قال آخر :

عينُ المحبِّ كليـلةٌ   عن عَيْبِ كلِّ فتًى يَوَدّ

قال عمرُ بن أبى ربيعة :

حَسَنٌ فى كُلِّ عينٍ من تَوَدّ[٢]

وقال رَوْحُ أبو هَمّـام[٣] :

وعينُ السُّخْطِ تبصرُ كلَّ عيبٍ   وعين أخى الرّضا عن ذاك تَعْمَى

وقال عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر :

فعينُ الرِّضاَ عن كلِّ عيبٍ كليـلةٌ   ولـكنَّ عينَ السُّخْط تُبْدى المَسَاوِيا

قال أبو العتاهية :

والمـرءُ يَعْمَى عمّـنْ يحبُّ فإنْ   أَقْصَرَ عن بعضِ ما بِهِ أَبْصَرْ[٥]

(١) ف : ا أودى المرام ، وفى حـ : أزرى المدام .

(٢) عجز بيت ، وصدره .

فتضاحكن وقد قلن لها .   انظر ديوانه ١/٤٥

(٣) انظر البيت فى الحيوان ٣/٤٨٨ ، واسم الشاعر هناك : روح بن عبد الأعلى أبو همام ، ولم أعثر له على ترجمة .

(٤) لم يرد هذا البيت فى الديوان المطبوع .

بابُ معنى عِشْق النِّساء والهوى فيهن

قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « ما رأيتُ من ناقصاتِ عقلٍ ودين ، أسلبَ لعقول ذوى الألبابِ منكن » .

سُئِل بعض الحكماء عن العشق ، فقال : شغلُ قلبٍ فارغ .

وجد فى صحيفةٍ لبعض أهل الهند : العشقُ ارتياحٌ جُعل فى الروح ، وهو معنى تنتجه النجوم بمطارح شعاعها ، وتتولد الطوالع بوصلة أشكالها ، وتقبله النفوس بلطيف خواطرها ، وهو بعدُ جلاء للقلوب ، وصَيقل للأذهان ما لم يُفْرط ، فإن أفرط عاد سُقما قاتلا ، ومَرَضا مُنهكا ، لا تنفذُ فيه الآراء ، ولا تنجعُ فيه الحيل ، العلاج منه زيادة فيه .

حضر عند المأمون يوماً يحيي بن أكْثَم ، و ثمَامة بن أشْرس ، فقال المأمون ليحيي : خبرنى عن حدّ العشق . فقال : يا أمير المؤمنين ! سوانح تسنح للعاشق يؤثرها ويهيم بها تسمى عشقا . فقال ثمامة : اسكت يايحيي ، فإنما عليك أن تجيب فى مسألة من الفقه ، وهذه صناعتنا . فقال المأمون : أجب يا ثمامة . فقال : يا أمير المؤمنين ! إذا تقادحت جواهر النفوس المتقاطعة بوصل المشاكلة أثقبت[1] لمح

---

(١) فى ح : أثبتت .

نورٍ ساطع تستضيء به بواطن[١] العقل فتهتز لإشراقه طبائع الحياة ، ويتصوّر من ذلك اللّمح نور حاضر[٢] بالنفس متصل بجوهرها فيسمى عشقا[٣] .

وصف أعرابى عاشقا ، فقال : كان يستر عيناً قد درّت مآقيها ، ويحنو على كبد قد أعيت مداويها[٤] .

ذكر رجلٌ أيامَ شبابه وامرأةً كان يهواها ، فقال : ذلك هوًى شربتْه النفس أيام شبابها ، فاستخفّت بالعاذلات[٥] وعتابها .

وصف بعضُ الحكماء الهوى الذى هو عشقٌ للنساء ، فقال : بَطَنَ فرقَّ ، وَظَهَر فَكَثُف ، وامتنع وصفُه عن اللسان فهو بين السّحر والجنون ، لطيف المَسْلك والكُمُون .

وقال بعضُ الأدباء : الهوى جليسٌ ممتع ، وأليف مؤنس وصاحب مُمَلّك ، مسالكه لطيفة ، ومذاهبه متضادة وأحكامه سائرة[٦] ، ملك الأبدان وأرواحَها ، والقلوبَ وخواطرها ، والعيونَ ونواظرها ، والعقولَ وآراءَها ، وأَعْطى عنان

---

(١) ح : نواظر .

(٢) ح : ويتصور من ذلك اللحم نور خاطر ... الخ .

(٣) انظر هذا الخبر مع اختلاف قليل فى الألفاظ فى العقد الفريد ٢/٣١٧ ، وفيه : أن المأمون سأل عبد الله بن طاهر ذا الرياستين عن الحب فقال ... الخ

(٤) فى ا : مداواتها .

(٥) ح : بالنازلات .

(٦) ا : جائرة .

طاعتها[١]، وقادَ تصرفها، توارى الأبصار مَدْخله، وغمَض فى القلوب مسلكه.

قال عباس بن الأحنف، فيما أنشده إسحاق الموصلى له.

فلو كان لى قلبانِ عشتُ بواحِدِ ... وَخَلَّيتُ قلباً فى هواك يُعَذَّبُ
ولكنّما أحيَا بقلبٍ مُرَوَّعٍ ... فلا العيشُ يصفُو لى ولا المَوْتُ يَقْرُبُ
تعلمتُ ألوانَ الرِّضاَ خوفَ سُخْطها ... وَعَلَّمَها حبِّى لها كيف تَغْضَبُ
ولى ألفُ وجهٍ قد عرفتُ مكانَهُ ... ولكنْ بلا قلبٍ إلى أين أذهبُ[٢]

وللصِّمَّة[٣] القُشَيْرِى :

لَعَمْرِى لَئِنْ كنتُم على النَّأْىِ والغِنَى ... بِكُمْ مثلُ مابى إنّكُم لصديقُ
إذا زَفَرَاتُ الحُبِّ صَعَّدْنَ فى الحشى ... رُدِدْنَ ولم يُفْتَح لهن طريقُ[٤]

للعباس بن الأحنف[٥] :

أَرَى الطَّريقَ قريباً حين أسلُكُه ... إلى الحبيبِ بعيدًا حينَ أنصرفُ

---

(١) ا : زمام أعنتها .

(٢) ديوانه ١٦ .

(٣) ساقط من ا : والصمة القشيرى هو الصمة بن عبد الله بن الطفيل بن قرة القشيري، شاعر غزل، بدوى، من شعراء العصر الأموى، ومن العشاق المتيمين، كان يسكن بادية العراق وانتقل إلى الشام بعد فشله فى التزوج بمحبوبته، ثم خرج غازيا يريد بلاد الديلم فمات بطبرستان نحو سنة ٩٥ هـ . انظر الأغانى ٥/١٢٦ طبعة الساسى، خزانة البغدادى ١/٤٦٤ (الأعلام ٣/٣٠٠) .

(٤) انظر البيتين فى أمالى القالى ١/٢٨، محاضرات الأدباء ٢/٣٧، ورواية الأمالى : كررن فلم يغلق، ورواية المحاضرات : رددن ولم يوجد لهن . وفى ا : ينهج بدل يفتح .

(٥) ديوانه ١٥٢ .

أنشدنا أبو القاسم محمد بن نصر الكاتب رحمه الله لنفسه فى معنى بيت عباس هذا :

أمرُّ نشيطاً إذا زُرْتكُمْ وأرجِعُ كسلانَ لا أنشَطُ
وسيرُ المطيّةِ ما كدَّنِى ولكنْ هوى لكُمْ مُفْرِط

وقال العباس بن الأحنف[(١)] :

يقرِّبُ الشوقُ دارًا وهى نَازِحَةٌ من عالَجَ الشَّوْقَ لم يَسْتبعد الدَّارَا

وله[(٢)] :

مُتْ على من غبتَ عنه أسَفاَ لَسْتَ منهم بعَصِيبٍ خلفَاَ
لَنْ تَرَى قرّةَ عينٍ أبَدًا أوْ ترى نَحْوُهمْ منصَرَفاَ
قلتُ لَمَّا شفَّنِي وجدى بِهِم : حَسبِيَ اللهُ لما بى وَكَفَى
بيَّنَ الدَّمعُ لمنْ يُبْصرنى ما تضمَّنتُ إذا ما ذَرَفاَ

ولمحمد اليزيدىّ :

أتيتُك عائذًا بك مِنْ كَ لمّا ضاقَت الحِيلُ

---

(١) ديوانه ٢٧

(٢) الديوان ١٤٠

وصيّرنِى هــواكَ وبى لحينى يُضْربُ المثــلُ
فإنْ سلمتْ لـكم نفسِى فما لاقيته جَـــلَلُ[١]
وإنْ قتلَ الهوى رجلاً فإنّى ذلك الرجـلُ

كتب المهدىُّ إلى الخيْزُرَان وهو بمـكة :

نحنُ فى أفضل السُّرور ولـكنْ ليس إلّا بكم يتمُّ السّرورُ
عيبُ ما نحن فيه يا أهلَ وُدِّى أنـكم غبتُم ونحن حضـورُ
فأجدّوا المسيرَ ، بل إن قدرتُمْ أن تطيروا مع الرياحِ فطيرُوا[٢]

فأجابته :

قد أتانا الذى وصفتَ من الشَّوْ قِ فـكدنا . وما فعلنـا نَطِيرُ
ليت أنّ الرياحَ كن يؤدِّيـ نَ إليـكم ما قد يجنُّ الضميرُ
لم أزل صَبَّةً فإن كنت بعدِى فى سُرورٍ فدام ذاكَ السرورُ

قال بعضُ الأدباء : ما أشد جولة الرأى عند الهوى وفطام النفس عند الصِّبا[٣] ، لقد تصدعت كبدى للمحبّين ، لوم العاذلين قرطة فى آذانهم ، ونيران متأججـة

(١) فى ح : جدل ، والجلل : الهين الحقير ، ويطلق أيضا على العظيم ، ضد .
(٢) انظر الأبيات فى محاضرات الأدباء ١/٣٠٧ .
(٣) فى ا : الصبر .

فى أبدانهم ، لهم دموع غزيرةٌ على المَغَانى ، كغُروب السَّوانى[١] ، وأُنشد :

سَقَى اللهُ أطلالاً لليلى وشُقِّقت ... عليهنّ من غُرِّ الغَمامِ جيُوبُ
فما تقشعرُّ الأرضُ إن نزلَتْ بها ... ولكنها تُزْهَى بها وتَطيبُ

وقال آخر :

وقال أناسٌ : لا يضيرُكَ نأيُها ... بلى كلُّ ماشَفَّ النفوسَ يضيرُها
أليس يضيرُ العينَ أن تكثِرَ البكا ... ويُمْنَعَ منها نومُها وسُرُورُها[٢]

وقال آخر :

فلو أنّ شَرْقَ الشَّمسِ بينى وبينها ... وأهْلِى وراءَ الشمسِ حيثُ تغيبُ
لحاولتُ قَطعَ الأرضِ بينى وبينها ... وقال الهوى لى : إنه لقريبُ

وقال الصِمَّةُ بن عبد الله القُشَيرى :

إذا ما أَتَتْنَا الريحُ من نحو أَرْضكمْ ... أُتينا بريّاكُم فطابَ هُبُوبُها
أتينا بريحِ المسكِ خالط عَنْبرًا ... وريحِ الخُزَامى باكَرتْها جَنُوبُها[٣]

---

(١) السوانى جمع سانية ، وهى الدلو العظيمة ، وغروبها ماؤها . وتشبه العين بالسانية عندما تفيض منها الدموع .

(٢) البيتان فى حماسة أبى تمام ٢/١٢٦ ، أمالى القالى ١/٨٨ منسوبين لتوبة بن الحمير ، وانظر المحاسن والأضداد ١٢٥ ، ورواية ا : يضير النفس بدل العين .

(٣) البيتان فى الأغانى ٤/١١٥ .

وقال آخر :

ضافَ قلبي الهَوى فأكثر سَهوى   وجَوَى الحُبِّ مُفظِعٌ كلَّ حُلْوِ
لو عَلاَ بعضُ ما علانى ثَبيرًا[١]   ظلّ ضَعفًا ثَبِيرُ من ذاك يهوِى
من يكن من هَوَى الغوانِىَ خُلْوًا   يا ثقاتى فإننى غيرُ خُـلْوِ

[٢] قال العبّاس بن الأحنف :

جرى السَّيلُ فاستبكانِى السيلُ إذْ جرى   وفاضتْ له من مُقْـلتىّ غُرُوبُ
وما ذاك إلّا أنْ تيقنتُ أنّنى   أمرُّ بوادٍ أنتِ منـه قريبُ
يكون أُجاجًا قبلـكم فإذا انتهى   إليـكم تلـقّى طيبَـكُم فيطيبُ
أيَا ساكنى شرقىّ دجْـلَة كلـكُمُ   إلى القَلبِ من أجل الحبيب حبيبُ [٢]

قال بعضهم : لو لم يكن فى العِشق إلّا أنه يشجـع قلب[٣] الجبان ، ويسخى كـف البخيل ، ويصفّى ذهن الغبى ، ويبعث حزم العاقل ، ويخضع له عزُّ الملوك ، وتَضْرَعُ له صولة الشجاع ، وينقادُ له كلُّ ممتنع ، لـكفى به شَرَفا .

قال الأصمعى : سمعت أعرابيًا يقول : إذا ترنمتْ هتوف الضحى[٤] على الغصون ،

(١) اسم يطلق على عدة جبال خارج مـكة .
(٢) ساقط من ج ، وانظر الأبيات فى الديوان ١٦ .
(٣) فى ا : القلب .
(٤) فى ا : هبوب الرياح .

أرسلت الشُّئُون[١] مياهها إلى العيون ، فمن ذَاد عينه عن البكا أورث قلبه حزنا .

عشق أبو القمقام بن بحر السقا امرأة موسرة[٢] ، فأطمعته فى نفسها ، فبعث يستهديها[٣] طعاماً ، حتى فعل ذلك غير مرة ، فلما أكثر عليها ، بعثت إليه : رأيت العشق يكون فى القلب ويفيض إلى الكبد ، ثم يستبطن الأحشاء ، وحبُّك لا أراه تجاوز[٤] المعدة .

قال أعرابىٌّ من فَزَارة : عشقت امرأة من طيِّئ ، فكانت تظهرُ لى مودّة ، فوالله ما جرى بينى وبينها شىء من ريبة ، غير أنى رأيت بياض كفها ليلة[٥] ، فوضعت كفّى على كفها ، فقالت : مه ! لا تفسد ما صلح ، فأرفضضت عرقا من قولها ، فما عدت لمثل ذلك .

قال بعضهم : الرجلُ يكتمُ بُغضَ المرأة أربعين يوماً ، ولا يمكنه أن يكتم حبها يوماً واحدا ، [٦] والمرأة تكتم حب الرجل أربعين يوماً [٦] ، ولا يمكنها أن

---

(١) فى ا : الشوق ، والشئون : مجاري الدمع فى العين .
(٢) فى الكامل ٢/١١ : عشق أبو القمقام بن بحر السقا جارية مدينية ، وقد ورد الخبر هناك بتفصيل أكثر .
(٣) فى حـ : لسيدتها .
(٤) فى ا : وحبك لا يجاوز .
(٥) فى ا : فى سواد الليل .
(٦) زيادة يستقيم بها الغرض .

تـكتم بغضه يوما واحـدًا .

قال يوسف بن هرون[١] :

دقَّتْ مَعَانِى الحبِّ عن أَذْهَانِهِم ... فتأوَّلُوهَـا[٢] أقبحَ التَّأوِيلِ

وقال كُثَيِّر :

إذا ما أرادتْ خُلَّةٌ أن تستَمِيلَنَا ... أَبَيْنَا وقُلنـا الحاجبيـةُ أَوَّلُ[٢]

وقال حبيب :

أتانِى هَوَاها قبل أن أعْرفَ الهوى ... فصادَفَ قلبًا خاليًا فتمـكَّنَا[٤]

لعلىّ بن الجَهْم :

يا سائِلِى ما الهوى اسْمَعْ إلى صِفَتِى ... الحبُّ أعظمُ من وصفى ومِقْدَارِى
ماءُ المدامعِ نارُ الشوق تحدُرُه ... فهـل سمعتَ بماءٍ فاضَ من نارِ[٥]

---

(١) الـكندى الرمادى ، شاعر أندلسى عالى الطبقة ، أصله من رمادة من قرى شلب ، مولده ووفاته بقرطبة مدح المنصور بن أبى عامر ، ثم شاعت عنه أشعار فى دولة الخليفة ورجالها فسجن ، وظل فى السجن مدة طويلة حتى أفرج عنه . توفى سنة ٤٠٣ هـ . انظر يتيمة الدهر ١/٤٣٤ ، والمطرب من أشعار أهل المغرب ٣ (الأعلام ٩/٣٣٦) .

(٢) فى ح : فتأولوا .

(٣) البيت فى الديوان ٢/٣١ ، وفيه : تريدنا بدل تستميلنا ، وفى محاضرات الأدباء ٢/٢٢ : إذا واصلتنا خلة كى تزيلها ... عرضنا ، وفى العيون ٤/٢٨ : إذا وصلتنا ... كى تزيلنا .

(٤) فى ح : فتحكما ، والبيت فى الديوان ٣١٢ ، وقد نسب للمجنون فى الحيوان ١/٤٠ ، ونسب لابن الطثرية فى العقد الفريد ٥/٤١٢ ، محاضرات الأدباء ٢/٢٢ .

(٥) فى ا : تخرجه بدل تحدره ، وانظرها فى ديوانه ٣٢ .

وقال أبو العتاهية :

أذابَ الهوى جسمى ولحمى وقوّتى فلم يَبْقَ إلاّ الروحُ والجَسَدُ النضوُ
رأيتُ الهوى جَمْرَ الغضَا غير أنّه على كلِّ حالٍ عنـد صاحبه حُلْوُ[١]

وقال آخر :

أُسِرُّ الذى بى والدُّموعُ تَبُـوحُ وجِسْمِى سَـقيمٌ والفؤادُ قريحُ[٢]
وبينَ ضُلُوعى لوعـةٌ لم أزلْ بها أذوبُ اشتياقًا والفـؤاد صحيحُ

وقال الصِّمَّةُ القشيرى :

أمَا وجَـلالِ اللهِ لو تَذْكُرِينَنِى كذكْرِيكِ ما كفـكفتِ للعينِ مَدْمَعَا
فقالت : بَـلَى واللهِ ذكرًا لو انَّهُ يُصَبُّ على صُمِّ الصَفَا لتصـدّعا[٣]

وأكثرهم ينسبون إليه [٤] فى هذا الشعر قوله [٤] :

حَنَنْتَ إلى ريًّا ونفسُك باعَدَتْ مَزَارَكَ[٥] من ليلى وشَعْبَا كُما مَعَا

(١) لم يرد البيتان فى ديوانه المطبوع .

(٢) فى ا : جريح .

(٣) هذاالبيتانلم يردا ضمن الأبيات التالية فى المراجع ، وقد ذكرابن خلكان فىالوفيات ٥/١٣/٤ أن ابن عبد البر وحده هو الذى ذكرهما مع هذه الأبيات فى كتابه بهجة المجالس .

(٤) زيادة من ا . وانظر الأبيات للصمة فى الأغانى ٢/١٦٧ ، حماسة أبى تمام ٢/٥٤ ، ٥٥ ، أمالي القالى ١/١٩١ .

(٥) فى ح : قرارك .

فما حسنٌ أن تأتىَ الأمرَ طائعًا[١] ... وتجزعَ أن داعى الصَّبابةِ أسمعَا

بكتْ عينى اليسرى[٢] فلمَّا زجرتُها ... عن الجهلِ بعد الحلمِ أسْبَلَتا مَعاَ

وأذكرُ أيامَ الحِمَى ثم أنثَنِي[٣] ... عَلَى كبدِى من خشيةٍ أن تصدَّعا

فليستْ عَشيَّاتُ الحِمَى برواجعٍ ... إليكَ[٤] ولكنْ خلِّ عينيك تدمَعَا

ومنهم من ينسبها إلى قيس بن ذَرِيح ، وللمجنون أيضا تنسب[٥] ، والأكثر أنّها للصِّمَّةِ :

---

(١) فى حـ : عاشق . (٢) فى حـ : اليمنى .

(٣) فى الحماسة : حتى وجدتنى .

(٤) فى ا : عليك .

(٥) وبالإضافة إلى هذا فقد نسبت فى وفيات الأعيان ٤١٣/٥ لابن الطثرية ، ونسبت فى العقد الفريد ٣٣/٩ لابن الدمينة .

الفهرس

القسم الأول من كتاب بهجة المجالس

لابن عبد البر

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة